

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان، يشتها في قبلة قصر الكوفة وميسرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآري إلى اليوم، ويربها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول، فسمة الأعاجم: آخر الشاهجان، يعنون معلف الأمراء، وكان قيمة عليها سلمان ابن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة، يصنع سوابقها، ويجريها في كل عام، وبالبرصة نحو منها، وقيمة عليها جزء بن معاوية، وفي كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها، فإن نائبهم نائبة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن حلام، عن شهر بن مالك بنحو منه. فلما فرغوا رجعوا.

### ذكر فتح الجزيرة

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - افتتحت الجزيرة في رواية سيف. وأما ابن اسحاق، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة، وذكر من سبب فتحها ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه، أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق، فأبعث من عندك جنداً إلى الجزيرة، وأمر عليهم أحد الثلاثة: خالد بن عرفطة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم. فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر، قال: ما آخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه، وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشاً، وبعث أبا موسى الأشعري، وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدث السن ليس إليه من الأمر شيء - وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، وذلك في سنة تسع عشرة. فخرج عياض إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على الجزية، وصالحته حران حين صالحت الرهاء، فصالحه أهلها على الجزية. ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل ردها للمسلمين، وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا، فنزل عليها حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نصيبين، وذلك في سنة تسع عشرة. ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شيء من قتال، أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً. ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزية، على كل أهل بيت دينار. ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل.

وأما في رواية سيف، فإن الخبر في ذلك، فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة

عمر بنجره بنجر وجهه عليه، وشغلهم أجناد أهل الشام عنه، وقد كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس. فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد بن مالك: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حصص، فإن أبا عبيدة قد أحبط به، وتقدم إليهم في الجند والحث.

وكتب أيضاً إليه أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليات الرقة فإن أهل الجزيرة. هم الذين استثاروا الروم على أهل حصص، وإن أهل قرقسياء لهم سلف. وسرح عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، فإن أهل قرقسياء لهم سلف، ثم لينفضا حران والرهاة. وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضاً، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم - وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد مدعين لأهل الشام، وعن انصرف أيام انصرف أهل العراق مدعين لأهل القادسية، وكان يرافد أبا عبيدة - فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حصص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض، وتوجه كل أمير إلى الكورة التي أمر عليها. فأتى الرقة، وخرج عمر من المدينة مغنياً لأبي عبيدة يريد حصص حتى نزل الجابية. ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حصص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود قد ضربت من الكوفة، ولم يدروا الجزيرة يريدون أم حصص! فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم وخلصوا الروم. ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفضوا غير الأول، فاستشار خالداً في الخروج، فأمره بالخروج، ففتح الله عليهم. وقدم القعقاع بن عمرو في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة، وقدم عمر فنزل الجابية، فكتبوا إلى عمر بالفتح ويقدمو المدد عليهم في ثلاث، وبالحكم في ذلك. فكتب إليهم أن أشركوهم، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيراً! يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء بن سباه، عن الشعبي، وقال: استمد أبو عبيدة عمر وخرجت عليه الروم، وتابعهم النصاري فحصروه، فخرج وكتب إلى أهل الكوفة، فنفر إليهم في غداة أربعة آلاف على البغال يجنبون الخيل، فقدموا على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة، فكتب فيهم إلى عمر، وقد انتهى إلى الجابية، فكتب إليه: أن أشركهم، فإنهم قد نفروا إليكم، وتفرق لهم عدوكم.

قالوا: ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم: إنه بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتخرجنه أو لتنبذن إلى النصارى، ثم لتخرجنهم إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدي بن زياد، وخنس بقيتهم، ففارقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من بني تغلب إلا الإسلام، فقالوا له: أما من نقب على قومه في صلح سعد ومن كان قبله فانتهم وذاك، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يخرج ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه! فكتب فيهم إلى عمر، فأجابه عمر: إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام، فدعهم على ألا ينصروا وليداً، وأقبل منهم إذا أسلموا. فقبل منهم على ألا ينصروا وليداً، ولا يمنوا أحداً منهم من الإسلام، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به، وأبى بعضهم إلا الجزاء، فرضي منهم بما رضي من العباد وتوخ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي سيف التغلي، قال: كان رسول الله ﷺ قد عاهد وفدهم على ألا ينصروا وليداً، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم، ولم يكن على غيرهم، فلما كان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء، فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألا ينصروا مولوداً إذا أسلم أبائهم. فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر، فلما بعث الوليد إليه برؤوس النصارى ويديانهم، قال لهم عمر: أدوا الجزية، فقالوا لعمر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخل أرض الروم، والله لتفضحننا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتن أنفسكم، وخالفتم امتكم فيمن خالف واقتضح من عرب الضاحية، وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قماء، ولئن هربتم إلى الروم لأكتن فيكم، ثم لأسينكم. قالوا: فخذ منا شيئاً ولا تسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء، وسموه أنتم ما شئتم. فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه، فرضي به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك، وكان في بني تغلب عز وامتناع، ولا يزالون ينازعون الوليد، فهم بهم الوليد، وقال في ذلك:

إذا ما عصبت الرأس مني بمشوذ ففبك مني تغلب ابنة وائل  
وبلغت عنه عمر، فخاف أن يخرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملي، وخرج الوليد واستودع إبلأ له حريث بن النعمان أحد

وعمر وسعيد، قالوا: خرج عياض بن غنم في أثر القعقاع، وخرج القواد - يعني حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بمحص - فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها، فسلك سهيل بن عدي وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة، وقد أرفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصريهم حتى صالحوه، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بين أهل العراق وأهل الشام، فما بقاءكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة، فرأى أن يقبل منهم، فبايعوه وقبل منهم، وكان الذي عقد لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهل الذمة، وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل، فعب إلى بلد حتى أتى نصيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كما صنع أهل الرقة، وخافوا مثل الذي خافوا، فكتبوا إلى عياض، فرأى أن يقبل منهم، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله، وأجروا ما أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهل الذمة، وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة، فنهض معه مسلموهم وكافروهم إلا إياد بن زرار، فإنهم ارتحلوا بقليتهم، فاتقحموا أرض الروم، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب. ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلاً وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حران، فأخذ ما دونها. فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذمة. ثم إن عياضاً سرح سهيلاً وعبد الله إلى الرهاء، فاتقهما بالإجابة إلى الجزية، وأجرى من دونهم مجراهم، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتحاً، فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين، وقال عياض بن غنم:

من مبلغ الأقوام أن جموعنا حوث الجزيرة يوم ذات زحام  
جمعوا الجزيرة والنيكاف فسفوا عمن بمحص غيابة القدام  
إن الأعززة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراخ الهام  
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتفوا عن غزو من يأوى بلاد الشام

ولما نزل عمر الجابية، وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة، فقدم على عياض مدداً، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه، وصرف سهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحريها، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فأقاما بالجزيرة على أعمالهما.

بني كنانة بن نعيم من بني تغلب، وكانت مائة من الإبل فاختانها بعدما خرج الوليد...

وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة في ذي الحجة.

### خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - خرج عمر من المدينة يريد الشام حتى بلغ سرغ، في قول ابن إسحاق، حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه، وفي قول الواقدي.

ذكر الخبر عن خروجه إليها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: خرج عمر إلى الشام غازياً في سنة سبع عشرة، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، فأخبروه أن الأرض سقيمة، فرجع بالناس إلى المدينة.

وقد كان عمر - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس - خرج غازياً، وخرج معه المهاجرون والأنصار. وأوعب الناس معه، حتى إذا نزل بسرغ، لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرجيل بن حسنة، فأخبروه أن الأرض سقيمة، فقال عمر: اجمع إلي المهاجرين الأولين، قال: فجمعهم له، فاستشارهم، فاختلّفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده، ولا ترى أن يصدك عنه بلاء عرض لك. ومنهم القائل: إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه، فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال: اجمع لي مهاجرة الأنصار، فجمعهم له، فاستشارهم فسلّكوا طريق المهاجرين، فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله. فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال: اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش، فجمعهم له، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان، وقالوا: ارجع بالناس، فإنه بلاء وفناء. قال: فقال لي عمر: يا ابن عباس، اصرخ في الناس قل: إن أمير المؤمنين يقول لكم إنني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه قال: فأصبح عمر على ظهر، وأصبح الناس عليه، فلما اجتمعوا عليه قال: أيها الناس، إنني راجع فارجعوا، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله! قال: نعم فراراً من قدر الله إلى قدر الله، أرايت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان: إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله! ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! ثم خلا به بناحية دون الناس، فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن

عوف - وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس - فقال: ما شأن الناس؟ فأخبر الخبر، فقال: عندي من هذا علم، فقال عمر: فانت عندنا الأمين المصدق، فماذا عندك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بهذا الوباء يبلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه، ولا يخرجنكم إلا ذلك»، فقال عمر: فله الحمد! انصرفوا أيها الناس، فانصرف بهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر، أنهما حدثاه أن عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف، فلما رجع عمر رجع عمال الأجناد إلى أعمالهم.

وأما سيف، فإنه روى في ذلك ما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع، قالوا: وقع الطاعون ومصر والعراق، واستقر بالشام، ومات فيه الناس الذين هم في كل الأصمار في الحرم وصفرة، وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام، فخرج حتى إذا كان منها قريباً بلغه أنه أشد ما كان، فقال وقال الصحابة: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان بارض وباء فلا تدخلوها، وإذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» فرجع حتى ارتفع عنها، وكتبوا بذلك إليه وما في أيديهم من الموارث، فجمع الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة، فاستشارهم في البلدان، فقال: إنني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا علي - وكعب الأحبار في القوم، وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلم - فقال كعب: بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين؟ قال: بالعراق، قال: فلا تفعل، فإن الشر عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء، فجزء من الخير بالشرق وتسعة بالمغرب، وإن جزءاً من الشر بالمغرب وتسعة بالشرق، وبها قرن الشيطان، وكل داء عضال.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد، عن الأصبع، عن علي، قال: قام إليه علي، فقال: يا أمير المؤمنين، والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الإسلام، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاهها وحن إليها، والله لينصرون بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المطروح، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: وقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إن المغرب أرض الشر، وإن الشر قسم مائة جزء، فجزء في الناس وسائر الأجزاء بها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي يحيى التميمي، عن أبي ماجد، قال: قال عمر: الكوفة رمح الله، وقبة

عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجد، وبلغ ذلك عمر، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد، فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي. قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، قال: يغفر الله لأمر المؤمنين! ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفهم أمره وقضائه، فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أمات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد. قال: ثم كتب إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضاً عمقة، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة. فلما أنهاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فأخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرتحل، فوجدت صاحبي قد أصيبت، فرجعت إليه، فقلت له: والله لقد كان في أهلي حدث، فقال: لعل صاحبك أصيبت! قلت: نعم، قال: فأمر ببعيره فرحل له، فلما وضع رجله في غرزه طعن، فقال: والله لقد أصبت. ثم سار الناس حتى نزل الجابية، ورفع عن الناس الوباء.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن شهر بن حوشب الأشعري، عن رابعة - رجل من قومه، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عمواس - قال: لما اشتعل الوجد قام أبو عبيدة في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه. فطعن فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل. قال: فقام خطيباً بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجد رحمة بكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ، فمات. ثم قام فدعا به لنفسه، فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه، ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا، فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام خطيباً في الناس، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجد إذا وقع فأنما يشتعل اشتعال النار، فتجلبوا منه في الجبال. فقال أبو وائلة الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا! قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وأيم الله لا نقيم عليه. ثم خرج وخرج الناس فنفروا، ورفع الله عنهم. قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن

الإسلام، وجمجمة العرب، يكفون ثغورهم، ويمدون الأمصار، فقد ضاعت موارث أهل عمواس، فأبدا بها..

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان، قالوا: قال عمر: ضاعت موارث الناس بالشام، أبدا بها فأقسم الموارث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثم أرجع فأثقل في البلاد، وأنبذ إليهم أمري. فأتى عمر الشام أربع مرات، مرتين في سنة ست عشرة، ومرتين في سنة سبع عشرة، لم يدخلها في الأولى من الآخرتين.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن بكر بن وائل، عن محمد بن مسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «قسم الحفظ عشرة أجزاء، فتسعة في الترك، وجزء في سائر الناس، وقسم البخل عشرة أجزاء، فتسعة في فارس، وجزء في سائر الناس، وقسم السخاء عشرة أجزاء، فتسعة في السودان، وجزء في سائر الناس، وقسم الشبق عشرة أجزاء، فتسعة في الهند، وجزء في سائر الناس، وقسم الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النساء، وجزء في سائر الناس، وقسم الحسد عشرة أجزاء فتسعة في العرب، وجزء في سائر الناس، وقسم الكبر عشرة أجزاء فتسعة في الروم، وجزء في سائر الناس».

### خبر طاعون عمواس

واختلف في خبر طاعون عمواس وفي أي سنة كان، فقال ابن إسحاق ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه، قال: ثم دخلت سنة ثمانى عشرة، ففيها كان طاعون عمواس، فتفانى فيها الناس، فتوفي أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشرف الناس.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان طاعون عمواس والجابية في سنة ثمانى عشرة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شعبة بن الحجاج، عن المخارق بن عبد الله البجلي، عن طارق بن شهاب البجلي، قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده، فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تحفوا، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء، سأخبركم بما يكره مما يتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فإصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج، وأن يتنزه



العاص، فوالله ما كرهه.

وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره.

ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر في خروجه تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع، قالوا: وخرج عمر وخلف علياً على المدينة، وخرج معه بالصحابة وأغذوا السير واتخذ أيلة طريقاً، حتى إذا دنا منها تحنى عن الطريق، واتبه غلامه، فنزل فبال، ثم عاد فركب بعير غلامه، وعلى رحله فرو مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه أوائل الناس، قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم - يعني نفسه - وذهبوا هم إلى أمامهم، فجاوزه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها وقيل للمتلقين: قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها. فرجعوا إليه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما قدم عمر بن الخطاب أيلة، ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصاً له كرايس قد انحاج مؤخره عن قعدته من طول السير إلى الأسقف، وقال: اغسل هذا وارقع، فانطلق الأسقف بالقميص، ورقعه، وخاط له آخر مثله، فراح به إلى عمر، فقال: ما هذا؟ قال الأسقف: أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته، وأما هذا فكسوة لك مني. فنظر إليه عمر ومسحه، ثم لبس قميصه، ورد عليه ذلك القميص، وقال: هذا أنشفهما للعرق.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية وهلال، عن رافع بن عمر، قال: سمعت العباس الجابية يقول لعمر: أربع من عمل بهن استوجب العدل: الأمانة في المال، والتسوية في القسم، والوفاء بالعدة، والخروج من العيوب، نظف نفسك وأهلك.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان والربيع وأبي حارثة بإسنادهم، قالوا: قسم عمر الأرزاق، وسمى الشواتي والصوائف، وسد فروج الشام ومسالحها، وأخذ يدور بها، وسمى ذلك في كل كورة، واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة، وعزل شرحبيل، واستعمل معاوية، وأمر أبا عبيدة وخالداً تحت، فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحب، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل، قال: نعم، فاعذرني في الناس لا تدركني هجنة، فقام في الناس فقال: أيها الناس، إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل. وأمر عمرو بن عبسة على الأهراء، وسمى كل شيء، ثم قام في الناس بالوداع.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي ضمرة

حدثنا ابن حيد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن رجل، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرسي، أنه كان يقول: بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول معاذ بن جبل: إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، فكنت أقول: كيف دعا به رسول الله ﷺ لأمته، حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه، وجاءه جبريل عليه السلام فقال: إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «اللهم فناء الطاعون!» فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومعاذ.

حدثنا ابن حيد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة وزيد بن أبي سفيان، أمر معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها.

وأما سيف، فإنه زعم أن طاعون عمواس كان في سنة سبع عشرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بإسنادهم، قالوا: كان ذلك الطاعون - يعنون طاعون عمواس - موتاً لم يرى مثله، طمع له العدو في المسلمين، وتخوفت له قلوب المسلمين، كثر موته، وطال مكثه، مكث أشهراً حتى تكلم في ذلك الناس.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال: أصاب البصرة من ذلك موت ذريع، فأمر رجل من بني تميم غلاماً له أعجمياً أن يحمل ابناً له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار، ثم يسوق به إلى سفوان، حتى يلحقه. فخرج في آخر الليل ثم اتبعه، وقد أشرف على سفوان، ودنا من ابنه وغلامه، فرفع الغلام عقيرته يقول:

لن يعجزوا الله على حمار ولا على ذي غرة مطار  
قد يصبح الموت أمام الساري

فسكت حتى انتهى إليهم، فإذا هم هم، قال: ويحك، ما قلت! قال: ما أدري، قال: ارجع، فارجع بابنه، وعلم أنه قد أسمع آية وأريها.

قال: وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعدما طعن، فإذا غلام له أعجمي يمدو به:

يا أيها المشعر هماً لا تهم - إنك إن تكتب لك الحمى تحم  
وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك في قول سيف،

## ذكر من قال ذلك.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلب، قالوا: وأدرب سنة سبع عشرة خالد وعياض، فساروا فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجهتا من الجابية، مرجع عمر إلى المدينة، وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان، وعلى الأردن معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مجرز، وعلى الأهراء عمرو بن عتبة، وعلى السواحل عبد الله بن قيس، وعلى كل عمل عامل. فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تحز أمة إلى أخرى عملها بعد، إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم، فيقدموا مسالحهم بعد ذلك، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي الحلال وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة، قالوا: ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الصائفة انتجع رجال، فانتجع خالداً رجال من أهل الآفاق، فكان الأشعث بن قيس عن انتجع خالداً بقنسرين، فأجازته بعشرة آلاف. وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله، كتب إليه من العراق بخروج من خرج، ومن الشام بجائزة من أجيز فيها - فدعا البريد، وكتب معه إلى عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، ويتز عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث، أمن ماله أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانه، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف. واعزله على كل حال، واضمم إليك عمله. فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فقال: يا خالد، أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال إليه، فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ما تقول! أمن مالك أم من إصابة؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولائنا، ونفخم ونخدم موالينا. قالوا: وأقام خالد متحيراً لا يدرى أمعزول أم غير معزول؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذي قد كان، فكتب إليه بالإقبال، فأتى خالد أبا عبيدة، فقال: رحمك الله، ما أردت إلى ما صنعت! كتمتني أمراً كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم! فقال أبو عبيدة: إني والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدءاً، وقد علمت أن ذلك يروحك. قال: فرجع خالد إلى قنسرين، فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل، ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر، فشكاه وقال: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير

وأبي عمرو، عن المستورد، عن عدي الناس بن سهيل، قال: لما فرغ عمر من فروجه وأموره قسم الموارث، فورث بعض الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرئ منهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد عن الشعبي: وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد بن الوليد:

من يسكن الشام يعرّس به والشام إن لم يفتنا كارب  
أفتنى بني ربيعة فرسانهم عشرون لم يقصص لهم شارب  
ومن بني أعمامهم مثلهم مثل هذا أعجب العاجب  
طعناً وطاعوناً منياهم ذلك ما خط لنا الكاتب

قال: وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة، وخطب حين أراد القفول، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم، إن شاء الله قسطناً بينكم فينكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغنا ما لديكم، فجددنا لكم الجنود، وهبنا لكم الفروج، وبرأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فينكم وما قاتلتكم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطعاعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم، وأرزاقكم ومغائكم فمن علم علم شيء ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. وحضرت الصلاة، وقال الناس: لو أمرت بلالاً فأذن! فأمره فأذن، فما بقي أحد كان أدرك رسول الله ﷺ وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه بيكانهم، ولذكروه ﷺ.

## ذكر خير عزل خالد بن الوليد

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: فما زال خالد على قنسرين حتى غزا غزوته التي أصاب فيها، وقسم فيها ما أصاب لنفسه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي الحلال مثله. قالوا: وبلغ عمر أن خالداً دخل الحمام، فتدلك بعد النورة بشخين عصفر معجون بمخمر، فكتب إليه: بلغني أنك تدلك بمخمر، وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه، كما حرم ظاهر الإثم وباطنه، وقد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شربها، فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس، وإن فعلتم فلا تعودوا.

فكتب إليه خالد: إنا قتلناها فعدت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إني أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء، فلا أمانكم الله عليه! فأنتهى إليه ذلك.

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم في رواية سيف عن شيوخه.

يشخص إليه المغيرة في ربيع الأول - فشهد عليه - فيما حدثني معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب - أبو بكر، وشبل بن معبد البجلي، ونافع بن كلد، وزباد.

قال: وحدثني محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه، قال: كان يختلف إلى أم جميل، امرأة من بني هلال، وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف، يقال له الحجاج بن عبيد، فكان يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة، فأعظموه، فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها، وقد وضعوا عليها الرصد، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً، فكشفوا السر، وقد أوقعها. فوفد أبو بكر إلى عمر، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب، فقال: أبو بكر؟ قال: نعم، قال: لقد جئت لشر، قال: إنما جاء بي المغيرة، ثم قص عليه القصة، فبعث عمر أبا موسى الأشعري عاملاً، وأمره أن يبعث إليه المغيرة، فأهدى المغيرة لأبي موسى عقيلة، وقال: إني رضيتهما لك، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر.

قال الواقدي: وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحذان، قال: حضرت عمر حين قدم بالمغيرة، وقد تزوج امرأة من بني مرة، فقال له: أنك لفارغ القلب، طويل الشبق، فسمعت عمر يسأل عن المرأة. فقال: يقال لها الرقطاء، وزوجها من ثقيف، وهو من بني هلال.

قال أبو جعفر: وكان سبب ما كان بين أبي بكر والشهادة عليه - فيما كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: كان الذي حدث بين أبي بكر والمغيرة بن شعبة أن المغيرة كان يباغيه، وكان أبو بكر ينافره عند كل ما يكون منه، وكانا بالبصرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشرتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشرته، فهبت ريح، ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكر ليصفقه، فبصر بالمغيرة، وقد فتحت الريح باب كوة مشرته، وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا، فقاموا فانظروا، ثم قال: اشهدوا، قالوا: من هذه؟ قال: أم جميل ابنة الأرقم - وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشية للمغيرة، وتغشى الأمراء والأشراف - وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها - فقالوا: إنما رأينا أعجازاً، ولا ندري ما الوجه؟ ثم إنهم صمموا حين قامت، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكر بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا. فكتبوا إلى عمر بذلك، وتكاتبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى، فقال: يا أبا موسى، إني مستعملك، إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان

يجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسهام، ما زاد على الستين ألفاً فلك. فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفاً، فادخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد، والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المستورد، عن أبيه، عن عدي بن سهيل، قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم، قال: لما قدم خالد على عمر قال عمر مثلاً: صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله يصنع فأغرمه شيئاً، ثم عوضه، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذرهم عندهم وليبصرهم.

### ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - اعتمر عمر، وبنى المسجد الحرام - فيما زعم الواقدي - ووسع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع اثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها.

قال: وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت.

قال الواقدي: وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخزومة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع.

قال: وحدثني كثير بن عبد الله بن المزني، عن أبيه، عن جده، قال: قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة، فمر بالطريق فكلّمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظلم والماء.

قال: وفيها تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة.

### ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

قال: وفي هذه السنة ولّى عمر أبو موسى البصرة، وأمره أن

الأهواز ومناذر ونهر تيرى في قول بعضهم، وفي قول آخرين: كان ذلك في سنة ستة عشرة من الهجرة.

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى.

كتب إلى السري، يذكر أن شعبياً حدثه عن سيف بن عمر، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: كان الهرمزان أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمته مهرجان قدق وكور الأهواز، فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس، فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته، فملكهم وقاتل بهم من أرادهم، فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستميسان من وجهين، من مناذر ونهر تيرى، فاستمد عتبة بن غزوان سعداً، فأمده سعد بنعيم بن مقرن ونييم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى. ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة - وكانا مع المهاجرين مع رسول الله ﷺ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة - فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم، فخرج إليهم غالب الواصل وكليب بن وائل الكلبي، فتركا نعيماً ونعيماً ونكبا عنهما، وأتيا سلمى وحرملة، وقالوا: أتنا من العشرة، وليس لكما مترك، فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان، فإن أحدا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى، فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله. ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك.

قال: وكان من حديث العمي، والعمي مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن نعيم - أنه نتخت عليه وعلى العصية بن امرئ القيس أفناء معد فعماه عن الرشد من لم ير نصره فارس على آل أردوان، فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه - ويقال: صدي بن مالك:

لقد عم عنها مرة الخير فانصمى وصم فلم يسمع دعاء العشائر  
ليتخ عنا رغبة عن بلاده ويطلب ملكاً عالياً في الأساور

فهذا البيت سمى العم، فقبل بنو العم، عموه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى: ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ وقال يربوع بن مالك:

لقد علمت عليا معد بأنسا غداة التباهي غر ذلك التبادر  
تنخنا على رغم العداة ولم تنخ بحمي تميم والعديد الجماهر  
نفينا عن الفرس النيط فلم يزل لنا فيهم إحدى الهنات البهاتر  
إذا العرب العليا جاشت بحورها فخرنا على كل البحور الزواخر

وقال أيوب بن العصية بن امرئ القيس:

لنحس سبقنا بالتتوح القبائل وعمداً نتخنا حيث جاؤوا قنابلا

وفرخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك. فقال: يا أمير المؤمنين، أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فأني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به. فاستعن بمن أحببت. فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر. ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أتاخ بالمريد، وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أتاخ بالمريد فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً، ولا تاجراً، ولكنه جاء أميراً. فإني لفي ذلك، إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم، فدفع إليه أبا موسى كتاباً من عمر، وإنه لأجز كتاب كتب به أحد من الناس، أربع كلم عزل فيها، وعاتب، واستحث، وأمر: أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلم إليه ما في يدك، والعجل. وكتب إلى أهل البصرة: أما بعد، فأني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، لياخذ لضعيفكم من قويكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فينكم ثم ليقسمه بينكم، وليتقي لكم طرقكم.

وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة، وقال: إني قد رضيتها لك - وكانت فارهة - وارحل المغيرة وأبو بكره ونافع بن كلدة وزيد وشبل بن معبد البجلي حتى قدموا على عمر، فجمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني، مستقبلهم أو مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلني فكيف لم أستتر، أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي! والله ما أتيت إلا امرأتي - وكانت شبيها - فبدأ بأبي بكره، فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة، قال: كيف رأيتهما؟ قال مستدبرهما، قال: فكيف استثبت رأسيها؟ قال: تحاملت. ثم دعا بشبل بن معبد، فشهد بمثل ذلك، فقال: استدبرتهما أو استقبلتهما؟ قال: استقبلتهما. وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكره، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم، قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين تحفقان، واستين مكشوفتين، وسمعت حفزاناً شديداً. قال: هل رأيت كالليل في المكحلة؟ قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكن أشبهها، قال: فتتح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد، وقرأ: ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْحُكْمِ فَافْتَكُورُوا﴾ فقال المغيرة: اشفني من الأعبد، فقال: اسكت اسكت الله نامتك! أما والله لو تمت الشهادة لرجعتك بأحجارك.

فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - فتحت سوق

نمارهم ولم تخضع، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة، زعقة نشاشة، طرف لها في الفلاة وطرف لها في البحر الأجاج، يجري إليها ما جرى في مثل مرئ النعامة. دارنا فعمّة، ووظيفتنا ضيقة، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، ودرهمنا كبير، وقفيزنا صغير، وقد وسع الله علينا، وزادنا في أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة توظف علينا، ونعيش بها. فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجر فنظروهم وأقطعهموه، وكان مما كان لآل كسرى، فصار فينا فيما بين دجلة والحجر، فاقسموه، وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ماكان في أرض الكوفة ينزلونه من أحياء، ويقسمونه بينهم، ولا يستأثرون به على بدء ولا ثنى، بعدما يرفعون خمسة إلى الرائي. فكانت قطائع أهل البصرة نصفين: نصفها مقسوم، ونصفها متروك للعسكر وللإجماع، وكان أصحاب الألفين بمن شهد القادسية. ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً، فالحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساوهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز. ثم قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويشرب برأيه، وردّ سلمى وحرملة وغالباً وكليبا إلى مناذر ونهر تيرى، فكانوا عدة فيه لكون إن كان، ولیميزوا خراجها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وکلب في حدود الأرضين اختلاف وادعاء، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وکلباً محقين والهرمزان مبطلا، فحالاً بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جنده. وكتب سلمى وحرملة وغالب وکلب ببغی الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه. فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وکلب، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان: إما أن تعبروا إلينا وو إما أن نعبر إليكم، فقال: عبروا إلينا، فعبروا من فوق الجسر، فاقتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز، حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشجر حتى حل برامهرمز، وافتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها ونزل الجبل، واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر، ووفد وفداً بذلك، فحمد الله، ودعا له بالثبات

وكنّا ملوكاً قد عززنا الأوائل. وفي كل قرن قد ملكنا الحلائل فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وکلب، والهرمزان يومئذ بين تيرى بين دلت، خرج سلمى وحرملة صبيحتها في تعبية، وأنهضاً نعيماً ونعيماً فالتقوا هم والهرمزان بين دلت ونهر تيرى، وسلمى بن القين على أهل البصرة، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة. فاقتلوا فينا هم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وکلب، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى قد أخذتا، فكسر الله في ذرعه وذرع جنده، وهزموه وإياهم، فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا منهم ما شاءوا، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بجبال سوق الأهواز، وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز، وأقام بها، وصار دجيل بين الهرمزان وحرملة وسلمى ونعيم ونعيم وغالب وکلب.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المسيرة العدي، عن رجل من عبد القيس يدعى صحاراً، قال: قدمت على هرم بن حيان - فيما بين الدلوث ودجيل - بجبال من نمر، وكان لا يصبر عنه، وكان جل زاده إذا تزود النمر، فإذا في انتخب له مزاد من جلال وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويضعها حيثما كان من سهل أو جبل.

قالوا: ولما دهم القوم الهرمزان ونزلوا بجباله من الأهواز رأى ما لا طاقة له به، فطلب الصلح، فكتبوا إلى عتبة بذلك يستأمرونه فيه، وكتبه الهرمزان، فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومهرجان قذق، ما خلا نهر تيرى ومناذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنه لا يرد عليهم ما تنقذنا. وجعل سلمى بن القين على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب، وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كلب، فكانا على مسالحي البصرة وقد هاجرت طوائف بني العم، فنزلوا منازلهم من البصرة، وجعلوا يتابعون على ذلك، وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر، ووفد وفداً منهم سلمى، وأمره أن يستخلف على عمله، وحرملة - وكانا من الصحابة - وغالب وکلب، ووفد وفود من البصرة يومئذ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم، فكلهم قال: أما العامة فأنت صاحبها، ولم يبق إلا خواص أنفسنا، فطلبوا لأنفسهم، إلا ما كان من الأحف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، إنك لكما ذكروا، ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر، ويسمع بأذانهم، وإن لم نزل منزل بعد منزل حتى أُرزنا إلى البر، وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة، من العيون العذاب، والجنان الخصاب، فتأتيهم

من صلحاء جند البصرة عشرة، فوفد إلى عمر عشرة، فيهم الأحف. فلما قدم على عمر قال: إنك عندي مصدق، وقد رأيته رجلاً، فأخبرني أن ظلمت الذمة، المظلمة نفروا أم لغير ذلك؟ فقال: لا بل لغير مظلمة، والناس على ما تحب. قال: فنعم إذاً انصرفوا إلى رحالكم. فانصرف الوفد إلى رحالهم، فنظر في ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة فشمه، ثم قال: لمن هذا الثوب منك؟ قال الأحف: لي، قال: فيكم أخذته؟ فذكر ثمناً يسيراً، ثمانية أو نحوها، ونقص عما كان أخذه به - وكان قد أخذه باثني عشر - قال: فهلا بدون هذا، ووضعت فضلته موضعاً تغني به مسلماً حصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسهم وأموالكم، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم، إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له. وكتب عمر إلى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم. فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً.

وبلغ عمر أن حرقوا نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه، والجبل كثود يشق على من راحه. فكتب إليه: بلغني أنك نزلت منزلاً كثوداً لا تؤتي فيه إلا على مشقة، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد، وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا، ولا تدركك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك، وتذهب آخرتك.

ثم إن حرقوا تحرر يوم صفين وبقي على ذلك، وشهد النهروان مع الحرورية.

### غزو المسلمين فارس من قبل البحرين

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشر - غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه. ذكر الخبر بذلك.

كتب إلى السري، يقول: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف، عن محمد والمهلب وعمرو، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها - وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمة والمعة - وعميد الصلح الهرمزان. وقد قال عمر: حسبتنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم، كما قال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه، ولا

والزيادة. وقال الأسود بن سريع في ذلك - وكانت له صحة: لعمر ما أضعاف بنو آينا ولكن حافظوا فيمن يطيع أطاعوا ربهم وعصاه قوم أضعافوا أمره فيمن يضيع محوس لا يئنهها كتاب فلاقوا كبة فيها قبوع وولى الهرمزان على جواد سريع الشد يفتنه الجميع وخلقى سره الأهواز كرهاً غداة الجسر إذ نجم الربيع وقال حرقوص:

غلبنا الهرمزان على بلاد لها في كل ناحية ذخائر سواء برهم والبحر فيها إذا صارت نواجيها بواكر لها بحر يعج بجانيه جعافر لا يزال لها زواخر

### فتح تستر

وفيها فتحت تستر في قول سيف وروايته - أعني سنة سبع عشر - وقال بعضهم: فتحت سنة ست عشر، وبعضهم يقول: في سنة سبع عشر.

ذكر الخبر عن فتحها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز، وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز، أقام بها، وبعث جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سرق، وقد كان عهد إليه فيه: إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزء، ويكون وجهه إلى سرق. فخرج جزء في أثر الهرمزان، والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هارباً، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشفر، وأعجزه بها الهرمزان، فمال جزء إلى دورق من قرية الشفر، وهي شاغرة برجلها - ودورق مدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها - فأخذها صافية، وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة، وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمعة، وإجابته إلى ذلك. فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه، وبالمقام حتى يأتيهما أمره، وكتب إليه مع عتبة بذلك، ففعلاً واستأذن جزء في عمران بلاده عمر، فأذن له، فشق الأنهار، وعمر الموات. ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضاعت عليه الأهواز والمسلمون حلال فيها فيما بين يديه، طلب الصلح، وراسل حرقوصاً وجزءاً في ذلك، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه عمر، وإلى عتبة، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتستر والسوس وجندي سابور، والبنيان ومهرجا نقذق، فأجابهم إلى ذلك، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم، وأقام الهرمزان على صلحه بجي إليهم ويمتنعونه، وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبو عنه. وكتب عمر إلى عتبة أن أوفد علي وقدأ

نصل إليهم..

على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم. ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر القبي في روعه نحو من الذي كان. فاشتد غضبه على العلاء، وكتب إليه يعزله وتوعده، وأمره بأثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه إليه، بتأثير سعد عليه، وقال: الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك، فخرج بمن معه نحو سعد. وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين، فأقطعهم أهل فلارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم إلا ينصروا أن يغلبوا وينشبو، فأنذرت إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا. فندب عتبة الناس، وأخبرهم بكتاب عمر. فأنذرت عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزة بن ثور، ونهار بن الحارث، والترجمان بن فلان، والحصين بن أبي الحر، والأحفف بن قيس، وسعد بن أبي العرجاء، وعبد الرحمن بن سهل، وصعصعة بن معاوية، فخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال يجيبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة، وهم ردة للغازي والمقيم. فسار أبو سبرة بالناس، وساحل لا يلقاه أحد ولا يعرض له، حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غب وقعة القوم بطاوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم، والشذاذ من غيرهم، وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق، وأنشوبهم استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم، فضربوا إليهم من كل وجه وكورة، فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طباوس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم وعلى المشركين شهرهم، فاقتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا - وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، فكانوا أفضل المصريين نابتة - ثم انكفوا بما أصابوا، وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة، فخرج أهلها إلى منازلهم منها، وتفرق الذين تنفذوا من أهل هجر إلى قبائلهم، والذين تنفذوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين. ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس، استأذن عمر في الحج، فأذن له، فلما قضى حجه استعفا، فأبى أن يعفيه، وعزم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات في بطن نخلة، فدفن، وبلغ عمر فمر به زائراً لقبره، وقال: أنا قتلتك، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم، وأئسى عليه بفضل، ولم يخطئ فيمن أخط من المهاجرين، وإنما ورث ولده منزله من فاختة ابنة غزوان وكانت تحت عثمان بن عفان، وكان خباب مولاه قد لزم سمته فلم يخطئ، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزل قدامة ورد العلاء، وكان العلاء يباري سعداً لصعد صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية، وأزاح الأكاسرة عن الدار وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، سر العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم، فرجا أن يدال كما قد كان أدبل، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بمجد، وكان أبو بكر قد استعمله، وأذن له في قتال أهل الردة، واستعمله عمر، ونهاه عن البحر، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، فندب أهل البحرين إلى فارس، ففسرعو إلى ذلك، وفرقهم أجناداً، على أحدهما الجارود بن المعلى وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، وخليد على جماعة الناس، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً، يكره التغرير بجنده استئناً بالنبي ﷺ وبأبي بكر. لم يغز فيه النبي ﷺ ولا أبو بكر. فعبثت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إصطخر، وبإزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهريد، اجتمعوا عليه، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس، فقال: أما بعد، فإن الله قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر، ثم ناهدوهم فاقتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طابوس، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول:

يا آل عبد القيس للقسراع قد حفل الأمداد بالجراع  
وكلهم في سنن المصاع يحسن ضرب القوم بالقطاع

حتى قتل وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان شيئاً أماً أكلته أو كان ماء سادماً جهرت  
لكن بحرأ جأنا أنكرته

حتى قتل. ويومئذ ولي عبد الله بن السوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا. وجعل خليد يومئذ يرتجز ويقول:

يا آل تميم أجمعوا التزول وكاد جيش عمر يزول  
وكلكم يعلم ما أقول

انزلوا، فنزلوا فاقتل القوم قتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها. ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً. ثم وجدوا شهرهم قد أخذ

والحصين بن معبد، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سيرة بن أبي رهم، وكل من أتاه فمدد له.

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بجبال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، وانتهى إلى نهر تيرى فجازها، ثم جاز مناذر، ثم جاز سوق الأهواز، وخلف حرقوصاً وسلمى وحرملة، ثم سار نحو الهرمزان - والهرمزان يومئذ برامهرمز - ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة، ورجا أن يقطعه، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمداهم بستر، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك، فاقتلوا قتالاً شديداً. ثم إن الله عز وجل هزم الهرمزان للنعمان، وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بستر، وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز، ثم صعد لإيذج، فصالحه عليها تيرويه، فقبل منه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها.

قالوا: ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى، وسار النعمان وسهل، سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهل البصرة، ونكب الهرمزان، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز، وهم يريدون رامهرمز، فأتتهم الرقعة وهم بسوق الأهواز وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بستر، فمالوا من سوق الأهواز نحوه، فكان وجههم منها إلى تستر، ومال النعمان من رامهرمز إليها، وخرج سلمى وحرملة وحرقوس وجزء، فنزلوا جميعاً على تستر والنعمان على أهل الكوفة، وأهل البصرة متساندون، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق، وكتبوا بذلك إلى عمر، واستمده أبو سيرة فأمدهم بأبي موسى، فسار نحوه، وعلى أهل الكوفة النعمان، وعلى أهل البصرة أبو موسى، وعلى الفريقين جميعاً أبو سيرة، فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل. وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقتل كعب بن سور مثل ذلك، وقتل أبو نجيمة مثل ذلك في عدة من أهل البصرة. وفي الكوفيين مثل ذلك، منهم حبيب بن قره، وربيع بن عامر، وعامر بن عبد الأسود - وكان من الرؤساء - في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم، وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم، يكون عليهم مرة ولهم أخرى، حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليهزمهم لنا! فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني. قال: فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، وأرزوا إلى مدينتهم، وأحاطوا بها، فبيناهم

ونصف من مفارقة سعد بالمدائن، وقد استخلف على الناس أبا سيرة بن أبي رهم، وعماله على حالهم، ومساحله على نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز وسرق والهرمزان برامهرمز مصالح عليها، وعلى السوس والبنيان وجندي سابور ومهرجان قذق، وذلك بعد تنقذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس، ونزولهم البصرة.

وكان يقال لهم أهل طاوس، نسبوا إلى الرقعة. وأقر عمر أبا سيرة بن أبي رهم على البصرة بقية السنة. ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية بعد وفاة عتبة، فعمل عليها بقية تلك السنة والسنة التي تليها، لم يتنقض عليه أحد في عمله، وكان مرزوقاً السلامة، ولم يحدث شيء إلا ما كان بينه وبين أبي بكر.

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة، ثم صرف إلى الكوفة، ثم استعمل عمر بن سراقه، ثم صرف عمر بن سراقه إلى الكوفة من البصرة، وصرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة، فعمل عليها ثانية.

### ذكر فتح رامهرمز وتستر

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشر - كان فتح رامهرمز وتستر. وفيها أسر الهرمزان في رواية سيف. ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم، فكتب يزدجرد إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو، يذكرهم الأحقاد ويؤنبهم، أن قد رضيت يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاها، والأهواز.

ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم، فتحركوا وتكاتبوا: أهل فارس وأهل الأهواز، وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النصرة، وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير، وجاءت جزءاً وسلمى وحرملة عن خبر غالب وكليب، فكتب سلمى وحرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة، فسبق كتاب سلمى حرملة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيراً مع النعمان بن مقرن، وعجل وابعث سويد بن مقرن، وعبد الله بن ذي السهمين، وجريز بن عبد الله الحميري، وجريز بن عبد الله البجلي، فليزولوا بإزاء الهرمزان حتى يتيبنوا أمره. وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيراً وأمر عليهم سهيل بن عدي - أخا سهيل بن عدي وابعث معهم البراء بن مالك وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سور، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن عحصن، وعبد الرحمن بن سهل،



قد وفد على رسول الله ﷺ وقال: جئت لأقترب إلى الله عز وجل بصحبتك، فسماه المقرب، وكان زر قد وفد على رسول الله ﷺ، وقال: في بطني، وكثر إخواننا، فادع الله لنا، فقال: «اللهم أوف لزر عمره»، فتحول إليهم العدد - وأوفد أبو سبرة وفداً، فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، وأرسل الهرمزان معهم، فقدموا مع أبي موسى البصرة، ثم خرجوا نحو المدينة، حتى إذا دخلوا هيثوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين، مكلاً بالياقوت، وعليه حلته، كما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه، فقيل لهم: جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه في المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلذدكم؟! تريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسد برنسه - وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس، فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه، وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام - فانطلقوا ومعهم النظارة، حتى إذا رأوه جلسوا دونه، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدة في يده معلقة، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه، وأصغى الهرمزان إلى الوفد، فقال: أين حرسه وحجابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب، ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغي له أن يكون نبياً، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس، فاستيقظ عمر بالجلبة، فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فأملمه، وتأمّل ما عليه، وقال: أعوذ بالله من النار، وأستعين الله! وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباعه، يا معشر المسلمين، تمسكوا بهذا الدين، واهدتوا بهدي نبيكم، ولا تطرنكم الدنيا فإنها غرارة. فقال الوفد: هذا ملك الأهواز، فكلمه، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حلته شيء، فرمى عنه بكل شيء عليه إلا شيئاً يستره، وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: هيه يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله! فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم، غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا. ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتفاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك. واستسقى ماء، فأتي به في قده غليظ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى

على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة، وطالت حربهم، خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يؤتون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم فقال: قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة، ويكون منه فتحة، فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بأخر، وقال: انهضوا من قبل غرج الماء، فإنكم ستفتحونها، فاستشار في ذلك وندب إليه، فانتدب له عامر بن عبد قيس، وكعب بن سور، ومجزة بن ثور، وحسكة الحيطي، وبشر كثير، فنهضوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل، فانتدب له سويد بن المثعبة، وورقاء بن الحارث، وبشر بن ربيعة الخثعمي، ونافع بن زيد الحميري، وعبد الله بن بشر الهلالي، فنهضوا في بشر كثير فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر، فاتبعهم هؤلاء وهؤلاء، حتى إذا اجتمعوا فيها - والناس على رجل من خارج كبروا فيها، وكبر المسلمون من خارج، وفتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها، فأناموا كل مقاتل، وأرز الهرمزان إلى القلعة وأطاف به الذين دخلوا من غرج الماء، فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم: ما شئتم! قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم، ومعني في جبتي مائة نشابة، والله ما تصلون إلي مادام معي منها نشابة، وما يقع لي سهم، وما خير إساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح! قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء، قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه، وأمنهم من نفسه، فشده ووثاقاً، واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً، ودعا صاحب الرمية بها، فجاء هو والرجل الذي خرج بنفسه، فقالا: من لنا بالأمان الذي طلبنا، علينا وعلى من مال معنا؟ قالوا: ومن مال معكم؟ قالوا: من أغلق بابيه عليه مدخلكم. فأجازوا ذلك لهم، وقتل من المسلمين ليلتشد أناس كثير، ومن قتل الهرمزان بنفسه مجزة بن ثور، والبراء بن مالك.

قالوا: وخرج أبو سبرة في أثر الفل من تسر - وقد قصدوا للسوس - إلى السوس، وخرج بالنعمان وأبي موسى ومعهم الهرمزان، حتى اشمطوا على السوس، وأحاط المسلمون بها، وكتبوا بذلك إلى عمر. فكتب عمر إلى عمر بن سراقه بأن يسير نحو المدينة، وكتب إلى أبي موسى فردّه على البصرة وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه، ورد عمر عليها مرتين، وكتب إلى زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي أن يسير إلى جندي سابور، فسار حتى نزل عليها، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعدما أقام إلى رجوع كتاب عمر، وأمر عمر على جند البصرة المقرب، الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك، وكان الأسود وزر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين - وكان الأسود

تشربه، فأكفاه، فقال عمر: أعيذوا عليه، ولا تجمعوا عليه القتل

والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك، قال: قد آمنتني! فقال: كذبت! فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد آمنتته، قال: ويحك يا أنس! أنا أومن قاتل مجزاة والبراء! والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبك! قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان، وقال: خذ عنتي، والله لا ألتذع إلا لمسلم، فأسلم. ففرض له على الفين: وأنزله المدينة.

### ذكر فتح السوس

اختلف أهل السير في أمرها، فأما المدائني فإنه - فيما حدثني عنه أبو زيد - قال: لما انتهى فل جلولاء إلى يزدجرد مجلوان، دعا بخاصته والموبد، فقال: إن القوم لا يلقون جمعاً إلا فلوهم، فما ترون؟ فقال الموبد: نرى أن نخرج فتنزل إصطخر، فإنها بيت المملكة، وتضم إليك خزانك، وتوجه الجنود. فأخذ برأيه، وسار إلى أصبهان دعا سياه، فوجهه في ثلاثمائة، فيهم سبعون رجلاً من عظامتهم، وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب، فمضى سياه وأتبعه يزدجرد، حتى نزلوا إصطخر وأبو موسى محاصر السوس، فوجه سياه إلى السوس، والهرمزان إلى تستر، فنزل سياه الكلبيانية، وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد إصطخر منهزماً، فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح، فصالحهم، وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبيانية، وقد عظم أمر المسلمين عنده، فلم يزل مقيماً حتى صار أبو موسى إلى تستر، فتحول سياه، فنزل بين رامهرمز وتستر، حتى قدم عمار بن ياسر فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان، فقال: قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة، وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر ومصانع الملوك، ويشدون خيولهم بشجرها، وقد غلبوا على ما رأيتهم، وليس يلقون جنداً إلا فلوهم، ولا ينزلون بمحصن إلا فتحوه، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك، قال: فليكن في كل رجل منكم حشمة والمنقطعين إليه، فإني أرى أن ندخل في دينهم. ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطاً على أن يدخلوا في الإسلام. فقدم شيرويه على أبي موسى، فقال: إنا قد رغبت في دينكم، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم، ولا نقاتل معكم العرب، وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه، وننزل حيث شئنا، ونكون فيمن شئنا منكم، وتلحقونا بأشراف العطاء، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك. فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، قالوا: لا نرضى.

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب، فكتب إلى أبي موسى: أعطهم ما سألوك. فكتب أبو موسى لهم، فأسلموا، وشهدوا معه حصار تستر، فلم يكن أبو موسى يرى منهم جداً ولا نكايه، فقال لسياه: يا أعور، ما أنت وأصحابك كما كنا نرى! قال: لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائرهم، وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم، ولم تلحقنا بأشراف العطاء ولنا سلاح

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان طلحة بن عبد الرحمن، عن ابن عيسى، قال: كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسية، فقال عمر للمغيرة: قل له: من أي أرض أنت؟ فقال المغيرة: أركدام أرضي؟ فقال: مهرجاني، فقال: تكلم بمجنتك، قال: كلام حي أو ميت؟ قال: بل كلام حي، قال: قد آمنتني، قال: خذ عنتي، إن للمخدوع في الحرب حكمه، لا والله لا أومنك حتى تسلم، فأيقن أنه القتل أو الإسلام، فأسلم، ففرض له على الفين وأنزله المدينة. وقال للمغيرة: ما أراك بها حاذقاً، ما أحسنها منكم أحد إلا خب، وما خب إلا دق. إياكم وإياها، فإنها تنقض الإعراب. وأقبل زيد فكلمه، وأخبر عمر بقوله، والهرمزان بقول عمر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو، عن الشعبي وسفيان، عن الحسن، قال: قال عمر للوفد: لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمر لها ما يتقاضون بكم! فقالوا: ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة، قال: فكيف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويصبر به مما يقولون، إلا ما كان من الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيتنا عن الإنسياع في البلاد، وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أننا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنفس في بلادهم حتى نزله عن فارس، ونخرجه من مملكته وعز أمته، فهناك يقطع رجاء أهل فارس ويضربون جاشاً. فقال: صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه. ونظر في حوائجهم وسرحهم.

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مهرجا نقتدق وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيعته،

وكرع وأتم حسر. فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك، فكتب إليه عمر: أن أحققهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذ أحد من العرب. ففرض مائة منهم في ألفين الفين، ولستة منهم في الفين، وخمسمائة لسياء وخسرو - ولقبه مقلاص - وشهريار، وشهرويه، وأفروذين.

فقال الشاعر:

ولما رأى الفاروق حسن بلائهم وكان بما يأتي من الأمر أبصرا  
فسن لهم الفين فرضاً وقد رأى ثلاثين فرض عك وحيرا  
قال: فحاصروا حصناً بفارس، فانسئل سياه في آخر الليل  
في زي العجم حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن، ونضح ثيابه  
بالدم، وأصبح أهل الحصن، فراوا رجلاً في زهم صريعاً، فظنوا  
أنه رجل منهم أصيبوا به ففتحوا باب الحصن ليدخلوه، فثار  
وقاتلهم حتى خلوا عن باب الحصن وهربوا، ففتح الحصن  
وحده، ودخله المسلمون، وقوم يقولون: فعل هذا الفعل سياه  
بتستر، وحاصروا حصناً، فمضى خسرو إلى الحصن، فأشرف عليه  
رجل منهم يكلمه، فرماه خسرو بنشابة فقتله.

وأما سيف فإنه قال في روايته ما كتب به إلي السري، عن شعيب، عنه، عن محمد وطلحة وعمرو وذياري أبي عمر، عن أبي عثمان، قالوا: لما نزل أبو سبرة في الناس على السوس، وأحاط المسلمون بها، وعليهم شهريار أخو الهرمزان، ناوشوهم مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم يوماً الرهبان والقيسيون، فقالوا: يا معشر العرب، إن مما عهد إلينا علمائنا وأوائلنا، أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تنعوا بمحصارنا. وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة، وعمل على أهل البصرة المقرب مكان أبي موسى بالسوس، واجتمع الأعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السوس مع أبي سبرة، وزر محاصر أهل نهاوند من وجهه ذلك، وضرب على أهل الكوفة البعث مع حذيفة، وأمرهم بموافاته بنهاوند، وأقبل النعمان على التهيب للسير إلى نهاوند، ثم استقل في نفسه، فناوشهم قبل مضيه، فعاد الرهبان والقيسيون، وأشرفوا على المسلمين، وقالوا: يا معشر العرب، لا تنعوا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال، وصاحوا بالمسلمين وغازوهم، وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان في خيله، وناهدهم المسلمون جميعاً، وقالوا: نقاتلهم قبل أن نفرق، ولما يخرج أبو موسى بعد. وأتى صاف باب السوس غضبان، فدقه برجله، وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل، وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، فالتقى المشركون

بأيديهم، وتنادوا: الصلح الصلح! وأمسكوا بأيديهم، فأجابوهم إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افرقوا. فخرج النعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه، وسرح أبو سبرة المقرب حتى ينزل على جندي سابور مع زر، فأقام النعمان بعد دخول ماه، حتى وافاه أهل الكوفة، ثم نهدهم إلى أهل نهاوند، فلما كان الفتح رجع صاف إلى المدينة، فأقام بها، ومات بالمدينة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن عمن أورد فتح السوس، قال: وقيل لأبي سبرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة، قال: ومالنا بذلك! فأقره بأيديهم - قال عطية بإسناده: إن دانيال كان لزم أسياف فارس بعد مختنصر، فلما حضرته الوفاة، ولم ير أحداً ممن هو بين ظهرهم على الإسلام، أكرم كتاب الله عمن لم يجبه ولم يقبل منه، فأودعه ربه، فقال لابنه: ائت ساحل البحر، فاخذ بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام، وضم به، وغاب مقدار ما كان ذاهباً وجائياً، وقال: قد فعلت، قال: فما صنع البحر حين هوى فيه؟ قال: لم أره يصنع شيئاً، فغضب وقال: والله ما فعلت الذي أمرتك به. فخرج من عنده، ففعل مثل فعلته الأولى، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: كيف رأيت البحر حين هوى فيه؟ قال: ماج واصطفق، فغضب أشد من غضبه الأول، وقال: والله ما فعلت الذي أمرتك به بعد، فعزم ابنه على إلقائه في البحر الثالثة، فانطلق إلى ساحل البحر، وألقاه فيه، فانكشف البحر عن الأرض حتى بدت، وانفجرت له الأرض عن هواء من نور فهوى في ذلك التور، ثم انطبقت عليه الأرض، واختلط الماء، فلما رجع إليه الثالثة ساله فأخبره الخبر، فقال: الآن صدقت. ومات دانيال بالسوس فكان هنالك يستسقي بجسده، فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم، حتى إذا ولي أبو سبرة عنهم إلى جندي سابور أقام أبو موسى بالسوس وكتب إلى عمر فيه، فكتب إليه يأمره بتورته، فكفنه ودفنه المسلمون. وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا، فكتب إليه أن تحتمه، وفي فسه نقش رجل بين أسدين.

### ذكر مصالحة المسلمين أهل جندي سابور

وفيها - أعني سنة سبع عشرة - كانت مصالحة المسلمين أهل جندي سابور.

ذكر الخبر عن أمره وأمرها.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي عمرو وأبي سفيان والمهلب، قالوا: لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى نزل على جندي سابور، وزر بن

بن الخطاب، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام من قد ذكرت أسماءهم قبل، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قره، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعري - وقد ذكرت فيما مضى الوقت الذي عزل فيه عنها، والوقت الذي رد فيه إليها أميراً. وعلى القضاء - فيما قيل - أبو مريم الحنفي. وقد ذكرت من كان على الجزيرة والموصل قبل.

عبد الله بن كليب محاصرههم، فأقاموا عليها يغادونهم ويروحونهم القتال، فما زالوا مقيمين عليها حتى رمي إليهم بالأمان من عسكر المسلمين، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين، فلم يبقاً المسلمين، إلا وأبوابها تفتح، ثم خرج السرح وخرجت الأسواق، وانبث أهلها، فأرسل المسلمون: أن مالكم؟ قالوا: رميتم إلينا بالأمان قبلناه، وأقررنا لكم بالجزء على أن تمتعونا. فقالوا: ما فعلنا، فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى مكتناً كان أصله منها، هو الذي كتب لهم. فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حركم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه، ولم نبدل، فلما شتمت فاغدروا. فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، ما دتم في شك أجيزوهم، وفوا لهم. فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: أذن عمر في الإنسيح سنة سبع عشرة في بلاد فارس، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس، وعرف فضله وصدقه، وفرق الأمراء والجنود، وأمر على أهل البصرة أمراء، وأمر على أهل الكوفة أمراء، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره، وأذن لهم في الإنسيح سنة سبع عشرة، فساحوا في سنة ثمان عشرة، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة، فيكون هنالك حتى يحدث إليه، وبعث بالوية من ولى مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل، فقدم سهيل بالألوية، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس ولواء أردشير خره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء فسا ودراجرد إلى سارية بن زنيمة الكناني، ولواء كرمان مع سهيل بن عدي، ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو - وكان عاصم من الصحابة - ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي. فخرجوا في سنة سبع عشرة، فمسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور فلم يستتب مسيرهم، حتى دخلت سنة ثمان عشرة، وأمدتهم عمر بأهل الكوفة، فأمد سهيل بن عدي بعيد الله بن عبد الله بن عتيان، وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر، وبعيد الله بن أبي عقيل، وبريعي بن عامر، وبلبن أم غزال. وأمد عاصم بن عمرو بعيد الله بن عمير الأشجعي، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازني قال بعضهم: كان فتح السوس ورامهرمز وتوجيه الهرمزان إلى عمر من تسير في سنة عشرين.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - عمر

## السنة الثامنة عشرة

## ذكر الأحداث التي كانت سنة ثمان عشرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة ثمان عشرة - أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة وجدوب وقحوط، وذلك هو العام الذي يسمى عام الرمادة.

## ذكر القحط وعام الرمادة

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: دخلت سنة ثمان عشرة، وفيها كان عام الرمادة وطاعون عمواس، فتفانى فيها الناس.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت الرمادة سنة ثمان عشرة. قال: وكان في ذلك العام طاعون عمواس.

كتب إلي السري يقول: حدثنا شعيب، عن سيف، عن الربيع وأبي الجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: وكتب أبو عبيدة إلى عمر: إن نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبو جندل، فسألناهم فأتوا، وقالوا خيرنا فاخترنا، قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهَوْنَ؟﴾ ولم يعزم علينا. فكتب إليه عمر: فذلك بيننا وبينهم، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهَوْنَ؟﴾، يعني: فانتهاوا. وجمع الناس، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة، ويضمنوا الفسق من تأول عليها بمثل هذا، فإن أبي قتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدتهم ثمانين. فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس، فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، وحد القوم، وندموا على لجاحتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي بمثله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: لما قدم على عمر كتاب أبي عبيدة في ضرار وأبي جندل، كتب إلي أبي عبيدة في ذلك، وأمره أن يدعوا بهم على رؤوس الناس فيسألهم: أحرام الخمر أم حلال؟ فلما قالوا: حرام، فاجلدتهم ثمانين جلدة، واستتبعهم، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فدعا بهم فسألهم، فقالوا: بل حرام، فجلدهم، فاستحبوا فلزموا البيوت. ووسوس أبو جندل، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إن أبا جندل قد وسوس، إلا أن يأتيه الله على يدك

بفرج، فاكتب إليه وذكره، فكتب إليه عمر وذكره، فكتب إليه: من عمر إلى أبي جندل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فكتب وأرفع رأسك، وابرز ولا تقط، فإن الله عز وجل، يقول: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه. وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا، وكتب إلى الناس: عليكم أنفسكم، ومن استوجب التغيير فغيروا عليه، ولا تعيروا أحداً فيفسدوا فيكم البلاء.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن عطاء نحواً منه، إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيروهم، وقال: قالوا: جاشت الروم، دعونا نغزوهم، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك، وإلا عمدت للذي يريد. فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم، وبقي الآخرون فحدوا. وقال أبو الزهراء القشيري في ذلك:

لم تر أن الدهر يبعثر بالفتى وليس على صرف المنون بقادر صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي ولست عن الصهاء يوماً بصابر رماها أمير المؤمنين بمخفها فخلانها يكون حول المعاصر

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وأبي الجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، وأبي حارثة حمز العشمي بإسنادهم، ومحمد بن عبد الله، عن كريب، قالوا: أصابت الناس في إمارة عمر عليه السلام سنة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفي إذا ريمت تراباً كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فآل عمر ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يمحي الناس من أول الحيا، فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا، فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن، فاشترهما غلام لعمر باريعين ثم أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله بينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن، فابتعتهما باريعين، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافاً. وقال عمر: كيف يعيني شأن الرعية إذا لم يمسخني ما مسهم!

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف السلمي، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كانت في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة، وكانت الرمادة جوعاً أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنسان، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من فبحها، وإنه لفقير.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن

يوسف، عن عبد الرحمن بن كعب، قال: كان الناس بذلك وعمر كالحصور عن أهل الأمصار، حتى أقبل بلال بن الحارث المزني، فاستأذن عليه، فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: «لقد عهدتكم كيساً، وما زلت على رجل، فما شأنك؟» فقال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة، فخرج فنادى في الناس: الصلاة جامعة! فصلى بهم ركعتين، ثم قام فقال: أيها الناس، أنشدكم الله، هل تعلمون مني أمراً غيره خير منه؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإن بلال بن الحارث يزعم ذبة وذية، فقالوا: صدق بلال، فاستغث بالله وبالمسلمين، فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر: الله أكبر! بلغ البلاء مدته فانكشف، ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء، فكتب إلى أمراء الأمصار: أغثوا أهل المدينة ومن حولها، فإنه قد بلغ جهدهم، وأخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً، فخطب فأوجز، ثم صلى، ثم جثا لركبته، وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف، فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر، عن عاصم بن عمر بن الخطاب، قال: قحط الناس زمان عمر عاماً فهزل المال، فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لصاحبهم: قد بلغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحر فنادى يا محمداه! فأري فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه فقال: أبشر بالحيا! أتت عمر فآقرته مني السلام، وقل له: إن عهدي بك وأنت وفي العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر فآخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً! قال: لا، قال: فادخله، فدخل فآخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس: وصعد المنبر، وقال: أنشدكم بالذي هذاكم للإسلام، هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه! قالوا: اللهم لا، قالوا: ولم ذاك؟ فآخبرهم، ففطنوا ولم يفتنوا، فقالوا: إنما استبطاك في الاستسقاء، فاستق بنا، فنادى في الناس، فقام فخطب فأوجز، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال: اللهم عجرت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاسقنا، وأحي العباد والبلاد!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وجراد أبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، كلهم عن رجاء - وزاد أبو عثمان وأبو حارثة: عن عبادة وخالد، عن عبد الرحمن بن غنم - قالوا: كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم

وقالوا بإسنادهم: وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة: إن البحر الشامي حفر لمبعث رسول الله ﷺ حفيراً، فصب في بحر العرب، فسد الروم والقبط، فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة، كسعره بمصر، حفرت له نهراً وبنيت له قناطر. فكتب إليه عمر: أن افعل وعجل ذلك، فقال له أهل مصر: خراجك زاج، وأميرك راض، وإن تم هذا انكسر الخراج. فكتب إلى عمر بذلك، وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرايها. فكتب إليه عمر: اعمل فيه وعجل، أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها، فعالجهم عمرو وهو بالقلازم، فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضي الله عنه. فذلوا وتقاصروا وخشعوا.

قال أبو جعفر: وزعم الواقدي أن الرقة والرها وحران فتحت في هذه السنة على يدي عياض بن غنم، وأن عين السودة فتحت فيها على يدي عمير بن سعد. وقد ذكرت قول من خالفه في ذلك فيما مضى، وزعم أن عمر رضي الله عنه حول المقام في هذه السنة في ذي الحجة إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت قبل ذلك. وقال: مات في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً.

قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت ولاته في هذه السنة على الأمصار الولاية الذين كانوا عليها في سنة سبع عشرة.

## السنة التاسعة عشرة

## ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

قال أبو جعفر قال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى عنه: إن فتح جلولا كان في سنة تسع عشرة على يدي سعد، وكذلك قال الواقدي.

وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرهاء وحران ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة.

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل.

وقال أبو معشر كان فتح قيسارية في هذه السنة - أعني سنة تسع عشرة - وأميرها معاوية بن أبي سفيان، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وكذلك قال أبو معشر في ذلك قال الواقدي.

وأما ابن إسحاق فإنه قال: كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كان فتحها في سنة ست عشرة. قال: وكذلك فتح مصر.

وقد مضى الخبر عن فتح قيسارية قبل، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعد في قول، من قال: فتحت سنة عشرين، وفي قول من خالف ذلك.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة تسع عشرة - سألت حرة ليلي ناراً - فيما زعم الواقدي فأراد عمر الخروج إليها بالرجال، ثم أمرهم بالصدقة فانطلقت.

وزعم أيضاً الواقدي أن المدائن وجلولاء فتحنا في هذه السنة، وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان عماله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنة ثمان عشرة.

من قرى الريف، يقال لها قرية الريش - وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن.

قال: فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية عمرو بن العاص: إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت.

قال: فبعث إليه عمرو بن العاص: إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دوني، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي، فإن هو قبل ذلك منك قبلت، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره. قال: فقال: نعم. قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب - قال: وكانوا لا يخفون علينا كتاباً كتبوا به - يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية. قال: وفي أيدينا بقايا من سيهم. ثم وقفنا ببلهيب، وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو وفيه: أما بعد، فإنه جاءني كتاباً تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم، ثم كانه لم يكن، فأعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخيروا من في أيديكم من سيهم بين الإسلام وبين دين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قومه، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإننا لا نقدر على ردهم، ولا نحب أن نصلحه على أمر لا نفي له به. قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، قال: ثم نحوزة إلينا، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى، ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً، حتى كانه رجل خرج منا إليهم. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم، وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن - قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زبيد - قال: فوقفناه، فعرضنا الإسلام والنصرانية - وأبوه وأمه وإخوته في النصارى - فاختار الإسلام، فحزنناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا، حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى.

ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها، وإن هذه الكناسة التي ترى

## السنة العشرون

ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أمورهم

قال أبو جعفر: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق. حدثنا ابن حيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فتحت مصر سنة عشرين.

وكذلك قال أبو معشر، حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، أنه قال: فتحت مصر سنة عشرين، وأميرها عمرو بن العاص.

وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: فتحت إسكندرية سنة خمس وعشرين.

وقال الواقدي فيما حدثت عن ابن سعد عنه: فتحت مصر والإسكندرية في سنة عشرين.

وأما سيف فإنه زعم - فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف أنها فتحت والإسكندرية في سنة ست عشرة.

## ذكر الخبر عن فتح مصر وفتح الإسكندرية

قال أبو جعفر: قد ذكرنا اختلاف أهل السير في السنة التي كان فيها فتح مصر والإسكندرية، ونذكر الآن سبب فتحهما، وعلى يدي من كان، على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضاً، فأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حيد، قال: حدثنا سلمة عنه، أن عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده، فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين.

قال: وقد اختلف في فتح الإسكندرية، فبعض الناس يزعم أنها فتحت في سنة خمس وعشرين، وعلى ستمين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعليها عمرو بن العاص.

حدثنا ابن حيد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدثني القاسم بن قزمان - رجل من أهل مصر - عن زياد بن جزء الزبيدي، أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين - أو سنة اثنتين وعشرين - قال: لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قريةً فقرةً، حتى انتهينا إلى بلهيب - قرية



لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم، ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام، فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان. فلم ينجأ عمراً والزبير إلا البيات من فرقب، وعمرو على عدة، فلقوه فقتل ومن معه، ثم ركبوا أكساءهم وقصد عمرو والزبير لعين شمس، وبها جمعهم، وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح، فنزل عليها، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل عليها، فقال كل واحد منهما لأهل مدينته: إن تنزلوا فلنكم الأمان، فقالوا: نعم، فراسلوهم، وترىص بهم أهل عين شمس، وسي المسلمون من بين ذلك. وقال عوف بن مالك: ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية! فقالوا: إن الإسكندر قال: إني أبني مدينة إلى الله فقيرة، وعن الناس غنية - أو لأبني مدينة إلى الله فقيرة، وعن الناس غنية - فبقيت بهجتها.

وقال أبرهة لأهل الفرما: ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما؟ قالوا: إن الفرما قال: إني إني مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة، فذهبت بهجتها.

وكان الإسكندر والفرما أخوين.

قال أبو جعفر: قال الكلبي: كان الإسكندر والفرما أخوين، ثم حدث بمثل ذلك، فنسبت إليهما، فالفرما ينهدم فيها كل يوم شيء، وخلقت مرآتها، وبقيت جدة الإسكندرية.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما نزل عمرو على القوم بعين شمس، وكان الملك بين القبط والنوب، ونزل معه الزبير عليها. قال أهل مصر للملكهم: ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقبصر، وغلبهم على بلادهم! صالح القوم واعتقد منهم، ولا تعرض لهم، ولا تعرضنا لهم - وذلك في اليوم الرابع - فأبى، وناهدوهم فقاتلوهم، وارتنى الزبير سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، ونزل الزبير عليهم عنوة، حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه، فصاروا ذمة وكان صلحهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم، وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوتهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا عن أبى بريثة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في

يا ابن أبي القاسم لكناسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى، ما زادت ولا نقصت، فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد، فقد والله كذب. قال القاسم: وإنما حاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت عنوة، وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ماشئنا.

قال أبو جعفر: وأما سيف، فإنه ذكر فيما كتب به إلى السري، يذكر أن شعباً حدثه عنه، عن الربيع أبي سعيد، وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: أقام عمر ببلياء بعدما صالح أهلها، ودخلها أياماً، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمره عليها، إن فتح الله عليه، وبعث في أثره الزبير بن العوام مدداً له، وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة، وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، قال: حدثنا أبو عثمان، عن خالد وعادة، قالوا: خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب اليون، وأتبعه الزبير، فاجتمعوا، فلقبهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم. فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلونا نلعدز إليكم، وترون رأيكم بعد. فكفوا أصحابهم، وأرسل إليهم عمرو: إني بارز فليبرز إلي أبو مريم وأبو مريم، فأجابوه إلى ذلك، وآمن بعضهم بعضاً فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا، إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه، وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرحمتنا فيكم، وإن لكم إن اجتمعونا بذلك ذمة إلى ذمة. وما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم رحماً وذمة، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا، وكانت من أهل منف والملك فيهم، فأدبل عليهم أهل عين شمس، فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً، آمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إن مثلي لا يتجدد، ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتساظرا قومكما، وإلا نأجزتكم، قالوا: زدنا فزادهم يوماً، فقالوا: زدنا، فزادهم يوماً، فرجعا إلى المقوقس فهم، فأبى أربطون أن يجيبهما، وأمر بمناهدتهم، فقالوا

عيشهم، وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجع إلى عيش اليوم الأول، فتفرقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم.

وبلغ عمر، فقال لجلسائه: والله إن حربه للينة ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره، إن عمراً لبعض. ثم أمره عليها وقام بها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سعيد الربيع بن النعمان، عن عمرو بن شعيب، قال: لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس، واقتلت خيالهما، جعل المسلمون يحولون بعد البعد. فدمرهم عمرو، فقال رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد! فقال: اسكت، فإنما أنت كلب، قال: فانت أمير الكلاب، قال: فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو: أين أصحاب رسول الله ﷺ؟ فحضر من شهدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: تقدموا، فبكم ينصر الله المسلمين. فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برزة، وناهدهم الناس يتبعون الصحابة، ففتح الله على المسلمين، وظفروا أحسن الظفر. وافتتحت مصر في ربيع الأول عام ستة عشرة، وقام فيها ملك الإسلام على رجل، وجعل يفيض على الأمم والملوك، فكان أهل مصر يتدفقون على الأجل، وأهل مكران على راسل وداهر، وأهل سجستان على الشاه وذويه، وأهل خراسان والباب على خاقان، وخاقان ومن دونهما من الأمم، فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام، ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل.

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر، فقتل المسلمين بالجراحات، وذهاب الحدق من جودة الرمي، فسموا رماة الحدق، فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، ولاه إياها عثمان بن عفان ؓ، صالحهم على هدية عدة رؤوس منهم، يؤدونهم إلى المسلمين في كل سنة، ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة طعاماً مسمى وكسوة من نحو ذلك.

قال علي: قال الوليد: قال ابن لهيعة: وأمضى ذلك الصلح عثمان الوليد ومن بعده من الولاة الوليد الأمراء، وأقره عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين، الوليد وإبقاء عليهم.

قال سيف: ولما كان ذو القعدة من سنة ستة عشرة، وضع عمر ؓ مسالح مصر على السواحل كلها، وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في البحر، ونهد لأهل حمص بنفسه، وذلك ثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر ؓ.

صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمته، يخرج من سلطانتنا. عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه. وكتب وردان وحضر.

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم، وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول فمصر عمرو الفسطاط، ونزله المسلمون، وظهر أبو مريم وأبو مريام، فكلموا عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة، فقال: أولهم عهد وعقد؟ ألم تخالفكما ويغار علينا من يومكما! وطردهما، فرجعا وهما يقولان: كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففي ذمة منكم، فقال لهما: أتغفرون علينا وهم في ذمة؟ قال: نعم، وقسم عمرو ذلك السبي على الناس، وتوزعوه، ووقع في بلدان العرب. وقدم البشير على عمر بعد بالأخماس، وبعث الوفود فسأله عمر فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجائلين وصاحبه، فقال: ألا أراهما يبصران وأنتم تجهلون ولا تبصرون! من قاتلكم فلا أمان له، ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم، وبعث في الآفاق حتى رد ذلك السبي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة إلا من قاتل بعد، فترادّوهم إلا ما كان من ذلك الضرب، وحضرت القبط باب عمرو، وبلغ عمراً أنهم يقولون: ما أرت العرب وأهون عليهم أنفسهم! ما رأينا مثلاً دان لهم! فخاف أن يستتيرهم ذلك من أمرهم، فأمر بجزر فذبحت، فطبخت بالماء والملح، وأمر أمراء الأجناد أن يمحضروا، وأعلموا أصحابهم، وجلس وأذن لأهل مصر، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين، فأكلوا أكلاً عربياً، انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجراً، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد، وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا، وأذن لأهل مصر، فأروا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القوام بالوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، ونحو نحوهم، فافترقوا وقد ارتابوا، وقالوا: كدنا. وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غداً، وغدا على العرض، وأذن لهم فعرضهم عليهم. ثم قال: إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم، فخشيت أن تهلكوا، فأحببت أن أريكم حالهم، وكيف كانت في أرضهم، ثم حالهم في أرضكم، ثم حالهم في الحرب، فظفروا بكم، وذلك

## أخبار مفرقة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - غزا أرض الروم أبو بجرية الكندي عبد الله بن قيس، وهو أول من دخلها - فيما قيل. وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي، فسلم وغنم.

قال: وقال الواقدي: وفي هذه السنة عزل قدامة بن مظعون عن البحرين، وحده في شرب الخمر.

وفيهما استعمل عمر أبا هريرة على البحرين واليمامة.

قال: وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

قال: وفيها توفي بلال بن رباح رضي الله عنه، ودفن في مقبرة دمشق.

وفيهما عزل عمر سعداً عن الكوفة لشكايتهم إياه، وقالوا: لا يحسن يصلي.

وفيهما قسم عمر خير بين المسلمين، وأجلى اليهود منها، وبعث أبا حبيبة إلى فديك فأقام لهم نصف... فأعطاهم، ومضى إلى وادي القرى فقسمها.

وفيهما أجلى يهود نجران إلى الكوفة - فيما زعم الواقدي.

قال الواقدي: وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - دون عمر رضي الله عنه الدواوين. قال أبو جعفر: قد ذكرنا قول من خالفه.

وفيهما بعث عمر رضي الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر، وذلك أن الحبشة كانت تطرفت - فيما ذكر - طرفاً من أطراف الإسلام، فأصيبوا، فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أبداً.

وأما أبو معشر فإنه قال - فيما حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الأساودة في البحر سنة إحدى وثلاثين.

قال الواقدي: وفيها مات أسيد بن الحضير في شعبان.

وفيهما ماتت زينب بنت جحش.

وحج في هذه السنة عمر رضي الله عنه.

وكانت عماله في هذه السنة على الأمصار عماله عليها في السنة التي قبلها، إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره، وكذلك القضاء فيها كانوا القضاء الذين كانوا في السنة التي قبلها.

## السنة الحادية والعشرون

## ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

قال أبو جعفر: وفيها كانت وقعة نهاوند في قول ابن إسحاق، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه. وكذلك قال أبو معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، الناس عن إسحاق بن عيسى، عنه. وكذلك قال الواقدي.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كانت وقعة نهاوند في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمارة عمر، كتب إلي بذلك السري، عن شعيب، عن سيف.

وكان ابتداء ذلك - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال - كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملاً على كسكر، فكتب إلى عمر عليه السلام يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج، وقد أحبت الجهاد ورغبت فيه.

فكتب عمر إلى سعد: إن النعمان كتب إلي يذكر أنك استعملته على جباية الخراج، وأنه قد كره ذلك، ورغب في الجهاد، فابحث به إلى أهم وجوهك، إلى نهاوند.

قال: وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم، عليهم ذو الحاجب - رجل من الأعاجم - فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطنهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار. والسلام عليك.

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، منهم حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجريز بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معديكرب الزبيدي، وطلحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي. فلما انتهى النعمان بن مقرن في جنده إلى نهاوند، طرحوا له حسكر الحديد، فبعث عيوناً، فساروا لا يعلمون الحسك، فزجر بعضهم فرسه، وقد دخلت في يده حسكة، فلم يبرح، فنزل، فنظر في يده

فإذا في حافره حسكة، فأقبل بها، وأخبر النعمان الخبر، فقال النعمان للناس: ما ترون؟ فقالوا: انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك، فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكنت الأعاجم الحسك، ثم خرجوا في طلبه، وعطف عليهم النعمان، فضرب عسكره، ثم عسى كتابه، وخطب في الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جريز بن عبد الله، وإن أصيب جريز بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه، فأنه، فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم، لأنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يستحب ذلك، فقال المغيرة: لو كنت بمنزلك باكرتهم القتال، قال له النعمان: ربما باكرت القتال، ثم لم يسود الله وجهك. وذلك يوم الجمعة. فقال النعمان: نصلي إن شاء الله، ثم تلقى عدونا دبر الصلاة، فلما تصافوا قال النعمان للناس: إني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت الأولى فشد رجل شبعه، وأصلح من شأنه، فإذا كبرت الثانية، فشد رجل إزاره ونهياً لوجهه، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم، فإني حامل. وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفرّوا، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوه، فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله، فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه، وكنم قتله حتى فتح الله عليهم، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وقتل الله ذا الحاجب، وافتتحت نهاوند، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة.

قال أبو جعفر: وقد كان - فيما ذكر لي - بعث عمر بن الخطاب عليه السلام السائب بن الأقرع، مولى ثقيف - وكان رجلاً كاتباً حاسباً - فقال: الحق بهذا الجيش فكن فيهم، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيهم، وخذ خمس الله وخمس المسلمين وخمس رسوله، وإن هذا الجيش أصيب، فإذهب في سواد الأرض، فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين نهاوند، أصابوا غنائم عظماً، فوالله إني لأقسم بين الناس، إذ جاءني عالج من أهلها فقال: أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي، على أن أدلك على كنوز النخیرجان - وهي كنوز آل كسرى - تكون لك ولصاحبك، لا يشركك فيها أحد؟ قال: قلت: نعم، قال: فابعث معي من أدله عليها، فبعثت معه، فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فلما فرغت من قسمي بين الناس احتملتهما معي، ثم قدمت على عمر بن الخطاب، فقال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك بأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: ثم بكى فنشج، حتى إنني لأنظر

إلى فروع منكبيه من فوق كتفه. قال: فلما رأيت ما لقيت قلت: والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه. فقال المستضعفون من المسلمين: لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجههم وأنسابهم، وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر! ثم قام ليدخل، فقلت: إن معي مالا عظيماً قد جئت به، ثم أخبرته خبر السفطين، قال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما، والحق بجندك. قال: فأدخلتهما بيت المال، وخرجت سريعاً إلى الكوفة. قال: وبات تلك الليلة التي خرجت فيها، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً، فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة، فالتفت بعيري، وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري، فقال: الحق بأمير المؤمنين، فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن. قال: قلت: ويلك! ماذا ولماذا؟ قال: لا أدري والله، قال: فركبت معه حتى قدمت عليه، فلما رأيته قال: مالي ولا بن أم السائب! بل ما لابن أم السائب ومالي! قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ويحك! والله ما هو إلا أن نمت في الليلة التي خرجت فيها، فباتت ملائكة ربي تسجني إلى ذينك السفطين يشتعلان ناراً، يقولون: لنكونك بهما، فاقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، فخذهما عني لا أبالك والحق بهما، فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاهم. قال: فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة، وغشيتي التجار، فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي ألف، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم، فباعهما بأربعة آلاف ألف، فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً بعد.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن زياد بن حدير، قال: حدثني أبي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال للهمزان حين آمنه: لا بأس، انصح لي، قال: نعم، قال: إن فارس اليوم رأس وجناحان، قال: وأين الرأس؟ قال: بنهاوند مع بندار، فإن معه أساورة كسرى وأهل أصبهان، قال: وأين الجناحان؟ فذكر مكاناً نسيته، قال: فاقطع الجناحين يهن الرأس. فقال عمر: كذبت يا عدو الله! بل أعمد إلى الرأس فاقطعه، فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان. قال: فأراد أن يسير إليه بنفسه، فقالوا: نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلبة العجم، فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام، ولكن ابعث الجنود، فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وفيهم المهاجرون والأنصار، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة، وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند، وكتب: إذا التقيتم فأمر بركم النعمان بن مقرن المزي، فلما اجتمعوا بنهاوند، أرسل بندار العليهم: أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة. قال أبي: كئني أنظر إليه، رجلاً

طويل الشعر أمور، فأرسلوه إليه، فلما جاء سألناه، فقال: وجدته قد استشار أصحابه، فقال بأي شيء نأذن لهذا العربي؟ بشارتنا وبهجتنا وملكتنا، أو نقشف له فيما قبلنا حتى يزهق؟ فقالوا: لا، بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة، فتهبوا بها، فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يلتصق منها البصر، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج. قال: فمضيت كما أنا ونكست، قال: فدفعت ونهنت، فقلت: الرسل لا يفعل بهم هذا، فقالوا: إنما أنت كلب، فقلت: معاذ الله! لانا أشرف في قومي من هذا في قومه، فانتهروني، وقالوا: اجلس، فأجلسوني. قال: وترجم له قوله: إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأقذر الناس قدراً، وأبعد داراً، وما معني أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن يتظلمكم بالنشاب إلا تنجسوا لجيفكم، فإنكم أرجاس، فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن تأتوا نركم مصارعكم، قال: فحمدت الله وأثيت عليه، فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً، ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله ﷺ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر، حتى أثبتناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغليكم على ما في أيديكم، أو نقتل بأرضكم. فقال: أما والله إن الأمور قد صدقكم الذي في نفسه. قال: فقممت وقد والله أرعبت العليج جهدي. قال: فأرسل إلينا العليج: إما أن تعبروا إلينا بنهاوند، وإما أن نعبر إليكم. فقال النعمان: اعبروا، قال أبي: فلم أر والله مثل ذلك اليوم، إنهم يميثون كأنهم جبال حديد، قد توارثوا ألا يفروا من العرب، وقد قرن بعضهم بعضاً، سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد خلفهم، وقالوا: من فر منا عقره حسك الحديد. فقال المغيرة حين رأى كثرتهم: لم أر كاليوم فشلاً، إن عدونا يتركون يتأهبون لا يعجلون، أما والله لو أن الأمر لي لقد أعجلتهم - وكان النعمان بن مقرن رجلاً ليناً - فقال له: فالله عز وجل يشهدك أمثالها فلا يجوزك ولا يعيبك موقفك، إنه والله ما معني من أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ، إن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة، وتهب الأرواح، ويطلب القتال، فما معني إلا ذلك. اللهم إني أسالك أن تفر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز للإسلام، وذلل يذل به الكفار، ثم اقبضي إليك بعد ذلك على الشهادة، أمروا يرحمكم الله! فأما وبكينا ثم قال: إني هاز لوائي فتيسروا للسلح، ثم هاز الثانية، فكونوا متأهبين لقتال عدوكم، فإذا هزرت الثالثة فليحمل كل قوم على من يليهم من

عدوهم على بركة الله.

قال: وجاؤوا بحسك الحديد. قال: فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا، ثم قال: أرجو أن يستجيب الله لي، ويفتح علي، ثم هز اللواء، ففسرنا للقتال، ثم هزه الثانية فكنّا بإزاء العدو، ثم هزه الثالثة.

قال: فكبر وكبر المسلمون، وقالوا: فتحاً يعز الله به الإسلام وأهله، ثم قال النعمان: إن أصبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان، وإن أصيب حذيفة ففلان، وإن أصيب فلان ففلان، حتى عد سبعة آخرهم المغيرة، ثم هز اللواء الثالثة، فحمل كل إنسان على من يليه من العدو. قال: فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يرمئذ يريد أن يرجع إلى أهله، حتى يقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة، وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة، بعضهم على بعض في قياد، فيقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم. فقال النعمان ﷺ: قدموا اللواء، فجعلنا نقدم اللواء، ونقلهم ونهزمهم. فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح، جاءته نشابة فأصابته خاصرته، فقتلته. قال: فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً، وأخذ اللواء فقاتل، ثم قال: تقدموا نقلهم ونهزمهم، فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقل: هذا أميركم، قد أقر الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة. قال: فباع الناس حذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له، ويدعو له مثل الحلبى.

قال: وكتب إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين، فلما أتاه قال له: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل به الكفر وأهله. قال: فحمد الله عز وجل، ثم قال: ألتعمان بعثك؟ قال: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين، قال فبكى عمر واسترجع. قال: ومن ويحك! قال فلان وفلان، حتى عد له ناساً كثيراً، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم، فقال عمر وهو يبكي: لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم.

وأما سيف، فإنه قال: - فيما كتب إلي السري يذكر أن شعيباً حدثه عنه، وعن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد - إن الذي هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء، ووطشوا أهل فارس، كاتبوا ملكهم، وهو يرمئذ بمرو، فحركوه، فكتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحركوا وتكاثروا، وركب بعضهم إلى بعض، فاجتمعوا أن يوافوا نهاوند، ويرموا فيها أمورهم، فتوافى إلى نهاوند أوائلهم.

وبلغ سعد الخبر عن قباذ صاحب حلوان، فكتب إلى عمر بذلك، فنزأ بسعد أقوام، وألبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند، ولم يشغلهم ما دهم المسلمين من ذلك، وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر، فقال عمر: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر، وقد استعد لكم من استعدوا، وأيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم. فبعث عمر محمد بن مسلمة، والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع - وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكى زمان عمر - فقدم محمد على سعد لطوف به في أهل الكوفة، والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند فطوف به على مساجد أهل الكوفة، لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك، وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا: لا نعلم إلا خيراً، ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا نعين عليه، إلا من مالا الجراح بن سنان وأصحابه فيأنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً ولا يسوغ لهم، ويتعمدون ترك الثناء حتى انتهوا إلى بني عيس، فقال محمد: أئشد بالله رجلاً يعلم حقاً إلا قال! قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. فقال سعد: اللهم إن قالها كاذباً ورثاءاً وسمعة فاعم بصره، وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتى. فعمي، واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحسها فيإذا عثر عليه قال: دعوة سعد الرجل المبارك. ثم أقبل على الدعاء على النفر فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشراراً وطبراً وكذباً فاجهد بلاءهم، فجهد بلاؤهم، فقطع الجراح بالسيف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتناله بسباط، وشدخ قيصه بالحجارة، وقتل أربد بالوجع وبنعال السيف. وقال سعد: إني لأول رجل أهرق دمماً من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، وما جمعهما لأحد قبلي، ولقد رأيته خسر الإسلام، وبنوا أسد تزعم أنني لا أحسن أن أصلي وأن الصيد يلهيني. وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه، فأخبره الخبر، فقال: يا سعد، ويحك، كيف تصلي! فقال: أطيل الأوليين، وأحذف الآخرين، فقال: هكذا الظن بك! ثم قال: لو لا الاحتياط لكان سيبلهم بيناً. ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ قال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره واستعمله، فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد، وأما الوقعة ففي زمان عبد الله.

قالوا: وكان من حديثهم أنهم نفروا بكتاب يزدجرد الملك، فتوافوا إلى نهاوند، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان، ومن بين الباب إلى حلوان، وبين سجستان إلى حلوان، فاجتمعت حلبة

الراي من أصحاب رسول الله ﷺ، فتكلموا كلاماً فقالوا: لا نرى ذلك، ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك، وقالوا بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم، ومن قد فض جوعهم، وقتل ملوكهم، وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك، فإذا لم يندب إليهم وأدع لهم. وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه العباس عليه السلام.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن حمزة عن أبي طعمة، قال: قام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الراي، وفهموا ما كتب به إليك، وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز وأيده بالملائكة، حتى بلغ ما بلغ فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكانك منهم مكان النظام من الحزب يجمعهم ويمسكه، فإن إن المحل تفرق ما فيه وذبح، ثم لم يجمع بخذافيره أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم، ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء فليأتهم الثلاثان وليقم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم.

فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم. وقام سعد فقال: يا أمير المؤمنين، خضض عليك، فإنهم إنما جمعوا لنقمة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم، وقال: أوجزوا في القول، ولا تطيلوا فتفشج بكم الأمور واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام، تكلموا، فقام طلحة بن عبيد الله - وكان من خطباء أصحاب رسول الله ﷺ - فتشهد، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتكم الأمور، وعجمتكم البلايا، واحتكتكم التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا تنبو في يدك، ولا نكل عليك، إليك هذا الأمر، فمرنا نطعم، وادعنا نحب، واحملنا نركب، ووفدنا نقد، وقدنا ننقد، فإنك ولي هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واختبرت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار. ثم جلس. فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا. فقام عثمان بن عفان، فتشهد، وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأمر هذين الحرمين إلى المصريين: الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعز وأكثر، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب

فارس والفهلولج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل، ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل، ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل، واجتمعوا على الفيرزان، وإليه كانوا توافوا وشاركهم موسى.

عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبي طعمة الثقفي - وكان قد أدرك ذلك - قال: ثم إنهم قالوا: إن محمد الذي جاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرض غرض فارس، إلا في غارة تعرض لهم فيها، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد. ثم ملك عمر من بعده، فطال ملكه وعرض، حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز، وأوطأها، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه، فقد أخبر بيت مملكتكم، واقتحم بلاد ملككم، وليس بمتته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقلعوا هذين المصريين، ثم تشغلوه في بلاده وقراره. وتعاهدوا وتعاقدوا، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً، وتماثلوا عليه.

وبلغ الخبر سعداً وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان. ولما شخص لقي عمر بالخبر مشافهة، وقد كان كتب إلى عمر بذلك، وقال: إن أهل الكوفة يستأذنوك في الإنسيح قبل أن يبادروهم الشدة - وقد كان عمر منعهم من الإنسيح في الجبل.

وكتب إليه أيضاً عبد الله وغيره بأنه قد تجمع منهم خسون ومائة ألف مقاتل، فإن جاءونا قبل أن نبادروهم الشدة ازدادوا جراً وقوم وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلكم، وكان الرسول بذلك قريب بن ظفر العبدى.

ثم خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر، فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرأه قال: ما اسمك؟ قال: قريب، قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر، فتفاءل إلى ذلك وقال: ظفر قريب إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله! ونودي في الناس: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس، ووافاه سعد، فتفاءل إلى سعد بن مالك، وقام على المنبر خطيباً، فأخبر الناس الخبر، واستشارهم، وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه، ثم أخبروني وأوجزوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا، فتفشج بكم الأمور، ويلتوي عليكم الراي، أفمن الراي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه، حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصريين، فاستفهمهم ثم أكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم، ويقضي ما أحب، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم في بلادهم، وليتأزعوأ ملكهم. فقام عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، في رجال من أهل

القفقي، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، قال: قال أبو وائل: كان النعمان بن مقرن على كسكر، فكتب إلى عمر: مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب وإلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله ما عزلتني عن كسكر، وبعتني إلى جيش من جيوش المسلمين!

قال: فكتب إليه عمر: أن انت الناس بنهاوند، فانت عليهم، قال: فالتقوا، فكان أول قتيل، وأخذ الراية أخوه سويد بن مقرن، ففتح الله على المسلمين، ولم يكن لهم - يعني للفرس - جماعة بعد يومئذ، فكان أهل كل مصر يغزون عدوهم في بلادهم.

رجع الحديث إلى حديث سيف. وكتب - يعني عمر - إلى عبد الله بن عبد الله مع ربعي بن عامر، أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا، فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماء، فليوافوه بها، وليسر بهم إلى نهاوند، وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان، حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن، وقد كتبت إلى النعمان: إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بمحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن، ورد قريب بن ظفر ورد معه السائب بن الأقرع أميناً. وقال: إن فتح الله عليكم فاقسم ما آفاه الله عليهم بينهم، ولا تخدعني ولا ترفع إلي باطلاً، وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك. فقدموا إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث، وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف، ليلوا في الدين، ولیدركوا حظاً، وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالطزر، وجعلوا بمرج القلعة خيلاً عليها النسيير. وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرملة بن مريضة وزر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة، وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتكم أمري. وبعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الأهواز، وقال له: انصل منها على ماء، فخرج حتى إذا كان بغضى شجر، أمره النعمان أن يقيم مكانه، فأقام بين غضى شجر ومرج القلعة، ونصل سلمى وحرملة وزر والمقترب، فكانوا في تخوم أصبهان وفارس، فقطعوا بذلك عن أهل نهاوند أمداد فارس..

ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالطزر جاءه كتاب عمر مع قريب: إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية، فادخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب، واستعن بهم، واشرب برأيهم، وسل طليحة وعمراً وعمراً ولا تولهم شيئاً. فبعث من الطزر طليحة وعمراً وعمراً طليحة ليأثره بالخبر، وتقدم إليهم ألا

باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزير، ولا تلوذ منها بحريز، إن هذا ليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه. ثم جلس.

فعاد عمر، فقال: إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا، فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذرارهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذرارهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقدر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذرارهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم، لثلاثا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم في الكوفة مدداً لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم، وألبتهم على نفسك. وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكننا كنا نقاتل بالنصر.

فقال عمر: أجل والله، لئن شخصت من البلدة لتنتقض علي الأرض من أطرافها وأكتافها، ولئن نظرت إلي الأعاجم لا يفارقن العرصة، وليردنه من لم يمددهم، وليقولن: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه اقتطعت أصل العرب، فأشيروا علي برجل أوله ذلك الثغر غداً. قالوا: أنت أفضل رأياً، وأحسن مقدرة، قال: أشيروا علي به، واجعلوه عراقياً. قالوا: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بأهل العراق، وجندك قد وفدوا عليك ورأيهم وكلمتهم، فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غداً، فليل: من يا أمير المؤمنين؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني. فقالوا: هو لها - والنعمان يومئذ بالبصرة مع قواد من قواد أهل الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان، فافتتحوا رامهرمز وإذنج، وأعانوه على تسر وجندي سابور والسوس. فكتب إليه عمر مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخبر، وأني قد ولنتك حربهم، فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماء، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثرنا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي عن أبي وائل في سبب توجييه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن صفوان



يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج، فاشتد ذلك على المسلمين، وخافوا أن يطول أمرهم وسرهم أن يناجزهم عدوهم، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين، فتكلموا، وقالوا: نراهم علينا بالخيار. وأتوا النعمان في ذلك فأنخروه، فوافقوه وهو يروي في الذي رويوا فيه. فقال: على رسلكم، لا تبرحوا! وبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي في الحروب، فتوافوا إليه، فتكلم النعمان، فقال: قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا، ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم وانبعاثهم قبل مشيتهم، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج، فما الرأي الذي به نغشهم ونستخرجهم إلى المأذبة وترك التطويل؟.

فتكلم عمرو بن ثي - وكان أكبر الناس يومئذ سنًا، وكانوا إنما يتكلمون على الأسنان - فقال: التحصن عليهم أشد من المطالبة عليكم، فدعهم ولا تخرجهم وطاولهم، وقاتل من أتاك منهم، فردوا عليه جميعاً رأيهم. وقالوا: إنا على يقين من إنجاز ربنا مواعده لنا.

وتكلم عمرو بن معد يكرب، فقال: ناهدكم وكاثرهم ولا تخفهم. فردوا عليه جميعاً رأيهم، وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا.

وتكلم طليحة فقال: قد قالوا ولم يصيبا ما أرادوا، وأما أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدية، فيحذقوا بهم، ثم يرموا لينشبو القتال، ويغشوهم، فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً، فلنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، وإنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيهم، فخرجوا فجادونا وجاددناهم، حتى يقضي الله فيهم وفيما أحب.

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو - وكان على المجردة - ففعل، وأنشب القتال بعد احتجاج من العجم، فأنغضهم فلما خرجوا نكص، ثم نكص، ثم نكص، واغتمتها الأعاجم، ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا: هي هي، فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب، وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس، وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع، والنعمان بن مقرن والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم، ففعلوا واستروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفسحوا فيهم الجراحات، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض، ثم قالوا للنعمان: ألا ترى ما

يغلو. فخرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى، فقالوا: ما رجعتك؟ قال: كنت في أرض العجم، وقتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها. ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو، فقالوا: ما رجعتك؟ قال: سرنا يوماً وليلة، ولم نر شيئاً، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق. ونفذ طليحة ولم يحفل بهما. فقال الناس: ارتد الثانية، ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند، وبين الطرزر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً. فعلم علم القوم، واطلع على الأخبار، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبر الناس، فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه، فقال: والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة. فأتى النعمان فدخل عليه، فأخبروه الخبر، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه، ولا أحد. فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل، فأمرهم بالتعبية. وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس، وسار النعمان على تعبيته، وعلى مقدمته نعيم بن مقرن، وعلى مجنبيته حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع، وقد توافى إليه أعداد المدينة، فيهم المغيرة وعبد الله، فأتوها إلى الإسيذهان والقوم وقوف دون وادي خرد على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان، وعلى مجنبيته الزردق ويهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحجاب، وقد توافى إليهم بتهاند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمرائها، وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس، وعلى خيولهم أنوشق. فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه فترزلت الأعاجم، فأمر النعمان وهو واقف بمحط الأتقال، ويضرب الفسطاط، فضرب وهو واقف، فابتدره أشراف أهل الكوفة وأعيانهم، فسبق إليه يومئذ عدة من أشراف أهل الكوفة، تسابقوا فبنوا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم فسبقوهم، وهم أربعة عشر، منهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوير، وربيع بن عامر، وعامر بن مطر، وجريز بن عبد الله الحميري، والأقرع بن عبد الله الحميري، وجريز بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حجر، فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء. وأنشب النعمان بعدما حط من الأتقال القتال، فاقتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس، والحرب بينهم في ذاك سجال في سبع سنين من إمارة عمر، في سنة تسع عشرة، وإنهم انحجروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون، فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار، لا

والدواب فيه، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلّ في الدماء، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه، وأصيب النعمان حين زلّ به فرسه، وصرع. وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع، وسجى النعمان بثوب، وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه، وكان اللواء مع حذيفة، فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء، وقال له المغيرة: اكموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم، لكيلا يهن الناس، واقتلوا حتى إذا أظلمهم الليل انكشف المشركون وذهبوا، والمسلمون ملطون بهم متلبسون، فعمي عليهم قصدهم، فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسيدهان، فوقعوا فيه، وجعلوا لا يهوي منهم أحد إلا قال: وأيه خرد، فسمي بذلك وأيه خرد إلى اليوم، فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة منهم أعدادهم، لم يفلت إلا الشريد، ونجا الفيرزان بين الصرعى في المعركة، فهرب نحو همدان في ذلك الشريد، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدامه فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان، والثنية مشحونة من بغال وحبر موقرة عسلاً، فحبسه الدواب على أجله، فقتله على الثنية بعدما امتنع، وقال المسلمون: إن الله جنوداً من عسل، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل بها، وسميت الثنية بذلك ثنية العسل، وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل إذ لم يجد مساعاً، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه، ومضى الغلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان والخيل في آثارهم، فدخلوها، فنزل المسلمون عليهم، وحسوا ما حولها، فلما رأى ذلك خسروشنوم استأثمهم، وقبل منهم على أن يضمن لهم همدان ودستى، وألا يؤتى المسلمون منهم، فأجابوهم إلى ذلك وأمنوهم، وأمن الناس، وأقبل كل من كان هرب، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتوا ما فيها وما حولها، وجمعوا الأسلاب والراث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع.

فبيناهم كذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمدان، أقبل الهريذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حذيفة، فقال: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم، قال: إن النخريجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأننا أخرجها لك على أمانى وأمان من شئت، فأعطاه ذلك، فأخرج له ذخيرة كسرى، جوهرأ كان أعده لنرائب الزمان، فنظروا في ذلك، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له، فأخروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين، وقد نفل حذيفة من

نحن فيه! ألا ترى ما لقي الناس، فما تنتظر بهم! ائذن للناس في قتالهم، فقال لهم النعمان: رويداً رويداً! قالوا له ذلك مراراً، فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويداً رويداً، فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر إلى علمت ما أصنع! فقال: رويداً ترى أمرك، وقد كنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو في المكث الذي نرجو في الحث. وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقى فيها العدو، وذلك عند الزوال وتفيق الأفياء ومهب الرياح. فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشش النعمان، وسار في الناس على برذون أحوى قريب من الأرض، فجعل يقف على كل رابية، ويحمد الله ويشي عليه، ويقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد انجز لكم هوادي ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه، والله منجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة، فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأولياؤه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظفركم وعزكم، والذي عليه في هزيمتكم وذلكم، وقد ترون من أنتم يلزاه من عدوكم، وما أخطرت وما أخطروا لكم، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرت لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرت وما أخطروا، فلا يكونون على ديناهم أحى منكم على دينكم، واتقى الله عبد صدق الله، وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منظرين، إحدى الحسينين، من بين شهيد حي مرزوق، أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كل رجل ما يليه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملامة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه، فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت التكبير الأولى فليتهياً من لم يكن تهياً، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض، فإذا كبرت الثالثة، فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً. اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك!

فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف، وقضى إليه أمره، رجع إلى موقفه، فكبر الأولى والثانية والثالثة، والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة، ينحي بعضهم بعضاً عن سننهم، وحمل النعمان وحمل الناس، ورواية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب، والنعمان معلّم بيباض القباء والقلنسوة، فاقتلوا بالسيوف قتلاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعه يوم قط كانت أشد قتالاً منها، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتماد ما طبق أرض المعركة دماً يزلق الناس

فتح الفتوح - وكذلك كان يسميه أهل الكوفة والمسلمون - فلما دخل المسجد حطت الأحمال فوضعت في المسجد وأمر نقرأ من أصحابه - منهم عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم - بالبيت فيه، ودخل منزله، وأتبعه السائب بن الأقرع بذئك السفطين، وأخبره خبرهما وخبر الناس، فقال: يا ابن مليكة، والله ما دروا هذا، ولا أنت معهم! فالنجاه النجاه، عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فأقبل راجعاً يقبل حتى انتهى إلى حذيفة بماء، فأقامهما فباعهما، فأصاب أربعة آلاف ألف.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس الأسدي، أن رجلاً يقال له جعفر بن راشد، قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند: لقد أخذتنا خلة، فهل بقي من أعاجيبك شيء تنفعا به؟ فقال: كما أنتم حتى أنظر، فأخذ كساء فتقنعه به غير كثير، ثم قال: البيان البيان، غنم الدهقان، في بستان، مكان أرونان. فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمنة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي معبد العبيسي وعروة بن الوليد، عن حدثهم من قومهم، قال: بينما نحن محاصرو أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم، فقاتلونا فلم نلبثهم أن هزمهم الله، فتبع سماك بن عبيد العبيسي - رجلاً منهم - معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم، فلم يبرز له أحد إلا قتله، حتى أتى عليهم. ثم حمل على الذي كانوا معه، فأسره وأخذ سلاحه، ودعا له رجلاً اسمه عبد، فوكله به، فقال: اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصلحه على هذه الأرض، وأودي إليه الجزية، وسلي أنت عن إسارك ما شئت، وقد مننت علي إذ لم تقتلني، وإنما أنا عبدك الآن، وإن أدخلتني على الملك، وأصلحت ما بيني وبينه، وجدت لي شكري، وكنت لي أخاً. فخلي سبيله وآمنه، وقال: من أنت؟ قال: أنا دينار - والبيت منهم يومئذ في آل قارن - فأتى به حذيفة، فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظرة للمسلمين، فصالحه على الخراج، فنسبت إليه ماء، وكان يواصل سماكاً ويهدي له، ويؤاتي الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة، فقدم الكوفة في إمارة معاوية، فقام في الناس بالكوفة، فقال: يا معشر أهل الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كتتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع: بخل، وخب، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهن، فرمقكم، فإذا ذلك في مولديكم، فعلمت من أين أنيتم، فإذا الخب من قبل النبط، والبخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن

الأخاس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند، ورفع ما بقي من الأخاس إلى السائب بن الأقرع، فقبض السائب الأخاس، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى. وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره، وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم، أخو بني ربيعة بن مالك.

فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همذان قد أخذت، ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخسروشنوم، فراسلوا حذيفة، فأجابهم إلى ما طلبوا، فأجمعوا على القبول، وعزموا على إتيان حذيفة، فخذعهم دينار - وهو دون أولئك الملوك، وكان ملكاً، إلا أن غيره منهم كان أرفع منه، وكان أشرفهم قارن - وقال: لا تلقوهم في جالكم ولكن تعهلوا لهم، ففعلوا، وخالفهم فاتاهم في الدياج والخلي، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا، فعاقده عليهم، ولم يجد الآخرون بداً من متابعتهم والدخول في أمره، فقبل ماء دينار لذلك. فذهب حذيفة بماء دينار، وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك، فنسبت إلى بهراذان، ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم، فافتتحها فنسبت إلى النسير، وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضى شجر ولأهل المسالحي جميعاً في يوم نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة، لأنهم كانوا رداءً للمسلمين لثلاثي ثلثي وجه من الوجوه. وتعلمل عمر تلك الليلة التي كان قدر للقائهم، وجعل يخرج ويلتمس الخبر، فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه، فرجع إلى المدينة ليلاً، فمر به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة. فقال: يا عبد الله، من أين أقبلت؟ قال: من نهاوند، قال: ما الخبر؟ قال: الخبر خير، فتح الله على النعمان، واستشهد، واقتسم المسلمون في يوم نهاوند، فأصاب الفارس ستة آلاف. وطواه الراكب حتى انغمس في المدينة، فدخل الرجل، فبات فأصبح فتحدث بمحدثه، ونمى الخبر حتى بلغ عمر، وهو فيما هو فيه، فأرسل إليه، فسأله فأخبره، فقال: صدق وصدقت، هذا عثيم يريد الجسن، وقد رأى يريد الإنس، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك، فقال: الخبر! فقال: ما عندي أكثر من الفتح، خرجت والمسلمون في الطلب وهم على رجل، وكنتم إلا ما سره.

ثم خرج وخرج معه أصحابه، فأمعن، ورفع له راكب، فقال: قولوا، فقال عثمان بن عفان: السائب، فقال: السائب، فلما دنا منه قال: ما وراءك؟ قال: البشري والفتح، قال: ما فعل النعمان؟ قال: زلقت فرسه في دماء القوم، فصرع فاستشهد، فانطلق راجعاً والسائب يسايره، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين، فأخبره بعدد قليل، وأن النعمان أول من استشهد يوم

وأذربيجان والري، وكان بعضهم يقول: إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة. وهو قول سيف بن عمر.

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة - أعني سنة إحدى وعشرين - من أمر الجنديين اللذين ذكرت أن عمر أمرهما بما ذكر أنه أمرهما به.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً، وقيل له: لا يزال هذا الدباب حتى يخرج من مملكته، أذن للناس في الانسحاب في أرض العجم، حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى، فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند، وكان بين عمل سعد بن أبي وقاص وبين عمل عمار بن ياسر أميران: أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبة - وفي زمانه كانت وقعة نهاوند - وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي - وفي زمانه أمر بالانسحاب - وعزل عبد الله بن عبد الله، وبعث في وجه آخر من الوجوه، وولي زياد بن حنظلة - وكان من المهاجرين - فعمل قليلاً، وألح في الاستعفاء، فأعفى وولي عمار بن ياسر بعد زياد، فكان مكانه وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله، وأمد أهل الكوفة بأبي موسى، وجعل عمر بين سراقه مكانه، وقدمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة، فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن، وقد كان أهل همدان كفروا بعد الصلح، فأمره بالسير نحو همدان، وقال: فإن فتح الله على يديك فإلى ماوراء ذلك، في وجهك ذلك إلى خراسان. وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان، وفرقها بينهما، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان إلى ميمتها، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها، فتيا من هذا عن صاحبه، وتياسر هذا عن صاحبه. وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء، وأمره أن يسير إلى أصبهان، وكان شجاعاً بطلاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار، حليفاً لبني الحلبى من بني أسد، وأمهه بأبي موسى من البصرة، وأمر عمر بن سراقه على البصرة.

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر حين أتاه فتح نهاوند بدا له أن يأذن في الانسحاب فكتب إليه: أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن، فأندهم ولا تنتخبهم، وكتب إلي بذلك، وعمر يريد توجيهه إلى أصبهان فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدي. والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، لذكر ورقاء، وظنوا أنه نسب إلى جده، وكان

محمد عن الشعبي، قال: لما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة، جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال: أكل عمر كبدي - وكان نهاوندياً، فأسرته الروم أيام فارس، وأسره المسلمون بعد، فنسب إلى حيث سي.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: قتل في اللهب من هوى فيه ثمانون ألفاً، وفي المعركة ثلاثون ألفاً مقترين، سوى من قتل في الطلب، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً، واقتتحت مدينة نهاوند في أول سنة تسع عشرة، لسبع سنين من إمارة عمر، لتمام سنة ثمان عشرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة في كتاب النعمان بن مقرن وحذيفة لأهل الماهين.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا يغيرون على ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته، وما أرشدوا ابن السبيل، وأصلحو الطرق، وقرؤوا جنود المسلمين من مر بهم فأوى إليهم يوماً وليلة، ووفروا ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا، فذمتنا منهم بريئة. شهد عبد الله بن ذي السهمين والققعاق بن عمرو وجريز بن عبد الله.

وكتب في الحرم سنة تسع عشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دینار، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا يغيرون عن ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل، وأصلحو الطرق، وقرؤوا جنود المسلمين من مر بهم، فأوى إليهم يوماً وليلة، ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة. شهد الققعاق بن عمرو، ونعيم بن مقرن، وسويد بن مقرن. وكتب في الحرم.

قالوا: وألحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في الفين، ألفين، ألحقهم بأهل القادسية.

وفي هذه السنة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت، وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمشير إلى أرض فارس وكرمان وأصبهان، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها إلى أصبهان

ولا أقتل أصحابك، ولكن ابرز لي فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلتني سالمك أصحابي، وإن كان أصحابي لا يقع لهم نشابة. فبرز له عبد الله وقال: إما أن تحمل علي، وإما أن أحمل عليك، فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قربوس سرجه فكسره، وقطع اللبب والحزام، وزال اللبد والسرّج، وعبد الله على الفرس، فوقع عبد الله قائماً، ثم استوى على الفرس عرباً، وقال له: اثبت، فحاجزه، وقال: ما أحب أن أقاتلك، فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك، وأدفع المدينة إليك، على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله، وعلى أن تجري من أخذتم أرضه عنة مجراهم، ويتراجعون، ومن أبى أن يدخل فيه ذهب حيث شاء، ولكم أرضه. قال: لكم ذلك.

وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جي، ودخلوا الذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان في حاشيتهم، لجمع كان بها، ودخل عبد الله وأبو موسى جي - وجي مدينة أصبهان - وكتب بذلك إلى عمر، واغتبط من أقام، وندم من شخص. فقدم كتاب عمر على عبد الله: أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامله على قتال من بكرمان، وخلف في جي من بقي عن جي، واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن نفر من أصحاب الحسن، منهم المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أسيد بن المششم بن أخي الأحنف، قال: شهدت مع أبي موسى فتح أصبهان، وإنما شهدها مدداً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: كتاب صلح أصبهان.

بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها، إنكم آمنون ما أدبتم الجزية، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوماً وليلة، وحملان الراجل إلى مرحلة، لا تسلطوا على مسلم، وللمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم، ولكم الأمان ما فعلتم، فإذا غيرتم شيئاً أو غير مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم، ومن سب مسلماً بلغ منه، فإن ضربه قتلناه. وكتب وشهد عبد الله بن قيس، وعبد الله بن ورقاء، وعصمة بن عبد الله.

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله، وأمر فيه باللاحق بسهيل بن عدي بكرمان خرج في جريدة خيل،

عبد الله بن بديل بن ورقاء يوم قتل بصفين ابن أربع وعشرين سنة، وهو أيام عمر صبي.

ولما أتى عمر أنبعاث عبد الله، بعث زياد بن حنظلة، فلما أتاه أنبعاث الجنود وإنسياحهم أمر عمراً بعد، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَفْضَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. وقد كان زياد صرف في وسط من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة، ليقضي إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حصص، وقد كان عمل لعمر على ما سقى الفرات ودجلة النعمان وسويد ابنا القرن، فاستغفيا، وقالوا: أعفنا من عمل يتغول ويتزين لنا بزينة الموسى. فأعفاهما، وجعل مكانهما حذيفة بن أسيد الغفاري وجابر بن عمرو المزني، ثم استغفيا فأعفاهما، وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً، وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى.

### ذكر الخبر عن أصبهان

قالوا: ولما قدم عمار إلى الكوفة أميراً، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله: أن سر إلى أصبهان وزياد على الكوفة، وعلى مقدمتك عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعلى مجنبتك عبد الله بن ورقاء الأسدي وعصمة بن عبد الله - وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث - فسار عبد الله في الناس حتى قدم على حذيفة، ورجع حذيفة إلى عمله، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جند النعمان من نهاوند نحو جند قد اجتمع له من أهل أصبهان عليهم الاستندار، وكان على مقدمته شهربراز جاذويه، شيخ كبير في جمع عظيم، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رستاق أصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء، فقتله وانهزم أهل أصبهان، وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ، فهو اسمه إلى اليوم. ودعا عبد الله بن عبد الله من يليه، فسأل الاستندار الصلح، فصالحهم، فهذا أول رستاق أخذ من أصبهان، ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جي حتى انتهى إلى جي والملك بإصبهان يومئذ الفاذوسفان، ونزل بالناس على جي، فحاصروهم، فخرجوا إليه بعدما شاء الله من زحف، فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله: لا تقتل أصحابي،

واستخلف السائب، ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان.

وقد روي عن معقل بن يسار أن الذي كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوا أصبهان النعمان بن مقرن. ذكر الرواية بذلك.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن علي، قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن علقمة بن عبد الله المزني، عن معقل ابن يسار، أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان، فقال: ما ترى؟ أبدأ بفارس، أم بأذربيجان، أم بأصبهان؟ فقال: إن فارس وأذربيجان الجناحان، وأصبهان الرأس. فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر، فإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فأبدأ بالرأس. فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي، فقعده إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: إني أريد أن أستعملك، قال: أما جايباً فلا، ولكن غازياً، قال: فانت غاز. فوجهه إلى أصبهان، وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه، فأتاهوا وبينه وبينهم النهر، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم، فقبل للملكم - وكان يقال له ذو الحاجبين: إن رسول العرب على الباب، فشاؤوا أصحابه، فقال: ما ترون؟ أقعد له في بهجة الملك؟ فقالوا: نعم، فقعده على سريرته، ووضع التاج على رأسه، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين عليهم القرطة وأسورة الذهب وثياب الديباج. ثم أذن له فدخل ومعه راحه وترسه، فجعل يطعن برمحهم بسطهم ليطيروا، وقد أخذ بضبعيه رجلان، فقام بين يديه، فكلّمه ملكهم، فقال: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم، فإن شئتم أمرناكم ورجعتم إلى بلادكم. فتكلم المغيرة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إنا معاشر العرب، كنا ناكل الجيف والميتة، ويطوئنا الناس ولا نظوهم، وإن الله عز وجل ابتعث منا نبياً، أوسطنا حسباً، وأصدقنا حديثاً - فذكر النبي ﷺ بما هو أهله - وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال، وإنه وعدنا أننا سنظهر عليكم، ونغلب على ما ها هنا. وإني أرى عليكم بزة وهيئة ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها.

قال: ثم قلت في نفسي: لو جمعت جراميزي، فوثبت وثبة، فقعدت مع العلاج على سريرته. لعله يطيّر! قال: فوجدت غفلة، فوثبت، فإذا أنا معه على سريرته. قال: فأخذه يتوجثونه ويطوئونه بأرجلهم. قال: قلت: هكذا تفعلون بالرسول! فإننا لا نفعل هكذا، ولا نفعل برسلكم هذا. فقال الملك: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئنا قطعنا إليكم. قال: فقلت: بل نقطع إليكم. قال: فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة، وكل خمسة وكل ثلاثة. قال: فصافقناهم، فرشقونا حتى أسرعوا فينا، فقال المغيرة

للنعمان: يرحمك الله! إنه قد أسرع في الناس فاحمل، فقال: والله إنك لذو مناقب، لقد شهدت مع رسول الله ﷺ القتال، فكان إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر.

قال: ثم قال: إني هاز لوائي ثلاث مرات، فأما الهزة الأولى ففقضى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شسعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا، ولا يلويين أحد على أحد، وإن قتل النعمان فلا يلو عليه أحد، فإني أدعو الله عز وجل بدعوة، فعزمت على كل امرئ منكم لما أضمن عليهما! اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم، وهز لواءه أول مرة، ثم هز الثانية، ثم هز الثالثة، ثم شل درعه، ثم حمل فكان أول صريع، فقال معقل: فأتيت عليه، فذكرت عزيمته، فجعلت عليه علماً، ثم ذهبت - وكنا إذا قتلنا رجلاً شغل عنا أصحابه - ووقع ذو الحاجبين عن بقلته فأنشق بطنه، فهزمهم الله، ثم جئت إلى النعمان ومعني إداة فيها ماء، ففسلت عن وجهه التراب، فقال: من أنت؟ قلت: معقل بن يسار، قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم، قال: الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه.

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس، وفيهم ابن عمر وابن الزبير وعمرو بن معديكرب وحذيفة، فبعثوا إلى أم ولده، فقالوا: أما عهد إليك عهداً؟ فقالت: ها هنا سقط فيه كتاب، فأخذه، فكان فيه: إن قتل النعمان فقلان، وإن قتل فلان فقلان.

### أخبار متفرقة

وقال الراقي: في هذه السنة - يعني سنة إحدى وعشرين - مات خالد بن الوليد بمحصر، وأوصى إلى عمر بن الخطاب.

قال: وفيها غزا عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سروع، فقدموا مصر، فشرب عبد الرحمن وأبو سروع الخمر، وكان من أمرهما ما كان.

قال: وفيها: سار عمرو بن العاص إلى أنطاكس - وهي برقة - فافتتحها وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار، وإن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم.

قال: وفيها ولي عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة، وابن مسعود على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، فشكا أهل الكوفة عماراً، فاستعفى عمار عمر بن الخطاب، فأصاب جبير بن مطعم خالياً فولاه الكوفة، فقال: لا تذكره لأحد، فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم، فرجع إلى امرأته، فقال: اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم،

فاعرضي عليها طعام السفر، فأتتها فعرضت عليها، فاستعجمت عليها، ثم قالت: نعم، فجئني به، فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر، فقال: بارك الله لك فيمن وليت! قال: فمن وليت؟ فأخبره أنه ولي جبير بن مطعم، فقال عمر: لا أدري ما أصنع! وولى المغيرة بن شعبة الكوفة، فلم يزل عليها حتى مات عمر.

قال: وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري، فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين.

وحدثنا ابن حيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان بالشام في سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبي سفيان، وعمير بن سعد الأنصاري على دمشق والبتينة وحروران وحمص وقنسرين والجزيرة، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعة مصرين وقلقية. وعند ذلك صالح أبو هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقية وأنطاكية ومعة مصرين.

وقيل: وفيها ولد الحسن البصري وعامر الشعبي.

قال الواقدي: وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت، وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشام ومصر والبصرة من كان عليها في سنة عشرين، وأما الكوفة فإن عامله عليها كان عمار بن ياسر، وكان إليه الأحداث وإلى عبد الله بن مسعود بيت المال، وإلى عثمان بن حنيف الخراج، وإلى شريح فيما قيل - القضاء.

## السنة الثانية والعشرون

## ذكر فتح همدان

قال أبو جعفر: فيها فتحت أذربيجان، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت أذربيجان سنة اثنتين وعشرين، وأميرها المغيرة بن شعبة. وكذلك قال الواقدي.

وأما سيف بن عمر، فإنه قال فيما كتب إلي به السري عن شبيب عنه، قال: كان فتح أذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همدان والري وجرجان وبعد صلح إصبيذ طبرستان المسلمين. قال: وكل ذلك كان سنة ثمان عشرة.

قال: فكان سبب فتح همدان - فيما زعم - أن محمداً والمهلب وطلحة وعمراً وسعيداً أخبروه أن النعمان لما صرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند، وصرف إليه أهل الكوفة وأوفوه مع حذيفة، ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة في مرج فيها مسلحة، فاستزلوهم، وكان أول الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلاً يسكون بالقلعة، فسموا معسكرهم بالمرج، مرج القلعة، ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند، حتى إذا انتهوا إلى قلعة - فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحيفة، فنسبت إليه، وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي - أقاموا مع النسير على القلعة، فلما جمعوا في نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً، لأن بعضهم قوى بعضاً. ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند لما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج إليها بصفاتها، وازدحمت الركاب في ثنية من ثنایا ماه، فسميت بالركاب، فقيل: ثنية الركاب. وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة، فسموها ملوية، فدرست أسماؤها الأولى، وسميت بصفاتها، ومروا بالجليل الطويل المشرف على الجبال، فقال قائل منهم: كأنه سن سميرة - وسميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية، ضيعة لها من مشرفة على أسنانها، فسمى ذلك الجبل بسنها - وقد كان حذيفة أتبع الفالة - فالة نهاوند - نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو، فبلغها همدان، فصالحهم خسروشنوم، فرجعوا عنهم، ثم كفر بعد. فلما قدم عهده في العهد من عند عمر ودع حذيفة وودعه حذيفة، هذا يريد همدان، وهذا يريد الكوفة راجعاً. واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث.

وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن: أن سر حتى تأتي

همدان، وأبعث على مقدمتك بن سويد بن مقرن، وعلى مجنبتك ربعي بن عامر ومهلهل بن زيد، هذا طائي، وذاك غيمي. فخرج نعيم بن مقرن في تعييته حتى نزل ثنية العسل - وإنما سميت ثنية العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غب وقعة نهاوند حيث أتبعوا الفالة - فأنتهى الفيزان إليها، وهي غاصة بموامل تحمل العسل وغير ذلك، فحبست الفيزان حتى نزل، فتوقل في الجبل وغار فرسه فأدرك فأصيب. ولما نزلوا كنكور سرت دواب من دواب المسلمين، فسمي قصر اللصوص.

ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همدان، وقد تحصنوا منهم، فحصرهم فيها، وأخذ ما بين ذلك وبين جرميدان، واستولوا على بلاد همدان كلها. فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، على أن يجرهم ومن استجاب مجرى واحداً، ففعل، وقبل منهم الجزاء على المنعة، وفرق دستي بين نفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الله الضبي ومهلهل بن زيد الطائي وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن غرمة الأسدي، وسماك بن خرشة الأنصاري، فكان هؤلاء أول من ولي مسالح دستي وقاتل الديلم.

وأما الواقدي فإنه قال: كان فتح همدان والري في سنة ثلاث وعشرين. قال: ويقال افتتح الري قرظة بن كعب.

وحدثني ربيعة بن عثمان أن فتح همدان كان في جمادى الأولى، على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب، وكان أميرها المغيرة بن شعبة.

قال: ويقال: كان فتح الري قبل وفاة عمر بستين، ويقال: قتل عمر وجيوشه عليها.

رجع الحديث إلى حديث سيف. قال: فبينما نعيم في مدينة همدان في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجند تكاتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان، ثم خرج موتا في الديلم حتى ينزل بواج رود، وأقبل الزبيني أبو الفرخان في أهل الري حتى انضم إليه، وأقبل إسفندياذ أخو رستم في أهل أذربيجان، حتى انضم إليه، وتحصن أمراء مسالح دستي، وبعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند، ولم تكن دونها، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحماتهم من الملاحم الكبار، وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم، ففرغ منها عمر، واهتم بحربها، وتوقع ما يأتاه عنهم، فلم يفجأه إلا البريد بالشارة، فقال: أبشرا! فقال: بل عروة، فلما ثنى عليه: أبشير؟ فطن، فقال: بشير، فقال عمر: رسول نعيم؟ قال: رسول نعيم، قال: الخبر؟ قال: البشري بالفتح والنصر،



وأخبره الخبر، فحمد الله، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس، فحمدوا الله. ثم قدم سماك بن خرمة، وسماك بن عبيد، وسماك بن خرشة في وفود من وفود أهل الكوفة بالأخاس على عمر، فنسبهم، فانتسب له سماك وسماك وسماك، فقال: بارك الله فيكم، اللهم اسمك بهم الإسلام وأيدهم بالإسلام. فكانت دسبتي من همدان ومسالحتها إلى همدان، حتى رجع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب: أما بعد، فاستخلف على همدان، وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة، وسر حتى تقدم الري، فتلقى جمعهم، ثم أقم بها، فإنها أواسط تلك البلاد واجمعها لما تريد. فأقر نعيم يزيد بن قيس الهمداني على همدان، وسار من واج الروذ بالناس إلى الري.

#### وقال نعيم في واج الروذ:

لما أثناني أن موتاً ورهطه بني باسل جروا جنود الأعاجم نهضت إليهم بالجند مسامياً لأنزع منهم ذمتي بالقواصم فجتنا إليهم بالحديد كأننا فلما لقيناهم بها مستفيضاً وقد جعلوا يسمون فعل المساهم صدمناهم في واج روذ يجمعنا غداة رميناهم بإحدى العظام فما صبروا في حومة الموت ساعة جدار تشظى لبنة للهرادم كأنهم عند انبثاق جموعهم وفيها نهاب قسمه غير عا أصابها موتاً ومن لف جمعه تبعناهم حتى أووا في شعابهم تقتلهم قتل الكلاب الجواحم كأنهم في واج روذ وجسوه ضشين أصابها فروج المخارم وسماك بن خرمة هو صاحب مسجد سماك.

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح همدان، وخلف عليها يزيد بن قيس الهمداني، وسار بالجند حتى لحق بالري، وكان أول نسل الديلم من العرب، وقاؤهم فيه نعيم.

#### فتح الري

قالوا: وخرج نعيم بن مقرن من واج روذ في الناس - وقد أخبرها - إلى دسبتي، ففصل منها إلى الري، وقد جمعوا له، وخرج الزينبي أبو الفرخان، فلقبه الزينبي بمكان، يقال له: قها مسالماً ومخالفاً للملك الري، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سياوخش وأهل بيته، فأقبل مع نعيم والملك يومئذ بالري سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين، فاستمد أهل ديباوند وطبرستان وقومس وجرجان. وقال: قد علمتم أن هؤلاء قد حلوا بالري، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فناهذه سياوخش، فالتقوا في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها، فاقتلوا به، وقد كان الزينبي قال لنعيم: إن القوم كثير، وأنت في قلة، فابعت معي

خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك. فبعث معه نعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبي المدينة، ولا يشعر القوم، وبيتهم نعيم يياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم. ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عدواً بالقصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالري نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبي على أهل الري ومرزبه عليهم نعيم، فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي الأكبر، ومنهم شهرام وفرخان، وسقط آل بهرام، وأخرب نعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها العتيقة - يعني مدينة الري - وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحديثة. وكتب نعيم إلى عمر بالذي فتح الله مع المضارب العجلي، ووفد بالأخاس مع عتبة بن النهاس وأبي مفزر في وجوه من وجوه أهل الكوفة، وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة الأنصاري بعدما فتح الري، فسار سماك إلى أذربيجان مدداً لبكير، وكتب نعيم لأهل الري كتاباً.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله، أعطاه الأمان على أهل الري ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كل حالم في كل سنة، وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلبوا، وعلى أن يقرؤا المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يفخموا المسلم، فمن سب مسلماً أو استخف به نهك عقوبة، ومن ضربه قتل، ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم. وكتب وشهد.

وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدي به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة، فقبل منه، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد، فجرى ذلك لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردانشاه مصمغان ديباوند وأهل ديباوند والخوانار والاراز والشرز. إنك آمن ومن دخل معك على الكف، أن تكف أهل أرضك، وتتقي من ولي الفرج بما تقي ألف درهم، وزن سبعة في كل سنة، لا يغار عليك، ولا يدخل عليك إلا بإذن، ما أقمت على ذلك حتى تغير، ومن غير فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه. وكتب وشهد.

#### فتح قومس

قالوا: ولما كتب نعيم بفتح الري مع المضارب العجلي، ووفد بالأخاس كتب إليه عمر: أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، وأبعث على مقدمته سماك بن خرمة وعلى مجنبه عتبة بن النهاس وهند بن عمرو الجملي ففصل سويد بن مقرن في

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان إصبهذ خراسان على طبرستان وجبل جيلان من أهل العدو، إنك آمن بأمان الله عز وجل، على أن تكف لصوتك وأهل حواشي أرضك، ولا تؤذي لنا بغية، وتقي من ولي فرج أرضك بمخمسة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، ولا يتطرق أرضك، ولا يدخل عليك إلا بإذنك، سيئلتنا عليكم بالإذن آمنة، وكذلك سيئلكم، ولا تؤوون لنا بغية، ولا تسلون لنا إلى عدو، ولا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم. شهد سواد بن قطبة التميمي، وهند بن عمرو المرادي، وسماك بن خرمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبسي، وعتيبة بن النهاس البكري. وكتب سنة ثمان عشرة.

### فتح أذربيجان

قال: ولما افتتح نعيم همدان ثانية، وسار إلى الري من واج روذ، كتب إليه عمر: أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري عمداً لبكير بن عبد الله بأذربيجان، فأخر ذلك حتى افتتح الري، ثم سرحه من الري، فسار سماك نحو بكير بأذربيجان، وكان سماك بن خرشة وعتبة بن فرقد من أغنياء العرب، وقدا الكوفة بالغنى، وقد كان بكير سار حين بعث إليها، حتى إذا طلع بجبال جرميدان - طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاد مهزوماً من واج روذ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان، فاقتلوا، فهزم الله جنده، وأخذ بكير إسفندياذ أسيراً، فقال له إسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح، قال: فأمسكني عندك، فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء لم يقيموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبح والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما، فأمسكه عنده، فأقام وهو في يده، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة عمداً وإسفندياذ في إيساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه. وقال بكير لسماك مقدمه عليه، وما زحه: ما الذي أصنع بك وبعتبة باغنيين؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضين قدماً ولا خلفنك، فإن شئت أقمت معي، وإن شئت آتيت عتبة فقد أذنت لك، فإني لا أراني إلا تارككما وطالباً وجهاً هو أكره من هذا. فاستغفى عمر، فكتب إليه بالإذن على أن يتقدم نحو الباب، وأمره أن يستخلف على عمله، فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها، ومضى قدماً، ودفع إسفندياذ إلى عتبة، فضمه عتبة إليه، وأمر عتبة سماك بن خرشة - وليس بأبي دجاجة - على عمل بكير الذي كان افتتح، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد.

تعبته من الري نحو قومس، فلم يقم له أحد، فأخذها سلماً وعسكر بها، فلما شربوا من نهر لم يقال له ملاذ، فشا فيهم القصر، فقال لهم سويد: غيروا ماءكم حتى تعودوا كاهله، ففعلوا، واستمروه، وكتبته الذين لجشوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز، فدعاهم إلى الصلح والجزاء، وكتب لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم وملهم وأموالهم، على أن يؤدوا الجزية عن يد، عن كل حالم بقدر طاقته، وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا، وعلى أن يدلوا، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة. وكتب وشهد.

### فتح جرجان

قالوا: وعسكر سويد بن مقرن بيسطام، وكتب ملك جرجان رزيان صول ثم سار إليها، وكتبه رزيان صول، وبادره بالصلح على أن يؤدي الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه. فقبل ذلك منه، وتلقاه رزيان صول قبل دخول سويد جرجان، فدخل معه وعسكر بها حتى جى إليه الخراج، وسمى فروعها، فسدها بترك دهستان، فرفع الجزاء عمن أقام بمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها، وكتب بينهم وبينه كتاباً.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزيان صول بن رزيان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان، إن لكم الذمة، وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم، على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وملهم وشرائعهم، ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرؤا المسلمين، ولم يبد منهم سل ولا غل، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، وعلى أن من سب مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حل دمه. شهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسماك بن خرمة، وعتبة بن النهاس. وكتب في سنة ثمان عشرة.

وأما المدائني، فإنه قال - فيما حدثنا أبو زيد، عنه: فتح جرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين.

### فتح طبرستان

قالوا: وأرسل الإصبهذ سويداً في الصلح، على أن يتوعدا، ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم، وكتب له كتاباً.

الجزيرة. ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب - والملك بها يومئذ شهربراز، رجل من أهل فارس، وكان على ذلك الفرج، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني إسرائيل، وأعرى الشام منهم - فكاتبه شهربراز، واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فائاه، فقال: إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة، لا ينسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان، ولست من القبيح في شيء، ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمسي، فإنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم، وصغوي معكم، ويسارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذلو لنا بالجزيرة فتوهنونا لعدوكم. فقال عبد الرحمن: فوقي رجل قد أظلك فسر إليه، فجوّزه، فسار إلى سراقه فلقبه بمثل ذلك، فقال سراقه: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان مجارب العدو من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلا أن يستغفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة. وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نيك، لم يقيم الأرمن بها إلا على أوفاز، وإنما هم سكان ممن حولها، ومن الطراء استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار، وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، وجلوا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم، واكتبوا من سراقه بن عمرو كتاباً.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم إلا يضاروا ولا ينتقصوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب، الطراء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحاً، على أن توضع الجزاء ممن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والسنل يوماً كاملاً، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، ويكير بن عبد الله. وكتب مرضي بن مقرن وشهد.

ووجه سراقه بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيراً إلى موقان، ووجه حبيباً إلى تفليس، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان وسلمان بن ربيعة إلى الوجه

قالوا: وقد كان بهرام بن الفرخزاذ أخذ بطريق عتبة بن فرقد، وأقام له عسكره حتى قدم عليه عتبة، فاقتلوا، فهزمه عتبة، وهرب بهرام. فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهره إسفندياذ وهو في الأسار عند بكير، قال: الآن تم الصلح، وطفئت الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك كلهم، وعادت أذربيجان مسلماً، وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر، وبعثوا بما خسوا عما آفاه الله عليهم، ووفدوا الوفود بذلك، وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ما ولي، وتم الصلح بعدما هزم عتبة بهرام. وكتب عتبة بينه وبين أهل أذربيجان كتاباً، حيث جمع له عمل بكير إلى عمله.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عتبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان - سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها - كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم، وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته، ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه. وكتب جندب، وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاري. وكتب في سنة ثمان عشرة.

قالوا: وفيها، قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهده له، وذلك أن عمر كان يأخذ عماله بموافاة الموسم في كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم، ويحجزهم به عنه.

### فتح الباب

وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته، قال: وقالوا - يعني السدي ذكرت أسماءهم قبل: رد عمر أبا موسى إلى البصرة، ورد سراقه بن عمرو - وكان يدعى ذا النور - إلى الباب، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة - وكان أيضاً يدعى ذا النور - وجعل على إحدى الجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري، وسمى للأخرى بكير بن عبد الله الليثي - وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقه بن عمرو عليه، وكتب إليه أن يلحق به - وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة فقدم سراقه عبد الرحمن بن ربيعة، وخرج في الأثر، حتى إذا خرج من أذربيجان نحو الباب، قدم على بكير في أذاني الباب، فاستدلف بيكير، ودخل بلاد الباب على ما عباه عمر. وأمه عمر مجيب بن مسلمة، صرفه إليه من الجزيرة، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على

ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة تمنعه من الموت، فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظفر، وذلك في إمارة عمر، ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفر كما كان يظفر، حتى إذا تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا، وفعلوا فاقتفوا لهم في الغياض، فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا فاشتد قتالهم، ونادى مناد من الجو: صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف الناس، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة، فقاتل بها، ونادى المنادي من الجو: صبراً آل سلمان بن ربيعة! فقال سلمان: أو ترى جزعاً! ثم خرج بالناس، وخرج سلمان وأبو هريرة الدوسي على جيلان، فقطعوها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به حتى الآن.

وحدث عمرو بن معديكرب عن مطر بن ثلج التميمي، قال دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهريراز عنده، فأقبل رجل عليه شحوبة حتى دخل على عبد الرحمن، فجلس إلى شهريراز، وعلى مطر قباء برود ميمية، أرضه حمراء، وشبه أسود - أو وشيه أحمر - وأرضه سوداء، فتساءلا.

ثم أن شهريراز، قال: أيها الأمير، أتدري من أين جاء هذا الرجل؟ هذا الرجل بعثته منذ سنين نحو السد لينظر ما حاله ومن دونه، وزودته مالا عظيماً، وكتب له إلى من يليني، وأهديت له، وسألته أن يكتب له إلى من وراءه وزودته لكل ملك هدية، ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه، حتى انتهى إليه، فأتته إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد، فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه، فأعطاه حرية، قال: فتشكر لي البازيار، فلما انتهينا فلإذا جبلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين بعدما استوى بهما، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك كله، وتفرست فيه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي البازيار: على رسلك أكافك! إنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا، فيرمي به في هذا اللهب، فنشرح بضعة لحم معه، فألقاها في ذلك الهواء، وانقضت عليها العقاب، وقال: إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء، فخرجت علينا العقاب باللحم في مخالباها، وإذا فيه ياقوته، فأعطانيها، وها هي هذه. فتناولها شهريراز حمراء، فناولها عبد الرحمن، فنظر إليها ثم ردها إلى شهريراز، وقال شهريراز: هذه خير من هذا البلد - يعني

الآخر، وكتب سراقه بالفتح وبالسقي وجه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب، فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه في سريع بغير مؤونة. وكان فرجاً عظيماً به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقه، واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة، وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقه، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فض موقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبيح الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشراعتهم على الجزاء، دينار على كل حالم أو قيمته، والنصح، ودلالة المسلم ونزله يومه وليته، فلمهم الأمان ما أقروا ونصحوا، وعلينا الوفاء، والله المستعان. فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم متمالتون. شهد الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب، وحملة بن جوية. وكتب سنة إحدى وعشرين.

قالوا: ولما بلغ عمر موت سراقه واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهريراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال: لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم، وتالله إن معنا لأقواماً لو ياذن لنا أميرنا في الإيعان لبلغت بهم الردم. قال: وماهم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، وكانوا أصحاب حياة وتكرم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائم لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم من غيرهم. فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تتم فيها امرأة، ولم يتم فيها صبي، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم، ثم غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حتى تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعضلوا بعثمان حتى جعل يتمثل:

وكنتم وعمراً كالمسمن كلبه فخدشه أثبابه وأظافره  
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عند الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه، وقالوا:

موسى، أنه قد كان آمن أهل رامهرمز وإيذج، وأن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان، فأجاز لهم عمر ذلك، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود. وادعى أهل البصرة إلى أصبهان فريات افتتحها أبو موسى دون جي، أيام أمدهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فقال أهل الكوفة: أتيتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد، فأسيناكم في المغام، والذمة ذمتنا، والأرض أرضنا، فقال عمر: صدقوا. ثم إن أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر حتى قالوا: فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيهم. فقال لهم عمر: أترضون بماه؟ وقال لأهل الكوفة: أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهين؟ فقالوا: ما رأيت أنه ينبغي فاعمل به، فأعطاهم مائة دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسية منهم إلى سواد البصرة ومهرجانتقدق، وكان ذلك لمن شهد الأيام والقادسية من أهل البصرة. ولما ولي معاوية بن أبي سفيان - وكان معاوية هو الذي جند قنسرين من رافضة العراقيين أيام علي، وإنما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصرها معاوية وجندها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب، فضمها فيما ضم، وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقله رميتا بكل من كان ترك هجرته من أهل البلدين، وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة - نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان علي، وإلى من رميت به الجزيرة والموصل عن كان ترك هجرته أيام علي، وكفر أهل أرمينية زمان معاوية، وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب - وحبيب يومئذ بجزران - وكاتب أهل تغليس وتلك الجبال، ثم ناجزهم، حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب. وكتب بينه وبينهم كتاباً بعدما كاتبهم: بسم الله الرحمن الرحيم. من حبيب بن مسلمة إلى أهل تغليس من جزران أرض الهرمز. سلم أتم، فإنني أهد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، فإنه قد قدم علينا رسولكم تغلي، فبلغ عنكم، وأدى الذي بعثتم. وذكر تغلي عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون، وكذلك كنا حتى هدانا الله عز وجل بمحمد ﷺ، وأعزنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية. وذكر تغلي أنكم أحببتم سلمنا. فما كرهت والذين آمنوا معي، وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جزء السلمي، وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله وأهل القرآن، وبعثت معه بكتابي بأمانكم، فإن رضيتم دفعه إليكم، وإن كرهتم أذنكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تغليس من جزران أهل الهرمز، بالأمان على أنفسكم

الباب - وإيم الله لأنتم أحب إلي ملكة من آل كسرى، ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني، وإيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتهم ووفى ملككم الأكبر.

فأقبل عبد الرحمن على الرسول، وقال: ما حال هذا الردم وما شبهه؟ فقال: هذا الثوب الذي على هذا الرجل، قال: فنظر إلى ثوبي، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن بن ربيعة: صدق والله الرجل، لقد نفذ ورأى، فقال: أجل، وصف صفة الحديد والصفير، وقال: ﴿أَتَوْنِي زَيْرَ الْحَدِيدِ﴾ إلى آخر الآية.

وقال عبد الرحمن لشهربراز: كم كانت هديتك؟ قال: قيمة مائة ألف في بلادي هذه، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر في تلك البلدان.

### أخبار مفرقة

وزعم الواقدي أن معاوية غزا الصائفة في هذه السنة، ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين.

وقال بعضهم: في هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد.

وفيهما ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عماله في السنة التي قبلها. وقد ذكرناهم قبل.

### ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

وفي هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم.

ذكر الخبر بذلك.

كتب إلي السري، عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: أقام عمار بن ياسر عاملاً على الكوفة سنة في إمارة عمر وبعض أخرى. وكتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجز خراجهم عنهم، ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ما سبذان. وبلغ ذلك أهل الكوفة، فقالوا لعمار: اكتب لنا إلى عمر أن رامهرمز وإيذج لنا دونهم، لم يعينونا عليهما بشيء، ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما، فقال عمار: مالي ولما هاهنا! فقال له عطار: فعلام تدع فيتنا أيها العبد الأجدع! فقال: لقد سببت أحب أذني إلي. ولم يكتب في ذلك فابغضوه، ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبي

وأموالكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم، على الإقرار بصغار الجزية، على كل أهل بيت دينار واف، ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا، وقرى المجاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم، وهداية الطريق في غير ما يضر فيه بأحد منكم. فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، فإخواننا في الدين وموالينا، ومن تولى عن الله ورسوله وكتبه وحزبه فقد آذناكم بحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين. شهد عبد الرحمن بن خالد، والحجاج، وعياض. وكتب رباح، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا، وكفى بالله شهيداً.

### ذكر عزل عمار عن الكوفة

وفي هذه السنة عزل عمر بن الخطاب عماراً عن الكوفة، واستعمل أبا موسى في قول بعضهم، وقد ذكرت ما قال الواقدي في ذلك قبل.

ذكر السبب في ذلك.

قد تقدم ذكرى بعض سبب عزله، ونذكر بقيته. ذكر السري فيما كتب به إلي - عن شعيب، عن سيف، عن عمن تقدم ذكرى من شيوخه، قال: قالوا: وكتب أهل الكوفة، عطار ذلك وأناس معه إلى عمر في عمار، وقالوا: إنه ليس بأمر، ولا يحتمل ما هو فيه، ونزا به أهل الكوفة، فكتب عمر إلى عمار: أن أقبل؛ فخرج بوفد من أهل الكوفة، ووفد رجالاً ممن يرى أنهم معه، فكانوا أشد عليه ممن تخلف، فجزع فقيل له: يا أبا اليقطان، ما هذا الجزع؟ فقال: والله ما أحمق نفسي عليه، ولقد ابتليت به - وكان سعد بن مسعود الثقفي عم المختار، وجريس بن عبد الله معه - فسعيا به، وأخبرا عمر بأشياء يكرهها، فعزله عمر ولم يوله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل، قال: قيل لعمار: أساءك العزل؟ فقال: والله ما سرنى حين استعملت، ولقد ساءني حين عزلت.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد ومجالد، عن الشعبي، قال: قال عمر لأهل الكوفة: أي منزليكم أعجب إليكم؟ - يعني الكوفة أو المدائن - وقال: إنني لأسألكم وإنني لأعرف فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم، فقال جريس: أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنى محلة من السواد من البر، وأما الآخر فوعك البحر وغمه وبعضه. فقال عمار: كذبت، فقال عمر لعمار: بل أنت أكذب منه، وقال: ما تعرفون من أميركم عمار؟ فقال جريس: هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء بن سياه، عن هشام بن عبد الرحمن الثقفي، أن سعد بن مسعود، قال: والله ما يدري علام استعملته! فقال عمر: علام استعملتك يا عمار؟ قال: على الحيرة وأرضها. فقال: قد سمعت بالحيرة تجاراً تختلف إليها، قال: وعلى أي شيء؟ قال: على بابل وأرضها، قال: قد سمعت بذكرها في القرآن. قال: وعلى أي شيء؟ قال: على المدائن وما حولها، قال: أمدائن كسرى؟ قال: نعم. قال: وعلى أي شيء؟ قال: على مهرجا تقذف وأرضها. قالوا: قد أخبرناك أنه لا يدري علام بعثته! فعزله عنهم، ثم دعاه بعد ذلك، فقال: أساءك حين عزلتك؟ فقال: والله ما فرحت به حين بعثتي، ولقد ساءني حين عزلتني. فقال: لقد علمت ما أنت بصاحب عمل، ولكني تأولت: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن خليلد بن ذفرة النمري، عن أبيه بمثله وزيادة، فقال: أو محمد نفسك بمعرفة من تعالجه منذ قدمت! وقال: والله يا عمار لا ينتهي بك حدك حتى يلقيك في هنة، وتالله لئن أدركك عمر لترقن، ولئن رقت لتبتلين، فسل الله الموت. ثم أقبل على أهل الكوفة فقال: من تريدون يا أهل الكوفة؟ فقالوا: أبا موسى. فأمره عليهم بعد عمار، فأقام عليهم سنة، فباع غلامه العلف. وسمعه الوليد بن عبد شمس، يقول: ما صحبت قوماً قط إلا آثرتهم، والله ما منعي أن أكذب شهود البصرة إلا صحبتهم، ولئن صحبتكم لأمنحكم خيراً. فقال الوليد: ما ذهب بأرضنا غيرك، ولا جرم لا تعمل علينا. فخرج وخرج معه نفر، فقالوا: لا حاجة لنا في أبي موسى، قال: ولم؟ قالوا: غلام له يتجر في حشرنا. فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة، وصرف عمر بن سراقه إلى الجزيرة. وقال لأصحاب أبي موسى الذين شخصوا في عزله من أهل الكوفة: أقوي مشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن؟ فلم يجد عندهم شيئاً، فتنحى، فخلا في ناحية المسجد، فنام فاته المغيرة بن شعبة فكلاه حتى استيقظ، فقال: ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم، فهل نابك من نائب؟ قال: وأي نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير! وقال في ذلك ما شاء الله.

واختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل، وأتاه أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما شأنك؟ قال: شأني أهل الكوفة قد عضلوا بي. أعاد عليهم عمر المشورة التي استشار فيها، فأجابه المغيرة فقال: أما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وفضله له، وأما القوي المشدد فقوته لك

وللمسلمين، وشداده عليه وله. فبعثه عليهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن عمرو، أن عمر قال قبل أن يستعمل المغيرة: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي متشدّد؟ فقال المغيرة: أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المتشدّد فإن شداده لنفسه وقوته للمسلمين. قال: فإذا باعثوك يا مغيرة. فكان المغيرة عليها حتى مات عمر رضي الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة. فلما ودعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة، قال له: يا مغيرة. ليأمنك الأبرار، وليخفك الفجار. ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه، فأوصى به، وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة للسياسة، وليحجزهم بذلك عن الرعية، وليكون لشكاة الرعية وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه.

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس - في قول بعضهم خراسان - وحارب يزيدجرد، وأما في رواية سيف فإن خروج الأحنف إلى خراسان كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة.

### ذكر مصير يزيدجرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه، فأما ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك، فإنه فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: كان يزيدجرد بن شهریار بن كسرى - وهو يومئذ ملك فارس - لما انهزم أهل جلولا خرج يريد الري، وقد جعل له حمل واحد يطبق ظهر بعيره فكان إذا سار نام فيه ولم يعرس بالقوم. فانتهوا به إلى مخاضة وهو نائم في محله، فأنبهوه ليعلم، ولثلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ، فعنفهم وقال: بشما صنعتم! والله لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة، إني رأيت أني ومحمداً نتاجينا عند الله، فقال له: أملكهم مائة سنة، فقال: زدني، فقال: عشرين ومائة سنة، فقال: زدني، فقال: عشرين ومائة سنة، فقال: زدني، فقال لك. وأنبهتموني، فلو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة.

فلما انتهى إلى الري، وعليها آبان جاذويه، وثب عليه فأخذه، فقال: يا آبان جاذويه، تغدر بي! قال: لا، ولكن قد تركت ملكك، وصار في يد غيرك، فأحببت أن أكتب على ما كان لي من شيء، وما أردت غير ذلك. وأخذ خاتم يزيدجرد ووصل الأدم، واكتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما

أعجبه، ثم ختم عليها ورد الخاتم. ثم أتى بعد سعداً فرد عليه كل شيء في كتابه. ولما صنع آبان جاذويه يزيدجرد ما صنع خرج يزيدجرد من الري إلى أصبهان، وكره آبان جاذويه، فأراد منه ولم يأمنه. ثم عزم على كرمان، فأتاها والنار معه، فأراد أن يضعها في كرمان، ثم عزم على خراسان، فأتى مرو، فزّلها وقد نقل النار، فبنى لها بيتاً واتخذ بستاناً، وبنى أزجاً فرسخين من مرو إلى البستان، فكان على رأس فرسخين من مرو، واطمان في نفسه وأمن أن يؤتى، وكتب من مرو من بقي من الأعاجم فيما لم يفتحته المسلمون فدانوا له، حتى أثار أهل فارس والمهرمزان فنكثوا، وثار أهل الجبال والفيروزان فنكثوا، وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين في الانسياح، فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى اتّخسوا في الأرض، فخرج الأحنف إلى خراسان، فأخذ على مهرجان نقد، ثم خرج إلى أصبهان - وأهل الكوفة محاصرو جي - فدخل خراسان من الطيسين، فافتتح هراة عنوة، واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي. ثم سار نحو مرو الشاهجان، وأرسل إلى نيسابور - وليس دونها قتال - مطرف بن عبد الله بن الشخير والحارث بن حسان إلى سرخس، فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزيدجرد نحو مرو الروذ حتى نزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزيدجرد وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، فخرج رسولا نحو خاقان وملك الصغد، وكتب إلى ملك الصين يستعنه، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان، واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلي بعدما لحقت به أمداد أهل الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضري، وربيع بن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وابن أم غزال الهمداني، وخرج سائراً نحو مرو الروذ، حتى إذا بلغ ذلك يزيدجرد خرج إلى بلخ، ونزل الأحنف مرو الروذ، وقدم أهل الكوفة، فساروا إلى بلخ وأتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فهزم الله يزيدجرد، وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعب، ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم، فبلخ من فتوح أهل الكوفة. وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممن كان في مملكة كسرى، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربيع بن عامر، وهو الذي يقول فيه النجاشي - ونسبه إلى أمه، وكانت من أشرف العرب:

الارب من يدعى فتى ليس بالفتى      إلا إن ربي ابن كاس هو الفتى  
طويل قعود القوم في قعر بيته      إذا شبعوا من ثقل جفته سقى

كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان، فقال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار،

ليلة بعدما علم علمهم، طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من  
عسكر خاقان فوقف، فلما كان وجه الصبح خرج فارس من  
الترك بطوقه، وضرب بطله، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه  
مثله، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف  
فقتله، وهو يرتجز ويقول:

إن على كل رئيس حقاً أن يخضب الصعدة أو تندقا  
إن لنا شيخاً بها ملقى سيف أبي حفص الذي تبقى  
ثم وقف موقف التركي وأخذ طوقه، وخرج آخر من  
الترك، ففعل فعل صاحبه الأول، ثم وقف دونه فحمل عليه  
الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

إن الرئيس يرتسي ويطلع ويمنع الخلاء إما أربعوا  
ثم وقف موقف التركي الثاني، وأخذ طوقه، ثم خرج  
ثالث من الترك، ففعل فعل الرجلين، ووقف دون الثاني منهما،  
فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف، فقتله  
وهو يرتجز:

جري الشموس ناجزاً بناجز محتضلاً في جريه مشارز  
ثم انصرف الأحنف إلى عسكره، ولم يعلم بذلك أحد  
منهم حتى دخله واستعد. وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون  
حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء، كلهم يضرب بطله، ثم  
يخرجون بعد خروج الثالث، فخرجت الترك ليلتذ بعد الثالث،  
فاتوا على فرسانهم مقتلين، فشاءم خاقان وتطير، فقال: قد طال  
مقامنا، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط، ما لنا  
في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فكان وجوههم  
راجعين، وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً، وأتاهم الخبر  
بانصراف خاقان إلى بلخ. وقد كان يزودجرد بن شهریار بن كسرى  
ترك خاقان بمرور الروذ وخرج إلى مرو الشاهجان، فتحصن منه  
حاتم بن النعمان ومن معه، فحصرهم واستخرج خزائنه من  
موضعها، وخاقان ببلخ مقيم له، فقال المسلمون للأحنف: ماترى  
في اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. ولما جمع يزودجرد ما  
كان في يديه ما وضع بمرور، فأعجل عنه، وأراد أن يستقل به منها،  
إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس، وأراد اللحاق بخاقان  
فقال له أهل فارس: أي شيء تريد أن تصنع؟ فقال: أريد اللحاق  
بخاقان، فأكون معه أو بالصين، فقالوا له: مهلاً فإن هذا رأي  
سوء، إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك،  
ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم، فإنهم أوفياء وأهل  
دين، وهم يولون بلادنا، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا ملكة  
من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم، ولا ندري ما وفاؤهم، فأبى  
عليهم وأبوا عليه، فقالوا: فدع خزائنا نردها إلى بلادنا ومن

فقال علي: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سيفضون منها  
ثلاث مرات، فيجتاحون في الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها  
أحب إلي من أن يكون بالمسلمين..

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عبد  
الرحمن الفزاري، عن أبي الجنوب الإشكري، عن علي بن أبي  
طالب عليه السلام، قال: لما قدم عمر على فتح خراسان، قال:  
لوددت أن بيننا وبينها مجراً من نار، فقال علي: وما يشتد عليك  
من فتحها! فإن ذلك لموضع سرور، قال: أجل ولكني... حتى  
أتى على آخر الحديث.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عيسى بن  
المغيرة، وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن  
خليدة، قال: لما بلغ عمر غلبة الأحنف على المروين وبلغ، قال:  
وهو الأحنف، وهو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه. وكتب  
عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزن النهر واقتصر على ما  
دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على  
الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر، وإياكم أن تعبروا  
فتفصوا.

ولما بلغ رسولا يزودجرد خاقان وغوزك، لم يستب لهما  
إنجاده حتى عبر إليهما النهر مهزوماً، وقد استتب فأنجده خاقان -  
والملوك ترى على أنفسهم إنجاد الملوك - فأقبل في الترك، وحشر  
أهل فرغانة والصغد، ثم خرج بهم، وخرج يزودجرد راجعاً إلى  
خراسان، حتى عبر إلى بلخ، وعبر معه خاقان، فأرز أهل الكوفة  
إلى مرو الروذ إلى الأحنف، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا  
على الأحنف بمرور الروذ. وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان  
والصغد نهر بلخ غاضياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمع: هل  
يسمع برأي ينتفع به؟ فمر برجلين ينقيان علفاً، إما تبناً وإما  
شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا  
الجبيل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا  
من أن نؤتي من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن  
ينصرتنا الله. فرجع واجتزأ بها، وكان في ليلة مظلمة، فلما أصبح  
جمع الناس، ثم قال: إنكم قليل، وإن عدوكم كثير، فلا يهولنكم،  
فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين،  
ارتحلوا من مكانكم هذا، فأسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في  
ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقتلوه من وجه  
واحد. ففعلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من  
أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم. وأقبلت الترك ومن أجلبت  
حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم ويرواحونهم ويتحنون عنهم  
بالليل ما شاء الله. وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل، فخرج



ثلاث: إما دينهم فإن أجبنهم أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنايضة. قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت أطوع قوم لمرشدهم، قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأخبرته، فقال: أبحرهم ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم؟ قلت: لا، قال: فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم. ثم قال: أخبرني عن لباسهم، فأخبرته، وعن مطاياهم، فقلت: الخيل العرب - ووصفتها - فقال: نعمت الحصون هذه! ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بمحملها، فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق.

وكتب معي إلى يزجرد كتاباً: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمر و آخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلى سربهم أزالوني ماداموا على ما وصف، فسألهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهجمهم ما لم يهيجوك. وأقام يزجرد وآل كسرى بفرغانة، معهم عهد من خاقان. ولما وقع الرسول بالفتح والرفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قبل الأحنف، جمع الناس وخطبهم، وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم، فقال في خطبته: إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله ﷺ وما بعثه به من الهدى، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة. فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر جنده. ألا إن الله قد أهلك ملك الجوسية، وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم. ألا وإن الله قد أورتكم أرضهم وديارهم وأمواهم وأبناءهم، لينظر كيف تعملون! ألا وإن المصرين من مسالحها اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد، وقد غلوا في البلاد، والله بالغ أمره، ومنجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعهده، ويؤتكم وعده، ولا تبدلوا ولا تغروا، فيستبدل الله بكم غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم.

قال: أبو جعفر: ثم إن أداني أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمان عثمان بن عفان لستين خلتا من إمارته، وسنذكر بقية خبر انتقاضهم في موضعه إن شاء الله مع مقتل يزجرد.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكانت عماله على الأمصار فيها عماله الذين كانوا عليها سنة إحدى وعشرين غير الكوفة والبصرة، فإن عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبا موسى الأشعري.

بليها، ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرها، فأبى، فقالوا: فلنا لا ندعك، فاعتزلوا وتركوه في حاشيته، فاستولوا، فهزموه وأخذوا الخزان، واستولوا عليها ونكبوه، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر، فاعترضهم المسلمون والمشركون بمر و يفتنونه، فقاتلوه وأصابوه في آخر القوم، وأعجلوه عن الأثقال، ومضى موثقاً حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك، فلم يزل مقيماً زمان عمر ﷺ كله يكتائبهم ويكاتبونه، أو من شاء الله منهم. فكفر أهل خراسان زمان عثمان. وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقده، ودفعوا إليه تلك الخزان والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأمواهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة، فكانوا كأنما هم في ملكهم، إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاعتبطوا وغبطوا، وأصاب الفارس يوم يزجرد كسهم الفارس يوم القادسية.

ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزجرد حتى نزل بمر، فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان. أوى إلى طاحونة، فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرحا، فقتلوه ثم رموا به في النهر.

ولما أصيب يزجرد بمر - وهو يومئذ خنثى في طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكرمان - فاحتوى فيه المسلمون والمشركون، وبلغ ذلك الأحنف، فسار من فوره ذلك في الناس إلى بلخ يريد خاقان، ويتبع حاشية يزجرد وأهله في المسلمين والمشركون من أهل فارس، وخاقان والترك ببلخ. فلما سمع بما ألقى يزجرد وبخروج المسلمين مع الأحنف من مرو الروذ نحو، ترك بلخ وعبر النهر، وأقبل الأحنف حتى نزل بلخ، ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع، ثم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها، وكتب بفتح خاقان ويزجرد إلى عمر وبعث إليه بالأنحاس، ووقد إليه الوفود. قالوا: ولما عبر خاقان النهر، وعبرت معه حاشية آل كسرى، أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزجرد، لقوا رسول يزجرد الذي كان بعث إلى ملك الصين، وأهدي إليه معه هدايا، ومعه جواب كتابه من ملك الصين. فسأله عما وراءه، فقال: لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافانا بما ترون - وأراهم هديته. وأجاب يزجرد، فكتب إليه بهذا الكتاب بعدما كان قال لي: قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم فقلت: سلمي عما أحبيت، فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقا تلوكم؟ قلت يدعوننا إلى واحدة من

الأخاس.

## السنة الثالثة والعشرون

## فتح إصطخر

قال: وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر، فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور، وفتح المسلمون إصطخر، فقتلوا ما شاء الله، وأصابوا ما شاءوا، وفر من فر. ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة، فراسلوه وراسلهم، فأجابهم الهربذ وكل من هرب أوتنحي، فتراجعوا وباحوا بالجزاء، وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم، فخمسه وبعث بالخمس إلى عمر، وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس، وعفت الجند عن النهاب، وأدوا الأمانة، واستدقوا الدنيا. فجمعهم عثمان، ثم قام فيهم، وقال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلاً، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون، ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان، عن الحسن، قال: قال عثمان بن أبي العاص يوم إصطخر: إن الله إذا أراد بقوم خيراً كفهم، ووفر أمانتهم، فاحفظوها، فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم.

ثم إن شهرك خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان، ونشط أهل فارس، ودعاهم إلى النقص، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية، وبعث معه جنود أمد بهم، عليهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد البجلي، فالتقوا بفارس، فقال شهرك لابنه وهو في المعركة، وبينهم وبين قرية تدعى ريشهر ثلاثة فراسخ، وكان بينهم وبين قراهم اثنا عشر فرسخاً: يابني أين يكون غداؤنا؟ ها هنا أو ريشهر؟ فقال: يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا ها هنا ولا ريشهر، ولا يكون إلا في المنزل، ولكن والله ما أراهم يتركوننا. فما فرغوا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، قتل فيه شهرك وابنه، وقتل الله جل وعز منهم مقتلة عظيمة، وولى قتل شهرك الحكم بن أبي العاص بن بشر بن دهمان، أخو عثمان.

وأما أبو معشر فإنه قال: كانت فارس الأولى وإصطخر الآخرة في سنة ثمان وعشرين. قال: وكانت فارس الآخرة وجور سنة تسع وعشرين، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثني من سمع إسحاق بن عيسى، يذكر ذلك عن أبي معشر. وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبريه المروزي، قال حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن صالح، قال: حدثني عبيد الله، قال:

فكان فيها فتح إصطخر في قول أبي معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت إصطخر الأولى وهمذان سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي مثل ذلك. وقال سيف: كان فتح إصطخر بعد توج الآخرة.

## ذكر الخبر عن فتح توج

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس، ومعهم سارية بن زينم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوج، فلم يصمدوا لجمعهم بجمعهم، ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها، وبلغ ذلك أهل فارس، فافترقوا إلى بلدانهم، كما افترق المسلمون ليمنعوها، وكانت تلك هزيمتهم ونشبت أمورهم وتفرق جموعهم، فتطير المشركون من ذلك، وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خره فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوج وأهل فارس، فاقتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عز وجل هزم أهل توج للمسلمين، وسلط عليهم المسلمين، فقتلوههم كل قتلة، وبلغوا منهم ما شاءوا، وغنمهم ما في عسكرهم فحروه، وهذه توج الآخرة، ولم يكن لها بعدها شوكة، والأولى التي تنفذ فيها جنود العلاء أيام طائوس، الرقعة التي اقبلوا فيها، والوقعتان الأولى والآخرة كلتاها متساجلتان. ثم دعوا إلى الجزية والذمة، فراجعوا وأقروا، وخمس مجاشع الغنائم، وبعث بها، ووفد وفداً، وقد كانت البشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله ﷺ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج، فحاصرناها، وقتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها وحوينا نهبا كثيراً، وقتلنا قتلى عظيمة، وكان علي قميص قد تحرق، فأخذت إبرة وسلماً وجعلت أخيط قميصي بها. ثم إنني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته، فأثيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته، فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة. ردوا ولو المخطط. فلما سمعت ذلك نزعتم القميص فآلقته في

ماشاء الله. ثم إنهم استمدوا، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان أربهم والمسلمون بصحراء، إن أقاموا فيها أحبط بهم، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد. ثم قام فقال: يا أيها الناس، إنني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بمحالهما - ثم قال: يا سارية، الجبل، الجبل! ثم أقبل عليهم، وقال: إن الله جنوداً، ولعل بعضها أن يبلغهم، ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد، فهزمهم الله لهم، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمر دثار بن أبي شبيب، عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء، عن رجل من بني مازن، قال: كان عمر قد بعث سارية بن زئيم الدؤلي إلى فسا ودارا مجرد، فحاصروهم. ثم إنهم تداعوا فأصحروا له، وكثروه فأتوه من كل جانب، فقال عمر وهو يخطف في يوم جمعة: يا سارية بن زئيم، الجبل، الجبل! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل، إن لجئوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فلجئوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزمهم، فأصاب مغنائهم، وأصاب في المغانم سقفاً فيه جواهر، فاستوهبه المسلمين لعمر، فوهبوه له، فبعث به مع رجل، وبالفتح. وكان الرسل والوفد يجازون وتقضى لهم حوائجهم، فقال له سارية: استقرض ما تبلغ به وما تخلفه لأهلك على جائزتك. فقدم الرجل البصرة، ففعل، ثم خرج فقدم على عمر، فوجده يطعم الناس، ومعه عصاه التي يزرع بها بعيره، فقصد له، فأقبل عليه بها، فقال: اجلس، فجلس حتى إذا أكل القوم انصرف عمر، وقام فأتبعه، فظن عمر أنه رجل لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخل - وقد أمر الخباز أن يذهب بالخبز إلى مطبخ المسلمين - فلما جلس في البيت أتى بغدائه خبز وزيت وملح جريش، فوضع وقال: ألا تحرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إنني لأسمع حس رجل، فقال: أجل، فقالت: لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة، فقال: أو ما ترضين أن يقال: أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر! فقالت: ما أقل غناء ذلك عني! ثم قال للرجل: ادن فكل، فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى، فأكلا حتى إذا فرغ قال: رسول سارية بن زئيم يا أمير المؤمنين. فقال: مرحباً وأهلاً، ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية بن زئيم، فأخبره، ثم أخبره بقصة الدرج، فنظر إليه ثم

أخبرنا عبيد الله بن سليمان، قال: كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص في ألفين إلى توج، وكان كسرى قد فر عن المدائن، ولحق بجور من فارس.

قال: فحدثني زياد مولى الحكم بن أبي العاص، عن الحكم بن أبي العاص، قال: قصد إلى شهرك - قال عبيد: وكان كسرى أرسله - قال الحكم: فصعد إلي في الجنود فهبطوا من عقبة، عليهم الحديد، فخشيت أن تعثر أبصار الناس، فأمرت منادياً، فنادى أن من كان عليه عمامة فليلقها على عينيه، ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره، وناديت أن حطوا عن دوابكم. فلما رأى شهرك ذلك حط أيضاً. ثم ناديت: أن اركبوا، فصفقنا لهم وركبوا، فجعلت الجارود العبيدي على اليمين وأباً صفرة على اليسرة - يعني أبا المهلب - فحملوا على المسلمين فهزمهم، حتى ما أسمع لهم صوتاً، فقال لي الجارود: أيها الأمير، ذهب الجند، فقلت: إنك ستري أمرك، فما لبثنا أن رجعت خيلهم، ليس عليها فرسانها، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنشرت الرووس بين يدي، ومعني بعض ملوكهم - يقال له المكبر، فارق كسرى ولحق بي - فأنيت برأس ضخم، فقال المكبر: هذا رأس الازدهاق - يعني شهرك - فحوصروا في مدينة سابور، فصالحهم - وملكهم آذريان - فاستعان الحكم بآذريان على قتال أهل إصطخر، ومات عمر رضي الله عنه، فبعث عثمان عبيد الله بن معمر مكانه، فبلغ عبيد الله أن آذريان يريد أن يغدر بهم، فقال له: إني أحب أن تتخذ لأصحابي طعاماً، وتذبح لهم بقرة، وتجعل عظامها في الجفنة التي تلبي، فإني أحب أن أتمشش العظام. ففعل، فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفئوس، فكسره بيده، فيتمخه - وكان من أشد الناس - فقام الملك، فأخذ برجله، وقال: هذا مقام العائذ. فأعطاه عهداً، فأصاب عبيد الله منجنيقة، فأوصاهم، فقال: إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بي فيها ساعة. ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً.

وكان عثمان بن أبي العاص لحق الحكم، وقد هزم شهرك، فكتب إلى عمر: إن بيني وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتيني العدو منها. وكتب صاحب الكوفة يمثل ذلك: إن بيني وبين كذا فرجة. فاتفق عنده الكتابان، فبعث أبا موسى في سبعمائة، فأنزلهم البصرة.

### ذكر فتح فسا ودارا مجرد

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: وقصد سارية بن زئيم، فسا ودارا مجرد، حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصروهم

أنا فدا فدها حي، فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروا خشية أن يصيبوا منها شيئاً، فيخفروا. قسم أهل سجستان على الخراج والمسلمون على الإعطاء، فكانت سجستان أعظم من خراسان، وأبعد فروجاً، يقاتلون القندهار والترك وأما كثيرة، وكانت فيما بين السند إلى نهر بلخ بجباله، فلم تزل أعظم البلدين، وأصعب الفرجين، وأكثرهما عدداً وجنداً، حتى زمان معاوية فهرب الشاه من أخيه - واسم أخيه الشاه يومئذ رتبيل - إلى بلد فيها يدعى آمل، ودانوا لسليم بن زياد، وهو يومئذ على سجستان، ففرح بذلك وعقد لهم، وأنزلهم بتلك البلاد، وكتب إلى معاوية بذلك يرى أنه قد فتح عليه. فقال معاوية: إن ابن أخي ليفرح بأمر إنه ليحزنني وينبغي له أن يحزنه، قالوا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق، وهؤلاء قوم نكر غدر، فيضطرب الجبل غداً، فاهون ما يبيع منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها. وتم لهم على عهد ابن زياد، فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه، وغلب على آمل، وخاف رتبيل الشاه فاعتصم منه مكانه الذي هو به اليوم، ولم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع في زرنج، فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة، فصار رتبيل والذين جاؤوا معه، فزلوا تلك البلاد شجاً لم ينتزع إلى اليوم، وقد كانت تلك البلاد مذلة إلى أن مات معاوية.

### فتح مكران

قالوا: وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران، حتى انتهى إليها، ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب، فانضم إليه، وأمه سهيل بن عدي، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان بأنفسهما، فأتوها إلى دوين النهر، وقد انفض أهل مكران إليه حتى نزلوا على شاطئه، فعسكروا وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند، فازدلف بهم مستقبل المسلمين. فالتقوا فاقتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام بعدما كان قد انتهى إليه أوائلهم، وعسكروا به ليلحق آخرهم، فهزم الله راسل وسلبه وأباح المسلمين عسكره وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعوهم يقتلونهم أياماً حتى انتهوا إلى النهر. ثم رجعوا فأقاموا بمكران. وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع صحرار العبدى، واستأمره في الفيلة، فقدم صحرار على عمر بالخبر والمغانم، فسأله عمر عن مكران - وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه - فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشيل، وغمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها. فقال: أسجاع أنت أم مخير؟ قال: لا بل مخير، قال: لا، والله لا يغزوها جيش لي

صاح به، ثم قال: لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنني قد أنضيت إبلي واستقرضت في جائزتي، فاعطني ما أتبلغ به، فما زال عنه حتى أبدله بعيراً ببعيره من إبل الصدقة، وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً حتى قدم البصرة، فنفذ لأمر عمر، وقد كان سأل أهل المدينة عن سارية، وعن الفتح وهل سمعوا شيئاً يوم الواقعة؟ فقال: نعم، سمعنا: يا سارية، الجبل، وقد كدنا نهلك، فلجاناً إليه، ففتح الله علينا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الجالد، عن الشعبي، مثل حديث عمرو.

### ذكر فتح كرمان

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: وقصد سهيل بن عدي إلى كرمان، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وعلى مقدمة سهيل بن عدي النسير بن عمرو العجلي، وقد حشد له أهل كرمان واستعانوا بالقفس، فاقتلوا في أدنى أرضهم، ففضهم الله، فأخذوا عليهم بالطريق، وقتل النسير مرزبانها، فدخل سهيل من قبل طريق القرى اليوم إلى جيرفت، وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير، فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاء، فقوموا الإبل والغنم فتحاصروها بالأثمان لعظم البخت على العراب، وكرهوا أن يزيدوا، وكتبوا إلى عمر، فكتب إليهم: إن البعير العربي إنما قوم بتعير اللحم، وذلك مثله، فإذا رأيتم أن في البخت فضلاً فزيدوا فإنما هي من قيمه.

وأما المدائني، فإنه ذكر أن علي بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبي حريذة - وكان قاضي قهستان - عن مرزبان قهستان، قال: فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر بن الخطاب، ثم أتى الطبيين من كرمان، ثم قدم على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إني افتتحت الطبيين فأقطعنيهما، فأراد أن يفعل، فقتل لعمر: إنهما رستاقان عظيمان، فلم يقطعه إياهما، وهما بابا خراسان.

### ذكر فتح سجستان

قالوا: وقصد عاصم بن عمرو لسجستان، ولحقه عبد الله بن عمير، فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سجستان في أدنى أرضهم، فهزموهم ثم أتبعوهم، حتى حصروهم بزرنج، وغزوا أرض سجستان ما شاءوا. ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الأرضين، فاعطوه، وكانوا قد اشتراطوا في صلحهم

ما أطعت، وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألا يجوز  
مكران أحد من جنودكما، واقتصرا على ما دون النهر، وأمره  
ببيع القيلة بأرض الإسلام، وقسم أثمانها على من أفاءها الله  
عليه.

وقال الحكم بن عمرو في ذلك:

لقد شيع الأراسل غير فخر بفيء جاءهم من مكران  
أتاهم بعد مسغبة وجهد وقد صفر الشتاء من الدخان  
فإني لا يذم الجيش فعلي ولا سيفي يذم ولا سنانني  
غداة أذفع الأوباش دفعا إلى السند العريضة والملدانسي  
ومهران لنا فيما أردنا مطيع غير مسترخي العنان  
فلولا ما نهى عنه أميري قطعناه إلى البلد الزوانسي

### خبر يروذ من الأهواز

قالوا: ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع بيروذ جمع  
عظيم من الأكراد وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى  
حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهي إلى ذمة  
البصرة، كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يستلحم  
بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف، أو يخلفوا في أعقابهم، فكان  
الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ، وقد أبطأ أبو موسى حتى  
تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزل بيروذ على الجمع الذي  
تجمعوا بها في رمضان، فالتقوا بين نهر تيرى ومناذر، وقد توافى  
إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد، ليكيدوا المسلمين،  
وليصيبوا منهم عورة، ولم يشكوا في واحدة من اثنتين. فقام  
المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل، فقال لأبي موسى: أقسم  
على كل صائم لما رجع فأفطر. فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار  
القسم، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال،  
وتقدم فقاتل حتى قتل، وهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة  
وذلة، وأقبل أخوه الربيع، فقال: هيم يا والي الدنيا، واشتد جزعه  
عليه، فرق أبو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه،  
فخلفه عليهم في جند، وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، فلقى  
بها جنود أهل الكوفة محاصري جي، ثم انصرف إلى البصرة، بعد  
ظفر الجنود، وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروذ من نهر  
تيرى، وأخذ ما كان معهم من السبي، ففتق أبو موسى رجالاً  
منهم ممن كان لهم فداء - وقد كان الفداء أرد على المسلمين من  
أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم - ووفد الوفود والأخاس، فقام  
رجل من عنزة فاستوفده، فأبى، فخرج فسعى به فاستجلبه عمر،  
وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا في أمر خادمه، فضعفه  
فرده إلى عمله، وفجر الآخر، وتقدم إليه في ألا يعود لمثلها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد  
وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: لما رجع أبو موسى عن أصبهان  
بعد دخول الجنود الكور، وقد هزم الربيع أهل بيروذ، وجمع  
السبي والأموال، فغدا على ستين غلاماً من أبناء الدهاقين تنقاهم  
وعزهم، وبعث بالفتح إلى عمر، ووفد وفداً فجاءه رجل من  
عنزة، فقال: اكتبي في الوفد، فقال: قد كتبنا من هو أحق منك،  
فانطلق مغاضباً مراغماً، وكتب أبو موسى إلى عمر: إن رجلاً من  
عنزة، يقال له ضبة بن محصن، كان من أمره.. وقص قصته. فلما  
قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر قدم العنزي فأتى عمر  
فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرجباً ولا أهلاً  
فقال: أما المرجب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل، فاختلف إليه  
ثلاثاً، يقول له هذا ويرد عليه هذا، حتى إذا كان في اليوم الرابع،  
دخل عليه، فقال: ماذا قممت على أميرك؟ قال: تنقى ستين غلاماً  
من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تدعى عقيلة، تغدي جفنة  
وتعشى جفنة، وليس منا رجل يقدر على ذلك، وله قفيزان، وله  
خاتمان، وفوض إلى زياد بن أبي سفيان - وكان زياد يلي أمور  
البصرة - وأجاز الخطيئة بألف. فكتب عمر كل ما قال.

فبعث إلى أبي موسى، فلما قدم حجه أياماً، ثم دعا به،  
ودعا ضبة بن محصن، ودفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتبت،  
فقرأ: أخذ ستين غلاماً لنفسه. فقال أبو موسى: دللت عليهم  
وكان لهم فداء ففديتهم، فأخذته فقسمته بين المسلمين، فقال  
ضبة: والله ما كذب ولا كذبت، وقال: له قفيزان، فقال أبو  
موسى: قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم،  
يأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت، فلما  
ذكر عقيلة سكنت أبو موسى ولم يعتذر، وعلم أن ضبة قد صدقه.  
قال: وزياد يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي، قال: وجدت  
له نبلاً ورأياً، فاستندت إليه عملي. قال: وأجاز الخطيئة بألف،  
قال: سددت فمه بما لي أن يشتني، فقال: قد فعلت ما فعلت.  
فرده عمر وقال: إذا قدمت فارسل إلي زياداً وعقيلةً ففعل،  
فقدمت عقيلة قبل زياد، وقدم زياد، فقام بالباب، فخرج عمر  
وزياد بالباب قائم، وعليه ثياب بياض كتان، فقال له: ما هذه  
الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير، وصدقه  
فقال له: كم عطاؤك؟ قال ألفان، قال: ما صنعت في أول عطاء  
خرج لك؟ قال: اشترت والدتي فأعتقتها، واشترت في الثاني  
ربيبي عبيداً فأعتقته، فقال: وفقت، وسأله عن الفرائض والسنن  
والقرآن، فوجده فقيهاً. فرده، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه،  
وحبس عقيلة بالمدينة. وقال عمر: إلا إن ضبة العنزي غضب  
على أبي موسى في الحق أن أصابه، وفارقه مراغماً أن فاتته أمر  
من أمور الدنيا، فصدق عليه وكذب، فافسد كذبه صدقه، فإياكم

حلية، فقال: إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فطبيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين، فإن له برداً ومؤونة؟ قالوا: نعم، قد طبابت أنفسنا. قال: فجعل تلك الحلية في سبط، ثم بعث برجل من قومه، فقال: اركب بها، فإذا آتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راكبتين، فأورقهما زاداً لك ولغلامك، ثم سر إلى أمير المؤمنين.

قال: ففعلت، فأتيت أمير المؤمنين وهو يغدي الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القصاع، يقول يا يرفا، زد هؤلاء لحماً، زد هؤلاء خبزاً، زد هؤلاء مرقاً، فلما دفعت إليه، قال: اجلس، فجلست في أدنى الناس، فإذا طعام فيه خشونة طعمي، الذي معي أطيب منه. فلما فرغ الناس من قصاعهم قال: يا يرفا، ارفع قصاعك ثم أدير، فأتبعته فدخل داراً، ثم دخل حجرة، فاستأذنت وسلمت، فأذن لي، فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من آدم محشوتين ليفاً، فنبتذ إلي بإحداهما، فجلست عليها، وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستر، فقال: يا أم كلثوم، غداً أنا فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق، فقال: يا أم كلثوم، ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟ قالت: إني أسمع عندك حس رجل، قال: نعم ولا أراه من أهل البلد - قال: فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني - قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته، وكما كسا الزبير امرأته، وكما كسا طلحة امرأته! قال: أو ما يكفيك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر! فقال: كل، فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا. قال: فاكلت قليلاً - وطعمي الذي معي أطيب منه - وأكل، فما رأيت أحداً أحسن أكلًا منه ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بعس من سلت فقال: أعط الرجل، قال: فشربت قليلاً، سويقي الذي معي أطيب منه، ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته، وقال: الحمد لله الذي أطعنا فاشبعنا، وسقانا فأروانا. قال: قلت: قد أكل أمير المؤمنين شبع وشرب فروي، حاجتي يا أمير المؤمنين! قال: وما حاجتك؟ قال: قلت: أنا رسول سلمة بن قيس، قال: مرحباً بسلمة بن قيس ورسوله، حدثني عن المهاجرين كيف هم؟ قال: قلت: هم يا أمير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم. قال: كيف أسعارهم؟ قال: قلت: أرخص أسعار. قال: كيف اللحم فيهم فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها؟ قال: قلت: البقرة فيهم بكذا، والشاة فيهم بكذا، يا أمير المؤمنين، سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمرنا به من الإسلام فأبوا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة الذرية، وجمعنا الرثة فرأى سلمة بن قيس شيئاً من

والكذب، فإن الكذب يهدي إلى النار. وكان الخطيئة قد لقيه فأجازه في غزاة بيروذ، وكان أبو موسى قد ابتدا حصارهم وغزاتهم حتى فلقهم، ثم جازهم ووكل بهم الربيع، ثم رجع إليهم بعد الفتح فولي القسم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، عن أسيد بن المششم ابن أخي الأحنف بن قيس، قال: شهدت مع أبي موسى يوم أصبهان فتح القرى، وعليها عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن ورقاء الأسدي. ثم إن أبا موسى صرف إلى الكوفة، واستعمل على البصرة عمر بن سراقه المخزومي، بدوي.

ثم إن أبا موسى رد على البصرة، فمات عمر وأبو موسى على البصرة على صلاتها، وكان عملها مفترقاً غير مجموع، وكان عمر ربما بعث إليه فأمد به بعض الجنود، فيكون مدداً لبعض الجيوش.

### ذكر خير سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

حدثني عبد الله بن كثير العبدي، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا أبو جناب، قال: حدثنا أبو المحجل الرديني، عن غلد البكري وعلقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال: سر باسم الله، قاتل في سبيل الله من كفر بالله، فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوه إلى ثلاث خصال: ادعوه إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعلهم في أموالهم الزكاة، وليس لهم في فيء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم، وعليهم مثل الذي عليكم، فإن أبوا فادعوه إلى الخراج، فإن أقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم، وفرغوهم لخراجهم، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإن الله ناصرهم عليهم، فإن تحصنوا منكم في حصن فسالوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله، فلا تنزلوهم على حكم الله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم! وإن سالوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، وأعطوهم ذمة أنفسكم، فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً. قال سلمة: فسرنا حتى لقينا عدونا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأبوا أن يسلموا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يقروا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وجمعنا الرثة فرأى سلمة بن قيس شيئاً من

وسائر الحديث نحو حديث عبد الله بن كثير.

وحدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا شهاب بن خراش الحوشبي، قال: حدثنا الحجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، عن شقيق بن سلمة الأسدي، قال: حدثنا الذي جرى بين عمر بن الخطاب وسلمة بن قيس، قال: ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الأشجعي بالحيرة، فقال: انطلقوا باسم الله... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر.

قال أبو جعفر: وحج عمر بأزواج رسول الله ﷺ في هذه السنة، وهي آخر حجة حجها بالناس، حدثني بذلك الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن الواقدي.

### ذكر الخبر عن وفاة عمر

وفي هذه السنة كانت وفاته.

### ذكر الخبر عن مقتله:

حدثني سلم بن جنادة قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن غرمة - وكانت أمه عاتكة بنت عوف - قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المخيرة بن شعبة، وكان نصرانياً، فقال: يا أمير المؤمنين، أعندي على المغيرة بن شعبة، فإن علي خراجاً كثيراً قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال: وأيش صنعك؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، فقد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل راحاً تطحن بالريح فعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي راحاً، قال: لئن سلمت لأعملن لك راحاً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعدني العبد آنفاً قال: قال: ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحماس فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة، قال عمر: ألكه إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فنى أجلك - قال: وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً - فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، قال: ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها. قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف

وجمعنا الرثة، فرأى سلمة في الرثة حلية، قال للناس: إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً فتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين؟ فقالوا: نعم. فاستخرجت سبطي، فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر، وثب ثم جعل يده في خاصرته، ثم قال: لا أشبع الله إذا بطن عمر! قال: فظن النساء أنني أريد أن أغتاله، فجنن إلى السر، فقال كف ما جئت به، يا يرفا، جا عنقه. قال: فأنأصلح سبطي وهو يحيا عنقي! قلت: يا أمير المؤمنين أبدع بي فاحلني، قال: يا يرفا أعطه راحلتين من الصدقة، فإذا لقيت أقرر إليهما منك فادفعهما إليه. قلت: أفعل يا أمير المؤمنين، فقال: أما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقة.

قال: فارتحلت حتى أتيت سلمة، فقلت ما بارك الله لي فيما اختصصني به، أقسم هذا في الناس قبل أن تصيبي وإياك فاقة، فقسمه فيهم، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم، وهو خير من عشرين ألفاً.

وأما السري فإنه ذكر - فيما كتب به إلي يذكر عن شعيب، عن سيف، عن أبي جناب، عن سليمان بن بريدة - قال: لقيت رسول سلمة بن قيس الأشجعي، قال: كان عمر بن الخطاب إذا اجتمع إليه جيش من العرب... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر بن عون، غير أنه قال: في حديثه عن شعيب عن سيف: وأعطوهم ذمم أنفسكم. قال: فلقينا عدونا من الأكراد، فدعوناهم.

وقال أيضاً: وجمعنا الرثة، فوجد فيها سلمة حقتين جوهرأ فجعلها في سبط.

وقال أيضاً: أو ما كفاك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطاب! قالت: إن ذلك عني لقليل الغناء، قال: كل.

وقال أيضاً: فجأؤوا بعس من سلت، كلما حركوه فار فوقه بما فيه، وإذا تركوه سكن. ثم قال: اشرب فشربت قليلاً، شرابي الذي معي أطيب منه، فأخذ القدح فضرب به جبهته. ثم قال: إنك لضعيف الأكل، ضعيف الشرب.

وقال أيضاً: قلت: رسول سلمة، قال: مرجبا بسلمة ورسوله، وكأنا خرجت من صلبه: حدثني عن المهاجرين.

وقال أيضاً: ثم قال: لا أشبع الله إذا بطن عمر! قال: وظن النساء أنني قد اغتلت، فكشفن السر، وقال: يا يرفا، جا عنقه، فوجأ عنقي وأنا أصيح، وقال: النجاء، وأظنك مستبطئ. وقال: أما والله الذي لا إله غيره لئن تفرق الناس إلى مشاتهم...

قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين لو دعوت الطبيب! قال: فدعى طبيب من بني الحارث بن كعب، فسقاه نبيذاً فخرج النبيذ مشكلاً، قال: فاسقوه لبناً، قال: فخرج اللبن مضاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين، اعهده، قال: قد فرغت.

قال: ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.

قال: فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء، فدفن في بيت عائشة مع النبي ﷺ وأبي بكر. قال: وتقدم صهيب فضلى عليه، وتقدم قبل ذلك رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ: علي وعثمان، قال: فتقدم واحد من عند رأسه، والآخر من عند رجله، فقال عبد الرحمن: لا إله إلا الله، ما أحرصكما على الإمرة! أما علمتما أن أمير المؤمنين قال: ليصل بالناس صهيب! فتقدم صهيب فضلى عليه. قال: ونزل في قبره الخامسة.

قال أبو جعفر: وقد قيل: إن وفاته كانت في غرة المحرم سنة أربع وعشرين. ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه قال: طعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، من متوفى أبي بكر، على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة. ويبيع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم.

قال: فذكرت ذلك لعثمان الأحنسي، فقال: ما أراك إلا وهلت، توفي عمر رضي الله تعالى عنه لأربع ليال بقيت من ذي الحجة، ويبيع لعثمان بن عفان ليلة بقيت من ذي الحجة، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محمد، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: قتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقيت من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، ثم يبيع عثمان بن عفان.

قال: أبو جعفر: وأما المدائني، فإنه قال فيما حدثني عمر عنه، عن شريك، عن الأعمش أو عن جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد، عن أشياخ من قومه،

رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبر. قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له أسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سترته، وهي التي قتله وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي - وكان خلفه - فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا، قال: تقدم فصل بالناس، قال: فصلى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إني أريد أن أعهده إليك، فقال: يا أمير المؤمنين نعم، إن أشرت علي قبلت منك، قال: وما تريد؟ قال: أنشدك الله، أتشرت علي بذلك؟ قال: اللهم لا، والله لا أدخل فيه أبداً، قال: فهب لي صمتاً حتى أعهده إلى نفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. ادع لي علياً وعثمان والزيبر وسعداً. قال: وانتظروا إناحكم طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم، أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم، وليصل بالناس صهيب.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري، فقال: قم على بابهم، فلا تدع أحداً يدخل إليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، أن يحسن إلى محسنهم وأن يعفو عن مسيئتهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب، فإنها مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فيوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة من بعدي بدمه رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت! تركت الخليفة من بعدي على ألقى من الراحة، يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ وأبي بكر، يا عبد الله بن عمر، إن اختلفت القوم فكن مع الأكثر، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن، يا عبد الله ائذن للناس، قال: فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه، ويقول لهم: أعن ملا منكم كان هذا؟ فيقولون: معاذ الله! قال: ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعدني كعب ثلاثاً أعدداً ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إني لبيت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب



حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال: قال ابن شهاب، بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يأتون ذلك من قولهم، ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئاً.

### ذكر صفته

حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا وكيع، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبیش، قال: خرج عمر في يوم عيد - أو في جنازة زينب - آدم طوالاً أصلع أعسر يسراً، يمشي كأنه راكب.

حدثنا هناد، قال: حدثنا شريك، عن عاصم، عن زر، قال: رأيت عمر يأتي العيد ماشياً حافياً أعسر أيسر متلياً برداً قطرياً، مشرفاً على الناس كأنه على دابة، وهو يقول: أيها الناس، هاجروا ولا تهجروا.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيت عمر رجلاً أبيض أمهق، تعلوه حمرة، طوالاً أصلع.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا شعيب بن طلحة، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، قال: سمعت ابن عمر يصف عمر يقول: رجل أبيض، تعلوه حمرة، طوال، أشيب، أصلع.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا خالد بن أبي بكر، قال: كان عمر يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء.

### ذكر مولده ومبلغ عمره

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين.

قال أبو جعفر: واختلف السلف في مبلغ سني عمر، فقال بعضهم: كان يوم قتل ابن خنس وخمسين سنة.

ذكر بعض من قال ذلك.

وحدثني زيد بن أخزم الطائي، قال: حدثنا أبو قتيبة، عن

عثمان بن عبد الرحمن، عن إبي شهاب الزهري، قالوا: طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة. قال: وقال غيرهم: لست بقين من ذي الحجة.

وأما سيف، فإنه قال فيما كتب إلي به السري يذكر أن شعيباً حدثه عنه، عن خليلد بن ذفرة ومجالد، قال: استخلف عثمان ثلاث مضي من الحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر، وزاد: ووفد فاستن به.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان، ثلاث مضي من الحرم، وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس، وزاد الناس مائة، ووفد أهل الأمصار، وصنع فيهم وهو أول من صنع ذلك.

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: قتل عمر لثلاث ليلال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام.

### ذكر نسب عمر

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر وهشام بن محمد. وحدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قالوا جميعاً في نسب عمر: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. وكنيته أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

### تسميته بالفاروق

قال أبو جعفر: وكان يقال له الفاروق.

وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو حنزة يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمرو ذكوان، قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ.

وقال بعضهم: أول من سماه بهذا الاسم أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك.

وقال علي بن محمد: وتزوج مليكة ابنة جروال الخزاعي في الجاهلية، فولدت له عبيد الله بن عمر، ففارقها في الهدنة، فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حذيفة.

وأما محمد بن عمر، فإنه قال: زيد الأصغر وعبيد الله الذي قتل يوم صفين مع معاوية، أمهما أم كلثوم بنت جروال بن مالك بن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة، وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر.

قال علي بن محمد: وتزوج قريبة ابنة أبي أمية المخزومي في الجاهلية، ففارقها أيضاً في الهدنة، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

قالوا: وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في الإسلام، فولدت له فاطمة فطلقها. قال المدائني: وقد قيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت أبي الأقلح - واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار في الإسلام - فولدت له عاصماً، فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأصدقها - فيما قيل - أربعين ألفاً، فولدت له زيدا ورقية.

وتزوج لبية، امرأة من اليمن، فولدت له عبد الرحمن. قال المدائني: ولدت له عبد الرحمن الأصغر. قال: ويقال كانت أم ولد. قال الواقدي: لبية هذه أم ولد. وقال أيضاً: ولدت له لبية عبد الرحمن الأوسط. وقال: عبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد.

وكانت عنده فكية، وهي أم ولد وفي أقوالهم فولدت له زينب. وقال الواقدي: هي أصغر ولد عمر.

وتزوج عائكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر، فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام.

قال المدائني: وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة، وأرسل فيها إلى عائشة، فقالت: الأمر إليك، فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه فقالت لها عائشة: ترغبن عن أمير المؤمنين! قالت: نعم، إنه خشن العيش، شديد على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فآخبرته، فقال: أكفيك، فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني خبر عبيدك بالله منه، قال: وما هو قال: خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر! قال: نعم، أفرغيت بي عنها، أم رغبت بها عني؟ قال: لا واحدة، ولكنها حدثت نشات تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق، وفيك غلظة، وغن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء،

جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا الدراوردي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وحدثت عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب أن عمر توفي على رأس خمس وخمسين سنة.

وقال آخرون: كان يوم توفي ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر.

ذكر من قال ذلك.

حدثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبي.

وقال آخرون توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن المنني، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر، قال: مات عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن إحدى وستين سنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثت بذلك، عن أبي سلمة التبوذكي، عن أبي هلال، عن قتادة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن ستين سنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: توفي عمر وهو ابن ستين سنة.

قال محمد بن عمر: وهذا أثبت الأقاويل عندنا، وذكر عن المدائني أنه قال: توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة.

ذكر أسماء ولده ونسائه

حدثني أبو زيد عمر بن شبة، عن علي بن محمد والحارث، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر. وحدثت عن هشام بن محمد - اجتمعت معاني أقوالهم، واختلفت الألفاظ بها - قالوا: تزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة.

قائم في يوم حار شديد الحر، عليه بردان أسودان، متزراً بواحد، وقد لف على رأسه آخر، يعد إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال علي لعثمان - وسمعه يقول: نعت بنت شعيب في كتاب الله: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، ثم أشار علي بيده إلى عمر، فقال: هذا القوي الأمين!

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً فأني أعلم أن الناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشام، فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا!

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني أبو المخارق زهير بن سالم، أن كعب الأحبار، قال: نزلت على رجل يقال له مالك - وكان جاراً لعمر بن الخطاب - فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان، عن يحيى، قال: أخبرني سالم، عن أسلم، قال: بعثني عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحمى، فوضعت جهازي على ناقة منها، فلما أردت أن أصدرها، قال: عرضها علي، فعرضتها عليه، فرأى متاعاً على ناقة منها حسناً، فقال: لا أم لك! عدت إلى ناقة تغني أهل بيت مال المسلمين! فهلا ابن لبون بوالا، أو ناقة شصوصاً!

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني، قال: حدثنا أبو معاوية عن أبي حيان، عن أبي الزبياع، عن أبي الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب: إن ها هنا رجلاً من أهل الأنبار له بصر بالدبوان، لو اتخذه كاتباً فقال عمر: لقد اتخذه إذا بطانة من دون المؤمنين!

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، عن جده، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس، فقال: والذي بعث محمداً بالحق، لو أن رجلاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل خطاب. قال أبو زيد: آل الخطاب يعني نفسه، ما يعني غيرها.

حدثنا ابن المنني، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي عمران الجوني، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم، فأكرم من قبلك من وجوه

فسطوت بها! كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك. قال: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا لك بها، وأدلك على خير منها، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ.

قال المدائني: وخطب أم إبان بنت عتبة بن ربيعة، فكرهته، وقالت: يغلن بابي، ويمنع خيريه، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً.

### ذكر وقت إسلامه

قال أبو جعفر: ذكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، قال: ذكرت له حديث عمر، فقال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير، قال: أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة.

### ذكر بعض سيره

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن حصين المري، قال: قال عمر: إنما مثل العرب مثل جل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملتهم على الطريق.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: إذا كنت في منزلة تسعي وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة للناس.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا قطن، قال: حدثنا أبو يزيد المدني، قال: حدثنا مولى لعثمان ابن عفان، قال: كنت رديفاً لعثمان بن عفان، حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحر شديد السموم، فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لف رأسه برداء يطرد الإبل يدخلها الحظيرة، حظيرة إبل الصدقة، فقال عثمان: من ترى هذا؟ قال: فانتبهنا إليه، فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: هذا والله القوي الأمين.

حدثني جعفر بن محمد الكوفي وعباس بن أبي طالب، قالوا: حدثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي، قال: حدثنا عمر بن نافع، عن أبي بكر العبسي، قال: دخلت حير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، قال: فجلس عثمان في الظل يكتب، وقام على رأسه يمل عليه ما يقول عمر، وعمر في الشمس

إبراهيم، قال: أخبرنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي فراس، قال: خطب عمر بن الخطاب، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ عَمَلًا لِيُضْرَبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أُرْسِلُهُمُ إِلَيْكُمْ لِيَعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ وَتَسْتَكْمُوا، فَمَنْ فَعَلَ بِهِ شَيْءٌ سَوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَا قَصْدَ مِنْهُ. فَوُثِبَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَمْوَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رِعْيَةٍ، فَادَّبَ بَعْضَ رِعْيَتِهِ، إِنَّكَ لَتَقْصُهُ مِنْهُ! إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ إِذَا لَا قَصْدَ مِنْهُ، وَكَيْفَ لَا أَقْصُهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْصُ مِنْ نَفْسِهِ! أَلَا لَا تُضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ تَذْلُوهُمْ، وَلَا تَجْمُرُوهُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ، وَلَا تَنْعَمُوهُمْ حَقَّوْقَهُمْ فَتَكْفُرُوهُمْ، وَلَا تَنْزِلُوهُمْ الْغِيَاضَ فَتَضْيَعُوهُمْ.

وكان عمر رضي الله عنه - فيما ذكر عنه - يعس بنفسه، ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم بيديه.

ذكر الحجير الوارد عنه بذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا قرة بن خالد، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضربه، فجاءت المرأة ففتحت، ثم قالت له: لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي، فلم يدخل حتى جلست، ثم قالت: ادخل، فدخل ثم قال: هل من شيء؟ فأته بطعام فأكل، وعبد الرحمن قائم يصلي، فقال له: تجوز أيها الرجل، فسلم عبد الرحمن حينئذ، ثم أقبل عليه، فقال: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة، فانطلق فلنحرسهم، فانطلقا فأتيا السوق، فقعدا على نشز من الأرض يتحدثان، فرفع لهما مصباح، فقال عمر: ألم أنه عن المصاييح بعد النوم! فانطلقا، فإذا هم قوم على شراب لهم، فقال: انطلق فقد عرفته، فلما أصبح أرسل إليه فقال: يا فلان، كنت وأصحابك البارحة على الشراب؟ قال: وما علمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته، فقال: أو لم ينهك الله عن التجسس! قال: فتجاوز عنه.

قال بكر بن عبد الله المزني: وإنما نهى عمر عن المصاييح، لأن القارة تأخذ الفتيلة ترمي بها في سقف البيت فيحترق، وكان إذ ذاك سقف البيت من الجريد.

وحدثني أحمد بن حرب، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: حدثنا أبي، عن ربيعة بن عثمان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار، إذا نار توثرت، فقال: يا أسلم، إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا

الناس، وبحسب المسلم الضعيف من العدل، أن ينصف في الحكم وفي القسم.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت مطرفاً، عن الشعبي، قال: أتى أعرابي عمر، فقال: إن بيعيري نقباً ودبراً فاحلني، فقال له عمر: ما بيعيرك نقب ولا دبر، قال: فولى وهو يقول:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر  
فاغفر له اللهم إن كان فجر

فقال: اللهم اغفر لي! ثم دعا الأعرابي فحمله.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: نبئت أن رجلاً كان بينه وبين عمر قرابة، فسأله فزبره، وأخرجه فكلّم فيه، فقيل: يا أمير المؤمنين، فلان سالك فزبرته وأخرجته، فقال: إنه سألني عن مال الله، فما معذرتي إن لقيت ملكاً خائناً! فلولاً سألني من مالي! قال: فارسل إليه بعشرة آلاف.

وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملاً له على عمل يقول - ما حدثنا به محمد بن المثني، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، عن يحيى بن حسين، سمع طارق بن شهاب يقول: قال عمر في عماله: اللهم إني لم أبعثهم لياخذوا أموالهم، ولا ليضربوا أبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أنني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا فيهم فيهم، وأن يعدلوا، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلي.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: سمعت أبا حصين، قال: كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم، فيقول: إني لم استعملكم على أمة محمد ﷺ على أشعارهم، ولا على أبشارهم، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل، وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم، ولا تجلدوا العرب فتذلوا، ولا تجمروها فتفتوها، ولا تغفلوا عنها فتحرموها، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن محمد ﷺ وأنا شريككم. وكان يقتص من عماله، وإذا شكى إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه، فإن صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه به.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن

الزهرى، قال: حدثنا عمي، قال: حدثنا أبي، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن عجلان، أن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه، أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف، فقالوا: كلم عمر بن الخطاب، فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا. قال: فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر، فقال: أوقد قالوا ذلك! فوالله لقد كنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك، ولقد اشتدّت عليهم حتى خشيت الله في ذلك، وإيم الله أنا أشد منهم فرقاً منهم مني!

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن عاصم، قال: استعمل عمر رجلاً على مصر، فبينما عمر يوماً مار في طريق من طرق المدينة إذ سمع رجلاً وهو يقول: الله يا عمر! تستعمل من يخون وتقول: ليس علي شيء، وعاملك يفعل كذا! قال: فأرسل إليه، فلما جاءه أعطاه عصاً وجبة صوف وغنماً، فقال: ارعها - واسمه عياض بن غنم - فإن أباك كان راعياً، قال: ثم دعاه، فذكر كلاماً، فقال: إن أنا رددتك! فردّه إلى عمله، وقال: لي عليك إلا تلبس رقيقاً، ولا تركب برذوناً!

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الوليد، عن عاصم، عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصاري، قال: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن سلام بن مسكين، قال: حدثنا عمران، أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال، فاستقرضه، قال: فرمى أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه، فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه.

وعن أبي عامر العقدي، قال: حدثنا عيسى بن حفص، قال: حدثني رجل من بني سلمة، عن ابن البراء بن معمر أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر، وقد كان اشتكى شكوى له، فنعت له العسل، وفي بيت المال عكة، فقال: إن أذنمت لي فيها أخذتها، وإلا فهي علي حرام.

### تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

قال أبو جعفر: أول من دعي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم جرت بذلك السنة، واستعمله الخلفاء إلى اليوم. ذكر الخبر بذلك.

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري، قال: حدثني أم

نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء - وكره أن يقول: يا أصحاب النار - قالت: وعليك السلام، قال: أأدنوا؟ قالت: ادن بخير أودع، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أي رحك الله، ما يدري عمر بكم! قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا! فأقبل علي، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول، حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً فيه كبة شحم، فقال: أحمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك، قال: أحمله علي، مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة، لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر - وكان ذا لحية عظيمة - فجعلت انظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضح وأدم القدر ثم أنزلها، وقال: ابغني شيئاً، فأتته بصحفة فافرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعمهم، وأنا أسطح لك، فلم يزل حتى شعوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً! أنت أولى بهذا من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيراً، إنك إذا جثت أمير المؤمنين وجدتي هناك إن شاء الله. ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وريض مريض السبع، فجعلت أقول له: إن لك شأنًا غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يضطربون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا، فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأجبت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره كالذي حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة، عن سالم، قال: كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير - يعني إلى اللحم - وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة.

قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه شديداً على أهل الريب، وفي حق الله صلياً حتى يستخرجه، وليناً سهلاً فيما يلزمه حتى يؤديه، وبالضعيف رحيماً رؤوفاً. حدثني عبيد الله بن سعيد

مطعم، وكانوا من نساب قريش - فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا فبدعوا بني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: لرددت والله أنه هكذا، ولكن ابدعوا بقرابة رسول الله ﷺ، الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ حين عرض عليه الكتاب، وبنو تيم على أثر بني هاشم وبنو عدي على أثر بني تيم، فأسعاه يقول: ضعوا عمر موضعه، وابدعوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله، فجاءت بنو عدي إلى عمر، فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذلك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم! قال: بخ بخ بني عدي! أردتم الأكل على ظهري، وأن أذهب حسناتي لكم! لا والله حتى تأتيتكم الدعوة، وإن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا في آخر الناس، إن لي صاحبين سلكا طريقاً، فإني خالفتهما خولف بي، والله ما أدرتنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو ما نرجو في الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب إن العرب شرفت برسول الله، ولعل بعضها يلقيه إلى آباء كثيرة، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة، مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فلا ينظر رجل إلى قرابة، وليعمل لما عند الله، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني حزام بن هشام الكعبي، عن أبيه، قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديداً فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب، فيعطيهن في أيديهن، ثم يروح فينزل عسفان، فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى توفي.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر الزهري وعبد الملك ابن سليمان، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن السائب بن يزيد، قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثاً، ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكننا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله ﷺ، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام والرجل وحاجته، والله لئن بقيت ليأتين

عمرو بنت حسان الكوفية، عن أبيها، قال: لما ولي عمر قيل: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر ﷺ: هذا أمر يطول، كلما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله! بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمي أمير المؤمنين.

قال أحمد بن عبد الصمد: سألتها كم أتى عليك من السنين؟ قالت: مائة وثلاث وثلاثون سنة.

حدثنا ابن حديد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو حمزة، عن جابر، قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: يا خليفة الله، قال: خالف الله بك! فقال: جعلني الله فداءك! قال: إذا يهينك الله!

### وضعه التاريخ

قال أبو جعفر: وكان أول من وضع التاريخ وكتبه - فيما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر - في سنة ست عشرة في شهر ربيع الأول منها، وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك، وكيف كان الأمر فيه.

وعمر ﷺ أول من أرخ الكتب، وختم بالطين.

وهو أول من جميع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمرهم به، وذلك - فيما حدثني به الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر - في سنة أربع عشرة، وجعل للناس قارئين: قارئاً يصلي بالرجال وقارئاً يصلي بالنساء.

### حله الدرة وتدوينه الدواوين

وهو أول من حل الدرة، وضرب بها، وهو أول من دَوَّن للناس في الإسلام الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم العطاء.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني عائذ بن يحيى، عن أبي الحويرث، عن جبير بن الحويرث بن نقيد، أن عمر بن الخطاب ﷺ استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان: أرى مالا كثيراً يسه الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ من لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام، فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً، وجندوا جنداً، فدون ديواناً، وجند جنداً. فآخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن

الراعي يجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه.

قال إسماعيل بن محمد فذكرت ذلك لأبي، فعرف الحديث.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري، عن السائب بن يزيد، قال: رأيت خيلاً عند عمر بن الخطاب موسومة في أفتخاذا: حبيس في سبيل الله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن زاذان، عن سلمان، أن عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه، فانت ملك غير خليفة فاستعبر عمر.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسامة بن زيد، قال: حدثني نافع مولى آل الزبير، قال: سمعت أبا هريرة يقول: يرحم الله ابن حنتمة! لقد رأيت عام الرمادة، وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده، وإنه ليعتقب هو وأسلم، فلما رأيته قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً، فساخنت أعقبه، فحملناه حتى انتهينا إلى صرار، فإذا صرم نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويماً كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا، فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبيرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم. وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرني موسى بن يعقوب، عن عمه، عن هشام بن خالد، قال: سمعت عمر بن الخطاب عليه السلام يقول: لا تذرن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذره قليلاً قليلاً، وتسوطه بمسوطها، فإنه أربع له، وأحرى ألا يتقرد.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن مصعب القرقيساني، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن راشد بن سعد، أن عمر بن الخطاب عليه السلام أتى بمال، فجعل يقسمه بين الناس، فأزدهوا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فاحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد

بن عمر، قال: حدثنا عمر بن سليمان بن أبي حنيفة، عن أبيه، قال: قالت الشفا ابنة عبد الله - ورأيت فتياناً يقصدون في المشي، ويتكلمون رويداً، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نسأك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، هو والله الناسك حقاً.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن عامر، قال: أعان عمر رجلاً على حمل شيء، فدعا له الرجل، وقال: نفعل بنوك يا أمير المؤمنين! فقال: بل أغنائي الله عنهم.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، عن عمر بن مجاشع، قال: قال عمر بن الخطاب: القوة في العمل ألا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف سريرة علانية، واتقوا الله عز وجل، فإنما التقوى بالتقوى، ومن يتق الله يسهل الله به.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن عوانة، عن الشعبي - وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر - أن عمر عليه السلام كان يطوف في الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن محمد بن صالح، أنه سمع موسى بن عقبة يحدث أن رهطاً أتوا عمر، فقالوا: كثر العيال، واشتدت المؤونة، فردنا في أعطينا، قال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم في مال الله عز وجل! أما والله لوددت أنني وإياكم في سفينة في لجة البحر، تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه، فقال طلحة: وما عليك لو قلت: إن تعوج عزلوه! فقال: لا، القتل أنكل لمن بعده، أحذروا فتى قريش وابن كرمها الذي لا ينام إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن عبد الله بن داود الواسطي، عن زيد بن أسلم، قال: قال عمر: كنا نعد المقرض بخيلاً، إنما كانت المواساة.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن ابن داب، عن أبي معبد الأسلمي، عن ابن عباس، أن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس، ولا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان؟ من جلساء فلان؟ حتى تحوميت المجالس، وإيم الله إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بيتكم، ولكاني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأى فلان، قد قسموا الإسلام أقساماً، أفيضوا بمجالسكم بيتكم، وتجالسوا معاً فإنه أدوم لألفتكم وأهيب لكم في الناس. اللهم ملونسي ومللتهم،

على أن تحاكموا إلي، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هواده، وأنا حبيب إلي صلاحكم، عزيز علي عتبيكم. وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه. وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مستول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصيح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله.

وخطب أيضاً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ.

أيها الناس، إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتاملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور. كنتم على عهد رسول الله ﷺ، تؤخذون بالوحي، فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلاتيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر شيئاً وزعم أن سريره حسنة لم نصده، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً. واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيها الناس، أطيبوا ميثاكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القباطي، فإنه إن لم يشف فإنه يصف. أيها الناس، إنني لوددت أن أنجز كفافاً لا لي ولا علي، وإنني لأرجو إن عُمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أنه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوماً. وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حنف من الختوف، يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه. وإذا أراد أحدكم بغيراً فليعند إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

قالوا: وخطب أيضاً فقال.

إن الله سبحانه وبجمعه قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحللكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم

وأحسست من نفسي وأحسوا مني، ولا أدري بأينا يكون الكون، وقد أعلم أن لهم قبيلاً منهم، فأقبضني إليك.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، عن أبيه، قال: اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة، فمنعه عمر بن الخطاب، فكلموه في أن يأذن له، قال: لا أذن له، إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة، فارتبط أفراساً، وكان يحمل إليها علفاً من أرض له باليمن.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو إسماعيل الهمداني، عن مجالد، قال: بلغني أن قوماً ذكروا لعمر بن الخطاب رجلاً، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فاضل لا يعرف من الشر شيئاً، قال: ذاك أوقع له فيه!

### ذكر بعض خطبه رضي الله تعالى عنه

حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن أبي معشر، عن ابن المنكدر وغيره، وأبي معاذ الأنصاري عن الزهري، ويزيد بن عياض، عن عبد الله بن أبي بكر، وعلي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عياض، عن عبد الله بن أبي إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أن عمر رضي الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى بما هو أهله، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس، إنني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفي عمر مهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير! فربي المستعان، فإن عمر أصبح لا يشق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

ثم خطب فقال.

إن الله عز وجل قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما يحضرتكم لكم، وإنني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به، وإنني امرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولي. أعقل الحق من نفسي وأتقدم، وأبين لكم أمري، فأما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة، أو عتب علينا في خلق، فليؤذني، فأما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله في سرركم وعلانيتكم، وحرمانكم وأعراضكم، وأعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً



تشكرون.

ونهيكم واجب.

## من نذب عمر ورثاه ﷺ

## ذكر بعض ما رثي به

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو عبد الله البرجمي، عن هشام بن عروة، أن باكية بكت على عمر، فقالت: وأحرى على عمر! حر انتشر، فملاً البشر. وقالت أخرى: وأحرى على عمر حر انتشر، حتى شاع البشر.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا ابن دأب وسعيد بن خالد، عن صالح بن كيسان، عن المغيرة بن شعبة، قال: لما مات عمر رضي الله تعالى عنه بكته ابنة أبي حمزة، فقالت: وأعمراه! أقام الأود، وأبرأ العمد، وأمات الفتن، وأحيا السنن، خرج نقي الثوب، بريئاً من العيب.

قال: وقال المغيرة بن شعبة: لما دفن عمر أتيت علياً وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل، وهو ملتحف بثوب، لا يشك أن الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابن الخطاب! لقد صدقت ابنة أبي حمزة، لقد ذهب بخيرها، ونجا من شرها، أما والله ما قالت، ولكن قولت.

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب ﷺ:

فجعني فـيروز لا در دره      بـايـض تـال لـلـكـتاب مـنـيب  
رـهـوف عـلى الأذنى غـليظ عـلى العـدا      أخـى نـقـة فـي النـائـبات مـجـيب  
مـنى يـقل لا يـكـذب القـول فـعلـه      سـريـع إـلى الخـيـرات غـير قـطـوب  
وقالت أيضاً:

عـين جـودى بـعـبرة و غـيـب      لا تـمـلى عـلى الإـمام النـجـيب  
فـجـعـتـنـي المـنـون بـالفـارس المـد      لـم يـوم الـهـيـاج والتـليـب  
عـصـمة النـاس والمـعـين عـلى الذـهـب      رـو غـيـث المـشـاب والمـحـرـوب  
قـل لـأهـل السـراء والبـؤس مـوتـوا      قـد سـقـتـه المـنـون كـأس شـعـوب  
وقالت امرأة تبيكة:

سـيـكـيك نـسـاء الحـي      يـكـيـن شـحـيـات  
و يـغـمـشـن وجـوهـاً كـالـد      نـانـير نـقـيـات  
و يـلـيـسـن ثـيـاب الحـز      ن بـعد القـصـيـات

## شيء من سيره مما لم يحض ذكره

حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن ابن جعدة، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن سعيد بن المسيب، قال: حج عمر، فلما كان بضعجان قال: لا إله إلا الله العظيم العلي،

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً. ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة، إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أنعمهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معاشهم وكدائعهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملا الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجئون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فנסأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفردى، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾. وقال محمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾. فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذي استشلاككم به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرى أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبله ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فاذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرت أنفسكم على طاعته، وجمعت مع السرور بالنعم خوفاً لها ولاتقالتها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا الله علي من أمركم

ذلك هو، فلا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبونك ويؤنبك عمر، فلا يستقبلها أبداً، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار، وكساهما وحملهما، فتعظما عمر، فقال أبو سفيان: لا تعظما فإن هذا عطاء لم تغب عنه هند، ومشورة قد حضرتها هند، ورجعوا جميعاً، فقال أبو سفيان لهند: أرحمت؟ فقالت: الله أعلم، معي تجارة إلى المدينة. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك، ولكنه مال المسلمين، وهذه مشورة لم يرغب عنها أبو سفيان، فبعث إليه فحبسه حتى أوفته، وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ فقال: بمائة دينار.

وحدثني عمر قال: حدثنا علي، عن مسلمة بن محارب، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن أبي صعصعة عن الأخنف، قال: أتى عبد الله بن عمر عمر، وهو يفرض للناس - واستشهد أبوه يوم حنين - فقال: يا أمير المؤمنين، افرض لي، فلم يلتفت إليه، فنخسه، فقال عمر: حس! وأقبل عليه فقال: من أنت؟ قال: عبد الله بن عمر، قال: يا يرفأ، أعطه ستمائة فأعطاه خمسمائة، فلم يقبلها، وقال: أمر لي أمير المؤمنين بستمائة، ورجع إلى عمر فأخبره، فقال عمر: يا يرفأ، أعطه ستمائة وحلة، فأعطاه فلبس الحلة التي كساه عمر، ورعى بما كان عليه، فقال له عمر: يا بني، خذ ثيابك هذه فتكون لمنه أهلك، وهذه لزيتك.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال حدثنا: أبو الوليد المكي، عن رجل من ولد طلحة، عن ابن عباس، قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره، فإنا لنسير ليلة، وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه، وقال:

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد ولما نطاعن دونه ونساضل ونسلمه حتى نصزع حوله ونذهل عن إبنائنا والحلائل

ثم قال، استغفر الله، ثم سار فلم يتكلم قليلاً، ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد

ثم قال: استغفر الله يا ابن عباس، ما منع علياً من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري، قال: يا ابن عباس، أبوك عم رسول الله ﷺ، وأنت ابن عمه، فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا أدري، قال: لكني أدري، يكرهون ولايتكم لهم! قلت: لم، ونحن لهم كالخير؟ قال: اللهم غفرأ، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة، فيكون بجحاً بجحاً، لعلكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره، ولو جعلها لكم ما نفعمكم من قريبكم، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود

فأنشدته وطلع الفجر، فقال: اقرأ الواقعة، فقرأتها، ثم نزل

المعطي ما شاء من شاء! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا السواد في مدرعة صوف، وكان فظاً يتعبنى إذا عملت ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد، ثم تمثل:

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويسودي المال والولد لم تغن عن هرمرز يوماً خزانته والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينها ترد أين الملوك التي كانت نوافلها من كل أوب إليها راكب يفد حوضاً هنالك موروداً بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو الوليد المكي، قال: بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تطلع، حتى وقف عليه، فقال:

إنك مسترعى وإنارعية وإنك مدعو بسيماك يا عمر إذا يوم شر شره لشراره فقد هلك اليوم أحسابها مضر فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وشكا الرجل ظلع ناقته، فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوده، وانصرف. ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجاً، فبينما هو يسير إذ لحق ركباً يقول:

ما ساسنا مثلك يا ابن الخطاب أبر بالأقصى ولا بالأصحاب بعد النبي صاحب الكتاب

فنخسه عمر بمخصرة معه، وقال: فاين أبو بكر!

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، عن محمد بن صالح، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم معه مال، فقال: ما هذا يا عتبة؟ قال: مال خرجت به معي وتجرت فيه، قال: ومالك تحرج المال معك في هذا الوجه! فقصره في بيت المال. فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليه، فقال أبو سفيان: إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأي الناس فيك، إياك أن ترد على من كان قبلك، فبرد عليك من بعدك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وأبي الجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان وأبي حارثة وأبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قالوا: إن هند ابنة عتبة قامت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تجر فيها وتضمنها، فأقرضها فخرجت فيها إلى بلاد كلب، فاشترت وباعت، فبلغها أن أبا سفيان وعمر بن أبي سفيان قد أتيا معاوية، فعدلت إليه من بلاد كلب، فأتت معاوية، وكان أبو سفيان قد طلقها، قال: ما أقدمك أي أمه؟ قالت: النظر إليك أي بني، إنه عمر، إنما يعمل لله، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شيء، وأهل

فصلي، وقرأ بالواقعة.

حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذكرون الشعر، فقال بعضهم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت، فقلت: امتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم ياولهم أو مجدهم فعدوا  
قوم أبوهم سبائاً حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
إنس إذا آمنوا، جن إذا فرعوا سرزبون بها ليل إذا حشدا  
عسدون على ما كان من نعم لا يتزع الله منهم ماله حسدا

فقال عمر: أحسن، وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم! لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربتهم منه، فقلت: وفقت يا أمير المؤمنين، ولم تزل موقفاً، فقال: يا ابن عباس، أتدري مامنع قومكم منهم بعد عهد؟ فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجماعة، فاختارت قريش لأنفسها فأصاب ووفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام، ومط عني الغضب تكلمت. فقال: تكلم يا ابن عباس، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصاب ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ إِلَهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ﴾. فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها، فتزيل منزلتك مني، فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً! فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإن إبليس حسد آدم، فنحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني يا ابن

عباس، فقلت: أفعل، فلما ذهبت لأقوم استحيا مني فقال: يا ابن عباس، مكانك، فوالله إني لراغ لحقك، محب لما سرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى.

حدثني أحمد بن عمرو، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السوق ومعه الدرة فخففتي بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمط عن الطريق، فلما كان في العام المقبل لقيتني فقال: يا سلمة، تريد الحج؟ فقلت: نعم، فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم، وقال: استعن بها على حجك، واعلم أنها بالخفقة التي خففتك، قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرت! قال: وأنا ما نسيتها.

حدثني عبد الحميد بن بيان، قال أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سلمة بن كهيل، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيها الرعية: إن لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورقفه. أيها الرعية، إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه. أيها الرعية، إنه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه، يوتي الله العافية من فوقه.

حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا عيسى بن يزيد بن دأب، عن عبد الرحمن بن أبي زيد، عن عمران بن سودة، قال: صليت الصبح مع عمر فقراً: ﴿سُبْحَانَ وَسُورَةَ﴾ معها، ثم انصرف وقمت معه، فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة، قال: فالحق، قال: فلحقته، فلما دخل أذن لي، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء، فقلت: نصيحة، فقال: مرحباً بالناصح غدواً وعشياً، قلت: عابت أمتك منك أربعاً قال: فوضع رأس درته في ذقنه، ووضع أسفله على فخذه، ثم قال: هات، قلت: ذكروا أنك حرمت العمرة في أشهر الحج، ولم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه، وهي حلال، قال: هي حلال، لو أنهم اعتمدوا في أشهر الحج رأوها مجزية من حجهم، فكانت قاتبة قوب عامها، ففرح حجهم، وهو بهاء من بهاء الله، وقد أصبت. قلت: وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلها في زمان ضرورة، ثم رجع الناس إلى السعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد أصبت. قال: قلت: واعتقت الأمة أن وضعت ذا بطنها بغير عتاقه سيدها، قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلا الخير،

ومساكينهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن جريج، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، قال: قال عمر: إني لأعلم أن الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان رسول الله ﷺ يكون غياً بينهما وبين جبريل يتبلغ عنه ويعمل عليهما.

### قصة الشورى

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب وأبي غنم، عن يوسف بن يزيد، عن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر ويونس بن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي، أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين: لو استخلفت! قال: من استخلف؟ لو كان أبو عبيدة الجراح حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة»، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إن سالماً شديد الحب لله». فقال له رجل: أذلك عليه؟ عبد الله بن عمر، فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك! كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته! لا أرب لنا في أموركم، ما حدثها فارغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فشرنا آل عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد، أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد، وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، ولن يضيع الله دينه. فخرجوا ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً! فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجل امركم، هو أحراركم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقني غشية، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضة ويأبى فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب أمره، ومتوف عمر، فما أريد أن أحملها حياً وميتاً، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: «إنهم من أهل الجنة، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، وليست مدخله، ولكن الستة: علي وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيد الله»، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولوا منهم والياً فأحسنوا مؤازرته وأعنيوه، إن اتمن أحدكم منكم فليؤد إليه أمانته. وخرجوا، فقال

واستغفر الله. قلت: وتشكوا منك نهر الرعية وعنف السياق. قال: فشرع الدرة، ثم مسحها حتى أتى على آخرها، ثم قال: أنا زميل محمد - وكان زامله في غزوة قرقرة الكدر - فوالله إني لأرتع فأشبع، وأسقي فأروي، وأنهز اللفوت، وأزجر العروض، وأذب قدري وأسوق خطوي، وأضم العنود، وألحق القطوف، وأكثر الزجر، وأقل الضرب، وأشهر العصا، وأدفع باليد، لولا ذلك لأعدرت. قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: كان والله عالماً برعيته.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن عون، عن محمد، قال: ثبت إن عثمان قال: إن عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله، وإني أعطي أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله، ولن يلقى مثل عمر ثلاثة.

وحدثني علي بن سهل، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن أبي سليمان، عن أبيه، قال: قدمت المدينة، فدخلت داراً من دورها، فإذا عمر بن الخطاب ﷺ عليه إزار قطري، يدهن إبل الصدقة بالقطران.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب، عن أبي وائل، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء، فقسمتها على فقراء المهاجرين.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود بن يزيد، قال: كان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله تعالى عنه سألهم عن أميرهم، فيقولون خيراً، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنع به بالضعيف؟ هل يجلس على باب؟ فإن قالوا: لخصلة منها: لا، عزله.

وحدثنا ابن حيد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبداً: القوة في مال الله وجمعه حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء. والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف، ألا يجسروا ولا يجمروا، وأن يوفر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا. والأنصار الذين أعطوا الله عز وجل نصيباً، وقاتلوا الناس كافة، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مستيهم، وأن يشاوروا في الأمر. والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام، أن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم، وأن يرد على فقرائهم

فخرجوا، فقال علي لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً. وتلقاه العباس، فقال: عدلت عنا! فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان، لا يختلفون، فبوليتها عبد الرحمن عثمان، أو بوليتها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخرين معي لم ينفعاني، بله إني لا أرجو إلا أحدهما. فقال له العباس: لم أرفعتك في شيء إلا رجعت إلى مستأخراً بما أكره، أشرت عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر، فأبيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعالج الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى ألا تدخل معهم فأبيت، احفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا، وإيم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير. فقال علي: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولنها بينهم، ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون، ثم تمثل:

حلفت برب الراقصات عشية غدون خفافاً فابتدرن المحصبا  
ليختلين رهط ابن بعمر مارتاً نجيحاً بنو الشداخ ورداً مصلباً  
والفت فرائى أبا طلحة فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لم ترع أبا الحسن. فلما مات عمر وأخرجت جنازته، تصدى علي وعثمان: أيهما يصلي عليه، فقال عبد الرحمن: كلاهما يحب الإمرة، لستما من هذا في شيء، هذا إلى صهيب، استخلفه عمر، يصلي بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام. فصلى عليه صهيب، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن غمرة - ويقال: في بيت المال، ويقال: في حجرة عائشة بإذنهما - وهم خمسة، معهم ابن عمر، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما، وقال: تريدان أن تقولاً: حضرنا وكنا في أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر، وكثر بينهم الكلام، فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها! لا والذي ذهب بنفس عمر، لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتم، ثم اجلس في بيتي، فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن بوليتها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: فانا أغلخ منها، فقال عثمان: أنا أول من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين في الأرض أمين في السماء»، فقال القوم: قد رضينا - وعلي ساكت - فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطيني موثقاً لتؤثرون الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم، ولا تألوا

العباس لعلني لا تدخل معهم، قال: أكره الخلاف، قال: إذا ترى ما تكره! فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام، فقال: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم، فيختلف الناس، فانفضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها، فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم. ثم قال: لا تدخلوا حجرة عائشة، ولكن كونوا قريباً، ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا، ثم ارتفعت أصواتهم، فقال: عبد الله بن عمر: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمّت بعد، فاسمعه فانتبه فقال: ألا عرضوا عن هذا أجمعون، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم، ومن لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به، ولا يخالف إن شاء الله. فقال عمر: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله، وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين: علي أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعابة، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق، وإن تولوا سعداً فأهلها هو، وإلا فليستعن به الوالي، فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف! مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأدخل علياً وعثمان والزيبر وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه - أو اضرب رأسه بالسيف - وإن اتفق أربعة فرفضوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأبي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فناجاه طويلاً، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر، ثم نهض، وأرسل المسور إلى عثمان. فكان في نجيتهما، حتى فرق بينهما أذان الصبح. فقال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: يا عمرو من أخبرك أنه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف علياً وعثمان فقد قال بغير علم، فوقع قضاء ربك على عثمان. فلما صلاوا الصبح جمع الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التجع المسجد بأهله، فقال: أيها الناس، إن الناس قد أجبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم. فقال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلاً، فقال: أشيروا علي بغير هذا، فقال عمار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً. فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار، إن بايعت علياً قلنا: سمعنا وأطعنا، قال ابن أبي سرح: إن أردت ألا يختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق، إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فنشتم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح للمسلمين!

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، فقال عمار: أيها الناس، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه، وأعزنا بدينه، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم! فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها! فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن، افرغ قبل أن يقتل الناس، فقال عبد الرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً. ودعا علياً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وستة رسوله وسيرة الخلفيتين من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم، فبايعه، فقال علي: حيوته حيو دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصر جليل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً، فلإني قد نظرت وشاورت الناس، فإذا هم لا يعدلون بعثمان. فخرج علي وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال: يا مقداد، والله لقد اجتهدت للمسلمين، قال: إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم. إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم ولا قضى منه بالعدل، أما والله لو أجد عليه أعواناً! فقال عبد الرحمن: يا مقداد، اتق الله، فلإني خائف عليك الفتنة، فقال رجل للمقداد: رحمك الله! من أهل هذا البيت ومن هذا

الأمة! فقال: أعطوني موافقتكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير، وأن ترضوا من اخترت لكم، علي ميثاق الله إلا أنخص ذا رحم لرحمه، ولا أكو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعلي، إنك تقول: إني أحق من حضر بالأمر لقربائك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد، ولكن رأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، من كنت تسرى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان، فقال تقول: شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه، لي سابقة وفضل - لم تبعد - فلن يصرف هذا الأمر عني، ولكن لو لم تحضر فأي هؤلاء الرهط تراه أحق به؟ قال: علي. ثم خلا بالزبير، فكلمه بمثلما كلم به علياً وعثمان، فقال: عثمان. ثم خلا بسعد، فكلمه، فقال: عثمان. فلقى علي سعداً، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَقِيباً﴾، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً علي، فإني أدلي بما لا يدلي به عثمان. ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس، يشاورهم، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان، حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الأجل، أتى منزل المسور بن مخزومة بعد ابهرار من الليل، فأيقظه فقال: ألا أراك نائماً ولم أذق في هذه الليلة كثير غمض! انطلق فادع الزبير وسعداً.

فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلى دار مروان، فقال له: خل ابني عبد مناف وهذا الأمر، قال: نصبي لعلي، وقال: لسعد: أنا وأنت كلالة، فاجعل نصيبك لي فأختار، قال: إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعلي أحب إلي، أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا، وافرغ رؤوسنا، قال: يا أبا إسحاق، إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار، ولو لم أفعل وجعل الخيار لي لم أرد هذا، إني أريت كروضة خضراء كثيرة العشب، فدخل فحل فلم أر فحلاً قط أكرم منه، فمر كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها، لم يعرج. ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة، ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه، يلتفت يميناً وشمالاً ويمضي قصد الأولين حتى خرج، ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة، ولا والله لا أكون الرابع، ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه. قال سعد: فلإني أخاف أن يكون الضعف قد أدرلك، فامض لرأيك، فقد عرفت عهد عمر.

وانصرف الزبير وسعد، وأرسل المسور بن مخزومة إلى علي،

نياتكم. احذروا نصيحة الهوى، ولسان الفرقة، فإن الخيلة في المنطق أبليغ من السيوف في الكلم، علقوا أمركم رحب الذراع فيما حل، مأمون الغيب فيما نزل، رضاً منكم وكلكم رضاً، ومقتراً منكم وكلكم منتهى، لا تطيعوا مفسداً يتنصع، ولا تخالفوا مرشداً يتنصر، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم عثمان بن عفان، فقال: الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً، وبعثه رسولا، صدقه وعده، ووهب له نصره على كل من بعد نسباً، أو قرب رحماً، ﷺ، جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين، فهو لنا نور، ونحن بأمره نقوم، عند تفرق الأهواء، ومجادلة الأعداء، جعلنا الله بفضل أئمة ويطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منا، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفه الحق، ونكل عن القصد، وأحر بها يا ابن عوف أن تترك، وأحذر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك، فأننا أول مجيب لك، وداع إليك، وكفيل بما أقول زعيم، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم الزبير بن العوام بعده، فقال: أما بعد، فإني داعي الله لا يجهل، وعجيب لا يخلد، عند تفرق الأهواء، ولي الأعناق، ولن يقصر عما قلت إلا غوى، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقي، لولا حدود الله فرضت، وفرائض الله حدثت، تراح على أهلها، وتحيا لا تموت، لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة، ولكن الله علينا إجابة الدعوة، وإظهار السنة لثلاث نموت ميتة عمية، ولا نعيش عمى جاهلية، فأننا مجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص، قال: الحمد لله بديناً كان، وآخر أيعود، أحده لما نحاني من الضلالة، وبصرني من الغواية، فيهدى الله فاز من نجا، وبرحمته أفلح من زكا، وبمحمد بن عبد الله ﷺ أنارت الطرق، واستقامت السبل، وظهر كل حق، ومات كل باطل، إياكم أيها النفر وقول الزور، وأمنية أهل الغرور، فقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتهم، فاتخذهم الله عدواً، ولعنهم لعناً كبيراً. قال الله عز وجل: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمِ اللَّهِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. إني نكبت قرني فأخذت سهمي الفالج، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسه، فأنابه كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا ابن عوف، بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، واستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم.

الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل علي بن أبي طالب، فقال علي: إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم. وقدم طلحة في اليوم الذي يبيع فيه لعثمان، فقيل له: بايع عثمان، فقال: أكل قريش راض به؟ قال: نعم، فأتى عثمان فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك، إن آبيت رددتها، قال: أتردها؟ قال: نعم، قال: أكل الناس ببيعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيت، لا أرغب عما قد أجمعوا عليه، وبإيعه.

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد، قد أصبت إذ بايعت عثمان! وقال لعثمان: لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا، فقال عبد الرحمن: كذبت يا عور، لو بايعت غيره لبايعته، ولقلت هذه المقالة.

وقال الفرزدق:

صلى صهيب ثلاثاً ثم أرسلها على ابن عفان ملكاً غير مقصور  
خلافة من أبي بكر لصاحبه كانوا إخلاء مهدي ومأمور  
وكان المسور بن مخرمة يقول: ما رأيت رجلاً بذقماً فيما  
دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبد الرحمن بن عوف.

قال أبو جعفر: وأما المسور بن مخرمة، فإن الرواية عندنا عنه ما حدثني سلم بن جنادة أبو السائب، قال: حدثنا سليمان ابن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة - وكانت أمه عائكة ابنة عوف - في الخبر الذي مضى ذكره أوله في مقتل عمر بن الخطاب، قال: ونزل في قبره - يعني في قبر عمر - الخمسة، يعني أهل الشورى. قال: ثم خرجوا يريدون بيوتهم فناداهم عبد الرحمن: إلى أين؟ هلموا! فتبعوه، وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهري، أخت الضحاك بن قيس الفهري - قال بعض أهل العلم: بل كانت زوجته، وكانت نجوداً، يريد ذات رأي - قال: فبدا عبد الرحمن بالكلام، فقال: يا هؤلاء، إن عندي رأياً، وإن لكم نظراً، فاسمعوا تعلموا، وأجيبوا تفقهوا، فإن حايلاً خير من زاهق، وإن جرعة من شروب بارد أنفع من عذب موب، أنتم أئمة يهتدى بكم، وعلماء يصدر إليكم، فلا تفلوا بالمدي بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم، فتوتروا ثأركم، وتؤلتوا أعمالكم، لكل أجل كتاب، ولكل بيت إمام بأمره يقومون، وينتهي يراعون. قلدوا أمركم واحداً منكم غموا الهوينى وتلحقوا الطلب، لولا فتنة عبياء، وضلالة حيراء، يقول أهلها ما يرون، وتعلمهم الحبر كرى. ما عدت نياتكم معرفتكم، ولا أعمالكم

أجد الناس يعدلون بكما، هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. فالتفت إلى عثمان، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، فأشار بيده إلى كتفيه، وقال: إذا شئتما! فنهضنا حتى دخلنا المسجد، وصاح صائح: الصلاة جامعة - قال عثمان: فتأخرت والله حياء لما رأيت من إسرعه إلى علي، فكنت في آخر المسجد - قال: وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله ﷺ، متقلداً سيفه، حتى ركب المنبر، فوقف وقوفاً طويلاً، ثم دعا بما لم يسمعه الناس.

ثم تكلم، فقال: أيها الناس، إني قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي، قام إليه علي، فوقف تحت المنبر، فاخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده ثم نادى: قم إلي يا عثمان، فاخذ بيده - وهو في موقف علي الذي كان فيه - فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت مافي رقبتي من ذاك في ربة عثمان. قال: وازدحم الناس يبائعون عثمان حتى غشوه عند المنبر، فقع عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعده عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبائعونه، وتلكأ علي، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَنْ نَكْتُ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَنْتُهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فرجع علي يشق الناس، حتى بايع وهو يقول: خدعة وأيما خدعة!

قال عبد العزيز: وإنما سبب قول علي: 'خدعة' أن عمرو بن العاص كان قد لقي علياً في ليالي الشورى، فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك، ولكن الجهد والطاقة، فإنه أرغب له فيك. قال: ثم لقي عثمان، فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وليس والله يبائعك إلا بالعزيمة، فاقبل، فلذلك قال علي: 'خدعة'.

قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس، فجلس والناس معه، فقام المغيرة بن شعبة خطيباً، فقال: يا أبا محمد، الحمد لله الذي وفقك، والله ما كان لها غير عثمان - وعلي جالس - فقال عبد الرحمن: يا ابن الدباغ، ما أنت وذاك! والله ما كنت أبائع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة!

ثم تكلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نعظه نأخذه، وإن منعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت. لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تتروا هذا الأمر من بعد هذا الجمع تنضى به السيوف، وتخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول:

فإن تك جاسم هلكت فلاني بما فعلت بنو عبد بن ضخم  
مطيع في المهاجر كل عسي بصير بالنوى من كل نجم  
فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ويوليه غيره؟ قال: فأمسكوا عنه، قال: فإني أخرج نفسي وابن عمي، فقلده القوم الأمر، وأحلفهم عند المنبر، فحلفوا ليبايعن من بايع، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى. فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال لها اليوم ربة القضاء - وبذلك سميت ربة القضاء - فأقام ثلاثاً يصلي بالناس صهيح.

قال: وبعث عبد الرحمن إلى علي، فقال له: إن لم أبائعك فأشتر علي، فقال: عثمان، ثم بعث إلى عثمان، فقال: إن لم أبائعك، فمن تشير علي؟ قال: علي، ثم قال لهما: انصرفا. فدعا الزبير، فقال: إن لم أبائعك، فمن تشير علي، قال: عثمان، ثم دعا سعداً، فقال: من تشير علي؟ فأما أنا وأنت فلا نزيدها، فمن تشير علي؟ قال: عثمان. فلما كانت الليلة الثالثة، قال: يا مسور، قلت لييك، قال: إنك لنسائم، والله ما اكتحلث يغماض منذ ثلاث. اذهب فادع لي علياً وعثمان، قال: قلت: والله يا خال، بأيهما أبدا؟ قال: بأيهما شئت، قال: فخرجت فأتيت علياً - وكان هوائي فيه - فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم، قال: إلى من؟ قلت: إلى عثمان، قال: فأينا أمرك أن تبدأ به؟ قلت: قد سألته فقال: بأيهما شئت، فبدأت بك، وكان هوائي فيك، قال: فخرج معي حتى أتينا المقاعد، فجلس عليها علي، ودخلت على عثمان فوجدته يوتر مع الفجر، فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى علي، قال: بأينا أمرك أن تبدأ؟ قلت: سألته فقال: بأيهما شئت، وهذا علي على المقاعد، فخرج معي حتى دخلنا جميعاً على خالي وهو في القبلة قائم يصلي، فانصرف لما رأنا، ثم التفت إلى علي وعثمان، فقال: إني قد سألت عنكما وعن غيركما، فلم



ظفراً لسعد بن مالك، أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم، وليعلم بالمدينة الكتابة - فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه. وبلغ ذلك صهيماً، فبعث إليه عمرو بن العاص، فلم يزل به وعنه، ويقول: السيف بأبي وأمي! حتى ناوله إياه، وثاوره سعد فاخذ بشعره، وجاؤوا إلى صهيبي.

### عمال عمر رضي الله تعالى عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه - في السنة التي قتل فيها، وهي سنة ثلاث وعشرين - على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صنعاء يعلي بن منية، حليف بني نوفل بن عبد مناف، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص عمير بن سعد، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفي.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين - توفي، فيما زعم الواقدي قتادة بن النعمان الظفري، وصلى عليه عمر بن الخطاب.

وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية، ومعه من أصحاب رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن يزيد وأبو ذر وشداد بن أوس.

وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح.

وقيل كان على قضاء الكوفة في السنة التي توفي فيها عمر بن الخطاب ﷺ شريح، وعلى البصرة كعب بن سور، وأما مصعب بن عبد الله فإنه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب، أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكن لهما قاض.

قال: ثم جلس عثمان في جانب المسجد، ودعا بعبيد الله بن عمر - وكان محبوباً في دار سعد بن أبي وقاص، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينة والهرمان وابنة أبي لؤلؤة، وكان يقول: والله لأقتلن رجلاً ممن شرك في دم أبي - يعرض بالمهاجرين والأنصار - فقام إليه سعد، فنزع السيف من يده، وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه، فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: اشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فقال علي: أرى أن تقتله، فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم، وقد جعلتها دية، واحتملتها في مالي.

قال: وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن ليبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر، قال:

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر أصبت دماً والله في غير حله حراماً وقتل الهرمان له خطر على غير شيء غير أن قال قاتل أتهمون الهرمان على عمر فقال سفيه والحوادث جمة نعم اتهمه قد أشار وقد أمر وكان سلاح العبد في جوف يته يلقبها والأمر بالأمر يعتبر قال: فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن ليبيد وشعره، فدعا عثمان زياد بن ليبيد، فنهاه. قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله رهين فلا تشكك بقتل الهرمان  
فلأنك إن غفرت الجرم عنه وأسباب الخطأ فرسا رهان  
أتعفو إذ عفوت بغير حق فما لك بالذي تحكى يدان!  
فدعا عثمان زياد بن ليبيد فنهاه وشذبه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر: مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس، ومعه جفينة والهرمان، وهم نحي، فلما رهنهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل، وقد تخلل أهل المسجد، وخرج في طلبه رجل من بني تميم، فرجع إليهم التميمي، وقد كان الظ بابي لؤلؤة منصرفه عن عمر، حتى أخذه فقتله، وجاء بالخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف، فأتى الهرمان فقتله، فلما، عضه السيف قال: لا إله إلا الله، ثم مضى حتى أتى جفينة - وكان نصرانياً من أهل الحيرة

## السنة الرابعة والعشرون

### ذكر ماكان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة، واختلف في الوقت الذي بويع له فيه، فقال بعضهم ما حدثني به الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن عثمان بن محمد الأخنسي. قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن يعقوب بن زيد عن أبيه، قال: بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بمخلفاته الحرم سنة أربع وعشرين.

وقال آخرون: ماحدثني به أحمد بن ثابت الرازي، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: بويع عثمان عام الرعام سنة أربع وعشرين.

إنما قيل لهذه السنة عام الرعام، لأنه كثر الرعام فيها في الناس.

وقال آخرون - فيما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن خلود بن ذفرة ومجالد، قال: استخلف عثمان لثلاث مضي من الحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر، وزاد: ووفد فاستن به.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمر، عن الشعبي، قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضي من الحرم، وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس، وزاد الناس مائة، ووفد أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك.

وقال آخرون - فيما ذكر ابن سعد عن الواقدي، عن ابن جريج عن ابن مليكة، قال: بويع لعثمان لعشر مضي من الحرم، بعد مقتل عمر بثلاث ليال.

### خطبة عثمان رضي الله تعالى عنه وقتل عبيد الله بن

#### عمر الهرمزان

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه،

فلقد أتيتم، صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، وامتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم! أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلاً، وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ - إلى قوله - ﴿أَمْثَلًا﴾، وأقبل الناس يبايعونه.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي منصور، قال: سمعت القماذيان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي، ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آتس به، فرأه رجل، فلما أصيب عمر، قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز. فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعائي فأمكنني منه، ثم قال: يا بني، هذا قاتل أبيك، وأنت أول به منا فاذنب فاقنته، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه. فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم - وسبوا عبيد الله - فقلت: أفلكم أن تمتعوه؟ قالوا: لا، وسبوه فتركه لله ولهم. فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وكفهم.

### ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولاه سعد بن أبي وقاص - فيما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، قال: كان عمر قال: أوصي الخليفة من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقاص، فلإني لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك. وكان أول عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة، والمغيرة يومئذ بالمدينة، فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى، وأقر أبا موسى سنوات.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن أسامة بن زيد بن أسلم حدثه، عن أبيه، أن عمر أوصى أن يقر عماله سنة، فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة، ثم عزله، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله، واستعمل الوليد بن عقبة. فإن كان صحيحاً ما رواه الواقدي من ذلك، فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين.

لأزواج رسول الله ﷺ درهمين درهمين، فقيل له: لو صنعت لهم طعاماً فجمعتهم عليه! فقال: أشبع الناس في بيوتهم. فأقر عثمان الذي كان صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: للمتعب الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعتري بالناس في رمضان.

### غزوة أذربيجان وأرمينية

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا وليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر في رواية أبي غنم، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة.

ذكر هشام بن محمد، أن أبا غنم حدثه عن فروة بن لقيط الأزدي، ثم الغامدي، أن مغازي أهل الكوفة كانت السري وأذربيجان، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالري، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة، فغزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له، وخرج الوليد في جماعة الناس، وهو يريد أن يمعن في أرض أرمينية، فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان، فبعث عبد الله بن شبيب بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف، فأغار على أهل موكان والبير والطيلسان، فأصاب من أموالهم وغنم، وتحرز القوم منه، وسبى منهم سبياً يسيراً، فأقبل إلى الوليد بن عقبة.

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة حذني نهاوند بسنة. ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر، فلما ولي عثمان وولي الوليد بن عقبة الكوفة، سار حتى وطئهم بالجيش، فلما رأوا ذلك انتقادوا له، وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح، ففعل، فقبض منهم المال، وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات، فلما رجع إليه عبد الله بن شبيب الأحمسي من غارته تلك - وقد سلم وغنم - بعث سليمان بن ربيعة الباهلي إلى أرمينية في اثني عشر ألفاً، سنة أربع وعشرين. فسار في أرض أرمينية فقتل وسبى وغنم. ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد. فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته.

### كتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى عماله وولائه والعامه

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالوا: لما ولي عثمان بعث عبد الله بن عامر إلى كابل - وهي عمالة سجستان - فبلغ كابل حتى استفرغها، فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان، حتى مات معاوية، وامتنع أهل كابل.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله: أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإن عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تنشروا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تنشروا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم. ثم العدو الذي تتأبون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأنجاد في الفروج: أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملا منا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإنني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به. والأمانة والأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم. والوفاء الوفاء، فلا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم.

قالوا: وكان كتابه إلى العامه: أما بعد، فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع، فلا تفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتعاد بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ﷺ قال: «الكفر في العجمة»، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عاصم بن سليمان، عن عامر الشعبي، قال: أول خليفة زاد الناس في أعطيائهم مائة عثمان، فجرت. وكان عمر يجعل لكل نفس منقوسة من أهل الفء في رمضان درهماً في كل يوم، وفرض

## إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من الكوفة

الموريان، فسمعت امرأته أم عبد الله بن يزيد الكلبي يذكر ذلك، فقالت له: فأين موعذك؟ قال: سراق الموريان أو الجنة، ثم بيّتهم، فقتل من أشرف له، وأتى السراق فوجد امرأته قد سبقت، وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سراق، ومات عنها حبيب، فخلّف عليها الضحّاك بن قيس الفهري، فهي أم ولده.

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان، كذلك قال أبو معشر والواقدي.

وقال آخرون: بل حج في هذه السنة عثمان بن عفان.

وأما الاختلاف في الفتح التي نسبها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر، وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة عثمان، فقد ذكرت قبل فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كل فتح كان من ذلك.

وفي هذه السنة - في رواية ابن مخنف - جاشت الروم، حتى استمد من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مدداً.

ذكر الخبر عن ذلك.

قال هشام: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني فروة بن لقيط الأزدي، قال: لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه، ودخل الموصل فنزل الحديثة، أتاه كتاب من عثمان رضي الله تعالى عنه.

أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بمجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فلذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجهته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي، والسلام.

فقام الوليد في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً، رد عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت، وردهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب إلي أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف، تمهدون إخوانكم من أهل الشام فإنهم قد جاشت عليهم الروم، وفي ذلك الأجر العظيم، والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي. قال: فانتدب الناس، فلم يمض ثلاثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي، فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي، وملتوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة.

وزعم الواقدي أن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، قال: كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية، فوجهه إليها، فبلغ حبيباً أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية، فكتب معاوية به إلى عثمان، فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة، فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف، وكان حبيب صاحب كيد، فأجمع على أن يبيت

## السنة الخامسة والعشرون

## ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فقال أبو معشر، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثني محدث، عن إسحاق بن عيسى عنه: كان فتح الإسكندرية سنة خمس وعشرين.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهداً، فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم، وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى، ومن خالف أبا معشر والواقدي في تاريخ ذلك.

## أخبار متفرقة

وفيهما كان أيضاً - في قول الواقدي - تروجه عبد الله بن سعد بن أبي سرح الخيل إلى المغرب.

قال: وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثاً قبل ذلك إلى المغرب، فأصابوا غنائم، فكتب عبد الله يستأذنه في الغزو إلى إفريقية، فأذن له.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عثمان، واستخلف على المدينة.

قال: وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان.

قال: وفيها ولد يزيد بن معاوية.

قال: وفيها كانت سابور الأولى فتحت.

رسول الله ﷺ ينظر إليكما. فطرح سعد عبوداً كان في يده - وكان رجلاً فيه جدة - ورفع يديه، وقال: اللهم رب السموات والأرض... فقال عبد الله: ويلك! قل خيراً ولا تلعن، فقال سعد عند ذلك: أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك. فولى عبد الله سريعاً حتى خرج.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد، عن المسيب بن عبد خير، عن عبد الله بن عكيم، قال: لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه، فلم يتيسر على سعد قضاؤه، غضب عليهما عثمان، وانتزعهما من سعد، وعزله وغضب على عبد الله وأقره، واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة - فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله و سعد فيما كان، غضب عليهما وهم بهما، ثم ترك ذلك، وعزل سعداً، وأخذ ما عليه، وأقر عبد الله، وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة - وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب - فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة، وكان من أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب.

## السنة السادسة والعشرون

### ذكر ما فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها - في قول أبي معشر والواقدي - فتح سابور، وقد مضى ذكر الخبر عنها في قول من خالفهما في ذلك.

وقال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم.

وقال: فيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسعه وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم، ووضع الأثمان في بيت المال، فصيحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جراكم علي! ما جراكم علي إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجوا.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان.

وفي هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة، وولاها الوليد بن عقبة في قول الواقدي، وأما في قول سيف فإنه عزله عنها في سنة خمس وعشرين.

وفيها ولي الوليد عليها، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر، ووجه سعداً إليها عاملاً، فعمل له عليها سنة وأشهرًا.

### ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله

#### عليها الوليد

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: كان أول ما نزغ به بين أهل الكوفة - وهو أول مصر نزغ الشيطان بينهم في الإسلام - أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا، فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كنت جالساً عند سعد، وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة، فأتى ابن مسعود سعداً، فقال له: أد المال الذي قبلك، فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شراً! هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هذيل! فقال: أجل، والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حينة، فقال هاشم: أجل والله إنكما لصاحباً

## السنة السابعة والعشرون

## ذكر الأحاديث المشهورة التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك فتح إفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وهو قول الواقدي أيضاً.

ذكر الخبر عن فتحها، وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فولى عثمان، فأقرهما ستين من إمارته ثم عزل عمرًا، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله، وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة، وكان عبد الله بن سعد من جند مصر، فأمر عبد الله بن سعد على جنده، ورماه بالرجال، وسرحه إلى إفريقية وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، وقال لعبد الله بن سعد: إن فتح الله عز وجل عليك غداً إفريقية، فلك مما آفاه الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلًا. وأمر العبددين على الجند، ورماهما بالرجال، وسرحهما إلى الأندلس، وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما.

فخرجوا حتى قطعوا مصر، فلما غلروا في أرض إفريقية فأمنوا انتهوا إلى الأجل، ومعه الأنساء، فاقتلوا، فقتل الأجل، قتله عبد الله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها. ثم اجتمعوا على الإسلام، وحسنت طاعتهم، وقسم عبد الله ما آفاه الله عليهم على الجند، وأخذ خمس الخمس، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النصري، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان، ووفد وفدًا، فشكوا عبد الله فيما أخذ، فقال لهم: أنا نفلته - وكذلك كان يصنع - وقد أمرت له بذلك، وذاك إليكم الآن، فإن رضيتم فقد جاز، وإن سخطم فهو رد. قالوا: فإننا نسخطه. قال: فهو رد، وكتب إلى عبد الله ببرد ذلك واستصلاحهم، قالوا: فاعزله عنا، فإننا لا نريد أن يتامر علينا،

وقد وقع ما وقع، فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى ويرضون واقسم الخمس الذي كنت نفلتكم في سبيل الله، فإنهم قد سخطوا النفل. ففعل، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية، وقتل الأجل. فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلاماً وطاعة، حتى دب إليهم أهل العراق، فلما دب إليهم دعا أهل العراق واستأثروهم، شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم. وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تحيي العمال، ولا نحمل ذلك عليهم، فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم، فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال: هم أحق به، فقلنا هو أخلص لجهادنا، لأننا لا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده. وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وآخر جنده، فقلنا: تقدموا، فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوطيناهم بأنفسنا وكفيناهم. ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يقرونها على السخال يطلبون الفراء البيض لأمر المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمر المؤمنين! فاحتملنا ذلك، وخليناهم وذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون، فأحبينا أن نعلم: أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفعل، فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سالكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، وبلغ هشاماً الخبر، وسأل عن النفر، فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس، فأتياهما من قبل البحر. وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس: أما بعد، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كتتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام. وقال كعب الأحبار: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها، يعرفون بنورهم يوم القيامة.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد

وتعلم أن تلك اللقاح درت بعدك! فقال عمرو: إن فصالحا هلك.  
وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه.  
وقال الواقدي: وفي هذه السنة كان فتح إصطخر الثاني  
على يد عثمان بن أبي العاص.  
قال: وفيها غزا معاوية قنسرين.

وطلحة، قالوا: فخرجوا ومعهم البربر، فأتوها من برها، ففتحها  
الله على المسلمين وإفرنجية، وازدادوا في سلطان المسلمين مثل  
إفريقية، فلما عزل عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح صرف  
إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وكان عليها، ورجع  
عبد الله بن سعد إلى مصر، ولم يزل أمر الأندلس كأمر إفريقية  
حتى كان زمان هشام، فتمنع البربر أرضهم، وبقي من في  
الأندلس على حاله.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن ابن أبي سيرة حدثه عن محمد  
بن أبي حرملة، عن كريب، قال: لما نزع عثمان عمرو بن العاص  
عن مصر غضب عمرو غضباً شديداً، وحقد على عثمان، فوجه  
عبد الله بن سعد، وأمره أن يمضي إلى إفريقية، ونذب عثمان  
الناس إلى إفريقية، فخرج إليها عشرة آلاف من قريش والأنصار  
والمهاجرين.

قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد الليثي، عن ابن  
كعب، قال: لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية، كان  
الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جرجير ألفي ألف دينار  
 وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم  
رسولاً، وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار، كما أخذ منهم عبد  
الله بن سعد، فجمع رؤساء إفريقية، فقال: إن الملك قد أمرني أن  
أخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبد الله بن  
سعد، فقالوا: ما عندنا مال نعطيه، فأما ما كان بأيدينا فقد اقتدينا  
به أنفسنا، وأما الملك فإنه سيدنا فليأخذ ما كان له عندنا من  
جائزة كما كنا نعطيه كل سنة. فلما رأى ذلك أمر مجبهم، فبعثوا  
إلى قوم من أصحابهم، فقدموا عليه، فكسروا السجن فخرجوا،  
وكان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهب،  
فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال: لا أدري.

قال ابن عمر: وحدثني أسامة بن زيد، عن يزيد بن أبي  
حبيب، قال: نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر،  
واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، فتباغيا، فكتب عبد الله  
بن سعد إلى عثمان يقول: إن عمراً كسر الخراج. وكتب عمرو:  
إن عبد الله كسر علي حيلة الحرب، فكتب عثمان إلى عمرو:  
انصرف، وولى عبد الله بن سعد الخراج والجند، فقدم عمرو  
مغضباً، فدخل على عثمان وعليه جبة بمانية محشوة قطناً، فقال له  
عثمان: ما حشو جبتك؟ قال: عمرو، قال عثمان: قد علمت أن  
حشوها عمرو ولم أرد هذا، إنما سألت: أقطن هو أم غيره؟.

قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد، عن يزيد بن أبي  
حبيب، قال: بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر قد  
حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان، فقال عثمان: يا عمرو، هل



عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.

## السنة الثامنة والعشرون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فما ذكر أنه كان فيها فتح قبرس، على يد معاوية، غزاها بأمر عثمان إياه، وذلك في قول الواقدي.

فأما أبو معشر فإنه قال: كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وقال بعضهم: كانت قبرس سنة سبع وعشرين، غزاها - فيما ذكر - جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم أبو ذر وعبد الله بن الصامت، ومعه زوجته أم حرام والمقداد وأبو الدرداء، وشداد بن أوس.

### ذكر الخبر عن غزوة معاوية إياها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان النصري وأبي المجالد جراد بن عمرو، عن رجاء بن حيوة وأبي حارثة وأبي عثمان، عن رجاء وعبد الله وخالد: قالوا: ألح معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن قرية من قرى حمص لسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كاذ ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعني إليه.

وقال عبادة وخالد: لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نسي، عن جنادة بن أبي أمية الأزدي، قال: كان معاوية كتب إلى عمر كتاباً في غزو البحر يرغبه فيه، ويقول: يا أمير المؤمنين، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص، فاتهمه عمر لأنه المشير، فكتب إلى عمرو: أن صف لي البحر، ثم اكتب إلي بخبره: فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، إني رأيت خلقاً عظيماً، يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، وإنما هم كدود على

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، عن عبادة، عن جنادة بن أبي أمية والربيع وأبي المجالد، قالوا: كتب عمر إلى معاوية: إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض، يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض فيغرقها، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب، وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مي، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك.

وقالوا: ترك ملك الروم الغزو، وكتب عمر وقارب، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحب للناس ما تحب لنفسك، واركه لهم ما تكره لها، تجتمع لك الحكمة كلها. واعتبر الناس بما يليك، تجتمع لك المعرفة كلها.

وكتب إليه ملك الروم - وبعث إليه بقارورة: أن املا لي هذه القارورة من كل شيء، فملأها ماء، وكتب إليه: إن هذا كل شيء من الدنيا.

وكتب إليه ملك الروم: ما بين الحق والباطل؟ فكتب إليه: أربع أصابع الحق، فيما يرى عياناً، والباطل كثيراً يستمع به فيما لم يعاين.

وكتب إليه ملك الروم يسأله عما بين بين السماء والأرض وبين المشرق والمغرب، فكتب إليه: مسيرة خمسمائة عام للمسافر، لو كان طريقاً مبسوطاً.

قال: ويعت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد فأبلغه لها، وأخذ منه. وجاءت امرأة هرقل، وجمعت نساءها، وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنت نبيهم، وكاتبته وكافأته، وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر. فلما انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه، ودعا: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري من أموري، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة ملك الروم بذمة فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقك.

وقال آخرون: قد كنا نهدى الثياب لنسثيب، ونبعث بها لتباع، ولنصيب ثمناً. فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظموا في صدرها. فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها.

فيما حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني سليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق، أن صلح قبرس وقع على جزيرة سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على ألا يغزوه ولا يقاتلوا من وراءهم عن أرادهم من خلفهم، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، وعلى أن يبطق إمام المسلمين عليهم منهم.

وقال الواقدي: غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرس، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، حتى لقوا معاوية فكان على الناس.

قال: وحدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، قال: لما سبيناهم نظرت إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت له: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل فيه الكفر وأهله؟ قال: فضرب يده على منكبي، وقال: ثكلتك أمك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذ تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، فسلط عليهم السباء، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة.

قال الواقدي: وحدثني أبو سعيد، أن معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس في ولاية عثمان، وهو أول من غزا الروم، وفي العهد الذي بينه وبينهم ألا يتزوجوا في عدونا من الروم إلا بإذنتنا.

قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

وفيها تزوج عثمان نائلة ابنة الفرافصة الكلبية وكانت نصرانية، فتحتت قبل أن يدخل بها.

قال: وفيها بنى داره بالمدينة، الزوراء وفرغ منها.

قال: وفيها كان فتح فارس الأول، وإصطخر الآخر وأميرها هشام بن عامر.

قال: وحج بالناس عثمان في هذه السنة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة، عن خالد بن معدان، قال: أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان، وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن له، فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية، حتى عزم عثمان على ذلك بأخرة، وقال: لا تنتخب الناس، ولا تفرق بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه، ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يتليه بمصاب أحد منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة، فانتهى إلى الرقي من أرض الروم، وعليه سؤال يعثرون بذلك المكان، فصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريبها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في الرقي، قالوا: أي عدوة الله! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوجئهم، وقالت: أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد. فشاروا إليه فهجموا عليه، فقاتلوه وقتلوه، فاصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاؤوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي، فخرج فقاتلهم، فضجر وجعل يعث بأصحابه ويشتمهم، فقالت جارية عبد الله: واعد الله، ما كان هكذا يقول حين يقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت:

الغمرات ثم ينجلينا

فترك ما كان يقول، ولزم: الغمرات ثم ينجلينا. وأصيب في المسلمين يومئذ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفته؟ قالت: بصدقه، أعطى كما يعطي الملوك، ولم يقبض قبض التجار.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: قيل لتلك المرأة التي استثارت الروم على عبد الله بن قيس: كيف عرفته؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سأله أعطاني كالملك، فعرفت أنه عبد الله بن قيس.

وكتب إلى معاوية والعمال: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم، فردوه إلينا نجتمع عليه الأمة، ثم نرده عليكم، وإياكم أن تغيروا، فإني لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقل. وقد كانت تنقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه، فيحسب له ذلك، وأما الفتوح فلاول من وليها.

قال أبو جعفر: ولما غزا معاوية قبرس، صالح أهلها -

## السنة التاسعة والعشرون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله عليها ست سنين، وولاها عبد الله بن عامر بن كرز، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، فقدمها. وقد قيل: إن أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين.

وذكر علي بن محمد أن محارباً أخبره، عن عوف الأعرابي، قال: خرج غيلان بن خرشة الضبي إلى عثمان بن عفان، فقال: أما لكم صغير فتستبوه فتولوه البصرة! حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة! يعني أبا موسى، وكان وليها بعد موت عمر ست سنين.

قال: فعزله عثمان عنها، وبعث عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمي، وهو ابن خال عثمان بن عفان. قال مسلمة: فقدّم البصرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، سنة تسع وعشرين.

## ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

كتب إلي السري، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف، عن محمد وظلحة، قالوا: لما ولي عثمان أقر أبا موسى على البصرة ثلاث سنين، وعزله في الرابعة، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير اللثمي - وهو من كنانة - فأتخن فيها إلى كابل، وأتخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها، وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي، فأتخن فيها حتى بلغ النهر. وبعث على كرمان عبد الرحمن بن غبيس، وبعث إلى فارس والأهواز نفرأ، وضم سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحر، ثم عزل عبد الله بن عمير، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله، واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غبيس، وأعاد عدي بن سهيل بن عدي.

ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إبيذج والأكراد، فنادى أبو موسى في الناس وحضهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرحلة، حتى حمل نفر على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رجلاً. وقال آخرون: لا والله لا نجعل بشيء حتى ننظر ما صنعوه؟ فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرحلة فيما رغبتنا فيه، ففزع القوم حتى تركوا دابته

ومضى، فأتوا عثمان فاستعفوه منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحسب أن نقوله، فأبدلنا به، فقال: من تحبون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننسك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعريين، ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه، أو مهترأ كان فيه عوض منه، ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر وأمره على البصرة، وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد، فاستعمل على خراسان في سنة أربع أمين بن أحرر البشكري، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي، وعلى كرمان عاصم بن عمرو، فمات بها. فجاشت فارس، وانتقضت بعيده الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر، فالتقوا على باب إصطخر فقتل عبيد الله وهزم جنده، وبلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة، وخرج معه الناس، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص، فالتقوا وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزالوا منها في ذل، وكتب بذلك إلى عثمان، فكتب إليه بإمرة هرم بن حسان البشكري، وهرم بن حيان العبدي من عبد القيس، والحزيت بن راشد من بني سامة، والمنجاب بن راشد، والترجمان الهجيمي، على كورفاس، وفرق خراسان بين نفر ستة: الأحنف على مروين، وحبيب بن قره اليربوعي على بلخ - وكانت مما افتتح أهل الكوفة - وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمين بن أحمد البشكري على طوس، وقيس بن الهيثم السلمي على نيسابور - وهو أول من خرج - وعبد الله بن خازم، وهو ابن عمه. ثم إن عثمان جمعها له قبل موته، فمات وقيس على خراسان، واستعمل أمين بن أحرر على سجستان، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة - وهو من آل حبيب بن عبد شمس، فمات عثمان وهو عليها، ومات وعمران على كرمان - وعمير بن عثمان بن سعد على فارس، وابن كندير القشيري على مكران.

وقال علي بن محمد: أخبرنا علي بن مجاهد، عن أشياخه، قال: قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان: أما منكم خسيس فترفعوه! أما منكم فقير فتجروه! يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد! فأنته لها الشيخ، فولاها عبد الله بن عامر.

قال علي بن محمد: أخبرنا أبو بكر الهذلي، قال: ولي عثمان ابن عامر البصرة، فقال الحسن: قال أبو موسى: يأتاكم غلام خراج ولاج كريم الجذات والخالات والعمات، يجمع له الجندان.

قال الواقدي: وحديثي داود بن خالد، عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي، عن عمه، قال: صلى عثمان بالناس بمى أربعاً، فأتى آت عبد الرحمن بن عوف، فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلى بالناس أربعاً! فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين، ثم خرج حتى دخل على عثمان، فقال له: ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصل مع عمر ركعتين؟ قال: بلى، قال: ألم تصل صدراً من خلافتك ركعتين؟ قال: بلى، قال: فاسمع مني يا أبا محمد، إني أخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفأة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إن الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وقد اتخذت بمكة أهلاً، فرأيت أن أصلي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربما اطلعت فاقمت فيه بعد الصدر. فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر، وأما قولك: اتخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت، إنما تسكن بسكنائك. وأما قولك: ولي مال بالطائف، فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف. وأما قولك: يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم، فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل، ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمر، فضرب الإسلام بجرانه، فصلى بهم عمر حتى مات ركعتين، فقال عثمان: هذا رأي رأيته.

قال: فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود، فقال: أبا محمد، غير ما يعلم؟ قال: لا، قال: فما أصنع؟ قال: اعمل أنت ما تعلم، فقال ابن مسعود: الخلاف شر، قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلى أربعاً، فصليت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول - يعني نصلي معه أربعاً.

قال: قال الحسن: فقدم ابن عامر، فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبر من عمان والبحرين.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وقد قيس بن هيثم عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان، وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريماً، فقال له: اكتب لي على خراسان عهداً إن خرج منها قيس بن الميثم. ففعل، فرجع إلى خراسان، فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر، وجاش العدو لذلك، قال قيس: ما ترى يا عبد الله؟ قال: أرى أن تخلفني ولا تخلف عن المضي حتى تنظر فيما تنظر. ففعل واستخلفه، فأخرج عبد الله عهد خلافته، وثبت على خراسان إلى أن قام علي رضي الله تعالى عنه وكانت أم عبد الله عجلى، فقال قيس: أنا كنت أحق أن أكون ابن عجلى من عبد الله، وغضب مما صنع به الآخر.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وفي قول أبي معشر، حديثي بقول أبي معشر أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل.

وفي هذه السنة - أعني سنة تسع وعشرين - زاد عثمان في مسجد رسول الله ﷺ ووسعه، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول، وكانت القصة تحمل إلى عثمان من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة فيها رصاص، وسقفه ساجاً، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر، ستة أبواب.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان، فضرب بمى فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمى، وأتم الصلاة بها ويعرفه.

فذكر الواقدي، عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى التوأمة، قال: سمعت ابن عباس يقول: إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمى في ولايته ركعتين، حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه، حتى جاءه علي فيمن جاءه، فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيك ﷺ يصلي ركعتين. ثم أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدراً من ولايتك، فما أدري ما ترجع إليه! فقال: رأي رأيته.

وفتح سعيد بن العاص نامية، وليست بمدينة، هي صحارى.

## السنة الثلاثون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكما كان فيها غزوة سعيد بن العاص طبرستان في قول أبي معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وفي قول الواقدي وقول علي بن محمد المدائني: حدثني بذلك عمر بن شبة عنه. وأما سيف بن عمر، فإنه ذكر أن إصبيها صالح سويد بن مقرن على ألا يغزوها، على مال بذله له. قد مضى ذكرى الخبر عن ذلك قبل في أيام عمر رضي الله عنه.

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه قال - فيما حدثني به عنه عمر: لم يغزها أحد حتى قام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فغزاها سعيد بن العاص سنة ثلاثين.

### ذكر الخبر عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، عن حنش بن مالك، قال: غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً. فنزل سعيد قومس، وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال حذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سقاً عليه قفل، فظن فيه جوهرأ، وبلغ سعيداً، فبعث إلى الهدي، فاتاه بالسفط، فكسروا قفله، فوجدوا فيه سفطاً، ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها، فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء، وفيها أيران: كميت وورد، فقال شاعر يهجو بني نهد:

أب الكرام بالسبايا غنيمة وفاز بنو نهد بأيرين في سفط  
كميت وورد وافر ين كلاهما فظنهما غنماً فناهيك من غلطا

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرني علي بن مجاهد، عن حنش بن مالك التغلبي، قال: غزا سعيد سنة ثلاثين، فأتى جرجان وطبرستان، معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص، فحدثني علق كان يخدمهم قال: كنت أتيتهم بالسفرة، فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها، فإذا أمسوا أعطوني باقيه. قال: وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثقفي، جد يوسف بن عمر، فقال يوسف لقحذم: يا قحذم، أتدري أين مات محمد بن الحكم؟ قال: نعم، استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان، قال: لا، مات بها وهو مع سعيد، ثم قفل سعيد إلى الكوفة، فمدحه كعب بن جعيل، فقال:

فعم الفتى إذ جال جيلان دونه وإذ هبطوا من دسئ ثم أبه أبهرا  
تعلم سعيد الخير أن مطيبي إذا هبطت أشفقت من أن تعقرا  
كانك يوم الشعب ليث خفية تحرد من ليث العرين وأصحرا  
تسوس الذي ما ساس قبلك واحد ثمانين ألفاً دارعين وحسرا

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف وغيره، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحدو منعوا ذلك الطريق، فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان، فأول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولي خراسان.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف العمي، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة العمي، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، وكانوا يجيئون أحياناً مائ ألف ويقولون: هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب، فلم يعازيه أحد حين قدمها، فلما صالح صولاً وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة، وولاه سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر.

## ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة

## وتوليته سعيداً عليها

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالاً: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهم بهما، ثم ترك ذلك وعزل سعيداً، وأخذ ما عليه، وأقر عبد الله، وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة - وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب - فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليه سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين، وليس على داره باب. ثم إن شباباً من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي، وكاثروه، فنذر بهم، فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ، فقالوا له: اسكت، فلما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة - وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم - فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط بهم فاخذوهم، وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي، وشبيل بن أبي الأزري، في عدة. فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضاً من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرحبة، وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي:

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سرفاً أهل الزعارة في ملك ابن عفان  
وقال أيضاً:

إن ابن عفان الذي جريتم فطم للصوص بمحكم الفرقان  
ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً في كل عنق منهم وبنان  
وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال: كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله ﷺ، فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو، فبينما هو ليلة على السطح، إذ استغاث جاره، فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره، وجعلوا يقولون له: لا تصح، فلما هي ضربة حتى نريحك، فقتلوه. فارتحل إلى عثمان، ورجع إلى المدينة ونقل أهله، ولهذا الحديث حين كثر أحدثت القسامة، وأخذ بقول ولي المقتول: ليفطم الناس عن القتل عن ملا من الناس يومئذ.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كريب، عن نافع بن جبير، قال: قال عثمان: القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه، يحلف منهم خمسون رجلاً إذا لم تكن بينة، فإن نقصت قسامتهم، أو إن نكل رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون، وأحلفوا، فإن حلف منهم خمسون استحقوا.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن عوف بن عبد الله، قال: كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سمال الأسدي في نفر من أهل الكوفة، يتنادي مناد لهم إذا قدم المياري: من كان ها هنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي سمال. فاتخذ موضع دار عقيل دار الضيفان ودار ابن هبار، وكان منزل عبد الله بن مسعود في هذيل في موضع الرمادة، فنزل موضع داره، وترك داره دار الضيافة، وكان الأضياف يتزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المغيرة بن مقسم، عن أدركم من علماء أهل الكوفة، أن أبا سمال كان يتنادي مناديه في السوق والكناسة: من كان ها هنا من بني فلان وفلان - لمن ليست له بها خطة - فمنزله على أبي سمال، فاتخذ عثمان للأضياف منازل.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مولى لآل طلحة، عن موسى بن طلحة مثله.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالاً: كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فنزل في بني تغلب. وكان أبو زيد في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم، وكانت بنو تغلب أخواله، فاضطهده أخواله ديناً له، فأخذ له الوليد بمجته، فشكرها له أبو زيد، وانقطع إليه، وغشيه بالمدينة، فلما ولي الوليد الكوفة أتاه مسلماً معظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة، فنزل دار الضيفان، وآخر قدمه قدمها أبو زيد على الوليد، وقد كان ينتجعه ويرجع، وكان نصرانياً قبل ذلك، فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد، وحسن إسلامه، فاستدخله الوليد، وكان عربياً شاعراً حين قام على الإسلام، فأتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندباً، وهم يحقدون له مذ قتل أبناءهم، ويضعون له العيون، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زيد؟ فثاروا في ذلك، فقال أبو زينب وأبو مورع وجندب لأناس من وجوده أهل الكوفة: هذا أميركم وأبو زيد خيرته، وهما عاكفان على الخمر، فقاموا معهم - ومنزل الوليد في الرحبة مع عمارة بن عقبة، وليس عليه باب - فاقترحوا عليه من المسجد وبابه إلى المسجد، فلم يفتحاً الوليد إلا بهم، ففتح شيتاً، فأدخله تحت السرير، فأدخل بعضهم يده فأخرجه لا يؤامره، فإذا طبق عليه تفاريق عنب - وإنما نحاه استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب - فقاموا فخرجوا على الناس، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وسمع الناس بذلك، فأقبل الناس عليهم

يسبونهم ويلعنونهم، ويقولون: أقوام غضب الله لعمله، وبعضهم أرغمه الكتاب، فدعاهم ذلك إلى التحسس والبحث، فستر عليهم الوليد ذلك، وطواه عن عثمان، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء، وكره أن يفسد بينهم، فسكت عن ذلك وصبر.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الفيض بن محمد، قال: رأيت الشعبي جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد - يعني ابن عقبة - وهو خليفة محمد بن عبد الملك، فذكر محمد غزو مسلمة، فقال: كيف لو أدركتم الوليد، غزوه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصر ولا انتفض عليه أحد حتى عزل عن عمله، وعلى الباب يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاصم بن القاسم، عن عون بن عبد الله، قال: جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود، فقالوا: الوليد يعتكف على الخمر، وإذا عوا ذلك حتى طرح على السن الناس، فقال ابن مسعود: ممن استتر عنا بشيء لم تنتب عورته، ولم نهتك ستره، فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه في ذلك، وقال: أيرضى من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت علي! أي شيء استتر به! إنما يقال هذا للمريب، فتلاحيا وافترقا على تغاضب، لم يكن بينهما أكثر من ذلك.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: أتى الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر! قال: زعم هؤلاء النفر - لنفر جاءوا به - أنه ساحر، قال: وما يدريك أنه ساحر! قالوا: يزعم ذلك، قال: أساحر أنت؟ قال: نعم، قال: وتدرى ما السحر؟ قال: نعم، وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويربهم أنه يخرج من فمه واسته. فقال ابن مسعود: فاقتله. فأنطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا، وأقبل جندب - واغتنمها - يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريه! فاضربه، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه، حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن استحلوه بالله ما علم برأيكم فيه. وإنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده. وعزروه، وخلوا سبيله. وتقدم إلى الناس في ألا يعملوا بالظنون، وألا يقيموا الحدود دون السلطان، فلما نقيت المخطئ، ونؤدب المصيب. ففعل ذلك به، وترك لأنه أصاب حداً، وغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينة، فيهم أبو خشة الغفاري وجثامة بن

الصعب بن جثامة ومعهم جندب، فاستغفوه من الوليد، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون، وتخطئون في الإسلام، وتخرجون بغير إذن، أرجعوا. فردهم، فلما رجعوا إلى الكوفة، لم يبق موتور في نفسه إلا أنهم، فاجتمعوا على رأي فأصدروه، ثم تغفلوا الوليد - وكان ليس عليه حجاب - فدخل عليه أبو زينب الأزدي وأبو مورع الأسدي، فسلا خاتمته، ثم خرجا إلى عثمان، فشهدا عليه، ومعهما نفر من يعرف من أعوانهم. فبعث إليه عثمان، فلما قدم أمر به سعيد بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله! فوالله إنهما لخصمان موتوران. فقال: لا يضرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا، فمن ظلم فالله ولي انتقامه، ومن ظلم فالله ولي جزائه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي غسان سكن بن عبد الرحمن بن حبيش، قال: اجتمع نفر من أهل الكوفة، فعملوا في عزل الوليد، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورع بن فلان الأسدي للشهادة عليه، فغشوا الوليد، وأكبوا عليه، فبينما هم معه يوماً في البيت وله امرأتان في المخدع، بينهما وبين القوم ستر، إحدهما بنت ذي الخمار والأخرى بنت أبي عقيل، فنام الوليد، وتفرق القوم عنه، وثبت أبو زينب وأبو مورع، فتناول أحدهما خاتمته، ثم خرجا، فاستيقظ الوليد وامراتاه عند رأسه، فلم ير خاتمة، فسألها عنه فلم يجد عندهما منه علماً، قال: فأي القوم تخلف عنهم؟ قالتا: رجلان لا نعرفهما، ما غشيناك إلا منذ قريب. قال: حلياهما، فقالتا: على أحدهما خيصة، وعلى الآخر مطرف، وصاحب المطرف أبعدهما منك، فقال: الطوال؟ قالتا: نعم، وصاحب الخيصة أقربهما إليك، فقال: القصير؟ قالتا: نعم، وقد رأينا يده على يدك. قال: ذاك أبو زينب، والآخر أبو مورع، وقد أرادا داهية، فليت شعري ماذا يريدان! فطلبهما فلم يقدر عليهما، وكان وجههما إلى المدينة، فقدمتا على عثمان، ومعهما نفر من يعرف عثمان، ممن قد عزل الوليد عن الأعمال، فقالوا له، فقال: من يشهد؟ قالوا: أبو زينب وأبو مورع، وكاع الأخران، فقال: كيف رأيتهما؟ قالوا: كنا من غاشيته، فدخلنا عليه وهو يقي الخمر، فقال: ما ببق الخمر إلا شاربها. فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رأيتهما، فقال متمثلًا: ما إن خشيت على أمر خلوت به - فلم أخفك على أمثالها حار فحلف له الوليد وأخبره خبرهم، فقال: نقيم الحدود ويؤء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي! فأمر سعيد بن العاص فجلبه، فأورث ذلك عداوة بين ولديهما حتى اليوم، وكانت على الوليد خيصة يوم أمر به أن يجلد، فترعها عنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

أهله كثيراً يتابعون، فلما فتح الله الشام قدمها، فأقام مع معاوية، وكان يتيماً نشأ في حجر عثمان، فتذكر عمر قريشاً، وسأل عنه فيما يتفقد من أمور الناس، فقيل: يا أمير المؤمنين، هو بدمشق، عهد العاهد به وهو مأموم بالموت. فأرسل إلى معاوية: أن ابعث إلي سعيد بن العاص في منقل، فبعث به إليه وهو دنف، فلما بلغ المدينة حتى أفاق، فقال: يا ابن أخي، قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازد يزدك الله خيراً. وقال: هل لك من زوجة؟ قال: لا، قال: يا أبا عمرو، ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته؟ قال: قد عرضت عليه فأبى، فخرج يسير في البر، فأنتهى إلى ماء، فلقى عليه أربع نسوة، فقمّن له، فقال: ما لكن؟ ومن أنتن؟ فقلن: بنات سفيان بن عوف - ومعهن أمهن - فقالت: أمهن: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهن في أكفائهن، فزوج سعيداً إحداهن وعبد الرحمن بن عوف الأخرى، والوليد بن عقبة الثالثة، وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي، فقلن: قد هلك رجالنا، وبقي الصبيان، فضعنا في أكفائنا، فزوج سعيداً إحداهن، وجبر بن مطعم إحداهن، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء، وقد كان عمومته ذوي بلاء في الإسلام، وسابقة حسنة، وقدمه مع رسول الله ﷺ، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس.

فقدم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميراً، وخرج معه من مكة - أو المدينة - الأشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله وأبو مصعب بن جثامة - وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيونه، فرجعوا مع هذا - فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره، ولكني لم أجد بداً إذ أمرت أن أتمر. ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعيبي، وإني لرائد نفسي اليوم. ونزل. وسأل عن أهل الكوفة، فأقيم على حال أهلها.

فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمية، والغالب على تلك البلاد روادف ردت، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها.

فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمية ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء. واحفظ لكل منزلته، وأعظمهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل.

فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية،

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الطنافسي، عن أبي عبيدة الإيادي، قال: خرج أبو زينب وأبو مورع حتى دخلا على الوليد بيته، وعنده امرأتان: بنت ذي الخمار وبنت أبي عقيل، وهو نائم، قالت إحداهما: فأكب عليه أحدهما فأخذ خاتمها، فسألها حين استيقظ، فقالتا: ما أخذناه، قال: من بقي آخر القوم؟ قالتا: رجلان، رجل قصير عليه خميصة، ورجل طويل عليه مطرف، ورأينا صاحب الخميصة أكب عليك، قال: ذاك أبو زينب. فخرج يطلبهما، فإذا هو وجههما عن ملا من أصحابهما، ولا يدري الوليد ما أراد من ذلك. فقدم على عثمان، فأخبره الخبر على رؤوس الناس، فأرسل إلى الوليد، فقدم، فإذا هو بهما. ودعا بهما عثمان، فقال: بم تشهدان؟ أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر؟ فقالا: لا، وخافا، قال: فكيف؟ قالا: اعتصمناهما من لحيته وهو يقف الخمر. فأمر سعيد بن العاص فجلبه، فأورث ذلك عداوة بين أهليهما.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي العريف ويزيد القعسي، قال: كان الناس في الوليد فرقتين: العامة معه والخاصة عليه، فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفين، فولى معاوية، فجعلوا يقولون: عيب عثمان بالباطل، فقال لهم علي عليه السلام: إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقبل ردفه، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله، وعزله عن عمله! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا!!

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كريب، عن نافع بن جبير، قال: قال عثمان رضي الله عنه: إذا جلد الرجل الحد ثم ظهرت توبته جازت شهادته.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي كبران، عن مولاة لهم - وأثنى عليها خيراً - قالت: كان الوليد أدخل على الناس خيراً، حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك، كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن:

يا ويلنا قد عزل الوليد وجاءنا مجموعاً سعيد يتقص في الصاع ولا يزيد فجسوع الإماء والعبيد

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، قال: كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأمر سعيد:

لا يبعد الملك إذ ولت شمائله ولا الرئاسة لما راس كساب

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قال: قدم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان، وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية، وكان



ذلك وبعده جربان الفيء، والفيء الذي يتداعاه أهل الأمصار، فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصر ومن تابعهم من أهل بلادهم. فأجلى عنه، فأتاهم شيء عرفوه. وأخذ بقدر عدة من شهداء من أهل المدينة، ويقدر نصيبهم، وضم ذلك إليهم، فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت، يرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة مثل ذلك، إلا أنهم قالوا: اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة ممن كان له هنالك شيء، فأراد أن يستبدل به فيما يليه، فأخذوا، وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق، إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة في المجالس والرياسة والخطوة، ثم كانوا يعيرون التفضيل، ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يخفون به ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو محرر استحلّى كلامهم، فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان - وكذلك كانوا يصنعون، يجعلون للناس رداً - فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - سقط خاتم رسول الله ﷺ من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة، وكانت من أقل الآبار ماء، فما أدرك حتى الساعة قرعها.

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر

أريس

حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز. قال: وكان شريك يونس بن عبيد قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتاباً يدعوهم إلى الله عز وجل، فقال له رجل: يا رسول الله، إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً، فأمر رسول الله ﷺ أن يعمل له خاتم من حديد، فجعله في إصبعه، فأتاه جبريل، فقال له انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر بختام آخر يعمل له، فعمل له خاتم من نحاس، فجعله في إصبعه، فقال له جبريل عليه السلام: انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر رسول الله ﷺ بختام من ورق، فصنع له خاتم من ورق فجعله في إصبعه، فأقره

فقال: أنتم وجوه من وراءكم، والوجه ينبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وخلّة ذي الخلّة. وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف، وخلص بالقراء والمتسمتين في سمرة، فكأنما كانت الكوفة يساً شملت نار، فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم، وفشت القالة والإذاعة.

فكتب سعيد إلى عثمان، بذلك فنادى منادى عثمان: الصلاة جامعة! فاجتمعوا، فأخبرهم بالذي كتب به إلى سعيد، وبالذي كتب به إليه فيهم وبالذي جاءه من القالة والإذاعة، فقالوا: أصبت فلا تسعفهم في ذلك ولا تطعمهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحمّلها وأفسدها.

فقال عثمان: يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا، فقد دبت إليكم الفتنة. ونزل. فأوى إلى منزله، وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين شرعوا في الخلاف:

أبني عبيد قد أتى أشياعكم عنكم مقاتلكم وشعر الشاعر فإذا أتاكم هذه فلبسوا إن الرماح بصيرة بالخاسر

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، قال: كان عثمان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن عبد الله الجمحي، عن عبيد الله بن عمر، قال: سمعته وهو يقول لأبي: إن عثمان جمع أهل المدينة، فقال: يا أهل المدينة، إن الناس يتمخضون بالفتنة، وإني والله لأتخلصن لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه، فيقيم معه في بلاده؟ فقام أولئك، وقالوا: كيف تنقل لنا ما آفأ الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟ فقال: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز. ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم، فافترقوا وقد فرجها الله عنهم به. وكان طلحة بن عبيد الله قد استجمع له عامة سهمان خيبر إلى ماكان له سوى ذلك، فاشترى طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النشاستج بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال، واشترى منه بيتر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق، واشترى منه مروان بن الحكم بمال كان له أعطاه إياه عثمان نهر مروان - وهو يومئذ أجمة - واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت، فكان مما اشترى منه الأشعث بمال كان له في حضرموت، ماكان له بطيزاباذ. وكتب عثمان إلى أهل الأفاق في

أظنك والله يهودياً! فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به، فأتى به معاوية، فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر، وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء. بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يتفقهونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت وكيت. فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها، فلم يبق إلا أن تب. فلا تنكأ القرح، وجهر أبا ذر إلي، وأبعث معه دليلاً وزوده، وارفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت. فبعث بأبي ذر ومعه دليل، فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع، قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة.

ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذر، ما لأهل الشام يشكون ذربك! فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً. فقال: يا أبا ذر، علي أن أقضي ما علي، وأخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعهم إلى الاجتهاد والاقتصاد.

قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار؟ فقال: أو تستبدل بها إلا شراً منها! قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً قال: فأنفذ لما أمرك به. قال: فخرج حتى نزل الريزة، فخطب بها مسجداً، وأقطع عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه: أن تعاهد المدينة حتى لا ترد أعرابياً، ففعل.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أبو ذر يختلف من الريزة إلى المدينة خافة الأعرابية، وكان يحب الوحدة والخلوة. فدخل على عثمان، وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القرابات فقال كعب: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذر محجته فصره فشجه، فاستوجه عثمان، فوجه له، وقال: يا أبا ذر، اتق الله واكفف يدك ولسانك، وقد كان قال له: يا ابن اليهودية، ما أنت وما هاهنا! والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأشعث بن سوار، عن محمد بن سيرين، قال: خرج أبو ذر إلى الريزة من

جربيل، وأمر أن ينقش عليه: محمد رسول الله، فجعل يتختم به، ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر. فكتب كتاباً إلى كسرى بن هرمز، فبعثه مع عمر بن الخطاب، فأتى به عمر كسرى فقرأ الكتاب، فلم يلتفت إلى كتابه، فقال عمر: يا رسول الله، جعلني الله فداءك! أنت على سرير مرمول بالليف، وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب، وعليه الديباج! فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة!». فقال: جعلني الله فداءك! قد رضيت.

وكتب كتاباً آخر، فبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم يدعو إلى الإسلام، فقرأه وضمه إليه، ووضع عنده، فكان الخاتم في إصبع رسول الله ﷺ يتختم به حتى قبضه الله عز وجل، ثم استخلف أبو بكر فتختم به حتى قبضه الله عز وجل، ثم ولي عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم به حتى قبضه الله عز وجل، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان، فتختم به ست سنين، فحفر ثراً بالمدينة شراً للمسلمين فقعد على رأس البشر فجعل يعبث بالخاتم، ويديره بإصبعه، فانسَل الخاتم من إصبعه فوقع في البثر، فظلموه في البثر، ونزحوا ما فيها من الماء، فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به، واغتم لذلك غماً شديداً، فلما يش من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله، خلقه من فضة، على مثاله وشبهه، ونقش عليه: محمد رسول الله، فجعله في إصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يدر من أخذه.

### أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها.

فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إلي بها السري، يذكر أن شعيماً حدثه عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر، فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية، يقول: المال مال الله! إلا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبا ذر، فقال: ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله! قال: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره! قال: فلا تقله، قال: فلاني لا أقول: إنه ليس لله، ولكن سأقول: مال المسلمين.

قال: وأتى ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له: من أنت؟

من جوز - وهي أردشير خره - في سنة ثلاثين. فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي فأتبعه إلى كرمان، فنزل مجاشع السيرجان بالسكرك، وهرب يزجرد إلى خراسان. قال: وعبد القيس تقول: وجه ابن عامر هرم بن حيان العبدي، ويكر بن وائل تقول: وجه ابن حسان اليشكري. قال: وأصححه عندنا مجاشع.

قال علي: وأخبرنا سلمة بن عثمان - وكان فاضلاً - عن شيخ من أهل كرمان والفضل الكرمانى، عن أبيه، قال: اتبع مجاشع يزجرد فخرج من السيرجان، فلما كان عند القصر في يمينه - وهو الذي يقال له قصر مجاشع - أصابهم الثلج والدمق، فوقع الثلج، واشتد البرد، وصار الثلج قامة رمح، فهلك الجند، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية، فشقق بطن بعير، فأدخلها فيه وهرب، فلما كان من الغد، جاء فوجدها حية فحملها، فسمي ذلك القصر قصر مجاشع، لأن جيشه هلكوا فيه، وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان.

قال علي: أخبرنا أبو المقدم، عن بعض مشيخته، قال: خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تستر - وفيهم الأخنف - وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً، سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء، فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الأموال.

قال علي: فقلت للنضر بن إسحاق: إن أبا المقدم ذكر هذا الحديث! فقال: صدق، سمعته من عدة من الحبي وغيرهم، وفرسه الصفراء الغراء ابنة الغبراء. وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عاذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سلم ويكنى أبا سليمان.

قال: وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء، وصلى بمنى أربعاً.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان عليه السلام.

قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع له، وأخرج معاوية أهله من بعده، فخرجوا إليه ومعهم جراب يشغل يد الرجل، فقال: انظروا إلى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده! فقالت امرأته: أما والله ما فيه دينار ولا درهم، ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا.

ولما نزل أبو ذر الربهة أقيمت الصلاة، وعليها رجل يلي الصدقة، فقال: تقدم يا أبا ذر، فقال: لا، تقدم أنت، فإن رسول الله ﷺ قال لي: «اسمع وأطع، وإن كان عليك عبد مجدع»، فأتت عبد ولست بأجدع - وكان من رقيق الصدقة، وكان أسود يقال له مجاشع.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جابر، قال: أجرى عثمان على أبي ذر كل يوم عظماً، وعلى رافع بن خديج مثله، وكانا قد تنجيا عن المدينة لشيء سمعاه لم يفسر لهما، وأبصرا وقد أخطنا.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن سلمة بن نباتة، قال: خرجنا معتمرين، فأتينا الربهة، فطلبنا أبا ذر في منزله، فلم نجده، وقالوا: ذهب إلى الماء فتحنينا، ونزلنا قريباً من منزله، فمر ومعه عظم جزور يحمله معه غلام، فسلم ثم مضى حتى أتى منزله، فلم يكث إلا قليلاً حتى جاء، فجلس إلينا وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «اسمع وأطع، وإن كان عليك حبشي مجدع»، فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله، وعليهم حبشي - وليس بأجدع، وهو ما علمت، وأتني عليه - ولهم في كل يوم جزور، ولي منها عظم أكله أنا وعيالي. قلت: ما لك من المال؟ قال: صرمة من الغنم وقطيع من الإبل، في أحدهما غلامي وفي الآخر أمي، وغلامي حر إلى رأس السنة. قال: قلت: إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالاً، قال: أما إنهم ليس لهم في مال الله حق إلا ولي مثله.

وأما الآخرون، فإنهم رويوا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأمور شنيعة، كرهت ذكرها.

### ذكر هرب يزجرد إلى خراسان

في هذه السنة، هرب يزجرد بن شهریار في قول بعضهم من فارس إلى خراسان.

ذكر من قال ذلك وماقال فيه.

ذكر علي بن محمد أن مسلمة أخيره عن داود، قال: قدم ابن عامر البصرة، ثم خرج إلى فارس فافتتحها، وهرب يزجرد

على مصر.

## السنة الحادية والثلاثون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمما كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الروم التي يقال لها.

### غزوة الصواري

في قول الواقدي. فأما أبو معشر فإنه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين، وقال: كانت في سنة إحدى وثلاثين الأساودة في البحر وقائع كسرى.

وقال الواقدي: غزوة الصواري والأساودة كلتاها كانتا في سنة إحدى وثلاثين.

ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين.

ذكر الواقدي أن محمد بن صالح حدثه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان، وكانت الشام قد جمع جمعها لمعاوية بن أبي سفيان. ذكر السبب في جمعها له.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: لما حضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم - وهو خاله وابن عمه - وقد كان ولي بالجزيرة عملاً، فعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلحق بأبي عبيدة بالشام، وكان معه، وكان جواداً مشهوراً بالجد، لا يليق شيئاً، ولا يمنع أحداً. فكلم عمر في ذلك، فقبل له: عزلت خالداً وعتبت عليه العطاء، وعياض أجود العرب وأعطاهم، لا يمنع شيئاً يسأله، فقال عمر: متى سيمه عياض في ماله حتى يخلص إلى ما لنا! وإني مع ذلك لم أكن مغيراً أمراً قضاه أبو عبيدة. ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة، فأمر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجمحي، ومات سعيد بعده، فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري، ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين، وإنما مصر قنسرين ومعاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين ومات يزيد بن أبي سفيان، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان، فقال: من جعلت على عمله يساً أمير المؤمنين؟ فقال: معاوية، فقال: وصلتك رحم، فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق، ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين، وعلقة بن مجزز على فلسطين وعمرو بن العاص

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم، قال: كان أول عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن وصية عمر. ثم إن عمير بن سعد طعن فأضنى منها، فاستغفى عثمان واستأذنه في الرجوع إلى أهله، فأذن له، وضم حمص وقنسرين إلى معاوية.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، عن خالد بن معدان، قال: لما ولي عثمان أقر عمال عمر على الشام، فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكناني - وكان على فلسطين - ضم عمله إلى معاوية، ومرض عمير بن سعد في إمارة عثمان مرضاً طال به، فاستعفاه واستأذنه فأذن له، وضم عمله إلى معاوية، فاجتمع الشام على معاوية لستين من إمارة عثمان. وكان عمرو بن العاص على مصر زمان عمر، مجتمعة له، فأقره عثمان صديقاً من إمارته.

رجع الحديث إلى حديث الواقدي عن خبر الغزوتين اللتين ذكرتهما.

إن أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان، وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وقال: وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بإفريقية، فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام، فخرجوا على خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد، فأمن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريخها.

قال ابن عمر: حدثني عيسى بن علقمة، عن عبد الله بن أبي سفيان، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: كنت معهم، فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلاً قط، وكانت الرياح علينا، فأسرينا ساعة، وأرسوا قريباً منا، وسكنت الرياح عنا، فقلنا: الأمن بيننا وبينكم. قالوا: ذلك لكم ولنا منكم، ثم قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وإن شتمت فالبحر. قال: فنخروا نخرة واحدة، وقالوا: الماء، فدنونا منهم، فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضها بعضاً على سفتنا وسفنتهم، فقاتلنا أشد القتال، ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيف على السفن، ويتواجشون بالخنجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً.

قال ابن عمر: فحدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن حضر ذلك اليوم، قال: رأيت الساحل حيث تضرب الرياح الموج، وإن عليه لمثل الظرب العظيم من جثث

قال محمد بن عمر: فحدثني معمر بن راشد، عن الزهري، قال: خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر، وأن دم عثمان حلال. ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد، رجلاً كان رسول الله ﷺ أباح دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسول الله ﷺ قوماً وأدخلهم، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال: لا تركبنا معنا، فركبنا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدو، وكانا أكل المسلمين قتلاً، فقليل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه! عبد الله بن سعد استعمله عثمان، وعثمان فعل وفعل، فأفسد أهل تلك الغزاة، وعابا عثمان أشد العيب. فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهما أشد النهي، وقال: والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وجستكما.

قال الواقدي: وفي هذه السنة توفي أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين - فتحت في قول الواقدي أرمينية على يدي حبيب بن مسلمة الفهري.

### ذكر الخبر عن مقتل يزيد جرد ملك فارس

وفي هذه السنة قتل يزيد جرد ملك فارس.

ذكر الخبر عن سبب مقتله.

اختلف في سبب مقتله، وكيف كان ذلك، فقال علي بن محمد: أخبرنا غياث بن إبراهيم، عن إسحاق، قال: هرب يزيد جرد من كرمان في جماعة بسيرة إلى مرو، فسأل مرزبانها مالاً فممنعه، فخافوا على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه، فأتوه فبيته، فقتلوا أصحابه، وهرب يزيد جرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب، فأوى إليه ليلاً فلما نام قتله.

قال علي: وأخبرنا الهذلي، قال: أتى يزيد جرد مرو هارباً من كرمان، فسأل مرزبانها وأهلها مالاً، فممنعه وخافوه، فبيته ولم يستجيشوا عليه الترك، فقتلوا أصحابه، وأخرج هارباً على رجليه معه منطقتة وسيفه وتاجه، حتى انتهى إلى منزل نثار على شط المرغاب، فلما غفل يزيد جرد قتله النثار، وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب، وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفى عليهم عند منزل النثار، فأخذوه، فأقروا لهم بقتله وأخرج متاعه، فقتلوا النثار وأهل بيته، وأخذوا متاعه ومتاع يزيد جرد، وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب.

الرجال، وإن الدم غالب على الماء، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله. ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، وانهزم القسطنطين مدبراً، فما انكشف إلا لما أصابه من القتل والجراح، ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً.

قال ابن عمر: حدثني سالم مولى أم محمد، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبد الله الصنعاني، قال: كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين، لما صلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالناس العصر، كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً، ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما انصرف سال: ما هذا؟ فقبل له: هذا محمد بن أبي حذيفة يكبر، فدعاه عبد الله بن سعد، فقال له: ما هذه البدعة والحدث؟ فقال له: ما هذه بدعة ولا حدث، وما بالتكبير بأس، قال: لا تعودن.

قال: فأسكت محمد بن أبي حذيفة، فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً أرفع من الأول، فأرسل إليه: إنك غلام أحمق، أما والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لقصارت بين خطوك. فقال محمد بن أبي حذيفة: والله ما لك إلى ذلك سبيل، ولو هممت به ما قدرت عليه. قال: فكف خير لك، والله لا تركب معنا، قال: فأركب مع المسلمين؟ قال: أركب حيث شئت. قال: فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط، حتى لسو بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا علي، قالوا: نظروا الليلة، فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله.

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقربوا سفنهم، وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر، ووثب الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها، فكانوا يقاتلون على غير صفوف. قال: فاقتلوا قتلاً شديداً. ثم إن الله نصر المؤمنين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد.

قال: وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم، ثم أقبل راجعاً، وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً، فيقول الرجل: وأي جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتى أفسد الناس. فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به.

قال: فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين، وسميت مرو نخداه دشمن، وقد كان يزدجرد وطئ امرأة بها فولدت له غلاماً ذاهب الشق - وذلك بعدما قتل يزدجرد - فسمي المخدج، فولد له أولاد بخراسان، فوجد قتيبة حين افتتح الصفد أو غيرها جارتين فقيل له: إنهما من ولد المخدج، فبعث بهما - أو بإحدهما - إلى الحجاج بن يوسف، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص.

قال علي: وأخبرنا روح بن عبد الله، عن خرداذبه الرازي، أن يزدجرد أتى خراسان ومعه خرزادهم، أخو رستم، فقال لماهويه مرزبان مرو: إني قد سلمت إليك الملك. ثم انصرف إلى العراق وأقام يزدجرد بمرو، وهم بعزل ماهويه، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهم يزدجرد وبقدومه عليه، وعاهداهم على مؤازرتهم عليه، وخلق لهم الطريق.

قال: وأقبل الترك إلى مرو، وخرج إليهم يزدجرد فيمن معه من أصحابه، فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرو، فأتخن يزدجرد في الترك، فخشى ماهويه أن ينهزم الترك فتحول إليهم في أساورة مرو، فانهزم جند يزدجرد وقتلوا، وعقر فرس يزدجرد عند المساء، فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحاً على شط المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه، فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرحا بيته، فلما رأى هيئة يزدجرد قال: ما أنت؟ إنسي أو جني! قال: إنسي، فهل عندك طعام؟ قال: نعم، فأتاه به، فقال: إني مزرم فأتني بما أزمزم به، فذهب الطحان إلى سوار من الأساورة، فطلب منه ما يزمزم به، قال: وما تصنع به؟ قال: عندي رجل لم أر مثله قط، وقد طلب هذا مني. فأدخله على ماهويه، فقال: هذا يزدجرد، اذهبوا فجيئوني برأسه، فقال له الموبذ: ليس ذلك لك، قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر، ومتى فعلت انتهكت الحرمه التي لا بعدها. وتكلم الناس وأعظموا ذلك، فشتهم ماهويه، وقال للأساورة: من تكلم فاقتلوه. وأمر عدة فذهبوا مع الطحان، وأمرهم أن يقتلوا يزدجرد، فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتله، وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان: ادخل فاقطله، فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشده به رأسه، ثم احتز رأسه، فدفعه إليهم، وألقى جسده في المرغاب. فخرج قوم من أهل مرو، فقتلوا الطحان، وهدموا رحاه، وخرج أسقف مرو، فأخرج جسد يزدجرد من المرغاب، فجعلته في تابوت، وحمله إلى إصطخر، فوضعه في ناووس.

وقال بعضهم: إن يزدجرد مضى من فوره ذلك إلى سجستان، ثم سار منها إلى مرو في ألف رجل من الأساورة.

وقال بعضهم: إن يزدجرد وقع إلى أرض فارس، فأقام بها أربع سنين، ثم أتى أرض كرمان، فأقام بها ستين أو ثلاث سنين، فطلب إليه دهقان كرمان إن يقيم عنده، فلم يفعل، وطلب من الدهقان أن يعطيه رهينة، فلم يعطه دهقان كرمان شيئاً، فلم يعطه ما طلب، فاخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده، فوقع منها إلى سجستان، فأقام بها نحواً من خمس سنين.

ثم أجمع أن ينزل خراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلبه على مملكته، فسار بمن معه إلى مرو، ومعه الرهن من أولاد الدهاقين، ومعه من رؤسائهم فرخزاد، فلما قدم مرو استغاث منهم بالملوك، وكتب إليهم يستمدهم، وإلى صاحب الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر والدهقان يومئذ بمرو ماهويه بن ما فناه بن فيد أبو براز. ووكل ماهويه ابنه براز مدينة مرو - وكانت إليه - وأراد يزدجرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قهnderها - وكان ماهويه قد تقدم إلى ابنه ألا يفتحها له إن رام دخولها، تخوفاً لكرهه وغدره - فركب يزدجرد في اليوم الذي أراد دخولها، فأطاف بالمدينة، فلما انتهى إلى باب من أبوابها، وأراد دخولها منه صاح أبو براز ببراز: أن افتح - وهو في ذلك يشد منطقه، ويومئ إليه ألا يفعل - وفطن لذلك رجل من أصحاب يزدجرد، فأعمله ذلك، واستأذنه في ضرب عتق ماهويه، وقال: إن فعلت صفت لك الأمور بهذه الناحية فأبى عليه.

وقال آخرون في ذلك ما ذكر هشام بن محمد، أنه ذكر له

بجنية من جنائبه فركبها، فلما توسط عسكريه توافقا، فقال له نيزك فيما يقول: زوجني إحدى بناتك وأنا ناصحك، وأقاتل معك عدوك. فقال له يزدجرد: وعلي تجترئ أبها الكلب! فعلاه نيزك بمخففته، وصاح يزدجرد: غدر الغادر! وركض منهزماً، ووضع أصحاب نيزك سيفهم فيهم، فأكثروا فيهم القتل.

وانتهى يزدجرد من هزيمته إلى مكان من أرض مرو، فنزل عن فرسه، ودخل بيت طحان فمكث فيه ثلاث أيام، فقال له الطحان: أيها الشقي، اخرج فاطعم شيئاً، فإنك قد جعت منذ ثلاث، قال: لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة، وكان رجل من زمزمة مرو أخرج حنطة له ليطحنها، فكلمه الطحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك، فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يزدجرد، فسأله عن حليته، فوصفوه له، فأخبرهم أنه رآه في بيت طحان، وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا، مقرط مسور. فوجه إليه عند ذلك رجلاً من الأساورة، وأمره هو إن ظفر به أن يخنقه بوتر، ثم يطرحه في نهر مرو، فلحق الطحان، فضربه ليدل عليه فلم يفعل، وجحدهم أن يكون يعرف أين توجه. فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم: إني أجد ريح المسك، ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله ولا يدل عليه، ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته، قال الآخر: أعطني أربع دراهم وأخلي عنك، قال يزدجرد: ويحك خاقي لك، وثمنه لا يحصى! فأبى عليه، قال يزدجرد: قد كنت أخبرني سأحتاج إلى أربعة دراهم، واضطر إلى أن يكون أكلني أكل الهر، فقد عانيت، وجاءني بحقيقته، وانتزع أحد قرطيه فاعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فوصف له موضعه، وأئذ الرجل أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه وقال: ويحكم! إنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبة الله بالحريق في الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني وآتوني الدهقان أو سرحوني إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلي من الملوك، فأخذوا ما كان عليه من الحلبي، فجعلوه في جراب، وختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، وطرحوه في نهر مرو، فجري به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق، فتعلق بهود، فأتاه أسقف مرو، فحمله ولفه في طيلسان مسك، وجعله في تابوت، وحمله إلى باني بابان أسفل ماجان، فوضعه في عقد كان يكون مجلس الأسقف فيه وردمه، وسأل أبو براز عن أحد القرطين حين افتقده، فأخذ الذي دل عليه فضربه حتى أتى على نفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ، فأغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود.

وقال آخرون: بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود

وقال بعضهم: بل كان يزدجرد ولي مرو فرخزاد، وأمر براز أن يدفع القهндز والمدينة إليه، فأبى أهل المدينة ذلك، لأن ماهويه أبا براز تقدم إليهم بذلك، وقال لهم: ليس هذا لكم بملك، فقد جاءكم مفلولاً مجروحاً، ومرو لا تحتمل ما يحتمل غيرهما من الكور، فإذا جئتم غداً فلا تفتحوا الباب. فلما أتاهم فعلوا ذلك، وانصرف فرخزاد، فجثا بين يدي يزدجرد، قال: استصعبت عليك مرو، وهذه العرب قد أتتك. قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها، حتى يتبين لنا أمر العرب، فإنهم لا يدعون بلدة إلا دخلوها. قال: لست أفعل، ولكني أرجع عودي على بدني، فعصاه ولم يقبل رأيه، وسار يزدجرد، فأتى براز دهقان مرو واجمع على صرف الدهقنة إلى سنجان ابن أخيه، فبلغ ذلك ماهويه أبا براز، فعمل في هلاك يزدجرد وكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه مفلولاً، ودعاه إلى القدوم عليه لتكون أيديهما معاً في أخذه، والاستيثاق منه، فيقتلوه أو أو يصالحوا عليه العرب، وجعل له إن هو أراحه منه أن يفي له كل يوم بألف درهم، وسأله أن يكتب إلى يزدجرد بما كرا له لينحي عنه عامة جنده، ويحصل في طائفة من عسكريه وخواصه، فيكون أضعف لركننه، وأهون لشوكته، وقال: تعلمه في كتابك إليه الذي عزمت عليه، من مناصحته ومعونته على عدوه من العرب، حتى يقهرهم، وتطلب إليه أن يشق لك اسماً من أسماء أهل الدرجات بكتاب مختوم بالذهب، وتعلمه أنك لست قادماً عليه حتى ينحي عنه فرخزاد.

فكتب نيزك بذلك إلى يزدجرد، فلما ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مرو فاستشارهم، فقال له سنجان: لست أرى أن تنحي عنك جندك وفرخزاد لشيء، وقال: أبو براز: بل أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سأل. فقبل رأيه، وفرق عنه جنده، وأمر فرخزاد أن يأتي أجمة سرخس، فصاح فرخزاد، وشق جيئه، وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به، وقال: يا قتلة الملوك، قتلتم ملكين، وأظنكم قاتلي هذا! ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده كتاباً: هذا الكتاب لفرخزاد، أنك قد سلمت يزدجرد وأهله وولده وحاشيته وما معه إلى ماهويه دهقان مرو. وأشهد عليه بذلك.

فأقبل نيزك إلى موضع بين المرويين، يقال له: حلسدان، فلما أجمع يزدجرد على لقائه والمسير إليه، أشار عليه أبو براز ألا يلقاه في السلاح فیرتاب به، وينفر عنه، ولكن يلقاه بالزمامير والملاهي، ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه، وسمى له، وتقاوس عنه أبو براز، وكردس نيزك أصحابه كراديس. فلما تدانوا استقبله نيزك ماشياً، ويزدجرد على فرس له، فأمر لينزك

المطارنة بمرو ناووساً، ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها، وجعلها في تابوت، وحمله من كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي أمر ببنائه له وواروه فيه، وردموا بابه، فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة ومست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه.

وكان آخر ملك من آل أردشير بن بابك، وصفا الملك بعده للعرب.

### شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان فروح

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين - شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا حتى بلغ سرخس، وصالح فيها أهل مرو.

ذكر الخبر عن ذلك.

ذكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمي، فقال: أصليح الله الأمير! إن الأرض بين يديك، ولم تفتح من ذلك إلا القليل، فسر فإن الله ناصرك، قال: أو لم تأمر بالسير! وكره أن يظهر أنه قبل رايه، فذكر علي بن محمد أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن بن قتادة العريفي، قال: فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم، قال: كنا نقول: إنه الأحنف - ويقال: أوس بن جابر الجشمي جشم تميم - فقال له: إن عدوك منك هارب، وهو لك هائب، والبلاد واسعة، فسر فإن الله ناصرك، ومعز دينه.

فتجهز ابن عامر، وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق إصبهان، ثم سار إلى خراسان.

قال علي: أخبرنا الفضل الكرماني، عن أبيه، قال: كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل المعسكر بالسيرجان، ثم سار إلى خراسان، واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة رابر، وهي ثمانون فرسخاً، ثم سار إلى الطيسين يريد أبرشهر، وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قهستان، وخرج إلى أبرشهر فلقية الهياطة، وهم أهل هراة، فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور.

قال علي: وأخبرنا أبو مخنف، عن ثمير بن وعلة، عن

العرب إياها، فأخذ على طريق الطيسين وقهستان، حتى شارف مرو في زهاء أربعة آلاف رجل، ليجمع من أهل خراسان جموعاً، ويكر العرب ويقاتلهم، فتلقاها قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمرو، يقال لأحدهما: براز والآخر سنجان، ومنحاه الطاعة، وأقام بمرو، وخص براز فحسده ذلك سنجان، وجعل براز يبغي سنجان الغوائل، ويوغل صدر يزدجرد عليه، وسعى بسنجان حتى عزم على قتله، وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز وإطاهها، فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزدجرد على قتل سنجان، وفشا ما كان عزم عليه يزدجرد من ذلك. فندّر سنجان، وأخذ حذره، وجمع جمعاً كتحو أصحاب براز، ومن كان مع يزدجرد من الجند، وتوجه نحو القصر الذي كان يزدجرد نازله. وبلغ ذلك براز، فنكص عن سنجان لكثرة جموعه، ورعب جمع سنجان يزدجرد وأخافه، فخرج من قصره متنكراً، ومضى على وجهه راجلاً لينجو بنفسه، فمشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحا ما، فدخل بيت الرحا، فجلس فيه كالاً لعباً، فرأه صاحب الرحا، ذا هيئة وطرة وبزة كريمة، ففرش له، فجلس وأثاء بطعام قطعهم، ومكث عنده يوماً وليلة، فسأله صاحب الرحا أن يأمر له بشيء، فبذل له منطقة مكللة بjoyهر كانت عليه، فأبى صاحب الرحا أن يقبلها، وقال: إنما كان يرخصني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب، فأخبره أنه لا ورق معه، فتملقه صاحب الرحا، حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله، واحتز رأسه، وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة، وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رحاه، وبقر بطنه، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرفاء كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جثته في الموضع الذي القاه فيه، فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه، وهرب على وجهه. وبلغ قتل يزدجرد رجلاً من أهل الأهواز كان مطراناً على مرو، يقال له: إيلياء، فجمع من كان قبله من النصارى، وقال لهم: إن ملك الفرس قد قتل، وهو ابن شهريار بن كسرى، وإنما شهريار ولد شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه، ولهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى في ملك جده كسرى من الشرف، وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير، حتى بنى لهم بعض البيع، وسدد لهم بعض ملتهم، فبينما لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين، كان إلى النصارى، وقد رأيت أن أبني له ناووساً، وأحل جثته في كرامة حتى أواربها فيه.

فقال النصارى: أمرنا لأمرك أيها المطران تبس، ونحن لك على رأيك هذا مواطنون. فامر المطران فبنى في جوف بستان



النعمان الباهلي، فصالح براز مرزيان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف.

قال: فأخبرنا مصعب بن حيان عن أخيه مقاتل بن حيان، قال: صالحهم على ستة آلاف ألف ومائتي ألف.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان رضي الله عنه.

الشعبي، قال: أخذ ابن عامر على مفازة خبيص، ثم على خواست - ويقال: على يزد - ثم على قهستان، فقدم الأحنف فلقبه الهياطلة، فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى أبرشهر، فنزلها ابن عامر، وكان سعيد بن العاص في حند أهل الكوفة، فأتى جرجان وهو يريد خراسان، فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر، رجع إلى الكوفة.

قال علي: أخبرنا علي بن مجاهد، قال: نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة، وكان النصف الآخر في يد كنارى، ونصف نساوطوس، فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو، فصالح كنارى، فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كنارى وابن أخيه سليماً رهناً، ووجه عبد الله بن خازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كنارى، فصارا إلى النعمان ابن الأقمم النصري فأعتقهما.

قال علي: وأخبرنا أبو حفص الأزدي، عن إدريس بن حنظلة العمي، قال: فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة، وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحران، وذلك سنة إحدى وثلاثين.

قال علي: أخبرنا أبو السري المروزي، عن أبيه، قال: سمعت موسى بن عبد الله بن خازم يقول: أبي صالح أهل سرخس، بعث إليهم عبد الله بن عامر من أبرشهر وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً، فأعطوه جارين من آل كسرى بابونج وطهميج - أو طهميج - فأقبل بهما معه، وبعث أمين بن أحر اليشكري، ففتح ما حول أبرشهر: طوس وبيورد ونسا وحران، حتى انتهى إلى سرخس.

قال علي: وأخبرنا الصلت بن دينار، عن ابن سيرين، قال: بعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى سرخس، ففتحها وأصاب ابن عامر جارين من آل كسرى، فأعطى إحداهما النوشجان وماتت بابونج.

قال علي: وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيذ العدوي، عن أشياخ من أهل خراسان، أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم العدوي - عدي الرباب - إلى بيهق، وهو من أبرشهر، بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً، ففتحها وقتل الأسود بن كلثوم. قال: وكان فاضلاً في دينه، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبري وكان عامر يقول بعدما أخرج من البصرة: ما آسي من العراق على شيء إلا على ماء الهواجر، ونجاوب المؤذنين، وإخوان مثل الأسود بن كلثوم.

قال علي: وأخبرنا زهير بن هنيذ، عن بعض عمومته، قال: غلب ابن عامر على نيسابور، وخرج إلى سرخس فأرسل إلى أهل مرو يطلب الصلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن

الخزر، وتذاثروا وتعايروا وقالوا: كنا أمة لا يقرن لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة، فصرنا لا نقوم لها. فقال بعضهم لبعض: إن هؤلاء لا يموتون ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا. وما أصيب في غزواتها أحد إلا في آخر غزوة عبد الرحمن، فقالوا: أفلا تجربون! فكمتموا في الغياض، فمر بأولئك الكمين مرار من الجند، فرمهم منها، فقتلوه، فواعدوا رؤوسهم، ثم تداعوا إلى حربهم، ثم اتعدوا يوماً، فاقتلوا، فقتل عبد الرحمن، وأسرع في الناس فافترقوا فرقين، فرق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم، وفرق أخذوا نحو الخزر، فطلعوا على جيلان وجرجان، فبهم سلمان الفارسي وأبو هريرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن أخيه قيس، عن أبيه: قال: كان يزيد بن معاوية وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفزر التميمي في خباء، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن ذري والقرع في خباء، وكانوا متجاورين في عسكر بلنجر، وكان القرع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب! وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض: ما أحسن حمرة الدماء في بياضك!

وغزا أهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان لم تتم فيهن امرأة، ولم يتم فيهن صبي من قتل، حتى كان سنة تسع، فلما كان سنة تسع قبل المزاخفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أن غزاه أجيء به إلى خبائه، لم ير غزاه إلا أحسن منه حتى لف في ملحفته، ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبراً أشد استواء منه ولا أحسن منه، حتى دفن فيه، فلما تغادى الناس على الترك رمي يزيد بمجسر، فهشم رأسه، فكأنما زين ثوبه بالدماء زينة، وليس يتلطخ، فكان ذلك الغزال الذي رأى، وكان بذلك الدم على ذلك القباء الحسن، فلما كان قبل المزاخفة بيوم تغادوا، فقال معضد لعلقمة: أعرنى بردك أعصب به رأسي، ففعل، فأتى البرج الذي أصيب فيه يزيد، فرماهم فقتل منهم، ورمي بمجسر في عرادة، ففضخ هامته، واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة، فرأى قباه كما اشتبه. وقتل، فلما كان يوم المزاخفة قاتل القرع حتى خرق بالحرايب، فكأنما كان قباؤه ثوباً أرضه بيضاء وشويه أحر، وما زال الناس ثوباً حتى أصيب، وكانت هزيمة الناس مع مقتله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن داود بن زيد، قال: كان يزيد بن معاوية النخعي رضي الله عنه وعمرو بن عتبة ومعضد أصيبوا يوم بلنجر، فأما معضد، فإنه اعتجر ببرد لعلقمة، فأتاه شظية من حجر منجنيق فأمه، فاستصره، ووضع يده عليه فمات فغسل دمه علقمة، فلم يخرج، وكان يحضر فيه الجمعة،

## السنة الثانية والثلاثون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق، مضيق القسطنطينية، ومعه زوجته عائكة ابنة قرطه بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

وقيل: فاختة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق، عن أبي معشر، وهو قول الواقدي.

وفي هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر، وأمد الجيش الذي كان به مقيماً مع حذيفة بأهل الشام، عليهم حبيب بن مسلمة الفهري - في قول سيف فوقع فيها الاختلاف بين سلمان وحبيب في الأمر، وتنازع في ذلك أهل الشام وأهل الكوفة.

ذكر الخبر بذلك.

فمما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قال: كتب عثمان إلى سعيد: أن أغز سلمان الباب، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إن الرعية قد أبطر كثيراً منهم البطنة، فقصر، ولا تقتحم بالمسلمين، فإني خاش أن يبتلوا، فلم يزر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصر عن بلنجر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر، حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات، فجعل لا يدنو من أحد إلا أعتوه أو قتلوه، فأسرعوا في الناس، وقتل معضد في تلك الأيام.

ثم إن الترك اتعدوا يوماً، فخرج أهل بلنجر، وتوافت إليهم الترك فاقتلوا، فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له: ذو النور - وانهزم المسلمون ففرقوا، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماهم حتى خرج من الباب، وأما من أخذ طريق الخزر وبلادها، فإنه خرج على جيلان وجرجان وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سبط، فبقي في أيديهم، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن داود بن يزيد، عن الشعبي، قال: والله لسلمان بن ربيعة كان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن قاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: لما تسابعت الغزوات على

وفيها مات أبو طلحة رحمه الله.

### ذكر الخبر عن وفاة أبي ذر

قال: وفيها مات أبو ذر رضي الله عنه في رواية سيف.

ذكر الخبر عن وفاته.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية عن يزيد الفقعسي، قال: لما حضرت أبا ذر الوفاة، وذلك في سنة ثمان في ذي الحجة من إمارة عثمان، نزل بأبي ذر، فلما أشرف قال لابنته: استشري في يا بنية فانظري هل ترين أحداً؟ قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتى بعد، ثم أمرها فذبحت شاة، ثم طبختها، ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فقول لهم: إن أبا ذر يقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا، فلما نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحداً؟ قال: نعم، هؤلاء ركب مقبلون، قال: استقبلي بي الكعبة. ففعلت، وقال: بسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ. ثم خرجت ابنته فتلقتهم وقالت: رحمكم الله! اشهدوا أبا ذر - قالوا: وأين هو؟ فأشارت لهم إليه وقد مات - فادفنوه، قالوا: نعم ونعمة عين! لقد أكرمنا الله بذلك، وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود، فمالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: «يموت وحده ويبعث وحده»، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام، وأقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوه حتى أقدموهم مكة، ونعوه إلى عثمان، فضم ابنته إلى عياله، وقال: يرحم الله أبا ذر، ويغفر لرافع بن خديج سكونه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن القعقاع بن الصلت، عن رجل، عن كليب بن الحلال، عن الحلال بن ذر، قال: خرجنا مع ابن مسعود سنة إحدى وثلاثين ونحن أربعة عشر راكباً حتى أتينا على الريدة فإذا امرأة قد تلفتنا، فقال: اشهدوا أبا ذر - وما شعرنا بأمره ولا بلغنا - فقلنا: وأين أبو ذر؟ فأشارت إلى خيابه، فقلنا: ماله؟ قالت: فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها، ففارقها. قال ابن مسعود: ما دعاه إلى الإعراب؟ فقالت: أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك، ولكنه كان يقول: هي بعد، وهي مدينة. فقال ابن مسعود إليه وهو يبكي، فغسلناه وكفناه، وإذا خيابه منصوخ بمسك، فقلنا للمرأة: ما هذا؟ فقال: كانت مسكة، فلما حضر قال: إن الميت يحضره شهود يجردون الريح، ولا ياكلون، فدوني تلك المسكة بماء، ثم رشي بها الخباء فاقربهم ريحها، واطبخي هذا اللحم، فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفني، فاقربهم، فلما دفنناه دعانا إلى الطعام فاكلنا، وأردنا

وقال يحرضني عليه: إن فيه دم معضد. فأما عمرو فلبس قباء أبيض، وقال: ما أحسن الدم على هذا! فاتاه حجر فقتله، وملاه دماً، وأما يزيد فدلي عليه شيء فقتله، وقد كانوا حفروا قبراً فأعدوه، فنظر إليه يزيد، فقال: ما أحسنه! ورأى فيما يرى النائم أن غزالاً لم ير غزال أحسن منه، جيء به حتى دفن فيه، فكان هو ذلك الغزال. وكان يزيد رقيقاً جليلاً رحمه الله، وبلغ ذلك عثمان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! انتكث أهل الكوفة. اللهم تب عليهم وأقبل بهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالوا: استعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان، وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة، وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام، عليهم حبيب بن مسلمة القرشي، فتأمر عليه سلمان، وأبى عليه حبيب، حتى قال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان، فقال في ذلك الناس: إذا والله نضرب حبيباً ونحسبه، وإن أبيتم كثرت القتلى فيكم وفينا.

وقال أوس بن مغراء في ذلك:

إن تضربوا مسلماً نضرب حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل وإن تقسطوا فالنفر نثر أميرنا وهذا أسير في الكائب مقبل ونحن ولادة النفر كنا حماه ليالي نرمي كل نفر وننكلوا

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيهم مقتل عثمان، فقال: اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشناة عثمان. اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه! فاتخذوا ذلك سلماً إلى الفتنة، اللهم لا تمتهم إلا بالسيف.

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، زعم الواقدي أن عبد الله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب بن عتبة، وأنه يوم مات كان ابن خمس وسبعين سنة.

قال: وفيها مات العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة، وكان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قال: وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله، الذي أرى الأذان.

قال: وفيها توفي عبد الله بن مسعود بالمدينة، فدفن بالبقيع رحمه الله فقال قائل: صلى عليه عمار، وقال قائل: صلى عليه عثمان.

قال: فكتب إليه الأحنف: بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم. سلام على من اتبع الهدى، وآمن واتقى. أما بعد، فإن ابن أخيك ماهك قدم علي، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فما عليك سواء، وقد أجبتك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي عن أكرتك وفلاحك والأرضين ستين ألف درهم إلى وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل. والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وإن عليك نصرة المسلمين وقاتل عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمي وذمة أبي وذمة المسلمين وذمة آبائهم. شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية - أو معاوية بن جزء السعدي - وحمزة بن الهرماس، وحמיד بن الخيار المازنيان، وعياض بن ورقاء الأسدي. وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم. وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس. ونقش خاتم الأحنف: نَعْبُدُ اللَّهَ.

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أخيه مقاتل بن حيان، قال: صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مرو روذ، وجمع له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان والطارقان والفارياب، فكانوا ثلاثة زحرف، ثلاثين ألفاً. وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له، فاستشار الناس فاختلقوا، فبين قائل: نرجع إلى مرو، وقائل: نرجع إلى أبرشهر، وقائل: نقيم نستمد، وقائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث الناس، فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن، وهم يتحدثون ويذكرون العدو، فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح، حتى يلقي القوم حيث لقيهم - فإنه أربح لهم - فيناجزهم. فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأ، أتاؤونه أن يلقي حد العدو مصحراً في بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالوا جولة

احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريب، نستأمره، فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذر، ويفقر له نزوله الربذة!

ولما صدر خرج فأخذ طريق الربذة، فضم عياله إلى عياله، وتوجه نحو المدينة، وتوجهنا نحو العراق، وعدتنا: ابن مسعود وأبو مفزr التميمي، وبكر بن عبد الله التميمي، والأسود بن يزيد النخعي وعلقمة بن قيس النخعي، والحلحال بن ذري الضبي والحارث بن سويد التميمي، وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمي، وابن ربيعة السلمي، وأبو رافع المزني، وسويد بن مثعبة التميمي، وزيد بن معاوية النخعي، وأخو القرع الضبي، وأخو معضد الشيباني.

### فتح مروالروذ والطارقان والفارياب والجوزجان

#### وطخارستان

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مروروذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان.

ذكر الخبر عن ذلك.

قال علي: أخبرنا سلمة بن عثمان وغيره، عن إسماعيل بن مسلم، عن ابن سيرين، قال: بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مروروذ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوه، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم، فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، ولو علمنا أنكم كما نرى لكنا لنأكل لحماً غير هذه، فأمهلونا نظراً يومنا، وارجعوا إلى عسكركم. فرجع الأحنف، فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إني رسول فامنوتي، فأمناه، فإذا رسول مرزبان مرو ابن أخيه وترجمناه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب، قال: فإذا هو: إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذي بيده الدول، يغير ما شاء من الملك. ويرفع من شاء بعد الذلة، ويضع من شاء بعد الرفعة. إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدي، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة، فمرحبا بكم وأبشروا، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا، على أن أؤدي لكم خراجاً ستين ألف درهم، وأن تقرروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس، وقطعت السبل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي من الخراج، ولا تخرج المرزبة من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت.

ما ترون؟ فقال له حصين: قد قال لك عمرو بن معديكرب، قال: وما قال؟ قال: قال:

إذا لم تسطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع  
قال: فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يجيهم المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من آتية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب، فقال ابن عم الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا، ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطف به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أرد، ولعله من حقي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: آتني به الأمير، فحملة إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: أقبضه يا أبا بحر، فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يا مسمار، قال: قال الحسن: فضمه القرشي وكان مضماً.

قال علي: وأخبرنا عمرو بن محمد المري، عن أشياخ من بني مرة، أن الأحنف استعمل على بلخ بشر بن الشمس.

قال علي: وأخبرنا صدقة بن حميد، عن أبيه، قال: بعث ابن عامر - حين صالح أهل مرو، وصالح الأحنف أهل بلخ - خليل بن عبد الله الحنفي إلى هراة وباذغيس، فافتحهما، ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن.

قال علي: وأخبرنا مسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك، فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان! قال: لا جرم، لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا. فأحرم بعمره من نيسابور، فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس!

قال علي: أخبرنا مسلمة، عن السكن بن قتادة العريني، قال: استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم، وخرج ابن عامر منها في سنة اثنتين وثلاثين. قال: فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان، فأقبل في أربعين ألفاً، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلي البلاد فإنني أميرها، ومعني عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها - وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً - فكره قيس مشاغته، وخلاه والبلاد، وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر، وقال: تركت البلاد حرباً وأقبلت! قال: جاءني بعهد منك. فقالت له أمه: قد نهيتك أن تدعها في بلد فإنه يشغب عليه..

اصطلمونا! ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه. فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال، ف ضرب عسكريه وأقام فارس إلى أهله مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه، فقال: إني أكره أن أستنصر بالمشركون، فأقيموا على ما أعطيناكم، وجعلنا بيننا وبينكم، فإن ظفرونا فنحن على ما جعلنا لكم، وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافق المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون فهاضموهم فقاتلوهم، وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجي:

أحق من لم يكره المينة حزور ليست له ذرية  
قال علي: أخبرنا أبو الأشهب السعدي، عن أبيه، قال: لقي الأحنف أهل مرو رود والطالقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلاً، فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكر - وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف - وكان مرزبان مرو رود، قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه، لينظر ما يكون من أمرهم.

قال: فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان، وأمرهما ألا يكلمه حتى يقبضاه. فعلا. فعلم أنهم لم يصنعوا ذلك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه.

قال علي: وأخبرنا المفضل الضبي، عن أبيه، قال: سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان، فبعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم، فجال المسلمون جولة فقتل فرسان من فرسانهم، ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزمهم وقتلوهم، فقال كثير النهشلي: سقى وزن السحاب إذا استهلكت مصارع فتية بالجوزجان إلى القصرين من رستاق خوط أقادهم هناك الأقرعان وهي طويلة.

### ذكر صلح الأحنف مع أهل بلخ

وفي هذه السنة، جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بلخ. ذكر الخبر بذلك.

قال علي أخبرنا زهير بن المنيد، عن إياس بن المهلب، قال: سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصروهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمه، وهو أسيد بن الشمس لياخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خازم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه:

قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من عسكره أمر الناس، فقال: ليدرج كل رجل منكم على زج رمحه ما كان معه من خرقة أو قطن أو صوف، ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة. ثم سار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ستمائة، ثم اتبعهم، وأمر الناس فاشعلوا النيران في أطراف الرماح، وجعل يقتبس بعضهم من بعض. قال: وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن، فأتوهم نصف الليل، ولهم حرس، فناوشوهم، وهاج الناس على دهش، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات، ودنا ابن خازم منهم، فرأوا النيران بمنة ويسرة، وتتقدم وتتأخر، وتتخف وتترفع، فلا يرون أحداً. فهاهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقتلونهم، ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين، فقتل قارن، وانهزم العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا، وأصابوا سبياً كثيراً، فزعم شيخ من بني نجيم، قال: كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن، وأم زياد بن الربيع منهم، وأم عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم.

قال علي: حدثنا مسلمة، قال: أخذ بن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فرضي وأقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، فأقبل إلى البصرة، فشهد وقعة ابن الحضرمي، وكان معه في دار سبيل.

قال علي: وأخبرنا الحسن بن رشيد، عن سليمان بن كثير العمي الخزاعي، قال: جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً، فضاقت المسلمون بأمرهم، فقال قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أنك لا تطيق كثرة من أتاننا، فإخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من قد جمعوا لنا، ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم.

قال: فخرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً، وقال: قد ولاني ابن عامر خراسان، فسار إلى قارن، فظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره ابن عامر على خراسان، فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة.

القبائل، فعادوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وخلصنا.

فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاووا، وقد رزق الله العافية. ثم قعدوا وعادوا في حديثهم، وتراجعوا فساءهم وردهم، وأفاق الرجلان، فقال: أبكما حياة؟ قالوا: قتلنا غاشيتك، قال: لا يغشوني والله أبداً فاحفظا علي ألسنتكما ولا تجرنا علي الناس. ففعلا. ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة حتى لأمه أهل الكوفة في أمرهم، فقال: هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئاً، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه.

فكتب أشرف أهل الكوفة وصلاحهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فالحقوهم بمعاوية. فأخرجوهم، فذلوا وانقادوا حتى أتته - وهم بضعة عشر - فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرأ خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فإن أنست منهم رشداً فاقبل منهم، وإن أعيوك فاردهم عليهم. فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم، فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان والسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبيتم الأمم وحويتهم مراتبهم ومواريتهم، وقد بلغني أنكم تقمتم قريشاً، وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم، أن أنتمكم لكم إلى اليوم جنة فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أنتمكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويمتثلون منكم المؤونة، والله لتنتهن أو ليلتينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمداكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش، فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا.

فقال معاوية: عرفتمكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً، أعظم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكرني الجاهلية! وقد وعظتك. وتزعم لما يجنك أنه يخرق، ولا ينسب ما يخرق إلى الجنة، أخزي الله أقواماً أعظموا أمركم، ورفعوا إلى خليفتمكم! افقهوا - ولا اظنكم تفقهون - أن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل، ولم تكن باكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأحفضهم أنساباً، وأعظمهم أخطاراً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل

## السنة الثالثة والثلاثون

ففيها كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية في قول الواقدي.

وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد.

وفيها قدم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها، ففتح المروين: مرو الشاهجان صلحاً، ومرو الروذ بعد قتال شديد، وتبعه عبد الله بن عامر، فنزل أبرشهر، ففتحها صلحاً في قول الواقدي.

وأما أبو معشر فإنه قال - فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه، قال: كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، وقد ذكرنا قول من خالفه في ذلك، والخبر عن قبرس.

وفيها كان تسيير عثمان بن عفان من سير أهل العراق إلى الشام.

## ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة

اختلف أهل السير في ذلك، فأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري عن شعيب عنه، عن محمد وطلحة، قالوا: كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والتسمتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس، فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوماً فدخلوا عليه، فبينما هم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيد الله، فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النشاط لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن خنيس - وهو حدث - والله لوددت أن هذا الملطاط لك - يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة - قالوا: فض الله فاك! والله لقد هممت بك، فقال خنيس: غلام فلا تجاوزه، فقالوا: يتمنى له من سوادنا! قال: ويتمنى لكم أضعافه، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له، قال: ما هذا بكم! قالوا: أنت والله أمرته بها، فثار إليه الأشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضابح، فاخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، حتى قضوا منهما وطراً، فسمعت بذلك بنو أسد، فجاءوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر، وركبت

وإن الله ذو سطوات ونقعات يكر بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون، فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيد للناس سرائركم، وقد قال عز وجل: ﴿الْم أَحْصِيَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأمواهل أهل الذمة والله مبتليهم وغتبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين يكونون أحداً إلا مع غيرهم، فإنه سعيداً ومن قبله عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير.

وخرج القوم من دمشق فقالوا: لا ترجعوا إلى الكوفة، فإنهم يشمتون بكم، وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام فأووا إلى الجزيرة، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان معاوية قد ولاه حمص وولى عامل الجزيرة حران والرقعة - فدعا بهم، فقال: يا آله الشيطان، لا مرحباً بكم ولا أهلاً! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط، خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم. يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجات، أنا ابن فاقئ الردة، والله لئن بلغني يا صمصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى. فأقامهم أشهراً كلما ركب أمشاهم، فإذا مر به صمصعة قال: يا ابن الخطيئة، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر! مالك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية! فيقول ويقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله! فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم.

وسرح الأشتر إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فاخرجوا، وإن شئتم فاقبموا. وخرج الأشتر، فأتى عثمان بالتوبة والندم والتزوع عنه وعن أصحابه، فقال: سلمكم الله. وقدم سعيد بن العاص، فقال عثمان للأشتر: احلل حيث شئت، فقال: مع عبد الرحمن بن خالد؟ وذكر من فضله، فقال: ذاك إليكم، فرجع إلى عبد الرحمن.

وأما محمد بن عمر، فإنه ذكر أن أباه بكر بن إسماعيل حدثه عن أبيه، عن عامر بن سعد، أن عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها، حين شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر من شهد عليه، وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عقبة. قال: قدم سعيد بن العاص الكوفة، فأرسل إلى الوليد: إن أمير المؤمنين يأمر أن تلحق به. قال: فتضجع أياماً، فقال له: انطلق

بعضهم بعضاً إلا بالله الذي لا يستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبواهم حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم! هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمرأً إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمة بدولة، إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله، أفتره لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم! أف لك ولأصحابك! ولو أن متكلماً غيرك تكلم، ولكنك ابتدأت. فاما أنت يا صمصعة فإن قريتك شر قرى عربية، أنتها نباتاً وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشر، والأمها جيراناً، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها، وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب القبايا، والآمه أصهاراً، نزاع الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتى أصابكم دعوة النبي ﷺ ونكتك دعوته، وأنت نزع شطير في عمان، ولم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام، وخلطك بالناس، وحملك على الأمم التي كانت عليك، فأقبلت تبغي دين الله عوجاً، وتنزع إلى اللامة والذلة. ولا يضع ذلك قريشاً، ولن يضرهم، ولن يمنعهم من تادية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم. لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاء الله، ولا أمراً أراد الله ولا تدركون بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخرى.

ثم قام وتركهم، فتذا مروا. فتقاصرت إليهم أنفسهم، فما كان بعد ذلك أنهم فقال: إنني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة، ولكنكم رجال نكير. وبعد، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم، وليسعكم ما وسع الدهماء، ولا يبطركم الأنعام، فإن البطر لا يعترى الخييار، اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلما خرجوا داعاهم فقال: إنني معيد عليكم. إن رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاني، وأدخلني في أمره، ثم استخلف أبو بكر ﷺ فولاني، ثم استخلف عمر فولاني، ثم استخلف عثمان فولاني. فلم آل لأحد منهم ولم يولي إلا وهو راض عني، وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء، ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها،



إلى أخيك، فإنه قد أمرني أن أبعثك إليه، قال: وما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل، فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أمية، وقالوا: إن هذا قبيح، والله لو أراد هذا غيرك لكان حقاً أن تذب عنه، يلزمه عار هذا أبداً. قال: فأبى إلا أن يفعل ففسله وأرسل إلى الوليد أن يتحول من دار الإمارة، فتحول منها، ونزل دار عمارة بن عقبة، فقدم الوليد على عثمان، فجمع بينه وبين خصمائه، فرأى أن يجلده، فجلده الحد.

قال: محمد بن عمر: حدثني شيبان، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قدم سعيد بن العاص الكوفة، فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده، وإنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة، منهم مالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وفيهم مالك الأشتر في رجال، فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان لقريش، فقال الأشتر: أترعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيفنا بستان لك ولقومك! والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كاحدنا، وتكلم معه القوم.

قال: فقال عبد الرحمن الأسدي - وكان على شرطة سعيد: أتدرون على الأمير مقالته! وأغلظ لهم، فقال الأشتر: من هاهنا! لا يفوتكم الرجل، فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديداً، حتى غشي عليه، ثم جر برجله فألقى، فضح بماء فافاق، فقال له سعيد: أبك حياة؟ فقال: قلني من انتخبت - زعمت - للإسلام فقال: والله لا يسمر منهم عندي أحد أبداً فجعلوا يجلسون في مجالسهم ويوتئهم يشتمون عثمان وسعيداً، واجتمع الناس إليهم حتى كثر من يختلف إليهم فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك، ويقول: إن رهطاً من أهل الكوفة - سماهم له عشرة - يؤلبون ويجمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثرُوا، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيرهم إلى معاوية - ومعاوية يومئذ على الشام - فسيرهم - وهم تسعة نفر - إلى معاوية، فيهم مالك الأشتر، وثابت بن قيس بن منقع، وكميل بن زياد النخعي، وصعصعة بن صوحان.

ثم ذكر نحو حديث السري، عن شعيب، إلا أنه قال: فقال صعصعة: فإن اخترت الجنة، أفليس يخلص إلينا؟ فقال معاوية: إن الجنة لا تحترق، فضع أمر قريش على أحسن ما بمحضرك.

وزاد فيه أيضاً: إن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم، قال فيما يقول: وإني والله ما أمركم بشيء إلا قد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي وخاصتي، وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبية نبي الرحمة ﷺ، فإن الله انتخبه وأكرمه، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالحة شيئاً إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها، ولم يخلق من

فقالوا: لست لذلك أهلاً، فقال: أما والله إن الله سطوات ونعمات، وإني لخائف عليكم أن تسابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تحلكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نعم الله في عاجل الأمور، والخزي الدائم في الآجل.

فوثبوا عليه، فأخذوا برأسه ولحيته، فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا أمانهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم. فلعمري إن صنعكم ليشب بعضه بعضاً، ثم أقام من عندهم، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت...

سنين، بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصاً، إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما شاء ثم يرجع. فشكا أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان. فكتب إلى عبد الله بن عامر: أن احبسه، ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تانسوا منه رشداً، فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها. فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح، فقبلوا منه، واستظلموه، وأرسل إليه ابن عامر، فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، ورغب في جوارك، فقال: ما يبلغني ذلك، أخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر، وجعل يكتبهم ويكتبونه، ويختلف الرجال بينهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: إن حمران بن أبان تزوج امرأة في عدتها، فنكل به عثمان، وفرق بينهما، وسيره إلى البصرة، فلزم ابن عامر، فتذاكروا يوماً الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس - وكان متقبضاً عن الناس - فقال حمران: أ لا أسبقكم فأخبره! فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف، فقال: الأمير أراد أن يمر بك فأجبت أن أخبرك، فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه، فقام من عنده خارجاً. فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر، فقال: جئتك من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً، واستأذن ابن عامر، فدخل عليه، وجلس إليه، فأطبق عامر المصحف، وحده ساعة، فقال له ابن عامر: أ لا تغشانا؟ فقال: سعد بن أبي العرجاء يحب الشرف، فقال: أ لا نستعملك؟ فقال: حصين بن أبي الحر يحب العمل، فقال: أ لا تزوجك! فقال: ربيعة بن عسل يعجبه النساء، فقال: إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً، فتصفح المصحف، فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، فلما رد حمران تتبع ذلك منه، فسعى به، وشهد له أقوام فسيره إلى الشام، فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، أن عثمان سير حمران بن أبان، أن تزوج امرأة في عدتها، وفرق بينهما، وضربه وسيره إلى البصرة، فلما أتى عليه ما شاء الله، وأتاه عنه الذي يجب، وأذن له. فقدم عليه المدينة، وقدم معه قوم سعوا بعامر بن عبد قيس، أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة - وكان مع عامر اتقباض، وكان عمله

ثم كتب إلى عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إلي أقواماً يتكلمون بالسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس - زعموا - من قبل القرآن، فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتكننت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يفروهم بسحرهم وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.

فكتب إليه عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلى عثمان يوضح منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص.

وكتب إلى الأشتر وأصحابه: أما بعد، فإني قد سيرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاحرجوا إليها، فإنكم لستم تالون الإسلام وأهله شراً. والسلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب، قال: اللهم أسرونا نظراً للرعية وأعملنا فيهم بالعصية، فعجل له النعمة.

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل، وأجرى عليهم رزقاً.

قال محمد بن عمر: حدثني عيسى بن عبد الرحمن، عن أبي إسحاق الهمداني، قال: اجتمع نفر بالكوفة - يطعنون على عثمان - من أشرف أهل العراق: مالك بن حارث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صرحان العبدي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي.

فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام والأزمهم الدروب.

ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سر من أهل البصرة إلى

الشام

ما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعي، قال: لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث

وحج بالناس في هذه السنة عثمان.  
وزعم أبو معشر أن فتح قبرس كان في هذه السنة، وقد  
ذكرت من خالفه في ذلك.

كله خفية - فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك، فألحقه بمعاوية،  
فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة فساكن أكلاً غريباً، فعرف أن  
الرجل مكذوب عليه، فقال: يا هذا، هل تدري فيما أخرجت؟  
قال: لا، قال: أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم، ورأيتك وعرفت  
أن قد كذب عليك، وأنك لا ترى التزويج، ولا تشهد الجمعة،  
قال: أما الجمعة فلإني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في  
أوائل الناس، وأما التزويج فلإني خرجت وأنا مخطب علي، وأما  
اللحم فقد رأيت، ولكنني كنت امراً لا أكل ذبائح القضاة منذ  
رأيت قصاباً يمر شاة إلى مذبجها، ثم وضع السكين على مذبجها،  
فما زال يقول: النفاق النفاق، حتى وجبت. قال: فارجع، قال: لا  
أرجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا ولكني أقيم بهذا البلد  
الذي اختاره الله لي. وكان يكون في السواحل، وكان يلقي  
معاوية، فيكثر معاوية أن يقول: حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي،  
فلما أكثر عليه، قال: ترد علي من حر البصرة لعل الصوم أن  
يشدد علي شيئاً، فإنه يخف علي في بلادكم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة  
وأبي عثمان، قالوا: لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية، أنزلهم  
داراً، ثم خلا بهم، فقال لهم وقالوا له، فلما فرغوا قال: لم تؤتوا  
إلا من الحمق، والله ما أرى منطقاً سديداً، ولا عذراً مبنياً، ولا  
حلماً ولا قوة، وإنك يا صعصة لأحقهم، اصنعوا وقولوا ما  
شتمت ما لم تدعوا شيئاً من أمر الله، فإن كل شيء يمتثل لكم إلا  
معصيته، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم. فرأهم بعد  
وهم يشهدون الصلاة، ويقفون مع قاص الجماعة، فدخل عليهم  
يوماً وبعضهم يقرئ بعضاً، فقال: إن في هذا خللاً عما قدمتم به  
علي من النزاع إلى أمر الجاهلية، اذهبوا حيث شتمت، واعلموا  
أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم، وإن لم تلزموها  
شقيتم بذلك دونهم، ولم تضروا أحداً، فجزوه خيراً، وأثنوا عليه  
فقال: يا ابن الكواء، أي رجل أنا؟ قال: بعيد الثرى، كثير المرعى،  
طيب البديهة، بعيد الغرور، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان  
الإسلام، سدت بك فرجة خوفة. قال: فأخبرني عن أهل  
الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك، قال: كاتبهم  
وكاتبوني، وأنكروني وعرفتهم، فأما أهل الإحداث من أهل  
المدينة فهم أحرص الأمة على الشر، وأعجزه عنه. وأما أهل  
الإحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس في صغير، وأركبه  
لكبير. وأما أهل الإحداث من أهل البصرة، فإنهم يردون جميعاً،  
ويصدرون شتى، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوفى  
الناس بشراً، وأسرع ندامة، وأما أهل الإحداث من أهل الشام  
فأطوع الناس لمرشدهم، وأعصاه لمغريهم.

## السنة الرابعة والثلاثون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانت فيها، حدثني بذلك أحمد، عمن حدثه، عن إسحاق، عنه. وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر في وقتها. وفيها كان رد أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة.

## ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان

وفي هذه السنة تكاثب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نعموا عليه.

ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة.

كما كتب إلي به السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستبر بن يزيد، عن قيس بن يزيد النخعي، قال: لما رجع معاوية المسيرين، قالوا: إن العراق والشام ليسا لنا بدار، فعليكم بالجزيرة. فأتوها اختياراً. فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد، فسامهم الشدة، فضرعوا له وتابعوه. وسرح الأشر إلى عثمان، فدعا به وقال: اذهب حيث شئت، فقال: أرجع إلى عبد الرحمن، فراجع. ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان. وقبل خرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعث بن قيس على أذربيجان، وسعيد بن قيس على الري، وكان سعيد بن قيس على همدان، فعزل وجعل عليها السير العجلي، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي، وعلى الموصل حكيم بن سلامة الخزامي، وجريز بن عبد الله على قرقيساء، وسلمان بن ربيعة على الباب، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حلوان عتبة بن النهاس، وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد، فجلس فيه، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم، فانقض عليه القعقاع، فأخذ يزيد بن قيس، فقال: إنما نستغي من سعيد، قال: هذا ما لا يعرض لكم فيه، لا تجلس لهذا ولا يجتمعن إليك، واطلب حاجتك، فلعمري لتعطينها. فراجع إلى بيته واستأجر رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيرين. وكتب إليهم: لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تحيثوا، فإن أهل المصر قد جامعوننا. فانطلق الرجل، فأتى عليهم وقد رجع الأشر، فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما اسمك؟ قال: بغثر، قالوا: من؟ قال: من كلب، قالوا: سبع ذليل يبغثر النفوس، لا حاجة لنا

بك، وخالفهم الأشر، ورجع عاصياً، فلما خرج قال أصحابه: أخرجنا أخرجه الله، لا نجد بداً مما صنع، إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها، فاتبعوه فلم يلحقوه، وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد، فسار الأشر سبعاً والقوم عشراً، فلم يفجأ الناس في يوم الجمعة إلا والأشر على باب المسجد يقول: أيها الناس، إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيداً يريد على نقصان نساكنكم إلى مائة درهم. ورد أهل البلاء منكم إلى الفين، ويقول: ما بال أشراف النساء، وهذه العلاءة بين هذين الغدلين! ويزعم أن فيثكم بستان قريش، وقد سايrote مرحلة، فما زال يرجز بذلك حتى فارقت، يقول:

ويل لأشراف النساء مني صمصح كائني من جن

فاستخف الناس، وجعل أهل الحبي يتهونه فلا يسمع منهم، وكانت نفجة، فخرج يزيد، وأمر منادياً ينادي: من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفع. وبقي حلماء الناس وأشرافهم وجوههم في المسجد، وذهب من سواهم، وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها، فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله عز وجل منه. أبعد الإسلام وهدية وسسته لا تعرفون حقاً، ولا تصيبون بابه! فقال القعقاع بن عمرو: أترد السيل من عبابه! فأرد الفرات عن أدرجه، هيهات! لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفية ويوشك أن تنتضي، ثم يعجون عجيج العتدان ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله عليهم أبداً. فاصبر، فقال: أصبر، وتحول إلى منزله، وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة، ومعه الأشر، وقد كان سعيد تلبث في الطريق، فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكر، فقالوا: لا حاجة لنا بك. فقال: فما اختلفتم الآن، إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وتضعوا إلي رجلاً. وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل! ثم انصرف عنهم وتحسوا بمولاه على بعير قد حسر، فقال: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع. ف ضرب الأشر عنقه، ومضى سعيد حتى قدم على عثمان، فأخبره الخبر، فقال: ما يريدون؟ أخلعوا يداً من طاعة؟ قال: أظهروا أنهم يريدون البذل. قال: فمن يريدون؟ قال: أبا موسى، قال: قد أثبتنا أبا موسى عليهم، والله لا نجعل لأحد عذراً، ولا نترك لهم حجة، ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغ ما يريدون. ورجع من قرب عمله من الكوفة، ورجع جريز بن قرقيساء وعتبة من حلوان. وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة فقال: أيها الناس، لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم

تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا، وامض قدمًا، فقال عثمان: ما لك قمل فروك؟ هذا الجذ منك! فأسكت عنه دهرًا، حتى إذا تفرق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعز علي من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا، فاردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيرًا، أو أدفع عنك شرًا.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه عن عمرو بن أبي المقدام، عن عبد الملك بن عمير الزهري، أنه قال: جمع عثمان أمراء الأجناد: معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعمرو بن العاص، فقال: أشيروا علي، فإن الناس قد تنمروا لي، فقال له معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيفكك كل رجل منهم ما قبله، وأكفك أنا أهل الشام، فقال له عبد الله بن عامر: أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهيم كل رجل منهم بدير دابته، وتشغلهم عن الإرجاف بك، فقال عبد الله بن سعد: أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيه، ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم.

ثم قام عمرو بن العاص فقال: يا عثمان، إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية، فقلت وقالوا، وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا، وامض قدمًا، فقال له عثمان: ما لك قمل فروك! هذا الجذ منك! فأسكت عمرو حتى إذا تفرقوا قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أكرم علي من ذلك، ولكني قد علمت أن بالباب قوماً قد عملوا أنك جعنتا لنشير عليك، فأجبت أن يبلغهم قولي، فأقود لك خيرًا، أو أدفع عنك شرًا. فرد عثمان عماله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجميم الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطيائهم ليطيعوه، ويحتاجوا إليه، ورد سعيد بن العاص أميراً على الكوفة، فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح، فتلقوه فردوه، وقالوا: لا والله لا يلي علينا حكماً ما حملنا سيفونا.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي بن حسين، عن أبيه، عن هارون بن سعد، عن أبي يحيى عمير بن سعد النخعي، أنه قال: كآني أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار، وهو متقلد السيف، وهو يقول: والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيفونا - يعني سعيداً، وذلك يوم الجرعة، والجرعة مكان مشرف قرب القادسية - وهناك تلقاه أهل الكوفة.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن هارون بن سعد، عن عمرو بن مرة

والمجلة، اصبروا، فكأنكم بأمير. قالوا: فصل بنا، قال لا، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان.

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة وعلي بن حسين بن عيسى. قالوا: حدثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، عن هارون بن سعد، عن العلاء بن عبد الله بن زيد العبدي، أنه قال: اجتمع ناس من المسلمين، فتذكروا أعمال عثمان وما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه، ويخبره بإحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العبدي - وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس - فأتاه. فدخل عليه، فقال له: إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً عظماً، فاتق الله عز وجل وتب إليه، وانزع عنها. قال له عثمان: انظر إلى هذا، فإن الناس يزعمون أنه قارئ، ثم هو يجيئ فيكلمني في المحقرات، فوالله ما يدري أين الله! قال عامر: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم، والله ما تدري أين الله، قال عامر: بلى والله إني لأدري أن الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وإلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه، وما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم، وأشيروا علي.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همهم أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من ديرة دابته، وقمل فروه. ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت ترى رأينا فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب، قال: وما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا، ولا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إن هذا الرأي لولا ما فيه. ثم أقبل معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لك قبلي.

ثم أقبل على عبد الله بن سعد، فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم. ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن

من أحد، وأصحاب رسول الله ﷺ يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذنب إلا نفير، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت. فاجتمع الناس، وكلموا علي بن أبي طالب. فدخل على عثمان، فقال: الناس ورائي، وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغك، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وسمعت، وصحبت رسول الله ﷺ ولقد نلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ونلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينال، ولا سبقناك إلى شيء. فآله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمي، ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة. تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهُدَى، فأقام سنة معلومة، وأما بدعة متروكة، فوالله إن كلاً لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر، ضل وضل به، فأما سنة معلومة، وأحيا بدعة متروكة، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم كما تدور الرحا، ثم يرتطم في غمرة جهنم». وإنني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته، فإنه عذاب شديد اليم. وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال: يقتل في هذه الأمة إمام، فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أموراً عليها، ويتركهم شيئاً، فلا يصيرون الحق لعلو الباطل، يمجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً.

فقال عثمان: قد والله علمت، ليقولن الذي قلت، أما والله لو كنت مكانني ما عفتك، ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً وسددت خلة، وأويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي. أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن الغيرة بن شعبة ليس هناك! قال: نعم، قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم، قال: فلم تلمني أن وليت ابن عامر في رحمة وقربانه؟ قال علي: سأخبرك، إن عمر بن الخطاب كان كل من ولى فإنه يبطأ على صماخه، إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك. قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً. فقال علي: لعمري إن رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم، قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافة كلها؟ فقد وليته. فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟

الجملي، عن أبي البخترى الطائي، عن أبي ثور الحدائي - وحذاء حي من مراد - أنه قال: دفعت إلى حذيفة بن اليمان وأبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وهما في مسجد الكوفة يوم الجرة، حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا، وأبو مسعود يعظم ذلك، ويقول: ما أرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء، فقال حذيفة: والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة من دم، وما أعلى منها اليوم شيئاً إلا قد علمته ومحمد ﷺ حي، وإن الرجل ليصبح على الإسلام ثم يمسي وما معه منه شيء، ثم يقاتل أهل القبلة ويقتله الله غداً، فينكص قلبه، فتعلوه استه. فقلت لأبي ثور: فعله قد كان، قال: لا والله ما كان. فلما رجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً، أرسل أبا موسى أميراً على الكوفة، فأقروه عليها.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن يحيى بن مسلم، عن واقد بن عبد الله عن عبد الله بن عمير الأشجعي، قال: قام في المسجد في الفتنة فقال: أيها الناس، اسكتوا فلاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج وعلى الناس إمام - والله ما قال: عادل - ليشق عصاهم، ويفرق جماعتهم، فاقتلوه كائناً من كان».

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: لما استعوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص، خرج منه ذكر لعثمان، فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه، فقال: ما تريد؟ ألك علينا في أن نستعفي سبيل؟ قال: لا فهل إلا ذلك؟ قال: لا، قال: فاستعف. واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا، فردوا سعيداً، وطلبوا أبا موسى، فكتب إليهم عثمان.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد أمرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد والله لأفرشنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم مجهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم، حتى لا يكون لكم علي حجة.

وكتب بمثل ذلك في الأمصار، فقدمت إمارة أبي موسى، وغزو حذيفة وتأمروا أبو موسى، ورجع العمال إلى أعمالهم، ومضى حذيفة إلى الباب.

وأما الواقدي فإنه زعم أن عبد الله بن محمد حدثه، عن أبيه، قال: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض: أن اقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فنعدنا الجهاد. وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل

قال: نعم. قال علي: فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تغير على معاوية. ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فقال: أما بعد، فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيايون طعانون، يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً، لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور، وتعذرت عليهم المكاسب. ألا فقد والله عيتهم علي بما أقررتهم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنستم له على ما أحببتهم أو كرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم كفتي، وكفت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي. أما والله لأنا أعز نفراً، وأقرب ناصراً وأكثر عدداً، وأقمن إن قلت هلم اتبي إلي، ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفروا عليكم الستكم، وطعنكم وعيبكم على ولائكم، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرؤيتهم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقكم؟ والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، ومن لم تكونوا تختلفون عليه. فضل فضّل من مال، فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد! فلم كنت إماماً!

فقام مروان بن الحكم، فقال: إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضاً فنبت بكم معارصكم تبشون في دمن الثرى

فقال عثمان: اسكت لاسكت، دعني وأصحابي، ما منطقتك في هذا! ألم أتقدم إليك ألا تنطق! فسكت مروان ونزل عثمان.

وفي هذه السنة مات أبو عبيس بن جبر بالمدينة، وهو بدري. ومات أيضاً مسطح بن أثانة، وعافل بن أبي البكير من بني سعد بن ليث، حليف لبني عدي، وهما بدريان.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

غير ما يدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فاتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، آياتك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإننا قد أئنا.. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا علي، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تشق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعاً: الأمر امر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم. واستبطا الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعطية، قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإنني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعلي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواماً يشتمون، وآخرون يضربون، فيامن ضرب سراً، وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يميز المتصدقين. فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر. وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه: عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال: ويحكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يعصب هذا إلا بي، فقالوا له: ألم تبعث! ألم ترجع إليك الخبر عن القوم! ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء! لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا علي، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السر، فيلقى به غير ذي المعرفة، فيخبر به،

## السنة الخامسة والثلاثون

### ذكر ما كان فيها من أحداث

فمما كان فيها من ذلك نزول أهل مصر ذا خشب، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان ذو خشب سنة خمس وثلاثين، وكذلك قال الراقي.

### ذكر مسير من سار

إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار

### إلى ذي المروة من أهل العراق

فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾. فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يميز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدهوا بالظعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعواهم إلى هذا الأمر.

فبث دعائه، وكتب من كان استفسد في الأمصار وكتبه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون



وفتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم..

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم. قال معاوية: قد وليتني فوليت قوما لا يأتيتك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وترأخت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين. إن الشدة تنغي لمن لا يالو الناس شراً، واللين لمن يغفل الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علي قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعبث أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليفتحن، وليست لأحد علي حجة حق، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي. والله إن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. فكفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدنوها فيها.

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه. ولما استقل عثمان رجز الحادي:

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علي قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعبث أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليفتحن، وليست لأحد علي حجة حق، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي. والله إن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. فكفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدنوها فيها.

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه. ولما استقل عثمان رجز الحادي:

قد علمت ضوامر المطي وضامرات عوج القسي أن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضي وطلحة الحامي لها ولي

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأمير والله بعده صاحب البغلة - وأشار إلى معاوية.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسدي، عن رجل من بني أسد، قال: مازال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم، فاجتمعوا إليه بالموسم، ثم ارتحل، فحدا به الراجز:

إن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضي

قال كعب: كذبت! صاحب الشهباء بعده - يعني معاوية - فأخبر معاوية، فسأله عن الذي بلغه، قال: نعم، أنت الأمير بعده، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بمجديتي هذا. فوقعت في نفس معاوية.

قال كعب: كذبت! صاحب الشهباء بعده - يعني معاوية - فأخبر معاوية، فسأله عن الذي بلغه، قال: نعم، أنت الأمير بعده، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بمجديتي هذا. فوقعت في نفس معاوية.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيه، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، عن إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه، فخرجت معه حتى دخل على عثمان، وإذ علي وسعد والزبير وعثمان ومعاوية، فحمد الله معاوية وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ، وخيرته في الأرض، وولاة أمر هذه الأمة، لا يطمع في ذلك أحد غيركم، اخترتم صاحبكم من غير غلبة ولا طمع، وقد كبرت سنه، وولي عمره، ولو انتظرت به الهرم كان قريباً، مع أنني أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغ به ذلك، وقد فشت قالة خفتها عليكم، فما عتبت في من شيء فهذه يدي لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم فوالله لئن طمعوا في ذلك لا رأيتم فيها أبداً إلا إدياراً. قال علي: وما لك وذلك! وما أدراك لا أم لك! قال: دع أمني مكانها، ليست بشر أمهاتكم، قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ، واجبني فيما أقول لك. فقال عثمان: صدق ابن أخي، إني أخبركم عني وعماً وليت، إن صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإن رسول الله ﷺ كان يعطي قرايته، وأنا في رهط أهل عيلة، وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال، لمكان ما أقوم به فيه، ورأيت أن ذلك لي، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه، فأمرني لأمركم تبع. قالوا: أصبت وأحسن، قالوا: أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد ومروان - وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفاً،

وابن أسيد خسين الفأ - فردوا منهما ذلك، فرفضوا وقبلوا  
وخرجوا راضين.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن شيوخه.

أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي هب وعركه.  
وأما محمد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا  
تلزمه، وأما ابن سهلة فإنه يتعرض للبلاء. فأرسل إلى الكوفيين  
والبصريين، ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر،  
فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله  
وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان، فقالوا: جميعاً:  
اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى نفسه أو إلى أحد  
وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه». وقال عمر بن الخطاب  
ﷺ: لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم.

فقال عثمان: بل نغفو ونقبل ونبصرهم بمجدهنا، ولا نخاد  
أحداً حتى يركب حداً، أو ييدي كفراً. إن هؤلاء ذكروا أموراً قد  
علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذكرونها  
ليوجبوا علي عند من لا يعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، إلا وإنني  
قدمت بلداً فيه أهلي، فأتعت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا:  
اللهم نعم.

وقالوا: وحيت حمى، وإنني والله ما حميت، حمي قبلي،  
والله ما حوا شيئاً لأحد ما حوا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم  
يمنعوا من رعية أحد، واقتصروا لصدقات المسلمين يجمعونها لثلاً  
يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نخوا منها  
أحداً إلا من ساق درهماً، ومالي من بعير غير رحلتين، ومالي  
ثاغية ولا راغية، وإنني قد وليت، وإنني أكثر العرب بعيراً وشاء،  
فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أ كذلك؟ قالوا:  
اللهم نعم.

وقالوا: كان القرآن كتباً، فتركها إلا واحداً. ألا وإن  
القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أ  
كذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقلبهم.

وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله ﷺ.

والحكم مكي، سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف،  
ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيره، ورسول الله  
ﷺ رده، أ كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث. ولم استعمل إلا مجتمعاً  
معتلاً مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل  
بلده، ولقد ولي من قبلي أحدث منهم وقيل في ذلك لرسول الله  
ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أ كذلك؟ قالوا: اللهم  
نعم، يعييون للناس ما لا يفكرون.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه. وإنني

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودعه وخرج: يا أمير  
المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل  
لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال: أنا لا أبيع  
جوار رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عتقي. قال:  
فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهرائي أهل المدينة لناثبة إن  
نابت المدينة أو إياك. قال: أنا أقر على جيران رسول الله ﷺ  
وسلم الأرزاق بمجند تساكنتهم، وأضييق على أهل دار الهجرة  
والنصرة! قال: والله يا أمير المؤمنين، لتغتنال أو لتغزين، قال:  
حسي الله ونعم الوكيل. وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين  
أيسار الجزور! ثم خرج حتى وقف على النفر، ثم مضى. وقد  
كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة  
وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم. واتعدوا يوماً حيث  
شخص أمرؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا  
أهل الكوفة، فإن يزيد بن قيس الأرحي ثار فيها، واجتمع إليه  
أصحابه، وعلى الحرب يومئذ الققعاق بن عمرو - فأتاه فأحاط  
الناس بهم وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك علي وعلى  
هؤلاء! فوالله إني لسامع مطيع، وإنني لل لازم لجماعي إلا أني  
أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد، فقال: استعفى الخاصة من  
أمر قد رضيته العامة؟ قال: فذاك إلى أمير المؤمنين. فتركهم  
والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك، فاستقبلوا  
سعيداً، فردوه من الجرعة، واجتمع الناس على أبي موسى،  
وأقره عثمان ﷺ. ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى  
الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن  
يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون  
بالعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقق  
عليه، فتوافوا بالمدينة، وأرسل عثمان رجلين: مخزومياً وزهرياً،  
فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم - وكانا عن قد ناله من  
عثمان أدب، فاصطبر للحق، ولم يضطغنا - فلما راؤهما باثوهما  
وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل  
المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر، قال: هل إلا؟ قالوا: لا! قال: فكيف  
تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعتها في  
قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قررنا بها، فلم يخرج  
منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه،  
فإن أبي قتلناه. وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك  
وقال: اللهم سلم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا.

السكوني، وقثير بن فلان السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، ولم يجتروا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما أخرجوا كالحجاج، ومعهم ابن السوداء. وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزيد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، أحد بني عامر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم، أحد بني عامر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم. وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم من الناس. فأما أهل مصر، فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير.

فخرجوا وهم على الخروج جميع. وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الآخرين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا عامتهم بذئ المروة. ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم، وقالوا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد، وإن أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنترجع إليكم بالخبر.

قالوا: اذهب، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير، وقالوا: إنما نأتم هذا البيت، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا، ما جئنا إلا لذلك، واستأذناهم للناس بالدخول، فكلهم أبى، ونهى وقال: بيض ما يفرخن، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال: كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم، فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت، عليه حلة أفواف معتم بشقيقة حمراء ميانة، متقلد السيف، ليس عليه قميص، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فالحسن جالس عند عثمان، وعلي عند أحجار الزيت فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم

إنما نفلته خمس ما آفأ الله عليه من الخمس، فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حيي، فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنني ما أعطيهم من مالي، ولا استحل أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، فأحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفي عمري، وودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قولوا! وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، وقد رددته عليهم وما قدم علي إلا الأخاس، ولا يجل لي منها شيء، فولي المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا يتلفت من مال الله بفلس فما فوقه وما أتبلغ منه ما أكل إلا مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجلاً وإن هذه الأرضين شاركمهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت في الذي يصيبهم مما آفأ الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دوني.

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كبعض من يعطي، فبدأ ببني أبي العاص، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف، عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطي بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص، وفي بني العيص، وفي بني حرب، ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم وأبى إلا تركهم، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج، فتكاثروا وقالوا: موعدكم ضواحي المدينة في شوال، حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتي عشرة، ضربوا كالحجاج فنزلوا. قرب المدينة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء القتل يقول: ستمائة، والمكثري يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التميمي، وعروة بن شيم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران

يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتب، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكت الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعاثوا علي أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملا من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جراً، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمة وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فيهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليحلق.

فاتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة والذل، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو.

وكان المحضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة بن الربيع التميمي، في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ. وكان المحضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وشريح بن الحارث، وعبد الله بن عكيم، في أمثالهم، يسرون فيها، ويطرفون على مجالسها، يقولون: يا أيها الناس، إن الكلام اليوم وليس به غداً، وإن النظر بحسن اليوم ويقبح غداً، وإن القتال يحل اليوم ويحرم غداً، انهضوا إلى خيلتكم، وعصمة أمركم.

وقال بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك، ومن التابعين كعب بن سور وهم بن حيان العبدي، وأشياه لهما يقولون ذلك! وقام بالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك، ومن التابعين شريك بن خباشة النميري، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم بمثل ذلك، وقام بمصر خارجة في أشباه له، وقد كان بعض المحضين قد شهد قدومهم، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم.

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله ﷺ خرج عثمان فصلى بالناس، ثم قام على المنبر فقال: هؤلاء العدى، الله الله! فوالله، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فاحموا الخطايا بالصواب، فإن الله عز وجل لا يحو السيئ إلا بالحسن.

الصالحون أن جيش ذي المروة وذو خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صحبكم الله قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.

واتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي، وقد أرسل ابنه إلى عثمان، فسلم البصريون عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذو خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ.

واتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى، وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المسلمون إن جيش ذي المروة وذو الخشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون، فانفثوا عن ذي خشب والأعوص، حتى انتهوا إلى عساكرهم، وهي ثلاث مراحل، كي يفرق أهل المدينة، ثم يكروا راجعين. فافترق أهل المدينة لخروجه.

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم، فبغتوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن.

وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلموهم، وفيهم علي، فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً يقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن نصر إخواننا ومنعهم جميعاً، كأنما كانوا على معاد. فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرت مراحل، ثم طويتم حوثنا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة! قالوا: فضعه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا. وهو في ذلك يصلي بهم، وهم يصلون خلفه، ويغشي من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زمراً بالمدينة، يمنعون الناس من الاجتماع.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستملدهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر، فامضاهما على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر ﷺ، وعمر ﷺ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملا من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملا منهم ومن الناس علي، على غير طلب مني ولا حجة، فعملت فيهم ما

فقام محمد بن مسلمة، فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: ابغني الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيبة فأقعده، وقال فأقطع، وثار القوم بأجمعهم، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فأدخل داره، وكان المصريون لا يطعمون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر، فإنهم كانوا يرأسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر، وشمر أناس من الناس فاستقتلوا، منهم سعد بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا. فانصرفوا، وأقبل علي عليه السلام حتى دخل على عثمان، وأقبل طلحة حتى دخل عليه، وأقبل الزبير حتى دخل عليه، يعودونه من صرخته، ويشكون بهم، ثم رجعوا إلى منازلهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، قال: قلت له: هل شهدت حصر عثمان؟ قال: نعم، وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد، فإذا كثر اللغط جثوت على ركبتي أو قمت، فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله، فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة، يعظمون ما صنعوا. وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم، فبينما هم كذلك في لغطهم حول الباب، فطلع عثمان، فكأنما كانت نار طفت، فعمد إلى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه، فثار رجل، فأقعده رجل، وقام آخر فأقعده آخر، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع، فاحتمل فأدخل، فصلى بهم عشرين يوماً، ثم منعه من الصلاة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: صلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثم إنهم منعه الصلاة، فصلى بالناس أسيرهم الغافقي، دان له المصريون والكوفيون والبصريون، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رفق القوم وكان الحصار أربعين يوماً، وفهين كان القتل، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون.

وأما غير سيف فإن منهم من قال: كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم إياه ما حدثني به يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التيمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري. قال: سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، وكان في قرية له خارجة من المدينة - أو كما قال - فلما سمعوا به، أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه - قال: وكره أن يقدموا عليه

المدينة أو نحواً من ذلك - قال: فاتوه فقالوا له: ادع بالمصحف، قال: فدعا بالمصحف، قال: فقالوا له: افتح التاسعة - قال: وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة - قال: فقرأها حتى على هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾. قال: فقالوا له: قف، فقالوا له: أرايت ما سميت من الحمى؟ ألك الله أذن لك أم على الله تفتري! قال: فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا. قال: وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت الحمى لما زاد في إبل الصدقة، امضه. قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه، نزلت في كذا وكذا - قال: والذي يتولى كلام عثمان يومئذ في سنك، قال: يقول أبو نضرة، يقول ذاك لي أبو سعيد، قال أبو نضرة: وأنا في سنك يومئذ، قال: ولم يخرج وجهي يومئذ، لا أدري، ولعله قد قال مرة أخرى: وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة - ثم أخذه بأشيء لم يكن عنده منها يخرج. قال: فعرفها، فقال: استغفر الله وأتوب إليه. قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قال: فأخذوا ميثاقه - قال: وأحسبه قال: وكتبوا عليه شرطاً - قال: وأخذ عليهم الا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم - أو كما أخذوا عليه - قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، فلما هذا المال لمن قاتل عليه وهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فرضوا بذلك، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين.

قال: فقام فخطب، فقال: إني ما رايت والله وفداً في الأرض هم خير لحوباتي من هذا الوفد الذين قدموا علي. وقد قال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من كان له زرع فليلحق بزعره، ومن كان له ضرع فليحتلب، ألا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه وهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بني أمية.

قال: ثم رجع الوفد المصريون راضين، فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم، ثم يفارقهم ويتبينهم. قال: قالوا له: مالك؟ إن لك لأمرأ! ما شأنك؟ قال: فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

قال: فأقبلوا حتى قدموا المدينة، قال: فاتوا علياً، فقالوا: ألم تر إلى عدو الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أحل دمه،

حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال: لها السبع، فنزل في قصر له يقال له العجلان، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان!

قال: فبينما هو جالس في قصره ذلك، ومعه ابنه محمد وعبد الله، وسلامة بن روح الجذامي، إذ مر بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان، قال: تركته محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطر العير والمكواة في النار. فلم يرح جلسه ذلك حتى مر به راكب آخر، فناداه عمرو: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان، قال: قتل، قال: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة نكأتهما، إن كنت لأحرض عليه، حتى إنسي لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسروه، فما حلمكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شراً سواء. وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن محمد، عن أبيه، قال: كان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة بمصر يحرضان على عثمان، فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر، فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة، وأظهروا أنهم يريدون العمرة، وخرجوا في رجب، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس وأصحابه قد وجهوا نحوه، وأن محمد بن أبي حذيفة شيعهم إلى عجرو، ثم رجع وأظهر محمد أن قال: خرج القوم عمراً، وقال في السر: خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يدوها حتى نزلوا ذا خشب. وقال عثمان قبل قدومهم حين جاء رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون - بزعمهم - العمرة، والله ما أراهم يريدونها، ولكن الناس قد دخل بهم، وأسرعوا إلى الفتنة، وطال عليهم عمري، أما والله لئن فارقتهم ليتبنون أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوك، والإحزن والأثرة الظاهرة، والأحكام المغيرة.

قال: فلما نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع، وأتى رسولهم إلى علي ليلاً، وإلى طلحة، وإلى عمار بن ياسر. وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم إلى علي كتاباً، فجاءوا بالكتاب إلى علي، فلم يظهر على ما فيه، فلما رأى عثمان ما رأى جاء علياً فدخل عليه بيته، فقال: يا ابن عم، إنه ليس لي مترك، وإن قرابتي قريبة، ولي حق عظيم عليك، وقد جاء

قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، إلى أن قالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال: والله ما كتبت إليكم كتاباً قط، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قال بعضهم لبعض: لهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون.

قال: فانطلق علي، فخرج من المدينة إلى قرية. قال: فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا! قال: فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا علي رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت. قال: وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الحاتم على الحاتم. قال: فقالوا: فقد والله أحل الله دمك، ونقضت العهد والميثاق. قال: فحاصروه.

وأما الواقدي فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب أموراً كثيرة، منها ما قد تقدم ذكره، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني لبشاعته. ومنها ما ذكر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أبي عون مولى المسور، قال: كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان، فغزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، ثم جمعهما لعبد الله بن سعد، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال: يا ابن النابغة، ما أسرع ما قمل جربان جبتك! إنما عهدك بالعمل عاماً أول. أتعطن علي وتأتيني بوجهه وتذهب عني بآخر! والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. قال: فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعبتك! فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلمك، وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عني راض. قال: فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لا ستقمت، لكني لنت عليك فاجترأت علي، أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية، وقبل أن ألي هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك هذا، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان، فوالله للعاص كان أشرف من أباك. قال: فانكسر عثمان، وقال: ما لنا ولذكر الجاهلية!

قال: وخرج عمرو ودخل مروان، فقال: يا أمير المؤمنين، وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك! فقال عثمان: دع عنك، من ذكر آباء الرجال ذكروا آباءه.

قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأول، خرج من المدينة،

وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومعهم من العرب نيار بن مكرم وغيرهم ثلاثون رجلاً، وكلمهم علي ومحمد بن مسلمة - وهما اللذان قدما - فسمعوا مقاتلتهما، ورجعوا. قال محمود: فأخبرني محمد بن مسلمة، قال: ما برحنا من ذي خشب حتى رحلوا راجعين إلى مصر، وجعلوا يسلمون علي، فما أنسى قول عبد الرحمن بن عديس: أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة؟ قال: قلت: تتقي الله وحده لا شريك له، وترد من قبلك عن إمامه، فإنه قد وعدنا أن يرجع وينزع. قال ابن عديس: أفعل إن شاء الله. قال: فرجع القوم إلى المدينة.

قال محمد بن عمر: فحدثني عبد الله بن محمد، عن أبيه، قال: لما رجع علي عليه السلام إلى عثمان رضي الله عنه، أخبره أنهم قد رجعوا، وكلمه علي كلاماً في نفسه، قال له: أعلم أي قاتل فيك أكثر مما قلت. قال: ثم خرج إلى بيته، قال: فمكث عثمان ذلك اليوم، حتى إذا كان الغد جاءه مروان، فقال له: تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم، فيأتيك من لا تسطيع دفعه. قال: فأبى عثمان أن يخرج. قال: فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن أمامهم أمر، فلما يتقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم. قال: فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان، فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله تب. قال: فناداه عثمان، وإنك هناك يا ابن النابغة! قملت والله جيتك منذ تركت من العمل. قال فتودي من ناحية أخرى: تب إلى الله وأظهر التوبة يكف الناس عنك. قال: فرفع عثمان يديه مداً واستقبل القبلة، فقال: اللهم إني أول نائب إليك. ورجع إلى منزله، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين، فكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه عليه.

قال محمد بن عمر: فحدثني علي بن عمر، عن أبيه، قال: ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأنابة، فإن البلاد قد تمخضت عليك، فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة، فتقول: يا علي، اركب إليهم، ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذراً ويقدم ركب آخرون من البصرة، فتقول: يا علي اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحلك، واستخففت بمحقق.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى

ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبحي، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً، وأنهم يسمعون منك، فإنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإني لا أحب أن يدخلوا علي، فإن ذلك جراءة منهم علي، وليسمع بذلك غيرهم. فقال علي: علام أردهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به علي ورأيتني، ولست أخرج من يدك، فقال علي: إني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة، فكل ذلك نخرج فتكلم، وتقول وتقول، وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية، أعطتهم وعصيتني. قال عثمان: فإني أعصيه وأطيعك.

قال: فأمر الناس، فركبوا معه المهاجرون والأنصار. قال: وأرسل عثمان إلى عمار بن ياسر، يكلمه أن يركب مع علي فأبى، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبي وقاص، فكلمه أن يأتي عماراً فيكلمه أن يركب مع علي، قال: فخرج سعد حتى دخل على عمار، فقال: يا أبا اليقظان، ألا تخرج فيمن يخرج! وهذا علي يخرج فأخرج معه، وأردد هؤلاء القوم عن أمامك، فإني لأحسب أنك لم تركب مركباً هو خير لك منه.

قال: وأرسل عثمان إلى كثير بن الصلت الكندي - وكان من أعوان عثمان - فقال: انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمار، وما يرد عمار على سعد، ثم اتبني سريعاً.

قال: فخرج كثير حتى يجد سعداً عند عمار خلياً به، فآلقم عينه جحر الباب، فقام إليه عمار ولا يعرفه، وفي يده قضيب، فادخل القضيب الجحر الذي القمه كثير عينه، فأخرج كثير عينه من الجحر، وولى مدبراً متقنعاً. فخرج عمار فعرف أثره، ونادى: يا قليل ابن أم قليل! أعلي تطلع وتستمع حديثي! والله لو دريت أنك هو لقات عينك بالقضيب، فإن رسول الله ﷺ قد أحل ذلك. ثم رجع عمار إلى سعد، فكلمه سعد وجعل يقتله بكل وجه، فكان آخر ذلك أن قال عمار: والله لا أردهم عنه أبداً. فرجع سعد إلى عثمان، فأخبره بقول عمار، فاتهم عثمان سعداً أن يكون لم يناصحه، فأنسم له سعد بالله، لقد حرص. فقبل منه عثمان. قال: وركب علي عليه السلام إلى أهل مصر، فردهم عنه، فانصرفوا راجعين.

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، قال: لما نزلوا ذا خشب، كلم عثمان علياً وأصحاب رسول الله ﷺ أن يردهم عنه فركب علي وركب معه نفر من المهاجرين، فيهم سعيد بن زيد، وأبو جهم العدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وخرج من الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد الساعدي، وزيد بن ثابت،

والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا.

قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر، فجاء علي عليه السلام مغضباً، حتى دخل عثمان، فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه، وإيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعائتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك. فلما خرج علي دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: أنكلم أو أسكت؟ فقال: تكلمي، فقالت: قد سمعت قول علي لك، وإنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان بقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علي فاستصلحه، فإن له قرابة منك، وهو لا يعصى. قال: فأرسل عثمان إلى علي، فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أني لست بعائد. قال: فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، قال: فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أنكلم أو أسكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفرافصة... فقال عثمان: لا تذكرها بحرف فأسوء لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. قال: فكف مروان.

قال محمد بن عمر: وحدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قبح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعاطهم الرضا، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة مع الدموع، وهو يقول: اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك! والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً قناً لأرضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا علي، فوالله لا احتجب منكم، ولأعطينكم الرضا، ولأزيدنكم على الرضا، ولأنجين مروان وذويه. قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح، ودخل بيته، ودخل عليه مروان، فلم يزل يقتله في الذروة والغارب حتى قتله عن رأيه، وأزاله عما كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس، وخرج مروان إلى الناس، فقال: شامت الوجوه! ألا من أريد! ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمر المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه، وإلا قر في بيته. قال عبد الرحمن: فجننت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر، وأجد عنده عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع. قال: فأقبل علي علي، فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قلت: نعم، قال: أحضرت مقالة

الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكفي متني نفسي وكذبتني، وضل عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتماد في الهلكة، إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فانا أول من اتعظ، أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمئلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد، ولأذللن ذل العبد، ولأكونن كالمرقوق، إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

قال: فرق الناس له يومئذ، وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله في نفسك! فأنتم علي ما قلت. فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونقراً من بني أمية، ولم يكونوا شهدوا الخطبة، فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين، أنكلم أم أصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة، امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل أصمت؟ فإنهم والله قاتلوه ومؤثموه، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنت وذاك! فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ، فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنه عمه، وأنه يناله غمه، أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه.

قال: فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أنكلم أم أصمت؟ قال: بل تكلم، فقال مروان: بأبي أنت وأمي! والله لو ددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت متمتع متنع فكنت أول من رضي بها، وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيين، وخلف السيل الزبي، وحين أعطى الخطبة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أهل من توبة تخوف عليها، وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقر بالحطية، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فأخرج إليهم فكلمهم، فإني أستحي أن أكلهمهم. فقال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جتتم لنهب! شامت الوجوه! كل إنسان اتخذ بأذن صاحبه. ألا من أريد! جتتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا، أما والله لئن رتمونا ليعرن عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا غب رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم، فإننا



قال أبو جعفر رحمه الله: قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوها أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل لدعت إلى الإعراض عنها، ونذكر الآن كيف قتل، وما كان بدء ذلك وافتتاحه، ومن كان المبتدئ به والمفتتح للجرأة عليه قبل قتله.

ذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أم بكر بنت المسور بن مخزومة، عن أبيها، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخزومة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذها، قسمها عبد الرحمن في الناس وعثمان في الدار.

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد بن صالح، عن عبيد الله بن رافع بن نقاعة، عن عثمان بن الشريد، قال: مر عثمان على جيلة بن عمرو الساعدي وهو بقاء داره، ومعه جامعة، فقال: يا نعل، والله لأقتلنك، ولأحملنك على قلوب جرباء، ولأخرجنك إلى حرة النار. ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه.

حدثني محمد، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد، قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جيلة بن عمرو الساعدي، مر به عثمان وهو جالس في ندي قومه، وفي يد جيلة بن عمرو جامعة، فلما مر عثمان سلم، فرد القوم، فقال جيلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا! قال: ثم أقبل على عثمان، فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتترك بطانتك هذه. قال عثمان: أي بطانة! فوالله إني لأخبر الناس، فقال: مروان تخبرته! ومعاوية تخبرته! وعبد الله بن عامر بن كريز تخبرته! وعبد الله بن سعد تخبرته! منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله دمه.

قال: فانصرف عثمان، فما زال الناس يجترئين عليه إلى هذا اليوم.

قال محمد بن عمر: وحدثني ابن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة، قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبته نهائير وركبناها معك، فتب تب. فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه - قال أبو حبيبة: فلم أر يوماً أكثر باكية ولا باكية من يومئذ - ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس، فقام إليه جهجاه الغفاري، فصاح: يا عثمان، ألا إن هذه شارف، قد جثا بها، عليها عباءة وجامعة، فانزل فلندركك العباءة، ولنطرحك في الجامعة، ولنحملك على الشارف، ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جثت به! قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلا عن ملا

مروان للناس؟ قلت: نعم، قال علي: عياذ الله، يا للمسلمين! إني إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقي، وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقاً له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله ﷺ. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان: انتني، فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد. قال: فانصرف الرسول. قال: فلقيت عثمان بعد ذلك بليتين خائباً، فسألت ناتلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند علي، فقال عبد الرحمن بن الأسود: فغدوت فجلست مع علي عليه السلام، فقال لي: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إني غير عائد، وإني فاعل، قال: فقلت له: بعدما تكلمت به على منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك ويؤذيهم! قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني، وجرأت الناس علي. فقلت: والله لأذب الناس عنك، ولكني كلما جئتكم بهنة أظنها لك رضاً جاء بأخرى، فسمعت قول مروان علي، واستدخلت مروان. قال: ثم انصرف إلى بيته. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم أزل أرى علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل، إلا أنني أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا، وغضب في ذلك غضباً شديداً، حتى دخلت الروايا على عثمان.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن جعفر، عن إسماعيل بن محمد، أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل، فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، وسقط عن المنبر، وحمل فادخل داره مغشى عليه، فخرج رجل من حجاب عثمان، ومعه مصحف في يده وهو ينادي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَأَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ ودخل علي بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشى عليه، وبنو أمية حوله فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فاقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا: يا علي أهلكنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين! أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا. فقام علي مغضباً.

### ذكر الخبر عن قتل عثمان

وفي هذه السنة قتل عثمان بن عفان

ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل.

من الناس، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أمية فحملوه فادخلوه الدار.

قال أبو حبيبة: فكان آخر ما رأيته فيه.

قال محمد: وحدثني أسامة بن زيد الليثي، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه، قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال له جهجاه: قم يا نعل، فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظية منها فيها، فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة، فرايتها تدود، فنزل عثمان وحمله وأمر بالعصا فشدها، فكانت مضية، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل.

حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، أن جهجها الغفاري، أخذ عصاً كانت في يد عثمان، فكسرها على ركبته، فرمى في ذلك المكان بأكله.

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني، عن عمه عبد الرحمن بن يسار، أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ إلى من بالأنفاق منهم - وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل، تطلبون دين محمد ﷺ، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فلهلما فاقبموا دين محمد ﷺ. فاقبلوا من كل أفق حتى قتلوه. وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله في مصر - حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه تائب - بكتاب في الذين شخصوا إلى مصر، وكانوا أشد أهل الأمصار عليه: أما بعد، فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك، فانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا - منهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم قوم من التابعين - فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السلمي، حمله عثمان على جمل له، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فسأله: أين يريد؟ قال: أريد مصر، ومعه رجل من أهل الشام من خولان، فلما رآه على جمل عثمان: قالوا له: هل معك كتاب؟ قال: لا، قالوا: فيم أرسلت؟ قال: لا علم لي، قالوا: ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسلت! إن أمرك لمريب! ففتشوه، فوجدوا معه كتاباً في إدواة يابسة، فنظروا في الكتاب، فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأمواهم. فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الأنفاق

كلها، وثار أهل المدينة.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن محمد بن السائب الكلبي، قال: إنما رد أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، وأن يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك، قال: غلامي انطلق بغير علمي، قالوا: جملك، قال: أخذه من الدار بغير أمري، قالوا: خائفك، قال: نقش عليه، فقال عبد الرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر:

أقبلن من بليس والصعيد خوصاً كأمثال القسي قود  
مستحقات خلق الحديد يطلن حق الله في الوليد  
وعند عثمان وفي سعيد يارب فارجعنا بما نريد

فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إلي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربص به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل به من طاعتهم ومناصحتهم، ووعدهم أن ينجدهم جند أو بطانة دون الناس، وذكرهم بلاءه عندهم، وصنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل، فإن القوم معاجلي.

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عثمان، فعظم حقه، وحضهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه. فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى، بلغهم قتل عثمان ﷺ فرجعوا.

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر، أن اندب إلي أهل البصرة، نسخة كتابه إلى أهل الشام.

فجمع عبد الله بن عامر الناس، فقرأ كتابه عليهم، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه، فيهم مجاشع بن مسعود السلمي، وكان أول من تكلم، وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة. وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي، فخطب وحض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم، حتى إذا نزل الناس الريدة، ونزلت مقدمته عند صرار - ناحية

من المدينة - اتاهم قتل عثمان.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: كتب أهل مصر بالسقيا - أو بذى خشب - إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يرد عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي، فكان فيما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله الله! ثم الله الله! فإنك على دنيا فاستم إليها معها آخره، ولا تلبس نصيبك من الآخرة، فلا تسوخ لك الدنيا. واعلم أنا والله لله نغضب، وفي الله نرضى، وإننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة، فهذه مقالتنا لك، وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك. والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله.

فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد، فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل، وهم عملي عهداً، وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به! فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك، فإنما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

فأرسل إلى علي فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا حسن، إنه قد كان من الناس ما قد رأيته، وكان مني ما قد علمت، ولست أنهم على قتلي، فارددهم عني، فإن لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطهم الحق من نفسي ومن غيري، وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في مقدمتهم الأولى عهداً من الله: لترجعن عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق. قال:

نعم، فأعطهم، فوالله لأفين لهم. فخرج علي إلى الناس، فقال: أيها الناس، إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتهموه، إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه. قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا، فإننا والله لا نرضى بقرول دون فعل. فقال: لهم علي: ذلك لكم. ثم دخل عليه فأخبره الخبر، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد، قال له علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك، قال: نعم، ولكن أجلي فيما بالمدينة ثلاثة أيام. قال علي: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً، على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح - وقد كان اتخذ جنداً عظماً من رقيق الخمس - فلما مضت الأيام الثلاثة -

وهو على حاله لم يغير شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل عاملاً - ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذى خشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم تفارقك على أنك زعمت أنك تائب من إحداثك، وراجع عما كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه! قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون. قالوا: يريدك على جملك وكتاب كاتبك عليه خاتمك، قال: أما الجمل فمسرور، وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه، قالوا: فإننا لا نعجل عليك، وإننا كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتهم على دماثنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أراني إذا في شيء إن كنت أستعمل من هويتهم، وأعزل من كرهتهم، الأمر إذا أمركم! قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلني الله، فحصره أربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، قال: حدثنا الحسن، قال: أنبأني وثاب - قال: وكان فيمن أدركه عتي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال: ورأيت بجلقه أثر طعنتين، كأنهما كتبان طعنهما يومئذ يوم الدار - قال:

قال: وقد تكلم عثمان برجوع المصريين، وذكر أنهم جاءوا لأمر، فبلغهم غيره فانصرفوا، فأردت أن أتبعه فأعنفه بهما، ثم سكت فإذا قاتل يقول: قد قدم المصريون وهم بالسويداء قال: قلت: أحقاً ما تقول؟ قال: نعم، قال: فأرسل إلي عثمان.

قال: وإذا الخبر قد جاء، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خشب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟ قال: قلت: واللّه ما أدري، إلا أنني أظن أنهم لم يرجعوا لخبر. قال: فارجع إليهم فارددهم، قال: قلت: لا واللّه ما أنا بقاعل، قال: ولم؟ قال: لأنني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها. قال: فقال: اللّه المستعان.

قال: وخرجت وقدم القوم وحلوا بالأسواف، وحصلوا عثمان.

قال: وجاءني عبد الرحمن بن عديس ومعه سودان بن حوران وصاحبه، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألم تعلم أنك كلمتنا ورددتنا وزعمت أن صاحبنا نازع عما نكره؟ فقلت: بلى، قال: فإذا هم يخرجون إلي صحيفة صغيرة. قال: وإذا قصبة من رصاص، فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فأجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حسبه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حوران مثل ذلك، وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك قال: فقلت: وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا! فهذا شر، فيخرج نفسه من هذا الأمر. ثم قالوا: انطلق معنا إليه، فقد كلمنا علياً ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر. وجئنا سعد بن أبي وقاص، فقال: لا أدخل في أمركم. وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا، فقال محمد: فأين وعدكم علي؟ قالوا: وعدنا علي إذا صلى الظهر أن يدخل علي.

قال محمد: فصليت مع علي، قال: ثم دخلت أنا وعلي عليه، فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم - قال: ومروان عنده جالس - قال: فقال مروان: دعني جعلت فداك أكلمهم! قال: فقال عثمان: فض الله فاك! أخرج عني، وما كلامك في هذا الأمر! قال: فخرج مروان، قال: وأقبل علي عليه - قال: وقد أنهى المصريين إليه مثل الذي أنهوا إلي - قال: فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم. قال: فقال يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه. قال: فقال محمد بن مسلمة: واللّه إنه لصادق، ولكن هذا عمل مروان، فقال علي: فأدخلهم عليك، فليسمعوا

بعثي عثمان، فدعوت له الأشر، فجاء - قال ابن عون: فأظنه قال: فطرح لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة - فقال: يا أشر، ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثاً ليس من إحداهن بد، قال: ما هن؟ قال: يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلك. فقال أما من إحداهن بد! قال: ما من إحداهن بد، فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربليته الله عز وجل - قال: وقال غيره: واللّه لأن أقدم فتضرب عني أحب إلي من أن أخلع قميصاً قمصنيه الله وأترك أمة محمد ﷺ يعدو بعضها على بعض. قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه - وأما أن أقص من نفسي، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص، وأما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً ولا تقتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً. قال: فقام الأشر فانطلق، فمكثنا أياماً. قال: ثم جاء رويجل كانه ذئب، فاطلع من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي، أرسل لحيتي. قال: وأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ فهي رأسه. قلت: ثم مه، قال: تغاواوا عليه حتى قتلوه.

وذكر الواقدي أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قومي إلى المصريين وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حوران المرادي، وعمرو بن الحمق الخزاعي - وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال: حبيس بن الحمق - وابن النباع. قال: فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أن في قتله اختلافاً وأمرأ عظيمًا، فلا تكونوا أول من فتحه، وأنه ينزع عن هذه الخصال التي تقمتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخطي فأخلاقني، فقلت الله الله يا عثمان في نفسك! إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقوون عدوك عليك. قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيراً. قال: ثم خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقم.

قال: أجل، ولكنه كتبه بغير أمري، قالوا: فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك، قال: أجل، ولكنه خرج بغير إذني، قالوا: فالجمل جملك، قال: أجل، ولكنه أخذ بغير علمي، قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماثنا بغير حقها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبت بطانتك، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته. وقالوا له: إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما يستكرون من أعمالك، فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم، فقال: الإمام يخطئ ويصيب، فلا أقيد من نفسي، لأنني لو أقدت كل من أصبته بخطأ آتي على نفسي، قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع، فإذا كلمت فيها أعطيت التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق، ولأما فيك محمد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرتة فتبرأ منك، وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أول مرة لقطع حجتك ونبلي أقصى الإعذار إليك، نستظهر بالله عز وجل عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب. وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك ويخط كاتبك وعليه خاتك، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والأثرة في القسم والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس، والإظهار للتوبة، ثم الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يحدث مثل ما جربنا منك، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك، فاردد خلافتنا، واعتزل أمرنا، فإن ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيبي، ولكني أثوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني والله الفقير إلى الله الخائف منه، قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم ثبت منه ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى، وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من

عذرك، قال: ثم أقبل عثمان على علي، فقال: إن لي قرابة ورهماً، والله لو كنت في هذه الحلقة لخلعتها عنك، فأخرج إليهم، فكلهمهم، فإنهم يسمعون منك. قال علي: والله ما أنا بفاعل، ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم، قال: فادخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ، فما سلموا عليه بالخلافة، فعرفت أنه الشر بعينه، قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، قال: فتكلم القوم وقد قدموا في كلام ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك، قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إلي، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة، وما خالف به صاحبيه. قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع، فردنا علي ومحمد بن مسلمة، وضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه - ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة، فقالوا: هل قلت ذلك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم - ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك ويكون حجة لنا بعد حجة حتى إذا كنا بالبويب أخذنا غلامك فاخذنا كتابك وخاتك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا، وهذا كتابك.

قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبت ولا أمرت، ولا شئورت ولا علمت. قال: فقلت وعلي جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري، قال: أفيجترأ عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين، وينقش على خاتك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم! قال: نعم، قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه قال: لا أنزع قميصاً البسني الله عز وجل. قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه. قال: وقام علي فخرج، قال: فلما قام علي قمت، قال: وقال للمصريين: اخرجوا، فخرجوا. قال: ورجعت إلى منزلي ورجع علي إلى منزله، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: قدم المصريون المقدمة الأولى، فكلّم عثمان محمد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خشب فردهم، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا، فأتوها إلى المدينة، وقد تخلف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعل، قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك!

عثمان بمخرجهم، ويخبره أنهم يظهرهم أنهم يريدون العمرة. فقدم الرسول على عثمان بن عفان، يخبرهم فتكلم عثمان، وبعث إلى أهل مكة يحذر من هناك هؤلاء المصريين، ويخبرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم. ثم إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين، وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له - فقدم ابن سعد، حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا إلى عثمان، وأنهم قد حصروه، ومحمد بن أبي حذيفة بمصر، فلما بلغ محمداً حصر عثمان وخروج عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر، فاستجابوا له، فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر، فمنعه ابن أبي حذيفة، فوجه إلى فلسطين، فأقام بها حتى قتل عثمان عليه السلام، وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف، فحصرهم عثمان، وقدم حكيم بن جبلة من البصرة في ركب، وقدم الأشتر في أهل الكوفة، فتوافوا بالمدينة، فاعتزل الأشتر، فاعتزل حكيم بن جبلة، وكان ابن عديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان، فكانوا خمسمائة، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً، حتى قتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

قال: محمد: وحديثي إبراهيم بن سالم، عن أبيه، عن بسر بن سعيد، قال: وحديثي عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، قال: دخلت على عثمان عليه السلام، فتحدثت عنده ساعة، فقال: يا ابن عياش، تعال. فأخذ بيدي، فأسمعني كلام من على باب عثمان، فسمعتنا كلاماً منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، فيينا أنا وهو واقفان، إذ مر طلحة بن عبيد الله، فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: ها هوذا، قال: فجاءه ابن عديس، فواجه بشيء، ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل، ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثم قال عثمان: اللهم أكفي طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل علي هؤلاء والبهم، والله أني لأرجو أن يكون منها صفراً، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصائه فيرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس»، فقيم أقتل! قال: ثم رجع عثمان. قال ابن عياش: فأردت أن أخرج فممنوني حتى مر بي محمد بن أبي بكر فقال: خلوه، فخلوني..

قال محمد: حديثي يعقوب بن عبد الله الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، قال: رأيت اليوم الذي دخل فيه على عثمان، فدخلوا من

اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك. وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم، حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله. فقال عثمان: أما أن أتبرأ من الإمارة فإن تصليوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر عز وجل وخلافته، وأما قولكم: تقتاتلون من قاتل دوني، فإني لا أمر أحداً بقتالكم، فمن قاتل دوني فأما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تقبوا علي، فإنكم يجتلبون بهذا الأمر - إن قتلتموني - دماً. قال: ثم انصرفوا عنه وأذوه بالحرب، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم، فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين.

قال محمد بن عمر: حديثي محمد بن مسلم، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة، قال: نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان، دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب، فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرته. فأسمع سعداً يقول: استغفر الله، لم أكن أظن الناس يجتثرون هذه الجراءة، ولا يطلبون دمه، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك، فنزع عن كل ما كره منه، وأعطى التوبة، وقال: لا أتمادى في الهلكة، إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق، فانا أتوب وأنزع. فقال مروان: إن كنت تريد أن تذب عنه، فعليك بابن أبي طالب، فإنه مستتر، وهو لا يبجيه، فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر، فقال: يا أبا حسن، قم فذاك أبي وأمي! جنتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد، تصل رحم ابن عمك، وتأخذ بالفضل عليه، وتحقق دمه، ويرجع الأمر على ما تحب، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضا. فقال علي: تقبل الله منه يا أبا إسحاق! والله ما زلت أذب عنه حتى إني لأستحي، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتهم وأمرته أن ينحيهم استغشني حتى جاء ما ترى. قال: فيينا هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر، فسار علياً، فأخذ علي بيدي، ونهض علي وهو يقول: وأي خير توبته هذه! فوالله ما بلغت داري حتى سمعت الهاتعة، أن عثمان قد قتل، فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا.

قال محمد بن عمر: وحديثي شرحبيل بن أبي عون، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الحبر، قال: لما خرج المصريون إلى عثمان عليه السلام، بعث عبد الله بن سعد رسولاً أسرع السير يعلم

دار عمرو بن حزم خروجة هناك حتى دخلوا الدار، فناوشوهم شيئاً من مناوشة ودخلوا، فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران، فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيد الله؟ قد قتلنا ابن عفان!

قال محمد بن عمر: وحدثنني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، عن أبي حفصة اليماني، قال: كنت لرجل من أهل البادية من العرب، فأعجبته - يعني مروان - فاشتراني واشترى امرأتي وولدي فأعقنا جميعاً، وكنت أكون معه، فلما حصر عثمان، شمرت معه بنو أمية، ودخل معه مروان الدار. قال: فكنت معه في الدار، قال: فأنا والله أنشبت القتال بين الناس، رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي، فنشب القتال، ثم نزلت، فاقتل الناس على الباب، وقتل مروان حتى سقط فاحتلمته، فأدخلته بيت عجوز، وأغلقت عليه، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان، فاحترق بعضها، فقال عثمان: ما احترق الباب إلا ما هو أعظم منه، لا يمركن رجل منكم يده، فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلونني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإنني لصابر كما عهد إلي رسول الله ﷺ، لأصرعن مصرعي الذي كتب الله عز وجل. فقال مروان: والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر:

قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول  
أنسي أروع أول الرعيسل بفاره مثل قطا الشليل

قال محمد: وحدثنني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي حفصة، قال: لما كان يوم الخميس دليت حجراً من فوق الدار، فقتلت رجلاً من أسلم يقال له نيار، فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكنا من قاتله. قال: والله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا، فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعلة على أثره تنضج بالنفط، فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء! قد احترق الخشب واحترقت الأبواب، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي، والله لو تركوني لظنت أنني لا أحب الحياة، ولقد تغيرت حالتي، وسقط أسناني، وورق عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فعصاه مروان، فقال: والله لا تقتل، ولا يخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس. فقلت: ما لمولاي مترك! فخرجت معه أذب

عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثل:  
قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول  
ثم صاح من يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه، فجعله في منظفته. قال: فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته، حتى سقط، فما ينبض منه عرق، فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدي. قال: فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدي.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس، عن ابن الحارث بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام، قال: كاني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبي الله ﷺ وعثمان بن عفان، فخرج مروان بن الحكم، فقال من يبارز فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان بن عروة: قم إلى هذا الرجل، فقام إليه غلام شاب طوال، فأخذ زفر الدرع فغرز في منظفته، فأعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه، فكاني أنظر إليه حين استدار. وقام إليه عبيد بن رفاعة الرزقي ليدف عليه، قال: فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن عدي - قال: وكانت أرضعت مروان وأرضعت له - فقالت: إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح. قال: فكف عنه، فما زالوا يشكرونها لها، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد.

وقال ابن إسحاق: قال عبد الرحمن بن عديس البلوي حين سار إلى المدينة من مصر:  
أقبلن من بلييس والصعيد مستحقيات حلق الحديد  
يطلبن حق الله في سعيد حتى رجعن بالذي نريد

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، قال: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان، وأبى إلا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم، فقام رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له نيار بن عياض - وكان شيخاً كبيراً - فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره، فأنشد الله لما اعترضهم! فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي، فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي، فلما رأوا ذلك ثاروا على بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد

آخر - فقال: لعله قد مكر به وبكم! قال: فوطئه الناس، حتى لقي كذا وكذا، قال: فرأيت أشرف عليهم مرة أخرى، فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظة. وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أول ما يسمعونها فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم. قال: ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه. قال: وذلك أنه رأى من الليل أن نبي الله ﷺ يقول: «أفطر عندنا الليلة».

قال أبو المعتمر: فحدثنا الحسن: أن محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته. قال: فقال له: قد أخذت منا مأخذاً، وقعدت مني مقعداً ما كان أبو بكر ليقعه أو لياخذه. قال: فخرج وتركه. قال: ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود. قال: فخفقه ثم خفقه. قال: ثم خرج فقال: واللّه ما رأيت شيئاً قط ألين من حلقه، واللّه لقد خففته حتى رأيت نفسه يتردد في جسده كنفس الجان. قال: فخرج.

قال في حديث أبي سعيد: دخل على عثمان رجل، فقال: بيني وبينك كتاب الله - قال: والمصحف بين يديه - قال: فيهيوي له بالسيف، فاتقاه بيده، فقطعها، فقال: لا أدري أبانها أم قطعها ولم بينها. قال: فقال: أما واللّه إنها لأول كف خطت الفصل. وقال في غير حديث أبي سعيد: فدخل عليه التجيبي، فأشعره مشقصاً فانتضح الدم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. قال: فإنها في المصحف ما حكت.

قال وأخذت ابنة الفرافصة - في حديث أبي سعد - حليها فوضعتها في حجرها، وذلك قبل أن يقتل، قال: فلما أشعر - أو قال: قتل - ناحته عليه. قال: فقال بعضهم: قاتلها الله! ما أعظم عجزتها! قال: فعلمت أن عدو الله لم يرد إلا الدنيا.

وأما سيف، فإنه قال - فيما كتب إلي السري، عن شعيب، عنه: ذكر عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: آخر خطبة خطبها عثمان ﷺ في جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تنفني، والآخرة تبقى، فلا تبترنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله. اتقوا الله عز وجل، فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والانتاع عليهم بسلطان الله، قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب،

بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة في عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الذي حدامهم على القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً - وهي من المدينة على ليلة - وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين، فقاتلوهما قتالاً شديداً على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجماً:

قد علمت جارية عطبول لها وشاح ولها حجول  
أنني بصل السيف خشليل

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو يقول:

إن تك بالسيف كما تقول فائت لقمرن ماجد بصول  
بمشرفي حده مصقول

فضربه عبد الله فقتله، وحمل رفاعه بن رافع الأنصاري ثم الزرقعي على مروان بن الحكم، فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات، وانتهزم القوم حتى لجثوا إلى القصر، فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً، فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليه من داره، فقاتلوه في جوف الدار حتى انهزموا، وخلق لهم عن باب الدار، فخرجوا هرباً في طرق المدينة، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه، وقتل عثمان ﷺ.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التميمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو نصر، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال: أشرف عليهم عثمان ﷺ ذات يوم، فقال: السلام عليكم، قال: فما سمع أحداً من الناس رد عليه إلا أن يرد رجل في نفسه، فقال: أنشدكم بالله هل علمتم أنني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها فجعلت رشائي منها كرشاء رجل من المسلمين! قال: قيل: نعم. قال: فما ينبغي أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر! قال: أنشدكم الله هل علمتم أنني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟ قيل: نعم، قال: فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلي فيه قبلي! قال: أنشدكم الله، هل سمعتم نبي الله ﷺ يذكر كذا وكذا، أشياء في شأنه، وذكر الله إياه أيضاً في كتابه الفصل. قال: ففشا النهي.

قال: فجعل الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين، قال: وفشا النهي. قال: وقام الأشتر - قال: ولا أدري يومئذ أو في يوم



استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن.

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر، فقال: يا محمد، نستبئك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذويان العرب إلى ما يحل فتبعمهم! فقال: ما أنت وذاك يا ابن التميمية! فقال: يا ابن الخنعمية، إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتكم عليه بنو عبد مناف، وانصرف وهو يقول:

عجبت لما يخوض الناس فيه يرومون الخلافة أن تسزولا  
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها ذلاً ذليلاً  
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلهم ضلوا السبيل  
ولحق بالكوفة. وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على

أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أم المؤمنين، لو أمتت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني! لا والله ولا أعير ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء! وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات، عليهم الرقياء، فأشرف عثمان على الناس، فقال: يا عبد الله بن عباس - فدعى له - فقال: اذهب فانت على الموسم - وكان ممن لزم الباب - فقال: والله يا أمير المؤمنين لجهد هؤلاء أحب إلي من الحج، فأقسم عليه لينطلقن. فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته، فانصرف بها - وفي الزبير اختلاف: أدرى قتله أم خرج قبله - وقال عثمان: ﴿وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ الآية، اللهم حل بين الأحزاب وبين ما ياملون كما فعل بأشباعهم من قبل.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، قال: بعثت ليلي ابنة عميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فقالت: إن المصباح يأكل نفسه، ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتفقا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم، فلجا وخرجا مغضبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بكما! إلا ألزمكما الله! فلقيا سعيد بن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلي فتمثل له في تلك الحالة بيتاً:

استبق ودك للصديق ولا تكن فيئاً يعرض بخاذل ملجأجا  
فأجابه سعيد متمثلاً:

تزون إذا ضرباً صميماً من الذي له جانب ناء عن الجرم معور  
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد  
وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: فلما بويع الناس جاء

وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عني. وأرسل إلى طلحة والزبير وعلي وعدة: أن ادنوا. فاجتمعوا فأشرف عليهم، فقال: يا أيها الناس، اجلسوا، فجلسوا جميعاً، المحارب الطارئ، والمسالمة المقيم، فقال: يا أهل المدينة إني أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله في قضاءه، ولأدعن هؤلاء وما وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا، إلا الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهاً لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة أبي عثمان ومحمد وطلحة قالوا: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة، قدم ركبنا من الوجوه فآخبروا خبر من قد نهيا إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة، فعندها حاولوا بين الناس وبين عثمان، ومنعوه كل شيء حتى الماء وقد كان يدخل علي بالشيء مما يريد. وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة، فعثروا في داره بالحجارة ليرموا، فيقولوا: قوتلنا - وذلك ليلاً - فناداهم: ألا تعلمون أن في الدار غيري! قالوا: لا والله ما ميناك. قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتم، إن الله عز وجل لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا. وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه، فسرح ابنه لعمرو إلى علي بأنهم قد منعوا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا. وإلى طلحة وإلى الزبير، وإلى عائشة رضي الله عنهن وأزواج النبي ﷺ، فكان أولهم إجماعاً له علي وأم حبيبة، وجاء علي في الغلس، فقال: يا أيها الناس، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي، وما تعرض لكم هذا الرجل، فيم تستحلون حصره وقتله! قالوا: لا والله ولا نعمة عين، لا تركه يأكل ولا يشرب، فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما نهضتني، فرجع. وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة، فضربو وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحييت أن ألقاه فأساله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل. قالوا: كاذبة، وأهوها لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فندت بأم حبيبة، فتلقاها الناس، وقد مالت رحالتها، فتعلقوا به وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها، وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة، واستتبت أخاها، فأبى، فقالت: أما والله لئن

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة، وقد افتتح ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى - وكان سريع القراءة، فما كرثه ما سمع وما يخطئ وما يتتبع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه - ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه:

قد علمت ذات القرون الميل والحلي والأنامل الطفول  
لتصدقن بيغتي خليلي بصارم ذي رونق مصقول  
لا أستقيل إن أقلت قبلي

وأقبل أبو هريرة، والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصابة، فدرسوا فاستقتلوا، فقام معهم، وقال: أنا إسوتكم، وقال: هذا يوم طاب امضرب - يعني أنه حل القتال، وطاب وهذه لغة حمير - ونادى يا قوم، مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار! وبادر مروان يومئذ ونادى: رجل رجل، وفبرز له رجل من بني ليث يدعى النباع، فاختلفا، فضربه مروان أسفل رجله، وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه، فأنكب مروان، واستلقى فاجتر هذا أصحابه، واجتر الآخر أصحابه، فقال المصريون: أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير، فقال المغيرة: من يبارز؟ فبرز له رجل فاجتلد، وهو يقول:

أضربهم بالسياس ضرب غلام بئس  
من الحياة آيس

فأجابه صاحبه.... وقال الناس: قتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذي قتله: إنا لله! فقال له عبد الرحمن بن عديس: ما لك؟ قال: إني أتيت فيما يرى النائم، فقتل لي: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به، وقتل قبأت الكناني نيار بن عبد الله الأسلمي، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملئوها ولا يشعر الذين بالباب، وأقبلت القباض على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم، وندبوا رجلاً لقتله فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت، فقال: اخلعها وتدعك، فقال: ويحك! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا غنيت، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عز وجل، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاء.

فخرج وقالوا: ما صنعت؟ فقال: علقنا والله، والله ما ينجينا من الناس إلا قتله، وما يحل لنا قتله فادخلوا عليه رجلاً

السابق فقدم بالسلامة، فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياهم، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجههم فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار، أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجنا عما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله. فراموا الباب فممنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، واجتلدوا، فناداهم عثمان: الله الله! أنتم في حل من نصرتي فأبوا ففتح الباب: وخرج ومعه الترس والسيف لينهنيهم، فلما راه أدير المصريون. وركبهم هؤلاء، ونهنيهم فتراجعوا وعظم على الفريقين، وأقسم على الصحابة ليدخلن، فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فاغلق الباب دون المصريين - وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج، ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت! فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن غباً، يصلي وعنده المصحف فإذا أعياء جلس فقرأ فيه - وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة - وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب فلما بقي المصريون لا ينعمهم أحد من الباب ولا يقدرهم على الدخول جاءوا بنار، فأحرقوا الباب والسقيفة فتأجج الباب والسقيفة، حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب، فثار أهل الدار وعثمان يصلي، حتى منعهم الدخول، وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأخنس، وهو يرتجز:

قد علمت جارية عطبول ذات وشاح ولها جديـل  
أني بصل السيف خنـشـلـل لأمنعن منكم خليلي  
بصارم ليس بذئ فلـلـل

وخرج الحسن بن علي وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمـام  
وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد  
وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموت واقب بأسافنا دون ابن أروى نضارب  
وكنا غداة الروح في السدار نصرة نشافهم بالضرب والموت ثاقب

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد، وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم، فما زال يدعي بها، ويحدث الناس عن عثمان بأخر ما مات عليه.

فقال: دبروا دبروا، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية. وأتى الخبر طلحة فقال: رحم الله عثمان! وانتصره وللإسلام، وقيل له: إن القوم نادمون، فقال تبأ لهم! وقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾. وأتى علي فقتل: قتل عثمان، فقال: رحم الله عثمان، وخلف علينا بخير! وقيل: ندم القوم، فقرأ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾، الآية. وطلب سعد، فإذا هو في حائطه، وقد قال: لا أشهد قتله، فلما جاء قتله قال: فررنا إلى المدينة تدنينا، وقرأ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِبُونَ صُنْعًا﴾. اللهم أندمهم ثم خذهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبة، قال: قلت لعلي: إن هذا الرجل مقتول، وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك، فأخرج فكن بمكان كذا كذا، فلأنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس، فأبى وحصر عثمان اثنين وعشرين يوماً ثم أحرقوا الباب، وفي الدار أناس كثير، فيهم عبد الله بن الزبير ومروان، فقالوا: ائذن لنا، فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً، فأنا صابر عليه، وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأخرج على رجل يستقتل ويقاثل، وخرج الناس كلهم، ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده، فقال: إن أباك الآن لفي أمر عظيم، فأقسمت عليك لما خرجت! وأمر عثمان أبا كرب - رجلاً من همدان - وآخر من الأنصار أن يقوموا على باب بيت المال، وليس فيه إلا غرارتان من ورق، فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان، وتوعد محمد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان، فلما دخل على عثمان هرباً. ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان، فأخذ بلحيته، فقال: أرسل لحيي، فلم يكن أبوك ليتناولها. فأرسلها، ودخلوا عليه، فمنهم من يجؤه بنعل سيفه، وآخر يلكزه، وجاءه رجل بمشاقص معه، فوجأه في ترقوته فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله، وكان كبيراً وغشي عليه. ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جروا برجله، فصاحت نائلة وبناته، وجاء التجبي مختطفاً سيفه ليضعه في بطنه، فوقته نائلة، فقطع يدها، واتكأ بالسيف عليه في صدره. وقتل عثمان ﷺ قبل غروب الشمس، ونادى مناد: ما يحل دمه ويخرج ماله، فانتهبوا كل شيء، ثم تبادروا بيت المال، فالتقى الرجلان المقاتلين ونجسوا، وقالوا: الحرب الحرب! هذا ما طلب القوم.

وذكر محمد بن عمر، أن عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثه عن عبد الرحمن بن محمد، أن محمد بن أبي بكر تسور على عثمان

من بني ليث، فقال: ممن الرجل؟ فقال: ليثي، فقال: لست بصاحبي، قال: وكيف؟ فقال: ألتست الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فلن تضيع، فرجع وفارق القوم فادخلوا عليه رجلاً من قريش، فقال: يا عثمان، إني قاتلك، قال: كلا يا فلان، لا تقتلني، قال: وكيف؟ قال: إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا، فلن تقارف دماً حراماً. فاستغفر ورجع، وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله، وقال: يا قوم لا تسلبوا سيف الله عليكم، فوالله إن سللتموه لا تغمده، ولكم! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدره، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف. ولكم! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله، والله لئن قتلتموه لتتركنها، فقالوا: يا ابن اليهودية وما أنت وهذا! فرجع عنهم.

قالوا: وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك! أعلى الله تغضب! هل لي إليك جرم إلا حقه أخذته منك! فنكل ورجع.

قالوا: فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره، ثار قتيبة وسودان بن حمران السكونيان والغافقي، فضربه الغافقي بمجديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقر بين يديه، وسالت عليه الدماء، وجاء سودان بن حمران ليضربه، فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة، واتقت السيف بيدها، فتعمدها، ونفخ أصابعها، فأطن أصابع يدها وولت، فغمز أوراكاها، وقال: إنها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه - وقد كان عثمان أعتق من كف منهم - فلما رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيبة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت، وأخرجوا من فيه ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى. فلما خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجل ملاءة نائلة - والرجل يدعى كلثوم بن نجيب - فتنحت نائلة، فقال: ويح أمك من عجيبة ما أتمك! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقتل، وتنادى القوم: أبصر رجل من صاحبه، وتنادوا في الدار: أدركو بيت المال لا تسبقوا إليه، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم، وليس فيه إلا غرارتان، فقالوا: النجاء، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه، ومج الناس فيه، فالتنانى يسترجع ويبيكي، والطرائي يفرح. وندم القوم، وكان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتلته، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحم الله عثمان. وانتصر له، وقيل إن القوم نادمون،

الدار.

قال محمد بن عمر: وحدثني الحكم بن قاسم، عن أبي عون مولى السور بن غمرة، قال: مازال المصريون كافرين عن دمه وعن القتال، حتى قدمت أمداد العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشام، فلما جاءوا شجعوا القوم، وبلغهم أن البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد، ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك، كان هارباً قد خرج إلى الشام، فقالوا: نعالجه قبل أن تقدم الأمداد.

قال محمد: وحدثني الزبير بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: أشرف عثمان عليهم وهو محصور وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية، فقال: أنشدكم بالله جل وعز، هل تعلمون أنكم دعوتكم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخرج لكم، وأن يجمعكم على خيركم! فما ظنكم بالله! أنقولونه: لم يستجب لكم، وهتم على الله سبحانه، وأنتم يومئذ أهل حقه من خلقه، وجميع أموركم لم تتفرق! أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولده، والدين يومئذ بعد به الله ولم يتفرق أهله، فتوكلوا أو تغدوا، وتعاقبوا! أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة، وإنما كابرتم مكابرة، فوكل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الإمام، ولم تجتهدوا في موضع كراهته! أم تقولون: لم يدر الله ما عاقبة أمري، فكنيت في بعض أمري محسناً، ولأهل الدين رضاءً، فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله، وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسرلني سربال كرامته! وأنشدكم بالله، هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدمه الله لي، وأشهدني من حقه! وجهاد عدوه حق على كل من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها، فمهلاً، لا تقتلونني، فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصائه، أو كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها، فإنكم إن قتلتموني وضعت سيفي على رقابكم، ثم لم يرفعه الله عز وجل عنكم إلى يوم القيامة. ولا تقتلونني فإنكم إن قتلتموني لم تصلوا من بعدي جميعاً أبداً، ولم تقسموا بعدي شيئاً جميعاً أبداً، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أما ما ذكرت من استخارة الله عز وجل الناس بعد عمر رضي الله عنه فممن يولون عليهم، ثم ولوك بعد استخارة الله، فإن كل ما صنع الله الخيرة، ولكن الله سبحانه جعل أمرك بلية ابتلى بها عباده. وأما ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنك قد كنت ذا قدم وسلف، وكنت أهلاً للولاية، ولكن بدلت بعد ذلك، وأحدثت ما قد علمت. وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء، فإنه لا ينبغي ترك إقامة الحق

من دار عمرو بن حزم، ومعه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أحزك الله يا نعثل! فقال عثمان: لست بنعثل، ولكني عبد الله وأمير المؤمنين. قال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يا ابن أخي، دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال محمد: لو رأك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك، قال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به. ثم طعن جبينه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده، فوجأ بها في أصل أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقة ثم علاه بالسيف حتى قتله، فقال عبد الرحمن: سمعت أبا عون يقول: ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود من حديد، فخر لجبينه، فضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خر لجبينه فقتله.

قال محمد بن عمر: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث، قال: الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي. وكانت امرأة منظور بن يسار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج، وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجل يتغنى تحت الليل:

الا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

قال: وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات. قال عمرو: فاما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه لله، وأما ست فإني طعنتهن إياه لما في صدري عليه.

قال محمد: وحدثني إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: رأيت عروة بن شبيب ضرب مروان يوم الدار بالسيف على رقبته، فقطع إحدى علباويه، فعاش مروان أوقص، ومروان الذي يقول:

ما قلت يوم الدار للقوم حاجزوا رويداً ولا استبقوا الحياة على القتل ولكنني قد قلت للقوم ماصعوا بأسيا فكم كيما يصلن إلى الكهل

قال محمد الواقدي: وحدثني يوسف بن يعقوب، عن عثمان بن محمد الأخنسي، قال: كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر، فقدم أهل مصر يوم الجمعة، وقتلوه في الجمعة الأخرى.

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن حرملة بن عمران، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، قال: ولي قتل عثمان نهران الأصبحي، وكان قاتل عبد الله بن بسرة، وهو رجل من بني عبد

بغيرهم من أهل مكة - فيقول: قد كان في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك، فلما ولي عثمان خلى عنهم، فاضطربوا في البلاد، وانقطع إليهم الناس، فكان أحب إليهم من عمر.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما ولي عثمان حج سنواته كلها إلا آخر حجة، وحج بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه، وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد، هذا في مؤخر القطار، وهذا في مقدمه، وأمن الناس، وكتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكونهم. وكتب إلى الناس إلى الأمصار، أن اثمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ولا يذل المؤمن نفسه، فإني مع الضعيف على القوي مادام مظلوماً إن شاء الله. فكان الناس بذلك، فجرى ذلك إلى أن اتخذهم أقواماً وسيلة إلى تفريق الأمة.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قال: لم تحض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجالاً من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا سبع سنين، كل قوم يجيئون أن يلبي صاحبهم. ثم إن ابن السوداء أسلم، وتكلم وقد فاضت الدنيا، وطلعت الأحداث على يديه، فاستطالوا عمر عثمان ؓ.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيفة، عن أبيه، قال: أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا، وانتهى وسع الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهاقات، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان، فقصها وكسر الجلاهاقات.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن عمرو بن شعيب، قال: أول من منع الحمام الطيارة والجلاهاقات عثمان، ظهرت بالمدينة فأمر عليها رجلاً، فمنعهم منها.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، عن أبيه نحواً منه، وزاد: وحدث بين الناس النشو. قال: فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالعصا، فمنعهم من ذلك، ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود، ونبا ذلك عثمان، وشكاها إلى الناس، فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ، فاخذ نفر منهم فجلدوا.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين، وليدوا من العرب،

عليك خفاة الفتنة عاماً قابلاً. وأما قولك: إنه لا يحمل إلا قتل ثلاثة، فإنما نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت، قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحق، وحلست دونه، وكابرت عليه، تأبى أن تقيد من نفسك من ظلمت عمداً، وتمسكت بالإمارة علينا وقد جرت في حكمك وقسمك! فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه، وأن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون بغير أمر، فإنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو أنك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك.

### ذكر بعض سير عثمان بن عفان ؓ

حدثني زياد بن أيوب، قال: حدثنا هشيم، قال: زعم أبوالمقداد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد، فإذا أنا بعثمان بن عفان متكئاً على رءائه، فأتاه سقاءان يختصمان، ففضى بينهما.

وفيما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمارة بن القعقاع، عن الحسن البصري، قال: كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، فشكوه فبلغه، فقام فقال: ألا إني قد سنتت الإسلام سن البعير، يبدأ فيكون جذعاً، ثم ثنياً، ثم رابعياً، ثم سديساً، ثم بازلاً، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان! ألا فإن الإسلام قد بزل. ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباد، ألا فاما وابن الخطاب حي فلا، إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بجلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموماً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم، وتقدموا في ذلك فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة، ليس إلا ذلك.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: لم يمض عمر عثمان ؓ حتى ملته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة، فامتنع عليهم، وقال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو - وهو عن حبس بالمدينة من المهاجرين، ولم يكن فعل ذلك

فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مذمماً بعد أن كان محمداً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم بن عبد الله، قال: لما ولي عثمان لان لهم، فانتزع الحقوق انتزاعاً، ولم يعطل حقاً، فأحبوه على لينة، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عز وجل.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل عن القاسم، قال: كان مما أحدث عثمان فرضي به منه أنه ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: نعم، أيفخم رسول الله ﷺ عمه، وأرخص في الاستخفاف به! لقد خالف رسول الله ﷺ من فعل ذلك، ومن رضي به منه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن رزيق بن عبد الله الرازي، عن علقمة بن مرثد، عن هروان بن أبان، قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعدما بويح، فدعوته إليه، فقال: ما لك تعبدني! قال: لم أكن قط أحوج إليك مني اليوم، قال: الزم خساً، لا تنازعك الأمة خزائنهما ما لزمتهما، قال: وما هن؟ قال: الصبر عن القتل، والتعجب، والصفح، والمداراة، وكتمان السر.

وذكر محمد بن عمر، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن عمرو بن أمية الضمري، قال: إن قريشاً كان من أسن منهم مولعاً بأكل الخزيرة، وإني كنت أتعشى مع عثمان خبزيراً من طبخ من أجود ما رأيت قط، فيها بطون الغنم، وأدمها اللبن والسمن، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ماس أكلت قط، فقال يرحم الله ابن الخطاب! أكلت معه هذه الخزيرة قط؟ قلت: نعم، فكادت اللقمة تفرث في يدي حين أهوى بها إلى فمي، وليس فيها لحم، وكان أدمها السمن ولا لبن فيها. فقال عثمان: صدقت، إن عمر ؓ أتعب والله من تبع أثره، وإنه كان يطلب بشئيه عن هذه الأمور ظلفاً. أما والله ما أكله من مال المسلمين، ولكني أكله من مالي، أنت تعلم أنني كنت أكثر قريش مالاً، وأجدهم في التجارة، ولم أزل أكل من الطعام ما لان منه، وقد بلغت سنناً فأحب الطعام إلي أليته، ولا أعلم لأحد علي في ذلك تبعاً.

قال: محمد: وحدثني ابن أبي سبرة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر، قال: كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر، قد رأيت على مائدة عثمان الدرمل الجيد وصغار الضأن كل ليلة، وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولاً، ولا أكل من الغنم إلا مسانها، فقلت لعثمان في ذلك، فقال: يرحم الله عمر! ومن يطيق ما كان عمر يطيق!.

فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشام، فهجوا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان في الناس خطيباً، فقال: يا أهل المدينة، أنتم أصل الإسلام، وإنما يفسد الناس بفسادكم، ويصلحون بصلاحكم، والله والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيرته، ألا فلا أعرفن أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب، فإن من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له. وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شر أو شهر سلاح: عصاً فما فوقها إلا سيره، فضج أبأؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون: ما أحدث التسيير إلا أن رسول الله ﷺ سير الحكم بن أبي العاص، فقال: إن الحكم كان مكياً، فسيره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف، ثم رده إلى بلده فرسول الله ﷺ سيره بذنبه، ورسول الله ﷺ رده بعفوه. وقد سير الخليفة من بعده، وعمر ؓ من بعد الخليفة، وإيم الله لأخذن العفو من أخلاقكم، ولأبذلن لكم من خلقي، وقد دنت الأمور، ولا أحب أن تحمل بنا وبكم، وأنا على وجل وحذر، فأحذروا واعتبروا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد، قالوا: سأل سائل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة: ما دعاه إلى الخروج على عثمان؟ فقال: كان يتيماً في حجر عثمان، فكان عثمان والي أيتام أهل بيته، ومحتمل كلهم، فسأل عثمان العمل حين ولي، فقال: يا بني، لو كنت رضاً ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك! قال: فأذن لي فلاخرج فلأطلب ما يقوتني، قال: اذهب حيث شئت، وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية. قيل: فعمار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام، فضر بهما عثمان، فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة شراً حتى اليوم، وكنى عما ضربا عليه وفيه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، قال: سألت ابن سليمان بن أبي حثمة، فأخبرني أنه تقاذف.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، قال: سألت سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، وغره أقوام فطمع. وكانت له دالة فلزمه حق، فأخذه عثمان من ظهره، ولم يدهن،

قال محمد: وحديثي عبد الملك بن يزيد بن السائب، عن عبد الله بن السائب، قال: أخبرني أبي، قال: أول فسطاط رأيته بمنى فسطاط لعثمان، وآخر لعبد الله بن عامر بن كريز، وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان، وأول من نخل له الدقيق من الولاة عثمان ؓ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطاحه، قال: بلغ عثمان أن ابن ذي الحبكة النهدي يعالج نيرنجاً - قال محمد بن سلمة: إنما هو نرج - فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك، فإن أقر به فأوجعه، فدعا به فسأله، فقال: إنما هو رفق وأمر يعجب منه فأمر به فعزر، وأخبر الناس خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان: إنه قد جُدد بكم، فعليكم بالجد، وإياكم والهزال، فكان الناس عليه، وتعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضب، فنفّر في الذين نفّروا، فضرب معهم، فكتب إلى عثمان فيه، فلما سير إلى الشام من سير، سير كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبد الله - وكان دينه كدينه - إلى دنياوند، لأنها أرض سحره، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد:

لعمري لئن طردتني ما إلى السبي طمعت بها من سقطي لسيل رجوت رجوعي يا ابن آوى ورجعتي إلى الحق دهرأ غزال ذلك غول وإن اغترابي في البلاد وجفوتي وشمتي في ذات الإله قليل وإن دعائي كل يوم وليلة عليك بدنياوندكم لطويل فلما ولي سعيد أقاله، واحسن إليه واستصلحه، فكفره، فلم يزد إلا فساداً. واستعار ضابئ بن الحارث البرجي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان، يصيد الطباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه، فانزعوه منه وردوه على الأنصار، فهجاهم وقال في ذلك:

تحشم دوني وفد قرحان خطئةً تضل لها الوجناء وهي حسير فباتوا شباعاً ناعمين كأنما جباهم ببيت المرزبان أمير فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم فإن عقوق الأمهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه، فعززه وحبه كما كان يصنع بالمسلمين، فاستقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه. وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني فعلت ووليت البكاء حلالته وقائلة قد مات في السجن ضابئ ألا من لخصم لم يجد من يجادلّه! وقائلة لا يبعد الله ضابئاً فنعيم الفتى تخلو به وتحاوله فلذلك صار عمير بن ضابئ سبئاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستير، عن أخيه، قال: والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان ؓ،

ولا ركب إليه إلا قتل، لقد اجتمع بالكوفة نفر، فيهم الأشتر وزيد بن صوحان وكعب بن ذي الحبكة وأبو زنب وأبو مورع وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ، فقالوا: لا والله لا يرفع رأس مادام عثمان على الناس، فقال عمير بن ضابئ وكميل بن زياد: نحن نقتله. فركبا إلى المدينة، فأما عمير فإنه نكل عنه، وأما كميل بن زياد فإنه جسر وثاوره، وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان، فوجأ عثمان وجهه، فوقع على استه، وقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين! قال: أو لست بفاتك! قال: لا والله الذي لا إله إلا هو، فحلف وقد اجتمع عليه الناس، فقالوا: نفتشه يا أمير المؤمنين، فقال: لا، قد رزق الله العافية ولا أشتي أن أطلع منه على غير ما قال. وقال: إن كان كما قلت يا كميل فانتد مني - وجئا - فوالله ما حسبتك إلا تريدني، وقال: إن كنت صادقاً فأجزل الله، وإن كنت كاذباً فاذل الله. وقعد له على قدميه وقال: دونك! قال: قد تركت. فبقيا حتى أكثر الناس في نجاحهما، فلما قدم الحجاج قال: من كان من بعث المهلب فليروا مكتبته، ولا يجعل على نفسه سيلاً. فقام إليه عمير، وقال: إني شيخ ضعيف، ولي ابنان قوريان، فاخرج أحدهما مكاني أو كليهما، فقال: من أنت؟ قال: أنا عمير بن ضابئ، فقال: والله لقد عصيت الله عز وجل منذ أربعين سنة، والله لأنكلكن بك المسلمين، غضبت لسارق الكلب ظالماً، إن أباك إذ غل لهم، وإنك هممت ونكلت، وإني أهم ثم لا أنكل. فضربت عنقه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، قال: حدثنا رجل من بني أسد، قال: كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان ؓ فيمن غزاه، فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به، عرض رجل عليه ما عوض نفسه، فقبل منه، فلما ولي قال أسماء بن خارجة: لقد كان شأن عمير بما يهمني، قال: ومن عمير؟ قال: هذا الشيخ، قال:

ذكرتني الطعن وكنت ناسياً

أليس فيمن خرج إلى عثمان؟ قال: بلى، قال: فهل بالكوفة أحد غيره؟ قال: نعم، كميل، قال: علي بعمير، فضرب عنقه، ودعا بكميل فهرب، فاخذ النخع به، فقال له الأسود بن الهيثم: ما تريد من شيخ قد كفأه الكبر! فقال: أما والله لتحبس عني لسانك أو لأحسن رأسك بالسيف. قال: افعل. فلما رأى كميل ما لقي قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل، قال: الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سببي وحرموا. فخرج حتى أتى الحجاج، فقال له الحجاج: أنت الذي أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين، ولم ترض حتى أقعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه؟ فقال: على أي ذلك تقتلني! تقتلني على عفوّه أو على عافيتي؟

قال: يا أدهم بن الحارز، اقلته، قال: والأجر بيني وبينك؟ قال: نعم، قال أدهم: بل الأجر لك، وما كان من إثم فعلي. وقال مالك بن عبد الله - وكان من المسيرين:

مضت لابن أروى في كميل ظلامه عفاها له والمستقيد يلام  
وقال له لا أقبح اليوم مثله عليك أبا عمرو وأنت إمام  
رويدك رأسي والذي نسكت له قريش بنا على الكبير حرام  
وللعفو آمن يعرف الناس فضله وليس علينا في القصاص إثم  
ولو علم الفاروق ما أنت صانع نهى عنك نهياً ليس فيه كلام

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن سحيم بن حفص، قال: كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان في الجاهلية، فقال العباس بن ربيعة لعثمان: اكتب لي إلى ابن عامر يسلفني مائة ألف، فكتب، فأعطاه مائة ألف وصله بها، وأقطعه داره، دار العباس بن ربيعة اليوم.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهيا مالك فأقبضه، قال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن عبد ربه، عن نافع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال: قال علي لطلحة: أشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان! قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسهم.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو بكر البكري، عن هشام بن حسان، عن الحسن، أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فقال طلحة: إن رجلاً تنسق هذه عنده وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عز وجل لغرير بالله سبحانه! فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسمها حتى أصبح، فأصبح وما عنده منها درهم. قال الحسن: وجاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم - أو قال: الصفراء والبيضاء.

وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة خمس وثلاثين - عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه

ابن عباس رضي الله عنه أن يحج بالناس في هذه السنة

ذكر محمد بن عمر الواقدي أن أسامة بن زيد حدثه عن

داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما حصر عثمان الحصر الآخر قال عكرمة: قتل لابن عباس: أو كانا حصرين؟ فقال ابن عباس: نعم، الحصر الأول، حصر اثني عشرة - وقدم المصريون فلقبهم علي بذي خشب، فردهم عنه، وقد كان والله علي له صاحب صدق، حتى أوغر نفس علي عليه، جعل مروان وسعيد وذوهمما يحملونه على علي فيتحمّل، ويقولون: لو شاء ما كلمك أحد، وذلك أن علياً كان يكلمه وينصحه ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان: هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمه وابن عمته، فما ظنك بما غاب عنك منه! فلم يزلوا بعلي حتى أجمع ألا يقوم دونه، فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلى مكة، فذكرت له أن عثمان دعاني إلى الخروج فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد، اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذل أهلها، فقلت له: إن له رحماً وحقاً، فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت، فإنك لا تعذر إلا بذلك.

قال ابن عباس: فالله يعلم أنني رأيت فيه الانكسار والرقعة لعثمان، ثم إنني لأراه يؤتى إليه عظيم. ثم قال عكرمة: وسمعت ابن عباس يقول: قال لي عثمان: يا ابن عباس، اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة، فقل له: يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام، ويقول لك: إنني محصور منذ كذا وكذا يوماً، لا أشرب إلا الأجاج من داري، وقد منعت بشراً اشتريتها من صلب مالي، رومة، فإما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئاً، ولا أكل إلا مما في بيتي، منعت أن أكل مما في السوق شيئاً وأنا محصور كما ترى، فأمره وقل له: فليحج بالناس، وليس بفاعل، فلإن أباي فاحجج أنت بالناس.

فقدمت الحج في العشر، فجئت خالد بن العاص، فقلت له ما قال لي عثمان، فقال لي: هل طاقة بعداوة من ترى؟ فأبى أن يحج وقال: فحج أنت بالناس: فأنت ابن عم الرجل، وهذا الأمر لا يفضي إلا إليه - يعني علياً - وأنت أحق أن تحمل له ذلك، فحججت بالناس، ثم قفلت في آخر الشهر، فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل، وإذا الناس يتواثبون على رقبة علي بن أبي طالب. فلما رأيته علي ترك الناس، وأقبل علي فأتجاني، فقال: ما ترى فيما وقع؟ فإنه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به، فقلت: أرى أنه لا بد للناس منك اليوم، فأرى أنه لا يبايع اليوم أحد إلا اتهم بدم هذا الرجل، فأبى إلا أن يبايع فاتهم بدمه.

قال محمد: فحدثني ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن



سهيل، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قال لي عثمان رضي الله عنه: إني قد استعملت خالد بن العاص بن هشام على مكة وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس، فانا خائف أن يمنعوه الموقف فيأبى، فيقاتلهم في حرم الله جل وعز وأمنه. وإن قوماً جاءوا من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، فرايت أن أوليك أمر الموسم. وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره.

فخرج ابن عباس، فمر بعائشة في الصلصل، فقالت: يا ابن عباس، أشدك الله - فإنك قد أعطيت لساناً إزعجلاً - أن تتخذ عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حم، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر، قال: قلت: يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: إيهأ عنك! إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك.

قال ابن أبي سبرة: فأخبرني عبد المجيد بن سهيل، أنه انتسخ رسالة عثمان التي كتب بها من عكرمة، فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، إني أحمده الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البنات، وأوسع عليكم من الرزق، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾. إلى قوله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وقال وقوله الحق: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي آتَاكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. وقال وقوله الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا﴾. إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. إلى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقال قوله الحق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. إلى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وقال وقوله الحق: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بِعَدْوِيٍّ﴾. إلى قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وقال وقوله الحق: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. إلى ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. وقل قوله الحق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. إلى قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

أما بعد، فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها، فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى، منهم أخذ للحق، ونازع عنه حين يعطاه، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر، يريد أن يبتزه بغير الحق، طال عليهم عمري، وراث عليهم. أمهلهم الإمرة، فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم، ولا أعلم أنني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموا على من علمتم تعداها في أحد، أقيموا على من ظلمكم من قريب أو بعيد. قالوا: كتاب الله يتلى، فقلت: فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب. وقالوا: المحروم يرزق، والمال يوفى ليست في السنة الحسنة، ولا يعتدى في الخمس ولا في الصدقة، ويؤمر ذو القوة والأمانة، وترد مظالم الناس إلى أهلها، فرضيت بذلك واصطبرت له، وجئت نسوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كلمتهن، فقلت: ما تأمرني؟ فقلن: تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتدع معاوية، فإنما أمره أمير قبلك، فإنه مصلح لأرضه، راض به جنده، واردد عمراً، فإن جنده راضون به، وأمره فليصلح أرضه، فكل ذلك فعلت. وإنه اعتدى علي بعد ذلك، وعدى على الحق.

كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر، استعجلوا القدر، ومنعوا مني الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة..

كتبت إليكم كتابي هذا، وهم يخبروني إحدى ثلاث: إما

قال: وحدثني ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان، فاستعلمني على الحج. قال: فخرجت إلى مكة، فأقمت للناس الحج، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويح لعلي.

### ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان

ومن صلى عليه وولي أمره بعدما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العبادي، قال: نبذ عثمان ثلاثاً أيام لا يدفن، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كلما علياً في دفنه، وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل، وأذن لهم علي، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، وهم يريدون به حائطاً بالمدينة، يقال له: حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس رجحوا سريره، وهموا بطرحه، فبلغ ذلك علياً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه، ففعلوا، فانطلق حتى دفن في حش كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين.

وحدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن المجالد بن سعيد الهمداني، عن يسار بن أبي كرب، عن أبيه. - وكان أبو كرب عاملاً على بيت مال عثمان - قال: دفن عثمان بين المغرب والعمة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة، فباحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعل نعل! وكادت ترجم، فقالوا: الحائط الحائط، فدفن في حائط خارجاً.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان، أنه قال: لما قتل عثمان قال رجل: يدفن بدير سلع مقبرة اليهود، فقال حكيم بن حزام: واللّه لا يكون هذا أبداً وأحد من ولد قصي حي، حتى كاد الشر يلتحم، فقال ابن عديس البلوي: أيها الشيخ، وما يضرك أين يدفن! فقال حكيم بن حزام: لا يدفن إلا ببقيع الغرقد حيث دفن سلفه وفرطه، فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلاً، وفيهم الزبير،

يقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً، غير متروك منه شيء، وإما اعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيري، وإما يرسلون إلى من اطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة. فقلت لهم: أما إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب، فلم يستقد من أحد منهم، وقد علمت أنهم يريدون نفسي، وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن يكلموني أحب إلي من أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته. وأما قولكم: يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتي، فليست عليكم بوكيل، ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين، ومن يكن منكم إنما يتغنى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضات الله عز وجل والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله ﷺ والخليفان من بعده رضي الله عنهما، فإنما يجزي بذلككم الله، وليس بيدي جزاؤكم، ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم، ولم يغن عنكم شيئاً، فاتفقوا الله واحتسبوا ما عنده، فمن يرض بالثك منكم فإنني لا أرضاه له، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده. وأما الذي يخبروني فإنما كله النزع والتأثير. فملك نفسي ومن معي، ونظرت حكم الله وتغير النعمة من الله سبحانه، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء، فإني أنشدكم بالله والإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازة في أمر الله، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾، فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون.

أما بعد، فإني لا أبرئ نفسي، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وإن عاقبت أقواماً فما أبتغي بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون. وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكره إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها المؤمنون والمسلمون.

قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية بمكة يوم.

وأما سيف، فإنه روى فيما كتب به إلي السري، عن شعيب، عنه، عن أبي حارثة وأبي عثمان وعحمد وطلحة، أن عثمان لما قتل أرسلت نائلة إلى عبد الرحمن بن عديس، فقالت له: إنك أمس القوم رحماً، وأولاهم بأن تقوم بأمرى، أغرب عني هؤلاء الأموات. قال: فمشتها وزجرها، حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعلي والحسن وكعب بن مالك وعامة من ثم من صحابه، فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء، فأخرجوا عثمان فصلى عليه مروان، ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع، فدفنوه فيه مما يلي حش كوكب، حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فأروهم فمنعوهم من أن يدفنوا، فأدخلوهم حش كوكب، فلما أمسوا خرجوا بعبد بن منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان، ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة، فاطمة أم إبراهيم بن عدي. ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشير، فقالوا: إنك أمس القوم بنا رحماً، فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا، فكلهم في ذلك، فأبوا، فقال: أنا جبار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم، فأخرجوهم فارموا بهما، فجرا بأرجلهما فرمى بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب، وكان العبدان اللذان قتلوا يوم الدار يقال لهما نجيح وصبيح، فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلاتهما، ولم يحفظ الناس اسم الثالث، ولم يغسل عثمان، وكفن في ثيابه ودمايته ولا غسل غلاماه.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: دفن عثمان عليه السلام من الليل، وصلى عليه مروان بن الحكم، وخرجت ابنته تبكي في أثره، ونائلة ابنة الفرافصة، رحمهم الله.

### ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان عليه السلام

اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجة، فقال بعضهم: قتل لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، فقال الجمهور منهم: قتل لثمانية عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال في سنة ست وثلاثين.

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن عثمان بن محمد الأخنسي، قال الحارث: وحدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال:

فصلى عليه حكيم بن حزام. قال الراقي: ثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم.

قال محمد بن عمر: وحدثني الضحاك بن عثمان، عن غرمة بن سليمان الوالي، قال: قتل عثمان عليه السلام يوم الجمعة ضحوة، فلم يقدروا على دفنه، وأرسلت نائلة ابنة الفرافصة إلى حويطب بن عبد العزى وجبير بن مطعم وأبي جهم بن حذيفة وحكيم بن حزام ونيار الأسلمي، فقالوا: إنا لا نقدر أن نخرج به نهاراً، وهؤلاء المصريون على الباب، فأمهلوا حتى كان بين المغرب والعشاء، فدخل القوم، فحيل بينهم وبينه، فقال أبو جهم: والله لا يحول بيني وبينه أحد إلا مت دونه، أحمله، فحمل إلى البقيع، قال: وتبعته نائلة بسراج استسرجته بالبقيع وغلالم لعثمان، حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط، فدقوا الجدار، ثم قبروه في تلك النخلات، وصلى عليه جبير بن مطعم، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم، فزبرها القوم، وقالوا: إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينشوه، فرجعت نائلة إلى منزلها.

قال محمد: وحدثني عبد الله بن يزيد الهذلي، عن عبد الله بن ساعدة، قال: لبث عثمان بعدما قتل لثلاثين لا يستطيعون دفنه، ثم حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة، فلما وضع ليصلى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونه الصلاة عليه، فيهم أسلم بن أوس بن بكرة الساعدي، وأبو حية المازني، في عدة، ومنعوه أن يدفن بالبقيع، فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلى الله عليه وملأته، فقالوا: لا والله، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه في حش كوكب. فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع، فهو اليوم مقبرة بني أمية.

قال محمد وحدثني عبد الله بن موسى المخزومي، قال: لما قتل عثمان عليه السلام أرادوا حزن رأسه، فوقعت عليه نائلة وأم البنين، فمنعنه، وصحن وضربن الوجوه، وخرقن ثيابهن، فقال ابن عديس: اتركوه، فأخرج عثمان ولم يغسل إلى البقيع، وأرادوا أن يصلوا عليه في موضع الجنائز، فأبى الأنصار، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على الباب فتزا عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنّت ضابئاً حتى مات في السجن.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، قال: حدثني عم جدي الربيع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، قال: كنت أحد حملة عثمان عليه السلام حين قتل: حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإن بنا من الخوف لأمرأ عظيماً حتى واريناه في قبره في حش كوكب.

حدثني الحارث، عن ابن سعد عن محمد بن عمر، قال: حدثني الضحاك بن عثمان، عن غزمية بن سليمان الوالي، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوةً لثمانية عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وقال آخرون: قتل في أيام التشريق.

ذكر من قال ذلك.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي أبو خيثمة، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، قال: قتل عثمان رضي الله عنه، فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق.

وقال بعضهم: قتل يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

### ذكر الخبر عن قدر مدة حياته

اختلف السلف قبلنا في ذلك، فقال بعضهم: كانت مدة ذلك اثنين وثمانين سنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، أن عثمان رضي الله عنه قتل وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

قال محمد بن عمر: وحدثني الضحاك بن عثمان، عن غزمية بن سليمان الوالي، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

قال محمد: وحدثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنين وثمانين سنة وأشهر.

وقال آخرون: قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين.

ذكر من قال ذلك.

حدثت عن الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة: أن عثمان رضي الله عنه قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة.

وقال آخرون: قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة، وذلك قول ذكر عن هشام بن محمد.

وقال بعضهم: قتل وهو ابن ثلاث وستين، وهذا قول نسبته سيف بن عمر إلى جماعة. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، أن أبا حارثة وأباً عثمان ومحمداً وطلحة، قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال آخرون: قتل وهو ابن ست وثمانين.

حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن يعقوب بن زيد، عن أبيه، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر، وكانت خلافته اثني عشر سنة غير اثني عشر يوماً، وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

وقال أبو بكر: أخبرنا مصعب بن عبد الله، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر.

وقال آخرون: قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين لثمانية عشرة ليلة خلت منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني جعفر بن عبد الله، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن الجاهلي بن سعيد الهمداني، عن عامر الشعبي، أنه قال: حصر عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدار اثنين وعشرين ليلة، وقتل صبحه لثمانية عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثني عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه.

وحدثت عن زكرياء بن عدي، قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، قال: قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة، قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة في آخر ساعة.

وقال آخرون: قتل يوم الجمعة ضحوةً.

ذكر من قال ذلك:

ذكر هشام بن الكلبي، أنه قال: قتل عثمان رضي الله عنه صبيحة الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثني عشرة سنة إلا ثمانية أيام.

ذكر من قال ذلك:

وقال هشام بن محمد: كان يكنى أبا عمرو.

حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي، عن قتادة، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن ست وثمانين.

### ذكر الخبر عن صفة عثمان

حدثني زياد بن أيوب، قال: حدثنا هشيم، قال: زعم أبو المقدام، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد، فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه متكئاً على رءاسه، فنظرت إليه، فإذا رجل حسن الوجه، وإذا بوجهه نكتات من جذري، وإذا شعره قد كسا ذراعيه.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: سألت عمرو بن عبد الله بن عنبسة وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن صفة عثمان، فلم أر بينهم اختلافاً، قالوا: كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيم الكراديس، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفر لحيته.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعت أبي يقول: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، قال: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح الرجلين.

### ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: كان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، ومعه فيهما جميعاً امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

### ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضي الله عنه

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما كان في الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام فسماه عبد الله، واكتنى به، فكانه المسلمون أبا عبد الله، فبلغ عبد الله ستة سنين، فنقره ديك على عينه، فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل في حفرة عثمان رضي الله عنه.

### ذكر نسبه

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وأمه أروى ابنة كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب.

### ذكر أولاده وأزواجه

رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ، ولدت له رقية عبد الله. وفاخنة ابنة غزوان بن جابر بن نسيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. ولدت له ابناً فسماه عبد الله، وهو عبد الله الأصغر، هلك.

وأم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس، من الأزاد، ولدت له عمراً وخالداً وأباناً وعمراً ومريم.

وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له الوليد وسعيداً وأم سعيد، بني عثمان.

وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ولدت له عبد الملك بن عثمان، هلك.

ورملة ابنة شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان.

ونائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب، ولدت له مريم ابنة عثمان.

وقال هشام بن الكلبي: ولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة. وقال أيضاً: ولدت نائلة عنبسة.

وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة، قال: وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

وقتل عثمان رضي الله عنه وعنده رملة ابنة شيبه ونائلة وأم البنين بنت عيينة وفاخنة ابنة غزوان، غير أنه - فيما زعم علي بن محمد - طلق أم البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه اللواتي كن له في الجاهلية والإسلام،

وأولاده: رجالهم ونساؤهم..

### ذكر أسماء عمال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر: قتل عثمان رضي الله عنه وعماله على الأمصار - فيما حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد - على مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كرز - خرج منها فلم يول عليها عثمان أحدًا - وعلى الكوفة سعيد بن العاص - أخرج منها فلم يترك يدخلها - وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح - قدم على عثمان، وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها. وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامري، فأخرجه محمد بن أبي حذيفة - وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.

وفما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الشام معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري. وعلى القضاء أبو الدرداء.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، قال: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الكوفة، على صلاتها أبو موسى، وعلى خراج السواد جابر بن عمرو المزني - وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة - وسماك الأنصاري. وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسيا جريز بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حلوان عتية بن النهاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى همدان النسر، وعلى الري سعيد بن قيس وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبدان حبيش، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو. وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت.

### ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن محمد، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع، فقال:

أما بعد، فإني قد حملت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتهم، وسن سنة

أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة.

إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تفسى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله. اتقوا الله جل وعز، فإن تقواه جنة من بأسه، وسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾. إلى آخر القصة.

### ذكر الخبر عن كان يصلي بالناس في مسجد رسول

قال محمد بن عمر: حدثني ربيعة بن عثمان: جاء المؤذن، سعد القرظ إلى علي بن أبي طالب في ذلك اليوم، فقال: من يصلي بالناس؟ فقال علي: ناد خالد بن زيد، فننادى خالد بن زيد، فصلى بالناس - فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد - فكان يصلي بهم أياماً، ثم صلى علي بعد ذلك بالناس.

قال محمد: وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: جاء المؤذن إلى عثمان فأذنه بالصلاة، فقال: لا أنزل أصلي، اذهب إلى من يصلي. فجاء المؤذن إلى علي، فأمر سهل بن حنيف، فصلى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصر الآخر، وهو ليلة رثي هلال ذي الحجة، فصلى بهم، حتى إذا كان يوم العيد صلى علي العيد، ثم صلى بهم حتى قتل رضي الله عنه.

قال: وحدثني عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: لما حصر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياماً، ثم صلى بهم علي الجمعة والعيد، حتى قتل رضي الله عنه.

### ذكر ما رثي به من الأشعار

وتقاويل الشعراء بعد مقتله فيه، فمن مادح وهاج، ومن نائح باك، ومن سار فرح، فكان ممن يمدحه حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان ونعيم بن أبي بن مقبل في آخرين غيرهم. مما مدحه به وبكاه حسان وهجا به قائله:

أثركم غزو الدروب وراءكم وغزوتونا عند قبر محمد! ولبنس أمر الفاجر التعمدا حول المدينة كل لين مذود ولشل أمر أميركم لم يرشد وكان أصحاب النبي عشية أبكي أبا عمر ولحسن بلاته وقال أيضاً:

إن تمس دار ابن أروى منه خاوية قد يصادف باغي الخبر حاجته فيها ويهوي إليها الذكر والحسب يأبها الناس أبدوا ذات أنفسكم لا يستوي الصدق عند الله والكذب قوموا بحق ملك الناس تعترفوا بغارة عصب من خلفها عصب فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم مستلثماً قد بدا في وجهه الغضب وله فيه أشعار كثيرة. وقال كعب بن مالك الأنصاري:

يا للرجال للبلب المخطوف ولدمعك المترق المزوف ويح لأمر قد أثناني رائح قتل الخليفة كان أمراً مقلعاً والشمس بازغة له بكسوف قتل الإمام له النجوم خواضع بالنعش فوق عواتق وكسوف! ولوا ودلوا في الضريح أخاهم ماذا أجن ضريحه المسقوف! من نائل أو سودد وحالة سبقت له في الناس أو معروف كم من يتيم كان يجر عظمه أمسى بمنزله الضياع يطوف مازال يقبلهم ويراب ظلمهم حتى سمعت برنة التلھيف أمسى مقيماً بالبيق وأصبحوا متفرقين قد أجمعوا بجنفوف النار مودعهم بقتل إمامهم عثمان ظهرأ في البلاد، عفيف والخير فيه مبين معروف جمع الحماله بعد حلم راجح ما دمت حياً في البلاد تطوف يا كعب لا تنفك تبكي مالكا ولواءهم إذ كان غير سخي فابكي أبا عمرو عتيقاً واصلاً والخيال بين مقاب وصفوف وليكه عند الحفاظ لمظلم قتلاً لعمر ك واقفاً بسقيف

وقال حسان:

يا كعب لا تنفك تبكي مالكا ولواءهم إذ كان غير سخي فابكي أبا عمرو عتيقاً واصلاً وليكه عند الحفاظ لمظلم قتلاً لعمر ك واقفاً بسقيف

وقال حسان: من سره الموت صرفاً لا مزاج له مستشعري حلق الماضي قد شفعت صبراً فدى لكم أمي وما ولدت فقد رضىنا بأهل الشام نافرة إني لهم وإن غابوا وإن شهدوا لتسمعن وشيكاً في ديارهم يا ليت شعري وليت الطير تخبرني وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يجرض عماره بن عقبة:

فليك مأسدة في دار عثمانا قبل المخاطم بيض زان أيدانا قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً وبالأمر وبالإخوان إخواننا مادمت حياً وما سميت حسانا الله أكبر يا ثارات عثماننا ما كان شأن علي وابن عفانا! وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يجرض عماره بن عقبة:

### خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وفي هذه السنة بويع لعلي بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة. ذكر الخبر عن بيعة من بايعه، والوقت الذي بويع فيه.

اختلف السلف من أهل السير في ذلك، فقال بعضهم: سأل علياً أصحاب رسول الله ﷺ أن يتقلد لهم وللمسلمين، فأبى عليهم، فلما أبا عليه، وطلبوا إليه، تقلد ذلك لهم. ذكر الرواية بذلك عن رواه.

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين عن أبيه، عن عبد الملك بن أبي سليمان الفزاري، عن سالم بن أبي الجعد الأشجعي، عن محمد بن الحنفية، قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقاً، ولا أقرب من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا، فلاني أكون وزيراً خير من أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبأيك، قال: ففي المسجد، فإن بيعني لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس.

والحدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العبادي، قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً فقالوا: يا أبا حسن، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلقوا إليه بعدما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً، ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إلي وأنتم، وإنني قاتل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. ففجأ فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال إنني قد كنت كارهاً لأمركم، فأيتتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك.

قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع ما يقول.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر الهذلي، عن أبي المليح، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه، خرج علي إلى السوق، وذلك يوم السبت لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، فاتبه الناس وبهشوا في وجهه، فدخل حائط بني عمرو بن مبدول، وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محسن: أغلق الباب، فجاء الناس فقرعوا الباب، فدخلوا، فيهم طلحة والزبير، فقالوا: يا علي ابسط يدك. فبايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع، فقال: أول من بدأ بالبيعة يد سلاء، لا يتم هذا الأمر! وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكئاً على قوس، فبايعه الناس. وجاءوا بسعد، فقال علي: بايع، قال: لا أباع حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس، قال: خلوا سبيلهم. وجاءوا بابن عمر، فقال: بايع، قال: لا أباع حتى يبايع الناس، قال: اتني بمحمل، قال: لا أرى حيلة، قال الأشتر: خل عني أضرب عنقه، قال علي: دعوه، أنا حميله، إنك - ما علمت - لسيئ الخلق صغيراً وكبيراً.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو غنف، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن الحنفية، قال: كنت أمسي مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه حتى دخل بيته، فأتاه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد من إمام للناس، قال: أو تكون شوري؟ قالوا: أنت لنا رضاء، قال: فالمسجد إذا يكون عن رضاء من الناس. فخرج إلى المسجد فبايعه من بايعه، وبايعت الأنصار علياً إلا نفرأ يسيراً، فقال طلحة: ما لنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب.

وحدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: أخبرنا شيخ من بني هاشم، عن عبد الله بن الحسن، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار علياً إلا نفرأ يسيراً، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، كانوا عثمانية. فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبي هؤلاء بيعة علي! وكانوا عثمانية. قال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع، وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حصر عثمان، قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصاراً لله... مرتين، فقال أبو أيوب: ما تنصرو إلا أنه أكثر لك من العضدان. فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له.

قال: وحدثني من سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة. وقال آخرون: إنما بايع طلحة والزبير علياً كرهاً.

وقال بعضهم: لم يبايعه الزبير.

ذكر من قال ذلك..

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال:

وحدثني محمد بن سنان القزاز، قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حميد، عن الحسن، قال: رايت الزبير بن العوام بايع علياً في حش من حشان المدينة.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: سمعت أبي، قال: سمعت يونس بن يزيد



اللَّهُ، قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه وبايعوا علياً، جاء علي إلى الزبير فاستأذن عليه، فأعلمته به، فسل السيف ووضع تحت فراشه، ثم قال: ائذن له، فأذنت له، فدخل فسلم على الزبير وهو واقف بنحرة، ثم خرج. فقال الزبير: لقد دخل المرء ما أقصاه، قم في مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئاً؟ فقمتم في مقامه فرأيت ذباب السيف، فأخبرته فقال: ذاك أعجل الرجل. فلما خرج علي سأله الناس، فقال: وجدت أبر ابن أخت وأوصله. فظن الناس خيراً، فقال علي: إنه بايعه.

وما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة، وطلحة بن الأعم، وأبو حارثة، وأبو عثمان، قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام، وأميرها الغافقي بن حرب يلتسمون من يجيهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً، فباعدهم وتبرأ من مقاتلهم، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلهم مرة بعد مرة، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهودون، فلما لم يجدوا مائلاً ولا مجيئاً جمعهم الشر على أول من أجابهم، وقالوا: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فأرنا فيك مجتمع، فاقدم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال، وتمثل:

لا تخلطن خيشت بطيئة    وأخلع ثيابك منها وانج عريانا  
ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيري. فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كانوا إذا لقوا طلحة أبى وقال:

ومن عجب الأيام والدمر أنني    بقيت وحيداً لا أمر ولا أحلي  
فيقولون: إنك لتوعدنا. فيقومون فيتركونه، فإذا لقوا الزبير وأرادوه أبى وقال:

متى أنت عن دار بفيحان راحل    وباحتها تحنو عليك الكتاب  
فيقولون: إنك لتوعدنا! فإذا لقوا علياً وأرادوه أبى، وقال: لو أن قومي طاوعتي سراهم    أمرتهم أمراً يديخ الأعداء

حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدثني هشام بن أبي هشام مولى عثمان بن عفان، عن شيخ من أهل الكوفة، يحدثه عن شيخ آخر، قال: حصر عثمان وعلي بنجر، فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه، فانطلق، فقلت: لأنطلقن معه ولأسمعن مقاتلهم، فلما دخل عليه كلمه عثمان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن لي عليك حقوقاً، حق الإسلام، وحق الإخاء - وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك - وحق القرابة والصهر، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنا إنما نحن في جاهلية، لكان مبطاً على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم.

فتكلم علي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فكل ما ذكرت من حقك علي على ما ذكرت أما قولك: لو كنا في جاهلية لكان مبطاً على بني مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم فصدقت، وسبائك الخبر. ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالساً، فدعاه، فاعتمد على يده، فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي دحاس من الناس، فقام إليه، فقال: يا طلحة، ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟ فقال: يا أبا حسن، بعدما مس الحزام الطيبين! فانصرف علي ولم يمر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال، فقال افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح، فقال: اكسروه، فكسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال، فجعل يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي، فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده. وبلغ الخبر عثمان، فسر بذلك، ثم أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان، فقلت: والله لأنظرن ما يقول هذا، فتبعته، فاستأذن على عثمان، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، استغفر الله وأتوب إليه، أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائباً، ولكنك جئت مغلوباً، الله حسيك يا طلحة!

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد، قال: قال طلحة: بايعت والسيف فوق رأسي - فقال سعد: لا أدري والسيف على رأسه أم لا، إلا أنني أعلم أنه بايع كارهاً - قال: وبايع الناس علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه، منهم: سعد بن أبي وقاص، ومنهم ابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن وقش، وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي مصعب بن عبد

فيقولون: إنك لتعودنا فيقومون ويتركونه.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن المدائني، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه أتى الناس علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا له: ابسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا فإن عمر كان رجلاً مباركاً، وقد أوصى بها شوري، فامهلوا يجتمع الناس ويتشاورون. فارتد الناس عن علي، ثم قال بعضهم: إن رجوع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يبق بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة، فعادوا إلى علي، فاخذ الأشرار بيده فقبضها علي، فقال: أبعد ثلاثة! أما والله لئن تركتها لتقصرن عنتك عليها حيناً فبايعته العامة وأهل الكوفة يقولون: إن أول من بايعه الأشرار.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك من تابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصرونه، ونحن لكم تبع. فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون.

وأخبرنا علي بن مسلم، قال: حدثنا حبان بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن عوف، قال: أما أنا فاشهد أنني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبإيعك، فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، قال: فبسط علي يده فبايعه.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد اجلسناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً. فغشى الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى، فقال علي: دعوني والتمسوا غيري فإنما مستقبلون أمراً له وجه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كاحدكم، إلا أنني أسمعكم وأطوعمكم لمن وليتموه أمركم. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد. وتشاور

الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت. فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً، وقالوا: احذر لا تحاده - وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدي في نفر - فجاءوا به يحدونه بالسيف، وإلى طلحة كوفياً وقالوا له: احذر لا تحاده، فبعثوا الأشرار في نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف. وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر وحشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير. غيظاً، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر، فقال: يا أيها الناس - عن ملأ وإذن - إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس. وجاء القوم بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إنني إنما أبإيع كرهاً، فبايع - وكان به شلل - أول الناس، وفي الناس رجل يعتاف، فنظر من بعيد، فلما رأى طلحة أول من بايع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! أول يد بايعت أمير المؤمنين يد سلاء، لا يتم هذا الأمر! ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع - وفي الزبير اختلاف - ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزیز والذليل، فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي زهير الأزدي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع الناس على علي، ذهب الأشرار فجاء بطلحة، فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه وجاء به يتله تلاً عنيفاً، وصعد المنبر فبايع.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الحارث الوالي، قال: جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع، فكان الزبير يقول: جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللج على عني.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وبايع الناس كلهم.

قال أبو جعفر: وسمع بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جيء بهم، وصار لأمر أهل المدينة، وكانوا كما كانوا فيه، وتفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم.

اتساق الأمر في البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام  
وبويح علي يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة -

شاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن هؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب لمواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدوا عني وانظروا ماذا يأتيتكم، ثم عودوا.

واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حال، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية. وتفرق القوم، وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، ترك هذا إلى ما قال علي أمثل. وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، والله إن علياً لمستغن برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره. فذكر ذلك لعلي فقام وحده الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك، والأجر من الله عز وجل عليه، ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه. فتذامرت السبئية والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع فتحج فيهم بشيء.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: خرج علي في اليوم الثالث على الناس، فقال: يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الأعراب. وقال: يا معشر الأعراب، الحقوا بمباهكم. فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب. ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ، فقال: دونكم نازكم فاقتلوه، فقالوا: عشا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشى وأبى. وقال:

لو أن قومي طاوعتي سراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعادي  
وقال طلحة: دعني البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك. وقال الزبير: دعني أت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك، وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه، فقال: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم تضعي به ما في غد، أقر معاوية على عمله، وأقر ابن عامر على عمله، وأقر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت. قال: حتى أنظر.

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال: إنني أشرت عليك بالأمس برأي، وإن الرأي أن تعالجهم بالنزوع، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك، ثم خرج وتلقاه ابن عباس

والناس يحسبون من يوم قتل عثمان ؓ - فأول خطبة خطبها علي حين استخلف - فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن علي بن الحسين - حمد الله وأثنى عليه، فقال.

إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشدد بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب. بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن ما من خلفكم الساعة تحذوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس آخرهم. اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

ولما فرغ علي من خطبته وهو على المنبر قال المصرون:

خذها... واحذراً أبا حسن إنما أمر الأمر إمرار الرسن وإنما الشعر:

خذها إليك واحذراً أبا حسن

فقال علي مجيباً:

إني عجزت عجزاً ما اعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ولما أراد علي الذهاب إلى بيته قالت السبئية:

خذها إليك واحذراً أبا حسن إنما أمر الأمر إمرار الرسن صولة أقوام كاسداد السفن بمشرفيات كفدران اللين ونظمن الملك بلسن كالشطن حتى يمرن على غير عنن فقال علي وذكر تركهم العسكر والكيونة على عدة مامنوا

حين غمزوهم ورجعوا إليهم، فلم يستطيعوا أن يتمتعوا حتى...

إني عجزت عجزاً لا اعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر أرفع من ذلي ما كنت أجبر وأجمع الأمر الشيت المتشر إن لم يشاغني العجول المتصر أو يتركونني السلاح يتسدر

واجتمع إلى علي بعدما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي، إننا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم. فقال لهم: يا إخوانه، إنني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقرم يملكوننا ولا نملكهم! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما

السيف. قال ابن عباس: فأطعني وادخل دارك، والحق بمالك بينع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تحول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً. فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأى، معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عتقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يجبسي فيتحكم علي فقال له علي: ولم؟ قال: لقربا ما بيني وبينك، وإن كل ما حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فمئة وعده. فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبداً.

قال محمد: وحديثي هشام بن سعد، عن أبي هلال، قال: قال ابن عباس: قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام، فجتت علياً أدخل عليه، فقبل لي: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة فسلم علي فقال: متى قدمت؟ فقلت: الساعة. فدخلت على علي فسلمت عليه، فقال لي: لقيت الزبير وطلحة؟ قال: قلت: لقيتهما بالنواصف. قال: من معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قرش. فقال علي: أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان، والله نعلم أنهم قتل عثمان. قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن شأن المغيرة، ولم خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال لي: أخلي، ففعلت، فقال: إن النصح رخيص وأنت بقية الناس، وإني لك ناصح، وإنني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا، فكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمان الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت. فقلت: والله لا أدهن في ديني ولا أعطى الدني في أمري. قال: فإن كنت قد آبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية، فإن لمعاوية جراً، وهو في أهل الشام يسمع منه، ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها، فقلت: لا والله، لا أستعمل معاوية يومين أبداً. فخرج من عندي على ما أشار به، ثم عاد فقال لي: إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت علي، ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون في أمرك دلالة.

قال: فقال ابن عباس: فقلت لعلي: أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك، وأما الآخر ففشك، وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعلي أن أقعله من منزله. قال علي: لا والله، لا أعطيه إلا السيف. قال ثم تمثل بهذا البيت:

ما ميتة إن منها غير عاجز      بعار إذا ما غالت النفس غوها  
فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت رجل شجاع لست بآرب

خارجاً وهو داخل، فلما انتهى إلى علي قال: رأيت المغيرة خرج من عندك فقيم جاءك؟ قال: جاءني بالأمس بذية وذية، وجاءني اليوم بذية وذية، فقال: أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك. قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك، فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أشرك لا تجد غيرك، فأما اليوم فإن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر، ويشبهون على الناس، ويطلبون مثلما طلب أهل المدينة، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدرون عليه، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحرقهم، وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة. وقال المغيرة: نصحتك والله فلما لم يقبل غشسته. وخرج المغيرة حتى لحق بمكة.

حدثني الحارث، عن ابن سعد، عن الواقدي، قال: حدثني ابن سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فجبسي حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم ويبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى.

قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف أنه يرى أنني غطيت، ثم عاد إلي الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأياً، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان. قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال له علي: ولم نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولي هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا: أخذ هذا الأمر بغير شوري، وهو قتل صاحبنا، ويؤلبون عليك فيتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أنني لا آمن طلحة والزبير أن يكسرا عليك. فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحها، وأما الذي يلزمي من الحق والمعروف بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خير لهم: وإن أدبروا بذلت لهم

بالحرب، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحرب خدعة»! فقال علي: بلى، فقال ابن عباس: أما والله لئن أطعني لأصدرن بهم بعد ورد، ولأتركهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير نقصان عليك ولا إثم لك. فقال: يا ابن عباس، لست من هينئاتك وهنيات معاوية في شيء، تشير علي وأرى، فإذا عصيتك فأطعني. قال: فقلت: أفعل، إن أيسر مالك عندي الطاعة.

### مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين

وفي هذه السنة - أعني سنة خمس وثلاثين - سار قسطنطين بن هرقل - فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن الغاز، عن عبادة بن نسي - في ألف مركب يريد أرض المسلمين، فسلط الله عليهم قاصفاً من الريح ففرقهم، ونجا قسطنطين بن هرقل، فأتى صقلية، فصنعوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه، وقالوا: قتلنا رجلاً.

## السنة السادسة والثلاثون

## تفريق علي عماله على الأمصار

ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرق علي عماله، فمما كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: بعث علي عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام، فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فحيهلاً بك، وإن كان بعثك غيره فارجع! قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي. وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: من قالة عثمان، فانا أطلب من أوى إليه وأتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض، فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه، وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتا وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يقد إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة، وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك. وأما عثمان بن حنيف فسلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب. وافترق الناس بها، فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا. وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزباله لقيه طليحة بن خويلد، وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول: لهفي على أمر لم يسبقني ولم أدركه!

يباليتني فيها جندع أكر فيها وأضع فخرج حين رجع القعقاع من إغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة، فطلع عليه عمارة قادماً على الكوفة، فقال له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً، وإن أبيت ضربت عتقك. فرجع عمارة وهو يقول: احذر الخطر ما يماسك، الشر خير من شر منه.

فرجع إلى علي بالخبر. وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاضت عليه الأمور إلى أن مات. وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن، فجمع يعلى بن أمية كل شيء من الجباية وتركه بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة

فقدمها بالمال. ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الأخبار ورجع من رجع، ودعا علي طلحة والزبير، فقال: إن الذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم، وإن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإمامته، وإنها فتنة كالنار، كلما سمرت ازدادت واستنارت. فقالوا له: فأذن لنا أن نخرج من المدينة، فأما أن نكابر وإما أن تدعنا، فقال: سامسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فأخبر الدواء الكي.

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى. وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبين الكاره منهم للذي كان، والراضي بالذي قد كان، ومن بين ذلك حتى كان علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة. وكان رسول علي إلى أبي موسى معبد الأسلمي، وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سيرة الجهنني، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه ورد رسوله، وجعل كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله:

ادم إدامة حصن أو خدأ يدي حرباً ضرراً تنشب الجزل والضرما في جاركم وابنكم إذ كان مقلته شتاء شيت الأصدغ واللمما أعيا المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

وجعل الجهنني كلما تنجز الكتاب لم يزد على هذه الأبيات، حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية برجل من بني عباس، ثم أحد بني رواحة يدعى قبيصة، فدفع إليه طوماراً مختوماً، عنوانه: من معاوية إلى علي. فقال: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول وسرح رسول علي. وخرجاً فقدموا المدينة في ربيع الأول لغرته، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره، وخرج الناس ينظرون إليه، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض، ومضى حتى يدخل على علي، فدفع إليه الطومار، فقبض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم، إن الرسل آمنة لا تقتل، قال: ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال: بمن؟ قال: من خبط نفسك، وترك ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد البسوه منبر دمشق. فقال: مني يطلبون دم عثمان! ألست موتوراً كثره عثمان! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج، قال: وأنا آمن؟ قال: وأنت آمن. فخرج العبسي وصاحت السبيبة قالوا: هذا الكلب، هذا وافتد الكلاب، اقتلوه! فنادى: يا آل مضر يا آل قيس، الخيل والنبل، إني أحلف بالله جل اسمه ليردنهن عليكم أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحولة والركاب! وتعاووا عليه ومنعته مضر، وجعلوا يقولون

واستقام الفوز والنجاة، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل. إلا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تاملوا على سخط إمارتي، ودعوا الناس إلى الإصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، واقتصر على ما بلغني عنهم.

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح، فتعبد للخروج إليهم، وقال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا مؤونة ولا إكراه. فاشتد على أهل المدينة الأمر، فتساقفوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي، فجاء به فقال: انهض معي، فقال: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد. قال: فاعطني زعيماً بالاً تخرج، قال ولا أعطيك زعيماً، قال: لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني، دعوه فانا به زعيم. فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون: لا والله ما ندرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يرضى لنا ويسفر.

فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض، وكان صدوقاً فاستقر عندها، وأصبح علي فقبل له: حدث الباردة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية. قال: وما ذلك؟ قال: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى علي السوق ودعا بالظھر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طلاباً. وماج أهل المدينة، وسمعت أم كلثوم بالذي هو فيه، فدعت ببيغلتها فركبتها في رحل ثم أتت علياً وهو واقف في السوق يفرق الرجال في طلبه، فقال: ما لك لا ترزدي من هذا الرجل؟ إن الأمر على خلاف ما بلغته وحدثه. قالت: أنا ضامنة له، فطابت نفسه وقال: انصرفوا، لا والله ما كذبت ولا كذب، وإنه عندي ثقة فانصرفوا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالوا: ولما رأى علي من أهل المدينة ما رأى لم يرض طاعتهم حتى يكون معها نصرته، قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة، وقال: إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله، فقد رأيتم عواقب قضاء الله عز وجل على من مضى منكم، فانصروا الله بنصركم ويصلح لكم أمركم. فأجابته رجلان من اعلام الأنصار، أبو الهيثم بن التيهان - وهو بدري - وخزيمة بن ثابت، وليس يذني الشهادتين مات ذو الشهادتين في زمن عثمان ؓ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن الحكم، قال: قيل له: أشهد خزيمة بن ثابت ذو

له: اسكت، فيقول: لا والله، لا يفلح هؤلاء أبداً، فلقد أتاهم مايوعدون. فيقولون له: اسكت، فيقول: لقد حل بهم ما يجذرون، انتهت والله أعمالهم، وذهبت ريجهم، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم.

### استاذان طلحة والزبير علياً

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: استاذن طلحة والزبير علياً في العمرة، فاذن لهما، فلحقا بمكة، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيحسر عليه أو ينكل عنه! وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس، فدرسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي - وكان منقطعاً إلى علي - فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي: يا زياد، تيسر، فقال: لأي شيء؟ فقال: تغزو الشام، فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، فقال:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسجم فتمثل علي وكأنه لا يريد:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وانفأ حياً تجتنبك المظالم فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل. ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء، وولي عبد الله بن عباس ميمته، وعمر بن أبي سلمة - أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد - وولاه ميسرته، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، فجعله على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عباس، ولم يول ممن خرج على عثمان أحداً، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام، وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى مثل ذلك، وأقبل على التهيؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة، وقال: إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله، وإن في سلطان الله عصمة أمركم، فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها، والله لتعلنن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يبرز الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم. فبينما هم كذلك إذ جاء الخبر على لعل مكة بنحو آخر وتأم على خلاف، فقام فيهم بذلك فقال: إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة، وجعل لمن لزم الأمر

وقصدت للحجر فسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: يا أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب واستعمال من حدثت سنة، وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من مواضع الحمى حاما لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام. والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم. فتجاء من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء. فقال عبد الله بن عامر الحضرمي: هاأنذا لها أول طالب - وكان أول عجيب ومتدب.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن المدائني، قال: حدثنا سحيم مولى وبرة التميمي، عن عبيد بن عمرو القرشي، قال: خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصور، فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر، فقالت ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمان المصري، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون! أيقتل قوماً جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم! والله لا نرضى بهذا. ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريون عثمان، قالت: العجب لأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل! فكان يضرب به المثل: «أكذب من أخضر».

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: خرجت عائشة رضي الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان، فلقيها رجل من أخوالها، فقالت: ما وراءك؟ قال: قتل عثمان واجتمع الناس على علي، والأمر أمر الغوغاء. فقالت: ما أظن ذلك تاماً، ردوني. فانصرفت راجعة إلى مكة، حتى إذ دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي - وكان أمير عثمان عليها - فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً وأن الأمر لا يستقيم ولهذا الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام. فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم، وقام معهم سعيد بن العاص، والوليد بن عتبة، وسائر بني أمية. وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة، ويعلى بن أمية من اليمن، وطلحة والزبير من المدينة، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة، وقالت: أيها الناس، إن هذا حدث عظيم وأمر متكر،

الشهادتين الجمل؟ فقال: ليس به، ولكنه غيره من الأنصار مات ذو الشهادتين في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدرين ما لهم سابع، أو سبعة ما لهم ثامن.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد عن الشعبي، قال: بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدرين ما لهم سابع. فقلت: اختلفتما. قال: لم نختلف، إن الشعبي شك في أبي أيوب: أخرج حيث أرسلته أم سلمة إلى علي بعد صفين، أم لم يخرج! إلا أنه قدم عليه فمضى إليه، وعلي يومئذ بالهروان.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، عن رجل، عن سعيد بن زيد، قال: ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففازوا على الناس بخير مجوزونه إلا وعلي بن أبي طالب أحدهم.

ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تناقل الناس عن علي ابتدر إليه وقال: من تناقل عنك فإنا نخف معك ونقاتل دونك. وبينما علي يمشي في المدينة إذ سمع زينب ابنة أبي سفيان وهي تقول: ظلامتنا عند مدمم وعند مكحلة، فقال: إنها لتعلم ما همّا لها بثأراً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، أن عثمان قتل في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه، وكان على مكة عبد الله بن عامر الحضرمي، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس، بعثه عثمان وهو محصور، فتعجل أناس في يومين فأدركوا مع ابن عباس، فقدموا المدينة بعدما قتل وقبل أن يبايع علي، وهرب بنو أمية فلحقوا بمكة، وبويع علي لخمسين يقين من ذي الحجة يوم الجمعة، وتساقط الهرب إلى مكة، وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم، فلما تساقط إليها الهرب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضي الله عنه ولم يجيهم إلى التأمير أحد، فقالت عائشة رضي الله عنها: ولكن أكياس، هذا غب ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح، حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهدت إلى سرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث - وكانت واصلة لهم، رفيقة عليهم - يقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب، فقالت: مهيم! فأصم ودمدم، فقالت: ويحك! علينا أو لنا؟ فقال: لا تدري، قتل عثمان وبقوا ثمانية، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ فقال: أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي، والقرم الغالبون على المدينة. فرجعت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ولا يخرج منها شيء حتى نزلت على باب المسجد



وأرادت حفصة الخروج فاتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد، فقعدت وبعثت إلى عائشة: أن عبد الله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبد الله! وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جهينة يدعى ظفراً، فاستأجرته على أن يطوي ويأتي علياً بكتابها، فقدم على علي بكتاب أم الفضل بالخبر.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، عن أبي مخنف، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبيه، قال: قال أبو قتادة لعلي: يا أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ قلدني هذا السيف وقد شتمته فطال شيمه، وقد أتى تحريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشاً، فإن أحببت أن تقدمني، فقدمي. وقامت أم سلمة فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أن عصي الله عز وجل وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر - والله هو أعز علي من نفسي - يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه، واستعمله على البحرين ثم عزله، واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى.

حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا مسلمة، عن عوف، قال: أغان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلاً من فريش، وحمل عائشة رضي الله عنها على جمل يقال له عسكرو، أخذه بشماتين ديناراً، وخرجوا. فنظر عبد الله بن الزبير إلى البيت، فقال: ما رأيت مثلك بركة طالب خير، ولا هارب من شر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة، فقال سعيد للمغيرة: ما الرأي؟ قال: الرأي والله الاعتزال، فإنهم ما يفلح أمرهم، فإن أظفره الله أتيناها، فقلنا: كان هوانا وصفونا معك، فاعتزلا فجلسا، فجاء سعيد مكة فاقام بها، ورجع معها عبد الله بن خالد بن أسيد.

حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعت أبي، قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، قال: ثم ظهرا - يعني طلحة والزبير - إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر وابن عامر بها يجر الدنيا، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها فأرادوا الرأي، فقالوا: نسير إلى علي فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة، ولكننا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة وهوى ومعونة. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالا كثيراً وإسلاً، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة

فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان أول من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أمية، وقد كانوا سقطوا إليها بعد مقتل عثمان، ثم قدم عبد الله بن عامر ثم قدم يعلى بن أمية، فاتفقا بمكة، ومع يعلى ستمائة بعير وستمائة ألف، فأنافخ بالأبطح معسكراً، وقدم معهما طلحة والزبير، فلقيا عائشة رضي الله عنها، فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: ورائنا أننا نحملنا بقليتنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمتنعون أنفسهم. قالت: فاتمروا أمراً، ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء. وتمثلت:

لو أن قومي طاوعتي سرايهم لأتقنهم من الحبال أو الخبل وقال القوم فيما اتمروا به: الشام. فقال عبد الله بن عامر: قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته، فقال له طلحة والزبير: فآين؟ قال: البصرة فإن لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى قالوا: فبحك الله! فوالله ما كنت بالمسلم ولا بالحارب، فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكفي بك، ونأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب! فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً، حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا: يا أم المؤمنين، دعي المدينة فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها، واشخصي معنا إلى البصرة، فإنا نأتي بلسداً مضيعاً، وسيحتجون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب فتفضيهم كما انهضت أهل مكة ثم تقعدين، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدن، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بمجهودنا حتى يقضي الله ما أراد.

فلما قالوا ذلك لها - ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها - قالت: نعم، وقد كان أزواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة، فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك، وانطلق القوم بعدها إلى حفصة، فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة، حتى إذا لم يبق إلا الخروج قالوا: كيف نستقل وليس معنا مال لنجهز به الناس! فقال يعلى بن أمية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها، وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به. فنادى المناادي: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بشار عثمان ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقه سوى من كان له مركب - وكانوا جميعاً ألفاً - وتجهزوا بالمال، ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين.

حفصة، فأرادت الخروج، فعزم عليها ابن عمر فأقامت، فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير، وأمرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل، وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع، وتيامنت عن أوطاس، وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية، فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة، مساحلين لم يدن من المنكر ولا واسط ولا فلج منهم أحد، حتى أتوا البصرة في عام خصب. وتمثلت:

دعى بلاد جمع الظلم إذ صلحت فيها المياه وسرى سير مذعور  
تخيري البت فارعي ثم ظاهرة ووطن واد من الضمار عطور

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عمر بن راشد اليمامي، عن أبي كثير السحيمي، عن ابن عباس، قال: خرج أصحاب الجمل في ستمائة، معهم عبد الرحمن بن أبي بكره وعبد الله بن صفوان الجمحي، فلما جاوزا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت وغرها يشعب، فتطروا. وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما، فقال: أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، وقل محمد بن طلحة: على أبي محمد. فأرسلت عائشة رضي الله عنها إلى مروان فقالت: مالك؟ أتريد أن تفرق أمرنا! ليصل ابن أخي، فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرتنا لافتتنا ما خلى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلى طلحة بين الزبير والأمر.

### خروج علي إلى الربرة يريد البصرة

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء علياً الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين، فأمر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قثم بن العباس، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم، فاستبان له بالربرة أن قد فاتوه، وجاءه بالخبر عطاء بن رثاب مولى الحارث بن حزن.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن طلحة، قال: بلغ علياً الخبر - وهو بالمدينة - باجتماعهم على الخروج إلى البصرة والذي اجتمع عليه ملوهم، طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج علي يبادرهم في تعيينه التي كان تعبى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج، فلقى عبد الله بن سلام فاخذ بعنانه، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تخرج منها، فوالله لئن

ومكة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل، فبلغ علياً سيرهم، فأمر على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، وخرج فسار حتى نزل ذا قار، وكان مسيره إليها ثمان ليال، ومعه جماعة من أهل المدينة.

حدثني أحمد بن منصور، قال: حدثني يحيى بن معين، قال: حدثنا هشام بن يوسف قاضي صنعاء، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن موسى بن عقبة، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم عرضوا الناس بذات عرق، واستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فردوهم.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: أخبرنا أبو عمرو، عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، قال: لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق، فقال: أين تذهبون وتارككم على أعجاز الإبل! اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم، قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتنا لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني، قال: لأحدثنا أين اختاره الناس. قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قال: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم! قال: أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف. فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان هاهنا من ثقيف فليرجع، فرجع ومضى القوم، معهم إبان بن عثمان والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق فقالوا: من ندعو لهذا الأمر؟ فخلا الزبير بابنه عبد الله، وخلا طلحة بعلقمة بن وقاص الليثي - وكان يؤثره على ولده - فقال أحدهما: انت الشام، وقال الآخر: انت العراق، وحاور كل واحد منهما صاحبه ثم اتفقا على البصرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الأغر، قال: لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن منية وطلحة والزبير، اتهموا أمرهم، وأجمع ملوهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبية حتى يثأروا ويتقموا، فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها وقال لها طلحة والزبير: إنا نأتي أرضاً قد أضيعت وصارت إلى علي، وقد أجبرنا علي على بيعته، وهم محتجون علينا بذلك وتاركو أمرنا إلا أن تخرجني فتأمري بمثل ما أمرت بمكة، ثم ترجعي. فنأى المنادي: إن عائشة تريد البصرة وليس في ستمائة بعير ما تغنون به غوغاء وجلبة الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدين لأول واعية. وبعثت إلى

تبيع جملك؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم، قال: مجنون أنت! جل يباع بألف درهم! قال: قلت: نعم، جلي هذا، قال: ومم ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته، ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا فته. قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا، قال: قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمك، قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحاً، قال: إنما أريده لأم المؤمنين عائشة، قلت: فهو لك، فخذ به غير ثمن، قال: لا، ولكن ارجع معنا إلى الرجل فلنعطيك ناقة مهيبة ونزيدك دراهم، قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهيبة، وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم، فقال لي: يا أبا عريئة، هل لك دالة بالطريق؟ قال: قلت: نعم أنا من أدرك الناس، قال: فسر معنا، فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقتنا ماء الحووب فنبهتنا كلابها، قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحووب، قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحووب طروقاً، ردوني! تقول ذلك ثلاثاً. فأناخت وأناخوها حولها وهم على ذلك، وهي تأتي حتى كانت الساعة التي أناخوها فيها من الغد. قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب! قال: فارتحلوا وشموني، فانصرفت، فما سرت إلا قليلاً وإذا أنا بعلي وركب معه نحو من ثلثمائة، فقال لي علي: يا أبا الراكب! فأتيته فقال: أين أتيت الظئيلة؟ قلت: في مكان كذا وكذا، وهذه ناقته، ويعتهم جلي قال: وقد ركبته؟ قلت: نعم، وسرت معهم حتى أتينا ماء الحووب فنبحت عليها كلابها، فقالت كذا وكذا، فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت وارتحلوا، فقال علي: هل لك دالة بذئ قار؟ قلت: لعلي أدل الناس، قال: فسر معنا، فسرنا حتى نزلنا ذا قار، فأمر علي بن أبي طالب بجوالقين فضم أحدهما إلى صاحبه، ثم جيء برجل فوضع عليهما، ثم جاء بمشي حتى صعد عليه، وسدل رجليه من جانب واحد، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة. فقام إليه الحسن فبكي، فقال له علي: قد جئت تخن خنين الجارية! فقال: أجل، أمرتك فعصيتني، فأنت اليوم تقتل بمضیعة لا ناصر لك، قال: حدثت القوم بما أمرتني به، قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألا تبسط يدك ببيعة حتى تجول جائلة العرب، فإنهم لن يقطروا أمراً دونك، فأبيت علي، وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك، قال علي: صدق والله، ولكن والله يا بني ما كنت لأكون كالضبع تستمتع للدم، إن النبي ﷺ قبض وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فباع الناس أبا بكر، فبايعت كما بايعوا، ثم إن أبا بكر ﷺ هلك

خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً. فسبوه، فقال: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ! وسار حتى انتهى إلى الريدة فبلغه مرهم، فأقام حين فاتوه يأتمر بالريدة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن خالد بن مهران البجلي، عن مروان بن عبد الرحمن الحمصي، عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أئانا قتل عثمان ﷺ، فلما انتهينا إلى الريدة - وذلك في وجه الصبح - إذا الرفاق وإذا بعضهم يحذو بعضاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فقلت: ما له؟ قالوا: غلبه طلحة والزبير، فخرج يعترضهما ليردهما، فبلغه أنهما قد فاتاه، فهو يريد أن يخرج في آثارهما، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! أتسي علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه! إن هذا لشديد. فخرجت فأتيته، فأقيمت الصلاة بغلس، فتقدم فصلی، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال: قد أمرتك فعصيتي، فتقتل غداً بمضیعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية! وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحبط بعثمان ﷺ أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبائع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحبط بعثمان، فوالله لقد أحبط بنا كما أحبط به. وأما قولك: لا تبائع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر. وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله مازلت مقهوراً مذ وليت، مقروصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي. وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني! أومن تريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ويقال: دباب دباب! لست ها هنا حتى يحل عروباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعتني فمن ينظر فيه! فكف عنك أي بني.

### شراء الجمل لعائشة رضي الله عنها، وخبر كلاب

#### الحووب

حدثني إسماعيل بن موسى الفزازي، قال: أخبرنا علي بن عابس الأزرق، قال: حدثنا أبو الخطاب الهجري، عن صفوان بن قبيصة الأحسي، قال: حدثني العرنبي صاحب الجمل، قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل،

العرب ويؤتاتهم، فقال له ابن عباس: إن الذي يسرك من ذلك ليسوئي، إن الكوفة فسقاط فيه أعلام من أعلام العرب، ولا يحملهم عدة القوم، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمر لا يناله، فإذا كان كذلك شغب علي الذي قد نال حتى يشأه فيفسد بعضهم على بعض. فقال علي: إن الأمر ليشبه ما تقول، ولكن الأثرة لأهل الطاعة والحق بأحسنهم سابقة وقدمة، فإن استوتوا أعفيناهم واجتبرناهم، فإن أقتنهم ذلك كان خيراً لهم، وإن لم يقتنهم كلفونا إقامتهم وكان شراً على من هو شر له. فقال ابن عباس: إن ذلك لأمر لا يدرك إلا بالقنوع.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما اجتمع الرأي من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير إلى البصرة والانتصار من قتلة عثمان عليه السلام، خرج الزبير وطلحة حتى لقياً ابن عمر ودعواهم إلى الخفوف، فقال: إني امرؤ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القعود أقعد، فتركاه ورجعا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبي مليكة، قال: جمع الزبير بنه حين أراد الرحيل، فودع بعضهم وأخرج بعضهم، وأخرج ابني أسماء جميعاً فقال: يا فلان أقم، يا عمرو أقم. فلما رأى ذلك عبد الله بن الزبير، قال: يا عروة أقم، يا منذر أقم، فقال الزبير: ويحك! استصحب ابني واستمتع منهما، فقال: إن خرجت بهم جميعاً فاخرج، وإن خلفت منهم أحداً فخلفهما ولا تعرض أسماء للشكل من بين نسائك فيكي وتركهما، فخرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا وسلخوا طريقاً نحو البصرة وتركوا طريقها يساراً، حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكر.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن الشهيد عن ابن أبي مليكة، قال: خرج الزبير وطلحة ففصلا، ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق، فلم ير يوم كان أكثر باكباً على الإسلام أو باكباً له من ذلك اليوم، كان يسمى يوم النجيب. وأمرت عبد الرحمن بن عتاب، فكان يصلي بالناس، وكان عدلاً بينهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن يزيد بن معن السلمي، قال: لما تيامن عسكرها عن أوطاس أتوا على ملبح بن عوف السلمي، وهو مطلع ما له، فسلم على الزبير، وقال: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: عدي على أمير المؤمنين عليه السلام فقتل بلا ترة ولا عذر، قال: ومن؟ قال: الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل، وظاهرهم الأعراب والعبيد، قال: فتريدون ماذا؟ قال: نهض الناس فيدرك بهذا الدم لثلاً

وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فبايع الناس عمر بن الخطاب، فبايعت كما بايعوا، ثم إن عمر عليه السلام هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فجعلني سهماً من ستة أسهم، فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان عليه السلام فقتلوه، ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين، فانا مقاتل من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين.

قول عائشة رضي الله عنها: والله لأطلين بدم عثمان

وخروجها وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة

كتب إلي علي بن أحمد بن الحسن العجلي أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نوية وطلحة بن الأعمى الخنفي. قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب - وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب إلى أمه - فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان عليه السلام، فمكتشوا ثمانياً، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلين بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمار حرقه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البده ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر فهنا أظعنك في قتله وقتله عندنا من أمر ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تكسف شمسنا والقمر وقد بايع الناس ذا تدرار يزيل الشبا ويقسم الصعر ويلبس للحرب أثوابها وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر، فسرت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس، إن عثمان قتل مظلوماً، والله لأطلين بدمه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان علي في هم من توجه القوم لا يدري إلى أين يأخذون! وكان أن يأتوا البصرة أحب إليه. فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سر بذلك، وقال: الكوفة فيها رجال

يبتل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يقطع الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب، قال: والله إن ترك هذا لشديد، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير! فودع كل واحد منهما صاحبه، وافترقا ومضى الناس.

دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة، لقيهم عمير بن عبد الله التيمي، فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله أن تقدمي اليوم على قوم ترأسلي منهم أحداً فيكفيكمهم! فقالت: جئتني بالرأي: امرؤ صالح، قال: فعجلي ابن عامر فليدخل، فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جتم فيه. فأرسلته فاندس إلى البصرة، فأتى القوم. وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه، ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين - وكان رجل عامة - والزه بأبي الأسود الدؤلي - وكان رجل خاصة - فقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فخرجا فانتھيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير، فاستأذنا فأذنت لهما، فسلما وقالوا: إن أميرنا بعثنا إليك نسالك عن مسيرك فهل أنت خبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنية الخبر. إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وأووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين، غير نافرين ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس ورائنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا. وقرأت ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. نهض في الإصلاح عن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ، الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر نهاكم عنه، ونحضكم على تغييره.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فاتيا طلحة

دخلا على عثمان بن حنيف، فبدر أبو الأسود عمران فقال:

يا ابن حنيف قد آتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر وابرز لهم مستلثماً وشمر

فقال عثمان: إنا لله وإنا إليه راجعون! دارت رحا الإسلام ورب الكعبة، فانظروا بأي زيفان تزيف! فقال عمران: إي والله لتعركنكم عركاً طويلاً ثم لا يساوي ما بقي منكم كثير شيء، قال: فآشر علي يا عمران، قال: إنني قاعد فاقعد، فقال عثمان: بل أمعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي، قال عمران: بل يحكم الله ما يريد، فانصرف إلى بيته وقام عثمان في أمره، فأتاه هشام بن عامر فقال: يا عثمان، إن هذا الأمر الذي تروم يسلم إلى شر مما تكره، إن هذا فتق لا يرتق، وصدع لا يجبر، فسامعهم حتى يأتي أمر علي ولا تحادهم، فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بالتهوؤ، ولبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وأقبل عثمان على الكيد فكاد الناس لينظر ما عندهم، وأمرهم بالتهوؤ، وأمر رجلاً ودسه إلى الناس خدعاً كوفياً قيسياً، فقام فقال: يا أيها الناس، أنا قيس بن العقدية الحميسي، إن هؤلاء القوم الذين جاءوكم إن كانوا جاءوكم خائفين فقد جاءوا من المكان الذي يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان ﷺ فما نحن بقتلة عثمان. أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاءوا. فقام الأسود بن سريع السعدي، فقال: أو زعموا أنا قتلة عثمان ﷺ! فإنما فزعوا إلينا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا، فإن كان القوم أخرجوا من ديارهم كما زعمت، فمن بمنهم من إخراجهم الرجال أو البلدان! فحصبه الناس، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم، فكسره ذلك. وأقبلت عائشة رضي الله عنها فيمن معها، حتى إذا انتهوا إلى المريد ودخلوا من أعلاه أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكون معها، فاجتمعوا بالمريد وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس.

فتكلم طلحة وهو في ميمنة المريد ومعه الزبير وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عثمان ﷺ

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فاتيا طلحة

جئتما بنسائكما؟ قالاً: لا، قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل.  
وقال السعدي في ذلك:

صتم حلاتكم وقد أمكم هذا العمر قلة الإنصاف  
أمرت بجر ذيرها في بيتها فهوت تشق اليد بالإيفاف  
غرضاً يقاتل دونها ابنائها بالنبل والخطي والأسياف  
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة - وكان محمد رجلاً عابداً - فقال: أخبرني عن قتل عثمان! فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة المودج - يعني عائشة - وثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - وثلث على علي بن أبي طالب، وضحك الغلام وقال: ألا أراني على ضلال! ولحق بعلي، وقال في ذلك شعراً:

سالت ابن طلحة عن هالك يحوف المدينة لم يقبر  
فقال ثلاثة رهط هم أماتوا ابن عفان واستعبر  
فلث على تلك في خدرها وثلث على راكب الأحمر  
وثلث على ابن أبي طالب ونحن بدوية قرقر  
فقلت صدقت على الأولين وأخطأت في الثالث الأزهر  
رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة. قال:

فخرج أبو الأسود وعمران وأقبل حكيم بن جبلة، وقد خرج وهو على الخيل، فأنشب القتال، وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا فلم يته ولم يشن، فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا ما دفعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر خيله ويركبهما، ويقول: إنها قریش ليردينها جنبها والطيش، واقتتلوا على فم السكة وأشراف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى، فرموا باقي الآخرين بالحجارة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها ملياً، وثار إليهم الناس، فحجز الليل بينهم. فرجع عثمان إلى القصر، ورجع الناس إلى قبائلهم، وجاء أبو الجرباء، أحد بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة وطلحة والزبير، فأشار عليهم بأمل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيه، فساروا من مقبرة بني مازن فأخذوا على مسنة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا إلى الزابوقة، ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي متنتحية إلى دار الرزق، فباتوا يتأهبون، وبات الناس يسرون إليهم، وأصبحوا وهم على رجل في ساحة دار الرق، وأصبح عثمان بن حنيف فغادهم، وغدا حكيم بن جبلة وهو يبرير وفي يده الرمح، قال له رجل من عبد القيس: من هذا الذي تسب وتقول له ما أسمع؟ قال: عائشة، قال: يا ابن الخبيثة، ألام المؤمنين تقول هذا! فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله. ثم مر بامرأة وهو يسبها - يعني عائشة -

وفضله والبلد وما استحل منه، وعظم ما أتى إليه، ودعا إلى الطلب بدمه، وقال: إن في ذلك إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حد من حدود الله، وإنكم إن فعلتم أصيبت وعاد أمركم إليكم، وإن تركتم لم يبق لكم سلطان، ولم يكن لكم نظام.

فتكلم الزبير بمثل ذلك. فقال من في ميمنة المريد: صدقا وبرا، وقال الحق، وأمرنا بالحق. وقال من في ميسرته: فجرا وغدرا، وقالوا الباطل، وأمرنا به، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان! وتحاثي الناس وتحاصبوا وأرهجوا. فتكلمت عائشة - وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة - فحمدت الله جل وعز وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما نجوروننا عنهم، ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم، فننظر في ذلك فتجد برأ تقياً وفيها ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون. فلما قفوا على المكاثرة كاثروها فاقترحوا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام، والمال الحرام، والبلد الحرام، بلا ترة ولا عذر، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتل عثمان رضي الله عنه وإقامة كتاب الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين، فقالت فرقة: صدقت والله وبرت، وجاءت والله بالمعروف، وقال آخرون: كذبتم والله ما نعرف ما تقولون، فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا، فلما رأت ذلك عائشة المحذرت والمحدرة أهل الميمنة مفارقتين لعثمان حتى وقفوا في المريد في موضع الدباغين، وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة. وأتى عثمان بن حنيف فيمن معه، حتى إذا كانوا على فم السكة، سكة المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بقمها.

وفيما ذكر نصر بن مزاحم، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: وأقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأجحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، وإن كنت أثبتنا طائفة فارجمي إلى منزلك، وإن كنت أثبتنا مستكرهة فاستعيني بالناس. قال: فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زبير فحاروي رسول الله ﷺ، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ﷺ بيدك، وأرى أمكما معكما فهل

فقلت: من هذا الذي ألك إلى هذا؟ قال: عائشة، قالت: يا ابن الخيثة، الأم المؤمنين تقول هذا! فطعننا بين نديها قتلها. ثم سار، فلما اجتمعوا واقفهم، فاقتلوا بدار الرزق قتلاً شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القتل في أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة في الفريقين، ومناذي عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون، حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح والمثات. فأجابوهم وتواعدوا، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة، وحتى يرجع الرسول من المدينة، فإن كانا أكرها خرج عثمان عنهما وأخلى لهم البصرة، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اصطلى عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين. إن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده، وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركما الصلح على ما في أيديهما، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة. ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فريضة، بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر، فإن رجع بأن القوم أكرها طلحة والزبير فالأمر أمرهما، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته، وإن شاء دخل معهما، وإن رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان، فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي وإن شاء خرجا حتى يلحقا بطيئتهما، والمؤمنون أعوان الفالح منهما.

فخرج كعب حتى يقدم المدينة، فاجتمع الناس لقدمه وكان قدومه يوم جمعة، فقام كعب فقال: يا أهل المدينة، إني رسول أهل البصرة إليكم أكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علي، أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد، فإنه قام فقال: اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان. فأمر به تمام، فوائبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد، في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يقتل أسامة، فقال: اللهم نعم، فانفروا عن الرجل، فانفروا عنه، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فادخله منزله، وقال: قد علمت أن أم عامر حامقة، أما وسعك ما وسعنا من السكوت! قال: لا والله، ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت، وقد أبسلنا لعظيم. فرجع كعب وقد اعتد طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتد به، منها أن محمد بن طلحة - وكان صاحب صلاة - قام مقاماً قريباً من عثمان بن حنيف، فخشي بعض الزط

والسيابة أن يكون جاء لغير ما جاء له، فحياه، فبعثا إلى عثمان هذه واحدة. وبلغ علياً الخبر الذي كان بالمدينة من ذلك، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول: والله ما أكرها إلا كرهاً على فرقة، ولقد أكرها على جماعة وفضل، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا. فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف، وقدم كعب فأرسلوا إلى عثمان أن أخرج عنا، فاحتج عثمان بالكتاب وقال: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه، فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندي. ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء - وكانوا يؤخرونها - فابطأ عثمان بن حنيف فقدم عبد الرحمن بن عتاب، فشهر الزط والسيابة السلاح ثم وضعوه فيهم. فأقبلوا عليهم فاقتلوا في المسجد وصبروا لهم. فأناموهم وهم أربعون، وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه إليهما فلما وصل إليهما توطؤوه، وما بقيت في وجهه شعرة، فاستعظما ذلك، وأرسلوا إلى عائشة بالذي كان، واستطلعا رأيها فأرسلت إليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تجسوه، فأخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه، وقد كانوا يعتقون حرس عثمان في كل يوم وفي كل ليلة أربعون، فصلى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر، وكان الرسول فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو، أتاها الخبر، وهو راجع إليهما بالجواب، فكان رسول القوم.

حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن عن أبي خنف، عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد، قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبا بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ! قالت: ردوا أبا بن، فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيتهم، فضربوه أربعين سوطاً، وانتفوا شعر لحيتهم ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، قال: بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل علي بن أبي قار انصرفوا إلى البصرة، فآخذوا على المنكر، فسمعت عائشة رضي الله عنها نباح الكلاب، فقالت أي ماء هذا؟ فقالوا: الخو، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! إني ليه، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساء: «ليت شعري أيتكن تنيحها كلاب الخو». فأرادت الرجوع، فاتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال إن هذا الخو. ولم يزل حتى مضت،

فاجتمعوا إليه، فانتهى بهم إلى الزابوقة عند دار الرزق، وقالت عائشة: لا تقتلوا إلا من قاتلكم، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان ﷺ فليكيف عنا فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبداً أحداً، فأنشب حكيم القتال ولم يبرح للمنادي، فقال طلحة والزبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم اليوم فاقتلهم. فجادوهم القتال فاقتلوا أشد قتال ومعه أربعة قواد، فكان حكيم بجبال طلحة، وذريح بجبال الزبير، وابن المحرش بجبال عبد الرحمن بن عتاب، وحر قوص بن زهير بجبال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة رجل، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول:

أضربهم بالسيف ضرب غلام عباس  
من الحياة آيس في الغرفات نفاض

فضرب رجل رجله قطعها، فحبا حتى إذا أخذها فرمى بها صاحبه، فأصاب جسده فصرعه، فأتاه حتى قتله، ثم اتكا عليه وقال:

يا فخذلن تراعى إن معسى ذراعى  
أحمي بها كراعى

وقال وهو يرمي:

ليس علي أن أموت عار والعار في الناس هو الفرار  
والمجد لا يفضحه الدمار

فأتى عليه رجل وهو ريث، رأسه على الآخر، فقال: ما لك يا حكيم؟ قال: قتلت، قال: من قتلك؟ قال: وسادتي، فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه، فتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رجل، وإن السيوف لتأخذهم فما يتنع، ويقول: إنا خلفنا هذين وقد بايعا علينا وأعطياه الطاعة، ثم أقبلنا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان، ففرقا بيننا، ونحن أهل دار وجوار. اللهم إنيهما لم يريدنا عثمان. فنأدى مناد: يا خبيث، جزعت حين عضك نكال الله عز وجل إلى كلام من نصبك وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم، وفرقتهم من الجماعة، وأصبتم من الدماء، ونلت من الدنيا! فذق وبال الله عز وجل وانتقامه، وأقيموا فيمن أنتم.

وقتل ذريح ومن معه، وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه فلجسوا إلى قومهم، ونأدى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: ألا من كان فيهم من قاتلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجيء بهم كما من بجاء بالكلاب، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه، وكان من بني سعد، فمسه في ذلك أمر شديد، وضربوا

فقدما البصرة وعليها عثمان بن حنيف، فقال لهم عثمان: ما نقيم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منا، وقد صنع ما صنع، قال: فإن الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتكم له، على أن أصلي بالناس حتى يأتينا كتابه، فوقفوا عليه وكتب، فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق، فظفروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار، فنالوه في شعره وجسده. فقام طلحة والزبير خطيبين فقالا: يا أهل البصرة، توبة بحوبة، إنما أردنا أن يستعجب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله، فقلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه. فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد، قد كانت كتبك تاتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم مبي كتاب في شأنه؟ ثم ذكر قتل عثمان ﷺ وما أتى إليه، وأظهر عيب علي. فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: أيها الرجل، أنصت حتى نتكلم، فقال عبد الله بن الزبير: وما لك ولل كلام! فقال العبدى: يا معشر المهاجرين، أنتم أول من أجاب رسول الله ﷺ، فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفي رسول الله ﷺ بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرغونا في شيء من ذلك فرضينا واتبعناكم فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة، ثم مات ﷺ واستخلف عليكم رجلاً منكم، فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلمنا، فلما توفي الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر، فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا، ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً، فقلتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم علينا عن غير مشورة منا، فما الذي نقيم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بغيري، أو عمل بغير الحق؟ أو عمل شيئاً تنكروه فنكون معكم عليه؟ وإلا فما هذا! فهما بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن محمد وطلحة. قالوا: فأصبح طلحة والزبير وبيت المال والحرس في أيديهما، والناس معهما، ومن لم يكن معهما مغفور مستسر، وبعنا حين أصبحا بأن حكيماً في الجمع، فبعثت: لا تحبسا عثمان ودعاه. ففعلا، فخرج عثمان فمضى لطلبته، وأصبح حكيم بن جيلة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة، ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول: لست بأخيه إن لم أنصره، وجعل يشتم عائشة رضي الله عنها، فسمعت امرأة من قومه فقالت: يا ابن الخبيثة، أنت أولى بذلك! فلعننها فقتلها، فغضبت عبد القيس إلا ما اغتم منهم، فقالوا: لعنت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم! والله لندعنك حتى يقيدك الله. فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جيلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزاع القبائل كلها، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة،



حدوده - وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حل دمه - فأبوا واحتجوا بأشياء فاضلحنا عليها، فخافوا وغدروا وخانوا، فجمع الله عز وجل لعثمان عليه السلام ثارهم، فأقادهم فلم يفلت منهم إلا رجل، وأردنا الله، ومنعنا منهم بعير بن مرثد ومرثد بن قيس، ونفر من قيس، ونفر من الرباب والأزد. فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه، ولا تخصموا الخائنين ولا تمنعوه، ولا ترضوا بذوي حدود الله فتكونوا من الظالمين. فكتبت إلى رجال بأسمائهم. فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم، فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان عليه السلام، وفرقوا بين جماعة الأمة، وخالفوا الكتاب والسنة، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به، وحثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر، وقالوا لنا النكر، فانكر ذلك الصالحون وعظموا ما قالوا: وقالوا: ما رضيتم أن قلتكم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ﷺ، أن أمرتكم بالحق لتقتلوا وأصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين! فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسيابجهم، فلذنا منهم بطائفة من الفسقاط، فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً ندعوهم إلى الحق ولا يجوزوا بيتنا وبين الحق فغدروا وخانوا فلم نقايسهم، واحتجوا ببيعة طلحة والزبير، فأبردوا بريداً فجاءهم بالحجة فلم يعرفوا الحق، ولم يصبروا عليه، فغادوني في الغلس ليقتلوني، والذي يجاربهم غيري، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدة بيتي ومعهم هاد يهديهم إلي، فوجدوا نقراً على باب بيتي، منهم عمير بن مرثد، ومرثد بن قيس، ويزيد بن عبد الله بن مرثد، ونفر من قيس ونفر من الرباب والأزد، فدارت عليهم الرحا، فاطاف بهم المسلمون فقتلوه، وجمع الله عز وجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة، فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر. وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين. وكتب عبيد بن كعب في جمادى.

حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عامر بن حفص، عن أشياخه، قال: ضرب عتق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له: ضخيم فمال رأسه، فتعلق بجلده، فصار وجهه في قفاه. قال: ابن المشي الحداني: الذي قتل حكيماً يزيد بن الأسحم الحداني، وجد حكيم قتيلاً بين يزيد بن الأسحم وكعب بن الأسحم، وهما مقتولان..

حدثني عمر، قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن أبي المليح، قال: لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف، فقال: ما شئتم، أما إن سهل بن حنيف،

لهم فيه أجلاً وخشنا صدور بني سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا: نعتزل وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعة علي، فأمرنا للناس بأعطيتهم وأرزاقهم وحقوقهم، وفضلاً بالفضل أهل السمع والطاعة. فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول، فبادروا إلى بيت المال، وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق علي وأقام طلحة والزبير ليس معهم بالبصرة ثار إلا حرقوص، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه: إنا خرجنا لوضع الحرب، وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونزاعهم، فردونا بالسلح وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة، أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه. فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استيسل قتلة أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير، والله سبحانه مقيده إن شاء الله. وكانوا كما وصف الله عز وجل، وإنا ناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به، فلنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا.

وبعثوا به مع يسار العجلي، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بني عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرض. وكتبوا إلى أهل اليمامة وعليها سبرة بن عمرو العبدي مع الحارث السدوسي. وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيري، فدسه إلى أهل المدينة.

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم: أما بعد فإني أذكركم الله عز وجل والإسلام، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه، اتقوا الله واعتصموا بمجبله، وكونوا مع كتابه، فإننا قدما البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبلنا من لا خير فيه بالسلح، وقالوا: لتبينكم عثمان، ليزيدوا الحدود تعطيلاً، فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر، فقرأنا عليهم: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾. فاذعن لي بعضهم، واختلفوا بينهم، فتركتهم وذلك، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلح في أصحابي، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني حتى منعني الله عز وجل بالصالحين فرد كيدهم إلى نحورهم، فمكثنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة

البصرة الزبير وطلحة، قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم علي، فإما بيته وإما صبحته، لعلي أقتله قبل أن يصل إلينا! فلم يجبه أحد، فقال: إن هذه هي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاه: أنسميها فتنة وتقاتل فيها! قال: ويحك! إنا نصبر ولا نصبر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبراً.

حدثني أحمد بن منصور، قال: حدثني يحيى بن معين، قال: حدثنا هشام بن يوسف، قاضي صنعاء، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن موسى بن عقبة، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت يا أبا محمد، أرى أحب المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلحيته على زورك، إن كرهت شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بن وقاص، بينا نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جيلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً، إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه. قال: قلت: فرد محمد بن طلحة، فإن لك ضيعة وعيلاً، فإن يك شيء يخلفك، فقال: ما أحب أن أرى أحداً يخف في هذا الأمر فامنع. قال: فأنيت محمد بن طلحة فقلت له: لو أقمت، فإن حدث به حدث كنت تخلفه في عياله وضييعته، قال: ما أحب أن أسأل الرجال عن أمره.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، قال: لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم، فانصرتنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، أما بعد: فإنا ابنك الخالص إن اعترلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك، وإلا فإنا أول من نابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين! أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه!.

### ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة

عما كتب به إلى السري، أن شعبياً حدثه، قال: حدثنا سيف، عن عبيدة بن متعب، عن يزيد الضخم، قال: لما أتى علياً الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم توجهوا نحو العراق،

وال على المدينة، وإن قتلتموني انتصر. فخلوا سبيله. واختلفوا في الصلاة، فأمرت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن الزبير فصلي بالناس، وأراد الزبير أن يعطي الناس أرزاقها ويقسم ما في بيت المال، فقال عبد الله ابنه: إن ارتزق الناس تفرقوا. واصطلحوا على عبد الرحمن بن أبي بكر، فصبروه إلى بيت المال.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن علي، عن أبي بكر الهذلي، عن الجارود بن أبي سبرة، قال: لما كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حنيف، وفي رحبة مدينة الرزق طعام يرتزقه الناس، فأراد عبد الله أن يرزقه أصحابه وبلغ حكيم بن جيلة ما صنع بعثمان، فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره، فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس، فأتى ابن الزبير مدينة الرزق، فقال: ما لك يا حكيم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام، وأن نخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علي، والله لو أجد أعواناً عليكم أخطبكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإن دماكم لنا لخالل بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عز وجل! ثم تستحلون سفك الدماء! قال: بدم عثمان بن عفان، قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان! أما تخافون مقت الله؟ فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرتزقكم من هذا الطعام، ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع علينا، قال حكيم: اللهم إنك حكم عدل فاشهد. وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء، فمن كان في شك فليصرف. وقاتلهم فاقتلوا قتالاً شديداً، وضرب رجل ساق حكيم فأخذ حكيم ساقه فرماه بها، فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حبا إليه فقتله وانكأ عليه، فمر به رجل فقال: من قتلك؟ قال: وسادتي، وقتل سبعون رجلاً من عبد القيس. قال الهذلي: قال حكيم حين قطعت رجله:

أقول لما جد بي زماعي للرجل يا رجلي لسن تراعي إن معي من نخلة ذراعي

قال عامر ومسلمة: قتل مع حكيم ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جيلة.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا المثني بن عبد الله، عن عوف الإعرابي، قال: جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة، فقال: نشدتكما بالله في مسيركما! أعهد إليكما فيه رسول الله ﷺ شيئاً فقام طلحة ولم يجبه، فنشد الزبير فقال: لا، ولكن بلغنا أن عندكم دارهم فجننا نشارككم فيها.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا سليمان بن أرقم، عن قتادة، عن أبي عمرة مولى الزبير، قال: لما بايع أهل

لسانك عما يجن ضميرك. فقتل معه بصفين رحمه الله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالوا: لما قدم علي الربيعة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، وكتب إليهم: إنني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخواناً، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه.

فمضى الرجلان وبقي علي بالربيعة يتهماً، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح، وأمر امره وقام في الناس فخطبهم، وقال: إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليتزغ بين هذه الأمة، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن. ثم عاد ثانية، فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعملتي، فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم ﷺ، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه، وارضوا بالله جل وعز رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما أراد علي الخروج من الربيعة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهما الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً. وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول. وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانقر بنا واسم بنا نحو الصوت  
لا وآلت نفسي إن هبت الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصاراً. فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح، والراية مع محمد بن الحنفية، وعلى اليمنة عبد الله بن عباس، وعلى اليسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد،

خرج يبادروا وهو يرجو أن يدركهم ويردهم، فلما انتهى إلى الربيعة أناه عنهم أنهم قد أمعنوا، فأقام بالربيعة أياماً، وأناه عن القوم أنهم يريدون البصرة، فسري بذلك عنه، وقال: إن أهل الكوفة أشد إلي حباً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم. فكتب إليهم: إنني قد اخترتكم على الأمصار وإنني بالاثرة.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن بشير بن عاصم، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: كتب علي إلى أهل الكوفة.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإني اخترتكم والتمسوا بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، فمن جأني ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن. قال: حدثنا حبان بن موسى، عن طلحة بن الأعمى وبشر بن عاصم، عن ابن ليلى، عن أبيه، قال: بعث محمد بن أبي بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون، فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج، فقال أبو موسى: أما سبيل الآخرة فإن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فإن تخرجوا، وأنتم أعلم. وبلغ المحمدين قول أبي موسى، فبايناه وأغلظا له، فقال: أما والله إن بيعة عثمان في عتقي وعتق صاحبكما الذي أرسلكما، إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان. وخرج علي من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فقالت أخت علي بن عدي من بني عبد العزى بن عبد شمس:

لاهم فاعقر بعلي جلته ولا تبارك في بعير جلته  
ألا علي بن عدي ليس له

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن أبي مخنف، عن غير بن وعله، عن الشعبي، قال: لما نزل علي بالربيعة أتته جماعة من طيء فقبل علي: هذه جماعة من طيء قد أتتك، منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يريد التسليم عليك، قال: جزى الله كلاً خيراً وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. ثم دخلوا عليه فقال علي: ما شهدتمونا به؟ قالوا: شهدناك بكل ما تحب، قال: جزاكم الله خيراً! فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتهم بصدقاتكم المسلمين. فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال: يا أمير المؤمنين، إن من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه، وإنني والله ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق، أما أنا فأنصح لك في السر والعلانية وأقاتل عدوك في كل موطن وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقربتك. قال: رحمك الله! قد أدى

بذي قار يتلوم محمداً ومحمداً، وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس وتزولهم بالطريق، فقال: عبد القيس خير ربيعة، في كل ربيعة خير. وقال:

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة الطيعة  
قد سبقتني فيهم الربيعة دعا علي دعوة سمعة  
حلوا بها المنزل الرفيعة

قال: وعرضت عليه بكرأ بن وائل، فقال لهم مثل ما قال لطئ وأسد.

ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين، وقاما في الناس بأمره، لم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجة على أبي موسى، فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: كان الرأي بالأمس ليس باليوم، إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ساترون، وما بقي إلّا هما أمران: القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا، فاخاروا. فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: واللّه إن بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبيكما، فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا. فانطلقا إلى علي فوافاه بذي قار وأخبراه الخبر، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة، فقال: علي: يا أشر، أنت صاحبا في أبي موسى والمعرض في كل شيء، اذهب أنت وعبد الله بن عباس فاصلح ما أفسدت.

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر، فقدموا الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة، فقال للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم، فجمع الناس فخطبهم وقال: يا أيها الناس، إن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين صحبه في المواطن أعلم بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وآله ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً فانا مؤديه إليكم. كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل، ولا تجترؤوا على الله عز وجل، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتدروهم إليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا، فاما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاعمدوا السيوف، وانصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم المضطهد حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن

وخرج علي وهو في سبعمائة وستين، وراجز علي يرجز به: سبروا أبابيل وحشوا السير إذ عزم السير وقولوا خيراً حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً نغزو بها طلحة والزبير وهو أمام أمير المؤمنين وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرساً كميئاً. فلتقاهم بفيد غلام من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة، فقال: من هؤلاء؟ فقليل: أمير المؤمنين، فقال: سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية، فسمعها علي فدعاه، فقال: ما اسمك؟ قال: مرة، قال: أمر الله عيشك، كاهن سائر اليوم؟ قال: بل عائف، فلما نزل بفيد أتته أسد وطيئ فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية. وقدم رجل من أهل الكوفة فيد قبل خروج علي فقال: من الرجل؟ قال: عامر بن مطر، قال: الليثي؟ قال الشيباني: قال: أخبرني عما وراك، قال: فأخبره حتى سأله عن أبي موسى، فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك. وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: واللّه ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا، قال: قد أخبرتك الخبر وسكت وسكت علي.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن أبي محمد، عن عبد الله بن عمير، عن محمد بن الحنفية، قال: قدم عثمان بن حنيف على علي بالريذة وقد تنفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، يعتني ذا لحية وجنتك أمرد، قال: أصبت أجراً وخيراً، إن الناس وليهم قبلي رجлан، فعمللا بالكتاب، ثم وليهم ثالث، فقالوا وفعلوا، ثم يابعنوني، وبابيعي طلحة والزبير، ثم نكتا بيعتي، وألبا الناس علي، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما علي، واللّه إنهما ليعلمان أنني لست بدون رجل ممن قد مضى، اللهم فاحل ما عقدا، ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأرهما المساء فيما قد عملا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ولما نزل علي الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه، فقام وأخبر القوم الخبر، وقال: اللهم عافني عما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين، وسلمنا منهم أجمعين. ولما انتهى إلى الإسناد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: الله أكبر، ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا ثارهما أو ينجيها! وقرأ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾. وقال:

دعا حكيم دعوة الزماع حل بها منزلة النزاع  
ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف، وليس في وجهه شعر، فلما رآه علي نظر إلى أصحابه فقال: انطلق هذا من عندنا وهو شيخ، فرجع إلينا وهو شاب. فلم يزل

سيروكم وقصدوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم. خلوا قريشاً - إذ أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة - ترتق فتقها، وتشعب صدعها، فإن فعلت فلا نفسها سعت، وإن أبت فعلى أنفسها منت سمنها تهريق في أدبها، استنصحنوني ولا تستغشوني، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقي بحر هذه الفتنة من جناها.

فقال زيد: فثال يده المقطوعة فقال: يا عبد الله بن قيس، رد الفرات عن دراجه، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك فسقدر على ما تريد، فذع عنك ما لست مدركه. ثم قرأ: ﴿إِلَمْ أَحْصِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكُوا﴾ إلى آخر الآيتين، سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق.

فقام القعقاع بن عمرو فقال: إنني لكم ناصح، وعليكم شفيق أحب أن ترشدوا ولا قولن لكم قولاً هو الحق، أما ما قال الأمير فهو الأمر لو أن إليه سيلاً، وأما ما قال زيد فزيد في الأمر فلا تستنصحوه، فإنه لا يتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى إليها، والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتزع المظلوم، وهذا علي يلي بما ولي، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع.

وقال سيحان: أيها الناس، إنه لا بد من هذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإننا سائرون معه. ولأن عمار بعد نزوته الأولى. فلما فرغ سيحان من خطبته تكلم عمار فقال: هذا ابن عم رسول الله ﷺ يستنفركم إلى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزبير، وإنني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه، فقال رجل: يا أبا اليقظان، هو مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له. فقال الحسن: أكف عنا يا عمار فإن للإصلاح أهلاً.

وقام الحسن بن علي، فقال بأيها الناس، أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهي أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم. فسامح الناس وأجابوا ورضوا به. وأتى قوم من طيء عدياً فقالوا: ماذا ترى وماذا تأمر؟ فقال: ننظر ما يصنع الناس، فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم، فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون

علي فارسله، فأرسل معه عمار بن ياسر فقال له: انطلق فأصلح ما أفسدت فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أول من أتاها مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، علام قتلتم عثمان ؓ؟ قال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا! فقال: والله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين. فخرج أبو موسى، فلقي الحسن فضمه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان أعدت فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجار! فقال: لم أفعل، ولم تسووني؟ وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي! ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب»، قد جعلنا الله عز وجل إخواننا وحرم علينا أموالنا ودماننا، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. وقال جل وعز: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾. فغضب عمار وسأه وقام وقال: يا أيها الناس، إنما قال له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً. وقام رجل من بني عيم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا، وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر وسكن الناس، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضي الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة، وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة: أما بعد، فنظروا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان ؓ.

فلما فرغ من الكتابة قال: أمرت بأمر وأمرنا بأمر، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به. فقام إليه شيب بن ربعي فقال: يا عماني - وزيد من عبد القيس عمان وليس من أهل البحرين - سرقت بجلولاء قطعك الله، وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله! ما أمرت إلا بما أمر الله عز وجل بالإصلاح بين الناس، فقلت: ورب الكعبة وتهأوى الناس. وقام أبو موسى فقال: أيها الناس، أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائم العرب يأوي إليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف، إنا أصحاب محمد ﷺ أعلم بما سمعنا، إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت بينت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور، فتسكن أحياناً فلا يدري من أين تؤتى تذو الخليم كابن أمس، شيموا

وناظرون.

إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويشطهم، يقول: أيها الناس، إن هذه فتنة عميةا صماء تطأ خطاها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب، إنها فتنة باقرة كداء البطن، أنتكم من قبل مأمنكم، تدع الحليم فيها حيران كابن أمس. إنا معاشر أصحاب محمد ﷺ أعلم بالفتنة، إنها إذا أقبلت شهت وإذا أدبرت أسفرت. وعمار يخاطبه والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك! وتنع عن منبرنا. وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال أبو موسى هذه يدي بما قلت، فقال له عمار: إنما قال لك رسول الله ﷺ هذا خاصة، فقال: «أنت فيها قاعدٌ خير منك قائماً»، ثم قال عمار: غلب الله من غالبه وجاحده.

قال نصر بن مزاحم: حدثنا عمر بن سعيد، قال: حدثني رجل، عن نعيم، عن أبي مريم الثقفي، قال: والله إني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبو موسى ويقول له ذلك القول، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون ينادون: يا أبا موسى، هذا الأشر قد دخل القصر فضرنا وأخرجنا فنزل أبو موسى، فدخل القصر، فصاح به الأشر: أخرج من قصرنا لا أم لك! أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المناقين قديماً، قال: أجلي هذه العشيّة، فقال: هي لك، ولا تبيتن في القصر الليلة. ودخل الناس يتهبون متاع أبي موسى، فمنهم الأشر وأخرجهم من القصر، وقال: إني قد أخرجته، فكف الناس عنه.

### نزول أمير المؤمنين ذا قار

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: لما التقوا بذي قار تلقاهم علي في أناس، فيهم ابن عباس فرحب بهم، وقال: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفرضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريتهم، فأغنيتهم حوزتكم، وأعتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويتهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدوننا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله..

فاجتمع بذي قار سبعة آلاف ومائتان، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي وأهل البصرة ينتظرون مرور علي بهم، وهم آلاف - وفي الماء ألفان وأربعمائة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد

وقام هند بن عمر، فقال: إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأكم.

وقام حجر بن عدي، فقال: أيها الناس أجيئوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً مروا، أنا أولكم. وقام الأشر فذكر الجاهلية وشدهتها، والإسلام ورخاءه، وذكر عثمان ﷺ، فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجميع العامري ثم البكائي، فقال: اسكت قبحك الله! كلب خلي والنباح، فثار الناس فأجلسوه.

وقام المقطع، فقال: إنا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحد من أمتنا، وإن علينا عندنا لمقتنع، والله لئن يكن هذا الضرب لا يرضى بعلي. فعرض امرؤ على لسانه في مشاهدنا، فأقبلوا على ما أحثاكم.

فقال الحسن: صدق الشيخ، وقال الحسن: أيها الناس، إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء وعلى كل سبع رجل أخذ البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة.

وفيما ذكر نصر بن مزاحم العطار، عن عمر بن سعيد، عن أسد بن عبد الله، عن أدرك من أهل العلم: أن عبد خير الخيواني قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع علياً؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثاً يحمل به من نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت، فأنا تاركوك حتى تدري! يا أبا موسى هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة؟ إنما بقي أربع فرق: علي بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة أخرى بالحجاز، لا يجيى بها فيء، ولا يقا تل بها عدو، فقال أبو موسى: أولئك خير الناس، وهي فتنة، فقال له عبد خير: يا أبا موسى، غلب عليك غشك.

قال: وقد كان الأشر قام إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين فلم أره أحكم شيئاً ولا قدر عليه، وهذان أخلق من بعثت أن ينشب بهم الأمر على ما تحب، ولست أدري ما يكون، فإن رايت - أكرمك الله - يا أمير المؤمنين أن تبعثني في أثرهم فإن أهل المصر أحسن شيء لي طاعة، وإن قدمت عليهم رجوت ألا يخالفني منهم أحد. فقال له علي: الحق بهم، فأقبل الأشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: اتبعوني إلى القصر، فانتهي

وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتبشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر. وذهاب هذا الثار، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزا، فأثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم. وإيم الله إنني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر، وليس كالأمر، ولا تقتل الرجل الرجل، ولا نفر الرجل، ولا القبيلة الرجل.

فقالوا: نعم، إذا قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر. فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.

وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بذي قار، فجاءت وفود تميم ويكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أي حال نهضوا إليهم، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح، ولا يخطر لهم قتال على بال. فلما لقوا عشائريهم من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائريهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيين مثل مقاتلتهم، وأدخلوهم على علي فأخبروه خبرهم، سأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير، فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له:

الا أبلغ بني بكر رسولا      فليس إلى بني كعب سبيل  
سيرجع ظلمكم منكم عليكم      طويل الساعدين له فضول  
وتمثل علي عندها:

الم تعلم أبا سمعان أنا      نرد الشيخ مثلك ذا الصداع!  
وينهل عقله بالحرب حتى      يقوم فيستجيب لغير داع  
فدافع عن خزاعة جمع بكر      وما بك يا سراقه من دفاع

قال أبو جعفر: أخرج إلي زياد بن أيوب كتاباً فيه أحاديث عن شيوخ ذكر أنه سمعها منهم، قرأ علي بعضها ولم يقرأ علي بعضها، فمما لم يقرأ علي من ذلك فكتبته منه، قال: حدثنا مصعب بن سلام التميمي، قال: حدثنا محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: رأيت فيما يرى النائم في زمان عثمان بن عفان أن رجلاً يلي أمور الناس مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأة، والناس يريدونه ويبهشون إليه، فلو نهتهم المرأة لانتهوا، ولكنها لم تفعل، فأخذوه فقتلوه. فكنيت أقص رؤيائي على الناس في الحضر والسفر، فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها! فلما قتل عثمان عليه السلام أتانا الخبر ونحن راجعون من

وطلحة بإسنادهما، قالوا: لما نزل علي ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، وأرسل الحسن بن علي وعماراً بعد ابن عباس والأشتر، فخف في ذلك الأمر جميع من كان نفر منه، ولم يقدم فيه الوجه أتباعهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم في البر ونصفهم في البحر، وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها. وكان على طاعته ملازماً للجماعة فكانوا أربعة آلاف، فكان رؤساء الجماعة: القعقاع بن عمرو وسعر بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب، وكان رؤساء النصار: زيد بن صوحان، والأشتر مالك بن الحارث، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمروا، منهم حجر بن عدي وابن عدوج البكري، وأشباههما لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم. فبادروا في الوقعة إلا قليلاً، فلما نزلوا على ذي قار دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: ألق هذين الرجلين يا ابن الخطيلة - وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله - فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الفرقة، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما عما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس، قال: فابعثني إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابان أم غالفان؟ قالوا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح. قالوا: قتلة عثمان عليه السلام، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياء للقرآن. فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف. واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلتت - يعني حرقوس بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتهموهم والذين اعتزلوكم فادبلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وأنتم أحيتم مضر وربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلناكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير. فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين،

غرانا، فقال أصحابنا: رؤياك يا كليب. فانتبهنا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلاً حتى قيل: هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين فراج ذلك الناس وتعجبوا، فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضباً لعثمان وتوبة عما صنعوا من خذلانه، وإن أم المؤمنين تقول غضبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمارة الفتى، وموقع الغمامة، وضربة السوط والعصا، فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جرّعوها إليه: حرمة الشهر، والبلد، والدم. فقال الناس: أفلم تبايعوا علياً وتدخلوا في أمره! فقالوا: دخلنا واللعج على أعناقنا. وقيل هذا علي قد أظلكم. فقال قومنا لي ولرجلين معي: انطلقوا حتى تأتوا علياً وأصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذي قد اختلط علينا، فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة، فقلت لصاحبي: أرايت المرأة التي كنت أحدثكم عنها أنها كانت عند رأس الرائي؟ فإنها أشبه الناس بهذا، ففطن أنا ونحوه فيه فلما انتهى إلينا قال: قفوا، ما الذي قلمت حين رأيتموني؟ فأبينا عليه، فصاح بنا وقال: والله لا تبرحوا حتى تخبروني، فدخلنا منه هيبة، فأخبرناه فجأوزنا وهو يقول: والله لقد رأيت عجباً، قلنا لأدنى أهل العسكر إلينا: من هذا؟ فقال: محمد بن أبي بكر، فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضي الله عنها، فإزدنا لأمرها كراهية، وانتبهنا إلى علي فسلمنا عليه، ثم سألناه عن هذا الأمر فقال: عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه، ثم ولوني وأنا كاره ولولا خشية على الدين لم أجيبهم، ثم طفق هذان في النكت فأخذت عليهما وأخذت عهدهما عند ذلك، وأذنت لهما في العمرة، فقدمنا على أمهما حليمة رسول الله ﷺ فرضيا لها ما رغبنا لنسائهما عنه، وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقاً، ولا يخرقوا جماعة.

ثم قال أصحابه: والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا إلا للإصلاح. فصاح بنا أصحاب علي: بايعوا بايعوا، فبايع صاحبي، وأما أنا فأمسكت وقلت: بعثني قومي لأمر، فلا أحدث شيئاً حتى أرجع إليهم. فقال علي: فإن لم يفعلوا؟ فقلت: لم أفعل، فقال: أرايت لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلال والماء، فحالوا إلى المعاطش والجذوبة ما كنت صانعاً؟ قال: قلت: كنت تاركهم إلى الكلال والماء، قال: فمد يدك، فوالله ما استطعت أن امتنع، فبسطت يدي فبايعته. وكان يقول: علي من أدهى العرب. وقال: ما سمعت من طلحة والزبير؟ فقلت: أما الزبير فإنه يقول: بايعنا كرهاً، وأما طلحة فمقبل على أن يتمثل الأشعار، ويقول:

ألا أبلغ بني بكر رسولاً فليس لي بني كعب سليل

سيرج ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول  
فقال: ليس كذلك، ولكن:

ألم تعلم أباسمعان أنسا نصم الشيخ مثلك ذا الصداع  
ويذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب لغير داع  
ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة، وقد خندق طليحة والزبير، فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة: ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون؟ فقلنا: يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالاً، فبينما هم على ذلك لا يجدون أنفسهم بغيره، إذ خرج صبيان العسكرين قسبوا ثم تراموا، ثم تتابع عبيد العسكرين، ثم ثلث السفهاء، ونشبت الحرب، وأجأتهم إلى الخندق، فاقتلوا عليه حتى أجلوا إلى موضع القتال، فدخل منه أصحاب علي وخرج الآخرون. ونادى علي: ألا لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تدخلوا الدور، ونهى الناس، ثم بعث إليهم أن خرجوا للبيعة، فبايعهم على الرايات وقال: من عرف شيئاً فليأخذه، حتى ما بقي في العسكرين شيء إلا قبض، فأنتهى إليه قوم من قيس شباب، فخطب خطيبهم، فقال: أين أمراؤكم؟ فقال: الخطيب: أصيبوا تحت نظار الجمل، ثم أخذ في خطبته، فقال علي: أما إن هذا هو الخطيب السحسح. وفرغ من البيعة، واستعمل عبد الله بن عباس وهو ريد أن يقيم حتى يحكم أمرها، فأمرني الأشتر أن أشتري له أثنى بعير بالبصرة ففعلت، فقال: انت به عائشة، وأقرتها منى السلام، ففعلت، فدعت عليه وقالت: اردده عليه، فأبلغته، فقال: تلومني عائشة أن أفلت ابن اختها!

وأناه الخبر باستعمال علي ابن عباس فغضب وقال: علام قتلنا الشيخ! إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لثقيف، والبصرة لعبد الله، والكوفة لعلي. ثم دعا بدابته فركب راجعاً. وبلغ ذلك علياً فنادى: الرحيل، ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه قد بلغه عنه وقال: ما هذا السير؟ سبقتنا! وخشى إن ترك والخروج أن يوقع في أنفس الناس شراً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم، جمع علي الناس، ثم قام على الغرائر، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ. وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الأشياء على أديارها، والله بالغ أمر،



تأخيره، فإننا عند الناس بشر المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا!.

وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم، إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يتمتع، ويشغل الله عالياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون. فأبصروا الرأي، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون.

وأصبح علي على ظهر، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم ومن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك، ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك، والناس متلاحقون به وقد قطعهم، ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل علي بحيث نزل، قام أبو الجرباء إلى الزبير ابن العوام فقال: إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيسوموا هذا الرجل ويصحبوه قبل أن يوافي أصحابه، فقال الزبير: يا أبا الجرباء، إنا لنعرف أمور الحرب، ولكنهم أهل دعوتنا، هذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم، هذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة، ومع ذلك إنه قد فارقنا وأفدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح، فأبشروا واصبروا. وأقبل صبرة بن شيمان فقال: يا طلحة، يا زبير، انتهزنا هذا الرجل فإن الرأي في الحرب خير من الشدة. فقالا: يا صبرة إنا وهم مسلمون، وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن، أو يكون فيه رسول الله ﷺ سنة، إنما هو حدث. وقد زعم قوم أنه لا ينبغي تحريكه اليوم. وهم علي ومن معه، قلنا: نحن لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره. فقال علي: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه، وهو كأم لا يدرك، وقد كاد أن يبين لنا، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها. وأقبل كعب بن سور فقال: ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم أوائلهم! أقطعوا هذا العنق من هؤلاء. فقالوا: يا كعب، إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا، وهو أمر ملتبس، لا والله ما أخذ أصحاب محمد ﷺ مذبح الله عز وجل نبيه طريقاً إلا علموا أين مواقع أقدامهم، حتى حدث هذا فإنهم لا يدرون أيقبلون هم أم مدبرون! إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا، فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم، وإننا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة، ثم يحتجون بها على أمثالها، ونحن نرجو الصلح إن أجابوا إليه وتموا، وإلا فإن آخر الدواء الكي.

وقام إلى علي بن أبي طالب أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان

ومصيب ما أراد. ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بن عفان بشيء في شيء، من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر، منهم علباء بن الهيثم، وعدى بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي بسير من سار، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا، فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القرم وشاموه، وإذا أروا قتلنا في أكثرهم! أنتم والله تراءدون، وما أنتم بأعجب من شيء. فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا وعلي فعلى دماننا، فهلما فلتتوا على علي فلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون.

فقال عبد الله بن السوداء: بش الرأي رأيت! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذى قار ألفان وخسمائة أو نحو من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمس آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سيلاً، فارقاً على ظلمك.

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتاكم فيه من تتقون به، وامتنعوا من الناس. فقال ابن السوداء: بش ما رأيت! ود والله الناس أنكم على جديلة، ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء. فقال عدي بن حاتم: والله ما رضيت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً، فإن أقدمتهم أقدمنا وإن أمستكم أحجمنا. فقال ابن السوداء: أحسنت!

وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك، والله لئن لقيتهم غداً لأرجع إلى بيتي، ولئن طال بقائي إذا أنا لا قيتهم لا يزد على جزر جزور. وأحلف بالله إنكم لتفرقون السيوف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف. فقال ابن السوداء: قد قال قولاً.

وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم

المنقري، فقال له علي: على الإصلاح وإطفاء النائرة، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حريهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم.

وقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال: أترى هؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً، قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً؟ قال: اني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قبله الله ومنهم إلا أدخله الله الجنة.

وقام إليه مالك بن حبيب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتزم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلتنا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاه.

وقام علي، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، املكوا أنفسكم، كفوا أيديكم والستكم عن هؤلاء القوم، فإنهم إخوانكم، واصبروا على ما يأتكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم.

ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها حتى إذا اطل على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتكم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر.

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين، قد منعوا حرقوص بن زهير، ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب. فقال: يا علي، إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسي نساءهم. فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تسول وكفر، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَفِرٍ﴾. إلا من تولى وكفر؟ وهم قوم مسلمون! هل أنت مغن عني قومك؟ قال: نعم، واخترمني واحدة من ثنتين، إما أن أكون أتيك فأكون معك بنفسي، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال: يال خندف، فأجاب ناس، ثم نادى يال غيم! فأجابه ناس، ثم نادى: يال سعد، فلم يبق سعدي إلا أجابه، فاعتزل بهم، ثم نظر ما يصنع الناس، فلما وقع القتال وظفر علي جاءوا وافرین، فدخلوا فيما دخل فيه الناس.

وأما الذي يرويه المحدثون من أمر الأحنف، فغير ما رواه

سيف عن ذكر من شيوخه. والذي يرويه المحدثون من ذلك ما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت حصينا يذكر عن عمرو بن جأوان، عن الأحنف بن قيس، قال: قدما المدينة ونحن نريد الحج، فإنا ليمنازلنا نضع رحالنا إذ أتانا أت فقال: قد فرعوا وقد اجتمعوا في المسجد، فانطلقا فإذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد، وإذا علي والزبير طلحة وسعد بن أبي وقاص، وإنا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان، فقيل: هذا عثمان قد جاء وعليه مليحة له صفراء قد قنع بها رأسه، فقال: أها هنا علي؟ قالوا: نعم، قال: أها هنا الزبير؟ قالوا: نعم؟ قال: أها هنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يتبع مريد بني فلان غفر الله له»، فابتعته بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفاً، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد ابتعته، قال: «اجعله في مسجدنا وأجره لك!» قالوا: اللهم نعم، وذكر أشياء من هذا النوع. قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: من تأمرني به وترضيه؟ فإني لا أرى هذا الرجل إلا مقتولاً، قال: علي؟ قلت: تأمرني به وترضيه؟ قال: نعم، فانطلقت حتى قدمت مكة، فبينا نحن بها إذ أتانا قتل عثمان ﷺ وبها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فلقيتها فقلت: من تأمرني أن أبايع؟ قالت: علي، قلت تأمرني به وترضيه؟ قالت: نعم، فمررت على علي بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى أهلي بالبصرة ولا أرى الأمر إلا قد استقام، قال: فبينا أنا كذلك، إذ أتاني أت فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريصة، فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان ﷺ، فأتاني أظفح أمر أتاني قط! فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد، وإن قتلي رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ قد أمروني ببيعته لشديد. فلما أتيتهم قالوا: جئنا لنستنصر على دم عثمان ﷺ، قتل مظلوماً، فقلت: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله أقلت لك: من تأمرني به؟ فقلت: علي؟ فقلت: تأمريني به وترضيه؟ قلت: نعم! قالت: نعم، ولكنه بدل فقلت: يا زبير يا حواري رسول الله ﷺ، يا طلحة، أشدكما الله، أقلت لكما: ما قرأني فقلتما علي؟ فقلت: تأمرني به وترضيه؟ قلت: نعم! قالوا: نعم ولكنه بدل، فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ولا أقاتل رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ، أمرموني ببيعته، اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال: إما أن أفتحوا لي الجسر فالحق بأرض الأعاجم حتى يقضي الله عز وجل من أمره ما قضى، أو الحق بمكة فأكون فيها حتى يقضي الله عز وجل من أمره ما قضى، أو اعتزل فأكون قريباً.

إلى أبي موسى: أما بعد، فقد كنت أرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يعجل الله عز وجل لك منه نصيباً سيمنعك من رد أمري، وقد بعث الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستفزان الناس، وبعث قرظة بن كعب واليا على مصر، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإني قد أمرته أن يباذلك، فإن نابذته فظفر بك أن يقطعك أرباً.

فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل، ودخل الحسن وعمار المسجد فقالا: أيها الناس، إن أمير المؤمنين يقول: إني خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإني أذكر الله عز وجل رجلاً رعى الله حقاً إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعاني، وإن كنت ظالماً أخذ مني، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني، وأول من غدر، فهل استأثرت بمال، أو بدلت حكماً! فانفروا، فمروا بمعروف وانها عن منكر.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو مخنف، عن جابر، عن الشعبي، عن أبي الطفيل، قال: قال علي: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل، فقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن بشير بن عاصم، عن ابن أبي ليلى، عن أبيه، قال: خرج إلى علي اثنا عشر ألف رجل، وهم أسباع: على قريش وكنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي، وسبع قيس عليهم سعد بن مسعود الثقفي، وسبع بكر بن وائل وتغلب عليهم وعله بن مخدوج النحلي، وسبع مذحج والأشعرين عليهم حجر بن عدي، وسبع بجيلة وأغار وخثعم والأزد عليهم مخنف بن سليم الأزدي.

### نزول علي الزاوية من البصرة

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن مسلمة بن محارب، عن قتادة، قال: نزل علي الزاوية وأقام أياماً، فأرسل إليه الأحنف: إن شئت أتيتك، وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف، فأرسل إليه علي: كيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال! قال: إن من الوفاء لله عز وجل قتالهم، فأرسل إليه: كف من قدرت على كفه. ثم سار علي من الزاوية، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله - أو عبد الله - بن زياد، فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مروحم العبدي: أن أخرج، فإذا خرجت فعمل بنا إلى عسكر علي. فخرجوا في عبد القيس وبكر بن وائل، فعدلوا إلى عسكر أمير المؤمنين، فقال الناس: من كان هؤلاء معه غلب، ودفع شقيق بن ثور رأيته إلى مولى له يقال له: رشاشة، فأرسل

قالوا: إنا نأتمر، ثم نرسل إليك. فاتمروا فقالوا: نفتتح له الجسر ونغيرهم بأخبارهم! ليس ذاكم برأي، اجعلوه ها هنا قريباً حيث تطلون على صماخه وتظرون إليه. فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين، فاعتزل معه زهاء على ستة آلاف.

ثم التقى القوم فكان أول قتيل طلحة عليه السلام، وكعب بن سور معه المصحف يذكر هؤلاء وهؤلاء، حتى قتل من قتل منهم، ولحق الزبير بسفوان، من البصرة كمكان القادسية منكم، فلقبه النعر، رجل من مجاشع، فقال: أين تذهب يا حواري رسول الله ﷺ? إلي فانت في ذمتي لا يوصل إليك، فأقبل معه، فأتى الأحنف خبره فقيل: ذاك الزبير قد لقي بسفوان فما تأمر؟ قال: جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيف، ثم يلحق بيته، فسمعه عمير بن جرموز وفضالة بن حابس، ونفيع، فركبوا في طلبه، فلقوه مع النعر، فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو على فرس له ضعيفة، فطعنه طعنة خفيفة، وحمل عليه الزبير وهو على فرس له يقال له: ذو الخمار، حتى إذا ظن أنه قاتله نادى عمير بن جرموز: يا نافع، يا فضالة، فحملوا عليه فقتلوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: معتمر بن سليمان، قال: بنى أبي، عن حصين، قال: حدثنا عمرو بن جأوان، رجل من بني تميم، وذاك أني قلت له: أرايت اعتزال الأحنف ما كان؟ فقال: سمعت الأحنف يقول: أتيت المدينة وأن حاج، فذكر نحوه. الحمد لله على ما قضى وحكم.

### بعثة علي بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستفروا له أهل الكوفة

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا بشير بن عاصم، عن ابن أبي ليلى، عن أبيه، قال: خرج هاشم ابن عتبة إلى علي بالربذة، فأخبره بقدم محمد بن أبي بكر وقول أبي موسى، فقال: لقد أردت عزله، وسألني الأشر أن أقره فرد علي هاشماً إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسى: إني وجهت هاشم ابن عتبة لينهض من قبلك من المسلمين إلي، فاشخص الناس فإني لم أولك الذي أنت به إلا لتكون من أعواني على الحق. فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك، قال: لكفي لا أرى ذلك. فكتب هاشم إلى علي: إني قد قدمت على رجل غال مشاق ظاهر الغل والشتان. وبعث بالكتاب مع الحل بن خليفة الطائي. فبعث علي الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستفزان له الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة، وكتب معه:

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة: فأرسل عمران بن حصين في الناس يخذل من الفريقين جميعاً، كما صنع الأحنف، وأرسل إلى بني عدي فيمن أرسل، فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم: ألا إن أبا نجيد عمران بن الحصين يقرنكم السلام، ويقول لكم: والله لأن أكون في جبل حضن مع أعنز خضر وضأن، أجز أصوافها، وأشرب البانها، أحب إلي من أن أرمي في شيء من هذين الصفيين بسهم، فقالت بنو عدي جميعاً بصوت واحد: إنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء. - يعنون أم المؤمنين.

حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا أبو نعام العدوي، عن حجير بن الربيع، قال: قال لي عمران بن حصين: سر إلى قومك أجمع مايكونون، فقم فيهم قائماً، فقل: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ، يقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو، لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعنزاً حضنيات في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إلي من أن يرمي بسهم واحد بين الفريقين، قال: فرغ شيوخ الحبي رؤوسهم إليه، فقالوا: إنا لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء أبداً.

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة: وأهل البصرة فرق: فرقة مع طلحة والزبير، وفرقة مع علي، وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين، وجاءت عائشة رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحدان في الأزدي، وكان القتال في ساحتهم، ورأس الأزدي يومئذ صبرة بن شيمان، فقال له كعب بن سور: إن الجمع إذا تراءوا لم تستطع، وإنما هي بحور تدفق، فأطعني ولا تشهدهم، واعتزل بقومك، فإني أخاف ألا يكون صلح، وكن وراء هذه النطفة، ودع هذين الغارين من مضر وربيعة، فهما أخوان، فإن اصطلحا فالصلح ما أردنا، وإن اقتتلا كنا حكاماً عليهم غداً - وكان كعب في الجاهلية نصرانياً - فقال صبرة: أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية، أتامرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا عليهم الصلح، وأدع الطلب بدم عثمان! لا والله لا أفعل ذلك أبداً، فأطبق أهل اليمن على الحضور.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضريس البجلي، عن ابن يعمر، قال: لما رجع الأحنف بن قيس من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو، فقال: ما رأيك؟ قال: الاعتزال، فما رأيك؟ قال: مكافئة أم المؤمنين، أفندعنا وأنت سيدنا! قال: إنما أكون سيدكم غداً إن قتلتي وبقيت، فقال هلال: هذا وأنت شيخنا! فقال: أنا الشيخ المعصي، وأنت الشاب

إليه وعله بن محدوج الذهلي: ضاعت الأحساب، دفعت مكرومة قومك إلى شراشة، فأرسل شقيق: أن أغن شأنك، فإننا نغني شأننا. فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال، يرسل إليهم علي، ويكلمهم ويردعهم.

حدثنا عمر، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن قتادة، قال: سار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة، وساروا من الغرضة يريدون علياً، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين يوم الخميس، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعلي: هذا الزبير، قال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكره وخرج طلحة، فخرج إليهما علي، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه، ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً. ألم أكن أخاكم في دينكما، نحرمان دمي وأحرم دماءكما! فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: ألبيت الناس على عثمان ﷺ، قال علي: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، يا طلحة، تطلب بدم عثمان ﷺ! فلعن الله قتلة عثمان. يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم، فظنرت إلي فضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «صه، إنه ليس به زهو، ولتقاتلته وأنت له ظالم؟» فقال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً.

فانصرف علي إلى أصحابه، فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقاتلكم، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله: جمعت بين هذين الغارين، حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب! أحسست رايات ابن أبي طالب، وعلمت أنها تحملها فتية أمجاد، قال: إني قد حلفت ألا أقاتله، وأحفظه ما قال له، فقال: كفر عن يمينك، وقاتله، فدعا بغلام له يقال له مكحول، فاعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي:

لم أر كاليوم أحسا إخواناً أمجب من مكفر الأيمان  
بالعتق في معصية الرحمن

وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارة لله عن يمينه  
والنكت قد لاح على جبينه

والعمور على عبد الله بن السوداء، وأهل هجر على ابن الأشج، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنور بن علي الزط والسياجة، وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف، وانضم إليه عشرة آلاف.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن بشير بن عاصم، عن فطر بن خليفة، عن منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية، قال: أقبلنا من المدينة بسبع مائة رجل، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف، وانضم إلينا من حولنا ألفان، أكثرهم بكر بن وائل، ويقال: ستة آلاف.

رجع الحديث إلى حديث محمد وطلحة: قالوا: فلما نزل الناس واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتواقفوا، وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر أخذ في الانقشاع، وأنه لا يدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

### أمر القتال

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالوا: بعث علي من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثهما من العشي محمد بن طلحة إلى علي، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا: نعم، فلما أمسوا - وذلك في جمادى الآخرة - أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين همضوا عثمان، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثله للعافية من الذي أشرفوا عليه، والتزوع عما اشتبهى الذين اشتبهوا، وركبوا مراكبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا إلى إنشأ الحرب في السر، واستسروا بذلك خفية أن يقطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مضربهم إلى مضربهم، وربيعهم إلى ربيعهم، وعيانيهم إلى عيانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجه أصحابهم الذين يهتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجه الناس من مضرب فبعثا إلى المينة، وهم ربيعة يعبونها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وثبتا في القلب، فقال: ما هذا؟ قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً فقالوا: قد علمنا أن علينا غير منته حتى يسفك الدماء، ويستحل الحرمه، وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة،

المطاع. فاتبعت بنو سعد الأحنف، فاعتزل بهم إلى وادي السباع، واتبعت بنو حنظلة هلالاً، واتبعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان، قال: لما أقبل الأحنف نادى: يا لأد، اعتزلوا هذا الأمر، وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه، فقام المنجاب بن راشد فقال: يال الرباب! لا تعتزلوا، واشهدوا هذا الأمر، وتولوا كيسه، ففارقوا. فلما قال: يال تميم، اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه، قام أبو الجرباء - وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم - فقال: يال عمرو، لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيسه. فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم، والمنجاب بن راشد على بني ضبة، فلما قال: يال زيد مناة، اعتزلوا هذا الأمر، وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قال هلال بن كيع: لا تعتزلوا هذا الأمر، ونادى: يال حنظلة، تولوا كيسه، فكان هلال على حنظلة، وطاوعت سعد الأحنف، واعتزلوا إلى وادي السباع.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان على هوازن وعلي بني سليم والأعجاز مجاشع بن مسعود السلمي، وعلي عامر زفر بن الحارث، وعلي غطفان أعصر بن النعمان الباهلي، وعلي بكر بن وائل مالك بن مسمع، واعتزلت عبد القيس إلى علي إلا رجلاً فإنه أقام، ومن بكر بن وائل قيام، واعتزل منهم مثل من بقي منهم، عليهم سنان، وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء: صبرة بن شيمان، ومسعود، وزباد بن عمرو، والشواذب عليهم رجلان: على مضر الخريت بن راشد، وعلي قضاة والتوابع الرعي الجرمي - وهو لقب - وعلي سائر اليمن ذو الآجرة الحميري.

فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة، في موضع قرية الأرزاق، فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم، وهم لا يشكون في الصلح، وعائشة في الحدان، والناس في الزابوقة، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً، وردوا حكيماً ومالكاً إلى علي، بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم. فخرجوا حتى قدما عليه بذلك، فارتحل حتى نزل عليهم بجيأهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعه إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه، وهم عشرون ألفاً، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذية وبكر على ابن الجارود،

خبر علي وطلحة والزبير وعائشة في سيرهم الذي نحن في ذكره في هذا الموضع. قال: وبلغ الخبر علياً - يعني خبر السبعين الذين قتلوا مع العبدى بالبصرة - فأقبل - يعني علياً - في اثني عشر ألفاً، فقدم بالبصرة، وجعل يقول:

يا لهف نفسي على ربيعه ربيعة السامعة المطيعه  
ستها كانت بها الوقيعه

فلما توافقوا خرج علي على فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال علي للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا، فقال علي: لست له أهلاً بعد عثمان! قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك، وعظم عليه أشياء، فذكر أن النبي ﷺ مر عليهما فقال لعلي: «ما يقول ابن عمك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم».

فانصرف عنه الزبير، وقال: فاني لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبد الله فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة، فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رايت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت، فجئت. فأخضه حتى أرعده وغضب، وقال: ويحك! إني قد حلفت له ألا أقاتله، فقال له ابنه: كفر عن يمينك بعثت غلامك سرجس، فأعنته، وقام في الصف معهم، وكان علي قال للزبير: أنطلب مني دم عثمان وأنت قتلت! سلط الله على أشدنا عليه اليوم مايكره. وقال علي: يا طلحة، جئت بعرض رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبات عرسك في البيت! أما بايعني! قال: بايعتك وعلى عني اللج، فقال علي لأصحابه: أيكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه، فإن قطعت يده أخذه بيده الأخرى، وإن قطعت أخذه بأسنانه؟ قال فتى شاب: أنا، فطاف علي على أصحابه يعرض ذلك عليهم، فلم يقبله إلا ذلك الفتى، فقال له علي: اعرض عليهم هذا، وقل: هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره، والله في دماننا ودمانكم. فحمل على الفتى وفي يده المصحف، فقطعت يده، فأخذه بأسنانه حتى قتل، فقال علي: قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم، فقتل يومئذ سبعون رجلاً، كلهم يأخذ بخنطام الجمل، فلما عقر الجمل وهزم الناس، أصابت طلحة رمية فقتلته، فیزعمون أن مروان بن الحكم رماه، وقد كان ابن الزبير أخذ بخنطام جمل عائشة، فقالت: من هذا؟ فأخبرها، فقالت: وإنكل أسماء! فخرج، فألقى نفسه في الجرحى، فاستخرج فبراً من جراحته، واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة، فضرب عليها فسطاط، فوقف علي عليها فقال: استغفرت الناس وقد فزوا، فألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً... في كلام كثير. فقالت عائشة: يا ابن أبي طالب، ملكك فأسج، نعم ما أبليت قومك اليوم! فسرحها علي، وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهزها، وأمر لها بأثني عشر ألفاً من المال، فاستقل ذلك

وقصف أهل البصرة، أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا رجالاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال: ذاك الرجل ما فجننا إلا وقوم منهم يبتونا، فرددناهم من حيث جاءوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمته: انت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: انت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير متهمين حتى يسفكا الدماء، ويستحلا الحرمه، وأنهما لن يطاوعانا، والسببه لا تفتّر إنشأياً. ونادى علي في الناس: أيها الناس، كفوا فلا شيء، فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتلوا حتى يبدؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويستحقون على الآخرين، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا. فكان لما اجتمع عليه الفريقان نادوا فيما بينهما.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي عمرو، قالوا: وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها، فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك. فركبت، وألبسوا هودجها الأذراع، ثم بعثوا جملها، وكان جملها يدعى عسكراً، حملها عليه يعلى بن أمية، اشتراه بمائتي دينار، فلما برزت من البيوت - وكانت بحيث تسمع الغوغاء - وقفت، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر، قالت: بخير أو بشر؟ قالوا: بشر. قالت: فاي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون. وهي واقفة، فوالله ما فجنها إلا الهزيمة، فمضى الزبير من سنته في وجهه، فسلك وادي السباع، وجاء طلحة سهم غرب يخل ركبته بصفحة الفرس، فلما امتلأ موزجه دمًا وثقل قال لغلامه: أردني وأمسكني، وابغني مكاناً أنزل فيه، فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير:

فإن تكن الحوادث أقصدتني وأخطاهن سهمي حين أرمي  
فقد ضيعت حين تبعت سهماً سفاهاً ما سهفت وضل حلمي  
ندمت ندامة الكسعي لما شريت رضا بني سهم يرغمي  
أطعتهم بفرقة آل لأي فآلقوا للسباع دمي ولحمي

### خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

قال أبو جعفر: وأما غير سيف فإنه ذكر من خبر هذه الوقعة وأمر الزبير وانصرافه عن الموقف الذي كان فيه ذلك اليوم غير الذي ذكر سيف عن صاحبيه، والذي ذكر من ذلك بعضهم ما حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي أبو خيثمة، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، في قصة ذكرها من

بشير بن عاصم، عن الحجاج بن أرطاة، عن عمار بن معاوية الدهني - حي من أحسن بجيلة - قال: أخذ علي مصحفاً يوم الجمل، فطاف به في أصحابه، وقال: من يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتىٌ من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو، فقال: أنا، فأعرض عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا، فدفعه إليه، فدعاهم فقطعوا يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدرة والدماء تسيل على قبائه، فقتل ﷺ، فقال علي: الآن حل قتالهم، فقالت أم الفتى بعد ذلك فيما تراثي:

لا هم إن مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم  
وأهم قائمة تراهم ياتمرون النسي لا تنهاهم  
قد خضبت من علق لحاهم

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو مخنف، عن جابر، عن الشعبي، قال: حملت ميمنة أمير المؤمنين على مسرة أهل البصرة، فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة رضي الله عنها أكثرهم ضبة الأزرد، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب العصر، ويقال: إلى أن زالت الشمس، ثم انهزموا، فنادى رجل من الأزرد: كروا، فضربه محمد بن علي فقطع يده، فنادى: يا معشر الأزرد فروا، واستحر القتل بالأزرد، فنادوا: نحن على دين علي بن أبي طالب، فقال رجل من بني ليث بعد ذلك:

سائل بنا يوم لقينا الأزرد والخيل تعدوا أشقراً ووردا  
لما قطعنا كبههم والزندا سحقاً لهم في رأيهم وبعدا

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: حمل عمار على الزبير يوم الجمل، فجعل يحوزه بالرمح، فقال: أتريد أن تقتلني؟ قال: لا، انصرف، وقال عامر بن حفص: أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح، فقال: أتقتلني يا أبا البقطان؟ قال: لا يا أبا عبد الله.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن محمد وطلحة: قالوا: ولما انهزم الناس في صدر النهار، نادى الزبير: أنا الزبير هلموا إلي أيها الناس، ومعه مولى له ينادي: أعن حواري رسول الله ﷺ تنهزمون! وانصرف الزبير نحو وادي السباع، واتبه فرسان، وتشاغل الناس عنه بالناس، فلما رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم، ففرق بينهم، فكروا عليه فلما عرفوه قالوا: الزبير! فدعوه، فلما نفر فيهم عباءة بن الهيثم، ومر القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول: إلي عباد الله، الصبر الصبر! قال له: يا أبا محمد، إنك

عبد الله بن جعفر، فأخرج لها مالا عظيماً، وقال: إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي. وقتل الزبير، فزعموا أن ابن جرموز هو الذي قتله، وأنه وقف بباب أمير المؤمنين، فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزبير، فقال علي: ائذن له، وبشره بالنار.

حدثني محمد بن عمار، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا فضيل، عن سفيان بن عقيبة، عن قرعة بن الحارث، عن جون بن قتادة. قال قرعة بن الحارث: كنت مع الأحنف بن قيس، وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام، فحدثني جون بن قتادة، قال: كنت مع الزبير ﷺ، فجاء فارس يسير - وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة - فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أر قوماً أرث سلاحاً، ولا أقل عدداً، ولا أربع قلوباً من قوم أتوك، ثم انصرف عنه. قال: ثم جاء فارس فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: وعليك السلام، قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله عز وجل لكم من العدد والعدة والحد، فقتل الله في قلوبهم الرعب، فولوا مدبرين، قال الزبير: أيها عنك الآن، فوالله لولم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدب إلينا فيه، ثم انصرف ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: هؤلاء القوم قد أتوك، فلكيت عماراً فقلت له وقال لي، فقال الزبير: إنه ليس فيهم، فقال: بلى والله إنه فيهم، قال: والله ما جعله الله فيهم، فقال: والله لقد جعله الله فيهم. قال: والله ما جعله الله فيهم، فلما رأى الرجل يخالفه قال لبعض أهله: اركب فانظر: أحق ما يقول! فركب معه، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلاً، ثم رجعا إلينا، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك؟ قال: صدق الرجل، قال الزبير: يا جدد أنفاه - أو يا قطع ظهراه؟ - قال محمد بن عمار: قال عبيد الله: قال فضيل: لا أدري أيهما قال - ثم أخذه أفكل، فجعل السلاح يتنفض، فقال جون: نكلتني أمي، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه، أو أعيش معه، والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله ﷺ. فلما تشاغل الناس انصرف جون فجلس على دابته، فلحق بالأحنف ثم فأنصرف فجلس على دابته فلحقه بالأحنف، ثم جاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه، فنزلا فأتيا فأكبا عليه، ففاجياه ساعة، ثم انصرفا. ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف، فقال: أدركته في وادي السباع فقتلته، فكان يقول: والذي نفسي بيده إن صاحب الزبير الأحنف.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا

عائشة، فاقتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة، وتزاحف الناس، فهزمت يمن البصرة عن الكوفة، وربيعة البصرة ربيعة الكوفة، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة، وقال: إن الموت ليس منه فوت، يدرك الهارب، ولا يترك المقيم.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو عبد الله القرشي، عن يونس بن أرقم، عن علي بن عمرو الكندي، عن زيد بن حساس، قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: دفع إلي أبي الراية يوم الجمل، وقال: تقدم، فتقدمت حتى لم أجد مقدماً إلا علي رمح، قال: تقدم لا أم لك! فتكاسات وقلت: لا أجد مقدماً إلا علي سنان رمح، فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو فنظرت فإذا أبي بين يدي وهو يقول:

أنت التي غرك مني الحسنى يا عيش إن القوم قوم أعدا  
الحفض خبر من قتال الأبناء

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: اقتتل الجنبان حين تزاحفا قتلاً شديداً، يشبه ما فيه القلبان، واقتل أهل اليمن، فقتل على أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة، كلما أخذها رجل قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها، فثبتت في يده وهو يقول:

قد عشت يا نفس وقد غنيت دهرأ فقطك اليوم ما بقيت  
أطلب طول العمر ما حييت

وإنما تمثلها وهو قول الشاعر قبله. وقال ثمران بن أبي ثمران الحمداني:

جردت سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم والمرد  
كل طويل الساعدين نهد

وأقبلت ربيعة، فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد، وصرع صعصعة، ثم سيحان، ثم عبد الله بن ربيعة بن المغيرة، ثم أبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول: اللهم أنت هديتنا من الضلالة، واستفقدتنا من الجهالة، وابتليتنا بالفتنة، فكنا في شبهة وعلى ربيعة، حتى قتل، ثم الحصين بن معبد بن النعمان، فأعطاها ابنه معبد، وجعل يقول: يا معبد، قرب لها بوها تحذب، فثبتت في يده.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما رأت الكماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا في عسكر عائشة وعسكر علي: يا أيها الناس، طرفوا إذا فرغ الصبر، ونزع النصر. فجعلوا يتوجنون الأطراف: الأيدي

لجريح، وإنك عما تريد لعليل، فادخل الأبيات، فقال: يا غلام، ادخلني وابغني مكاناً. فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان، فاقتل الناس بعده، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة. فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا، وعادوا إلى أمر جديد، ووقفت ربيعة البصرة، منهم ميمنة ومنهم ميسرة، وقالت عائشة: خل يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً. وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلي من خلفهم يزعمهم ويأبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، ورموا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بني البقية البقية - ويعلو صوتها كثرة - الله الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو.

وضج أهل البصرة بالدعاء، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم. وأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث: اثبتا مكانكما، وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرها، ولا يكشفون عن الناس، فازدلفت مضر البصرة، فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم علي، فنخس علي قفا محمد، وقال: احمل، فنكل، فأهوى علي إلى الراية ليأخذها منه، فحمل، فترك الراية في يده وحملت مضر الكوفة، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والجنبات على حالها، لا تصنع شيئاً، ومع علي أقوام غير مضر فعنهم زيد بن صوحان، فقال له رجل من قومه: تنح إلى قومك، مالك ولهذا الموقف! ألسنت تعلم أن مضر بجيالك، وأن الجمل بين يديك، وأن الموت دونه! فقال: الموت خير من الحياة، الموت ما أريد، فأصيب وأخوه سيحان، وارث صعصعة، واشتدت الحرب. فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة: أن اجتمعوا على من يليكم، فقام رجل من عبد القيس فقال: ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل، قالوا: وكيف يدعوننا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه، ومن قتل داعي الله كعب بن سورا فرمته ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه، وقام مسلم بن عبد الله العجلي مقامه، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار، وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه وذهب فيه الزبير فلما أروا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، ذمرتهم



وحمله أصحابه، فارتث بعد، فأتي به علي، فأمر بضرب عنقه. ولما أصيب ابن يثربي ترك ذلك العدوي الزمام، ثم خرج فنادى: من يبارز؟ فخنس عمار، وبرز إليه ربيعة العقيلي - والعدوي يدعى عمرة بن بجرة، أشد الناس صوتاً، وهو يقول:

يا أمنا أعق أم نعلم      والأم تغلغو ولداً وترحم  
الا ترين كم شجاع يكلم      وتختلي منه يد ومعصم!  
ثم اضطربا، فأتخن كل واحد منهما صاحبه، فماتا.

وقال عطية بن بلال: ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث، من بني ضبة، فقام مقدم العدوي، فما رأينا رجلاً قط أشد منه، وجعل يقول:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل      نعى ابن عفان بأطراف الأسل  
الموت أحلى عندنا من العسل      ردوا علينا شيخنا ثم يحل

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا الحسن، عن الفضل بن محمد، عن عدي بن أبي عدي، عن أبي رجاء العطاردي، قال: إني لأنظر إلى رجل يوم الجمل وهو يقلب سيفاً بيده كأنه مخراق، وهو يقول:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل      نازل الموت إذا الموت نزل  
والموت أشهى عندنا من العسل      نعى ابن عفان بأطراف الأسل  
ردوا علينا شيخنا ثم يحل

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن الفضل الضبي، قال: كان الرجل وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن الهذلي، قال: كان عمرو بن يثربي يحضض قومه يوم الجمل، وقد تعاوروا الخطام يرتجزون:

نحن بني ضبة لا نفر      حتى نرى جهاجاً تخمر  
يخر منها العلق الأحمر

يا أمنا يا عيش لن تراعي      كل بينك بطل شجاع  
يا أمنا يا زوجة النبي      يا زوجة المبارك المهدي  
حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة. وقتل يومئذ عمرو بن يثربي علباء بن الهيثم السدوسي، وهند بن عمرو الجملي، وزيد بن صوحان وهو يرتجز ويقول:

أضربهم ولا أرى أبا حسن      كفى بهذا حزناً من الحزن  
إنما الأمر إمرار الرسن

فزع الهذلي أن هذا الشعر تمثّل به يوم صفين. وعرض عمار لعمرو بن يثربي - وعمار يومئذ ابن تسعين سنة، عليه فرو قد شد وسطه بجمل من ليف - فبدره عمرو بن يثربي فنحى له

والأرجل، فما رثت وقعة قط قبلها ولا بعدها، ولا يسمع بها أكثر بدأ مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها، لا يدرى من صاحبها. وأصيب يد عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيبت شيء من أطرافه استقتل إلى أن يقتل.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية بن بلال، عن أبيه، قال: اشتد الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب، حتى لزقت به، ولزقت ميسرة البصرة بقلبيهم، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبيهم، وإن كانوا إلى جنبهم، وفعل مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة، فقالت عائشة - رضي الله عنها - لمن عن يسارها: من القوم؟ قال صبرة بن شيمان: بنوك الأزدي، قالت: يال غسان! حافظوا اليوم جلاذكم الذي كنا نسمع به، وتمثلت:

وجالد من غسان أهل حافظها      وهنب وأوس جالدت وشيب  
وقالت لمن عن يمينها: من القوم؟ قالوا: بكر بن وائل، قالت: لكم يقول القائل:

وجاءوا إلينا في الحديد كأنهم      من العزة القعاء بكر بن وائل  
إنما يبارزكم عبد القيس. فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك، وأقبلت على كتيبة بين يديها، فقالت: من القوم؟ قالوا: بنو ناجية، قالت: بخ بخ! سيوف أبطحية، وسيوف قرشية، فجالدوا جلاذاً يتفادى منه. ثم أطافت بها بنو ضبة، فقالت: وبها جمرة الجمرات! حتى إذا رقاو خالطهم بنو عدي، وكثروا حولها، فقالت: من أنتم؟ قالوا: بنو عدي، خالطنا إخواننا، فقالت: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي، فأقاموا رأس الجمل، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير، ولا يعدلون بالتطريف، حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعاً راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يصرع، وأرزت مجنبتا علي فصارنا في القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً. وتلاقوا جميعاً بقلبيهم، وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز، وادعى قتل علباء بن الهيثم وزيد بن صوحان وهند بن عمرو، فقال:

أنا لمن يكرني ابن يثربي      قاتل علباء وهند الجملي  
وابن لصوحان على ديس علي

فناداه عمار: لقد لعمري لذت بحريز، وما إليك سبيل، فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إلي، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي، فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه، فاتقاه عمار بدركته، فضربه فانتشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، فخرج عمار إليه لا يملك من نفسه شيئاً، فأسف عمار لرجليه فقطعهما، فوقع على استه،

دركته فنتشب سيفه فيها، ورماه الناس حتى صرع وهو يقول:  
إن تقتلونني فأنا ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي  
ثم ابن صوحان على دين علي  
وأخذ أسيراً حتى انتهى به إلى علي، فقال: استبقي. فقال:  
أبعد ثلاثة تقبل عليهم بسيفك تضرب به وجوههم! فأمر به  
فقتل.

وحدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو  
مخنف، عن إسحاق بن راشد، عن عباد بن عبد الله بن الزبير،  
عن أبيه، قال: مشيت يوم الجمل وبي سبع وثلاثون جراحة من  
ضربة وطعنة، وما رأيت مثل يوم الجمل قط، ما ينهزم منا أحد،  
وما نحن إلا كالجلجل الأسود، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلا قتل،  
فأخذ عبد الرحمن بن عتاب فقتل، فأخذه الأسود بن أبي  
البخري فصرع، وجئت فأخذت بالخطام، فقالت عائشة: من  
أنت؟ قلت: عبد الله بن الزبير. قالت: وانكل أسماء! ومر بي  
الأشتر، فعرفته فعانقته، فسقطنا جميعاً، وناديت: «اقتلونني  
ومالكاً»، فجاء ناس منا ومنهم، فقاتلوا عنا حتى نحاجزنا، وضاع  
الخطام، ونادى علي: اعقروا الجمل، فإنه إن عقر نفرقوا، فضربه  
رجل فسقط، فما سمعت صوتاً قط أشد من عجيج الجمل.

وأمر علي محمد بن أبي بكر فضرب عليها قبة، وقال:  
انظر، هل وصل إليها شيء؟ فأدخل رأسه، فقالت: من أنت؟  
ويلك! فقال: أبغض أهلك إليك، قالت: ابن الخنمية؟ قال:  
نعم، قالت: بأبي أنت وأمي! الحمد لله الذي عافاك.

وحدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال:  
سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قال علقمة: قلت للأشتر: قد  
كنت كارهاً لقتل عثمان رضي الله عنه، فما أخرجك بالبصرة؟  
قال: إن هؤلاء بايعوه، ثم نكثوا - وكان ابن الزبير هو  
الذي أكره عائشة على الخروج - فكنت أدعو الله عز وجل أن  
يلقيني، فلقيني كفة لكفة، فما رضيت بشدة ساعدي أن قمت في  
الركاب فضربت على رأسه فصرعه.

قلنا فهو القاتل: «اقتلونني ومالكاً؟» قال: لا، ما تركته وفي  
نفسي منه شيء، ذلك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، لقيني  
فاختلنا ضربتين، فصرعني وصرعته، فجعل يقول: «اقتلونني  
ومالكاً»، ولا يعلمون من مالك، فلو يعلمون لقتلوني.

ثم قال أبو بكر بن عياش: هذا كتابك شاهده.  
وحدثني به المغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قلت  
للأشتر: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني  
سليمان، قال: حدثني عبد الله عن طلحة بن النضر عن عثمان

وحدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن أبي ليلى، عن  
دينار بن العيزار، قال: سمعت الأشتر يقول: لقيت عبد الرحمن  
بن عتاب بن أسيد، فلقيت أشد الناس وأروغه، فعانقته، فسقطا  
إلى الأرض جميعاً، فنادى: اقتلونني ومالكاً.

وحدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن، عن ابن أبي ليلى، عن  
دينار بن العيزار، قال: سمعت الأشتر يقول: رأيت عبد الله بن  
حكيم بن حزام معه راية قریش، وعدي بن حاتم الطائي وهما  
يتصاولان كالفحلين، فتعاورناه فقتلناه - يعني عبد الله - فطعن  
عبد الله عدياً ففقا عينه.

وحدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن، عن أبي مخنف، عن  
عمه محمد بن مخنف، قال: حدثني عدة من أشياخ الحي كلهم  
شهد الجمل، قالوا: كانت راية الأزدي من أهل الكوفة مع مخنف  
بن سليم، فقتل يومئذ، فتناول الراية من أهل بيته الصقعب  
وأخوه عبد الله بن سليم، فقتلوه، فأخذها العلاء بن عروة، فكان  
الفتح، وهي في يده، وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع  
القاسم بن مسلم، فقتل وقتل معه زيد بن صوحان وسيحان بن

صوحان، وأخذ الراية عدة منهم فقتلوا، منهم عبد الله بن ربيعة، وراشد. ثم أخذها منقذ بن النعمان، فدفعها إلى ابنه مرة بن منقذ، فانقضى الأمر وهي في يده، وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل، كانت مع الحارث بن حسان بن خوط الذهلي، فقال أبو العرفاء الرقاشي: أبق على نفسك وقومك، فأقدم وقال: يا معشر بكر بن وائل، إنه لم يكن أحد له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم، فانصروه، فأقدم، فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة إخوة له، فقال له يومئذ بشر بن خوط وهو يقاتل:

أنا ابن حسان بن خوط وأبي رسول بكر كلها إلى النبي  
وقال ابنه:

أنعى الرئيس الحارث بن حسان لآل ذهل ولاك شيان  
وقال رجل من ذهل:

تعى لنا خير امرئ من عدنان عند الطعان ونزال الأقتران  
وقتل رجال من بني محدوج، وكانت الرياسة لهم من أهل الكوفة، وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: يا أخي، ما أحسن قتالنا إن كنا على حق! قال: فإننا على حق، إن الناس أخذوا بيننا وشمالاً، وإنما تمسكنا بأهل بيت نبينا، فقاتلنا حتى قتلنا. وكانت رياسة عبد القيس من أهل البصرة - وكانوا مع علي - لعمر بن مرحوم، ورياسة بكر بن وائل لشقيق بن ثور، والراية مع شراشة مولاة، ورياسة الأزدي من أهل البصرة - وكانوا مع عائشة - لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي - فيما حدثني عامر بن حفص، ويقال للبصرة بن شيمان الحداني - والراية مع عمرو بن الأشرف العتكي، فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو ليلى، عن أبي عكاشة الهمداني، عن رفاعة البجلي، عن أبي البخري الطائي، قال: أطافت ضبة الأزدي بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزدي يأخذون بعرجل الجمل فيفتونه ويشمون، ويقولون: بعرجل أمنا ريح المسك، ورجل من أصحاب علي يقاتل ويقول:

جردت سيفي في رجال الأزدي أضرب في كهولهم والمرد  
كل طويل الساعدين نهدي

وماج الناس بعضهم في بعض، فصرخ صارخ: اعقروا الجمل، فضربه بجير بن دلجة الضبي من أهل الكوفة، فقبل له: لم عقرتة؟ فقال: رأيت قومي يقتلون، فنفخت أن يفنوا، ورجوت إن عقرتة أن يبقى لهم بقية.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا الصلست بن دينار، قال: انتهى رجل من بني عقيل إلى كعب بن سور -

رحمه الله - وهو مقتول، فوضع زج رجمه في عينيه، ثم خضخضه، وقال: ما رأيت مالأ قط أحكم نقداً منك.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا عوانة، قال: اقتتلوا يوم الجمل يوماً إلى الليل، فقال بعضهم:

شفى السيف من زيد وهند نفوسنا شفاءً ومن عيني عدي بن حاتم صبرنا لهم يوماً إلى الليل كله  
بصم القنا والمرهفات الصوامر  
وقال ابن صامت:

يا ضب سيري فإن الأرض واسعة على شمالك إن الموت بالقاع  
كبيرة كشعاع الشمس إذ طلعت لها أسي إذا ماسال دفاع  
إذا نقيم لكم في كل معترك بالشرية ضرباً غير يسداع

حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا روح بن عباد، قال: حدثنا روح، عن أبي رجاء، قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أذنه، قلت: أخلقه، أم شيء أصابك؟ قال: أحذثك، بينا أنا أمشي بين القتلى يوم الجمل، فإذا رجل يفحص برجله، وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم نصرف إلا ونحس رواء  
أطعنا قريشاً ضلة من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناء  
قلت: يا عبد الله قل لا له إلا الله، قال: ادن مني، ولقني فإن في أذني قرأ، فدنوت منه فقال لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من الكوفة، فوثب علي، فاصطمم أذني كما ترى، ثم قال: إذا لقيت أمك فاخبرها أن عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا الفضل الراوية وعامر بن حفص وعبد المجيد الأسدي، قالوا: جرح يوم الجمل عمير بن الأهلب الضبي، فمر به رجل من أصحاب علي وهو في الجرحى، فقال له عمير: ادن مني، فدنا منه، فقطع أذنه، وقال عمير بن الأهلب:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم نصرف إلا ونحس رواء  
لقد كان عن نصر ابن ضبة أمه وشيعتها مندوحة وغناء  
أطعنا بني تميم بن مرة شقوة وهل تيم إلا أعبد وإماء!

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المقدم الحارثي، قال: كان منا رجل يدعى هانيء بن خطاب، وكان ممن غزا عثمان، ولم يشهد الجمل، فلما سمع بهذا الرجز - يعني رجز القائل:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل

في حديث الناس، نقض عليه وهو بالكوفة:

أبت شيوخ مذبح وهمدان ألا يردوا نعلناً كما كان  
خلقاً جديداً بعد خلق الرحمن

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلاحم قبل التقدم!  
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبع الحق يندم

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤله يومئذ: هل لك في العود؟ فلم يجبه. فقال: يا أشتر، بعضنا أعلم بقتال بعض منك. فحمل القعقاع، وإن الزمام مع زفر بن الحارث، وكان آخر من أعقب في الزمام، فلا والله ما بقي من بني عامر يومئذ شيخ إلا أصيب قدام الجمل، فقتل فيمن قتل يومئذ ربيعة جد إسحاق بن مسلم، وزفر يرتجز ويقول:

يا أمنا يا عيش لن تراعي كل بنيك بطل شجاع  
ليس بوهام ولا براعي

وقام القعقاع يرتجز ويقول:

إذا وردنا أجناً جهرناه ولا يطاق ورد ما منعناه  
تمثلها غملاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زفر بن الحارث، فزحف إليه القعقاع، فلم ير حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب، يتسرعون إلى الموت، وقال القعقاع: يا مجير بن دلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين، فقال يا لضبة، يا عمرو بن دلجة، ادع بي إليك، فدعا به، فقال: أنا آمن حتى أرجع؟ قال: نعم. قال: فاجتث ساق البعير، فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير. وقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون. واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير، وحملوا الهودج فوضعه، ثم أطافا به، وتعار من وراء ذلك من الناس.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: لما أمسى الناس وتقدم علي أحبط بالجمل ومن حوله، وعقره مجير بن دلجة، وقال: إنكم آمنون، كف بعض الناس عن بعض. وقال علي في ذلك حين أمسى والخمس عنهم القتال:

إليك أشكو عجري ومجري ومعشراً غشوا علي بصري  
قتلت منهم مضراً بمضري شفيت نفسي وقلت معشري

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال: قال طلحة يومئذ: اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى، فجاء سهم غرب وهو واقف، فخل ركبته بالسراج، وثبت حتى امتلا موزجه دماً، فلما ثقل قال لمولاه: اردني وابني مكاناً لا أعرف فيه، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً مني. فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول: قد قلحنا القوم، حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة، وأنزله في

عطية عن أبيه، قال: جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول:  
أسمع أنت مطيع لعلي من قبل أن تذوق حد المشرفي  
وخاذل في الحق أزواج النبي أعرف قوماً لست فيه بعني  
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: كانت أم المؤمنين في حلقة من أهل النجدات والبصائر من أفناء مضر، فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها، وكان لا يأخذ إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لها: أنا فلان بن فلان، فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه، وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت، ثم لم يعد، ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم فحمل عليه، ففقتت عينه ونكل، فجاء الأشتر فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لأقطع منزوف فاعتقه، ثم جلد به الأرض عن دابته، فاضطرب تحته، فأفلت وهو جريض.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول: أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين، فجاء عبد الله بن الزبير، فقالت حين لم يتكلم: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله، أنا ابن أختك، قالت: واتكل أسماء! - تعني أختها - وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم، فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقتله الأشتر، ومشى إليه عبد الله بن الزبير، فضربه الأشتر على رأسه، فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وخرأ إلى الأرض يعتركان، فقال عبد الله بن الزبير: أقتلوني ومالكاً.

وكان مالك يقول: ما أحب أن يكون قال: «والأشتر» وأن لي حر النعم. وشد أناس من أصحاب علي وأصحاب عائشة فافترقا، وتنفذ كل واحد من الفريقين صاحبه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل، فقال: يا أمنا، مريني بأمرك. قالت: أمرك أن تكون كخير بني آدم إن تركت. قال: فحمل فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول: «حم لا ينصرون»، واجتمع عليه نفر، فكلهم ادعى قتله: المكعب الأسدي، والمكعب الضبي، ومعاوية بن شداد العبسي، وعغان بن الأشقر النصري، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول قائله منهم:

واشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم  
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً للبيسن وللفسم

فيها، فمات في تلك الحربة، ودفن ﷺ في بني سعد.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن البخري العبدى، عن أبيه قال: كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة، ونصف الناس يوم الوقعة، وكانت تعيبتهم مضر ومضر، وربيعه وربيعه، واليمن واليمن، فقال بنو صوحان: يا أمير المؤمنين، ائذن لنا نقف عن مضر، ففعل، فأتى زيد فقبل له: ما يوقفك حيال الجمل وبجبال مضر! الموت معك وبإزائك، فاعتزل إلينا، فقال: الموت نريد. فأصيبوا يومئذ، وأفلت صعصعة من بينهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، قال: كان رجل منا يدعى الحارث، فقال يومئذ: يال مضر، علام يقتل بعضكم بعضاً! تبادرون لا ندرى إلا أنا إلى قضاء، وما تكفون في ذلك.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن جرير، قال: حدثني الزبير بن الخريت، قال: حدثني شيخ من الحرميين يقال له أبو جبير، قال: مررت بكعب بن سور وهو أخذ بخطام جمل عائشة رضي الله عنها يوم الجمل، فقال: يا أبا جبير، أنا والله كما قالت القائلة:

بني لا تبين ولا تقاتل

فحدثني الزبير بن الخريت، قال: مر به علي وهو قتل، فقام عليه فقال: والله إنك - ما علمت - كنت لصلبياً في الحق، قاضياً بالعدل، وكيت وكيت، فأثنى عليه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن صعصعة المزني أو عن صعصعة - عن عمرو بن جأوان، عن جرير بن أشرس، قال: كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح، فلم يفجأها إلا الناس، فأحاطت بها مضر، ووقف الناس للقتال، فكان القتال نصف النهار مع عائشة. وعلي... كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلي فبدر بين الصنفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم، وأعطى درعه فرمى بها تحتها، وأتى بترسه فتكبه، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه ﷺ، ولم يهلوه أن شدوا عليهم، والتحم القتال، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن كثير، عن أبيه، قال: أرسلني مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينا، فرشقوه - كما صنع القلب بكعب - رشقاً واحداً، فقتلوه، فكان أول من قتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها، فقالت أم مسلم تراثيه:

لا هم إن مسلماً أتاها مستسلماً للموت إذ دعاهم  
إلى كتاب الله لا يخشاهم فرملوه من دم إذ جأهم  
وأهمهم قائمة تراههم يأترون الغي لا تنهاهم

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم بن شريك، عن أبيه، عن جده، قال: لما انهزمت مجنبتا الكوفة عشية الجمل، صاروا إلى القلب - وكان ابن يثربي قاضي البصرة قبل كعب بن سور، فشاهدهم هو وأخوه يوم الجمل، وهما عبد الله وعمرو، فكان واقفاً أمام الجمل على فرس - فقال علي: من رجل يحمل على الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو المرادي، فاعترضه ابن يثربي فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربي، ثم حمل سيحان بن صوحان فاعترضه ابن يثربي، فاختلفا ضربتين، فقتله ابن يثربي، ثم حمل علباء بن الهيثم، فاعترضه ابن يثربي، فقتله، ثم حمل صعصعة فضربه، فقتل ثلاثة أجهز عليهم في المعركة: علباء، وهند، وسيحان، وارثت صعصعة وزيد، فمات أحدهما، وبقي الآخر.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: أخذ الخطام يوم الجمل سبعون رجلاً من قریش، كلهم يقتل وهو أخذ بالخطام، وحمل الأشر فاعترضه عبد الله بن الزبير، فاختلفا ضربتين، ضربه الأشر فأمه، وواتيه عبد الله، فاعتقه فخر به، وجعل يقول: «اقتلونني ومالكاً» - وكان الناس لا يعرفونه بمالك، ولو قال: «والأشر»، وكانت له ألف نفس ما نجا منها شيء - وما زال يضطرب في يدي عبد الله حتى أفلت، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يعد. وجرح يومئذ مروان وعبد الله بن الزبير.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدثني محمد بن أبي يعقوب وابن عون، عن أبي رجاء، قال: قال يومئذ عمرو بن يثربي الضبي، وهو أخو عميرة القاضي:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل نزل بالموت إذا الموت نزل  
وزاد ابن عون - وليس في حديث ابن أبي يعقوب:

القتل أحلى عندنا من العسل تنعي ابن عفان بأطراف الأسل  
ردوا علينا شيخنا ثم يحمل

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن داود بن أبي هند، عن شيخ من بني ضبة، قال: ارتجز يومئذ ابن يثربي: أنا لمن أنكرني ابن يثربي قتال علباء وهند الجملي  
وابن لصوحان على دين علي

وقال: من يبارز؟ فبرز له رجل، فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وارتجز وقال:

الجمل، فما مررت بدار الوليد قط، فسمعت أصوات القصارين يضربون إلا ذكرت قتالهم.

حدثني عيسى بن عبد الرحمن المروزي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، قال: حدثنا يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن مسلم، عن عيسى بن حطاب قال: حاص الناس حيصة، ثم رجعنا وعائشة على جمل أحر، في هودج أحر، ما شبهته إلا بالقتف من النبل.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثني ابن عرون، عن أبي رجاء، قال: ذكروا يوم الجمل فقلت: كاني أنظر إلى خدر عائشة كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل، فقلت لأبي رجاء: أقاتلت يومئذ؟ قال: والله لقد رميت بأسهم فما أدري ما صنعن.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن راشد السلمي، عن ميسرة أبي جميلة، أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل، فقطعوا غرضة الرحل، واحتملا الهودج، فتحياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد، قال: أدخلاهما البصرة، فأدخلاه دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: أمر علي نقرأ بجمل الهودج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير، فوضعهما إلى جنب البعير، فأقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه نفر، فأدخل يده فيه، فقالت: من هذا؟ قال: أخوك البر، قالت: عقوق. قال عمار بن ياسر: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه؟ قالت: من أنت؟ قال: أنا ابنك البار عمار، قالت: لست لك بأم، قال: بلى، وإن كرهت. قالت: فخرتم أن ظفرتم، وأتيتم مثل ما نقمتم، هيهات، والله لن يظفر من كان هذا دأبه. وأبرزوها بهودجها من القتلى، ووضعوها ليس قربها أحد، وكان هودجها فرخ مقصب مما فيه من النبل، وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعي حتى أطلع في الهودج، فقالت: إليك لعنك الله! فقال: والله ما أرى إلا حبراء، قالت: هتك الله سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك! فقتل بالبصرة وسلب، وقطعت يده، ورمي به عرباناً في خربة من خربات الأزد، فانتهى إليها علي، فقال: أي أمه، يغفر الله لنا ولكم، قالت: غفر الله لنا ولكم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم بن شريك، عن أبيه، عن جده، قال: انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار، فقطع الأنساع عن الهودج، واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال: أخوك محمد، فقالت: مذمم، قال: يا أخية، هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك؟ قال: فمن

أقتلهم وقد أرى علياً ولو أشاء أوجرتة عميراً فبرز له عمار بن ياسر، وإنه لأضعف من بارزه، وإن الناس ليسترجعون حين قام عمار، وأنا أقول لعمار من ضعفه: هذا والله لاحق بأصحابه، وكان قضيماً، حمش الساقين، وعليه سيف مماثله تشف عنه قريب من إبطه، فيضربه ابن يثربي بسيفه، فنشب في حجفته، وضربه عمار وأوهطه، ورمى أصحاب علي ابن يثربي بالحجارة حتى أثنخوه وارتثوه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن حماد البرجمي، عن خارجة بن الصلت، قال: لما قال الضبي يوم الجمل: نحن بني ضبة أصحاب الجمل تنمي ابن عفان بأطراف الأسل ردوا علينا شيخنا ثم يحل

قال عمير بن أبي الحارث:

كيف نرد شيخكم وقد قحل نحن ضربنا صدره حتى انخفل! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: عقر الجمل رجل من بني ضبة يقال له: ابن دلجة - عمرو أبو مجير - وقال في ذلك الحارث بن قيس - وكان من أصحاب عائشة:

نحن ضربنا ساقه فانخدلا من ضربة بالفر كانت فيصلا لو لم نكون للرسول ثقلاً وحرمة لا قسموها عجلاً وقد غل ذلك المثني بن حرملة من أصحاب علي.

## شدة القتال يوم الجمل وخير أعين بن ضبيعة وإطلاعه في الهودج

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن نورة، عن أبي عثمان، قال: قال القعقاع: ما رأيت أشبه بشيء شيئاً من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين، لقد رأيتنا ندافعهم بأستنا ونتكئ على أزجتنا، وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم.

حدثني عيسى بن عبد الرحمن المروزي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين العزني، قال: حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، عن سليمان بن قرم، عن الأعمش، عن عبد الله بن سنان الكاهلي، قال: لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيتم، وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم، حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت، ثم قال علي: السيوف يا أبناء المهاجرين. قال الشيخ: فما دخلت دار الوليد إلا ذكرت ذلك اليوم.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا أبو فقيم، قال: حدثنا فطر، قال: سمعت أبا بشير قال: كنت مع مولاي زمن

أنت؟ قال: عصمة بن أبير. قالوا: نعم، قال: فأنتم في جوارى إلى الحول، فمضى بهم، ثم حماهم وأقام عليهم حتى برؤوا، ثم قال: اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه، قالوا: الشام، فخرج بهم في أربعمئة راكب من تيم الرباب، حتى إذا غلوا في بلاد كلب بدومة قالوا: قد وفيت ذمتك وذمهم، وقضيت الذي عليك فارجع، فرجع. وفي ذلك يقول الشاعر:

وفي ابن أبير والرماح شوارع بكأبي العاصي وفاء مذكراً  
وأما ابن عامر فإنه خرج أيضاً مشجعاً، فتلقاه رجل من بني حرقوص يدعى مرياً، فدعاه للجوار، فقال: نعم فأجاره وأقام عليه، وقال: أي البلدان أحب إليك؟ قال: دمشق، فخرج به في ركب من بني حرقوص حتى بلغوا دمشق. وقال حارثة بن بدر - وكان مع عائشة، وأصيب في الوقعة ابنه أو أخوه زراع:

أناني من الأنباء أن ابن عامر أناخ وألقى في دمشق المراسيا  
وأوى مروان بن الحكم إلى أهل بيت من عترة يوم الهزيمة، فقال لهم: أعلموا مالك بن مسمع بمكاني، فأتوا مالكاً فأخبروه بمكانه، فقال لأخيه مقاتل: كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يعلمنا مكانه؟ قال: ابعث ابن أخي فأجره، والتمسوا له الأمان من علي، فإن آمنه فذاك الذي نحب وإن لم يؤمنه خرجنا به وبأسافنا، فإن عرض له جالدينه دونه بأسافنا، فما أن نسلم، وإما أن نهلك كراماً. وقد استشار غيره من أهله من قبل في الذي استشار فيه مقاتلاً، فنهاه، فأخذ برأي أخيه، وترك رايهم، فأرسل إليه فأنزله داره، وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك، وقال: الموت دون الجوار وفاء، وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد، واتفقوا به عندهم، وشرفوه بذلك، وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزد يدعى وزيراً، وقال: أنت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني، وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبي بكر، فأتى عائشة رضي الله عنها فأخبرها، فقالت: علي بمحمد، فقال: يا أم المؤمنين، إنه قد نهاني أن يعلم به محمد، فأرسلت إليه فقالت: اذهب مع هذا الرجل حتى تحيطني بابن أختك، فانطلق معه فدخل بالأزدي على ابن الزبير، قال: جئتك والله بما كرهت، وأبت أم المؤمنين إلا ذلك، فخرج عبد الله ومحمد وهما يتشاققان، فذكر محمد عثمان فشمه وشم عبد الله محمداً حتى انتهى إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف - وكان عبد الله بن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة، وقتل عثمان أخوه مع علي - وأرسلت عائشة في طلب من كان جريحاً فضمت منهم ناساً، وضمت مروان فيمين ضمت، فكانوا في بيوت الدار.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وغشي الوجوه عائشة وعلي في عسكره، ودخل

إذاً الضلال؟ قالت: بل الهداة، وانتهى إليها علي، فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك. قالت: ولك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة، فانزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية ابنة الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف.

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، في قول الواقدي.

### مقتل الزبير بن العوام

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، ومضى الزبير عليه السلام حتى مر بعسكر الأحنف، فلما رآه وأخبر به قال: والله ما هذا بخيار، وقال للناس: من يأتينا بخبره؟ فقال عمرو بن جرموز لأصحابه: أنا، فأتبعه فلما لحقه نظر إليه الزبير - وكان شديد الغضب - قال: ما وراءك؟ قال: إنما أردت أن أسالك، فقال غلام للزبير يدعى عطية كان معه: إنه معد، فقال: ما يهلك من رجل! وحضرت الصلاة، فقال ابن جرموز: الصلاة، فقال الزبير: الصلاة، فزلا، واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جريان درعه - وقتله، وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه، وخلقى عن الغلام، فدفنه بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر.

فأما الأحنف فقال: والله ما أدري أحسنت أم أسأت! ثم انحدر إلى علي وابن جرموز معه، فدخل عليه، فأخبره، فدعا بالسيف، فقال: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بذلك إلى عائشة، ثم أقبل على الأحنف فقال: تربصت، فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، فافرق فإن طريقك الذي سلكت بعيده، وأنت إلي غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني، واستصف مودتي لغد، ولا تقولن مثل هذا، فإني لم أزل لك ناصحاً.

### من انهزم يوم الجمل فاخفى ومضى في البلاد

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة، وقتله ابن جرموز، قالوا: وخرج عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة، قد شجعوا في البلاد، فلقوا عصمة بن أبير التيمي، فقال: هل لكم في الجوار؟ قالوا: من

زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الفوغاء، هذا العابد المجتهد. وصلى على قتلاهم من أهل البصرة، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا مدنيين ومكيين، ودفن علي الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء، ثم بعث به إلى مسجد البصرة، أن من عرف شيئاً فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزانة عليه سمة السلطان، فإنه لما بقي لم يعرف، خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل، لا يحمل مسلم من مال المسلم المتوفي شيء، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل من السلطان.

### عدد قتلى الجمل

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مضر ألفان، وخمسمائة من قيس، وخمسمائة من تميم، وألف من بني ضبة، وخمسمائة من بكر بن وائل. وقيل: قتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف. قالوا: وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخاً، كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدي.

### دخول علي على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن

تناولها

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ودخل علي البصرة يوم الاثنين، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث تختمرة تبكي، فلما رآته قالت: يا علي، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتسم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه! فلم يرد عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها، وقعد عندها، وقال لها: جهنتنا صفية، أما إنني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال: أما هممت - وأشار إلى الأبواب من الدار - أن

القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل، فسلم عليها، فقالت: إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يدي وارتخزا بكذا، فهل تعرف كوفيك منهما؟ قال: نعم، ذاك الذي قال: «أعق أم نعلم»، وكذب والله، إنك لأبر أم نعلم، ولكن لم تطاعي. فقالت: والله لو ددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وخرج فأتى علياً فأخبره أن عائشة سألته، فقال: ويحك! من الرجلان؟ قال: ذلك أبو هالة الذي يقول:

كيما أرى صاحبه علياً

فقال: والله لو ددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، فكان قولهما واحداً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وتسلسل الجرحى في جوف الليل، ودخل البصرة من كان يطبق الانبيات منهم، وسألت عائشة يومئذ عن عدة من الناس، منهم من كان معها، ومنهم من كان عليها، وقد غشيها الناس، وهي في دار عبد الله بن خلف، فكلما نعي لها منهم واحد قالت: يرجمه الله، فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ: «فلان في الجنة، وفلان في الجنة». وقال علي بن أبي طالب يومئذ: أني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نفى قلبه إلا أدخله الله الجنة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي أيوب، عن علي، قال: ما نزل على النبي ﷺ آية أفرح له من قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، فقال ﷺ: «ما أصاب المسلم في الدنيا من مصيبة في نفسه فبذنب، وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر، وما أصابه في الدنيا فهو كفارة له وعفو منه لا يعتد عليه فيه عقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه، والله أعظم من أن يعود في عفوه».

### توَّجَع علي على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في

#### العسكر والبعث به إلى البصرة

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وأقام علي بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندب الناس إلى موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنهم، فطاف علي معهم في القتلى، فلما أتى بكعب بن سور قال: زعمتم إنما خرج معهم السفهاء، وهذا الخبر قد ترون. وأتى علي عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم - يقول الذي كانوا يطيفون به - يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه، ورضوا به لصلاتهم. وجعل علي كلما مر برجل فيه خير قال:



## سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن راشد، عن أبيه، قال: كان من سيرة علي ألا يقتل مدبراً ولا يذفد على جريح، ولا يكشف سترأ، ولا يأخذ مالا، فقال قوم يومئذ: ما يحل لنا دماءهم، ويحرم علينا أموالهم؟ فقال علي: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإن لكم في خسه لغنى، فيومئذ تكلمت الخوارج.

## بعثة الأشتر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من

## البصرة إلى مكة

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: لما فرغوا يوم الجمل أمرني الأشتر فانطلقت فاشتريت له جلا بسبعمئة درهم من رجل من مهرة، فقال: انطلق به إلى عائشة فقل لها: بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث، وقال: هذا عوض من بعيرك، فانطلقت به إليها، فقلت: مالك يقرئك السلام ويقول: إن هذا البعير مكان بعيرك، قالت: لا سلم الله عليه، إذ قتل يعسوب العرب - تعني ابن طلحة - وصنع بابن أخي ما صنع! قال: فرددته إلى الأشتر، وأعلمته، قال: فأخرج ذراعين شعراوين، وقال: أرادوا قتلي فما أصنع!

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة، وانصرف مروان والأسود بن أبي البخري إلى المدينة من الطريق، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة.

## ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله

## بالكوفة

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة.

من عبد الله علي أمير المؤمنين. أما بعد، فإننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخرية - فناء من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا ثمانية بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا صوحان، ومحدوج.

وكتب عبيد الله بن رافع. وكان الرسول زفر بن قيس إلى

أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه - وكان أناس من الجرحى قد لجئوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم - فسكتت. فخرج علي، فقال رجل من الأزد: والله لا تغفلنا هذه المرأة. فغضب وقال: صه! لا تهتكن سترأ، ولا تدخلن دارأ، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد عرض لمرأة فأنكل به شرار الناس. ومضى علي، فلحق به رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، قام رجلان من لقيت على الباب، فتناولوا من هو أمض لك شتيمة من صفية. قال: ويحك! لعلها عائشة. قال: نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

جزيت عنا أمنا عقوقا

وقال الآخر:

يا أمنا توبي فقد خطيت

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال: أضرب أعناقهما، ثم قال: لأنهنكهما عقوبة. فضربهما مائة مائة، وأخرجهما من ثيابهما.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي الكنود، قال: هما رجلان من أزد الكوفة يقال لهما عجل وسعد ابنا عبد الله.

## بيعة أهل البصرة علياً وقسمة

## ما في بيت المال عليهم

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: بايع الأحف من العشي لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد، ثم دخلوا جميعاً البصرة، فبايع أهل البصرة على راياتهم، وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة، فلما رجع مروان لحق بمعاوية. وقال قائلون: لم يرح المدينة حتى فرغ من صفين.

قال: ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستانة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل منهم خمسمئة خمسمئة، وقال: لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشام مثلها إلى أعطيائكم. وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي من وراء وراء.

الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة.

تجهيز علي عليه السلام عائشة

رضي الله عنها من البصرة

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا عن خروج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعهم، وقالت: يا بني، تعجب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتد أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمانها، وإنه عندي على معتبي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب ست وثلاثين، وشيعة علي أميالا، وسرح بنيه معها يوماً.

ما روي من كثرة القتل يوم الجمل

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن عطية الحارساني، عن سعيد القطعي، قال: كنا نتحدث أن قتل الجمل يزيدون على ستة آلاف.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن صالح، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدثني الزبير بن الخريت، عن أبي لبيد لمازة بن زياد، قال: قلت له: لم تسب علياً؟ قال: ألا أسب رجلاً قتل منا ألفين وخمسمائة، والشمس ها هنا! قال جرير بن حازم: وسمعت ابن أبي يعقوب يقول: قتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة، ألف وثلثمائة وخمسون من الأزد وثمانمائة من بني ضبة، وثلثمائة وخمسون من سائر الناس.

وحدثني أبي، عن سليمان، عن عبد الله، عن جرير، قال: قتل المعرض بن علاط يوم الجمل، فقال أخوه الحجاج:

لم أر يوماً كان أكثر ساعياً بكف شمال فارقتها يمينها قال معاذ: وحدثني عبد الله، قال: قال جرير: قتل المعرض بن علاط يوم الجمل، فقال أخوه الحجاج:

لم أر يوماً كان أكثر ساعياً بكف شمال فارقتها يمينها

أخذ علي البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكر

وكان في البيعة: عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكونن لسلمنا سلماً، ولحربنا حرباً، ولتكفن عنا لسانك ويدك. وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة، قعد. وكان في بيت نافع بن الحارث، وجاء عبد الرحمن بن أبي بكر في المستأمنين مسلماً بعدما فرغ علي من البيعة، فقال له علي: وعملك المترص المقاعد بي! فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنه لك لواد، وإنه على مسرتك لحريص، ولكنه بلغني أنه يشكي، فأعلم لك علمه ثم آتيت. وكنت علياً مكانه حتى استأمره، فأمره أن يعلمه فأعلمه، فقال علي: امش أمامي فاهدني إليه، ففعل، فلما دخل عليه قال: تقاعدت عني، وتربصت - ووضع يده على صدره، وقال: هذا وجع بين - فاعتذر إليه زياد، فقبل عذره واستشاره. وأراد علي البصرة، فقال: رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس، فإنه أجدر أن يطمننوا أو يتقادوا، وسأفقيه وأشير عليه. فافترقا على ابن عباس، ورجع علي إلى منزله.

تأمر ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج

وأمر ابن عباس على البصرة، وولى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع منه، فكان ابن عباس يقول: استشرته عند هنة كانت من الناس، فقال: إن كنت تعلم أنك على الحق، وأن من خالفك على الباطل، أشرت عليك بما ينبغي، وإن كنت لا تدري، أشرت عليك بما ينبغي كذلك. فقلت: إنني على الحق، وإنهم على الباطل، فقال: اضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك، فإن كان أعز للإسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه. فاستكثته، فلما ولي رأيت ما صنع، وعلمت أنه قد اجتهد لي رأيه، وأعجلت السبئية علياً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه، وقد كان له فيها مقام.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: علم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نسر مر بما حول المدينة، معه شيء متعلقه، فتأمله الناس فوق، فإذا كف فيها خاتم، «نقشه عبد الرحمن بن عتاب»، وجفل من بين مكة والمدينة من أهل البصرة، من قرب من البصرة أو بعد، وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النور من الأيدي والأقدام.

## ما قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، عن سليمان، قال: حدثني عبد الله عن جرير بن حازم، قال: سمعت أبا يزيد المدني يقول: قال عمار بن ياسر لعائشة - رضي الله عنها - حين فرغ القوم: يا أم المؤمنين، ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك! قالت: أبو اليقظان! قال: نعم، قالت: والله إنك - ما علمت - قوال بالحق، قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك.

آخر حديث الجمل

بعثة علي بن أبي طالب قيس بن سعد بن عباد  
أميراً على مصر

وفي هذه السنة - أعني سنة ست وثلاثين - قتل محمد بن أبي حذيفة، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر، أقام بمصر وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وضبطها، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل عثمان رضي الله عنه، وبويع لعلي، وأظهر معاوية الخلاف، وبإيعه على ذلك عمرو بن العاص، فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر، فجالجا دخول مصر، فلم يقدر على ذلك، فلم يزالا يجذعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل، فتحصن بها، وجاءه عمرو فنصب المتجنين عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله.

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر أن أبا غنم لوط بن يحيى بن سعيد بن غنم بن سليم، حدثه عن محمد بن يوسف الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج، عن عباس بن سهل الساعدي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذي كان سرب المصريين إلى عثمان بن عفان، وإنهم لما ساروا إلى عثمان فحصره وثب هو بمصر على عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي القرشي، وهو عامل عثمان يومئذ على مصر، فطرده منها، وصلى بالناس فخرج عبد الله بن سعد من مصر، فنزل على تخوم أرض مصر عما يلي فلسطين، فانتظر ما يكون من أمر عثمان، فطلع راكب فقال: يا عبد الله، ما وراءك؟ خبرنا بخبر الناس خلفك، قال: أفعل، قتل المسلمون عثمان رضي الله عنه، فقال عبد الله بن سعد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، يا عبد الله، ثم صنعوا ماذا؟ قال: ثم بايعوا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، قال عبد الله بن سعد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، قال له الرجل: كان ولاية علي بن أبي طالب عدلت عندك قتل عثمان! قال: أجل. قال:

فنظر إليه الرجل، فتأمله فعرفه وقال: كائنك عبد الله بن أبي سرح أمير مصر! قال: أجل، قال له الرجل: فإن كان لك في نفسك حاجة فالتجاء التجاء، فإن رأي أمير المؤمنين فيك وفي أصحابك سيئ، إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين، وهذا بعدي أمير يقدم عليك. قال له عبد الله: ومن هذا الأمير؟ قال: قيس بن سعد بن عباد الأنصاري، قال عبد الله بن سعد: أبعد الله محمد بن أبي حذيفة! فإنه بنى على ابن عمه، وسعى عليه، وقد كان كفله ورباه وأحسن إليه، فأساء جواره، ووثب على عماله، وجهاز الرجال إليه حتى قتل، ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان، لم يتمتع بسلطان بلاده حولا ولا شهراً، ولم يره لذلك أهلاً، فقال له الرجل: انج بنفسك، لا تقتل. فخرج عبد الله بن سعد هارباً حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان دمشق.

قال أبو جعفر: فخير هشام هذا يدل على أن قيس بن سعد ولي مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي.

وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب على مصر قيس بن سعد بن عباد الأنصاري، فكان من أمره ما ذكر هشام بن محمد الكلبي، قال: حدثني أبو غنم، عن محمد بن يوسف بن ثابت، عن سهل بن سعد، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه وولي علي بن أبي طالب الأمر، دعا قيس بن سعد الأنصاري فقال له: سر إلى مصر فقد وليتها، وأخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى يأتياها ومعك جند، فإن ذلك أرفع لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمت إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشتد على المريب، وارقق بالعامه والخاصة، فإن الرفق يمن.

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد فهمت ما قلت، أما قولك: أخرج إليها بجند، فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتياها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدع ذلك الجند لك، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة لك، وأنا أصير إليها بنفسي وأهل بيتي. وأما ما أوصيتني به الرفق والإحسان، فإن الله عز وجل هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر، فصعد المنبر، فجلس عليه، وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرأ على أهل مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم،

أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلتك. فبعث إليه مسلمة: إنني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

قال: وكان قيس بن سعد له حزم ورأى، فبعث إلى الذي يخرّبنا: إنني لا أكرهكم على البيعة، وأنا أدعكم وأكف عنكم. فهادنهم وهادن مسلمة بن غنم، وجبى الخراج، ليس أحد من الناس يتنازعه.

قال: وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام، خافه أن يقبل إليه علي في أهل العراق، ويقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر، فيقع معاوية بينهما.

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد - وعلي بن أبي طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين.

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد. سلام عليك، أما بعد، فإنكم إن كنتم نعتهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه في أثره رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتمة رجل، أو في تسييره آخر، أو في استعماله الفتي، فإنكم قد علمتم - إن كنتم تعلمون - أن دمه لم يكن يحل لكم، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجتتم شيئاً إذاً، فتب إلى الله عز وجل يا قيس بن سعد. فإنك كنت في المجلبين على عثمان بن عفان - إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً - فاما صاحبك فإننا استيقنا أنه الذي أغرى به الناس، وحملهم على قتله حتى قتلوه، وإنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل. تابنا على أمرنا، ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسلي غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أوتيته، واكتب إلي برايك فيما كتبت به إليك. والسلام.

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبيدي له أمره، ولا يتعجل له حربه، فكتب إليه.

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان، وذلك أمر لم أقارفه، ولم أطف به. وذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان، ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا ما لم أطلع عليه، وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتي. وأما ما سألتني من متابعتك وعرضت علي من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله، والمستجار الله عز وجل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فإني أهد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره، اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل عليهم السلام إلى عبادة، وخص به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته. ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين، عملاً بالكتاب والسنة، وأحسن السيرة، ولم يعدوا السنة، ثم توافها الله عز وجل، رضي الله عنهما. ثم ولي بعدهما وال فحدث أحداثاً، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا. ثم نعموا عليه فغيروا، ثم جاءوني فبايعوني، فاستهدي الله عز وجل بالهدى، وأستعينه على التقوى. ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنته، والنصح لكم بالغيب، والله المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد بعث إليكم قيس بن سعد بن عبادَة أميراً، فوازروه وكانفوه، وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم، والشدّة على مريبكم، والرفق بعوامكم وخواصكم، وهو ممن أرضى هديه، وأرجو صلاحه ونصيحته. أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زاكياً، وثواباً جزيلاً، ورحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين.

قال: ثم إن قيس بن سعد قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: الحمد لله الذي جاء بالحق، وأمات الباطل، وكبت الظالمين. أيها الناس، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت له مصر، وبعث عليها عماله، إلا أن قرية منها يقال لها: خربتاً فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبها رجل كنانة ثم بني مدلج يقال له يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مدلج. فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد: إنا لا نقاتلك فابعث عمالك، فالأرض أرضك، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس.

قال: ووثب مسلمة بن غنم الأنصاري، ثم من ساعده من رهط قيس ابن سعد، فنعى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: ويحك، علي ثوب! فوالله ما

فلما بلغ ذلك علياً اتهم قيساً، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتاً - و أهل خربتاً يومئذ عشرة آلاف - فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم، وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر وأشرفهم، وأهل الحفاظ منهم، وقد رضوا مني أن أؤمن سربهم، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فليست مكايدهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم، ولو أنني غزوتهم كانوا لي قرناً، وهم أسود العرب، ومنهم بسر بن أبي أرطاة، ومسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج، فذرني فأنا أعلم بما أداري منهم. فأبى علي إلا قتالهم، وأبى قيس أن يقاتلهم.

فكتب قيس إلى علي: إن كنت تهمني فاعزني عن عملك، وابعث إليه غيري. فبعث علي الأشتر أميراً إلى مصر، حتى إذا صار بالقلمز شرب شربة عسل كان فيها حشفه. فبلغ حديثهم معاوية وعمرا، فقال عمرو: إن الله جنداً من عسل.

فلما بلغ علياً وفاة الأشتر بالقلمز بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر. فالزهري يذكر أن علياً بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر بعد مهلك الأشتر بقلمز، وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر في خبره أن علياً بعث بالأشتر أميراً على مصر بعد مهلك محمد بن أبي بكر.

رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبي مخنف: ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره، شق عليه ذلك، لما يعرف من حزمه وبأسه، وأظهر للناس قبله، أن قيس بن سعد قد تابعكم، فادعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه الذي لا اله فيه وقاريه. قال: واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد، فقرأه على أهل الشام.

بسم الله الرحمن الرحيم، للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد، سلام عليك، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني لما نظرت رأيت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرمأ برأ تقياً، فستغفر الله عز وجل لذنبنا، ونسأله العصمة لديتنا. ألا وإني قد ألقيت إليكم بالسلم، وإني أجبتك إلى قتال قتلة عثمان، إمام المهدي المظلوم، فعول علي فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك، والسلام.

فشاع في أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سفيان، فسرحت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك، فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره، وتعجب له، ودعا بنيته، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك، فقال: ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيساً عن مصر. قال لهم علي: إني والله ما أصدق بهذا على قيس،

قال: فلما قرأ معاوية كتابه، لم يره إلا مقارباً مباعداً، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعداً مكابداً، فكتب إليه معاوية أيضاً.

أما بعد، فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فأعدك مسلماً، ولم أرك تباعد فأعدك حرباً، أنت فيما هاهنا كحك الجزور، وليس مثلي يصانع المخادع، ولا ينتزع للمكايد، ومعه عدد الرجال، ويده أعنة الخيل، والسلام عليك.

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية، ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة، أظهر له ذات نفسه، فكتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من قيس بن سعد، إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد، فإن العجب من اغترارك بي، وطمعك في، واستسقاطك رأيي. أنسومي الخروج من طاعة أولي الناس بالإمرة، وأقولهم للحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة، وتأمروني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلهم سبيلاً، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله ﷺ وسيلة، ولد ضالين مضلين، طاغوت من طواغيت إبليس! وأما قولك إني مالى عليك مصر خيلاً ورجلاً فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك، إنك لذو جد، والسلام. فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وتقل عليه مكانه.

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: كانت مصر من حين علي، عليها قيس بن سعد بن عبادَة، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، وكان من ذوي الرأي والبأس، وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدين على أن يخرجاه من مصر ليغلبا عليها، فكان قد امتنع فيها بالدهاء والمكايدة، فلم يقدرأ عليه، ولا على أن يفتتحا مصر، حتى كاد معاوية قيس بن سعد من قبل علي، وكان معاوية يحدث رجالا من ذوي الرأي من قريش يقول: ما ابتدعت مكاييدة قط كانت أعجب عندي من مكاييدة كدت بها قيساً من قبل علي وهو بالعراق حين امتنع مني قيس. قلت لأهل الشام: لا تسبوا قيس بن سعد، ولا تدعوا إلى غزوه، فإنه لنا شيعة، يأتينا كيس نصيحته سراً. ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربتاً، يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم، لا يستنكرونه في شيء!.

قال معاوية: وهممت أن أكتب بذلك إلى شيعي من أهل العراق، فيسمع بذلك جواسيس علي عندي بالعراق. فبلغ ذلك علياً، وغاه إليه محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب.

نزعك علي بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر! فقال له قيس بن سعد: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، أخرج عني.

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي، فخبره قيس، فصدقه علي. ثم إن قيساً وسهلاً شهدا علي مع صفين.

وأما الزهري، فإنه قال فيما حدثني به عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، أن محمد بن أبي بكر قدم مصر وخرج قيس فلقق بالمدينة، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل، ركب راحلته، فظهر إلى علي. فبعث معاوية إلى مروان والأسود بتغيط عليهما، ويقول: أمددنا علياً بقيس بن سعد ورأيه ومكانه، فوالله لو أنكما أمددناه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك باغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي، فقدم قيس بن سعد على علي، فلما بانه الحديث وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يقاسي أموراً عظيماً من المكابدة، وأن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له، فاطاع علي قيس بن سعد في الأمر كله.

قال هشام: عن أبي مخنف، قال: حدثني الحارث بن كعب الوالي، عن أبيه، قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر، فلما قدم قرأ عليهم عهده.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، وأمره بتقوى الله والطاعة في السر والعلانية، وخوف الله عز وجل في الغيب والمشهد، وباللين على المسلمين، وبالغلظة على الفاجر، وبالعفو على أهل الذمة، وبإحسان ما استطاع، والله يجزي الحسين، ويعذب الجرمين. وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة، فإن لم يفتهم في ذلك العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدر قدره، ولا يعرفون كنهه، وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل، لا يتقص منه ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل، وأن يلين لهم جناحه، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء. وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن يقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا يخف في الله عز وجل لومة لائم، فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى وآثر طاعته على ما سواه..

وكتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغرة

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزله، فوالله لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته.

فانهم كذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن قبلي رجلاً معتزلاً قد سالوني أن أكف عنهم، وأن أدهمهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى ويروا رأيهم، فقد رأيت أن أكف عنهم، وألا أتعجل حربهم، وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله عز وجل أن يقبل بقلوبهم، ويفرقهم عن ضاللتهم، إن شاء الله.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ما أخوفني أن يكون هذا مما لا ألهم منه، فمره يا أمير المؤمنين بقتالهم، فكتب إليه علي.

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فاجزهم إن شاء الله.

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين.

أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد عجبت لأمرك، أتأمرني بقتال قوم كافين عنك، مفرغيك لقتال عدوك! وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك، فأطعني يا أمير المؤمنين، واكف عنهم، فإن الرأي تركهم، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر على مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً، والله لقد بلغني أن قيساً يقول: والله إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن المخلد لسلطان سوء، والله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلت ابن غلدة. قال: وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه، فبعث علي محمد بن أبي بكر على مصر، وعزل عنها قيساً.

### ولاية محمد بن أبي بكر مصر

قال هشام عن ابن مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالي - من والبة الأردن - عن أبيه - أن علياً كتب معه إلى أهل مصر كتاباً، فلما قدم به على قيس قال له قيس: ما بال أمير المؤمنين! ما غيره؟ أدخل أحد بيبي وبينه؟ قال له: لا، وهذا السلطان سلطانك؟! قال: لا، والله لا أقيم معك ساعة واحدة. وغضب حين عزله، فخرج منها مقبلاً إلى المدينة، فقدمها، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به - وكان حسان عثمانياً - فقال له:

شهر رمضان.

## توجيه علي خليف بن طريف إلى خراسان

قال علي بن محمد المدائني: أخبرنا أبو مخنف، عن حنظلة بن الأعلام، عن ماهان الخنفي، عن الأصمغ بن نباتة المجاشعي، قال: بعث علي خليف بن قرة اليربوعي - ويقال: خليف بن طريف - إلى خراسان.

## ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

وفي هذه السنة - أعني سنة ست وثلاثين - بايع عمرو بن العاص معاوية، ووافقه على محاربة علي، وكان السبب في ذلك ما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما أحيط بعثمان - عليه السلام - خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً نحو الشام، وقال: واللّٰه يا أهل المدينة، ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، من لم يستطع نصره فليهرب. فسار وسار معه ابنه عبد الله وعمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله.

قال سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: بينما عمرو بن العاص جالس بعجلان ومعه ابنه، إذ مر بهم راكب فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، فقال عمرو: ما اسمك؟ قال: حصيرة. قال عمرو: حصر الرجل، قال: فما الخبر؟ قال: تركت الرجل محصوراً، قال عمرو: يقتل. ثم مكثوا أياماً، فمر بهم راكب، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، قال عمرو: ما اسمك؟ قال قتال، قال عمرو: قتل الرجل، فما الخبر؟ قال: قتل الرجل. قال: ثم لم يكن إلا ذلك إلى أن خرجت، ثم مكثوا أياماً، فمر بهم راكب، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، قال عمرو: ما اسمك؟ قال: حرب، قال عمرو: يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قتل عثمان بن عفان عليه السلام، وبويع لعلي بن أبي طالب، قال عمرو: أنا أبو عبد الله، تكون حرب من حك فيها قرحة نكأها، رحم الله عثمان عليه السلام، وغفر له! فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر قريش، إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب، فاتخذوا باباً إذ كسر الباب. فقال عمرو: وذاك الذي نريد. ولا يصلح الباب إلا أشاف تخرج الحق من حافة الباس، ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو في بعض ذلك:

بألف نفسي على مالك - وهل يصرف اللّٰهف حفظ القدر!  
انتزع من الحرأودي بهم - فسأعدهم أم بقومي سكر!

ثم ارتحل راجلاً يبيكي كما تبكي المرأة، ويقول: واعثماناه! أنعي الحياء والدين! حتى قدم دمشق، وقد كان سقط إليه من الذي يكون علم، فعمل عليه.

قال: ثم إن محمد بن أبي بكر قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصرنا وإياكم كثيراً مما عمي عنه الجاهلون. ألا إن أمير المؤمنين ولاني أموركم، وعهد إلي ما قد سمعتم، وأوصاني بكثير منه مشافهة، ولن ألوكم خيراً ما استطعت، **﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله وتقوى، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك، فإنه هو الهادي، وإن رأيتم عاملاً عمل غير الحق زائغاً، فارفعوه إلي، وعاتبوني فيه، فإنني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته، ثم نزل.

وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحديثي يزيد بن يزيد بن ظبيان الهمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة. قال: ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم. فقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فيعتوا إليه: إنا لا نفعل، دعنا حتى ننظر إلى ما نصير إليه أمورنا، ولا تعجل مجربنا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حذرهم، فكانت وقعة صفين، وهم لمحمد هابطون، فلما أتاها صبر معاوية وأهل الشام لعلي، وأن علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام، وصار أمرهم إلى الحكومة، اجترأوا على محمد بن أبي بكر، وأظهروا له المبارزة، فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جهمان الجعفي إلى أهل خربنا، وفيها يزيد بن الحارث من بني كنانة، فقاتلهم، فقتلوه. ثم بعث إليهم رجلاً من كلب يدعى بن مضاهم، فقتلوه.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة فيما قيل: قدم ما هويه مرزبان مرو مقرأً بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على علي.

## ذكر من قال ذلك.

قال علي بن محمد المدائني، عن أبي زكرياء العجلاني، عن ابن إسحاق، عن أشياخه، قال: قدم ما هويه أبراز مرزبان مرو على علي بن أبي طالب بعد الجمل مقرأً بالصلح، فكتب له علي كتاباً إلى دهاقين مرو والأمساورة والجند سلارين ومن كان في مرو.

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن ماهويه أبراز مرزبان مرو جاءني، وإنني رضىت عنه. وكتب سنة ست وثلاثين. ثم إنهم كفروا وأغلقتوا أبرشهر.

يحضرون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم - ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو - فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا تسرى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك! انصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك! إني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني! أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقربته، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه.

### توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعو إلى الدخول في طاعته

وفي هذه السنة وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعو إلى بيعته، وكان جرير حين خرج علي إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمذان عاملاً عليها، كان عثمان استعمله عليها، وكان الأشعث بن قيس على أذربيجان عاملاً عليها، كان عثمان استعمله عليها فلما قدم على الكوفة منصرفاً إليها من البصرة، كتب إليهما يأمرهما بأخذ البيعة له على من قبلهما من الناس، والانصراف إليه. ففعل ذلك، وانصرفا إليه.

فلما أراد علي توجيه الرسول إلى معاوية، قال جرير بن عبد الله - فيما حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عوانة: ابعتني إليه، فإنه لي ود حتى آتيه فادعوه إلى الدخول في طاعتك، فقال الأشعث لعلي: لا تبعه، فوالله إنني لأظن هواه معه، فقال علي: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع به إلينا، فبعثه إليه، وكتب معه كتاباً يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكت طلحة والزبير، وما كان من حربه إياهما، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته، فشحخص إليه جرير، فلما قدم عليه ماطله واستنظره، ودعا عمراً فاستشاره فيما كتب به إليه، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام، ويلزم علياً دم عثمان، ويقاتله بهم، ففعل ذلك معاوية، وكان أهل الشام - فيما كتب إلى السري يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف، عن محمد وطلحة - لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ؑ - الذي قتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم، إصبعان منها وشيء من الكف، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام - وضع معاوية القميص على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس، وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء، ولا يمسهم الماء للغسل إلا من

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان، قال: كان النبي ﷺ قد بعث عمراً إلى عمان، فسمع هنالك من جبر شيئاً، فلما رأى مصداقه وهو هناك أرسل إلى ذلك الخبر، فقال: حدثني بوفاء رسول الله ﷺ، وأخبرني من يكون بعده؟ قال: الذي كتب إليك يكون بعده، ومدته قصيرة، قال: ثم من؟ قال رجل من قومه مثله في المنزلة، قال: فما مدته؟ قال: طويلة، ثم يقتل. قال: غيلة أم عن ملأ؟ قال: غيلة، قال: فمن يلي بعده؟ قال: رجل من قومه مثله في المنزلة، قال: فما مدته؟ قال: طويلة، ثم يقتل، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: عن ملأ. قال: ذلك أشد، فمن يلي بعده؟ قال: رجل من قومه ينتشر عليه الناس، وتكون على رأسه حرب شديدة بين الناس، ثم يقتل قبل أن يجتمعوا عليه، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: غيلة، ثم لا يرون مثله. قال: فمن يلي بعده؟ قال: أمير الأرض المقدسة، فيطول ملكه، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه، ثم يموت.

وأما الواقدي، فإنه فيما حدثني موسى بن يعقوب، عن عمه، قال: لما بلغ عمراً قتل عثمان ؑ، قال: أنا عبد الله، قتلته وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده! إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستظف الحق، وهو أكره من يليه إلي. قال: فبلغه أن علياً قد بوع له، فاشتد عليه، وترىص أياماً ينظر ما يصنع الناس، فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة وقال: استأني وانظر ما يصنعون، فاتاه الخبر أن طلحة والزبير قد قتلا، فارتج عليه أمره، فقال له قائل: إن معاوية بالشام لا يريد أن يبيع لعلي، فلو قاربت معاوية! فكان معاوية أحب إليه من علي بن أبي طالب. وقيل له: إن معاوية يعظم شأن قتل عثمان بن عفان، ويعرض على الطلب بدمه، فقال عمرو: ادعوا لي محمداً وعبد الله، فدعيا له، فقال: قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمان ؑ، وبيعة الناس لعلي، وما يرصد معاوية من مخالفة علي، وقال: ما تريان؟ أما علي فلا خير عنده، وهو رجل يدل بسابقته، وهو غير مشركي في شيء من أمره. فقال عبد الله بن عمرو: توفي النبي ﷺ وهو عنك راض، وتوفي أبو بكر ؓ وهو عنك راض، وتوفي عمر ؓ وهو عنك راض، أرى أن تكف يدك، وتجلس في بيتك، حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه. وقال محمد بن عمرو: أنت ناب من أنياب العرب، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر. قال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بالذي هو خير لي في آخرتي، وأسلم في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بالذي أنه لي في دنياي، وشر لي في آخرتي. ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابنه حتى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام



لغلامه قنبر، ثم قال عمرو:

هل يغنين وردان عني قنبرا وتغني السكون عني حبراً  
إذ الكماة لبسوا السنورا

فبلغ ذلك علياً فقال:

لأصبحن العاصي ابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي  
مجنبيين الخيل بالقلاص مستحقين خلق الدلاص

فلما سمع ذلك معاوية قال: ما أرى ابن أبي طالب إلا قد  
وفى لك، فجاء معاوية يتأني في مسيره. وكتب إلى كل من كان  
يرى أنه يخاف علياً أو طعن عليه ومن أعظم دم عثمان  
واستعواهم إليه. فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول:

ألا بلغ معاوية بن حرب فإنك من أخي ثقة مليم  
قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق فما تريم  
وإنك والكتاب إلى علي كدابة وقد حلم الأديم  
بمنك الإمارة كل ركب لأنقاض العراق بها رسيم  
وليس أخو الترات بمن توانى ولكن طالب السرة الغشوم  
ولو كنت القليل وكان حياً لجرّد، لا ألف ولا سنوم  
ولا نكل عن الأوتار حتى يسئ بها، ولا برم جشوم  
وقومك بالمدينة قد أسيروا فهم صرعى كأنهم الهشيم

وقال غير أبي بكر: فدعا معاوية شداد بن قيس كاتبه  
وقال: ابغني طوماراً، فأناه بطومار، فأخذ القلم فكتب، فقال: لا  
تعجل، اكتب:

ومستعجب مما يرى من أئتنا ولو زيته الحرب لم يترمم  
ثم قال: اطو الطومار، فأرسل به إلى الوليد، فلما فتحه لم  
يجد فيه غير هذا البيت.

قال أبو بكر الهذلي: وكتب رجل من أهل العراق حيث  
سار علي بن أبي طالب إلى معاوية بيتين:

أبلغ أمير المؤمنين سن أخا العراق إذا أثبتا  
أن العراق وأهلها عنق إليك فهيت هيتا

عاد الحديث إلى حديث عوانة. فبعث علي زياد بن النضر  
الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، وبعث معه شريح بن هانئ في  
أربعة آلاف، وخرج علي من النخيلة بمن معه، فلما دخل المدائن  
شخص معه من فيها من المقاتلة، وولى على المدائن سعد بن  
مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، ووجه علي من المدائن  
معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى  
يرافيه.

احتلام، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن  
عرض دونهم بشيء أو تفضى أرواحهم. فمكثوا حول القميص  
يوضع كل يوم على المنبر ويحمله أحياناً فيلبسه. وعلق في أردانه  
أصابع نائلة رضي الله عنها.

فلما قدم جرير بن عبد الله على علي - فيما حدثني عمر  
بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عوانة - فأخبره خبر معاوية  
 واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنهم سيكون على عثمان،  
ويقولون: إن علياً قتله، وآوى قتلته، وإنهم لا يتنهون عنه حتى  
يقتلهم أو يقتلوه. فقال الأشتر لعلي: قد كنت نهيته أن تبعث  
جريراً، وأخبرتكم بعداوتة وغشه، ولو كنت بعثتني كان خيراً من  
هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه، ولا باباً  
يخاف منه إلا أغلقه. فقال جرير: لو كنت ثم لقتلك، لقد ذكروا  
أنك من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جرير لم  
يعيني جوابهم، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن  
الفكر، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشبهك في محبس  
لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور.

فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيساء، وكتب معاوية،  
فكتب إليه بأمره بالقدوم عليه. وخرج أمير المؤمنين فعسكر  
بالنخيلة، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل  
البصرة.

### خروج علي بن أبي طالب إلى صفين

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، عن  
سليمان، عن عبد الله، عن معاوية بن عبد الرحمن، عن أبي بكر  
الهذلي، أن علياً لما استخلف عبد الله بن عباس على البصرة سار  
منها إلى الكوفة، فتهاى فيها إلى صفين، فاستشار الناس في ذلك،  
فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم، وأشار آخرون بالمسير.  
فأبى إلا المباشرة، فجهز الناس. فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو  
بن العاص فاستشاره. فقال: أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك،  
ولا تغب عنه برايك ومكيدتك. قال: أما إذا يا أبا عبد الله فجهز  
الناس. فجاء عمرو فحضر الناس، وضعف علياً وأصحابه،  
وقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وقلوا  
حدهم. ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي، قد وترهم وقتلهم،  
وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وإنما سار  
في شردمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتك، فإله الله في حقكم  
أن تضيعوه، وفي دمكم أن تبطلوه!.

وكتب في أجناد أهل الشام، وعقد لواءه لعمرو، فعقد  
لوردان غلامه فيمن عقد، ولأبنيه عبد الله ومحمد، وعقد علي

## ما أمر به علي بن أبي طالب من عمل الجسر على

## الفرات

تأتي من ورائي. فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ، فأخبراه بالذي رآيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما، فقال: سدتما. ثم مضى علي، فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام، فأرسل إلى علي: إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام، وقد دعوناهم فلم يجيبنا منهم أحد فمرنا بأمرك. فأرسل علي إلى الأشتر، فقال: يا مالك، إن زياداً وشريحاً أرسلا إلي يعلماني أنهما لقياً أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين، فالنجا إلى أصحابك النجا، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم. وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يجزئك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم، والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمتك زياداً، وعلى ميرتك شريحاً، وقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإني حيث السير في أثرك إن شاء الله. قال: وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي، فكتب علي إلى زياد وشريح.

أما بعد، فإني قد أمرت عليكما مالكا، فاسمعا له وأطيعا، فإنه من لا يخاف رقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم.

وخرج الأشتر حتى قدم على القوم، فاتبع ما أمره علي وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي، فثبوا له، واضطربوا ساعة. ثم إن أهل الشام انصرفوا، ثم خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال حسن عددها وعدتها، وخرج إليه أبو الأعور فاقتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال، وصبر القوم بعضهم لبعض، ثم انصرفوا، وحمل عليهم الأشتر، فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي، قتله يومئذ ظبيان بن عمار التميمي، وما هو إلا قتي حدث، وإن كان التنوخي لفارس أهل الشام، وأخذ الأشتر يقول: ويحكم! أروني أبا الأعور.

ثم إن أبا الأعور دعا الناس، فرجعوا نحوه، فوقف من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الأشتر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور، فقال الأشتر لستان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة، فقال:

فلما انتهى علي إلى الرقة قال: فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني الحجاج بن علي، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارق - لأهل الرقة: اجسروا لي جسراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام، فأبوا. وقد كانوا ضموا إليهم السفن، فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج، وخلف عليهم الأشتر، وذهب ليمضي بالناس كيما يعبر بهم على جسر منبج، فناداهم الأشتر، فقال: يا أهل هذا الحصن، ألا إنني أقسم لكم بالله عز وجل، لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مديتكم جسراً حتى يعبر لأجردن فيكم السيف، ثم لأقتلن الرجال ولأخربن الأرض، ولأخذن الأموال. قال: فلقى بعضهم بعضاً، فقالوا: اليس الأشتر يفي بما حلف عليه، أو يأتي بشر منه؟ قالوا: نعم، فبعثوا إليه: إنا ناصبون لكم جسراً، فأقبلوا، وجاء علي فنصبوا له الجسر، فعبر عليه بالآثقال والرجال. ثم أمر علي الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس، حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر، ثم إنه عبر آخر الناس رجلاً.

قال أبو مخنف: وحدثني الحجاج بن علي، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث، أن الخيل حين عبرت زحم بعضهما بعضاً، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين الأزدي فنزل فاخذها ثم ركب، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الأزدي، فنزل فاخذها، ثم ركب، وقال لصاحبه:

فإن يك ظن الزاجري الطير صادفاً كما زعموا أقتل وشيكاً وتقتل فقال له عبد الله بن أبي الحصين: ما شيء أوتاه أحب إلي مما ذكرت، فقتلا جميعاً يوم صفين.

قال أبو مخنف: فحدثني خالد بن قطن الحارثي، أن علياً لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر، وشريح بن هانئ، فسرجهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة. قال: وقد كانا حيث سرجهما من الكوفة أخذنا على شاطئ الفرات من قبل البر بما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهما أخذ علي على طريق الجزيرة، وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي، فقالا: لا والله ما هذا لنا برأي، أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلعة من معنا منقطعين من العدد والمدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهل عانات، وحبسوا عنهم السفن، فأقبوا راجعين حتى عبروا من هيت، ثم لحقوا علياً بقرية دون قرقيساء، وقد أرادوا أهل عانات، فتحصنوا وفروا، ولما لحقت المقدمة علياً قال: مقدمتي

إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال له الأشر: لو أمرتك بمبارزته فقلت؟ قال: نعم، والله لو أمرتي أن أعترض صفهم بسيفي ما رجعت أبداً حتى أضرب بسيفي في صفهم، قال له الأشر: يا ابن أخي، أطال الله بقاءك! قد والله ازددت رغبةً فيك، لا أمرتك بمبارزته، إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، إنه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلا للذوي الأسنان والكفاءة والشرف، وأنت - لربك الحمد - من أهل الكفاءة والشرف، غير أنك فتىٌ حدث السن، فليس بمبارز الأحداث، ولكن ادعه إلى مبارزتي. فأتاه فنأدى: آمونني فأني رسول. فأومن، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أبو زهير العبيسي، قال: حدثني سنان، قال: فدنوت منه فقلت: إن الأشر يدعوك إلى مبارزته. قال: فسكت عني طويلاً ثم قال: إن خفة الأشر وسوء رايه حمله على إجلاء عمال ابن عفان عليه السلام من العراق، وانتزأوه عليه يقبح محاسنه، ومن خفة الأشر وسوء رايه أن سار إلى ابن عفان عليه السلام في داره وقراره حتى قتله فيمن قتله، فأصبح متبعاً بدمه، ألا لا حاجة لي في مبارزته. قال: قلت: إنك قد تكلمت، فاسمع حتى أجيبك، فقال: لا، لا حاجة، لي في الاستماع منك ولا في جوابك، اذهب عني. فصاح بي أصحابه فأنصرف عنه، ولو سمع إلي لأخبرته بعذر صاحبي وحجته. فرجعت إلى الأشر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة، فقال: لنفسه نظر، فواقفناهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم، وبتنا متحارسين، فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم، ويصيحنا علي بن أبي طالب غدوة. فقدم الأشر فيمن كان معه في تلك المقدمة حتى انتهى إلى معاوية، فواقفه، وجاء علي في أثره فلحق بالأشر سريعاً، فوقف وتواقفوا طويلاً.

ثم إن علياً طلب موضعاً لمسكره، فلما وجده أمر الناس فوضعوا الأثقال، فلما فعلوا ذهب شباب الناس وغلمتهم يستقون، فممنهم أهل الشام. فاقتل الناس على الماء، وقد كان الأشر قال له قبل ذلك: إن القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولة الأرض وسعة المنزل، فإن رأيت سرنا نجوزهم إلى القرية التي خرجوا منها، فإنهم يشخصون في أثرنا، فإذا هم لحقونا نزلنا فكننا نحن وهم على السواء، ففكره ذلك علي، وقال: ليس كل الناس يقوى على المسير، فنزل بهم.

### القتال على الماء

قال أبو مخنف: وحدثني غنيم بن الحارث الأزدي، عن جندب بن عبد الله، قال: إننا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد

عسكر في موضع سهل أفيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها، فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغي بها عن شريعتهم فلم نجدها، فأتينا علياً فأخبرناه بعطش الناس، وأنا لا نجد غير شريعة القوم. قال: فقاتلوهم عليها. فجاءه الأشعث بن قيس الكندي فقال: أنا أسير إليهم، فقال له علي: فسر إليهم. فسار وسرنا معه، حتى إذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل، ورشقناهم والله بالنبل ساعة، ثم اطعنا والله بالرماح طويلاً، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف، فاجتلدنا بها ساعة. ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلي مدداً في الخيل والرجال، فأقبلوا نحونا، فقلت في نفسي: فأمر المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغني عنا هؤلاء، فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو أكثر، قد سرحهم إلينا ليغتنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه، عليهم شبت بن ربعي الرياحي، فوالله ما ازداد القتال إلا شدة. وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير، فأخذ يد أبا الأعور ويزيد بن أسد، وخرج الأشر من قبل علي في جمع عظيم. فلما رأى الأشر عمرو بن العاص يد أبا الأعور ويزيد بن أسد، أمد الأشعث بن قيس وشبت بن ربعي، فاشتد قتالنا وقتالهم، فما أنسى قول عبد الله بن عوف بن الأهر الأزدي:

خلوا لنا ماء الفرات الجاري أو اثبتوا لجحفل جرار  
لكل قرم مستميت شاري مطاعن برعمة كرار  
ضراب هامات العدا مغوار

قال أبو مخنف: وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي أن ظبيان بن عماره جعل يومئذ يقاتل وهو يقول:

هل لك يا ظبيان من بقاء في ساكن الأرض بغير ماء  
لا وإله الأرض والسماء فاضرب وجوه الغدر الأعداء  
بالسيف عند حمس الوغاء حتى يجيئك إلى السواء  
قال ظبيان: فضرناهم والله حتى خلونا وإياه.

قال أبو مخنف: وحدثني أبي يحيى بن سعيد، عن عمه محمد بن مخنف، قال: كنت مع أبوي مخنف بن سليم يومئذ، وأنا ابن سبع عشرة سنة، ولست في عطاء، فلما منع الناس الماء قال لي أبي: لا ترحن الرجل، فلما رأيت المسلمين يذهبون نحو الماء لم أصبر، فأخذت سيفي، وخرجت مع الناس فقاتلت، قال: وإذا أنا بغلام مملوك لبعض أهل العراق ومعه قرية، فلما رأى أهل الشام قد أفرجوا عن الشريعة اشتد حتى ملأ قريته، ثم أقبل، ويشد عليه رجل من أهل الشام فيضربه فيصرعه، وسقطت القرية منه. قال: وأشد على الشامي فأضربه فأصرعه، واشتد أصحابه

قدما له وقدمتم له، وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جننا له، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب. فعلنا. فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء، ولين الطعام، اقلتهم عطشاً، قتلهم الله عطشاً! فقال له عمرو بن العاص: خل بينهم وبين الماء، فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن بغير الماء، فانظر ما بينك وبينهم. فأعاد الوليد بن عقبة مقالته، وقال عبد الله بن أبي سرح: امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، ولو قد رجعوا كان رجوعهم فلا، امنعهم الماء منهم الله يوم القيامة! فقال صعصعة: إنما يمنعه الله عز وجل يوم القيامة الكفرة الفسقة وشربة الخمر، ضريك وضرب هذا الفاسق - يعني الوليد بن عقبة - قال: فتواتبوا إليه يشتمونه ويتهدون، فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول.

قال أبو مخنف: وحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أن صعصعة رجع إلينا فحدثنا عما قال لمعاوية، وما كان منه وما رد، فقلنا: فما رد عليك؟ فقال: لما أردت الانصراف من عنده قلت: ما ترد علي؟ قال معاوية: سيأتيكم رأيي، فوالله ما راعنا إلا تسريته الخيل إلى أبي الأعور ليكفهم عن الماء. قال: فأبرزنا علي الإهم، فارتعينا ثم اطعنا، ثم اضطربنا بالسيوف، فنصرنا عليهم، فصار الماء في أيدينا، قلنا: لا والله لا نسقيهموه، فأرسل إلينا علي: أن خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكريكم، وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم.

### دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة

قال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن علياً قال: هذا يوم نصرتم فيه بالحمية، وجاء الناس حتى أتوا عسكريهم، فمكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية. ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشيث بن ربعي التميمي، فقال: اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شيث بن ربعي: يا أمير المؤمنين، ألا تطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟ فقال علي: اتوه فالقوه واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه - وهذا في أول ذي الحجة - فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو، وقال: يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك،

فاستقذوه، فسمعتهم وهم يقولون: لا نأمن عليك. ورجعت إلى المملوك فاتحلمته، فإذا هو يكلمني وبه جرح رغيث، فما كان أسرع من أن جاءه مولاه، فذهب به، وأخذت قربته وهي مملوءة، وآتى بها أبي مخنفاً، فقال: من أين جئت بها؟ فقلت: اشتريتها - وكرهت أن أخبره الخبر، فيجد علي - فقال: اسق القوم، فسقيتهم، ثم شرب آخرهم، ونازعتني نفسي والله إلى القتال، فانطلق فانقدم فيمن يقاتل، فقاتلناهم ساعة، ثم أشهد أنهم خلوا لنا عن الماء، فما أمسينا حتى رأينا سقائنا وسقاتهم يزدحمون على الشريعة، وما يؤذي إنسان إنساناً، فأقبلت راجعاً، فإذا أنا بمولى صاحب القرية، فقلت: هذه قربتك عندنا، فأرسل من يأخذها، أو أعلمني مكانك حتى أبعث بها إليك، فقال: رحل الله! عندنا ما نكتفي به، فانصرفت وذهب، فلما كان من الغد مر على أبي فوقف فلمسلم عليه، ورآني إلى جنبته، فقال: ما هذا الفتى منك؟ قال: ابني، أراك الله فيه السرور، أنقذ الله عز وجل أمس غلامي به من القتل، حدثني شباب الحي أنه كان أمس أشجع الناس، فنظر إلي أبي نظرة عرفت منها في وجهه الغضب، فسكت حتى إذا مضى الرجل قال: هذا ما تقدمت إليك فيه! فحلطني إلا أخرج إلى قتال إلا بإذنه، فما شهدت من قتالهم إلا ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم.

قال أبو مخنف: وحدثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي، عن مهران مولى يزيد بن هاني، قال: والله إن مولاي يزيد بن هاني ليقاتل على الماء، وإن القرية لفي يده، فلما انكشف أهل الشام انكشافاً عن الماء، استدرت حتى أسقى، وإني فيما بين ذلك لأقاتل وأرامي.

قال أبو مخنف: وحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لما قدما على معاوية وأهل الشام بصفين، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً، أخذوا الشريعة، فهي في أيديهم، وقد صف أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجال، وقد قدم المرامية أمام من معه، وصف صفاً معهم من الرماح والدرق، وعلى رؤوسهم البيض، وقد أجمعوا على أن يمنعوا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين، فخيرنا بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان فقال له: انت معاوية وقل له: إنا سرنا مسيرنا هذا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قدمت إلينا خليك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلت بين الناس وبين الماء، والناس غير متتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء، ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما

الكلاع الحميري، ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومرة شرحبيل بن السمط الكندي، ومرة حمزة بن مالك الهمداني، فاقتتلوا من ذي الحجة كلها، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين أوله وآخره.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم الفاشسي، قال: حدثني رجل من قومي أن الأشتر خرج يوماً يقاتل بصفين في رجال من القراء، ورجال من فرسان العرب، فاشتد قتالهم، فخرج علينا رجل والله لقلما رأيت رجلاً قط هو أطول ولا أعظم منه. فدعا إلى المبارزة، فلم يخرج إليه أحد إلا الأشتر، فاختلفا ضربتين، فضربه الأشتر، فقتله، وإيم الله لقد كنا أشفقنا عليه، وسألناه ألا يخرج إليه، فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه:

يا سهم سهم ابن أبي العيرار يا خير من نعلمه من زار وزارة: حي من الأزدي، وقال: أقسم بالله لأقتلن قاتلك أو ليقتلني، فخرج فحمل على الأشتر، وعطف عليه الأشتر فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريماً فقال أبو ربيعة الفهمي: هذا كان ناراً، فصادف إعصاراً، واقتل الناس ذا الحجة كله، فلما انتقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم، لعن الله أن يجري صلحاً أو اجتماعاً، فكف بعضهم عن بعض.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بأمر علي إياه بذلك، كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وفي هذه السنة مات قدامة بن مظعون، فيما زعم الواقدي.

وجازيك بما قدمت يداك، وإنني أشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها فقطع عليه الكلام، وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرة: إن صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام، والقراية من الرسول ﷺ. قال: فيقول ماذا؟ قال: يأمرك بتقوى الله عز وجل، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في عاقبة أمرك. قال معاوية: ونظّل دم عثمان رضي الله عنه لا والله لا أفعل ذلك أبداً. فذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبادره شبيب بن ربعي، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا معاوية، إنني قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: «قتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه»، فاستجاب له سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورب متعني أمر وطالبه، الله عز وجل يحول دونه بقدرته، وربما أوتي المتعني أميته وفوق أميته، والله مالك في واحدة منهما خير، لئن أخطأت ما ترجو إنك لشر العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت ما غني لا نصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار، فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقه، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت، ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجاني في كل ما ذكرت ووصفت. انصرفوا من عندي، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف. وغضب، وخرج القوم وشبب يقول: أفعلينا تهول بالسيف! أقسم بالله ليعجلن بها إليك. فاتوا علينا وأخبروه بالذي كان من قوله، وذلك في ذي الحجة، فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف، فيخرج معه جماعة، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة، فيقتلان في خيلهما ورجلها ثم ينصرفان، وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستتصال والهلاك، فكان علي يخرج مرة الأشتر، ومرة حجر بن عدي الكندي، ومرة شبيب بن ربعي، ومرة خالد بن المعمر، ومرة زياد بن النضر الحارثي، ومرة زياد بن خصفة التيمي، ومرة سعيد بن قيس، ومرة معقل بن قيس الرياحي، ومرة قيس بن سعد. وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الأشتر، وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد المخزومي، وأبا الأعور السلمي، ومرة حبيب بن مسلمة الفهري، ومرة ابن ذي

## السنة السابعة والثلاثون

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين علي

## ومعاوية

فكان في أول شهر منها - وهو المحرم - موادعة الحرب بين علي ومعاوية، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح.

فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف الأزدي، قال: حدثني سعد أبو المجاهد الطائي، عن المحل بن خليفة الطائي، قال: لما توادع علي ومعاوية يوم صفين، اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح، فبعث علي عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشيث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية، فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم، ثم قال: أما بعد، فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمننا، ويحقق به الدماء، ويؤمن به السبل، ويصلح به ذات البين. إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام انشراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فأنته يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك يوم مثل يوم الجمل. فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً، لم تأت مصلحاً هيئات يا عدي، كلا والله إنسي لابن حرب، ما يقعق لي بالشنان، أما والله إنك لمن الجلبين على ابن عفان رضي الله عنه، وإنك لمن قتلته، وإنني لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عز وجل به. هيئات يا عدي بن حاتم! قد حلبت بالساعد الأشد. فقال له شيث بن ربعي وزياد بن خصفة - وتنازعا جواباً واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فاقبلت تضرب لنا الأمثال! دع ما لا يتنفع به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمننا وإياك نفعه. وتكلم يزيد بن قيس، فقال: إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولنؤذي عنك ما سمعنا منك، ونحن على ذلك لم ندع أن نصح لك، وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة، وأنتك راجع به إلى الألفة والجماعة.

إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنه يخفى عليك، إن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلي، ولن يميلوا بينك وبينه، فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف علياً، فإننا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى، ولا أزهدي في الدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه.

فحمد الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فاما الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا

هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها، إن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثارنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد ذلك عليه، أرايتم قتلة صاحبنا؟ أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به. ثم نحن نحببكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شيث: أيسرك يا معاوية أنك أمكنت من عمار تقتله! فقال معاوية: وما يعني من ذلك! والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتله بعثمان، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان. فقال له شيث: وإله الأرض وإله السماء، ما عدلت معتدلاً، لا والذي لا إله إلا هو لا تصل إلى عمار حتى تندبر الهام عن كواهل الأقوام، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها.

فقال له معاوية: إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية.

فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصفة التيمي، فخلا به، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد: يا أخا ربيعة، فإن علياً قطع أرحامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإنني أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثم لك عهد الله جل وعز وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت.

قال أبو مخنف: فحدثني سعد أبو المجاهد، عن المحل بن خليفة، قال: سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث، قال: فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله عز وجل وأثنيت عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني على بينة من ربي وبما أنعم علي، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثم قمت، فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جنبه جالساً: ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم فيجيب إلى خير، ما لهم غضبهم الله بشراً! ما قلوبهم إلا قلوب رجل واحد.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد الأزدي، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، أن معاوية بعث إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأحنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عز وجل، وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلت حياته، واستبطأت وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتله عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم. فقال له علي بن أبي طالب: وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر! اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لتريني بحيث تكره. فقال علي: وما أنت ولو

أجلبت بخيلك ورجلك! لا أبقي الله عليك إن أبقيت علي، أحقرة وسوءاً! اذهب فصوب وصعد ما بدا لك..

وقال شرحبيل بن السمط: إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به؟ فقال علي: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالحق، فانتقد به من الضلالة، وانتاش به من الهلكة، وجمع به من الفرق، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه ﷺ، ثم استحلقت الناس أبا بكر ﷺ، واستحلقت أبو بكر عمر ﷺ، فأحسننا السيرة، وعدلنا في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا - ونحن آل رسول الله ﷺ ففقرنا ذلك لهما، وولي عثمان ﷺ فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم، فقالوا لي: بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك! وأنا تخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين، فلا غرو إلا خلافكم معه، وانقيادكم له، وتدعون آل نبيكم ﷺ الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً. ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وإمارة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة.

فقال: أشهد أن عثمان ﷺ قتل مظلوماً، فقال لهما: لا أقول إنه قتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً، قالوا: فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء، ثم قاما فانصرفا. فقال علي: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثم أقبل علي على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالهم منكم بالجد في حقكم وطاعة ربكم.

قال أبو مخنف: حدثني جعفر بن حذيفة، من آل عامر بن جوين، أن عائذ بن قيس الخزرمي واثب عدي بن حاتم في الراية بصفين وكانت حزم أكثر من بني عدي رهط حاتم - فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي البولاني عند علي، فقال: يا بني حزم، على عدي تتوثبون! وهل فيكم مثل عدي أو في آبائكم مثل أبي عدي! ليس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية؟ ليس

بابن ذي المربع وابن جواد العرب! ليس بابن المنهب ماله، ومانع جاره؟! ليس من لم يغدر ولم يفجر، ولم يجهل ولم ييخل، ولم يمن ولم يجين؟! هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله. أوليس أفضلكم في الإسلام! أوليس وافدكم إلى رسول الله ﷺ! ليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاة الواقعة ويوم نهاوند ويوم تستر؟! فما لكم وله! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون. فقال له علي بن أبي طالب: حسبك يا ابن خليفة، هلم أيها القوم إلي، وعلي بجماعة طيخ، فأتوه جميعاً، فقال علي: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالت له طيخ: عدي. فقال له ابن خليفة: فسلهم يا أمير المؤمنين، اليسوا راضين مسلمين لعدي الرياسة؟ ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم عدي: أحقكم بالراية، فسلموها له، فقال علي - وضجت بنو الحزم: إني أراه رأسكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له غيركم، فأتبع في ذلك الكثرة. فأخذها عدي. فلما كان أزمان حجر بن عدي طلب عبد الله بن خليفة ليعيث به مع حجر - وكان من أصحابه - فسير إلى الجبلين، وكان عدي قد مناه أن يرده، وأن يطلب فيه، فطال عليه ذلك، فقال:

وتسونني يوم الشريعة والقنا بصفين في أكنهم قد تكسرا جزى ربه عني عدي بن حاتم ١ برفضي وخذلاني جزاء موقرا أتسى بلائي سادراً يا ابن حاتم ١ عشية ما أغنت عديك حزمرا فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا وكنت أنا الخصم الألد العذورا فولوا وما قاموا مقامي كائناً راووني ليشاً بالأبساء غخدرا نصرتك إذ خام القريب وأعبط الد بعيد وقد أفردت نصراً مؤزرا فكان جزائي أن أجرد بينكم سجيناً، وأن أولى الهوان وأوسرا وكم عدة لي منك أنك راجعي فلم تغنن بالمعياد عني جبثرا

### تكتيب الكتاب وتعبئة الناس للقتال

قال: ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرم أمر علي مرتد بن الحارث الجشمي فنأدى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنبهوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تحببوا إلى حق، وإنني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

ففرغ أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتبان الكتاب ويعييان الناس، وأوقدوا النيران، وبات علي ليلته كلها يعيي الناس، ويكتب الكتاب ويدور في الناس يحرضهم.

النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتلوا يومهم ذلك، يحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثم انصرفوا وقد كان القوم صبر بعضهم لبعض. وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتل الناس كأشد القتال، وأخذ عمار يقول: يا أهل العراق، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهداهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما رأى الله عز وجل يعز دينه ويظهر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم، وهو فيما نرى راهب غير راغب، ثم قبض الله عز وجل رسوله ﷺ! فوالله إن زال بعده معروفاً بعداوة المسلم، وهواة الحريم. فأتيتوا له وقاتلوه فإنه يطفىء نور الله، ويظهر أعداء الله عز وجل.

فكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل، فأمره أن يحمل في الخيل، فحمل، وقاتله الناس وصبروا له، وشد عمار في الرجال، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه. وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاً له لأنه يقال له عمرو بن معاوية بن المتفق بن عامر بن عقيل - وكانت أمهما امرأة من بني يزيد - فلما التقيا تعارفا فتواقفا، ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه، وتراجع الناس.

فلما كان من الغد خرج محمد بن علي وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين، فاقتلوا كأشد القتال. ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفية: أن أخرج إلي، فقال: نعم، ثم خرج بمشي، فبصر به أمير المؤمنين فقال: من هذان المبارزان؟ فقيل: ابن الحنفية وعبيد الله بن عمر، فحرك دابته ثم نادى محمداً، فوقف له، فقال: أمسك دابتي، فأمسكها، ثم مشى إليه علي فقال: أبرز لك، هلم إلي، فقال: ليست لي في مبارزتك حاجة، فقال: بلى، فقال: لا، فرجع ابن عمر. فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: يا أبت، لم منعني من مبارزته؟ فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله، فقال: لو بارزته لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك، فقال: يا أبت أو تبرز لهذا الفاسق! والله لو أبوه سالك المبارزة لرغبت بك عنه، فقال علي: يا بني، لا تقل في أبيه إلا خيراً. ثم إن الناس تحاجزوا وتراجعوا.

قال: فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عقبة فاقتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة، فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب، وأخذ يقول: يا ابن عباس، قطعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم فكيف رأيتم الله صنع بكم؟! لم تعطوا ما طلبتم، ولم تتركوا ما أملتكم، والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم. فأرسل إليه ابن عباس: أن أبرز لي،

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه، أن علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه معه عدواً فيقول: لا تقتلوا القوم حتى يبدووكم، فأنتم بمحمد الله عز وجل على حجة، وترككم إليهم حتى يبدووكم حجة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، ومبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس.

قال أبو مخنف: وحدثني إسماعيل بن يزيد، عن أبي صادق، عن الحضرمي، قال: سمعت علياً يجرض الناس في ثلاثة مواطن: يجرض الناس يوم صفين، ويوم الجمل، ويوم النهر، ويقول: عباد الله، اتقوا الله، وغضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولاة والمبارزة والمناضلة والمجالد والمعاينة والمكادمة والملازمة، فأتيتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. ولا تنازعوا فتشعلوا وتذهب ربحكم واصبروا إن الله مع الصابرين. اللهم اهتمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر.

فأصبح علي من الغد، فعث على المينة والميسرة والرجالة والخيل. قال أبو مخنف: فحدثني فضيل بن خديج الكندي أن علياً بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر. وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ومعه رابته، ومسعر بن فذكي التميمي على قراء أهل البصرة، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدي، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية، أن معاوية بعث على ميمته ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى مقدمته يوم أقبيل من دمشق أبا الأعور السلمي - وكان على خيل أهل دمشق - وعمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، ومسلم بن عقبة المري على رجالة أهل دمشق، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلها، وبابع رجال من أهل الشام على الموت، فعملوا أنفسهم بالعمائم، فكان المقلون خمسة صفوف، وكانوا يخرجون ويصفون عشرة صفوف، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفاً، فخرجوا أول يوم من صفين فاقتلوا. وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة، وذلك يوم الأربعاء، فاقتلوا قتالاً شديداً جل



فأبى. وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً، وغشي الناس بنفسه. ثم خرج قيس بن سعد الأنصاري وابن ذي الكلاع الحميري فاقتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفا، وذلك في اليوم السادس.

ثم خرج الأشتر، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع، فاقتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفا عند الظهر، وكل غير غالب، وذلك يوم الثلاثاء.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب، أن علياً قال: حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم باجمعنا! فقام في الناس عشية الثلاثاء، ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، وما أبرم لا يقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقنا هؤلاء القوم الأقدار، فلفت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويمجزي الذين أحسنوا بالحسن. إلا أنكم لاقو القوم غداً، فاطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين. ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيفوهم ورماحهم ونباهم يصلحونها، ومر بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

أصبحت الأمة في أمر عجب والمملك مجموع غداً لمن غلب  
فقلت قولاً صادقاً غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب

قال: فلما كان من الليل خرج علي فعسى الناس ليلته كلها، حتى إذا أصبح زحف بالناس، وخرج إليه معاوية في أهل الشام، فأخذ علي يقول: من هذه القبيلة؟ ومن هذه القبيلة؟ فنسبت له قبائل أهل الشام، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزهم قال للأزد: اكفوني الأزد، وقال لخمهم: اكفوني خثعم. وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشام، ليس منهم بالعراق واحد، مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام إلا عدد قليل، فصرفهم إلى لخم. ثم تناهض الناس يوم الأربعاء فاقتلوا قتالاً شديداً نهارهم كله، ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب، حتى إذا كان غداة الخميس صلى علي بغلس.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه، قال: ما رأيت علياً غلس بالصلاة أشد من تغليسه يومئذ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، فكان يبدؤهم فيسير

إليهم فإذا راوه قد زحف إليهم استقبلوه بوجوههم.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب الجهني، أن علياً خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم فقال: اللهم رب السقف المرفوع، المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكانه سيطراً من الملائكة، لا يسأمون العبادة. ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما لا يرى ومما يرى من خلقك العظيم. ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً، إن أظهرتنا على عدونا فجنبتنا البغي، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة.

قال: وازدلف الناس يوم الأربعاء فاقتلوا كأشد القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة، وكثرت القتلى بينهم، وتماجزوا عند الليل وكل غير غالب، فأصبحوا من الغد، فصلى بهم علي غداة الخميس، فغلس بالصلاة أشد التغليس، ثم بدأ أهل الشام بالخروج، فلما راوه قد أقبل إليهم خرجوا إليه بوجوههم، وعلى ميمته عبد الله بن بديل، وعلى مسيرته عبد الله بن عباس، وقراء أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمار ابن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بديل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلي في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة، وعظم من معه من أهل المدينة الأنصار، ومعه من خزاعة عدد حسن، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة.

ثم زحف إليهم بالناس، ورفع معاوية قبة عظيمة قد ألقى عليها الكرايس وبايعه عظم الناس من أهل الشام على الموت، وبعث خيل أهل دمشق فاحتاطت بقبته، وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة فلم يزل يحوزه، ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبة معاوية عند الظهر.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب الجهني، أن ابن بديل قام في أصحابه فقال: ألا إن معاوية ادعى ما ليس أهله، وتنازع هذا الأمر من ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، قد زين لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حب الفتنة، ولبس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأتم على نور من ربكم وبرهان مبين. فقاتلوا الطغاة الجفاة، ولا تخشونهم، فكيف تخشونهم وفي أيديكم كتاب الله عز وجل طاهراً مبروراً! «أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّه

اللَّهُ بن عامر السفيه الضال، يخبر أحدكم في مجلسه بمثل ديته ودية أبيه وجده، يقول هذا لي ولا إثم علي، كأنما أعطى ترائه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله عز وجل، أفاءه علينا بأسياقتنا وأرامحنا، فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا يأخذكم في جهادهم لوم لائم، فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وخبرتم، وأيم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شراً.

وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبة معاوية، ثم إن الذين تابيعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم إلا ابن بديل في مائتين أو ثلثمائة من القراء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، وانحفل الناس، فأمر عليّ سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتلمتهم حتى ألحقهم بالميمنة، وكان في الميمنة إلى موقف علي في القلب أهل اليمن، فلما كشفوا انتهت الهزيمة إلى علي، فانصرف يتمشى نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضر من الميسرة، وثبتت ربيعة.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب الجهني، قال: مر علي معه بنوه نحو الميسرة، ومعه ربيعة وحدها، وإني لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبه، وما من بنيه أحد إلا يقبه بنفسه، فيكره عليّ ذلك، فيتقدم عليه فيحول بين أهل الشام وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه، فيصر به أحر - مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية - فقال علي: ورب الكعبة، قتلي الله إن لم أقتلك أو تقتلني! فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، ويتهزه علي، فيقع بيده في جيب درعه، فيجذبه، ثم حمله على عاتقه، فكانني أنظر إلى رجليه، تختلفان على عنق علي، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه، وشد ابنا علي عليه: حسين ومحمد، فضرباه بأسياقهما، حتى برد، فكانني أنظر إلى علي قائماً وإلى شبله يضربان الرجل، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما، والحسن قائماً قال له يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين. ثم إن أهل الشام دنوا منه والله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن: ما ضرك لو سمعت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك؟ فقال: يا بني، إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عند السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إن أباك والله ما يبالي

أَحْتُ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ»، وقد قاتلناهم مع النبي ﷺ مرة، وهذه ثانية، والله ما هم في هذه باتقى ولا أزكى ولا أرشد، قوموا إلى عدوكم بارك الله عليكم! فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، عن أبيه ومولى له، أن علياً حرض الناس يوم صفين، فقال:

إن الله عز وجل قد دلکم على نجاة من عذاب أليم، تشف بکم على الخير: الإيمان بالله عز وجل وبرسوله ﷺ، والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرة الذنب، ومساکن طيبة في جنات عدن. ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص، وقدموا الدارح، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتروا في أطراف الرماح، فإنه أصون للأسنة. وغضوا الأبصار فإنه أربط للجاش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار. راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، فإن المانع للذمار، والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكفونها، يضربون حفافها خلفها وأمامها، ولا يضعونها. أجزأ امرؤ وقد قرنه - رحمه الله - وآسى أخاه بنفسه، ولم يكسب بذكره إلى أخيه، فيكسب بذلك لائمة، ويأتي به دناءة. وأنى لا يكون هذا هكذا! وهذا يقاتل اثنين، وهذا أمسك بيده يدخل قرنه على أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه! من يفعل هذا يمقته الله عز وجل، فلا تعرضوا لمقت الله سبحانه فإنما مردكم إلى الله، قال الله عز من قائل لِقَوْمٍ: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَأُتَمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وأيم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة. واستعينوا بالصدق والصبر، فإن بعد الصبر ينزل الله النصر.

### الجد في الحرب والقتال

قال أبو مخنف: حدثني أبو روق الهمداني، أن يزيد بن قيس الأرحبي حرض الناس فقال: إن المسلم السليم من سلم دينه ورايه، وإن هؤلاء القوم والله إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه، وإحياء حق رأونا أمتناه، وإن يقاتلونا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً، فلو ظهروا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - لزموكم بمثل سعيد والوليد وعبد

أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه.

الموت، ثم نستقدم نحن وهم فلا تنصرف حتى تقتل أو نظفر. فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر: إليّ أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا ترجع أبداً حتى نظفر أو نهلك. فأتوه فوقفوا معه، ففي هذا القول قال كعب بن جعيل التغلبي: وهمدان زرق تبغي من تحالف

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياة والوفاء، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها، ولا لجمع إلا حازه ورده، فإنه لكذلك إذ مر بزياد بن النضر يجعل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ فقيل: زياد بن النضر، استلحم عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتقدم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا، وقاتل حتى صرع، ثم لم يمكثوا إلا كلا شيء حتى مر بيزيد بن قيس الأرحبي محمولاً نحو العسكر، فقال الأشتر: من هذا؟ فقالوا: يزيد بن قيس، لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته، فقاتل حتى صرع، فقال الأشتر: هذا والله الصبر الجميل، والفعل الكريم، ألا يستحي الرجل أن ينصرف لا يقتل، ولا يقتل أو يشفى به على القتل!.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن الحر بن الصباح النخعي، أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة ممانية، إذا طأها خلت فيها ماء منصّباً، وإذا رفعها كاد يعشي البصر شعاعها، وجعل يضرب بسيفه ويقول:

الغمسات ثم ينجلينا

قال: فبصر به الحارث بن جهان الجعفي والأشتر متفتح في الحديد، فلم يعرفه، فدنا منه فقال له: جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين! فعرّفه الأشتر فقال يا ابن جهان، مثلك يتخلف عن مثل موطني هذا الذي أنا فيه! فنظر إليه ابن جهان فعرّفه، فكان من أعظم الرجال وأطول - وكان في لحيته خفلة قليلة - فقال: جعلت فداك! لا والله ما علمت بمكانك إلا الساعة، ولا أفارقك حتى أموت. قال: ورآه منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان، فقال منقذ لحمير: ما في العرب مثل هذا، إن كان ما أرى من قتاله على نيته، فقال له حمير: وهل النية إلا ما تراه يصنع! قال: إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مولى للأشتر، أنه لما اجتمع إليه عظم من كان انهزم عن الميمنة حرضهم، ثم قال: عضوا على النواجذ من الأضراس، واستقبلوا القوم بهامكم، وشدوا شدة قوم موتورين ثاراً بأبائهم وإخوانهم، حنقاً على عدوهم قد وطنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بوتر، ولا يلحقوا في الدنيا عاراً، وإيم الله ما وتر قوم قط بشيء أشد عليهم من أن يوتروا دينهم، وإن هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلا

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن مولى للأشتر، قال: لما انهزمت ميمنة العراق وأقبل عليّ نحو الميسرة، مر به الأشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له علي: يا مالك، قال: لييك، قال: انت هؤلاء القوم قتل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه، إلى الحياة التي لن تبقى لكم! فمضى فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له علي. وقال: إلي أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، أنا مالك بن الحارث، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر، إلي أيها الناس. فأقبلت إليه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فنادى: أيها الناس، عضضتم بهن آبائكم! ما أتبع ما قاتلت منذ اليوم! أيها الناس، أخلصوا إليّ مذحجاً، فأقبلت إليه مذحج، فقال: عضضتم بصم الجنادل! ما أرضيتم ريكم، ولا نصحتكم له في عدوكم، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دساؤهم، ولا يعرفون في موطن يخسف وأنتم حد أهل مصركم، وأعد حي في قومكم، وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنه ماثور بعد اليوم، فأتقوا ماثور الأحاديث في غد، واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصادقين. والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء - وأشار بيده إلى أهل الشام - رجل على مثال جناح بعوضة من محمد ﷺ. أنتم ما أحسستم القراع، اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي.

عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله عز وجل لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه.

قالوا: خذ بنا حيث أحببت. وصمد نحو عظيمهم فيما يلي الميمنة، فأخذ يزحف إليهم، ويردهم، ويستقبله شباب من همدان - وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ - وقد انهزموا آخر الناس، وكانوا قد صبروا في الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيساً، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر، فكان الأول كريب بن شريح، ثم شرحبيل بن شريح ثم مرثد بن شريح ثم هبيرة بن شريح ثم يريم بن شريح ثم سمر بن شريح، فقتل هؤلاء الإخوة الستة جميعاً. ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ثم عبد بن زيد، ثم كريب بن زيد، فقتل هؤلاء الأخوة الثلاثة جميعاً، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير، ثم الحارث بن بشير، فقتلا، ثم أخذ الراية وهب بن كريب أخو القلوص، فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية - رحل الله - فقد قتل أشراف قومك حولها، فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك، فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على

بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية، ثم شد عليهم شدة أخرى فصنع الصفوف الأربعة، - وكانوا معقلين بالعمائم - حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية، ودعا معاوية بفرس فركب - وكان يقول: أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الإطناية من الأنصار - كان جاهلياً، والإطناية امرأة من بلقين:

أبت لي عفتي وحياة نفسي وإقامي على البطل المشيح  
وأعطائي على المكروه مالي وأخذني الحمد بالثمن الريح  
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي  
فمنعني هذا القول من الفرار.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب، أن علياً لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشفت من بإزائها من عدوها حتى ضاربهم في مواقعهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رايت جولتكم والمحيازكم عن صفوفكم، يجوزكم الطغاة الحفاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعمار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون، فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وركبكم بعد محيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره، وكنتم من المهالكين، ولكن هون وجدي، وشفي بعض أحاح نفسي، أني رأيتم بأخرة حزمتمهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسونهم بالسيف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة الهيم فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة وتبكتكم الله عز وجل باليقين، ليعلم المهزم أنه مسخط ربه وموبق نفسه، إن في الفرار موجدة الله عز وجل عليه، والذل اللازم، والعار الباقي، واعتصار الفياء من يده، وفساد العيش عليه. وإن الفار منه لا يزيد في عمره، ولا يرضي ربه، فموت المرء محقاً قبل إتيان هذه الخصال، خير من الرضا بالتأنيس لها، والإقرار عليها.

قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسي، أن راية بجيلة بصفين كانت في أحسن بن الغوث بن أنمار مع أبي شداد - وهو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علي بن أسلم بن أحسن بن الغوث - وقالت له بجيلة: خذ رايتنا، فقال: غيري خير لكم مني، قالوا: ما نريد غيرك، قال: والله لئن أعطيتونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب، قالوا: أصنع ما شئت، فأخذها ثم زحف، حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس المذهب - وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية، وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي - فاقتل الناس هنالك قتالاً شديداً، فشدد بسيفه نحو صاحب الترس، فتعرض له رومي، مولى لمعاوية

عن دينكم ليميتوا السنة، ويجيوا البدعة، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عز وجل منها بحسن البصيرة. فطيخوا عباد الله أنفساً بدمائكم دون دينكم، فإن ثوابكم على الله، والله عنده جنات النعيم. وإن الفرار من الزحف فيه السلب للعز، والغلبة على الفياء، وذل الحيا والمعات، وعار الدنيا والآخرة.

وحمل عليهم حتى كشفهم، فالحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبد الله بن بديل وهو في عصبة من القراء بين المائتين والثلاثمائة، وقد لصقوا بالأرض كأنهم جثا فكشف عنهم أهل الشام، فاصبروا إخوانهم قد دنوا منهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟ قالوا: حي صالح في الميسرة، يقاتل الناس أمامه، فقالوا: الحمد لله، قد كنا ظننا أن قد هلك وهلكتم. وقال عبد الله بن بديل للأصحاب: استقدموا بنا، فأرسل الأشر إلى: ألا تفعل، أثبت مع الناس فقاتل، فإنه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك. فأبى، فضى كما هو نحو معاوية، وحوله كأمثال الجبال، وفي يده سيفان، وقد خرج فهو أمام أصحابه، فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب، وأحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين، فبعث الأشر بن جهمان الجعفي فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل حتى نفسوا عنهم، وانتهوا إلى الأشر، فقال لهم: ألم يكن رأيي لكم خيراً من رأيكم لأنفسكم! ألم أمركم أن تثبتوا مع الناس! وكان معاوية قال لابن بديل وهو يضرب قدماً: أثرونه كبش القرم! فلما قتل أرسل إليه، فقال: انظروا من هو؟ فنظر إليه ناس من أهل الشام فقالوا: لا نعرفه، فأقبل إليه حتى وقف عليه، فقال: بلى، هذا عبد الله بن بديل، والله لو استطاعت نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلاً على رجالها لفعلت مدوه، فمدوه، فقال: هذا والله كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن غضت به الحرب عضها

وإن شمرت يوماً به الحرب شمرا

والبيت لحاتم طيى. وإن الأشر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعك والأشعرين، فقال الأشر لمذحج: اكفونا وعكاً، ووقف في همدان وقال لكندة: اكفونا الأشعرين، فاقتلوا قتالاً شديداً، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول: إنما هم عك، فاحملوا عليهم، فيجثون على الركب ويرتجزون:

يا ويل أم مذحج من عك هاتيك أم مذحج تيكسي

فقاتلوهم حتى المساء. ثم إنه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس، فحمل عليهم فزالهم عن مواقعهم حتى ألحقهم

الشامي وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله من بني ثعلبة، وقتل مع غنم من رهطه عبد الله وخالد ابنا ذاجد، وعمرو وعامر ابنا عوف، وعبد الله بن الحجاج وجندب بن زهير، وأبو زينب بن عوف بن الحارث، وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في الفقراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن حصيرة، عن أشياخ النمر، أن عقبة بن حديد النمري قال يوم صفين: ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيماً، وأصبح شجرها خضيداً، وجديدها سماً، وحلوه مر المذاق. ألا وإني أنبئكم نبأ امرئ صادق: إني قد سئمت الدنيا وعزفت نفسي عنها، وقد كنت أتمنى الشهادة، وأتعرض لها في كل جيش وغارة، فأبى الله عز وجل إلا أن يبلغني هذا اليوم. ألا وإني متعرض لها من ساعتي هذه، قد طمعت ألا أحرماها، فما تنتظرون عباد الله مجاهد من عادى الله؟ خوفاً من الموت القادم عليكم، الذاهب بأنفسكم لا محالة، أو من ضربة كف بالسيف! تستبدلون الدنيا بالنظر في وجه الله عز وجل وموافقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في دار القرار! ما هذا بالرأي السديد. ثم مضى فقال: يا إخواني، قد بعث هذه الدار بالتي أمامها، وهذا وجهي إليها لا يبرح وجوهكم، ولا يقطع الله عز وجل رجاءكم. فتنبه إخوتاه: عبيد الله وعوف ومالك، وقالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك، فقبض الله العيش بعدك! اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك! فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا.

قال أبو مخنف: حدثني صلة بن زهير النهدي، عن مسلم بن عبيد الله الضبابي، قال: شهدت صفين مع الحي ومعنا شمر بن ذي الجوشن الضبابي، فبارزه أدهم بن عمرز الباهلي، فضرب أدهم وجهه شمر بالسيف، وضربه شمر ضربة لم تضربه فرجع شمر إلى رحلة فشرب شربة - وكان قد ظمى - ثم أخذ الرمح، فأقبل وهو يقول:

إنسي زعيم لأخي باهله بطعنة إن لم أصب عاجله  
أو ضربة تحت القنا والوعى شبيهة بالقتل أو قاتله  
ثم حمل على أدهم فصرعه، ثم قال: هذه بتلك.

قال أبو مخنف: حدثني عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجشمي أن بشر بن عصمة المزني كان لحق بمعاوية، فلما اقتتل الناس بصفين بصر بشر بن عصمة بمالك بن العقدي - وهو مالك بن الجلاح الجشمي، ولكن العقدي غلبت عليه - فرآه بشر وهو يفري في أهل الشام فرأى عجباً وكان رجلاً مسلماً شجاعاً، فغاط بشراً ما رأى منه، فحمل عليه فطعنه فصرعه، ثم انصرف، فقدم لطحته إياه جباراً، فقال:

فيضرب قدم أبي شداد فيقطعها، ويضربه أبو شداد فيقتله، وأشرعت إليه الأسنة فقتل، وأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحسي وهو يقول:

لا يبعد الله أباشداد حيث أجاب دعوة المنادي  
وشد بالسيف على الأعادي نعم الفتى كان لدى الطراد  
وفي طعان الرجل والجلاد

فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إلياس، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس، وقتل حازم بن أبي حازم الأحسي - أخو قيس بن أبي حازم - يومئذ - وقتل نعم بن صهيب بن العلية البجلي يومئذ، فأتى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث بن العلية معاوية - وكان معه - فقال: إن هذا القتيل ابن عمي، فهبه لي أدفنه، فقال: لا تدفنه فليس لذلك أهلاً، والله ما قدرنا على دفن ابن عفان عليه السلام إلا سراً. قال: والله لتأذن في دفنه أو لألحقن بهم ولأدعنك.

قال معاوية: أترى أشياخ العرب قد أحالتهم أمورهم، فانت تسألني في دفن ابن عمك! أدفنه إن شئت أو دع. فدفنه.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حصيرة الأزدي، عن أشياخ من النمر من الأزدي، أن مخنف بن سليم لما نذبت الأزدي للأزدي، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن من الخطأ الجليل، والبلاء العظيم، أنا صرفنا إلى قومنا وصرفوا إلينا، والله ما هي إلا أيدينا نقطعها بأيدينا، وما هي إلا أجنحتنا نجدها بأسيافتنا، فإن نحن لم نؤاس جماعتنا، ولم نناصح صاحبنا كفرنا، وإن نحن فعلنا فعزنا أجننا، ونارنا أخذنا، فقال له جندب بن زهير: والله لو كنا آباءهم ولولدناهم، أو كنا أبناءهم وولدونا - ثم خرجوا من جماعتنا، وطعنوا على إمامنا، وإذا هم الحاكمون بالجور على أهل ملتنا وذمتنا، ما افرقنا بعد أن اجتمعوا حتى يرجعوا عما هم عليه، ويدخلوا فيما ندعوههم إليه، أو تكسر القتل بيننا وبينهم.

قال له مخنف وكان ابن خالته: أعز الله بك النية، والله ما علمت صغيراً وكبيراً إلا مشؤوماً، والله ما ملنا الرأي قط أيهما نأتي أو أيهما ندع - في الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا - إلا اخترت أعسرهما وأنكدهما، اللهم إن تعافى أحب إلينا من أن تبتلني، فأعط كل امرئ منا ما يسألك.

وقال أبو بريدة بن عوف: اللهم احكم بيننا بما هو أَرْضى لك. يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس، وإن لنا الأسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حق، وإن يكونوا صادقين فإن أسوة في الشر - والله ما علمنا - ضرر في الحيا والممات.

وتقدم جندب بن زهير، فبارز رأس أزد الشام، فقتله

يزيد، فتعارفا، فتوافقا وانصرفا إلى الناس، فأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه.

قال أبو مخنف: حدثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوين الطائي، أن طيناً يوم صفين قاتلت قتالاً شديداً، فبعيت لهم جموع كثيرة، فجاءتهم حمزة بن مالك الحمداني، فقال: ممن أنتم، لله أنتم! فقال عبد الله بن خليفة البولاني - وكان شيعياً شاعراً خطيباً: نحن طيئ السهل، وطيئ الرمل، وطيئ الجبل، المنوع ذي النخل، نحن حماة الجبلين، إلى ما بين العذيب والعين، نحن طيئ الرماح، وطيئ النطاح، وفرسان الصباح.

فقال حمزة بن مالك: بخ بخ! إنك لحسن الثناء على قومك، فقال

إن كنت لم تشعر بنجدة معشر فأقدم علينا ويب غيرك تشعر ثم اقتل الناس أشد القتال، فأخذ يناديهم ويقول: يا معشر طيئ، فدى لكم طارفي وتالدي! قاتلوا على الأحساب، وأخذ يقول:

أنا الذي كنت إذا الداعي دعا مصمماً بالسيف ندباً أروعا  
فأنزل المستنتم المقتعاً وأقتل المبائط السميعة  
وقال بشر بن العسوس الطائي ثم الملقطى:

يا طيئ السهول والأجبال ألا انتهلوا بالبيض والعمالي  
وبالكماة منكم الأبطال ققارعوا أئمة الجهال  
السالكين سبل الضلال

ففقت يومئذ عين ابن العسوس، فقال في ذلك:

ألا ليت عيني هذه مثل هذه فلم أمش في الأناس إلا بقائد  
ويا ليتني لم أبق بعد مطرف وسعد وبعد المستير بن خالد  
فوارس لم تغد الخواضن مثلهم إذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد  
ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي

قال أبو مخنف: حدثني أبو الصلت التيمي، قال: قال: حدثني أشياخ محارب، أنه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيدة بن خالد، وكان من أشجع الناس، فلما اقتتل الناس يوم صفين، جعل يرى أصحابه منهزمين، فأخذ ينادي: يا معشر قيس، أطاعة الشيطان أثر عندكم من طاعة الرحمن! الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه، والصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه فتحتارون سخط الله تعالى على رضوانه ومعصيته على طاعته! فإثما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً لنفسه. وقال:

لا وآلت نفس امرئ ولي الدبر أنا الذي لا يشني ولا يفر  
ولا يرى مع المعازيل الغدر

فقاتل حتى ارتث. ثم إنه خرج مع الخمسمائة الذين كانوا

وإني لأرجو من مليكي تجاوزاً

ومن صاحب الموسم في الصدر ماجس

دلفت له تحت الغبار بطعنة

على ساعة فيها الطعان نخالس

فلبلغت مقاتله ابن العقدي، فقال:

ألا أبلغا بشر بن عصمة أنسي شغلت والهاني الذين أمارس  
فصادفت مني غرة وأصبتها كذلك والأبطال ماض وخالس

ثم حمل عبد الله بن الطفيل البكائي على جمع لأهل الشام، فلما انصرف حمل عليه رجل من بني تميم - يقال له قيس بن قرة، من لحق بمعاوية من أهل العراق - فيضع الرمح بين كتفي عبد الله بن الطفيل، ويعترضه يزيد بن معاوية، ابن عم عبد الله بن الطفيل، فيضع الرمح بين كتفي التيمي، فقال: والله لئن طعنته لأطعنك، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لئن رفعت السنان على ظهر صاحبك لترفعن سنائك عني! فقال له: نعم، لك بذلك عهد الله، ورفع السنان عن ابن الطفيل، ورفع يزيد السنان عن التيمي، فقال: ممن أنت؟ قال: من بني عامر، فقال له: جعلني الله فداكم! أينما الفككم الفككم كراماً، وإني لحادي عشر رجلاً من أهل بيتي ورهطي قتلتموهم اليوم، وأنا كنت آخرهم. فلما رجع الناس إلى الكوفة عتب على يزيد بن الطفيل في بعض ما يعتب فيه الرجل على ابن عمه، فقال له:

ألم ترني حاميت عنك مناصحاً بصفين إذ خلاك كل حميم  
ونهنمت عنك الحنظلي وقد أتى على سابح ذي معة وهزيم!

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، قال: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي، ثم الطمحي، فتجالوا ساعة. ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي فطعنه في ثغرة نحره فصرعه، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه، فإذا هو حبشي، فقال: إنا لله! لمن أخطرت نفسي! لعبد أسود! وخرج رجل من عك يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس بن فهدان الكناني، ثم البدني، فحمل عليه العكي فصره واحتمله أصحابه فقال قيس بن فهدان:

لقد علمت عك بصفين أنسا إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا  
ونحمل رايات الطعان بحقها فنوردها بيضاً ونصدها حمرا

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج أن قيس بن فهدان كان يحرض أصحابه فيقول: شدوا إذا شددتم جميعاً، وإذا انصرفتم فأقبلوا معاً، وغضوا الأبصار، وأقلوا اللفظ، واعتوروا الأقران، ولا يؤتين من قبلكم العرب. قال: وقتل نهيك بن عزيز - من بني الحارث بن عدي وعمرو بن يزيد من بني ذهل، وسعيد بن عمرو - وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر إلى معاوية من علي، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه أخوه أبو العمرطة بن

قال: وسمعتهم يقولون: إن خالد بن المعمر وسفيان بن ثور السدوسي اصطلحا على أن وليا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحضي بن المنذر الذهلي، وتنافسوا في الارية، وقالوا: هذا فتى منا له حسب، نجعلها له حتى نرى من رأينا.

ثم إن علياً ولى خالد بن المعمر بعد راية ربيعة كلها. قال: وضرب معاوية خمير بسهمهم على ثلاث قبائل، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يومئذ: عل ربيعة وهمدان ومذحج، فوقع سهم حمير على ربيعة، فقال ذو الكلاع: قبحك الله من سهم! كرهت الضراب! فاقبل ذو الكلاع في حمير ومن تعلقها، ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام، وعلى ميمنتهم ذو الكلاع، فحملوا على ربيعة، وهم ميسرة أهل العراق، وفيهم ابن عباس، وهو على الميسرة، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر حملة شديدة تخيلهم ورجلهم، فتضعضت رايات ربيعة إلا قليلاً من الأخبار والأبدال.

قال: ثم إن أهل الشام انصرفوا، فلم يمتكنوا إلا قليلاً حتى كروا، وعبيد الله بن عمر يقول: يا أهل الشام، إن هذا الحي من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنصار علي بن أبي طالب، وإن هزمت هذه القبيلة أدرتكم شاركم في عثمان وهلك علي بن أبي طالب وأهل العراق، فشدوا على الناس شدة، فثبت لهم ربيعة، وصبروا صبراً حسناً إلا قليلاً من الضعفاء والنشلة، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر منهم والحفاظ، فلم يزولوا، وقاتلوا قتالاً شديداً. فلما رأى خالد بن المعمر ناساً من قومه انصرفوا انصرف، ولما رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم، وأمرهم بالرجوع، فقال: من أراد من قومه أن يتهمه، أراد الانصراف. فلما رأنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو: لما رأيت رجالاً منا انهزموا رأيت أن استقبلهم وأردم إليكم، وأقبلت إليكم فيمن أطاعني منهم، فجاء بأمر مشبه.

قال أبو مخنف: حدثني رجل من بكر بن وائل، عن محرز بن عبد الرحمن العجلي، أن خالداً قال يومئذ: يا معشر ربيعة، إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه، فجمعكم في هذا المكان جمعاً لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض، فإن تمسكوا بأيديكم، وتكلموا عن عدوكم وتزولوا عن مصافكم لا يرض الله فعلكم، ولا تقدموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلا يقول: فضحت ربيعة الذمار، وحاصت عن القتال، وأتيت من قبلها العرب، فلإياكم أن يتشام بكم العرب والمسلمون اليوم. وإنكم إن تمضوا مقبلين مقدمين، وتصيروا

اعتزلوا مع فروة بن نوفل الأشجعي، فنزلوا بالدمسكرة والبنديجين، فقاتلت النخ يومئذ قتالاً شديداً، فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوزة وحيان بن هوزة وشعيب بن نعيم من بني بكر النخ، وربيعه بن مالك وهبيل، وأبى بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلي أصبح ما كانت، وإنها لما أرجو به حسن الثواب من ربي عز وجل. وقال: لقد كنت أحب أن أرى في نومي أخي أو بعض إخواني، فرأيت أخي في النوم فقلت: يا أخي، ماذا قدمتم علي؟ فقال لي: إنا التقينا نحن والقوم، فاحتججنا عند الله عز وجل، فحججناهم، فما سررت منذ عقلت سروري بتلك الرؤيا.

قال أبو مخنف: حدثني سويد بن حبة الأسدي، عن الحضي بن المنذر، أن أناساً كانوا أتوا علياً قبل الوقعة فقالوا له: إنا لا نرى خالد بن المعمر إلا قد كاتب معاوية، وقد خشينا أن يتابعه. فبعث إليه علي وإلى رجال من أشرافنا، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد يا معشر ربيعة، فأنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومن أوثق حي في العرب في نفسي، وقد بلغني أن معاوية قد كاتب صاحبكم خالد بن المعمر، وقد أتيت به، وجمعتكم لأشهدكم عليه ولتسمعوا أيضاً ما أقوله. ثم أقبل عليه، فقال: يا خالد بن المعمر، إن كان ما بلغني حقاً فلنني أشهد الله ومن حضرني من المسلمين أنك آمن حتى تلحق بأرض العراق أو الحجاز أو أرض لا سلطان لمعاوية فيها، وإن كنت مكذوباً عليك، فإن صدورنا تطمئن إليك. فحلف بالله ما فعل، وقال رجال منا كثير: لو كنا نعلم أنه فعل أمثلناه، فقال شقيق بن ثور السدوسي: ما وفق خالد بن المعمر أن نصر معاوية وأهل الشام على علي وربيعة، فقال زياد بن خصفة التيمي: يا أمير المؤمنين، استوثق من ابن المعمر بالآيمان لا يغدرنك. فاستوثق منه، ثم انصرفنا.

فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قبل الميمنة، فجاءنا علي حتى انتهى إلينا ومعه بنوه، فنادى بصوت عال جهير، كغير المكتثر لما فيه الناس: لمن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة، فقال: بل هي رايات الله عز وجل، عصم الله أهلها، فصرهم، وثبت أقدامهم. ثم قال لي: يا فتى، ألا تدني رايتك هذه ذراعاً؟ قلت: نعم والله عشرة أذرع، فمقت بها فادنيها، حتى قال: إن حسبك مكانك، فثبت حيث أمرني، واجتمع أصحابي.

قال أبو مخنف: حدثنا أبو الصلت التيمي، قال: سمعت أشياخ الحي من تيم الله بن ثعلبة يقولون: إن راية ربيعة، أهل كوفتها وبصرتها، كانت مع خالد بن المعمر من أهل البصرة.

قال أبو مخنف: حدثني ابن أخي غياث بن لقيط البكري أن علياً حيث انتهى إلى ربيعة، تبارت ربيعة بينها، فقالوا: إن أصيب علي فيكم وقد لجأ إلى رايحكم افتضحتهم. وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة، لا عذر لكم في العرب إن وصل إلى علي فيكم وفيكم رجل حي، وإن منعتموه فمجد الحياة اكتسبتموه. فقاتلوا قتلاً شديداً حين جاءهم علي لم يكونوا قاتلوا مثله، ففسي ذلك قال علي:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما يقدمها في الموت حتى يزيها حياض المنايا تقطر الموت والدماء أذقنا ابن حرب طعنا وضربنا بأسافنا حتى تولى وأحجما جزى الله قوماً صابروا في لقاءهم لدى الموت قوماً ما أعف وأكرما وأطيب أخباراً وأكرم شيمة إذا كان أصوات الرجال تغمغما ربيعة أعني أنهم أهل نجدة وبأس إذا لا قوا جسيماً عرمرما

### مقتل عمار بن ياسر

قال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنخي عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإنني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير الأزدي، قال: سمعت عماراً يقول: واللّه إنني لأرى قوماً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبطون، وإيم الله لو ضربونا حتى يلبغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق، وأنهم على الباطل.

حدثنا محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا مسلم الأعور، عن حبة بن جوين العرني، قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن، فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكما، ما خلقتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما. فأسندته إلى أبي مسعود، قلنا: يا أبا عبد الله، حدثنا فإننا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية، إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه ضياح من لبن».

قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: اتوني بآخر رزق لي من الدنيا، فأتني بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة هراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شجرة، فقال: اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه

معتسين فإن الإقدام لكم عادة، والصبر منكم سجية، واصبروا ونيبتكم صادقة أن توجروا، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

فقام رجل من ربيعة فقال: ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت إليك أمورها! تأمرنا ألا نزول ولا محول حتى تقتل أنفسنا، وتسفك دماءنا! ألا ترى الناس قد انصرف جلهم! فقام إليه رجال من قومه فنهروه وتناولوه بالسثهم. فقال لهم خالد: أخرجوا هذا من بينكم، فإن هذا إن بقي فيكم ضرركم، وإن خرج منكم لم ينقصكم، هذا الذي لا ينقص العدد، ولا يملأ البلد، برحك الله من خطيب قوم كرام! كيف جنبيت السداد! واشتد قتال ربيعة وحير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى، فقتل سمير بن الريان بن الحارث العجلي، وكان من أشد الناس بأساً.

قال أبو مخنف: حدثني جيفر بن أبي القاسم العبدي، عن يزيد بن علقمة، عن زيد بن بدر العبدي، أن زياد بن خصفة أتى عبد القيس يوم صفين وقد عيبت قبائل حمير مع ذي الكلاع - وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب - لبكر بن وائل، فقتلوا قتلاً شديداً، خافوا فيه الهلاك.

فقال زياد بن خصفة: يا عبد القيس، لا بكر بعد اليوم. فركبنا الخيول، ثم مضينا فواقفناهم، فما لبثنا إلا قليلاً حتى أصيب ذو الكلاع، وقتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه، فقالت همدان: قتله هاني بن خطاب الأرحبي، وقالت حضرموت: قتله مالك بن عمرو التنعي، وقالت بكر بن وائل: قتله حمز بن الصحصح من بني عائش بن مالك بن تيم بن ثعلبة، وأخذ سيفه ذا الوشاح، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل، فقالوا: إنما قتله رجل منا من أهل البصرة، يقال له: حمز بن الصحصح، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف، وكان رأس النمر بن قاسط عبد الله بن عمرو من بني تيم الله بن النمر.

قال هشام بن محمد: الذي قتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه حمز بن الصحصح، وأخذ سيفه ذا الوشاح، سيف عمر، وفي ذلك قول كعب بن جعيل التغلبي:

ألا إنما تكيي العيون لفارس بصفين أجلت خيله وهو واقف يبدل من أسماء أسياف وائل وكان قتي لو أخطأته المشالف تركن عبيد الله بالقاع مسنداً تمج دم الحرق العروق السدواف وهي أكثر من هذا.

وقتل منهم يومئذ بشر بن مرة بن شرحبيل، والحارث بن شرحبيل، وكانت أسماء ابنة عطار بن حاجب التميمي تحت عبيد الله بن عمر، ثم خلف عليها الحسن بن علي.



لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد ﷺ، ورايته جاء إلى المرقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي، فقال: يا هاشم، أعوراً وجيناً! لا خير في أعور لا يغشي البأس، فإذا رجل بين الصفيين قال: هذا والله ليخلفن إمامه، وليخذلن جنده، وليصبرن جهده، اركب يا هاشم، فركب، ومضى هاشم يقول:

أعور يغشي أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملأ  
لا بد أن يقل أو يفلأ

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين.

اليوم ألقى الأحيه محمداً وحزبه

فلم يرجعاً وقتلا - قال: يفيد لك علمهما من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، أنهما كانا علماً - فلما كان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم: هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم، فركبت فرسي وقد هدأت الرجل، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو - وهو خير الأربعة - فادخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين، فقال عبد الله لأبيه: يا أبت، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال! قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبيي المسجد، والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وعمار ينقل حجرتين حجرتين ولبتين لبتين، فغشي عليه، فأناه رسول الله ﷺ، فجعل يسبح التراب عن وجهه ويقول: «ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً، ولبنة لبنة، وأنت تنقل حجرتين حجرتين ولبتين لبتين رغبة منك في الأجر! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية!».

فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية، أما تسمع ما يقول عبد الله! قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر، فقال معاوية: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! أو نحن قتلنا عماراً! إنما قتل عماراً من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم وأحييتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب؟ هو أم هم!.

قال أبو جعفر: وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال علي لربيعة وهمدان: أنتم درعي وورعي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم علي على بغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه،

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سقافات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الأسل، والجنة تحت البارقة.

حدثني محمد، عن خلف، قال: حدثنا منصور بن أبي نوبرة، عن أبي مخنف. وحدثت عن هشام بن الكلبي، عن أبي مخنف، قال حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب الجهني، أن عمار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ: أين من يبتغي رضوان الله عليه، ولا يثوب إلى مال ولا ولداً فأتته عصابة من الناس، فقال: أيها الناس، اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبيعون دم ابن عفان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله ما طلبتهم بدمه، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرهوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يترغون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجالان. اللهم إن تنصرتنا فاطلما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم. ثم مضى، ومضت تلك العصابة التي أجابته حتى دنا من عمرو فقال: يا عمرو، بعث دينك بمصر، تباً لك تباً! طاماً بغيت في الإسلام عوجاً. وقال لعبيد الله بن عمر بن الخطاب: صرعتك الله! بعث دينك من عدو الإسلام وابن عدوه، قال: لا، ولكن أطلب بدم عثمان بن عفان ﷺ، قال له: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز وجل، وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: أخبرنا عبيد بن الصباح، عن عطاء بن مسلم، عن الأعمش، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت عمار بن ياسر بصفين وهو يقول لعمر بن العاص: لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى.

حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا الوليد بن صالح، قال حدثنا عطاء بن مسلم، عن الأعمش، قال: قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا مع عليّ بصفين، فكنا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه، فألقاه إليهم، وقالوا لولا أنه انثنى ما رجعت - فقال الأعمش: هذا والله ضرب غير مراتب، فقال أبو عبد الرحمن: سمع القوم شيئاً فأدوه وما كانوا بكذابين - قال: ورأيت عماراً

حتى بلغوا معاوية، وعلي يقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية  
ثم نادى معاوية، فقال علي: علام يقتل الناس بيننا! هلم  
أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له  
عمرو: أنصفك الرجل فقال معاوية: ما أنصف، وإنك لتعلم أنه  
لم يبارزه رجل قط إلا قتله، قال له عمرو: وما يجعل بك إلا  
مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي.

قال هشام، عن أبي مخنف: قال: حدثني عبد الله بن عبد  
الرحمن بن أبي عمرة، عن سليمان الحضرمي، قال: قلت لأبي  
عمرة: ألا تراهم، ما أحسن هيتهم! يعني أهل الشام، ولا ترانا ما  
أقبح رعبتنا! فقال: عليك نفسك فأصلحها، ودع الناس فإن فيهم  
ما فيهم.

### خير هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليلة الهيرير

قال أبو مخنف: وحدثني أبو سلمة، أن هاشم بن عتبة  
الزهري دعا الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار  
الآخرة فإلي، فأقبل إليه ناس كثير، فشد في عصابة من أصحابه  
على أهل الشام مراراً، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبر له  
وقاتل فيه قتالاً شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من  
صبرهم، فوالله ما ترون فيهم إلا حمية العرب وصبراً تحت  
راياتها، وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال، وإنكم لعلى الحق.  
يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على  
تؤدة رويداً، ثم اثبتوا وتناصروا، واذكروا الله، ولا يسال رجل  
أخاه، ولا تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجاهدوهم  
محتسين، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين.

ثم إنه مضى في عصابة معه من القراء، فقاتل قتالاً شديداً  
هو وأصحابه عند المساء حتى راوا بعض ما يسرون به، قال:  
فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان  
إنني أناني خبر فاشجان أن علياً قتل ابن عفان

ثم يشد فلا يثني حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم ويلعن  
ويكثر الكلام، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبد الله، إن هذا  
الكلام، بعده الخصام، وإن هذا القتال، بعده الحساب، فاتق الله  
فإنك راجع إلى الله فسانئك عن هذا الموقف وما أردت به. قال:  
فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي، وأنتم لا  
تصلون أيضاً، وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم أردتوه  
على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان! إنما قتله أصحاب  
محمد وأبناء أصحابه وقراء الناس، حين أحدث الأحداث،

وخالف حكم الكتاب، وهم أهل الدين، وأولى بالنظر في أمور  
الناس منك ومن أصحابك، وما أظن أمر هذه الأمة وأمر هذا  
الدين أهمل طرفة عين. فقال له: أجل، والله لا أكذب، فإن  
الكذب يضر ولا ينفع. قال: فإن أهل هذا الأمر أعلم به، فخله  
وأهل العلم به. قال: ما أظنك والله إلا نصحت لي، قال: وأما  
قولك: إن صاحبنا لا يصلي، فهو أول من صلى، مع رسول الله  
وأفقه خلق الله في دين الله، وأولى بالرسول. وأما كل من ترى  
معي فكلمهم قارئاً لكتاب الله لا ينأى الليل تهجداً، فلا يغوينك  
عن دينك هؤلاء الأشيقاء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبد الله، إني أظنك امرأ صالحاً، فتخبرني:  
هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبد الله، تب إلى الله يتب  
عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويجب  
المتطهرين. قال: فحشر والله الفتى الناس راجعاً، فقال له رجل  
من أهل الشام: خدعك العراقي، خدعك العراقي، قال: لا،  
ولكن نصح لي. وقاتل هاشم قتالاً شديداً هو وأصحابه وكان  
هاشم يدعى المرقال، لأنه كان يرقل في الحرب، فقاتل هو  
وأصحابه حتى أبروا على من يليهم، وحتى راوا الظفر، وأقبلت  
إليهم عند المغرب كتيبة لتتوخ فشدوا على الناس، فقاتلهم وهو  
يقول:

أعور يغني أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملأ  
يتلهم بندي الكعوب تلاً

فزعوا أنه قتل يومئذ تسعة أو عشرة. وحمل عليه الحارث  
بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط، وأرسل إليه علي: أن قدم  
لواءك، فقال لرسوله: انظر إلى بطني، فإذا هو قد شق، فقال  
الأنصاري الحجاج بن غزية:

فإن تغفروا بابن البديل وهاشم فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا  
ونحن تركنا بعد معترك اللقا أحاكم عبيد الله لحماً ملجبا  
ونحن أحطنا بالبعير وأهله ونحن سقيناكم سماماً مقشبا

هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني مالك بن أعين الجهني،  
عن زيد بن وهب الجهني، أن علياً مر على جماعة من أهل الشام  
فيها الوليد بن عتبة، وهم يشتمونه، فخير بذلك، فوقف فيمن  
يليهم من أصحابه فقال: انهذوا إليهم، عليكم السكينة والوقار،  
وقار الإسلام، وسيما الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل  
قائدهم ومؤذنه معاوية وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي وابن  
أبي معيط شارب الخمر المجلود حداً في الإسلام، وهم أولى من  
يقومون فيقتصوني ويجذبوني، وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ  
ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام،  
الحمد لله، قديماً عاداني الفاسقون قعيدهم الله ألم يقبحوا! إن

يومئذ:

إن تقتلونني فإنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعلم  
رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: قال أبو مخنف. فاقتل  
الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح، وهي ليلة الهريز، حتى  
تقصفت الرماح وفند النبل، وصار الناس إلى السيوف، وأخذ  
علي يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر كل كتيبة من القراء أن  
تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى  
أصبح والمركة كلها خلف ظهره، والأشتر في ميمنة الناس، وابن  
عباس في الميسرة، وعلي في القلب، والناس يقتتلون من كل  
جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقااتل  
فيها، وكان قد تولاهوا عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع  
الضحى، وأخذ يقول لأصحابه: ازحفوا قيد هذا الرمح، وهو  
يزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعلوا قال: ازحفوا قاد هذا  
القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك، حتى مل أكثر الناس  
الإقدام، فلما رأى ذلك الأشتر قال: أعيذكُم بالله أن ترضعوا  
الغنم سائر اليوم، ثم دعا بفرسه، وترك رايته مع حيان بن هوزة  
النخعي، وخرج يسير في الكتائب ويقول: من يشتري نفسه من  
الله عز وجل، ويقااتل مع الأشتر، حتى يظهر أو يلحق بالله! فلا  
يزال رجل من الناس قد خرج إليه، وحيان بن هوزة.

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عمارة بن  
ربيعة الجرمي، قال: مر بي والله الأشتر فأقبلت معه، واجتمع  
إليه ناس كثير، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة،  
فقام بأصحابه، فقال: شدوا شدة، - فدى لكم عمي وخالي -  
ترضون بها الرب، وتعززون بها الدين، وإذا شدت فشدوا، ثم  
نزل فضرب وجه دابته، ثم قال لصاحب رايته: قدم بها، ثم شد  
على القوم، وشد معه أصحابه، فضرب أهل الشام حتى انتهى  
بهم إلى عسكرهم، ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً، فقتل  
صاحب رايته، وأخذ علي - لما رأى من الظفر من قبله - يمدّه  
بالرجال.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني  
سليمان قال حدثني عبد الله، عن جويرية، قال: قال عمرو بن  
العاص يوم صفين لوردان: تدري ما مثلي ومثلك! مثل الأشقر  
إن تقدم عُقر، وأن تأخر نُحر، لئن تأخرت لأضربن عنقك،  
اتروني بقيد، فوضعه في رجليه فقال: أما والله يا أبا عبد الله  
لأوردنك حياض الموت، ضع يدك على عاتقي، ثم جعل يتقدم  
وينظر إليه أحياناً، ويقول: لأوردنك: حياض الموت.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف، فلما رأى عمرو بن  
العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلال، قال

هذا هو الخطب الجليل، إن فساقاً كانوا غير مرضيين، وعلى  
الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمة، وأشربوا  
قلوبهم حب الفتنة، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد  
نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل، اللهم فافضض  
خدمتهم، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم فإنه لا يذل من  
واليت، ولا يعز من عاديت.

قال أبو مخنف: حدثني غير بن ولة، عن الشعبي، أن علياً  
مر بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم، فحرض عليهم  
الناس، وذكر أنهم غسان، فقال: إن هؤلاء لن يزولوا عن  
موقفهم دون طعن دراك يخرج منهم النسم، وضرب يلقى منه  
الهام، ويطيح بالعظام، وتسقط من المعاصم والأكف، وحتى  
تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتشر حواجبهم على الصدور  
والأذقان. أين أهل الصبر، وطلاب الأجر! فثاب إليه عصابة من  
المسلمين، فدعا ابنه محمداً، فقال: امش نحو أهل هذه الراية مشياً  
رويداً على هيتك، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح،  
فأمسك حتى يأتيت رأيي.

ف فعل، وأعد عليّ مثلهم، فلما دنا منهم فأشروع بالرمح في  
صدورهم أمر على الذين أعد فشدوا عليهم، وأنقض محمداً بمن  
معه في وجوههم، فزالوا عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجلاً، ثم  
اقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً، فما صلى أكثر الناس إلا  
إيماء.

قال أبو مخنف: حدثني أبو بكر الكندي، أن عبد الله بن  
كعب المرادي قتل يوم صفين، فمر به الأسود بن قيس المرادي،  
فقال: يا أسود، قال: لييك! وعرفه وهو بآخر رمق، فقال: عز  
والله عليّ مصرعك، أما والله لو شهدتك لأسيتك، ولدافعت  
عنك، ولو عرفت الذي أشعرك لأحييت الا يتزابل حتى أقتله أو  
ألحق بك. ثم نزل إليه فقال: أما والله إن كان جارك ليأمن  
بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله!  
فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وإن تناصح أمير المؤمنين،  
وتقاتل معه الحليين حتى يظهر أو تلحق بالله. قال: وأبلغه عني  
السلام، وقل له: قاتل عن المركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه  
من أصبح غداً والمركة خلف ظهره كان العسالي، ثم لم يلبث أن  
مات، فأقبل الأسود إلى علي فآخبره، فقال: رحمه الله! جاهد فينا  
عدونا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن إسحاق مول بني المطلب،  
أن عبد الرحمن بن حنبل الجمحي، هو الذي أشار على علي بهذا  
الراي يوم صفين.

قال هشام: حدثني عوانة، قال: جعل ابن حنبل يقول

فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الريح، وعلت الأصوات من قبل الأشر، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل، قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك! رأيتوني ساررتة؟ ليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية، وأنتم تسمعونني! قالوا: فابعت إليه فليأتك، وإلا والله اعترناك.

قال له! ويحك يا يزيد! قل له: أقبل إلي فلان الفتنة قد وقعت، فأبلغه ذلك، فقال له: الرفع المصاحف؟ قال: نعم أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها مشورة ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا! أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم! وقال يزيد بن هانئ: فقلت له: اتحب أنك ظفرت ها هنا، وأن أمير المؤمنين مكانه الذي هو به يفرج عنه أو يسلم؟ قال لا والله، سبحانه الله! قال: فإنهم قد قالوا: لترسلن إلى الأشر فليأتك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان.

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، أحين علوكم القوم ظهراً وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها، وسنة من أنزلت عليه ﷺ، فلا تحييهم، أمهلوني عدو الفرس، فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذا ندخل معك في خطيتك، قال: فحدثوني عنكم، وقد قتل أمثالكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين! أحين كنتم تقتلون وخياركم يقتلون! فأنتم الآن إذ أمسكنم عن القتال مبطلون، أم الآن أنتم محقون، فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيراً منكم في النار إذا! قالوا: دعنا منك يا أشر، قاتلناهم في الله عز وجل، وندع قتالهم لله سبحانه، إنا لسنا مطيعيك ولا صاحبك، فاجتنبنا، فقال: خدعتم والله فأنخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجيتم. يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله عز وجل، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا قبحاً يا أشباه النبيب الجلالة! وما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون! فسبوه، فسبهم، فضربوا وجه دابته بسياطهم، وأقبل يضرب وجوه دوابهم، وصاح بهم علي فكفوا، وقال للناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً، فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال له: ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيئوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أثبت معاوية فسألت ما يريد، فنظرت ما يسأل، قال: اتته إن شئت فسله، فأتاه فقال: يا معاوية، لأي شيء رفعت هذه المصاحف؟ قال: لترجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا بعدوانه، ثم تتبع ما

لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم ما بيننا وبينكم، فلان أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى، نقبل ما فيها، رفعتنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين. فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه.

### ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه أن علياً قال: عباد الله، امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحتهم أطفالاً، وصحتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم! إنهم ما رفعوها، ثم لا يرفعوها ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيده، فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدنوا بحكم هذا الكتاب فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ونسوا عهده، ونبدوا كتابه. فقال له مسعر بن فذكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبسي، في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي، أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، إنه علينا أن نفعل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم، واحفظوا مقاتلتكم لي، أما أنا فلان تطيعوني تقتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له: إما لا فابعت إلى الأشر فليأتك.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن رجل من النخع، أنه رأى إبراهيم بن الأشر دخل على مصعب بن الزبير، قال: كنت عند علي حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعت إلى الأشر فليأتك، قال: فأرسل علي إلى الأشر يزيد بن هانئ السبيعي: أن اتني، فأتاه فبلغه، فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقعي، إنني قد رجوت أن يفتح لي، فلا تعجلني. فرجع يزيد بن هانئ إلى علي

إن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم برحه الله! فمحي وقال علي: الله أكبر، سنة بسنة، ومثل بمثل، والله إنني لكاتب بين يدي رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا: لست رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فكتبه، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! ومثل هذا أن نشبه بالكفار ونحن مؤمنون! فقال علي: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً! وهل تشبه إلا أمك التي وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم، فقال له علي: وإني لأرجو أن يطهر الله عز وجل مجلسي منك ومن أشباهك. وكتب الكتاب.

حدثني علي بن مسلم الطوسي، قال حدثنا حبان، قال: حدثنا مبارك، عن الحسن، قال: أخبرني الأحنف، أن معاوية كتب إلى علي أن امح هذا الاسم إن أردت أن يكون صلح، فاستشار - وكانت له قبة يأذن لبني هاشم فيها، ويأذن لي معهم - قال: ما ترون فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم؟ - قال مبارك: يعني أمير المؤمنين - قال: برحه الله! فإن رسول الله ﷺ حين وادع أهل مكة كتب: محمد رسول الله فابوا ذلك حتى كتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقلت له: أيها الرجل مالك وما لرسول الله ﷺ! إنا والله ما حابيناك ببيعتنا، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحق بهذا الأمر منك لبايعناه، ثم قاتلناك، وإني أقسم بالله لأن محوت هذا الاسم الذي بايعت عليه وقاتلتهم لا يعود إليك أبداً.

قال: وكان والله كما قال. قال: قلما وزن رأيه برأي رجل إلا رجع عليه.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف. وكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيأ، ونميت ما أمات، فما وجد الحكماء في كتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي - عملاً به، وما لم يجدوا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المرفقة. وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة من الناس، أنهم آمنان على أنفسهم وأهلهم، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنا

اتفقنا عليه، فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق، فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية، فقال الناس: فإنا قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإنا قد اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد: فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، قال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولي أبا موسى. فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسرور بن فذكي: لا نرضى إلا به، فإنه ما كان يجدرنا منه وقعنا فيه، قال علي: فإنه ليس لي بثقة، قد فارقتي، وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنت به بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك، قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر، فقال علي فإني أجعل الأشتر.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، أن الأشعث قال: وهل سحر الأرض غير الأشتر!؟

قال أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: إن الأشعث قال: وهل نحن إلا في حكم الأشتر! قال علي: وما حكمه؟ قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد، قال: فقد أبيتُم إلا أبا موسى! قالوا نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم، فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال، وهو يعرض، فأتاه مولى له، فقال: إن الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله رب العالمين! قال: قد جعلوك حكماً؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون!.

وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى علياً فقال: الزني بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لنن ملأت عيني منه لأقتله، وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد رميت بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وإني قد عجمت هذا الرجل وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها. فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب، فقال الأحنف: فإن أبيتُم إلا أبا موسى فادفئوا ظهره بالرجال. فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين.... فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم فاما أميرنا فلا، وقال له الأحنف: لا تمنح اسم إمارة المؤمنين، فإني أخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً، لا تمنحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً، فأبى ذلك علي ملياً من النهار، ثم

وجل الرجال! لا حكم إلا لله، ثم شد سيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح به أصحابه، أن املك يدك، فرجع، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، فمشى الأخنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس الرياحي، ومسر بن فدكي، وناس كثير من بني غيم، فتنصلوا إليه واعتذروا، فقبل وصفح.

قال أبو خننف: حدثني أبو زيد عبد الله الأودي، أن رجلاً من أود كان يقال له عمرو بن أوس، قاتل مع علي يوم صفين، فأسره معاوية في أسارى كثيرين، فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم، فقال له عمرو بن أوس: إنك خالي، فلا تقتلني، وقامت إليه بنو أود فقالوا: هب لنا أخانا، فقال: دعوه، لعمري لئن كان صادقاً فلنستغني عن شفاعتكم، ولئن كان كاذباً لتأتين شفاعتكم من ورائه، فقال له: من أين أنا خالك! فوالله ما كان بيننا وبين أود مصاهرة، قال: فإن أخبرتك فعرفته فهو أمانني عندك؟ قال نعم، قال: ألست تعلم أن أم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي ﷺ؟ قال: بلى، قال: فإني ابنها، وأنت أخوها، فانت خالي، فقال معاوية: لله أبوك! ما كان في هؤلاء واحد يقطن لها غيره. ثم قال للأوديين: أيستغني عن شفاعتكم! خلوا سبيله.

قال أبو خننف: حدثني غمر بن ولة الهمداني، عن الشعبي، أن أسارى كان أسرهم علي يوم صفين كثير، فخلي سبيلهم، فأتوا معاوية، وإن عمراً ليقول - وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة: اقتلهم، فما شعروا إلا بأسرائهم قد خلي سبيلهم، فقال معاوية: يا عمرو، لو أطلعناك في هؤلاء الأسرى وقعنا في قبيح من الأمر، ألا ترى قد خلي سبيل أسرائنا! وأمر بتخيلة سبيل من في يديه من الأسارى.

قال أبو خننف: حدثني إسماعيل بن يزيد، عن حميد بن مسلم، عن جندب بن عبد الله، أن علياً قال للناس يوم صفين: لقد فعلتم فعلة ضعفت قوة، وأسقطت مئة، وأوهنت وأورثت وهناً، وذلك، ولما كنتم الأعلى، وخاف عدوكم الاجتياح، واستحرج بهم القتل ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف، ودعواكم إلى ما فيها ليفتقروكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويريصوا بكم ريب المنون خديعة ومكيدة، فأعطيتهم ما سألوا، وأبيتهم إلا أن تدهنوا وتجوزوا! وإيم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشداً، ولا تصيبون باب حزم.

قال أبو جعفر: فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية - فيما قيل - يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان، مع كل واحد منهما أربعمائة من

على ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم، وشاهدتهم وغائبهم، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة، ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا، وأجل القضاء إلى رمضان. وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما، وإن توفي أحد الحكمين فإن أمير الشيعة يختار مكانه، ولا يألو من أهل المعدلة والقسط، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام، وإن رضى وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أراد، ويأخذ الحكمان من أرادا من اليهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار علي من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحاداً وظلماً اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة.

شهد من أصحاب علي الأشعث بن قيس الكندي، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن قيس الهمداني، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد الله بن محل العجلي، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبة بن زياد الحضرمي، ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن كعب الهمداني. ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان، وحبيب مسلمة الفهري، والمخارق بن الحارث الزبيدي، وزمل بن عمرو العذري، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد المخزومي، وسبيع بن يزيد الأنصاري، وعلقمة بن يزيد الأنصاري، وعتبة بن أبي سفيان، ويزيد بن الحر العبسي.

قال أبو خننف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة الجرمي، قال: لما كتبت الصحيفة دعي لها الأشعث فقال: لا صحبتني يميني، ولا نفعني بعدها شمالي، إن خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادة. أو لست على بينة من ربي، ومن ضلال عدوي! أو لستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الجور! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيت ظفراً ولا جوراً، هلم إلينا فإنه لا رغبة بك عنا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفك الله عز وجل بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خير منهم، ولا أكرم دماً، قال عمارة: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنما قصع على أنفه اللحم - يعني الأشعث.

قال أبو خننف، عن أبي جناب، قال: خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم، فيقرؤونه، حتى مر به على طائفة من بني غيم فيهم عروة بن أدية، وهو أخو أبي بلال، فقرأه عليهم، فقال عروة بن أدية: تحكمون في أمر الله عز

أصحابه وأتباعه.

فحدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان بن يونس بن يزيد، عن الزهري، قال: قال صعصعة بن صوحان يوم صفين حين رأى الناس يتبارون: ألا اسمعوا واعقلوا، تعلمن والله لئن ظهر علي ل يكونن مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإن ظهر معاوية لا يقر لقائل بقول حق.

قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراقيين، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختر أهل العراق أبا موسى الشعري، واختر أهل الشام عمرو بن العاص، فنفق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشتربا أن يرفعا ما رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختاروا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح.

فلما انصرف علي خالفت الحورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فأذنوه بالحرب، وردوا عليه: إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا الله سبحانه! وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال فوالله إنني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما. فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونثبت حتى تجتمع الأمة! قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار! فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبو موسى فقال له مثل ما قال لعمرو، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك.

فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلموا قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألت تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال:

بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك على أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني! قال أبو موسى: اسمي لك عبد الله بن عمر، وكان ابن عمر فيمن اعتزل، قال عمرو: إني اسمي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبأ، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو مثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾، فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَخْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَتَحَوَّلُ لَهَا سَفَرًا﴾، وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار.

قال ابن شهاب: فقام معاوية عشية في الناس، فأتى على الله جل ثناؤه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فمن كان متكلماً في الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فاطلقت جبوتي، فأردت أن أقول قولاً يتكلم فيه رجال قاتلوا أباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل في الجنان أحب إلي من ذلك. فلما انصرف إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم؟ قلت: أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جميع، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل من الجنان أحب إلي من ذلك. قال: قال حبيب: فقد عصمت.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، قال: قيل لعلي بعد ما كتبت الصحيفة: إن الأشتر لا يقر بما في الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم، قال علي: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيت إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يعصي الله عز وجل ويتعدى كتابه، فقاتلوا ما ترك أمر الله عز وجل.

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، ياليت فيكم مثله اثنين! ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، إذا خلت عليّ مئونكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم، وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتُموني، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوزان:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد فقالت طائفة عن معه: ونحن ما فعلنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت، قال نعم، فلم كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنا!

عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني ما هدم، وحتى متى يجمع ما فرق! فلو أنه كان مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم. فقال علي: أنا هدمت أم هم هدموا! أنا فرقته أم هم فرقوا! أما قولهم: إنه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذا كان ذلك الحزم، فوالله ما غبي عن رأيي ذلك، وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدنيا، طيب النفس بالموت، ولقد هيمت بالأقدام على القوم، فنظرت إلى هذين قد ابتدراني - يعني الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدمني - يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي - فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد ﷺ من هذه الأمة، فكرهت ذلك، وأشفتت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدا - يعني محمد بن علي وعبد الله بن جعفر - وإيم الله لنن لقيتهم بعد يومي هذا لألقينهم وليسوا معي في عسكر ولا دار.

ثم مضى حتى إذا جزنا بني عوف إذا نحن عن إيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال علي: ما هذه القبور؟ فقال قدامة بن العجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين، إن خباب بن الأرت توفي بعد غرجك، فأوصى بأن يدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأقنيتهم، فدفن بالظهر رحمه الله، ودفن الناس إلى جنبه، فقال علي: رحم الله خباباً، فقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. ثم جاء حتى وقف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات. أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، بكم عما قليل لاحقون. اللهم اغفر لنا ولهم، ونجنا من عذابك عنا وعنهم! وقال: الحمد لله الذي جعل منها خلقكم، وفيها معادكم، منها يبعثكم، وعليها يحشركم، طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله عز وجل! ثم أقبل حتى حاذى سكة الثورين، ثم قال: خشوا، ادخلوا بين هذه الآيات.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم الفاشسي، قال: مر علي بالثورين، فسمع البكاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ فقبل له: هذا البكاء على قتلى صفين، فقال: أما إنني أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة. ثم مر بالفاشيين، فسمع الأصوات، فقال مثل ذلك، ثم مضى حتى مر بالشاميين، فسمع رجة شديدة، فوقف، فخرج إليه حرب بن شريحيل الشامي، فقال علي: أيغلبكم نساؤكم! ألا تنهونهن عن هذا الرنين! فقال: يا

وأما القضية فقد استوثقنا لكم فيها، وقد طمعت ألا تضلوا إن شاء الله رب العالمين.

فكان الكتاب في صفر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر، إلى أن يلتقي الحكماء. ثم إن الناس دفنوا قتلاهم، وأمر علي الأعرور فنادى في الناس بالرحيل.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه قال: لما انصرفنا من صفين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، أخذنا على طريق البر على شاطئ الفرات، حتى انتهينا إلى هيت، ثم أخذنا على صندوقاء فخرج الأنصار بنو سعد بن حرام، فاستقبلوا علينا، فعرضوا عليه النزول، فبات فيهم ثم غدا، وأقبلنا معه، حتى إذا جزنا النخيلة، ورأينا بيوت الكوفة، إذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه علي ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه، فرد رداً حسناً ظننا أن قد عرفه، قال له علي: أرى وجهك منكفئاً فمن مة؟ أمن مرض؟ قال: نعم، قال: فلعلك كرهته، قال: ما أحب أنه بغيري، قال: ليس احتساباً للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى، قال: فأبشر برحمة ربك وغفران ذنبك. من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح بن سليم، قال: عن؟ قال: أما الأصل فمن سلامان طيب، وأما الجوار والدعوة ففي بني سليم بن منصور، فقال: سبحان الله! ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أديعائك واسم من اعترت إليه! هل شهدت معنا غزائنا هذه؟ قال: لا، والله ما شهدتا، ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحب الحمى خزلني عنها، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

خبرني ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم - وأولئك أغشاه الناس - وفيهم المكبوت الأسف بما كان من ذلك - وأولئك نصحاء الناس لك - فذهب لينصرف فقال: قد صدقت، جعل الله ما كان من شكواك خطأ لسيتاتك، فإن المرض لا أجر فيه، ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلا حطه، وإنما أجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل، وإن الله جل ثناؤه ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالماً بما من عباده الخنة. قال: ثم مضى علي غير بعيد، فلقيه عبد الله بن دبيعة الأنصاري، فدنا منه، وسلم عليه وسأله، فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رِجْلٌ﴾. فقال له: فما قول ذوي الرأي فيه؟ قال: أما قولهم فيه فيقولون إن علياً كان له جمع



زوجنا ابنيك، فأبى، فقال له بعض الدهاقين: ادفعهما إلى، فإنه كرامة تكرمني بها، فدفعها إليه، فكانتا عنده، يفرش لهما الديباج، ويعطيهما في آنية الذهب، ثم رجعتا إلى خراسان.

**اعتزال الخوارج علياً وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك**  
وفي هذه السنة اعتزل الخوارج علياً وأصحابه، وحكموا، ثم كلمهم علي فرجعوا ودخلوا الكوفة.

### ذكر الخبر عن اعتزالهم علياً:

قال أبو مخنف في حديثه عن أبي جناب، عن عمارة بن ربيعة، قال: لما قدم علي الكوفة وفارقه الخوارج، وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فقالت الخوارج: استقمتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أنتم علياً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى، فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط علي يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته، فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضال مضل، وبعث علي ابن عباس إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك.

فخرج إليهم حتى أتاهاهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقيم من الحكمين، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنْ يَرِئِدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾! فكيف بأمة محمد ﷺ! فقالت الخوارج: قلنا: أما ما جعل حكمه إلى الناس، وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عباس: فإن الله عز وجل يقول: ﴿يُحْكَمْ بِوَدْعِ عَذْلٍ مِنْكُمْ﴾، فقالوا: أو تجعل الحكم في الصيد، والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين! وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا! فإن كان عدلاً فلنسلنا بعدول ونحن أهل حربه. وقد حكمتم في أمر الله الرجال. وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل فأبوه، ثم كتبتم بينهم وبينه كتاباً، وجعلتم بينهم وبينه المودة والاستفاضة، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والمودة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة، إلا من أقر

أمير المؤمنين، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن قتل من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل، فليس دار إلا وفيها بكاء، فأما نحن معشر الرجال فإننا لا نبكي، ولكن نفرج لهم، إلا نفرح لهم بالشهادة! قال علي: رحم الله قتلكم وموتاكم! وأقبل يمشي معه وعلي راكب، فقال له علي: ارجع، ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن. ثم مضى حتى مر بالناعطين - وكان جلهم عثمانية - فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن يزيد، من بني عبيد من الناعطين يقول: والله ما صنع علي شيئاً، ذهب ثم انصرف في غير شيء! فلما نظروا إلى علي أبلسوا، فقال: وجوه قوم ما راوا الشام العام. ثم قال لأصحابه: قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء، ثم أنشأ يقول:

أخوك الذي إن أجزشتك ملمة من الدهر لم يبرح لبك واجبا  
وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك الأمور ظل يلحاك لانما  
ثم مضى، فلم يزل يذكر الله عز وجل حتى دخل القصر.  
قال أبو مخنف: حدثنا أبو جناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة، قال: خرجوا مع علي إلى صفين وهم متوادون أحباء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحيكم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشاققون ويضطربون بالسياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله، أدهتكم في أمر الله عز وجل وحكمتم! وقال الآخرون: فارقتم إمامنا. وفرقتم جماعتنا. فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديبهم: إن أمير القتال شبت بن ربعي التميمي. وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء الشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

### بعثة علي جعدة بن هيرة إلى خراسان

وفي هذه السنة بعث علي جعدة بن هيرة فيما قيل إلى خراسان.

### ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي بن محمد قال: أخبرنا عبد الله بن ميمون، عن عمرو بن شجيرة، عن جابر، عن الشعبي، قال: بعث علي بعد ما رجع من صفين جعدة بن هيرة المخزومي إلى خراسان، فأتته إلى أبرشهر، وقد كفروا وامتنعوا، فقدم على علي. فبعث خليل بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، وصاحه أهل مرو، وأصاب جارين من أبناء الملوك نزلنا بأمان، فبعث بهما إلى علي، فعرض عليهما الإسلام وأن يزوجهما، قالتا:

بالجزية.

رايك أعاريب بكر وتيم. فأمر علي بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افترقوا من صفين على أن يقدم الحكمان في أربعمئة أربعمئة إلى دومة الجندل.

وزعم الواقدي أن سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين، وأن ابنه عمر لم يدعه حتى أحضره أذرح، فندم، فأحرم من بيت المقدس بعمرة.

### اجتماع الحكمين بدومة الجندل

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين.

ذكر الخبر عن اجتماعها:

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، أن علياً بعث أربعمئة رجل، عليهم شريح بن هانئ الحارثي، وبعث معهم عبد الله بن عباس، وهو يصلي بهم، ويولي أمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام، حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح، قال: فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به، ولا بما رجع به، ولا يسأله أهل الشام عن شيء، وإذا جاء رسول علي جاؤوا إلى ابن عباس فسألوه: ما كتب به إليك أمير المؤمنين؟ فإن كتمهم ظنوا به الظنون فقالوا: ما نراه كتب إلا بكذا وكذا. قال ابن عباس: أما تعقلون! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به، ويرجع لا يعلم ما رجع به. ولا يسمع لهم صياح ولا لفظ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون!

قال: وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة الثقفي، وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه علي ماء لبني سليم بالبادية، فقال: يا أبت، قد بلغك ما كان بين الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه تكون فتنة، خير الناس فيها الخفي النقي» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً.

والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى: ألسنت تعلم أن عثمان ؓ قتل مظلوماً؟ قال: أشهد، قال: ألسنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى قال: فإن الله عز

وبعث علي زياد بن النضر إليهم فقال: انظر بأي رؤوسهم هم أشد إطفاء، فنظر فأخبره أنه لم يرههم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس، فخرج علي في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضاً فيه وصلى ركعتين، وأمره علي إصبهان والري، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم، ألم أنهك رحمك الله! ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال: اللهم إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفتح يوم القيامة، ومن نطق فيه وأوعث فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء.

قال علي: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله، أنعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيهم إلى كتاب الله قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني صحتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال.

امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة، فرددت علي رأسي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، فلما أبيت إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يجيئوا ما أحيا القرآن وأن يجيئوا ما أمات القرآن، فإن حكماً بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيأ فنحن من حكمها برآء. قالوا له: فخيرنا أئراء عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال، قالوا: فخيرنا عن الأجل، لم جعلته فما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخرهم.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه بمثل هذا.

وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منا كفاءاً، فقد تبنا إلى الله عز وجل منه، فتب كما تبنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون، فبايعنا علي وقال: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجيئكم المال، ويسمن الكراع، ثم نخرج إلى عدونا. ولسنا نأخذ بقولهم، وقد كذبوا.

وقد معن بن يزيد بن الأخنس السلمي في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعلي: إن معاوية قد وفي، فف أنت لا يلتفتك عن

وجل قال: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِثِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً»، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى، وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة، فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي ﷺ، وقد صحبه، فهو أحد الصحابة. ثم عرض له بالسلطان، فقال: إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة، فقال أبو موسى: يا عمرو، اتق الله عز وجل! فاما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل، مع أني لو كنت معطية أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب. وأما قولك: إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر، فإني لم أكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين الأولين. وأما تعريضك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته، وما كنت لأرثني في حكم الله عز وجل، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب.

قال: فيلغته ذلك، فتعمر وجهه، ثم قال: متى كنت أقبل مشورة علي أو إنتهي إلى أمره، أو أعتد برأيه! فقلت له: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته! فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه، فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك، فقلت له: وبأي أبويك ترغب عني! بأبيك الوشيظ أم بأمك النابغة! قال: فقام عن مكانه وقمت معه.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسن مني، فتكلم وأنتكلم. فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء، اغترى بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع علي. قال: فينظر في أمرهما وما اجتماعا عليه، فأراه عمرو علي معاوية فأبى، وأراه على ابنه فأبى، وأراه أبو موسى عمراً على عبد الله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن تخلع هذين الرجلين، وتجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا. فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيته، فأقبل إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى، أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق، فتكلم أبو موسى فقال: إن رأيي ورأي عمرو وقد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى، تقدم فتكلم.

فتقدم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابن عباس: ويحك! والله إني لأظنه قد خدعك. إن كنتم قد اتفقتم على أمر، فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم أنت بعده، فإن عمراً رجلاً غادر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك - وكان أبو موسى مغفلاً - فقال له: إنا قد اتفقنا.

فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها، ولا ألم لشعنها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، ولولا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه

وجل قال: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِثِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً»، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى، وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة، فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي ﷺ، وقد صحبه، فهو أحد الصحابة. ثم عرض له بالسلطان، فقال: إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة، فقال أبو موسى: يا عمرو، اتق الله عز وجل! فاما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل، مع أني لو كنت معطية أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب. وأما قولك: إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر، فإني لم أكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين الأولين. وأما تعريضك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته، وما كنت لأرثني في حكم الله عز وجل، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، أنه كان يقول: قال أبو موسى: أما والله لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب ﷺ.

فقال له عمرو: إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه! فقال: إن ابنك رجل صدق، ولكنك قد غمست في هذه الفتنة.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن إسحاق، عن نافع مولى ابن عمر، قال: قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم، وكانت في ابن عمر غفلة، فقال له عبد الله بن الزبير: افطن، فانتبه، فقال عبد الله بن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، وقال: يا ابن العاص، إن العرب أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف، وتناجرت بالرماح، فلا تردنهم في فتنة.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح العبسي، قال: كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال: قل له إذا أنت لقيت: إن علياً يقول لك: إن أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرهه، من الباطل وإن حن إليه وزاده، يا عمرو، والله إنك لتعلم أين موضع الحق، فلم تجاهل؟ إن أوتيت طمعاً يسيراً كنت به لله وأوليائه عدواً، فكان والله ما أوتيت قد زال عنك، ويحك! فلا تكن للخائنين خصيماً،

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ». فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه. فقال له زرة بن البرج: أما والله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له علي: يؤمأ لك، ما أشقاك! كاني بك قتيلاً تسفي عليك الريح، قال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له علي: لو كنت حقاً كان في الموت علي الحق تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها، فخرجا من عنده يحكما.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن علياً خرج ذات يوم مخطب، فإنه لفي خطبته إذ حكمت الحكمة في جوانب المسجد، فقال علي: الله أكبر! كلمة حق يراد بها باطل! إن سكثوا عمنهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم الحاربي، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه. اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيا في ديننا، فإن إعطاء الدنيا في الدين إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله. يا علي، أباقتل تخوفنا! أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أننا أولى بها صلياً، ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة.

قال أبو مخنف: حدثني الأجلح بن عبد الله، عن سلمة بن كهيل، عن كثير بن بهز الحضرمي، قال: قام علي في الناس مخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، قام آخر فقال مثل ذلك، ثم نوال عدة رجال يحكمون، فقال علي: الله أكبر، كلمة حق يلتمس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا تمنعكم الفية ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا، ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته.

قال أبو مخنف: وحدثنا عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البكائي كان يرى رأي الخوارج، فأتى علياً ذات يوم وهو مخطب، فقال: «وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، فقال علي: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ».

حدثنا أبو كرب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت إسماعيل بن سميع الحنفي، عن أبي زرين، قال: لما وقع التحكيم

وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه - وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه. فقال أبو موسى: ما لك لا وفقك الله، غدرت وفجرت! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقتله بالسوط، وحمل على شريح ابن عمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحججوا بينهم. وكان شريح بعد ذلك يقول: ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهر ما أتى. والتمس أهل الشام أبا موسى، فركب راحلته ولحق بمكة.

قال ابن عباس: قبح الله رأي أبي موسى! حذرته وأمرته بالرأي فما عقل.

فكان أبو موسى يقول: حذرني ابن عباس غدرة الفاسق ولكني اطمانت إليه، وظننت أنه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة. ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، وسلموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي، وكان إذا صلى الغداة يفتت فيقول: اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور السلمي وحبیباً وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد.

بلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً.

وزعم الواقدي أن اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة.

## ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه علي الحكم

### للحكومة وخبر يوم النهروان

قال أبو مخنف: عن أبي المغفل، عن عون بن أبي جحيفة، أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زرة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال لهم علي: قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهدنا ومواثيقنا، وقد قال الله عز وجل: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا

خلون من شوال - وكان يقال له ذو الثفناش - ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق. قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، وتكتبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي.

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه، ويحثهم على اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم، فأجابوه على اللحاق به.

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم - وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة - وساروا يوم السبت، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَذْيَنٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

وخرج معهم طرفه بن عدي بن حاتم الطائي، فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه، فانتهى إلى المدائن ثم رجع، فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارساً، فأراد عبد الله قتله، فمنعه عمرو بن مالك النهباني وبشر بن زيد البولاني. وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره أمرهم، فحذر، وأخذ أبواب المدائن، وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد، وسار في طلبهم، فأخبر عبد الله بن وهب خبره فأرأى طريقة، وسار على بغداد، ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً، فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم، وقال أصحاب سعد لسعد: ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر! خلهم فليذهبوا، واكتب إلى أمير المؤمنين، فإن أمرك باتباعهم اتبعتمهم، وإن كفاهم غيرك كان في ذلك عافية لك. فأبى عليهم.

فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فغير دجلة إلى أرض جوحى، وسار إلى النهروان، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه، وقالوا: إن كان هلك ولينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم، فردهم أهلهم كرهأ، منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعة العبسي يريد

ورجع علي من صفين رجعوا مباينين له، فلما انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل علي في الناس الكوفة ونزلوا بحجروء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم علي فكلهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال: إن الناس قد تحدثوا أنك رجعت لهم عن كفرك.

فخطب الناس في صلاة الظهر. ذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلا لله، واستقبله رجل منهم واضح إصبعه في أذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فقال علي: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليث بن أبي سليم يذكر عن أصحابه، قال: جعل علي يقلب يديه يقول بيديه هكذا وهو على المنبر، فقال: حكم الله عز وجل ينتظر فيكم مرتين، إن لكم عندنا ثلاثاً: لا تمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا تمنعكم نصيبكم من هذا الفيء، ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا تقا تلكم حتى تقا تلونا.

قال أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي حرة: إن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا، التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عتاء وتبار، أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق، وإن مُسَّ وضرُ فإنه من يمن ويضر في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود في جناته. فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة.

فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زيتتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تفتنكم عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم، إن الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ورأية تحفون بها، وترجعون إليها. فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت. فبايعوه لعشر

الخروج، فأحضره عنده، ونهاه فانتهى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله ﷺ، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي - وكان شهد معه الجمل وصفين، ومعه راية خثعم - فقال له: بايع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر، قال له علي: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم يكونا على شيء من الحق، فبايعه، فنظر إليه علي وقال: أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنني بك وقد وطئت الخيل بجوافرها، فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة.

وأما خوارج البصرة فلإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فذكي التميمي، فعلم بهم ابن عباس، فاتبعهم أبا الأسود الدؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر، فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلى مسعر بأصحابه، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر. فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة، ورد علي ابن عباس إلى البصرة، قام في الكوفة فخطبهم فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أما بعد، فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري، ومثلتكم رأيي، لو كان لقصير أمر! ولكن أبيت إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال آخر هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشد إلا ضحى الغد  
إلا إن هذين الرجلين اللذين اخترعوها حكمين قد نبذا  
حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحيا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكمنا بغير حجة بينة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين.

استعدوا وتآهبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين. ثم نزل.

وكتب إلى الخوارج بالنهر: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس.

أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمهما قد خالفا كتاب الله، واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة، ولم ينفذوا للقرآن حكماً، فبرئ الله ورسوله منهما

والمؤمنون! فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه. والسلام.

وكتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعمهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاتهم فيناجزهم.

قال أبو مخنف، عن المعلي بن كليب الهمداني، عن جبر بن نوف أبي الوداك الهمداني: إن علياً لما نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكه إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حاد الله، وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الحاططين الضالين، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، تيسروا وتهيشوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى أخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتب علي إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأحنس بن قيس، من بني سعد بن بكر: أما بعد، فإننا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولي وأقم حتى يأتيك أمري. والسلام.

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس، وأمرهم بالشخص مع الأحنف بن قيس، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل، فاستقلهم عبد الله بن عباس، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل البصرة، فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم، فأمرتكم بالنفير إليه مع الأحنف بن قيس، ولم يشخص معكم إلا ألف وخمسمائة، وأنتم ستون ألفاً سوى إبنائكم وعبدانكم ومواليكم! ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي، ولا يجعلن رجل على نفسه سيلاً، فإني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبته، عاصياً لإمامه، وقد أمرت أبا الأسود الدؤلي بمحشركم، فلا يلزم رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه.

فخرج جارية فعسكر، وخرج أبو الأسود فحشر الناس، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة، ثم أقبل حتى وافاه علي بالنخيلة، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة

خولاً.

فتنادي الناس من كل جانب: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت. قال: فقام إليه صيفي بن فسيل الشيباني فقال: يا أمير المؤمنين، نحن حزبك وأنصارك، نعادي من عاديت، ونشايع من أناب إلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك، من كانوا وأينما كانوا، فإنك إن شاء الله لن تؤتى من قلة عدد، ولا تضعف نية أتباع. وقام إليه محرز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال: يا أمير المؤمنين، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على نصرتك، والجديد في جهاد عدوك، فأبشر بالنصر، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال.

حدثني يعقوب، قال حدثني إسماعيل، قال: أخبرنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم، قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ذعراً يجر رداءه، فقالوا: لم ترع؟ فقال: والله لقد ذعرتوني! قالوا: أأنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدث به عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكأن يا عبد الله المقتول - قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن يا عبد الله القاتل - قال: نعم، قال: فقدومه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسأل دمه كأنه شراب نحل، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها.

### خير يوم النهر

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان، عن حميد بن هلال: إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتعدوده وأفزعه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناول من الأرض - وكان سقط عنه لما أفزعه - فقالوا له: أفزعاك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك! فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي ﷺ، لعل الله ينفعنا به! قال: حدثني أبي، عن رسول الله ﷺ «أن فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً»، فقالوا: لهذا الحديث سالنك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأبى عليهما خيراً، قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقاً

ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع، ورؤوس القبائل ووجوه الناس. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري، وأعواني على الحق، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين بكم، أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فأعينوني بمناصرة جلية خلية من الغش، إنكم.... خرجنا إلى صفين، بل استجمعوا بأجمعكم، وإنني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم، ثم يرفع ذلك إلينا.

فقام سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، سمعاً وطاعة، ووداً ونصيحة، أنا أول الناس جاء بما سألت، وبما طلبت. وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نغواً من ذلك، وقام عدي بن حاتم وزيد بن خصفة وحجر بن عدي وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك.

ثم إن الرؤوس كتبوا من فيهم، ثم رفعوهم إليه، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم، وألا يتخلف منهم عنهم أحد، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أما من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم، وأطاق القتال، فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد، وأمranاهم بالشخص معنا، ومنهم ضعفاء، وهم في ضياعنا وأشيائهم مما يصلحنا.

وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة، ومن مواليهم ومواليهم ثمانية آلاف، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً، وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل.

قال أبو مخنف، عن أبي الصلت التيمي: إن علياً كتب إلى سعد بن مسعود الثقفي - وهو عامله على المدائن: أما بعد، فإني قد بعثت إليك زياد بن خصفة فاشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: وبلغ علياً أن الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأننا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين! فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنه قد بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأننا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونون جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله

قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثم جاء مقيلاً إليهم، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر، وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم تقتلهم بهم. ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعن الله قلب قلوبكم، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أركم. فبعثوا إليه. فقالوا: كلنا قتلهم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم.

قال أبو مخنف حدثني الحارث بن حصيرة، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتفسكون دماء المسلمين، وتعدونهم مشركين! فقال عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاع لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتوننا بمثل عمر، فقال: ما تعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ وقال: نشدكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها، فإني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم! وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله، إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً. قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، أن علياً أتى أهل النهر فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة. وصدها عن الحق الهوى، وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم. إني نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غداً صرعى بآثاء هذا النهر. وباهضام هذا الغائط، بغير بيعة من ربكم، ولا برهان بين. ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم! وبناتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم! فعصيتوني، حتى أقررت بأن حكمت، فلما فعلت شرطت واستوثقت. فأخذت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرهما، ونحن على أمرنا الأول. فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم! قالوا: إنا حكمنا، فلما حكمنا أئمتنا وكنا بذلك كافرين، وقد تبنا فإن تبنا كما تبنا فنحن منكم ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا فإننا منابذك على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فقال علي: أصابكم

في أولها وفي آخرها، قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائهم لا على أفعالهم، والله لنقتلك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبأمراته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل موارق، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلها، وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره، فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم بأس، إني لمسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد أمتعنوني، قلت: لا روع عليكم! فجأؤا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني إنما أنا امرأة، ألا تتقون الله! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان الصيداوية، فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب، واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتمه.

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم، فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا! سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك. وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم لأنه يقول يوم صفين: انصفتنا قوم يدعون إلى كتاب الله، فلما أمر علياً بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم. فأجمع على ذلك، فنأدى بالرحيل، وخرج فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهی، ثم على دباها، ثم على شاطئ الفرات، فلقية في مسيرة ذلك منجم، أشار عليه بسير وقت من النهار، وقال له: إن سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً. فخالفه، وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه. فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر.

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف، قال: لما أراد علي المسير إلى أهل النهر من الأنبار، قدم



إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دما منكم. فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أي شيء نقاتل علماً! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو أتباعه. وأنصرف في خمسمائة فارس، حتى نزل البندنجين والدسكرة، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى علي منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة، وزحفوا إلى علي، وقدم علي الخيل دون الرجال، وصف الناس وراء الخيل صفين، وصف المرامية أمام الصف الأول، وقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم، فإنهم لو قد شدوا عليكم - وجلهم رجال - لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين وأنتم رادون حامون. وأقبلت الخوارج، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس، فكان يزيد بن قيس على إصبهان. فقالوا: يا يزيد بن قيس، لا حكم إلا لله، وإن كرهت إصبهان! فناداهم عباس بن شريك وقبيصة بن ضبيعة العبسيان: يا أعداء الله، اليس فيكم شريح ابن أوفى المسرف على نفسه؟ هل أنتم إلا أشباهه! قالوا: وما حجتكم على رجل كانت فيه فتنة، وفينا توبة! ثم تنادوا: الرواح الرواح إلى الجنة!

فشدوا على الناس والخيل أمام الرجال، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم، وافتترقت الخيل فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وأخرى نحو الميسرة، وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم.

ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يتقاروا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو علي، فأهملوا في الساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثمامة الحنفي عن حكيم بن سعد، قال: ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة، فما لبثناهم، فكأنما قيل لهم: موتوا، فماتوا قبل أن تشتد شوكتهم، وتعظم نكايتهم.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب، أن أبا أيوب أتى علياً، فقال: يا أمير المؤمنين، قتلت زيد بن حصين، قال: فما قلت له وما قال لك؟ قال: طعنته بالرمح في صدره حتى نجم من ظهره، قال: وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار! قال: ستعلم أينما أولى بها صلياً، فسكت علي عليها.

قال أبو مخنف، عن أبي جناب: إن علياً قال له: هو أولى

حاصب، ولا بقي منكم وإبر! أبعث إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد علي نفسي بالكفر! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. ثم أنصرف عنهم.

قال أبو مخنف: حدثني أبو سلمة الزهري - وكانت أمه بنت أنس بن مالك - أن علياً قال لأهل النهر: يا هؤلاء، إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنباتكم أن القوم سالوكموها مكيدة ودهناً، فأيتهم على إياه المخالفين، وعدلتهم عني عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، فلم أت - لا أبا لكم - حراماً. والله ما خبلتكم عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الضراء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فاجع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين. فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدوا، فتأها وتركنا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هوأهما، وقد سبق استئناقنا عليهما في الحكم بالعدل، والصد للحق سوء رأيهما، وجور حكمهما. والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق، وأتينا بما لا يعرف، فبينما لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج من جماعتنا، إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيا فكم على عوانتكم، ثم تستعرضوا الناس، تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم! إن هذا هو الخسران المبين. والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيئوا للقاء الرب، الرواح الرواح إلى الجنة! فخرج علي فعبأ الناس، فجعل علي مبمته حجر بن عدي، وعلى ميسرته شيب بن ربعي - أو معقل بن قيس الرياحي - وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمائة أو ثمانمائة رجل - قيس بن سعد بن عبادة.

قال: وعبأت الخوارج، فجعلوا على مبمتهم زيد بن حصين الطائي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي.

قال: وبعث علي الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس، حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلثمائة فارس من خيلهم، ورفع علي راية أمان مع أبي أيوب، فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن أنصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن،

وقال: احمولهم معكم فداووهم، فإذا برثوا فوافوا بهم الكوفة،  
وخذوا ما في عسكرهم من شيء.

قال: وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب  
فقسمه بين المسلمين، وأما المتاع والعييد والإماء فإنه حين قدم  
رده على أهله. وطلب عدي بن حاتم ابنة طرفة فوجده، فدفعه،  
ثم قال: الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك.  
ودفن رجال من الناس قتلاهم، فقال أمير المؤمنين حين بلغه  
ذلك: ارتحلوا إذا، أنقتلوتهم ثم تدفونهم! فارتحل الناس.

قال أبو مخنف عن مجاهد، عن الحل بن خليفة: أن رجلاً  
منهم من بني سدوس يقال له العيزار بن الأخنس كان يرى رأي  
الخوارج، خرج إليهم، فاستقبل وراء المدائن عدي بن حاتم ومعه  
الأسود بن قيس والأسود بن يزيد المراديان، فقال له العيزار حين  
استقبله: أسلم غانم، أم ظالم آثم؟ فقال عدي: لا، بل سالم غانم،  
فقال له المراديان: ما قلت هذا إلا لشر في نفسك، وإنك لتعرفك  
يا عيزار برأي القوم، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين  
فنخبره خبرك. فلم يكن بأوشك أن جاء علي فأخبره خبره،  
وقال: يا أمير المؤمنين، إنه يرى رأي القوم، قد عرفناه بذلك،  
فقال: ما يحل لنا دمه، ولكننا نجسه، فقال عدي بن حاتم: يا أمير  
المؤمنين، ادفعه إلي وأنا أضمن ألا يأتيك من قبله مكروه. فدفعه  
إليه.

قال أبو مخنف: حدثني عمران بن حدير، عن أبي مجلز،  
عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله، أنه لم يقتل من أصحاب  
علي إلا سبعة.

قال أبو مخنف، عن غير بن ولة اليناعي، عن أبي درداء،  
قال: كان علي لما فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم  
قال: إن الله قد أحسن بكم، وأعز نصركم، فترجوهوا من فوركم  
هذا إلى عدوكم. قالوا: يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا، وكلت  
سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، فارجع إلى  
مصرنا، فلنستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا  
عدة من هلك منا، فإنه أوفى لنا على عدونا. وكان الذي تولي  
ذلك الكلام الأشعث بن قيس، فأقبل حتى نزل النخيلة، فأمر  
الناس أن يلزموا عسكرهم، ويوطئوا على الجهاد أنفسهم، وأن  
يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم، فأقاموا فيه  
أياماً، ثم تسللوا من معسكرهم، فدخلوا إلا رجالاً من وجوه  
الناس قليلاً، وترك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة،  
وانكسر عليه رايه في المسير.

قال أبو مخنف عمن ذكره، عن زيد بن وهب: إن علياً قال  
للناس - وهو أول كلام قاله لهم بعد النهروان -

قال: وجاء عائد بن حملة التميمي، فقال: يا أمير المؤمنين،  
قتلت كلاباً، قال: أحسنت! أنت حق قتلته مبطلاً. وجاء هانئ  
بن خطاب الأرجي وزيد بن خصفة يجتجان في قتل عبد الله بن  
وهب الراسبي، فقال لهما: كيف صنعتما؟ فقالا: يا أمير المؤمنين،  
لما رأينا عرفناه، وابتدرناه فطعنناه برمحينا، فقال علي لا تختلفا،  
كلاكما قاتل. وشد جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكناني على  
حرقوص بن زهير فقتله، وشد عبد الله بن زحر الخولاني على  
عبد الله بن شجرة السلمي فقتله، ووقع شريح بن أوفى إلى  
جانب جدار، فقاتل على ثلثة فيه طويلاً من نهار، وكان قتل  
ثلاثة من همدان، فأخذ يرتجز ويقول:

قد علمت جارية عسبة ناعمة في أهلها مكفية

أنني ساهي لثمتي العسبة

فشد عليه قيس بن معاوية الدهني فقطع رجله، فجعل  
يقاتلهم، ويقول:

القرم يحمي شوله معقولا

ثم شد عليه قيس بن معاوية فقتله، فقال الناس:

اقتلت همدان يوماً ورجل اقتلوا من غدوة حتى الأصل  
فتفتح الله همدان الرجل

وقال شريح:

أضربهم ولو أرى أبا حسن ضربته بالسيف حتى يطمئن  
وقال:

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً

قال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة، أن علياً  
خرج في طلب ذي النثدي ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو  
جيرة، والريان بن صبرة بن هودة، فوجد الريان بن صبرة بن  
هودة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً. قال:  
فلما استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كشدي  
المرأة، له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى  
تخاذي طول يده الأخرى، ثم ترك فتعود إلى منكبه كشدي المرأة،  
فلما استخرج قال علي: الله أكبر! والله ما كذبت ولا كذبت،  
أما والله لولا أن تتكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قضى الله  
على لسان نبيه ﷺ من قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحق  
الذي نحن عليه. قال: ثم مر وهم صرعى فقال: يؤساً لكم! لقد  
ضركم من غركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، من غركم؟ قال:  
الشیطان، وأنفس بالسوء أسارة، غرهم بالأمان، وزينت لهم  
المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون. قال: وطلب من به رمق منهم  
فوجدناهم أربعمائة رجل، فأمر بهم علي فدفعوا إلى عشائرتهم،

انطلق أنا حتى أنظر إليهم، فانطلقت حتى اتخلل صفوفهم، حتى انتهيت إلى شيث بن ربيعي وابن الكواء وهما واقفان متوركان على دابتيهما، وعندهما رسل علي وهم يناشدونهما الله لما رجعا بالناس! ويقولون لهم: نعيذكم بالله أن تعجلوا بقتل العام خشية عام قاتل.

فقام رجل إلى بعض رسل علي فعقر دابته، فنزل الرجل وهو يسترجع، فحمل سرجه، فانطلق به وهم يقولون: ما طلبنا إلا منابتهم، وهم يناشدونهم الله، فمكثنا ساعة، ثم انصرفوا إلى الكوفة كأنه يوم فطر أو أضحى.

قال: وكان علي يحدنا قبل ذلك أن قوماً يخرجون من الإسلام يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد. قال: وسمعت ذلك منه مراراً كثيرة، قال: وسمعه نافع المخدج أيضاً - حتى رأيت يتركه طعامه من كثرة ما سمعه يقول: وكان نافع معنا يصلي في المسجد بالنهار وبيت فيه بالليل، وقد كنت كسوته برنساً، فلقيته من الغد، فسألته: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حروراء؟ فقال: خرجت أريدكم حتى إذا بلغت إلى بني سعد، لقيني صبيان فتزعوا سلاحي، وتلعبوا بي، فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه خرج أهل النهر، وسار علي إليهم، فلم أخرج معه وخرج أخي أبو عبد الله. قال: فأخبرني أبو عبد الله أن علياً سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شط النهر وانزل إليهم يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم، حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم، ثم أمر أصحابه أن يلمسوا المخدج، فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجد، حتى قال بعضهم: لا، ما هو فيهم. ثم إنه جاء رجل فبشرة وقال: يا أمير المؤمنين، قد وجدناه تحت قتيلين في ساقية. فقال: اقطعوا يده المخدجة، وأتوني بها، فلما أتني بها أخذها ثم رفعها، وقال: والله ما كذبت ولا كذبت.

قال أبو جعفر: فقد أنبا أبو مريم بقوله: فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه، خرج أهل النهر، أن الحرب التي كانت بين علي وأهل حروراء كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيه إنكار أهل حروراء على علي التحكيم، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبل، وإذا كان كذلك، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبي مريم، كان معلوماً أن الوقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان وثلاثين.

وذكر علي بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن عمرو بن شجرة، عن جابر، عن الشعبي، قال: بعث علي بعد ما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي - وأم جعدة أم هانئ بنت

أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القريبة إلى الله ودرك الوسيلة عنده. حيارى في الحق، جفاة عن الكتاب، نكسب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويعكسون في غمرة الضلال، فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلًا، وكفى بالله نصيراً!.

قال: فلا هم نفروا ولا تسروا، فتركهم أياماً حتى إذا آيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسأهم عن رأيهم، وما الذي ينظرهم، فمنهم المعتل، ومنهم المكرة، وأقلهم من نشط. فقام فيهم خطيباً فقال:.

عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثقالكم إلى الأرض! أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالسذل والموان من العز! أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، وكان قلوبكم بالروسة فأنتم لا تعقلون! وكان أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون. لله أنتم! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس.

ما أنتم لي بثقة سجيى الليالي، ما أنتم بركب يصال بكم، ولا ذي عز يعتصم إليه. لعمر الله، لبش حشاش الحرب أنتم! إنكم تكادون ولا تكيدون، ويتقص أطرافكم ولا تحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إن أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب. ثم قال: أما بعد، فإن لي عليكم حقاً، وإن لكم علي حقاً، فاما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فينكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتاديكم كي تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أأمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعتم عما أكره، وتراجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، وتدركون ما تأملون.

وكان غير أبو مخنف يقول: كانت الوقعة بين علي وأهل النهر سنة ثمان وثلاثين، وهذا القول عليه أكثر أهل السير.

وما يصححه أيضاً ما حدثني به عمارة الأسدي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا نعيم، قال: حدثني أبو مريم أن شيث بن ربيعي وابن الكواء خرجا من الكوفة إلى حروراء، فأمر علي الناس أن يخرجوا بسلاحهم، فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم، فأرسل إليهم: بشس ما صنعتن حين تدخلون المسجد بسلاحكم! اذهبوا إلى جبانة مراد حتى يأتيتكم أمري.

قال أبو مريم: فانطلقنا إلى جبانة مراد فكننا بها ساعة من نهار، ثم بلغنا أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون. قال: فقلت:

أبي طالب - إلى خراسان، فانتهى إلى أبرشهر وقد كفروا  
وامتنعوا، فقدم على علي، فبعث خلود بن قرة اليربوعي فحاصر  
أهل نيسابور حتى صالحوه، وصالحه أهل مرو.

وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين -  
عبيد الله بن عباس، وكان عامل علي على اليمن ومخالفها.  
وكان على مكة والطائف قثم بن العباس، وعلى المدينة سهل بن  
حنيف الأنصاري، وقيل: كان عليها تمام بن العباس. وكان على  
البصرة عبد الله بن العباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي،  
وعلى مصر محمد بن أبي بكر، وعلى خراسان خلود بن قرة  
اليربوعي.

وقيل: إن علياً لما شخص إلى صفين استخلف على الكوفة  
أبا مسعود الأنصاري.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثنا عبد الله بن  
إدريس، قال: سمعت ليثاً ذكر عن عبد العزيز بن رفيع، أنه لما  
خرج علي إلى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري  
عقبه بن عمرو. وأما الشام فكان بها معاوية بن أبي سفيان.

بن الحارث - يعني الأشتر.

## السنة الثامنة والثلاثون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها مقتل محمد بن أبي بكر بمصر، وهو عامل عليها، وقد ذكرنا سبب تولية علي إياه مصر، وعزل قيس بن سعد عنها، ونذكر الآن سبب قتله، وأين قتل؟ وكيف كان أمره؟ ونبدأ بذكر من تمة حديث الزهري الذي قد ذكرناه أوله قبل.

وذلك ما حدثنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: لما حدث قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر، وأنه قادم عليه أميراً، تلقاه وخلا به وناجاه، فقال: إنك جئت من عند امرئ لا رأي له، وليس عزلكم إياي بمناعي أن أنصح لكم، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، وإني في ذلك على الذي كنت أكايده به معاوية وعمراً وأهل خربت، فكايدهم به، فإنك إن تكايدهم بغيره تهلك.

ووصف قيس بن سعد المكايده التي كان يكايدهم بها، واغشاه محمد بن أبي بكر، وخالف كل شيء أمره به. فلما قدم محمد بن أبي بكر وخرج قيس قبل المدينة بعث محمد أهل مصر إلى خربت، فاقتلوا، فهزم محمد بن أبي بكر، فبلغ ذلك معاوية وعمراً، فساروا بأهل الشام حتى افتتحوا مصر، وقتلوا محمد بن أبي بكر، ولم تزل في حيز معاوية، حتى ظهر. وقدم قيس بن سعد المدينة، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ركب راحلته، وظهر إلى علي. فكتب معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما ويقول: امددتما علياً بقيس بن سعد ورأيه ومكايده، فوالله لو أنكما امددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان بأغلظ إلي من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي.

فقدم قيس بن سعد على علي، فلما بائه الحديث، وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يوازي أموراً عظاماً من المكايده، وأن من كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم ينصح له. وأما ما قال في ابتداء أمر محمد بن أبي بكر في مصره إلى مصر وولايته إياها أبو مخنف، فقد تقدم ذكرنا له، ونذكر الآن بقية خبره في روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن طيبان الهمداني، قال: ولما قتل أهل خربت ابن مضاءم الكلبي الذي وجهه إليهم محمد بن أبي بكر، خرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فاجابه ناس آخرون، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ علياً وثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر، واعتمادهم إياه، فقال: ما لمصر إلا أحد الرجلين! صاحبنا الذي عزلناه عنها - يعني قيساً - أو مالك

قال: وكان علي حين انصرف من صفين رد الأشتر على عمله بالجزيرة. وقد كان قال لقيس بن سعد: أقم معي على شرطي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم اخرج إلى أذربيجان، فإن قيساً مقيم مع علي على شرطته. فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى مالك بن الحارث الأشتر، وهو يومئذ بنصيبين: أما بعد، فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأئيم، واشد به الثغر المخوف. وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث ليس بذئ نجربة للحرب، ولا محارب للأشياء، فاقد علي لتتظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك. والسلام.

فأقبل مالك إلى علي حتى دخل عليه، فحدثه حديث أهل مصر، وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله! فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك. واستعن بالله على ما أهمك، فاخط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا ينبغي عنك إلا الشدة.

قال: فخرج الأشتر من عند علي فأتى رحله، فتهياً للخروج إلى مصر، وأتت معاوية عيونه، فأخبروه بولاية علي الأشتر، فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى الجايستار - رجل من أهل الخراج - فقال له: إن الأشتر قد ولي مصر، فإن أنت كفتيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه. فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، فقال: هذا منزل، وهذا طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر، فاتاه الدهقان بعلف وطعام، حتى إذا طعم أنه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إياه، فلما شربها مات. وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن علياً وجه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه.

قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفين - يعني عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشتر.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مولى للأشتر، قال: لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر.

انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكماء، فلما انصرفوا وتفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة، ولم يزد إلا قوة، واختلف الناس بالعراق على علي، فما كان لمعاوية هم إلا مصر، وكان لأهلها هائلاً خائفاً، لقرههم منه، وشدتهم على من كان على رأي عثمان، وقد كان على ذلك علم أن بها قوماً قد ساءهم قتل عثمان، وخالفوا علياً، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي، لعظم خراجها. قال: فدعا معاوية من كان معه من قرش: عمرو بن العاص وحبیب بن مسلمة وبسر بن أبي أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومن غيرهم أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي وحزمة بن مالك الهمداني، وشرحيل بن السمط الكندي فقال لهم: أتدرون لم دعوتكم؟ إني قد دعوتكم لأمر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه، فقال القوم كلهم - أو من قال منهم: إن الله لم يطلع على الغيب أحداً، وما يدرينا ما تريد! فقال عمرو بن العاص: أرى والله أمر هذه البلاد الكثير خراجها، والكثير عددها وعدد أهلها، أهملك أمرها، فدعوتنا إذاً لتسلطنا عن رأينا في ذلك، فإن كنت لذلك دعوتنا، وله جمعنا، فاعزم وأقدم، ونعم الرأي رأيت! ففي افتتاحها عزمك وعز أصحابك، وكبت عدوك، وذل أهل الخلاف عليك.

قال له معاوية بحياً: أهملك يا ابن العاص ما أهملك - وذلك لأن عمرو بن العاص كان صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب، على أن له مصر طعمة ما بقي - فأقبل معاوية على أصحابه فقال: إن هذا - يعني عمرأ - قد ظن ثم حقق ظنه، قالوا له: لكنا لا ندري، قال معاوية: فإن أبا عبد الله قد أصاب، قال عمرو: وأنا أبو عبد الله، قال: إن أفضل الظنون ما أشبه اليقين.

ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم، جاؤوكم وهم لا يرون إلا أنهم سيقبضون ببضتكم، ويخربون بلادكم، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحيوا، وحاكمناهم إلى الله، فحكم لنا عليهم. ثم جمع لنا كلمتنا وأصلح ذات بيننا، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر، ويسفك بعضهم دم بعض. والله إني لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر، فكيف ترون ارتضاءنا لها! فقال عمرو: قد أخبرتك عما سألتني عنه، وقد أشرت عليك بما سمعت، فقال معاوية: إن عمرأ قد عزم وصرم، ولم يفسر، فكيف لي أن أصنع! قال له عمرو: إني أشير عليك كيف تصنع، أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً، عليهم رجل حازم صارم تامنه

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا الله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينأى أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمر، وقد آتاكم به على نفسي لنصحكم لكم، وشدة شكيمة على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين. والسلام.

قال: ولما بلغ محمد بن أبي بكر أن علياً قد بعث الأشتر شق عليه، فكتب علي إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشتر، وذلك حين بلغه موقعة محمد بن أبي بكر لقدوم الأشتر عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر، سلام عليك، أما بعد، فقد بلغني موجدتك من تسريجي الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد، ولا ازدياداً مني لك في الجدد، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أبسر عليك في المثونة، وأعجب إليك ولاية منه. إن الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل أيامه، ولاقي حمامه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب. اصبر لعدوك، وشمر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأكثر ذكر الله، والاستعانة به، والخوف منه، يكفك ما أهملك، ويعنك على ما ولاك، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته. والسلام عليك.

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه.

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره، أما بعد، فإني قد انتهت إلى كتاب أمير المؤمنين، ففهمته وعرفت ما فيه، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوه، ولا أراف بوليته مني، وقد خرجت فمسكرت، وأمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً، وأظهر لنا خلافاً، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه، وملتجئ إليه، وقائم به، والله المستعان على كل حال، والسلام عليك.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جهضم الأزدي - رجل من أهل الشام - عن عبد الله بن حوالة الأزدي، أن أهل الشام لما

من أهل القسط والعدل، وقد ذكرت المواساة في سلطانك ودينك، وبالله إن ذلك لأمر ما له نهضنا، ولا إياه أردنا، فإن يجمع الله لنا ما نطلب، ويؤتنا ما تمنينا، فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين، وقد يؤتيهما الله معاً علماً من خلقه، كما قال في كتابه، ولا خلف لموعده، قال: ﴿فَأَنذَاهُمُ اللَّهُ تَوَابِ الدُّنْيَا وَحُسْنُ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، عجل علينا خيلك ورجلك، فإن عدونا قد كان علينا حرباً، وكنا فيهم قليلاً، فقد أصبحوا لنا هائبين، وأصبحنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمدد من قبله يفتح الله عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك.

قال: فجاهه هذا الكتاب وهو يومئذ بفلسطين، فدعا النفس الذين سملهم في الكتاب فقال: ماذا ترون؟ قالوا: الرأي أن تبعث جنداً من قبلك، فإنك تفتتحها بإذن الله. قال معاوية: فتجهز يا أبا عبد الله إليها - يعني عمرو بن العاص - قال: فبعثه في ستة آلاف رجل، وخرج معاوية وودعه وقال له عند وداعه إياه: أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنه يمن، وبالمهل والتؤدة، فإن العجلة من الشيطان، وبأن تقبل ممن أقبل، وأن تغفر عن أدبر، فإن قبل فيها ونعمت، وإن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة، وادع الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك أثر الناس عندك، وكل الناس فأول حسناً. قال: فخرج عمرو يسير حتى نزل أداني أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر.

أما بعد فتتح عني بدمك يا ابن أبي بكر، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان، فاخرج منها فلاني لك من الناصحين، والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه.

أما بعد، فإن غلب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من العقوبة في الدنيا، ومن التبعة الموقفة في الآخرة، وإننا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً، ولا أسوأ له عيياً، ولا أشد عليه خلافاً منك، سعيت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين، ثم أنت تظن أنني عنك نائم أو ناس لك، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت فيها جاري، وجل أهلها أنصارى، يرون رأيي، ويرقبون قولي، ويستصرخوني عليك. وقد بعثت إليك قوماً حقائقاً عليك، يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهداً ليمثلن بك، ولو

وتثق به، فيأتي مصر حتى يدخلها، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاهاه على من بها من عدونا. فإذا اجتمع بها جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك، رجوت أن يعين الله بنصرك، ويظهر فلجك. قال له معاوية: هل عندك شيء دون هذا يعمل به فيما بيننا وبينهم؟ قال: ما أعلمه. قال: بلى، فإن غير هذا عندي، أرى أن نكتب من بها من شيعتنا، ومن بها من أهل عدونا، فأما شيعتنا فأمرهم باللبات على أمرهم، ثم أمرهم قدومنا عليهم، وأما من بها من عدونا فندعوهم إلى صلحتنا، ونغنيهم شكرنا، ونخففهم حربنا، فإن صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا، وإلا كان حربهم من وراء ذلك كله. إنك يا ابن العاص امرؤ بورك لك في العجلة، وأنا امرؤ بورك لي في التؤدة، قال: فاعمل بما أراك الله، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلا إلى الحرب العوان.

قال: فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري وإلى معاوية بن حديج الكندي - وكانا قد خالفاً علياً: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن الله قد ابتعثكم لأمر عظيم أعظم به أجركما، ورفع به ذكركما، وزينكما به في المسلمين، طلبكما بدم الخليفة المظلوم، وغضبكما لله إذ ترك حكم الكتاب، وجاهدتما أهل البغي والعدوان، فأبشروا برضوان الله، وعاجل نصر أولياء الله، والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى يتهيأ في ذلك ما يرضيكم، وتؤذي به حقكما إلى ما يصير أمركما إليه. فاصبروا وصابروا عدوكم، وادعوا المدبر إلى هداكم وحفظكم، فإن الجيش قد أضل عليكم، فانقشع كل ما تكرهان، وكان كل ما تهويان، والسلام عليكم.

وكتب هذا الكتاب وبعث به مع مولى له يقال له سبيع.

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر ومحمد بن أبي بكر أميرها، وقد ناصب هؤلاء الحرب بها، وهو غير متخون بها يوم الإقدام عليه. فدفع كتابه إلى مسلمة بن مخلد وكتاب معاوية بن حديج، فقال مسلمة: امض بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه، ثم القني به حتى أجيئه عني وعنه، فانطلق الرسول بكتاب معاوية بن حديج إليه، فأقرأه إياه، فلما قرأه قال: إن مسلمة ابن مخلد قد أمرني أن أرد إليه الكتاب إذا قرأته لكسي يجيب معاوية عنك وعنه. قال: قل له فليفعل، ودفع إليه الكتاب، فأتاه.

ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حديج: أما بعد، فإن هذا الأمر الذي بذلنا له أنفسنا، ابتعنا أمر الله فيه، أمر نرجو به ثواب ربنا، والنصر من خالفنا، وتعجيل النعمة لمن سعى على إمامنا، وطأطا الركض في جهادنا، ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفينا من كان به من أهل البغي، وأنهضنا من كان به

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا ابن العاص، زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، وأشهد أنك من المبطلين. وتزعم أنك لي نصيح، وأقسم أنك عندي ظنين، وتزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري، وندموا على اتباعي، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، فحسبنا الله رب العالمين، وتوكلنا على الله رب العرش العظيم، والسلام.

قال: أقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر. فقام محمد بن أبي بكر في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد معاشر المسلمين والمؤمنين، فإن القوم الذين كانوا يتبهكون الحرمه، وينعشون الضلال، ويشبون نار الفتنة، ويتسلطون بالجبرية، قد نصبوا لكم العدواة، وساروا إليكم بالجنود. عباد الله! فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله، انتدبوا إلى هؤلاء القوم رحكم الله مع كنانة بن بشر.

قال: فانتدب معه نحو من ألفي رجل، وخرج محمد في ألفي رجل، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، فأقبل عمرو نحو كنانة، فلما دنا من كنانة سرح الكتاب كتبية بعد كتبية، فجعل كنانة لا تأتيه كتبية من كتاب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه، فيضربها حتى يقرها لعمر بن العاص. ففعل ذلك مراراً، فلما رأى ذلك عمرو وبعث إلى معاوية بن حديج السكوني، فأتاه في مثل الدهم، فأحاط بكنانة وأصحابه، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانة بن بشر نزل عن فرسه. ونزل أصحابه وكنانة يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا لَشَاكِرِينَ﴾. فضاربهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله.

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر، وقد تفرق عنه أصحابه لما بلغهم قتل كنانة، حتى بقي وما معه أحد من أصحابه. فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل القسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارة الطريق، فسأله: هل مر بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله، إلا أنني دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل فيها جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة، فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا نحو قسطاط مصر.

قال: وروى أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في جنده فقال: أنقتل أخي صبراً! أبعث إلى

لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك ولا أنذرتك، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه، ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبداً أينما كنت. والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيهما، وبعث بهما إلى علي، وكتب معهما: أما بعد، فإن ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر، واجتمع إليه أهل البلد جلهم ممن كان يرى رأيهم، وقد جاء في جيش لجب خراب، وقد رأيت ممن قبلي بعض الفضل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال، والسلام عليك. فكتب إليه علي.

أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خراب، وإن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك. وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلاً، فلا تفشل، وإن فشلوا فحصن قريتك، واضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والباس، فإني نادب إليك الناس على الصعب والذل، فاصبر لعدوك، وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيتك، وجاهدهم صابراً محسباً، وإن كانت فتك أقل الفتين، فإن الله قد يعز القليل، ويخذل الكثير. وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية، والفاجر بن الكافر عمرو، المتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشين في الحكومة، المنكرين في الدنيا، قد استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم، فلا يهلك إرعادهما وإبراقهما، وأجهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فإنك تجد مقالاً ما شئت، والسلام.

قال أبو مخنف: فحدثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري، عن شيخ من أهل المدينة، قال: كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمراً لا أعترف إليك منه، وتأمرنى بالنحي عنك كأنك لي ناصح، وتخوفني المثلة كأنك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم، فأجتاحكم في الوقعة، وإن توتوا النصر ويكن لكم الأمر في الدنيا، فكم لعمرى من ظالم قد نصرتم، وكمن مؤمن قتلتم ومثلتم به! وإلى الله مصيركم ومصيرهم، وإلى الله مرد الأمور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على ما تصفون، والسلام.

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص.



رجع الحديث إلى حديث أبي حنيفة. وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر. أما بعد، فإننا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع من أهل مصر، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب، فرفضوا الحق، وتوركوا في الضلال، فجاهدناهم، واستنصرنا الله عليهم، فضرب الله وجوههم وأديارهم، ومنحونا أكثافهم، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأمانل القوم، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك.

### ذكر خير قتل محمد بن أبي حذيفة

وفيها قتل محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

#### ذكر الخبر عن مقتله.

اختلف أهل السير في قتله، فقال الواقدي: قتل في سنة ست وثلاثين. قال: وكان سبب قتله أن معاوية وعمراً سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها - فنزلا بعين الشمس - فعالجا الدخول، فلم يقدرا عليه، فخدعا محمد بن أبي حذيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العريش، فخرج وخلف الحكم بن الصلت على مصر، فلما خرج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش تحصن، وجاء عمرو فنصب المجانيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه، فاخذوا وقتلوا. قال: وذلك قبل أن يبعث علي إلى مصر قيس بن سعد.

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن محمد بن أبي حذيفة إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر ودخل عمرو بن العاص مصر وغلب عليها، وزعم أن عمراً لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبي حذيفة، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث فيه غير كثير، ثم إنه هرب من السجن - وكان ابن خال معاوية - فأرى معاوية الناس أنه قد كره انقلاته، فقال لأهل الشام: من يطلبه؟ قال: وقد كان معاوية يحب فيما يرون أن ينجو، فقال رجل من خثعم - يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام. وكان رجلاً شجاعاً. وكان عثمانياً: أنا أطلبه.

فخرج في حاله حتى لحقه بأرض البلقاء بمحوران وقد دخل في غار هناك فجاءت حر تدخله، وقد أصابها المطر، فلما رأت الحمر الرجل في الغار فزعت، فنفرت، فقال حصادون كانوا قريباً من الغار: والله إن لنفصر هذه الحمر من الغار لشأناً. فذهبوا لينظروا، فإذا هم به، فخرجوا، ووافقهم عبد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمي، فسألهم عنه، ووصفه لهم. فقالوا له: ها هو ذا في

معاوية بن حديج فأنه، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال معاوية: أكذلك! قلتكم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد بن أبي بكر! هيهات، ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيِّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.

فقال لهم محمد: اسقوني من الماء، قال له معاوية بن حديج: لا سقاء الله إن سقاك قطرة أبداً! إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محروماً فتلغاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك بابن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغساق، قال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت، إنما ذلك إلى الله عز وجل يسقي أوليائه، ويظمي أعداءه، أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتني هذا.

قال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار، فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك، فطالما فعل ذلك بأولياء الله! وإنني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على غرود وأوليائه، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - يعني معاوية، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظي عليكم، كلما خبت زادها الله سعيراً. قال له معاوية: إني إنما أقتلك بعثمان، قال له محمد: وما أنت وعثمان! إن عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله.

قال: فغضب معاوية فقدمه فقتله، ثم القاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقتت عليه دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، ثم قبضت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها.

وأما الواقدي فإنه ذكر في أن سويد بن عبد العزيز حدثه عن ثابت بن عجلان، عن القاسم بن عبد الرحمن، أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف، فيهم معاوية بن حديج، وأبو الأعور السلمي، فالتقوا بالمساة، فاقتلوا قتلاً شديداً، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجبي، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً، فأنهزم، فاختبأ عند جيلة بن مسروق، فدل عليه معاوية بن حديج، فأحاط به، فخرج محمد فقاتل حتى قتل.

قال الواقدي: وكانت المساة في صفر سنة ثمان وثلاثين، وأذرخ في شعبان منها في عام واحد.

الغار، قال: فجاء حتى استخرجه، وكره أن يرجعه إلى معاوية فيخلي سبيله. فضرب عنقه.

قال هشام، عن أبو مخنف: قال: وحدثني الحارث بن كعب بن فقيم، عن جندب، عن عبد الله بن فقيم، عم الحارث بن كعب... يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر إلى علي - ومحمد يومئذ أميرهم - فقام علي في الناس وقد أمر فنودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد ﷺ، ثم قال: أما بعد، فإن هذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله، وولي من عادى الله، فلا يكونون أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا، فإنهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر.

عباد الله، إن مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافروني بها هناك غداً إن شاء الله.

قال: فلما كان من الغد خرج يمشي، فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يوافه منهم رجل واحد، فرجع. فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب، فقال: الحمد لله على ما قضى من أمري، وقدر من فعلي، وابتلاني بكم أيها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجب إذا دعوت، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بصبركم، والجهاد على حقكم! الموت والذل لكم في هذه الدنيا على غير الحق، فوالله لئن جاء الموت - وليأتين - ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتيكم قال، وبكم غير ضنين، لله أنتم لا دين يجمعكم، ولا حية تحميكم، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم، ويشن الغارة عليكم.

أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفافة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة! ويحيون في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء. وأنا أدعوكم - وأنتم أولو النهي وبقية الناس - على المعونة وطائفة منكم على العطاء، فتقومون عني وتعصوني، وتختلفون علي!

فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب الناس فإنه لا عطر بعد عروس، لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي، والأجر لا يأتي إلا بالكرة. اتقوا الله وأحيوا إمامكم، وانصروا دعوته، وقاتلوا عدوه، أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين، قال: فأمر علي مناديه سعداً، فنادى في الناس: ألا

انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب.

ثم إنه خرج وخرج معه علي، فنظر فإذا جميع من خرج نحو ألفي رجل، فقال: سر فوالله ما إخالكم تدرك القوم حتى ينقضي أمرهم، قال: فخرج بهم، فسار خمساً. ثم إن الحجاج بن غزية الأنصاري، ثم النجاري قدم على علي من مصر، وقدم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري، فأما الفزاري فكان عينه بالشام، وأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر، فحدثه الأنصاري بما رأى وعين وبهلاك محمد، وحدثه الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص ترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر، وحتى أذن بقتله على المنبر، وقال: يا أمير المؤمنين، قلما رأيت قوماً قط أسر، ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر. فقال علي: أما إن حزننا عليه على قدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً. قال: وسرح علي عبد الرحمن بن شريح الشبامي إلى مالك بن كعب، فردّه من الطريق. قال: وحزن علي على محمد بن أبي بكر حتى رئي ذلك في وجهه - وتبين فيه، وقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ، وقال: ألا إن مصر قد افتتحتها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً. ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله، فعند الله تحسبه. أما والله إن كان ما علمت لمن ينظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن، إني والله ما ألوم نفسي على التقصير، وإني لمقاساة الحرب لجد خبير، وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فاستصرخكم معلناً، وأناذيكُم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساء، فسأنتم القوم لا يدرك بكم الثار، ولا تنقض بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجر جرتم جرجرة الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذانب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

فأف لكم! ثم نزل. وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد، فعند الله تحسبه وندخره، وقد كنت قمت في الناس في بدته، وأمרתهم بغياته قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً،

الحضرمي حيث ترون، وأتاه من أتاه، فأمعنوني حتى يأتيني رأي أمير المؤمنين. فقال حضين: نعم، وقال مالك: وكان رأيهم مائلاً إلى بني أمية، وكان مروان لجأ إليه يوم الجمل: هذا أمر لي فيه شركاء، استشير وانظر. فلما رأى زيد تشاقل مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع أن أشر علي، فأشار عليه نافع بصبرة بن شيمان الحداني، فأرسل إليه زياد، فقال: ألا تجبرني! وبیت مال المسلمين فإنه فيحكم، وأنا أمين أمير المؤمنين. قال: بلى إن حملته إلي ونزلت داري.

قال: فإني حامله، فحمله، وخرج زياد حتى أتى الحدان، ونزل في دار صبرة بن شيمان، وحول بيت المال والمنبر، فوضعه في مسجد الحدان، وتحول مع زياد خسون رجلاً، منهم أبو أبي حاضر وكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحدان، ويطعم الطعام - فقال زياد لجابر بن وهب الراسي: يا أبا محمد، إني لا أرى ابن الحضرمي يكف، لا أراه إلا سيقاقتكم، ولا أدري ما عند أصحابك فأمرهم، وانظر ما عندهم، فلما صلى زياد جلس في المسجد، واجتمع الناس إليه، فقال جابر: يا معشر الأزدي، تميم تزعم أنهم هم الناس، وأنهم أصبر منكم عند البأس، وقد بلغني أنهم يريدون أن يسيروا إليكم حتى يأخذوا جاركم، ويخرجوه من المصر قسراً، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجروهم وبیت مال المسلمين! فقال صبرة بن شيمان وكان مفخماً: إن جاء الأحف جنت، وإن جاء الحتات جنت، وإن جاء شبان ففينا شبان، فكان زياد يقول: إني استضحكت ونهضت، وما كدت مكيدة قط كنت إلى الفضيحة بها أقرب مني للفضيحة يومئذ، لما غلبني من الضحك.

قال: ثم كتب زياد إلى علي: إن ابن الحضرمي أقبل من الشام فنزل في دار بني تميم، ونعى عثمان، ودعا إلى الحرب، وبايعته تميم وجل أهل البصرة، ولم يبق معي من أمتنع به، فاستجرت لنفسي وليت المال صبرة بن شيمان، وتحولت فنزلت معهم، فشيعة عثمان يمتثلون إلى ابن الحضرمي، فوجه علي أعين بن ضبيعة الجاشعي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فانظر ما يكون منه، فإن فرق جمع ابن الحضرمي فذلك ما تريد - وإن ترقى بهم الأمور إلى التماسي في العصيان فانهمض إليهم فجاهدهم، فإن رأيت من قبلك تناقلاً، وخفت ألا تبلغ ما تريد، فدارهم وطاولهم، ثم تسمع وأبصر، فكان جنود الله قد أظلتك، تقتل الظالمين.

فقدم أعين فأتى زياداً، فنزل عنده، ثم أتى قومه، وجمع رجالاً ونهض إلى ابن الحضرمي، فدعاهم، فشتموه وناوشوه، فانصرف عنهم، ودخل عليه قوم فقتلوه، فلما قتل أعين ابن

ودعواً وبدءاً، فمنهم من أتى كارهاً، ومنهم من اعتل كاذباً، ومنهم القاعد حالاً، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً وخرجاً، وأن يريحي منهم عاجلاً. والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً. عزم الله لنا ولك على الرشد، وعلى تقواه وهداه، إنه على كل شيء قدير. والسلام.

فكتب إليه ابن عباس.

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، من عبد الله بن عباس. سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر، وهلاك محمد بن أبي بكر، فالله المستعان على كل حال، ورحم الله محمد بن أبي بكر وأجرك يا أمير المؤمنين! وقد سألت الله أن يجعل لك من ريعتي التي ابتليت بها فرجاً وخرجاً، وأن يعزك باللائكة عاجلاً بالنصرة، فإن الله صانع لك ذلك، ومعزك ومحبيب دعوتك، وكابت عدوك. أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تناقلوا ثم ينشطون، فافرق بهم يا أمير المؤمنين، وداجنهم ومنهم، واستعن بالله عليهم، فكفك الله المهم. والسلام.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مالك بن الحور، أن علياً قال: رحم الله محمداً! كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت على أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر، أما والله لو أنه وليها ما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه الفجرة العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده، لا بلا دم كمحمد، فرحم الله محمداً، فقد اجتهد نفسه، وقضى ما عليه.

وفي هذه السنة وجه معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر عبد الله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحكم عمرو بن العاص فيه.

وفيها قتل أعين بن ضبيعة الجاشعي، وكان علي وجهه لإخراج ابن الحضرمي من البصرة.

## ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرمي وزيد وأعين وسبب

### قتل من قتل منهم

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا أبو الذيال، عن أبي نعمة، قال: لما قتل محمد بن أبي بكر بمصر، خرج ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة، واستخلف زياداً، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياد إلى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع، فقال: أنتم يا معشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته، وقد نزل ابن

فلو عاقدت جبل أبي سعيد لئذا القوم ما حمل النجاء  
وأدنى الخيل من رجع النابيا وأغشاهما الأسنة والصعادا

### الخریت بن راشد وإظهاره الخلاف على علي

ومما كان في هذه السنة - أعني سنة ثمان وثلاثين - إظهار  
الخریت بن راشد في بني ناجية الخلاف على علي وفراقه إياه.

كالذي ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن الحارث  
الأزدي، عن عمه عبد الله بن فقيم، قال: جاء الخريت بن راشد  
إلى علي - وكان مع الخريت ثلثمائة رجل من بني ناجية مقيمين  
مع علي بالكوفة، قدموا معه من البصرة، وكانوا قد خرجوا إليه  
يوم الجمل، وشهدوا معه صفين والنهروان - فجاء إلى علي في  
ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم حتى قام بين يدي علي،  
فقال له: والله يا علي لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني  
غداً لمفاركك. وذلك بعد تحكيم الحكيم. فقال له علي: نكلتك  
أمك! إذا تعصي ربك، وتنكث عهده، ولا تضر إلا نفسك.  
خبرني لم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب. وضعفت  
عن الحق إذ جد الجد، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم،  
فأنا عليك زار، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً ما بين.

فقال له علي: هلم أدارسك الكتاب، وأناظرك في السنن،  
وأفانك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت  
له الآن منك، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل. قال: فإني عائد  
إليك، قال: لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفك الجهل، والله  
لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل الرشاد.  
فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، فعجلت في أثره مسرعاً.  
وكان لي من بني عمه صديق، فأرادت أن ألقى ابن عمه ذلك  
فاعلمه بشأنه، ويأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أن  
ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة. فخرجت حتى  
انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقممت عند باب داره، وفي داره  
رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي.

قال: فوالله ما جزم شيئاً مما قال، ومما رد عليه، ثم قال  
لهم: يا هؤلاء، إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقته  
على أن أرجع إليه من غد، ولا أراني إلا مفارقة من غد. فقال له  
أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإن أذاك بأمر تعرفه قبلت منه،  
وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه. فقال لهم: فنعم ما  
رأيتم. قال: ثم إني استأذنت عليه، فأذنوا لي، فدخلت فقلت:  
أشكك الله أن تفارق أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين، وأن تجعل  
على نفسك سبيلاً، وأن تقتل من أرى من عشيرتك إن علياً  
لعلی الحق، قال: فأنا أغدو إليه فأسمع منه حجته، وأنظر ما

ضيعة، أراد زياد قتالهم، فأرسلت بنو نعيم إلى الأزدي: إنا لم نعرض  
لجارك، ولا لأحد من أصحابه، فماذا تريدون إلى جارنا وحربنا  
فكرهت الأزدي القتال، وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناهم، وإن  
يكفوا عن جارنا كفنا عن جارهم، فأمسكوا.

وكتب زياد إلى علي: أن أعين بن ضبيعة قدم فجمع من  
أطاعه من عشيرته، ثم نهض بهم بجهد وصدق نية إلى ابن  
الحضرمي، فحثهم على الطاعة، ودعاهم إلى الكف والرجوع عن  
شقائهم، ووافقتهم عامة قوم، فهاهم ذلك، وتصعد عنهم كثير  
من كان معهم، بينهم نصرته، وكانت بينهم مناوشة. ثم انصرف  
إلى أهله، فدخلوا عليه فاغتالوه فأصيب، رحم الله أعين! فأردت  
قتالهم عند ذلك، فلم يخف معي من أقوى به عليهم، وتراسل  
الحيان، فأمسك بعضهم عن بعض.

فلما قرأ علي كتابه دعا جارية بن قدامة السعدي، فوجهه  
في خسين رجلاً من بني نعيم، وبعث معه شريك بن الأعور -  
ويقال بعث جارية خسمائة رجل - وكتب إلى زياد كتاباً يصوب  
رأيه فيما صنع، وأمره بمعونة جارية بن قدامة والإشارة عليه،  
فقدم جارية البصرة، فأثنى زياداً فقال له: احتفز واحذر أن  
يصيبك ما أصاب صاحبك، ولا تثق بأحد من القوم.

فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي، ووعدهم،  
فأجابهم أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في دار سنبل، ثم  
أحرق عليه الدار وعلى من معه، وكان معه سبعون رجلاً -  
ويقال أربعون - وتفرق الناس، ورجع زياد إلى دار الإمارة،  
وكتب إلى علي مع ظبيان بن عمارة، وكان ممن قدم مع  
جارية..... وأن جارية قدم علينا فسار إلى ابن الحضرمي فقتله  
حتى اضطره إلى دار من دور بني نعيم، في عدة رجال من أصحابه  
بعد الإعذار والإنذار، والدعاء إلى الطاعة، فلم ينيبوا ولم يرجعوا،  
فأضرم عليهم الدار فأحرقهم فيها، وهدمت عليهم، فبعداً لمن  
طغى وعصى! فقال عمرو بن العرندس العودي:

رددنا زياداً إلى داره وجار نعيم دخاناً ذهب  
لحى الله قوماً شؤوا جارهم وللشاء بالدرهمين الشصب  
ينادي الخناق وخانها وقد سمطوا رأسه باللهب  
ونحن أناس لنساء عادة نحامي عن الجار أن يغتصب  
حيناه إذ حل أباتنا ولا يمنع الجار إلا الحسب  
ولم يعرفوا حرمة للجسا ر إذ أعظم الجار قوم نجيب  
كفعلهم قبلنا بالزبير عشية إذ بززه يستلب

وقال جرير بن عطية بن الخطفي:

غدرتهم بالزبير فما وفيتهم وفاء الأزدي إذ منعوا زياداً  
فأصبح جارهم بنجاة عز وجار مجاشع أمسى رماداً

جماعة كثيرة ممن يقدمون عليه من أهل طاعتك، فأذن لي في اتباعهم حتى أرد هم عليك إن شاء الله. فقال له علي: وهل تدري أين توجه القوم؟ فقال: لا، ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر.

فقال له: أخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبي موسى، ثم لا تتوجه حتى يأتيك أميري، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس في جماعة، فإن عمالي سكتب إلي بذلك، وإن كانوا متفرقين مستخفين فذلك أخفى لهم، وسأكتب إلى عمالي فيهم. فكتب نسخة واحدة فأخرجها إلى العمال.

أما بعد، فإن رجلاً خرجوا هرباً ونظنهم وجهوا نحو بلاد البصرة، فسل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، وكتب إلى بما ينتهي إليك عنهم، والسلام.

فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره، وجمع أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا معشر بكر بن وائل، فإن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أمره مهم له، وأمرني بالانكماش فيه، وأنتم شيعته وأنصاره، وأوشق حي من الأحياء في نفسه، فانتدبوا معي الساعة، واعجلوا.

قال: فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثون، فقال: اكتفينا، لا نريد أكثر من هذا، فخرجوا حتى قطعوا الجسر، ثم دير أبي موسى، فنزله، فأقام فيه بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت الأعور التيمي، عن أبي سعيد العقيلي، عن عبد الله بن وال التيمي، قال: والله إنني لعند أمير المؤمنين إذ جاءه فيج، كتاب بيديه، من قبل قرظة بن كعب الأنصاري.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإنني أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرت بنا من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر، وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلى يقال له: زاذان فروخ، أقبل من قبل أخواله بناحية نفر، فعرضوا له، فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل أنا مسلم، قالوا: فما قولك في علي؟ قال: أقول فيه خيراً، أقول: إنه أمير المؤمنين، وسيد البشر، فقالوا له: كفرت يا عدو الله! ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمة، فقالوا: ما أنت؟ قال: رجل من أهل الذمة، قالوا: أما هذا فلا سبيل عليه، فأقبل إلينا ذلك الذمي فأخبرنا هذا الخبر، وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء، فليكتب إلى أمير المؤمنين براهيه فيهم أنه إليه. والسلام.

فكتب إليه.

يعرض علي به ويذكر، فإن رأيت حقاً ورشداً قبلت، وإن رأيت غياً وجوراً تركت. قال: فخلوت بآبى عمه ذلك - قال: وكان أحد نفره الأدين، وهو مدرك بن الريان، وكان من رجال العرب - فقلت له: إن لك علي حقاً لإخائك وودك ذلك علي بعد حق المسلم على المسلم. إن ابن عمك كان منه ما قد ذكر لك، فأجد به فاردد عليه رايه، وعظم عليه ما أتى، فيأني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتله نفسه وعشيرته. فقال: جزاك الله خيراً من أخ! فقد نصحت وأشفقت، إن أراد صاحبي فراق أمير المؤمنين فارقته وخالفته، وكنت أشد الناس عليه.

وأنا بعد فإنني خال به، ومشير عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته والإقامة معه، وفي ذلك حظي ورشده.

فقممت من عنده، وأردت الرجوع إلى أمير المؤمنين لأعلمه بالذي كان، ثم اطمانت إلى قول صاحبي، فرجعت إلى منزلي فبت به ثم أصبحت، فلما ارتفع الضحى أتيت أمير المؤمنين، فجلست عنده ساعة وأنا أريد أن أحدثه بالذي كان من قوله لي على خلوة، فاطلت الجلوس، فلم يزد الناس إلا كثرة، فدنوت منه، فجلست وراءه، فأصغى إلي بآذنيه، فخبرته بما سمعت من الحريث بن راشد، وبما قلت له، وبما رد علي. وبما كان من مقالتي لابن عمه، وبما رد علي، فقال: دعه، فإن عرف الحق وأقبل إليه عرفنا ذلك وقبلنا منه، وإن أبي طلبناه. فقلت: يا أمير المؤمنين، ولم لا تأخذه الآن وتستوثق منه وتحبسه؟ فقال: إنا لو فعلنا هذا بكل من نتهمه من الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أراه - يعني الوثوب على الناس والحبس والعقوبة - حتى يظهروا لنا الخلاف. قال: فسكت عنه، وتنحيت، فجلست مع القوم.

ثم مكث ما شاء الله. ثم إنه قال: ادن مني، فدنوت منه، فقال لي مسراً: اذهب إلى منزل الرجل فاعلم لي ما فعل، فإنه كل يوم لم يكن يأتيني فيه إلا قبل هذه الساعة. فأتيت منزله، فإذا ليس في منزله منهم ديار، فدعوت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه، فإذا ليس فيها داع ولا يجيب. فرجعت. فقال لي حين رأيته: وطونا فامنوا، أم جنبوا فظعنوا! فقلت: بل ظعنوا فاعلنوا، فقال: قد فعلوها! بعداً لهم كما بعدت ثمود! أما لو قد أشرعت لهم الأسنة وصيبت على هامهم السيوف، لقد ندموا. إن الشيطان اليوم قد استهواهم وأضلهم، وهو غداً متبرئ منهم، وخل عنهم.

فقام إليه زياد بن خصفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدمهم فناسى عليهم، فإنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا، وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا

فقال له زياد بن خصفة: بل نحن مع الله ومن الله وكتابه ورسوله أثر عنده ثواباً من الدنيا منذ خلقت إلى يوم تفتى، أيها العمي الأبصار، الصم القلوب والأسماع. فقال لنا: أخبروني ما تريدون؟ فقال له زياد - وكان مجرباً رفيقاً: قد ترى ما بنا من اللغوب والسغوب، والذي جئنا له لا يصلحه الكلام علانية على رؤوس أصحابي وأصحابك، ولكن أنزل وتنزل، ثم نخلو جميعاً فنذكر أمرنا هذا جميعاً وننظر، فإن رأيت ما جئناك فيه خطأ لنفسك قبلته، وإن رأيت فيما أسمعه منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أردده عليك. قال: فأنزل بنا، قال: فأقبل إلينا زياد فقال: انزلوا بنا على هذا الماء، قال: فأقبلنا حتى إذا انتهينا إلى الماء، نزلناه فما هو إلا أن نزلنا ففرقنا، ثم تحلقنا من عشرة وتسعة وثمانية وسبعة، يضعون طعامهم بين أيديهم فيأكلون، ثم يقومون إلى ذلك الماء فيشربون.

وقال لنا زياد: علقوا على خيولكم، فعلقنا عليها خاليتها، ووقف زياد بيننا وبين القوم، وانطلق القوم ففتحوا ناحية، ثم نزلوا، وأقبل إلينا زياد، فلما رأى فرقنا وتحلقنا قال: سبحة الله، أتمم أهل حرب؟ والله لو أن هؤلاء جاؤوكم الساعة على هذه الحال ما أرادوا من غيركم أفضل من حالكم التي أتمم عليها. اعجلوا، قوموا إلى خيلكم، فأسرعنا، ففتححشنا فلما من يبتفض، ثم يتوضأ، ومنا من يشرب، ومنا من يسقي فرسه، حتى إذا فرغنا من ذلك كله، أتاننا زياد وفي يده عرق ينهشه، فنهش منه نهشتين أو ثلاثاً، وأتاني بأداة فيها ماء، فشرب منه، ثم ألقى العرق من يده. ثم قال: يا هؤلاء، إنا قد لقينا القوم، والله إن عدتكم كعدتهم، ولقد حرزتم وإياهم فما أظن أحد الفريقين يزيد على الآخرة بخمسة نفر، وإني والله ما أرى أمرهم وأمركم إلا يرجع إلى القتال، فإن كان إلى ذلك ما يصير بكم وبهم الأمور فلا تكونوا أعجز الفريقين. ثم قال لنا: لياخذ كل امرئ منكم بعنان فرسه حتى أدنو منهم، وادعوا إلى صاحبهم فاكلمه، فإن بايعني على ما أريد وإلا فإذا دعوتكم فاستووا على متون الخيل، ثم أقبلوا إلي معاً غير متفرقين.

قال: فاستقدم أماننا وأنا معه، فأسمع رجلاً من القوم يقول: جاءكم القوم وهم كالون معيون، وأنتم جامون مسترجعون، فتركتموهم حتى نزلوا وأكلوا وشربوا واستراحوا، هذا والله سوء الرأي! والله لا يرجع الأمر بكم وبهم إلا إلى القتال. فسكتوا، وانتهينا إليهم، فدعا زياد بن خصفة صاحبهم فقال اعتزل بنا فلننظر في أمرنا هذا فوالله لقد أقبل إلي زياد في خمسة فقلت لزياد ادع ثلاثة من أصحابنا حتى نلقاهم في عدتهم، فقال لي: ادع من أحببت منهم، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً، فكنا

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرت بك فقتلت البر المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر، وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا وكانوا كالذين حسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا فأسمع بهم وأبصر يوم تحبر أعمالهم. والزم عملك، وأقبل على خراجك فإني كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك، والسلام.

قال أبو مخنف: وحدثنني أبو الصلت الأعور التيمي عن أبي سعيد العقيلي، عن عبد الله بن وائل، قال: كتب علي عليه السلام معي كتاباً إلى زياد بن خصفة، وأنا يومئذ شاب حدث.

أما بعد، فإني كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتبك أمري وذلك لأنني لم أكن علمت إلى أي وجه توجه القوم، وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها نفر، فاتبع آثارهم، وسل عنهم، فإني قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مصلياً، فإذا أنت لحقتهم فارددهم إلي، فإن أبوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم، فإنهم قد فارقوا الحق، وسفكوا الدم الحرام، وأخافوا السبيل. والسلام.

قال: فآخذت الكتاب منه، فمضيت به غير بعيد، ثم رجعت به، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أمضي مع زياد بن خصفة إذا دعت إليه كتابك إلى عدوك؟ فقال: يا ابن أخي، افعل، فوالله إني أرجو أن تكون من أعواني على الحق، وأنصاري على القوم الظالمين، فقلت له: أنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ومن أولئك، وإنا حيث تحب.

قال ابن وائل: فوالله ما أحب أن لي بمقالة على تلك حمر النعم.

قال: ثم مضيت إلى زياد بن خصفة بكتاب علي وأنا على فرس لي رائع كريم، وعلي السلاح، فقال لي زياد: يا ابن أخي، والله ما لي عنك من غناء، وإني لأحب أن تكون معي في وجهي هذا، فقلت له: قد استأذنت في ذلك أمير المؤمنين فأذن لي، فسر بذلك.

قال: ثم خرجنا حتى أتينا نفر، فسألنا عنهم، فقيل لنا: قد ارتفعوا نحو جرجرايا، فاتبعناهم، فقيل لنا: قد أخذوا نحو المذار، فلحقناهم وهم نزول بالمذار، وقصد أقاموا به يوماً وليلة، وقد استراحوا وأعلفوا وهم جامون، فأتيناهم وقد تقطعنا ولغينا وشقينا ونصبنا، فلما راونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها، وجئنا حتى انتهينا إليهم، فواقفناهم، ونادانا صاحبهم الحريث بن راشد: يا عريان القلوب والأبصار، أمع الله أنتم وكتابه وسنة نبيه، أم مع الظالمين؟

قيس، فقال: أصلحك الله يا أمير المؤمنين! إنما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل رجل منهم عشرة من المسلمين، فإذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم، فأما أن يلقاهم أعدادهم فلعمري ليصبرن لهم، هم قوم عرب، والعدة تصبر للعدة، وتتصف منها. فقال: تجهز يا معقل بن قيس إليهم. وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن المغفل الأزدي. وكتب إلى ابن عباس.

أما بعد، فابعث رجلاً من قبلك صليلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح في القي رجل، فليتع معقلاً، فإذا مر ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقي معقلاً فإذا لقي معقلاً فمعقل أمير الفريقين، وليسمع من معقل وليطعه، ولا يخالفه، ومر يزيد بن خصيفة فليقبل، فنعم المرء زيد، ونعم القبيل قبيلة!

قال أبو خنف: وحدثنني أبو الصلت الأعور، عن أبي سعيد العقيلي، قال: كتب علي إلى زيد بن خصيفة.

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت من أمر الناجي وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر، فأما أنت وأصحابك فله سعيكم، وعلى الله تعالى جزاؤكم! فأبشر بثواب الله خير من الدنيا التي يقتل الجهال أنفسهم عليها، فإن ما عندكم يتفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. وأما عدوكم الذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال، وارتكابهم فيه، وردهم الحق، ولجأهم في الفتنة، فذرهم وما يفترون، ودعهم في طغيانهم يعمهون، فتسمع وتبصر، كأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل. أقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين، فقد أطعتم وسمعتهم، وأحسنتم البلاء، والسلام.

ونزل الناجي جانباً من الأهواز، واجتمع إليه علوج من أهلها كثير أرادوا كسر الخراج، ولصوص كثيرة، وطائفة أخرى من العرب ترى رايه.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن علي بن مجاهد، قال: قال الشعبي: لما قتل علي عليه السلام أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس، وكان عامل

خسة وخسة. فقال له زيد: ما الذي نعمت على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقتنا؟ فقال: لم أرض صاحبكم إماماً، ولم أرض سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمة رضاً كنت مع الناس.

فقال له زيد: ويحك! وهل يجتمع الناس على رجل منهم يداني صاحبك الذي فارقتة علماً بالله وبسنن الله وكتابه، مع قرابته من الرسول ﷺ وسابقتها في الاسلام! فقال له: ذلك ما أقول لك فقال له زيد: فقيم قتل ذلك الرجل المسلم؟ قال: ما أنا قتلته، إنما قتلته طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا، قال: ما إلى ذلك سبيل، قال: كذلك أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع، قال: فدعونا أصحابنا ودعا أصحابه، ثم أقبلنا، فوالله ما رأينا قتالاً مثله منذ خلقتي ربي، قال: اطعنا والله بالرماح حتى لم يبق في أيدينا رمح، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انخنت وعقر عامة خيلنا وخليهم، وكثرت الجراح فما بيننا وبينهم، وقتل منا رجلاً: مولى زيد كانت معه رايته يدعى سويداً، ورجل من الأبناء يدعى وafd بن بكر، وصرعنا منهم خمسة، وجاء الليل يحجز بيننا وبينهم، وقد والله كرهونا وكرهناهم، وقد جرح زيد وجرحت.

قال: ثم إن القوم تنحوا وبتنا في جانب، فمكثوا ساعة من الليل، ثم إنهم ذهبوا وابتعنناهم حتى أتينا البصرة، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز، فنزلوا بجانب منها، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مائتين كانوا معهم بالكوفة، ولم يكن لهم من القوة ما ينهضهم معهم حتى نهضوا فاتبعوهم فلحقوهم بأرض الأهواز، فأقاموا معهم. وكتب زيد بن خصيفة إلى علي.

أما بعد، فإننا لقينا عدو الله الناجي بالمدار، فدعوناهم إلى الهدى والحق وإلى كلمة السواء، فلم يتزلوا على الحق، وأخذتهم العزة بالإثم، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل، فقصداً لنا، وصمدنا صمدهم، فاقتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دلوك الشمس، فاستشهد منا رجلاً صالحاً، وأصيب منهم خمسة نفر، وخلوا لنا المعركة، وقد فشت فينا وفيهم الجراح. ثم إن القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متتبيين إلى أرض الأهواز، فبلغنا أنهم نزلوا منها جانباً ونحن بالبصرة نداوي جراحنا، ونتنظر أمرك رحمك الله، والسلام عليك.

فلما أتته بكتابه قرأه على الناس، فقام إليه معقل بن

وصف الخريت بن راشد الناجي من معه من العرب، فكانوا ميمنة، وجعل أهل البلد والعلوج ومن أراد كسر الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسرة.

قال: وسار فينا معقل بن قيس يحرضنا ويقول لنا: عباد الله! لا تعدلوا القوم بأبصاركم، غصوا الأبصار، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم، إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً منعوا الخراج وأكراداً. انظروني فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد. فمر في الصف كله يقول لهم هذه المقالة، حتى إذا مر بالناس كلهم أقبل حتى وقف وسط الصف في القلب، ونظرنا إليه ما يصنع! فحرك رايته تحريكين، فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولوا، وشدخنا منهم سبعين عربياً من بني ناجية، ومن بعض من اتبعهم من العرب، وقتلنا نحواً من ثلثمائة من العلوج والأكراد. قال كعب بن قيس: ونظرت فيمن قتل من العرب، فإذا أنا بصديقي مدرك بن الريان قتيلاً، وخرج الخريت بن راشد وهو منهزم حتى لحق بأسيايف البحر، وبها جماعة من قومه كثير، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علي، وبين لهم فراقه، ويخبرهم أن الهدى في حربه، حتى اتبعه منهم ناس كثير، وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز، وكتب إلى علي معي بالفتح، وكنت أنا الذي قدمت عليه فكتب إليه:

#### كتاب لعبد الله علي أمير المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله علي أمير المؤمنين، من معقل بن قيس. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا لقينا المارقين، وقد استظهروا علينا بالمشركون، فقتلناهم قتل عاد وإرم، مع أن لم نعد فيهم سيرتك، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً، ولم ندفع منهم على جريح، وقد نصرك الله والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

قال: فقدمت عليه بهذا الكتاب، فقرأه على أصحابه، واستشارهم في الرأي، فاجتمع رأي عاصتهم على قول واحد، فقالوا له: نرى أن نكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق، فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس. قال: فردني إليه، وكتب معي.

أما بعد، فالحمد لله على تأييد أوليائه، وخذلان أعدائه، جزاك الله والمسلمين خيراً، فقد أحسستم البلاء، وقضيتهم ما عليكم، وسل عن أخي بني ناجية، فإن بلغك أنه قد استقر ببلد من البلدان فسر إليه حتى تقتله أو تنفيه، فإنه لن يزال للمسلمين عدواً، وللغاسقين ولياً، ما بقي، والسلام عليك. فسأل معقل عن مستقره، والمكان الذي انتهى إليه، فنبئ بمكانه بالأسيايف - وأنه

علي عليها، فقال ابن عباس لعلي: أكفيك فارس بزياد فأمره علي أن يوجهه إليها، فقدم ابن عباس البصرة، ووجهه إلى فارس في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فأدوا الخراج.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف. قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن عبد الله بن قيس الأزدي، قال: كنت أنا وأخي كعب في ذلك الجيش مع معقل بن قيس، فلما أراد الخروج أقبل إلى علي فودعه فقال: يا معقل، اتق الله ما استطعت، فإنها وصية الله للمؤمنين، لا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمة، ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين. فقال: الله المستعان، فقال له علي: خير مستعان، قال: فخرج وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز، فأقمنا ننظر أهل البصرة، وقد أبطلوا علينا، فقام فينا معقل بن قيس فقال: يا أيها الناس، إنا قد انتظرنا أهل البصرة، وقد أبطلوا علينا، وليس محمد الله بنا قلة ولا وحشة إلى الناس، فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذليل، فإني أرجو أن ينصركم الله وأن يهلكهم.

قال: فقام إليه أخي كعب بن قيس، فقال: أصبت - أرشدك الله - رايك! فوالله إني لأرجو أن ينصرنا الله عليهم، وإن كانت الأخرى فإن في الموت على الحق تعزية عن الدنيا. فقال: سيروا على بركة الله، قال: فسرنا والله ما زال معقل لي مكرماً واداً، ما يعدل بي من الجند أحداً، قال ولا يزال يقول: وكيف قلت: إن في الموت على الحق تعزية عن الدنيا؟

صدقت والله وأحسن وتوفقت! فوالله ما سرنا يوماً حتى أدرنا فيج يشدد بصحيفة في يده من عند عبد الله بن عباس: أما بعد، فإن أدركك رسولي بالمكان الذي كنت فيه مقيماً، أو أدركك وقد شخصت منه، فلا تبرح المكان الذي ينتهي فيه إليك رسولي، وأثبت فيه حتى يقدم عليك بعثنا الذي وجهناه إليك، فإني قد بعثت إليك خالد بن معدان الطائي، وهو من أهل الإصلاح والدين والبأس والنجدة، فاسمع منه، واعرف ذلك له، والسلام. فقرأ معقل الكتاب على الناس، وحمد الله، وقد كان ذلك الوجه هالهم.

قال: فأقمنا حتى قدم الطائي علينا، وجاء حتى دخل على صاحبنا، فسلم عليه بالإمرة، واجتمعا جميعاً في عسكر واحد. قال: ثم إنا خرجنا فسرنا إليهم، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة بها حصينة وجاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك، فخرجنا في آثارهم نتبعهم، فلحقناهم وقد دنوا من الجبل، فصففتنا لهم، ثم أقبلنا إليهم، فجعل معقل على ميمته يزيد بن المغفل، وعلى مسيرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة،



بالذرية إلى علي، فجاء مصقلة بن هبيرة، فاشتراهم بمائتي ألف، فجاء بمائة ألف فلم يقبلها علي، فانطلق بالدرهم، وعمد إليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية، فقيل لعلي: ألا تأخذ الذرية؟ فقال: لا، فلم يعرض لهم.

رجع الحديث إلى حديث أبو مخنف. قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، قال: لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتاباً من علي.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من يقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، والنصارى والمتردين. سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وأوفي بعهد الله ولم يكن من الخائنين. أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والعمل بالحق، وبما أمر الله في الكتاب، فمن رجع إلى أهله منكم وكف يده واعتزل هذا الهالك الحارب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين، وسعي في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنا بالله عليه، وجعلنا لله بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً!!

وأخرج معقل راية أمان فنصبها، وقال: من أتاها من الناس فهو آمن، إلا الخزيت وأصحابه الذين حاربونا وبدؤونا أول مرة. فتفرق عن الخزيت جل من كان معه من غير قومه، وعبا معقل بن قيس أصحابه، فجعل على ميمته يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى مسيرته المنجاب بن راشد الضبي ثم زحف بهم نحو الخزيت، وحضر معه قومه مسلموهم ونصاراهم وماعة الصدقة منهم.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن أبي الصديق الناجي، أن الخزيت يومئذ كان يقول لقومه: امنعوا حريمكم، وقتلوا عن نساءكم وأولادكم، فوالله لئن ظهرنا عليكم ليقتلنكم وليسبئنكم.

فقال له رجل من قومه: هذا والله ما جئته علينا يداك ولسانك.

فقال: قاتلوا الله أنتم! سبق السيف العذل، أيها والله لقد أصابت قومي داهية!.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن عبد الله بن قتيبة، قال: سار فينا معقل فحرض الناس فيما بين اليمنة والميسرة يقول: أيها الناس المسلمون، ما تريدون أفضل مما سبق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم، إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة، وارتدوا عن الإسلام، ونكثوا البيعة ظلماً

قد رد قومه عن طاعة علي، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والأهم من سائر العرب، وكان قد منعوا الصدقة عام صفيين ومنعوها في ذلك العام أيضاً، فكان عليهم عقابان، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة، فأخذ علي فارس حتى انتهى إلى أسياف البحر، فلما سمع الخزيت بن راشد بمسيره إليه أقبل على من كان معه من أصحابه ممن رأي يرى الخوارج، فأسرهم: إني أرى رأيكم، فإن علياً لن ينجي له أن يحكم الرجال في أمر الله، وقال للآخرين مندداً لهم.

إن علياً حكم حكماً ورضي به، فخلعه حكمه الذي ارتضاه لنفسه، فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة. وقال سراً لمن يرى رأي عثمان: أنا والله على رأيكم، قد والله قتل عثمان مظلوماً، فأرضى كل صنف منهم، وأراهم أنه معهم، وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم، وقد كان فيهم نصاري كثير قد أسلموا، فلما اختلف الناس بينهم قالوا: والله لديننا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه، ما ينهاهم دينهم عن سفك الدماء، وإخافة السبيل، وأخذ الأموال. فرجعوا إلى دينهم، فلقي الخزيت أولئك، فقال لهم: ويحكم! أندرون حكم علي فيمن أسلم من النصارى، ثم رجع إلى نصرانيته؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً، ولا يرى لهم عذراً، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعوهم إليها، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم.

فما زال حتى جمعهم وخذعهم، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم، واجتمع إليهم ناس كثير.

فحدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان، عن عبد الملك بن سعيد بن حباب، عن الحر، عن عمار الدهني، قال: حدثني أبو الطفيل، قال: كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني ناجية، فقال: فانتبهنا إليهم، فوجدناهم على ثلاث فرق، فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم نصارى، لم نر ديناً أفضل من ديننا، فثبتنا عليه، فقال لهم: اعتزلوا، وقال للفرقة الأخرى: ما أنتم؟ قالوا: نحن كنا نصارى فأسلمنا، فثبتنا على إسلامنا، فقال لهم: اعتزلوا، ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى، فأسلمنا، فلم نر ديناً هو أفضل من ديننا الأول، فقال لهم: أسلموا، فأبوا، فقال لأصحابه: إذا مسحت رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم، فاقتلوا المقاتلة، واسبوا الذرية. فجيء

فإننا عرصنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا قتلناه. فرجعوا غير رجل واحد، فقتلناه، وأما النصارى فإننا سببناهم، وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة، لكيلا يمتنعوا الجزية، ولكيلا يجتروا على قتال أهل القبلة، وهم أهل الصغار والذل، رحلنا الله يا أمير المؤمنين، وأوجب لك جنات النعيم، والسلام عليك!.

ثم أقبل بهم حتى مر بهم على مصقلة بن هيرة الشيباني، وهو عامل علي على أردشير خرة، وهم خمسمائة إنسان، فبكى النساء والصبيان، وصاح الرجال: يا أبا الفضل، يا حامي الرجال، وفكاك العناة، امنن علينا فاشترنا واعتقنا، فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليهم، إن الله يجزي المتصدقين. فبلغها عنه معقل، فقال: والله لو أعلم أنه قاله توجعاً لهم، وزراء عليكم، لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تقاني نعيم وبكر بن وائل.

ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل بن قيس فقال له: بعني بني ناجية، فقال: نعم، أبيعكم بألف ألف، ودفعهم إليه وقال له: عجل بالمال إلى أمير المؤمنين، فقال: أنا باعث الآن بصدر، ثم أبعث بصدر آخر كذلك، حتى لا يبقى منه شيء إن شاء الله تعالى. وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين، وأخبره بما كان منه في ذلك، فقال له: أحسنت وأصبحت، وانتظر علي مصقلة أن يبعث إليه بالمال، وبلغ علياً أن مصقلة خلى سبيل الأسارى ولم يسأله أن يعينه في فكاك أنفسهم بشيء، فقال: ما أظن مصقلة إلا قد تحمل حمالة، ألا أراكم سترونه عن قريب مليداً.

ثم إنه كتب إليه: أما بعد، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف، فابعث بها إلي ساعة يأتيك رسولي، وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي، فإني قد تقدمت إلى رسولي إليك ألا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال، والسلام عليك.

وكان الرسول أبو جرة الحنفي، فقال له أبو جرة: نبعث بالمال الساعة وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين. فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة، فمكث بها أياماً. ثم إن ابن عباس سألته المال، وكان عمال البصرة يحملون من كور البصرة إلى ابن عباس، ويكون ابن عباس هو الذي يبعث به إلى علي، فقال له: نعم، أنظرني أياماً، ثم أقبل حتى أتني علياً فأقره أياماً، ثم سألته المال، فأدى إليه مائتي ألف، ثم إنه عجز فلم يقدر عليه.

قال أبو مخنف: وحديثي أبو الصلت الأعور، عن ذهل بن الحارث، قال: دعاني مصقلة إلى رحله فقدم عشاؤه، فطعمنا منه،

وعدواناً، فأشهد لمن قتل منكم بالجنة، ومن عاش فإن الله مقر عينه بالفتح والغنيمة. ففعل ذلك حتى مر بالناس كلهم.

ثم إنه جاء حتى وقف في القلب برايته، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفل وهو في الميمنة: أن احمل عليهم، فحمل عليهم، فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً. ثم إنه انصرف حتى وقف موقفه الذي كان به في الميمنة، ثم إنه بعث إلى منجاذ بن راشد الضبي وهو في اليسرة. ثم إن منجاذاً حمل عليهم فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً طويلاً، ثم إنه رجع حتى وقف في اليسرة، ثم إن معقلاً بعث إلى الميمنة واليسرة: إذا حملت فاحملوا باجمعكم. فحرك رايته وهزها، ثم إنه حمل وحمل أصحابه جميعاً، فصبروا ساعة لهم.

ثم إن النعمان بن صهبان الراسي من جرم بصر بالخريت بن راشد فحمل عليه، فطعنه فصرعه عن دابته، ثم نزل وقد جرحه فائخه، فاختلفا ضربتين، فقتله النعمان بن صهبان، وقتل معه في المعركة سبعون ومائة، وذهبوا يميناً وشمالاً، وبعث معقل بن قيس الخليل إلى رحالهم، فسي من أدرك منهم، فسي رجالاً كثيراً ونساءً وصبياناً. ثم نظر فيهم، فاما من كان مسلماً فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله، وأما من كان ارتد فعرض عليهم الإسلام. فرجعوا وخلى سبيلهم وسبيل عيالهم إلا شيخاً منهم نصرانياً يقال له: الرماحس بن منصور، قال: والله ما زلت منذ عقلت إلا في خروجي من ديني، دين الصدق إلى دينكم دين السوء، لا والله لا أدع ديني، ولا أقرب دينكم ما حييت. فقدمه فضرب عنقه.

وجمع معقل الناس فقال: أدوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة. فأخذ من المسلمين عقالين، وعمد إلى النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلاً بهم، وأقبل المسلمون معهم يشيعونهم، فأمر معقل بردهم، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا، وبكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض. قال: فأشهد أنني رحمتهم رحمة ما رحمتها أحداً قبلهم ولا بعدهم.

قال: وكتب معقل بن قيس إلى علي: أما بعد، فلإني أخبر أمير المؤمنين عن جنده وعدوه، إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قبائل ذات عدة وحدة وجد، وقد جمعت لنا، وتحزبت علينا، فدعوناهم إلى الطاعة والجماعة، وإلى حكم الكتاب والسنة، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين، ورفعنا لهم راية أمان، فمالنا إلينا منهم طائفة، وبقيت طائفة أخرى منابذة، فقبلنا من التي أقبلت، وصمدنا صمداً للتي أدبرت، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم.

فاما من كان مسلماً فإننا مننا عليه وأخذنا بيعته لأمر المؤمنين، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم، وأما من ارتد

ثم قال: والله إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال، ولا أقدر عليه، فقلت: والله لو شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال، فقال: والله ما كنت لأحلبها قومي، ولا أطلب فيها إلي أحد. ثم قال: أما والله لو أن ابن هند هو طالبي بها أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج أذربيجان مائة ألف في كل سنة! فقلت له: إن هذا لا يرى هذا الرأي، لا والله ما هو ببذل شياً كنت أخذته، فسكت ساعة، وسكت عنه، فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية.

وبلغ ذلك علياً فقال: ما له برحه الله، فعل فعل السيد، وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر! أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم نقدر على مال تركناه. ثم سار إلى داره فنقضها وهدمها، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعياً، ولعلي مناصحاً، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له حلوان.

أما بعد، فإني كلمت معاوية فيك، فوعدك الإمارة، ومناك الكرامة، فأقبل إلي ساعة يلقاك رسولي إن شاء الله، والسلام. فأخذه مالك بن كعب الأرجسي، فسرح به إلى علي، فأخذ كتابه فقرأه، فقطع يد النصراني، فمات، وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة:

لا ترمين هناك الله معترضاً بالظن منك فما بالي وحلوان! ذاك الحريص على ما نال من طمع وهو البعيد فلا يحزنك إذ خاننا ماذا أردت إلى إرساله سفهاً ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا عرضته لعلني إنسه أسد يمشي العرضة من آساد خفانا قد كنت في منظر عن ذا ومستمع نحيي العراق وتدعى خير شيانا حتى تقحمت امرأ كنت تكرهه للراكين له سرأ وإعلانا لو كنت أدبت مالمقوم مصطبراً للحق أحييت أحياناً وموتانا لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا فالיום تقصر سن الغرم من ندم ماذا تقول وقد كان الذي كانا أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة لم يرفع الله بالبغيضاء إنسانا

فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك، ولم يلبث التغليون إلا قليلاً حتى بلغهم هلاك صاحبهم حلوان، فأتوا مصقلة فقالوا: إنك بعثت صاحبنا فأهلكته، فإما أن تحييه وإما أن تديه، فقال: أما أن أحييه فلا أستطيع، ولكني ساديه، فوداه.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني أبي، قال: لما بلغ علياً مصاب بني ناجية وقتل صاحبهم قال: هوت أمه! ما كان أنقص عقله، وأجره على ربه! فإن جاثيا جاءني مرة فقال لي: في أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك،

فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه، وهو أخونا، وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله، وناجزناه. فكف عني ما شاء الله.

ثم جاءني مرة أخرى فقال لي: قد خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين، إنني سمعتها يذاكرانك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما عليها حتى تقتلها أو توبقهما، فلا تفارقهما من حسبك أبداً، فقلت: إنني مستشيرك فيهما، فماذا تأمرني به؟ قال: فإني أملك أن تدعو بهما، فتضرب رقابهما، فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل، فقلت: والله ما أظنك ورعاً ولا عاقلاً نافعاً، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول: اتق الله، لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً، ولم ينادوك، ولم يخرجوا من طاعتك!.

وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي عليه السلام.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان قثم يومئذ عامل علي على مكة، وكان على اليمين عبيد الله بن العباس، وعلى البصرة عبد الله بن العباس.

واختلف في عامله على خراسان ف قيل: كان خليل بن قره البربري، وقيل: كان ابن بزي، وأما الشام ومصر فإنه كان بهما معاوية وعماله.

## السنة التاسعة والثلاثون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من الأحداث المذكورة.

## تفريق معاوية جيوشه في أطراف علي

فوجه النعمان بن بشير - فيما ذكر علي بن محمد بن عوانة - في ألفي رجل إلى عين التمر، وبها مالك بن كعب مسلحة لعلني في ألف رجل، فأذن لهم، فأتوا الكوفة، وأتاه النعمان، ولم يبق معه إلا مائة رجل، فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه، فخطب علي الناس، وأمرهم بالخروج، فشقوا، وواقع مالك النعمان، والنعمان في ألفي رجل ومالك في مائة رجل، وأمر مالك أصحابه أن يجعلوا جذر القرية في ظهورهم، واقتلوا.

وكتب إلى خنف بن سليم يسأله أن يمده وهو قريب منه، فقاتلهم مالك بن كعب في العصابة التي معه كأشد القتال، ووجه إليه خنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فأتوها إلى مالك وأصحابه، وقد كسروا جفون سيوفهم، واستقتلوا، فلما رآهم أهل الشام وذلك عند المساء، ظنوا أن لهم مدداً، وانهزموا، وتبعهم مالك، فقتل منهم ثلاثة نفر، ومضوا على وجوههم.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه المروزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني سليمان، عن عبد الله، قال: حدثني عبد الله بن أبي معاوية، عن عمرو بن حسان، عن شيخ من بني فزارة، قال: بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين، فأتوا عين التمر، فأغاروا عليها، وبها عامل لعلني يقال له ابن فلان الأرحبي في ثلثمائة، فكتب إلى علي يستمده، فأمر الناس أن ينهضوا إليه، فشقوا، فصعد المنبر، فأنتهيت إليه وقد سبقني بالشهد وهو يقول.

يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أظلمكم وأغلق باب الحجر كل امرئ منكم في بيته المحجار الضب في حجره والضعف في وجارها، المغرور من غرغره، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب.

لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا منيت به منكم! عمي لا تبصرون، ويكتم لا تنطقون، وصم لا تستسمعون إنا لله وإنا إليه راجعون.

رجع الحديث إلى حديث عوانة. قال: ووجه معاوية في هذه السنة سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي

هيت فيقطعها، وأن يغير عليها، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلني تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائة رجل، فقاتلهم، فصبر لهم أصحاب علي مع قتلهم، ثم حملت عليهم الخيل والرجالة، فقتلوا صاحب المسلحة، وهو أشرس بن حسان البكري في ثلاثين رجلاً، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية. وبلغ الخبر علياً، فخرج حتى أتى النخيلة، فقال له الناس: نحن نكنيك، قال: ما تكفوني ولا أنفسكم، وصرح سعيد ابن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت، فلم يلحقهم فرجع.

قال: وفيها وجه معاوية أيضاً عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يصدق من مر به أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز، يفعل ذلك، واجتمع إليه بشر كثير من قومه، فلما بلغ ذلك علياً وجه المسيب بن نجبة الفزاري، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتلاً شديداً، وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات، كل ذلك لا يلتبس قتله ويقول له: النجاء النجاء!

فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره ومن كان معه المسيب ثلاثة أيام، ثملقى الخطب على الباب، وألقى النيران فيه، حتى احترق، فلما أحسوا بالهلاك، أشرفوا على المسيب فقالوا: يا مسيب، قومك! فرق لهم، وكره هلاكهم، فأمر بالثار فأطفئت، وقال لأصحابه: قد جاءني عيون فأخبروني أن جنداً قد أقبل إليكم من الشام، فانضموا في مكان واحد، فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سر بنا في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال له: غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم.

وفيها أيضاً وجه معاوية الضحاك بن قيس، وأمره أن يمر بأسفل واقصة، وأن يغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب، ووجه معه ثلاثة آلاف رجل، فسار فأخذ أموال الناس، وقتل من لقي من الأعراب، ومر بالعلبية فأغار على مسالح علي، وأخذ أمتعتهم، ومضى حتى انتهى إلى الققطانة، فأتى عمرو بن عيسى بن مسعود، وكان في خيل لعلني وأمامه أهله، وهو يريد الحج، فأغار على من كان معه، وحجسه عن السير، فلما بلغ ذلك علياً سرح حجر بن عدي

فارس وكرمان عند منصرفه من عند علي من الكوفة إلى البصرة.

### ذكر سبب توجيه إياه إلى فارس:

حدثني عمر، قال حدثنا علي، قال: لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي، طمع أهل فارس وأهل كerman في كسر الخراج، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمالهم.

حدثني عمر، قال حدثنا أبو القاسم، عن سلمة بن عثمان، عن علي بن كثير، أن علياً استشار الناس في رجل يوليه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له جارية بن قدامة: ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي، عالم بالسياسة، كاف لما ولي؟ قال: من هو؟ قال: زياد، قال: هو لها، فولاه فارس وكرمان، ووجهه في أربعة آلاف فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن علي بن مجاهد، قال: قال الشعبي: لما انتقض أهل الجبال وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها لعلي - قال ابن عباس لعلي: أكفك فارس، فقدم ابن عباس البصرة، ووجه زياداً إلى فارس في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فادوا الخراج.

حدثني عمر، قال: حدثني أبو الحسن، عن أيوب بن موسى، قال حدثني شيخ من أهل إصطخر قال: سمعت أبي يقول: أدركت زياداً وهو أمير على فارس وهي تضرع ناراً، فلم يزل بالمداواة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة، لم يقف موقفاً للحرب، وكان أهل فارس يقولون: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداواة والعلم بما يأتي.

قال: ولما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها، فوعدهم من نصره ومنه، وخوف قوماً وتوعدهم، وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس، فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً، وفعل مثل ذلك بكرمان، ثم رجع إلى فارس، فسار في كورها ومناهم، فسكن الناس إلى ذلك، فاستقامت له البلاد، وأتى إصطخر فنزها وحصن قلعة بها ما بين بيضاء إصطخر وإصطخر، فكانت تسمى قلعة زياد، فحمل إليها الأموال، ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكري، فهي اليوم تسمى قلعة منصور.

الكندي في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين خمسين، فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلاً، وحال بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حجر ومن معه.

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دجلة حتى شارفها، ثم نكص راجعاً.

ذكر ذلك ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدثني ابن جريج، عن ابن أبي مليكة قال: لما كانت سنة تسع وثلاثين أشرف عليها معاوية.

وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر مثله.

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حج بالناس فيها عبيد الله بن عباس من قبل علي. وقال بعضهم: حج بهم عبد الله بن عباس.

فحدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: يقال إن علياً وجه ابن عباس ليشهد الموسم ويصلي بالناس في سنة تسع وثلاثين، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي.

قال: وزعم أبو الحسن أن ذلك باطل، وأن ابن عباس لم يشهد الموسم في عمل حتى قتل علي عليه السلام، قال: والذي نازعه يزيد بن شجرة قثم ابن العباس، حتى إنهما اصطلحا على شية بن عثمان، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين.

وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن، قال أبو معشر في ذلك: حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى عنه.

وقال الواقدي: بعث علي على الموسم في سنة تسع وثلاثين عبيد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقم للناس الحج، فلما اجتمعاً بمكة تنازعا، وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه، فاصطلحا على شية بن عثمان بن أبي طلحة.

وكانت عمال علي في هذه السنة على الأمصار الذين ذكرنا أنهم كانوا عماله في سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس، كان شخص في هذه السنة عن عمله بالبصرة، واستخلف زياداً - الذي كان يقال له: زياد بن أبيه - على الخراج، وأبا الأسود الدؤلي على القضاء.

### ذكر توجيهه ابن عباس زياداً إلى فارس وكرمان

وفي هذه السنة وجه ابن عباس زياداً عن أمر علي إلى

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن. وبلغ علياً خبر بسر، فوجه جارية بن قدامة في الفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم، وهرب بسر وأصحابه منه، وأتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين، فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي، فتناقلوا، ثم بايعوا. ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم، فهرب منه، فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوه وأقام يومه، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة فصلى بهم.

وفي هذه السنة - فيما يذكر - جرت بين علي وبين معاوية المهادنة - بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب - على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق وللمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو.

قال زياد بن عبد الله، عن أبي إسحاق: لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي: أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الأمة، ولا تهريق دماء المسلمين، ففعل ذلك، وتراضيا على ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده يجيئها وما حولها، وعلي بالعراق يجيئها ويقسمها بين جنوده.

### خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة

وفيها خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق مكة في قول عامة أهل السير، وقد أنكر ذلك بعضهم، وزعم أن لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى قتل، وبعد مقتل علي حتى صالح الحسن معاوية، ثم خرج حيثئذ إلى مكة.

### ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني جماعة عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: مر عبد الله بن عباس على أبي الأسود الدؤلي، فقال: لو كنت من البهائم كنت جلاً، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى، ولا أحسنت مهنته في المشي. قال فكتب أبو الأسود إلى علي.

أما بعد، فإن الله جل وعلا جعلك والياً مؤتمناً وراعياً مستولياً، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرعية، توفّر لهم فيهم، وتظلف نفسك عن دنياهم، فلا تاكل أموالهم،

## السنة الأربعون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز.

فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عوانة، قال: أرسل معاوية بن أبي سفيان بعد تحكيم الحكيم بسر بن أبي أرطاة - وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش - فساروا من الشام حتى قدموا المدينة، وعامل علي على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففر منهم أبو أيوب، فأتى علياً بالكوفة ودخل بسر المدينة.

قال: فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد، فنأدى على المنبر: يا دينار، يا نجار، يا زريق، شيخي شيخي! عهدي به بالأمس، فأين هو! يعني عثمان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها مختلماً إلا قتلته. ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعه حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ماذا تريين؟ إنني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة، قالت: أرى أن تبايع، فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت خنتي عبد الله بن زمعة - وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة - فأتاه جابر فبايعه، وهدم بسر دوراً بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مكة، فخافه أبو موسى أن يقتله، فقال له بسر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك، فخلّى عنه.

وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن: إن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل الناس، تقتل من أبى أن يقر بالحكومة. ثم مضى بسر إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلي، فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى علياً، واستخلف عبد الله بن عبد المदान الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس. وفيه ابنان له صغيران، فذبحهما.

وقد قال بعض الناس: إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلما أراد قتلها قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنت قاتلها فاقتلني، قال: أفعل، فبدأ بالكناني فقتله، ثم قتلها ثم رجع بسر إلى الشام. وقد قيل: إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل، وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلها بسر: عبد الرحمن، والآخر قثم.

أنفساً حين تركنا هذا المال لبني عمكم، وأنتم تقاتلونهم عليه، إن القوم قد حملوا وحموا، فخلوهم، وإن أحببتهم فأنصرفوا. ومضى ابن عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدم مكة.

وحدثني أبو زيد، قال: زعم أبو عبيدة - ولم أسمعه منه - أن ابن عباس لم يرح من البصرة حتى قتل علي عليه السلام، فشخص إلى الحسن، فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثقله بها، فحملة ومالاً من بيت المال قليلاً، وقال: هي أرزاقِي.

قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبي الحسن فأنكره، وزعم أن علياً قتل وابن عباس بمكة، وأن الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيد الله بن عباس.

### ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب

وفي هذه السنة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، واختلف في وقت قتله.

فقال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت، قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: قتل علي في شهر رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة خلت منه سنة أربعين.

وكذلك قال الراقي، حدثني بذلك الحارث، عن ابن سعد عنه، وأما أبو زيد فحدثني عن علي بن محمد أنه قال: قتل علي بن أبي طالب بالكوفة يوم الجمعة لإحدى عشرة. قال: ويقال: ثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين. قال: وقد قيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين.

### ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله:

حدثني موسى بن عثمان بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثني عبد الرحمن الحارثي أبو عبد الرحمن، قال: أخبرنا إسماعيل بن راشد، قال: كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا، فتذكروا أمر الناس، وعابوا على ولايتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فزعموا عليهم، وقالوا: ما ننصح بالبقاء بعدهم شيئاً! إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا!

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتوافتوا بالله لا ينكس رجل منا عن صاحبه الذي

ولا ترتشي في أحكامهم. وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، فلم يسعي كتمانك ذلك، فأنظر رحمك الله فيما هناك، واكتب إلي براكب فيما أحببت أنه إليك. والسلام..

فكتب إليه علي: أما بعد، فمثلك نصيح الإمام والأمة، وأدى الأمانة، ودل على الحق، وقد كتب إلى صاحبك فيما كتبت إلي فيه من أمره، ولم أعلمه أنك كتبت، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك عما النظر فيه للأمة صلاح، فلأنك بذلك جدير، وهو حق واجب عليك، والسلام.

وكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فإن الذي بلغك باطل، وإني لما تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ، فلا تصدق الظنون، والسلام.

قال: فكتب إليه علي: أما بعد، فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيهم وضعت؟.

قال: فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أني رزاته من مال أهل البلد، فابعث إلى عمك من أحببت، فإني طاعن عنه. والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بني هلال بن عامر، فجاءه الضحاک بن عبد الله وعبد الله بن رزين بن أبي عمرو والمهلايان، ثم اجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا.

قال أبو زيد: قال أبو عبيدة: كانت أرزاقاً قد اجتمعت، فحمل معه مقدار ما اجتمع له، فبعثت الأخماس كلها، فلحقوه بالطف، فتوافقوا يريدون أخذ المال فقالت قيس: والله لا يوصل إلى ذلك وفينا عين تطرف. وقال صبرة بن شيمان الحداني: يا معشر الأزد، والله إن قيساً لإخواننا في الإسلام، وجيراننا في الدار، وأعواننا على العدو، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لو رد عليكم لقليل، وهم غداً خير لكم من المال.

قالوا: فما ترى؟ قال: انصرفوا عنهم ودعوهم، فاطاعوه فأنصرفوا، فقالت بكر وعبد القيس: نعم الرأي رأي صبرة لقومه، فاعتزلوا أيضاً، فقالت بنو تميم: والله لا نفارقتهم عليه نقاتلهم عليه.

فقال الأحنف: قد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحماً، فقالوا: والله لنقاتلنهم، فقال: إذا لا أساعدكم عليهم، فاعتزلهم، قال: فرأسوا عليهم ابن الجاعة من بني تميم، وحمل الضحاک على ابن الجاعة قطعته، واعتقه عبد الله بن رزين، فسقط إلى الأرض يعتركان، وكثرت الجراح فيهم، ولم يكن بينهم قتيل، فقالت الأخماس: ما صنعنا شيئاً، اعتزلناهم وتركناهم يتحاربون، فضربوا وجوه بعضهم عن بعض، وقالوا لبني تميم: لنحن أسخى منكم

توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه. فأخذوا أسياهم، فسموها، واتعدوا لسبع عشرة نخلو من رمضان أن يشب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب.

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداؤه في كندة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة، وكأهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تيم الرباب - وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشجينة - وقد قتل أباهما وأخاهما يوم النهر، وكانت فائضة الجمال - فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وثينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.

فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وانت تريدني! قالت: بلى، التمس غرته، فإن أصبت شقيت نفسك ونفسي، ويهشك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت.



والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه. والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم ينظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم.

الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أراذكم ويغني عليكم. وقولوا للناس حسناً كما أمرهم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتبازل، وإياكم والتدابير والتقاطع والفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب. حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. استودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ﷺ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين، وغسله أبناء الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات، ثم ولي الحسن ستة أشهر.

وقد كان علي نهى الحسن عن المثلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا أفينكم تحوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين! قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي.

انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة، ولو أنها بالكلب العقور». فلما قبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو موت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله على إن لم أقتله - أو قتله ثم بقيت - أن أتيتك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاین النار فلا. ثم قدمه فقتله، ثم أخذه الناس فأدرجوه في بوازي، ثم أحرقوه بالنار.

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في آليته، فأخذ، فقال: إن عندي خيراً أسرك به، فإنه أخبرتكم فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل علياً

أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله غريك! قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسميته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد.

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك - ولا نفقدك - فنباع الحسن؟ فقال: ما أمركم ولا أنهاركم، أنتم أبصر. فرد عليه مثلها، فدعا حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكمما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكمما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكمما، وقولا الحق، وإرحا اليتيم، وأغيا الملهوف، واصنعا للأخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخوتك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما.

ثم قال: أوصيكمما به، فإنه شقيقكمما، وابن أبيكمما، وقد علمتما أن أباكمما كان يحبه. وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند عملها، وحسن الرضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، الحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش.

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنت مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»! انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تمنوا أفواههم، ولا يضيعن محضرتكم.

في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك! قال: بلى، إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل.

وبعث معاوية إلى الساعدي - وكان طبيباً - فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة.

فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمر بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذته الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو، قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إليه:

وقتل وأسباب المنايا كثيرة منية شيخ من لوي بن غالب  
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه وصاحبه دون الرجال الأقارب  
نحوت وقد بل المرادي سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب  
ويضربي بالسيف آخر مثله فكانت علينا تلك ضربة لازب  
وأنت تنأى كل يوم وليلة بمصر كالثبَاء السوارب  
ولما انتهى إلى عائشة قتل علي عليه السلام قالت:

فأثقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر  
فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائباً فلقد نعا غلام ليس في فيه التراب  
فقلت زينب ابنة أبي سلمة: العلي تقولين هذا؟ فقالت:  
إني أنسى، فإذا نسيت فذكروني. وكان الذي ذهب بنعيه سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري. وقال ابن أبي مياس المرادي في قتل علي:

ونحن ضربنا يا لك الخير حيدراً أباً حسن مأمومة ففطرا  
ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذا علا وتجبرا  
ونحن كرام في الصباح أعزة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا  
وقال أيضاً:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماعة كمهر قطام من فصيح وأعجم  
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علياً بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم  
وقال أبو الأسود الدؤلي:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتين  
أفي شهر الصيام فجعثمونا بخير الناس طراً أجمعينا!  
قتلتم خير من ركب المطايا ورحلها ومن ركب السفينا  
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والميना  
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرينا  
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرها حسباً ودينأ

واختلفت في سنة يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة.

وحدثت عن مصعب بن عبد الله، قال: كان الحسن بن علي يقول: قتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وحدثنا عن بعضهم، قال: قتل وهو ابن خمس وستين سنة. وحدثني أبو زيد، قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو، عن جعفر بن محمد، قال: قتل علي وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال: وذلك أصبح ما قيل فيه.

حدثني عمر، قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، قال: قتل علي عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال هشام: ولي علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، ثم قتله ابن ملجم - واسمه عبد الرحمن بن عمرو - في رمضان لسبع عشرة مضت منه، وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر، وقتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وحدثني الحارث، قال: حدثني ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: قتل علي عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال ضرب علي عليه السلام ليلة الجمعة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا علي بن عمر وأبو بكر السبيري، عن عبد الله بن محمد عقيل، قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمس وستون سنة، وقد جاوزت سن أبي، قيل: وكم كانت سنة يوم قتل؟ قال:

قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة.  
وقال الحارث: قال ابن سعد: قال محمد بن عمر كذلك، وهو الثبت عندنا.

### ذكر الخبر عن قدر مدة خلافته

حدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

وحدثني الحارث، قال: حدثني ابن سعد قال: قال محمد بن عمر: كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

حدثني أبو زيد، قال: قال أبو الحسن: كانت ولاية علي أربع سنين وتسعة أشهر، ويوماً أو غير يوم.

### ذكر الخبر عن صفته

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، قلت: ما كانت صفة علي عليه السلام؟ قال: رجل آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، هو إلى القصر أقرب.

### ذكر نسبته عليه السلام

هو علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

### ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فاول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده، وكان لها منه من الولد: الحسن والحسين، ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسناً توفي صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى.

ثم تزوج بعد أم البنين بنت حزام - وهو أبو الجبل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب - فولد لها منه العباس، وجعفر، وعبد الله، وعثمان، قتلوا مع الحسين عليه السلام بكريلاء، ولا بقية لهم غير العباس.

وتزوج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك

بن زيد مائة بن تميم، فولدت له عبيد الله وأبا بكر. فزعم هشام بن محمد أنها قتلا مع الحسين بالطف. وأما محمد بن عمر فإنه زعم أن عبيد الله بن علي قتله المختار بن أبي عبيد بالمدار، وزعم أنه لا بقية لعبيد الله ولا لأبي بكر ابني علي عليه السلام.

وتزوج أسماء ابنة عيسى الخنعمية، فولدت له - فيما حدثت عن هشام بن محمد - يحيى ومحمداً الأصغر، وقال: لا عقب لهما.

وأما الواقدي فإنه قال فيما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا الواقدي أن أسماء ولدت لعلي يحيى وعوناً ابني علي. ويقول بعضهم: محمد الأصغر لأم ولد، وكذلك قال الواقدي في ذلك، وقال: قتل محمد الأصغر مع الحسين.

وله من الصهبا - وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهي أم ولد من السبي الذين أصابهم خالد بن الوليد حين أغار على عين التمر على بني تغلب بها - عمر بن علي، ورقية ابنة علي، فعمّر عمر بن علي حتى بلغ خساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراث علي عليه السلام، ومات بينبع.

وتزوج أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وأما زينب بنت رسول الله ﷺ، فولدت له محمداً الأوسط.

وله محمد بن علي الأكبر، الذي يقال له: محمد بن الحنفية، أمه خولة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، توفي بالطائف فصلى عليه ابن عباس.

وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.

وكان له بنات من أمهات شتى لم يسم لنا أسماء أمهاتهن، منهن أم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة بنات علي عليه السلام، أمهاتهن أمهات أولاد شتى.

وتزوج محياة ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب، فولدت له جارية، هلكت وهي صغيرة. قال الواقدي: كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيقال لها: من أخوالك؟ فتقول وه، وه - تعني كلباً.

فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة

امراً.

- وكان شرطهم يومئذ - فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فأبى - فلزمته فلطمني، فقال: أبدله، فقال: بيتك على اللطمة، فأناه بالبيتة، فأقعده ثم قال: دونك فاقصص، فقال: إني قد عفوت يا أمير المؤمنين، قال: إنما أردت أن احتاط في حقك، ثم ضرب الرجل تسع درات، وقال: هذا حق السلطان.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصبهاني، قال: حدثنا المسعودي، عن ناجية، عن أبيه، قال: كنا قيماً على باب القصر، إذ خرج علي علينا، فلما رأيته تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل يا غوثاً بالله! فإذا رجلان يقتلان، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين، إن هذا اشترى مني شاة، وقد شرطت عليه ألا يعطيني مغموراً ولا محذوفاً، فأعطيني درهماً مغموراً، فرددته عليه فطمني، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين، قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاطم: اجلس، وقال للمطموم: اقتص. قال: أو أعفوا يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إليك، قال: فلما جاز الرجل قال علي: يا معشر المسلمين، خذوه، قال: فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمة.

حدثني ابن سنان القزاز، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سكين بن عبد العزيز، قال: أخبرنا حفص بن خالد، قال: حدثني أبي خالد بن جابر قال: سمعت الحسن يقول: لما قتل علي عليه السلام وقد قام خطيباً، فقال: لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام. والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله ﷺ لبيعته في السرية وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة - أو سبعمائة - أرصدها لخادمه.

### ذكربيعة الحسن بن علي

وفي هذه السنة - أعني سنة أربعين - بويع للحسن بن علي عليه السلام بالخلافة، وقيل: إن أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: أبسط يدك أبياعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه وقاتل المحلين، فقال له الحسن ﷺ: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس. وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب المروزي، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا عبد الله، عن يونس عن

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد عن الواقدي، قال: كان النسل من ولد علي خمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلاية، وعمر بن التغلبية.

### ذكر ولاته

وكان واليه على البصرة في هذه السنة عبد الله بن عباس، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك، وإليه كانت الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها، وكان يستخلف بها إذا شخص عنها على ما قد بينت قبل.

وكان على قضائها من قبل علي أبو الأسود الدؤلي، وقد ذكرت ما كان من توليته زياداً عليها، ثم إشخاصه إياه إلى فارس ل حربها وخراجها، وقتل وهو بفارس، وعلى ما كان وجهه عليه.

وكان عامله على البحرين وما يليها واليمن ومخالفها عبيد الله بن العباس، حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي أرمطة ما قد مضى ذكره.

وكان عامله على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قسم بن العباس.

وكان عامله على المدينة أبو أيوب الأنصاري، وقيل: سهل بن حنيف، حتى كان من أمره عند قدوم بسر ما قد ذكر قبل.

### ذكر بعض سيره عليه السلام

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: قال: أخبرنا وهب، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن عباس بن الفضل مولى بني هاشم، عن أبيه، عن جده ابن أبي رافع، أنه كان خازناً لعلي عليه السلام على بيت المال، قال فدخل يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ الله علي أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جدّه في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدّر عليها لو لم أعطها! فسكت.

حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: حدثنا عبد السلام بن حرب، عن ناجية القرشي، عن عمه يزيد بن عدي بن عثمان، قال: رأيت علياً عليه السلام خارجاً من همدان، فرأى فتين يقتلان، ففرق بينهما، ثم مضى فسمع صوتاً. يا غوثاً بالله! فخرج يحضر نحوه حتى سمعت خفق نعله وهو يقول: أناك الغوث، فإذا رجل يلزم رجلاً فقال: يا أمير المؤمنين، بعث هذا ثوباً بتسعة دراهم، وشرطت عليه ألا يعطيني مغموراً ولا مقطوعاً

وطلب الأمان، فقال له الحسين: نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة علي! فقال له الحسن: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك. فلما انتهى كتاب الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية، أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدموا المدائن، وأعطيا الحسن ما أراد، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فقام قيس بن سعد في الناس فقال: يا أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة، أو القتال مع غير إمام، قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة.

فبايعوا لمعاوية، وانصرف عنهم قيس بن سعد، وقد كان صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دار مجرد على ألا يشتم علي وهو يسمع. فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة، وكان فيه خمسة آلاف ألف.

وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبة.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الخزاعي أبو عبد الرحمن، قال: أخبرنا إسماعيل بن راشد قال: لما حضر الموسم - يعني في العام الذي قتل فيه علي عليه السلام - كتب المغيرة بن شعبة كتاباً أفتعله على لسان معاوية، فأقام للناس الحج سنة أربعين، ويقال: إنه عرف يوم التروية، ونحرم يوم عرفة، خوفاً أن يظن بمكانه. وقد قيل: إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان مصبحة والياً على الموسم، فعجل الحج من أجل ذلك.

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإبلياء.

حدثني بذلك موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا إسماعيل بن راشد وكان قبل يدعى بالشام أميراً - وحدثت عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: كان علي عليه السلام يدعى بالعراق أمير المؤمنين، وكان معاوية يدعي بالشام: الأمير، فلما قتل علي عليه السلام دعي معاوية: أمير المؤمنين.

الزهري، قال: جعل علي عليه السلام قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان، وعلى أرضها الخميس الذي ابتدعه من العرب، وكانوا أربعين ألفاً، بايعوا علياً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يدري ذلك البعث حتى قتل علي عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة، وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه، فزعه وأمر عبيد الله بن عباس، فلما علم عبد الله بن عباس بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها، فشرط ذلك له معاوية.

وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبد الرحمن الحراني الخزاعي أبو عبد الرحمن، قال: حدثنا إسماعيل بن راشد، قال: بايع الناس الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن، فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قد قتل، فانفروا، فانهبوا سراقاً الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عم المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب علي ابن بنت رسول الله ﷺ فآوئته! بئس الرجل أنت! فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح، وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدموا على الحسن بالمدائن، فأعطياه ما أراد، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها. ثم قام الحسن في أهل العراق فقال: يا أهل العراق، إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، واتهابكم متاعي.

ودخل الناس في طاعة معاوية، ودخل معاوية الكوفة، فبايعه الناس.

قال زياد بن عبد الله، عن عوانة، وذكر نحو حديث المسروقي، عن عثمان بن عبد الرحمن هذا، وزاد فيه: وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح، وطلب الأمان، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر: إني قد كتبت إلى معاوية في الصلح

بن علي عليه السلام، فقال: قم يا حسن فكلّم الناس، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه، ثم قال.

أما بعد، يا أيها الناس، فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّه فَبَتَّةً لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى جِينٍ»، فلما قالها قال معاوية: اجلس، فلم يزل ضرماً على عمرو، وقال: هذا من رأيك. ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: سلم الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية الكوفة، ودخلها معاوية لحسن بقين من ربيع الأول، ويقال من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين.

### ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد

وفي هذه السنة جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته.

#### ذكر الخبر بذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان بن الفضل، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: لما كتب عبيد الله بن عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب، فشرط ذلك له معاوية، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيل عظيمة، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم، ونزل وترك جنده الذي هو عليه لا أمير لهم، فيهم قيس بن سعد، واشترط الحسن عليه السلام لنفسه، ثم بايع معاوية، وأمرت شرطة الحميس قيس بن سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعته علي عليه السلام ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم. وما أصابوا في الفتنة.

فخلص معاوية حين فرغ من عبيد الله بن عباس والحسن عليه السلام إلى مكابدة رجل هو أهم الناس عنده مكابدة، ومعه أربعون ألفاً، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من تقا، وقد بايعني الذي أعطيتك طاعتك؟ فأبى قيس أن يلبس له، حتى أرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت، فهو لك.

قال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا، وقاتله، فقال معاوية: على رسلك! فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم

## السنة الحادية والأربعون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن علي عليه السلام الأمر إلى معاوية ودخول معاوية الكوفة، وبيعة أهل الكوفة معاوية بالخلافة.

#### ذكر الخبر بذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة، فظفقت بشرط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالت، وتحاربون من حارب، فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتال، فلم يلبث الحسن عليه السلام بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنة أشسوت، فازداد لهم بغضاً، وازداد منهم ذعراً، فكتب معاوية، وأرسل إليه بشروط، قال: إن أعطيتني هذا فانا سامع مطيع، وعليك أن تقي لي به.

ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء، مختم على أسفله، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفله ما شئت فهو لك.

فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسأله ما فيها.

فلما التقى معاوية والحسن عليه السلام، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك، فقال: لك ما كنت كتبت إليّ أولاً تسألني أن أعطيك، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك. قال الحسن عليه السلام: وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك، وأعطينتني العهد على الوفاء بما فيه. فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئاً.

وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معاوية، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما تريد إلى أن يخطب الناس! فقال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه للناس، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن

يرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم! ما تبغون منا! أليس معاوية عدونا وعدوكم! دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة.

وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل - وكان سيد القوم - واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر - رجلاً من طيئ - فقاتلهم، فقتلوا، واستعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، فأناه المغيرة بن شعبة وقال لمعاوية: استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر، فتكون أنت بين لحيي الأسد! فعزل عبد الله، واستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية، فدخل عمرو على معاوية فقال: «استعملت المغيرة على الكوفة؟ فقال: نعم، فقال: أجعلته على الخراج؟ فقال: نعم، قال: تستعمل المغيرة على الخراج فيقتال المال، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً، استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيك. فعزل المغيرة عن الخراج، واستعمله على الصلاة، فلقي المغيرة عمراً فقال: أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله؟ قال: نعم، قال: هذه بتلك، ولم يكن عبد الله بن عمرو بن العاص مضى فيما بلغني إلى الكوفة ولا أتاها.

### ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة

وفي هذه السنة غلب حران بن أبان على البصرة، فوجه إليه معاوية برساً، أمره بقتل بني زياد.

ذكر الخبر عما كان من أمره في ذلك:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية أول سنة إحدى وأربعين، وثب حران بن أبان على البصرة فآخذها، وغلب عليها، فأراد معاوية أن يبعث رجلاً من بني القيس إليها، فكلمه عبيد الله بن عباس ألا يفعل ويبعث غيره، فبعث بسر بن أبي

من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك! وإنني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بداً. فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعته علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مალأ وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته، وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط، فقالوا: ذوو رأي العرب ومكيدهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي، وكان قيس وابن بديل مع علي عليه السلام، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية إلا المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكماء، فاجتمعوا بأذرع.

وقيل: إن الصلح تم بين الحسن عليه السلام ومعاوية في هذه السنة في شهر ربيع الآخر، ودخل معاوية الكوفة في غرة جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل: دخلها في شهر ربيع الآخر، وهذا قول الواقدي.

### دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة

وفي هذه السنة دخل الحسن والحسين ابنا علي عليه السلام منصرفين من الكوفة إلى المدينة.

ذكر الخبر بذلك:

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكن، قام - فيما حدثت عن زياد البكائي، عن عوانة - خطيباً في الناس فقال: يا أهل العراق، إنه سخط بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهاكم متاعي. قال: ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بمجشمهم وأقالمهم حتى أتوا الكوفة، فلما قدمها الحسن وبراً من جراحته، خرج إلى مسجد الكوفة فقال: يا أهل الكوفة، اتقوا الله في جيرانكم وضيقاتكم، وفي أهل بيت نبيكم ﷺ الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فجعل الناس يبكون، ثم تحملوا إلى المدينة. قال: وحال أهل البصرة بينه وبين خراج دارالجمرد، وقالوا: فيتنا، فلما خرج إلى المدينة تلقاه ناس بالقادسية فقالوا: يا مدل العرب!

### ذكر خروج الخوارج على معاوية

وفيهما خرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور على معاوية.

ذكر خبرهم:

حدثت عن زياد، عن عوانة، قال: قدم معاوية قبل أن

أرطاه، وزعم أنه أمره بقتل بني زياد.

حدثني مسلمة بن عمار، قال: أخذ بعض بني زياد فحبسه - وزباد يومئذ بفارس، كان علي عليه السلام بعثه إليها إلى أكراد خرجوا بها، فظفر بهم زياد، وأقام بإصطخر - قال: فركب أبو بكرة إلى معاوية وهو بالكوفة، فاستأجل بسراً، فأجله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً، فسار سبعة أيام، فقتل تحت دابتين، فكلمه، فكتب معاوية بالكف عنهم..

قال: وحدثنني بعض علمائنا، أن أباً بكرة أقبل في اليوم السابع وقد طلعت الشمس، وأخرج بسر بني زياد ينتظر بهم غروب الشمس ليقتلهم إذا وجبت، فاجتمع الناس لذلك وأعينهم طامحة ينتظرون أباً بكرة، إذ رفع علم على نجيب أو برذون يكده ويجهده، فقام عليه، فنزل عنه، والاح بثوبه، وكبر وكبر الناس، فأقبل يسعى على رجله حتى أدرك بسراً قبل أن يقتلهم، فدفع إليه كتاب معاوية، فأطلقهم.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي، قال: أخبرني شيخ من ثقيف، عن بسر بن عبيد الله قال: خرج أبو بكرة إلى معاوية بالكوفة فقال له معاوية: يا أبا بكرة، أذا جئت أم دعتك إلينا حاجة؟ قال: لا أقول باطلاً، ما أتيت إلا في حاجة! قال: تشفع يا أبا بكرة ونرى لك بذلك فضلاً، وأنت لذلك أهل، فما هو؟ قال: تؤمن أخي زياداً، وتكتب إلى بسر بتخليه ولده وبترك التعرض لهم.

فقال: أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت، وأما زياد ففي يده مال للمسلمين، فإذا آده فلا سبيل لنا عليه، قال: يا أمير المؤمنين، إن يكن عنده شيء فليس يجسه عنك إن شاء الله. فكتب معاوية لأبي بكرة إلى بسر ألا يتعرض لأحد من ولد زياد، فقال معاوية لأبي بكرة: أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكرة؟ قال: نعم، أتعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك، وتعمل صالحاً فإنك قد تقلدت عظيمًا، خلافة الله في خلقه، فائق الله فإن لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حثيث، فأوشك أن تبلغ المدى، فيلحق الطالب، فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه، وهو أعلم به منك، وإنما هي محاسبة وتوقيف، فلا تؤثرون على رضا الله عز وجل شيئاً.

حدثني أحمد، قال: حدثنا علي، عن سلمة بن عثمان، قال: كتب بسر إلى زياد: لئن لم تقدم لأصلين بنيك، فكتب إليه: إن تفعل فأهل ذلك أنت، إنما بعث بك ابن أكلة الأكباد. فركب أبو بكرة إلى معاوية، فقال: يا معاوية، إن الناس لم يعطوك بيمينهم على قتل الأطفال، قال: وما ذاك يا أبا بكرة؟ قال: بسر يريد قتل أولاد زياد، فكتب معاوية إلى بسر: أن خل من بيدك من ولد زياد.

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل علي عليه السلام يتوعده.

فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي، عن حبان بن

حدثني مسلمة بن عمار، قال: أخذ بعض بني زياد فحبسه - وزباد يومئذ بفارس، كان علي عليه السلام بعثه إليها إلى أكراد خرجوا بها، فظفر بهم زياد، وأقام بإصطخر - قال: فركب أبو بكرة إلى معاوية وهو بالكوفة، فاستأجل بسراً، فأجله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً، فسار سبعة أيام، فقتل تحت دابتين، فكلمه، فكتب معاوية بالكف عنهم..

قال: وحدثنني بعض علمائنا، أن أباً بكرة أقبل في اليوم السابع وقد طلعت الشمس، وأخرج بسر بني زياد ينتظر بهم غروب الشمس ليقتلهم إذا وجبت، فاجتمع الناس لذلك وأعينهم طامحة ينتظرون أباً بكرة، إذ رفع علم على نجيب أو برذون يكده ويجهده، فقام عليه، فنزل عنه، والاح بثوبه، وكبر وكبر الناس، فأقبل يسعى على رجله حتى أدرك بسراً قبل أن يقتلهم، فدفع إليه كتاب معاوية، فأطلقهم.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: خطب بسر على منبر البصرة، فشمع علياً عليه السلام، ثم قال: نشدت الله رجلاً علم أنني صادق إلا صدقني، أو كاذب إلا كذبتني! قال: فقال أبو بكرة: اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً، قال: فأمر به فخنق، قال: فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه، فمنعه، فأقطعه أبو بكرة بعد ذلك مائة جريب. قال: وقيل لأبي بكرة: ما أردت إلى ما صنعت! قال: أينأشدنا بالله شم لا نصدقه! قال: فأقام بسر بالبصرة ستة أشهر، ثم شخص لا نعلمه ولي شرطته أحداً.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن الجارود بن أبي سبرة، قال: صالح الحسن عليه السلام معاوية، وشخص إلى المدينة، فبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصن بفارس، فكتب معاوية إلى زياد: إن في يديك مالاً من مال الله، وقد وليت ولاية فاد ما عندك من المال. فكتب إليه زياد: إنه لم يبق عندي شيء من المال، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه، واستودعت بعضه قومًا نازلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه.

فكتب إليه معاوية: أن أقبل إلى نظير فيما وليت، وجرى على يديك، فإن استقام بيننا أمر فهو ذاك، وإلا رجعت إلى مأمك، فلم يأت به زياد، فأخذ بسر بني زياد الأكابر منهم، فحبسهم: عبد الرحمن، وعبيد الله، وعباد، وكتب إلى زياد: لتقدم علي أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك. فكتب إليه زياد: لست بارحاً من مكاني الذي أنا به حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك، فإن قتلت من في يديك من ولدي فالصير إلى الله



موسى، عن المجالد، عن الشعبي، قال: كتب معاوية حين قتل علي عليه السلام إلى زياد يتهده، فقام خطيباً فقال: العجب من ابن أكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب، كتب إلي يتهددني ويبيي وبينه ابنا عم رسول الله ﷺ يعني ابن عباس والحسن بن علي - في تسعين ألفاً، واضععي سيوفهم على عواتقهم، لا يثنون، لئن خلص إلي الأمر ليجدني أحمر ضارباً بالسيف. فلم يزل زياد بفارس والياً حتى صالح الحسن عليه السلام معاوية، وقدم معاوية الكوفة، فتحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد.

### ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان

#### وخراسان

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان وخراسان.

ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن في أيام عمله

لمعاوية بها:

حدثني أبو زيد، قال: حدثنا علي قال: أراد معاوية توجيه عتبة بن أبي سفيان على البصرة، فكلّمه ابن عامر وقال: إن لي بها أموالاً وودائع، فإن لم توجهني عليها ذهبت. فولاه البصرة، فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين وإليه خراسان وسجستان، فأراد زيد بن جبلة على ولاية شرطته فأبى، فولى حبيب بن شهاب الشامي شرطته - وقد قيل: قيس بن الهيثم السلمي - واستقضى عميرة بن يثربي الضبي، أخا عمرو بن يثربي الضبي.

حدثني أبو زيد، قال: حدثني علي بن محمد، قال: خرج في ولاية ابن عامر لمعاوية يزيد بن مالك الباهلي، وهو الخطيم - وإنما سمي الخطيم لضربة أصابته على وجهه - فخرج هو ومهم بن غالب المهجيمي فأصبحوا عند الجسر، فوجدوا عبادة بن قرص اللبي أحد بني بجير - وكانت له صحبة - يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه، ثم سألوه الأمان بعد ذلك، فأمنهم ابن عامر، وكتب إلى معاوية: قد جعلت لهم ذمتك. فكتب إليه معاوية: تلك ذمة لو أخفرتها لا ستلت عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر.

وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس - وقيل: ولد سنة أربعين قبل أن يقتل علي عليه السلام، وهذا قول الواقدي.

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان في قول أبي

معشر.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه، عن إسحاق بن

عيسى، عنه.

وأما الواقدي فإنه ذكر عنه أنه كان يقول: حج بالناس في

هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - عنبة بن أبي سفيان.

## السنة الثانية والأربعون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللان، وغزوا أيضاً الروم، فهزمهم هزيمة منكرة - فيما ذكروا - وقتلوا جماعة من بطارتهم.

وقيل: في هذه السنة ولد الحجاج بن يوسف.

وولى معاوية في هذه السنة مروان بن الحكم المدينة، فاستقضى مروان عبد الله بن الحارث بن نوفل. وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام، وكان على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة، وعلى القضاء شريح، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عمرو بن يثربي، وعلى خراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر.

وذكر علي بن محمد، عن محمد بن الفضل العبسي، عن أبيه، قال: بعث عبد الله بن عامر بن قيس بن الهيثم على خراسان حين ولاه معاوية البصرة وخراسان، فأقام قيس بخراسان ستين.

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي صالح السلمي، عن زياد بن صالح، قال: بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيس بن الهيثم إلى خراسان، ثم ضمها إلى ابن عامر، فترك قيساً عليها.

## ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين انحازوا عمن قتل منهم بالنهر وان من كان ارتث من جرحاهم بالنهر وان، فبرؤوا، وعفا عنهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

## ذكر الخبر عما كان منهم في هذه السنة:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح بن حبيب، عن جرير بن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، عن أبي بن عماره العبسي، أن حيان بن ظبيان السلمي كان يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث يوم النهر وان، فعفا عنه علي عليه السلام في الأربعمئة الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهر، فكان في أهله وعشيرته، فلبث شهراً أو نحوه. ثم إنه خرج إلى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالري حتى بلغهم قتل علي كرم الله وجهه، فدعا أصحابه أولئك - وكانوا بضعة عشر رجلاً، أحدهم سالم بن ربيعة العبسي - فاتوه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

أيها الإخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أحاكم ابن ملجم أخا مراد قعد لقتل علي بن أبي طالب عند أغباش الصبح مقابل السدة التي في المسجد مسجد الجماعة، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة صلاة الصبح، فشد عليه فضرب رأسه بالسيف، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات، فقال سالم بن ربيعة العبسي: لا يقطع الله يميناً علت قذاله بالسيف، قال: فأخذ القوم يحمّدون الله على قتله عليه السلام عليه السلام ولا رضي عنهم ولا رحمهم!

قال النضر بن صالح: فسألت بعد ذلك سالم بن ربيعة في إمارة مصعب بن الزبير عن قوله ذلك في علي عليه السلام، فأقر لي به، وقال: كنت أرى رأيهم حيناً، ولكن قد تركته، قال: فكان في أنفسنا أنه قد تركه، قال: فكان إذا ذكروا له ذلك يرمضه. قال.

ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه: إنه والله ما يبقى على الدهر باق، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تذيبه الموت، فيفارق الإخوان الصالحين، ويدع الدنيا التي لا يبيكي عليها إلا العجزة، ولم تزل ضارة لمن كانت له همّاً وشجناً، فانصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولائنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثارنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرنا الله بهم نعد بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن تقتل فإن مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة.

فقالوا له: كلنا قائل ما ذكرت، وحامد رايك الذي رأيت، فرد بنا المصر فإننا معك راضون بهداك وأمرك، فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فذلك حين يقول:

خليلي ما بي من عزاء ولا صبر ولا إربة بعد المصايين بالنهر  
سوى نهضات في كتاب جمة إلى الله ما تدعو وفي الله ما تقري  
إذا جاوزت قسطانة الري بغلتي فلست بشار نحوها آخر الدهر  
ولكنني سار وإن قل ناصري قريباً فلا أخزيكم مع من يسري

قال: وأقبل حتى نزل الكوفة، فلم يزل بها حتى قدم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يقتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج. وكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفون، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. فأمنه الناس، وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذكرون مكان إخوانهم بالنهر وان ويرون أن في الإقامة الغين والوكف، وإن في جهاد أهل

القبلة الفضل والأجر..

ثلاث وأربعين، فكانوا في جهازهم وعدتهم.

وقيل: في هذه السنة سار بسر بن أبي أرطاة العامري إلى المدينة ومكة واليمن، وقتل من قتله في مسيره ذلك من المسلمين. وذلك قول الواقدي، وقد ذكرت ممن خالفه في وقت مسيره هذا السير.

وزعم الواقدي أن داود بن حيان حدثه، عن عطاء بن أبي مروان، قال: أقام بسر بن أبي أرطاة بالمدينة شهراً يستعرض الناس، ليس أحد ممن يقال هذا أمان على عثمان إلا قتله.

وقال عطاء بن أبي مروان: أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي، قال: وجد قوماً من بني كعب وغلماهم على بئر لهم فالقاهم في البئر.

### ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدم زياد - فيما حدثني عمر - قال: حدثنا أبو الحسن، عن سليمان بن أرقم، قدم على معاوية من فارس، فصالحه على مال يحمله إليه.

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس، ما حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن، عن مسلمة بن محارب، قال: كان عبد الرحمن بن أبي بكره يلي ما كان لزياد بالبصرة، فبلغ معاوية أن لزياد أموالاً عند عبد الرحمن، وخاف زياد على أشياء كانت في يد عبد الرحمن لزياد، فكتب إليه يأمره بإحرازها، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبه لينظر في أموال زياد، فقدم المغيرة، فأخذ عبد الرحمن، فقال: لئن كان أساء إلي أبوك لقد أحسن زياد وكتب إلى معاوية: إني لم أصب في يد عبد الرحمن شيئاً يحل لي أخذه. فكتب معاوية إلى المغيرة أن عذبه.

قال: وقال بعض المشيخة: إنه عذب عبد الرحمن بن أبي بكره إذ كتب إليه معاوية، وأراد أن يعذره ويبلغ معاوية ذلك، فقال: احتفظ بما أمرك به عمك، فألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء، فكانت تلتزق بوجهه، فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم خلاه، وكتب إلى معاوية: إني عذبت، فلم أصب عنده شيئاً، فحفظ لزياد يده عنده.

حدثني عمر، قال حدثنا أبو الحسن، عن عبد الملك بن عبد الله الثقفي، عن أشياخ من ثقيف، قالوا: دخل المغيرة بن شعبه على معاوية، فقال معاوية حين نظر إليه:

إنما موضع سر المرء إن باح بالسر أخوه لمتصح فإذا محبت بسر فإلى ناصح يسره أو لا تبسح فقال: يا أمير المؤمنين، إن تستودعي تستودع ناصحاً شقيقاً

قال أبو غنم: فحدثني النضر بن صالح، عن أبي بن عمارة، أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبه فزعوا إلى ثلاثة نفر، منهم المستورد بن علفة، فخرج في ثلاثة رجل مقلداً نحو جرجاريا على شاطئ دجلة.

قال أبو غنم: وحدثني جعفر بن حذيفة الطائي من آل عامر بن جوين عن الحل بن خليفة، أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبه فزعوا إلى ثلاثة نفر، منهم المستورد بن علفة التيمي من تيمم الرياب، وإلى حيان بن ظبيان السلمي، وإلى معاذ بن جوين بن حصين الطائي السبسي - وهو ابن عم زيد بن حصين، وكان زيد ممن قتله علي عليه السلام يوم النهروان، وكان معاذ بن جوين هذا في الأربعمائة الذين ارتشوا من قتلى الخوارج، فعفا عنه علي عليه السلام - فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي، فتشاوروا فيمن يولون عليهم.

قال: فقال لهم المستورد: يا أيها المسلمون والمؤمنون، أراكم الله ما تحبون، وعزل عنكم ما تكرهون، ولوا عليكم من أحببتهم، فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الولي علي منكم! وما شرف الدنيا تريد وما إلى البقاء فيها من سبيل، وما تريد إلا الخلود في دار الخلود.

فقال حيان بن ظبيان: أما أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكل امرئ من إخواني راض، فانظروا من شتمت منكم فسموه، فانا أول من يبايعه. فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين: إذا قلتما أنتما هذا وأنتما سيدا المسلمين وذوا أنسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما، فمن يرئس المسلمين، وليس كلكم يصلح لهذا الأمر! وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حل، وأنتما بحمد الله عن يرضى بهذا الأمر، فليتوله أحدكما.

قالا: فتrole أنت، فقد رضييناك، فانت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك، فقال لهما: أنتما أسن مني، فليتوله أحدكما، فقال حينئذ جماعة من حضرهما من الخوارج: قد رضيينا بكم أيها الثلاثة، فولوا أيكم أحببتهم، فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه: تولها أنت، فإني بك راض، وإني فيها غير ذي رغبة.

فلما كثر ذلك بينهم قال حيان بن ظبيان، فإن معاذ بن جوين قال: إني لا ألي عليكما وأنتما أسن مني، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك، لا ألي عليك وأنت أسن مني، أبسط يدك أبايك. فبسط يده فبايعه، ثم بايعه معاذ بن جوين، ثم بايعه القوم جميعاً، وذلك في جمادى الآخرة. فاستعد القوم أن يتجهزوا ويتيسروا ويستعدوا، ثم يخرجوا في غرة الحلال لئلا شغبان مسنة

يسأله القدوم عليه، فخرج زياد من فارس مع المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني، وسرح عبد الله بن خازم في جماعة إلى فارس، فقال: لعلك تلقى زياداً في طريقك فتأخذه. فسار ابن خازم إلى فارس، فقال بعضهم: لقيه بسوق الأهواز، وقال بعضهم: لقيه بأرجان، فأخذ ابن خازم بعنان زياد، فقال: انزل يا زياد، فصاح به المنجاب بن راشد: تنح يا ابن سوداء، وإلا علقت يدك بالعنان. قال: ويقال: انتهى إليهم ابن خازم وزياد جالس، فأغظ له ابن خازم، فشمتم المنجاب بن خازم، فقال له زياد: ما تريد يا ابن خازم؟ قال: أريد أن أنجيء إلى البصرة، قال: فإني آتيها، فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد.

**وقال بعضهم:** التقى زياد وابن خازم بأرجان، فكانت بينهم منازعة، فقال زياد لابن خازم قد أتااني أمان معاوية، فإنا أريد، وهذا كتابه إلي. قال: فإن كنت تريد أمير المؤمنين فلا سبيل عليك، فمضى ابن خازم إلى سابور، ومضى زياد إلى ماه بهزاذان، وقدم على معاوية، فسأله عن أموال فارس، فقال: دفعتها يا أمير المؤمنين في أرزاق وأعطيات وحالات، وبقيت بقية أودعتها قوماً، فمكث بذلك يردده، وكتب زياد كتاباً إلى قوم منهم شعبة بن القلمع: قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة، فتدبروا كتاب الله عز وجل، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الآية، فاحتفظوا بما قبلكم.

وسمي في الكتب بالبلغ الذي أقر به لمعاوية، ودس الكتب مع رسوله، وأمره أن يعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية، فتعرض رسوله حتى انتشر ذلك، وأخذ فأتى به معاوية، فقال معاوية لزياد: لئن لم تكن مكرت بي إن هذه الكتب من حاجتي. فقرأها، فإذا هي مثل ما أقر به، فقال معاوية: اخاف أن تكون قد مكرت بي، فصالحني على ما شئت، فصالحه على شيء مما ذكره أنه عنده، فحمله، وقال زياد: يا أمير المؤمنين، قد كان لي مال قبل الولاية، فوددت أن ذلك المال بقي، وذهب ما أخذت من الولاية. ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له في نزول الكوفة فاذن له، فشخص إلى الكوفة، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه، فكتب معاوية إلى المغيرة: خذ زياداً وسليمان بن صرد وحجر بن عدي وشبث بن ربعي وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه في الصلاة.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، عن سليمان بن أرقم، قال: بلغني أن زياداً قدم الكوفة، فحضرت الصلاة، فقال له المغيرة: تقدم فصل، فقال: لا أفعل، أنت أحق مني بالصلاة في سلطانك. قال: ودخل عليه زياد وعند المغيرة أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط، فأجلسها بين يديه، وقال: لا

ورعاً وثيقاً، فما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت زياداً واعتصامه بأرض فارس، وامتناعه بها، فلم أتم ليلتي، فأراد المغيرة أن يطأني من زياد، فقال: ما زياد هناك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: بنس الوطاء العجز، داهية العرب معه الأموال، متحصن بقلع فارس، يدبر ويربص الحيل، ما يؤمنني أن يبيع لرجل من أهل هذا البيت. فإذا هو قد أعاد علي الحرب خدعة.

فقال المغيرة: أئاذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه! قال: نعم، فآته وتلطف له، فأتى المغيرة زياداً، فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة: ما قدم إلا لأمر، ثم أذن له، فدخل عليه وهو في بهو له مستقبل الشمس، فقال زياد: أفلح رائد! فقال: إليك ينتهي الخبر أبا المغيرة، إن معاوية استخفه الرجل حتى بعثني إليك، ولم يكن يعلم أحداً يمد يده إلى هذا الأمر غير الحسن، وقد بايع معاوية، فخذ لنفسك قبل التوطي، فيستغي عنك معاوية، قال: أشر علي، وارم الغرض الأقصى، ودع عنك الفضول، فغن المستشار مؤعّن، فقال المغيرة: في محض الرأي بشاعة، ولا خير في المذيق، أرى أن تصل حبلك بحبله، وتشخص إليه، قال: أرى ويقضي الله.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن مسلمة بن محارب، قال: أقام زياد في القلعة أكثر من سنة، فكتب إليه معاوية: علام تهلك نفسك؟ إلى فاعلمي علم ما صار إليك مما اجتبيت من الأموال، وما خرج من يديك وما بقي عندك، وأنت آمن، فإن أحببت المقام عندنا أقمت، وإن أحببت أن ترجع إلى مأمناك رجعت. فخرج زياد من فارس، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية، فشخص المغيرة إلى معاوية قبل شخص زياد من فارس، وأخذ زياد من إصطخر إلى أرجان، فأتى ماه بهزاذان، ثم أخذ طريق حلوان حتى قدم المدائن، فخرج عبد الرحمن إلى معاوية يخبره بقدوم زياد، ثم قدم زياد الشام، وقدم المغيرة بعد شهر، فقال له معاوية: يا مغيرة، زياد أبعد منك بمسيرة شهر، وخرجت قبله وسبقك. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأريب إذا كلم الأريب أفحمه، قال: خذ حذرك، واطو عني سرك، فقال: إن زياداً قد يرمو الزيادة، وقدمت أتحوف نقصان، فكان سيرنا على حسب ذلك، قال فسأل معاوية زياداً عما صار إليه من أموال فارس، فأخبره بما حمل منها إلى علي عليه السلام، وما أنفق منها في الوجوه التي يحتاج فيها إلى النفقة، فصدقه معاوية على ما أنفق، وما بقي عنده، وقبضة منه وقال: قد كنت أمين خلفائنا.

حدثني عمر، قال حدثنا علي، قال: حدثنا أبو مخنف وأبو عبد الرحمن الأصهباني وسلمة بن عثمان وشيخ من بني تميم وغيرهم عن يوثق بهم قال: كتب معاوية إلى زياد وهو بفارس

تستري من أبي المغيرة، فلما مات المغيرة تزوجها زياد وهي  
حديثة، فكان زياد يأمر بفيل كان عنده، فيوقف، فتنظر إليه أم  
أيوب، فسمي باب الفيل.

وحج بالناس في هذه السنة عنبة بن أبي سفيان، كذلك  
حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن  
أبي معشر.

## السنة الثالثة والأربعون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة بسر بن أبي أرطاة الروم ومشته بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية - فيما زعم الواقدي - وقد أنكر ذلك قوم من أهل الأخبار، فقالوا: لم يكن لبسر بأرض الروم مشى قط.

وفيهما مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر، وقبل كان عمل عليها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أربع سنين، ولعثمان أربع سنين إلا شهرين، ولعاوية سنتين إلا شهراً.

وفيهما ولئى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر بعد موت أبيه، فوليهما له - فيما زعم الواقدي - نحواً من سنتين.

وفيهما مات محمد بن مسلمة في صفر بالمدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم.

## من خبر قتل المستورد بن علفة الخارجي

وفيهما قتل المستورد بن علفة الخارجي، فيما زعم هشام بن محمد. وقد زعم بعضهم أنه قتل في سنة اثنتين وأربعين.

## ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرنا ما كان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتثوا يوم النهر، ومن كان منهم انحاز إلى الري وغيرهم إلى النفر الثلاثة الذين سميت قبل، أحدهم المستورد بن علفة، وذكرنا بيعتهم المستورد، واجتماعهم على الخروج في غرة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين.

فذكر هشام، عن أبي مخنف، أن جعفر بن حذيفة الطائي حدثه عن الحل بن خليفة، أن قبيصة بن الدمون أتى المغيرة بن شعبة - وكان على شرطته - فقال: إن شمر بن جعونة الكلابي جاءني فخيرني أن الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي، وقد اتعدوا أن يخرجوا إليك. في غرة شعبان، فقال المغيرة بن شعبة لقبيصة بن الدمون - وهو حليف لثقيف، وزعموا أن أصله كان من حضرموت من الصدف: سر بالشرطة حتى تحيط بدار حيان بن ظبيان فأتني به، وهم لا يرون إلا أنه أمير تلك الخوارج. فسار قبيصة في الشرطة وفي كثير من الناس، فلم يشعر حيان بن ظبيان إلا والرجال معه في داره نصف النهار، وإذا معه معاذ بن جوين ونحو من عشرين رجلاً من أصحابهم، وثارت امرأته، أم ولد له، فأخذت سيفاً كانت لهم، فالتقتا تحت

الفراش، وفرن بعض القوم إلى سيوفهم فلم يجدوها، فاستسلموا، فانطلق بهم إلى المغيرة بن شعبة، فقال لهم المغيرة: ما حكمكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين؟ فقالوا: ما أردنا من ذلك شيئاً، قال: بلى، قد بلغني ذلك عنكم، ثم قد صدق ذلك عندي جماعتكم، قالوا له: أما اجتماعنا في هذا المنزل فإن حيان بن ظبيان أقرنا القرآن، فنحن نجتمع عنده في منزلة فنقرأ القرآن عليه. فقال: اذهبوا بهم إلى السجن، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة، وسمع إخوانهم بأخذهم فحذروا، وخرج صاحبهم المستورد بن علفة فنزل داراً بالحيرة إلى جنب قصر العدسيين من كلب، فبعث إلى إخوانه، وكانوا يختفلون إليه ويتجهزون، فلما كثر اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورد بن علفة التيمي: تحولوا بنا عن هذا المكان، فإني لا آمن أن يطلع عليكم. فإنيهم في ذلك يقول بعضهم لبعض: نأتي مكان كذا وكذا، ويقول بعضهم: نأتي مكان كذا وكذا، إذ أشرف عليهم حجار بن أبيجر من دار كان هو فيها وطائفة من أهله، فإذا هم بفارسين قد أقبلوا حتى دخلا تلك الدار التي فيها القوم، ثم لم يكن بأسرع من أن جاء آخران فدخلا، ثم لم يكن إلا قليل حتى جاء آخر فدخل، ثم آخر فدخل وكان ذلك يعنيه، وكان خروجهم قد اقترب.

فقال حجار لصاحبة الدار التي كان فيها نازلاً وهي ترضع صبياً لها ويحك! ما هذه الخيل التي أراها تدخل هذه الدار؟ قالت: والله ما أدري ما هم! إلا أن الرجال يختفلون إلى هذه الدار رجالاً وفرساناً لا ينقطعون، ولقد أنكرنا ذلك منذ أيام، ولا ندري من هم! فركب حجار فرسه، وخرج معه غلام له فأقبل حتى انتهى إلى باب دارهم، فإذا عليه رجل منهم، فكلما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فاعلمه، فأذن له، فإني جاؤه رجل من معروفهم دخل ولم يستأذن، فلما انتهى إليه حجار لم يعرفه الرجل، فقال: من أنت رحمك الله؟ وما تريد؟ قال: أردت لقاء صاحبي، قال له: وما اسمك؟ قال له: حجار بن أبيجر، قال: فكما أنت حتى أؤذنهم بك. ثم أخرج إليك. فقال له حجار: ادخل راشداً فدخل الرجل، واتبعه حجار مسرعاً، فأنتهى إلى باب صفة عظيمة هم فيها، وقد دخل إليهم الرجل فقال: هذا رجل يستأذن عليك أنكرته فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا حجار بن أبيجر، فسمعهم يتفزعون ويقولون: حجار بن أبيجر! والله ما جاء حجار بن أبيجر بخير.

فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفي بذلك من الاسترابة بأمرهم، ثم أبت نفسه أن ينصرف حتى يعاينهم، فتقدم حتى قام بين سجنى باب الصفة وقال: السلام عليكم، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة، وإذا سلاح ظاهر ودروع، فقال حجار: اللهم

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: أيها الأمير، هل سمّي لك أحد من هؤلاء القوم فإن كانوا سموا لك فأعلمنا من هم؟ فإن كانوا منا كفيناكم، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل مصرنا، فأنتك كل قبيلة بسفهائها، فقال: ما سمي لي أحد منهم، ولكن قد قيل لي: إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمصر، فقال له معقل: أصلحك الله! فلاني أسير في قومي، وأكفيك ما هم فيه، فليكنفك كل امرئ من الرؤساء قومه. فنزل المغيرة بن شعبة، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم، ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكنفي كل امرئ من الرؤساء قومه، وإلا فالذي لا إله غيره لأتحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر، فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة، وجاء صعصة بن صوحان فقام في عبد القيس.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني الأسود بن قيس العبدي، عن مرة بن النعمان، قال: قام فينا صعصة بن صوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التيمي وأصحابه في دار سليم بن محدوج، ولكنه كره على فراقه إياهم وبغضه لرأيهم، أن يؤخذوا في عشيرته، وكره مساءة أهل بيت من قومه، فقال: قولوا حسناً، ونحن يومئذ كثير أشرافنا، حسن عددنا، قال: فقام فينا بعد ما صلى العصر، فقال:

يا معشر عباد الله، إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم، فأجبتكم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه لملأئحته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله ﷺ، ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة، وارتدت طائفة، وأدھنت طائفة، وتربصت طائفة، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله، وقاتلت المرتدين حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء، وعلى كل حال، حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسي، راسب الأزد، وقلم أنتم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحق لازمين له، آخذين به، حتى أهلك الله بكم وعن كان على مثل هداكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر - وسكت عن ذكر أهل الشام، لأن السلطان كان حيث سلطانهم - ولا قوم أعدى الله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين

اجمعهم على خير، من أنتم عافاكم الله؟ فعرفه علي بن أبي شمر ابن الحصين، من تيم الرباب - وكان أحد الثمانية الذين انهزموا من الخوارج يوم النهر، وكان من فرسان العرب ونساکهم وخيارهم - فقال له: يا حجار بن أبيجر، إن كنت إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدته، وإن كنت إنما جاء بك أمر غير ذلك فادخل، وأخبرنا ما أتى بك، فقال: لا حاجة لي في الدخول، فأنصرف، فقال بعضهم لبعض: أدركوا هذا فاحسبوه، فإنه مؤذن بكم، فخرجت منهم جماعة في أثره - وذلك عند تظليل الشمس للرباب - فانتھوا إليه وقد ركب فرسه، فقالوا له: أخبرنا خبرك، وما جاء بك؟ قال: لم أت لشيء يروعكم ولا يهولكم، فقالوا له: انتظر حتى ندنو منك ونكلمك، أو تدنو منا، أخبرنا فنكلمك أمرنا، ونذكر حاجتنا، فقال لهم: ما أنا ببدان منكم، ولا أريد أن يدنو مني منكم أحد.

فقال له علي بن أبي شمر بن الحصين: أفؤمئذ أنت من الأذن بنا هذه الليلة وأنت محسن، فإن لنا قرابة وحقاً؟ قال نعم، أنتم آمنون من قبلي هذه الليلة وليالي الدهر كلها، ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهله معه. وقال الآخرون بعضهم لبعض: إنا لا نأمن أن يؤذن بنا هذا، فأخرجوا بنا من هذا الموضع ساعتنا هذه، قال: فصلوا المغرب، ثم خرجوا من الحيرة متفرقين، فقال لهم صاحبهم: الحقوا بي في دار سليم بن محدوج العبدي من بني سلمة، فخرج من الحيرة، فمضى حتى أتى عبد القيس، فأتى بني سلمة، فبعث إلى سليم بن محدوج - وكان له صهراً - فأتاه، فادخله وأصحاباً له خمسة أو ستة، ورجع حجار بن أبيجر إلى رحله، فأخذوا ينتظرون منه أن يبلغهم منه ذكر لهم عند السلطان أو الناس فما ذكرهم عند أحد منهم، ولا بلغهم عنه في ذلك شيء يكرهونه.

فبلغ الخبر المغيرة بن شعبة أن الخوارج خارجة عليه في أيامه تلك، وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم، فقام المغيرة بن شعبة في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فقد علمتم أيها الناس أنني لم أزل أحب لجماعتكم العافية، وأكف عنكم الأذى، وأني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الخلاء الأتقياء فلا، وإيم الله لقد خشيت ألا أجد بدأ من أن يعصب الحليم التقي بذنب السفية الجاهل، فكفوا أيها الناس سفهاكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم. وقد ذكر لي أن رجلاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وإيم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدنهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم، فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار.

ويا ليتني فيكم أهادي عدوكم فيسقيني كأس التينة أولا  
يعز علي أن تخافوا وتطردوا ولما أجرد في المخلين منصلا  
ولما يفرق جمعهم كل ماجد إذا قلت قد ولي وأبسر أقبلا  
مشحاً بصل السيف في حس الرغي يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا  
وعز علي أن تضاموا وتقصروا وأصبح ذا بث أسيراً مكبلا  
ولو انني فيكم وقد قصصدا لكم اثرت إذ بين الغريسين قسطلا  
فيارب جمع قد فلتت وغارة شهدت وقرن قد تركت مجدلا

فبعث المستورد إلى أصحابه فقال لهم: اخرجوا من هذه  
القبيلة لا يصب امرأ مسلماً في سبينا بغير علم مرة. وكان فيهم  
بعض من يرى رأيهم، فاتعدوا سوراً، فخرجوا إليها متقطعين من  
أربعة وخمسة عشرة فتضاموا بها ثلثمائة رجل، ثم ساروا إلى  
الصراة، فباتوا بها ليلة.

ثم إن المغيرة بن شعبة أخبر خبرهم، فدعا رؤساء الناس،  
فقال: إن هؤلاء الأشرقياء قد أخرجهم الحين وسوء السراي، فمن  
ترون أبعث إليهم؟.

قال: فقام إليه عدي بن حاتم، فقال: كلنا لهم عدو،  
ولرأيهم مسفة، وبطاعتك مستسك، فأينا شئت سار إليهم.

فقام معقل بن قيس، فقال: إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن  
ترى حولك من أشراف المصر إلا وجدته سامعاً مطيعاً، ولهم  
مفارقاً ولهاكلهم محباً، ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحداً  
من الناس أعدى لهم ولا أشد عليهم مني، فابعثني إليهم فلاني  
أكفيكم بإذن الله، فقال: أخرج على اسم الله، فجهز معه ثلاثة  
آلاف رجل.

وقال المغيرة لقبضة بن الدمون: الصق لي بشيعة علي،  
فأخرجهم مع معقل بن قيس، فإنه كان من رؤوس أصحابه، فإذا  
بعث بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً، استأنس  
بعضهم ببعض وتناصحوا، وهم أشد استحلالاً لدماء هذه  
المارقة، وأجراً عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة.

قال أبو غنم: فحدثني الأسود بن قيس، عن مرة بن منقذ  
بن النعمان، قال: كنت أنا فيمن ندب معه يومئذ، قال: لقد كان  
صعصعة بن صوحان قام بعد معقل بن قيس وقال: ابعثني إليهم  
أيها الأمير، فانا والله لدمائهم مستحل، وبمحملها مستقل، فقال:  
اجلس، فلما أنت خطيب، فكان أحفظه ذلك، وإنما قال ذلك لأنه  
بلغه أنه يعيب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويكثر ذكر علي وبفضله،  
وقد كان دعاه، فقال: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند  
أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل  
علي علانية، فإنك لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجعله، بل أنا  
أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار

من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا، واستحلوا دماءنا،  
وشهدوا علينا بالكفر، فإياكم أن تؤووهم في دوركم، أو تكتموا  
عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى  
لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من  
الحي، وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقاً  
تقريب إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال. ثم قال.

يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء  
بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً، فلأنهم أسرع شيء  
إليكم وإلى أمثالكم. ثم تنحى فجلس، فكل قومه قال: لعنهم  
الله! وقال: برئ الله منهم، فلا والله فلا تؤويهم، ولئن علمنا  
بمكانهم لنطلعنك عليهم، غير سليم بن محدوج، فإنه لم يقل شيئاً،  
فرجع إلى قومه كئيباً واجماً، يكره أن يخرج أصحابه من منزله  
فيلوموه، وقد كانت بينهم مصاهرة، وكان لهم ثقة، ويكره أن  
يطلبوا في داره فيهلكوا ويهلك.

وجاء فدخل رحله، وأقبل أصحاب المستورد ياتونه، فليس  
منهم رجل إلا يخبره بما قام به المغيرة بن شعبة في الناس وبما  
جاءهم رؤسؤهم، وقاموا فيهم، وقالوا له: أخرج بنا، فوالله ما  
نأمن أن نؤخذ في عشائونا. قال: فقال لهم: أما ترون رأس عبد  
القيس قام فيهم كما قامت رؤساء العشائر في عشائورهم؟ قالوا:  
بلى والله نرى. قال: فإن صاحب منزلي لم يذكر لي شيئاً، قالوا:  
نرى والله أنه استحيا منك، فدعاه فأتاه، فقال: يا ابن محدوج، إنه  
قد بلغني أن رؤساء العشائر قاموا إليهم، وتقدموا إليهم في وفي  
أصحابي، فهل قام فيكم أحد يذكر لكم شيئاً من ذلك؟ قال:  
فقال: نعم، قد قام فينا صعصعة بن صوحان، فتقدم إلينا في ألا  
نؤوي أحداً من طلبتهم، وقالوا أقاويل كثيرة كرهت أن أذكرها  
لكم فتحسبوا أنه ثقل علي شيء من أمركم، فقال له المستورد:  
قد أكرمت المثوى، وأحسن الفعل، ونحن إن شاء الله مرتحلون  
عنك، ثم قال: أما والله لو أرادوك في رحلي ما وصلوا إليك ولا  
إلي أحد من أصحابك حتى أموت دونكم، قال: أعاذك الله من  
ذلك.

وبلغ الذين في محبس المغيرة ما أجمع عليه أهل المصر من  
الرأي في نفي من كان بينهم من الخوارج وأخذهم، فقال معاذ بن  
جوين بن حصين في ذلك:

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ شرى نفسه لله أن يترحلا  
أقتنم بشار الحاططين جهالة وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا  
فشدوا على القوم العدة فلانما أقاتمكم للنبح رايأ مضللا  
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا  
فيا ليتني فيكم على ظهر سابع شديد القصيرى دارعاً غير أعزلا



وجدناه بعد يومنا بالكوفة فقد أحل بنفسه.

قال أبو مخنف: وحديثي عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي، قال: كنت فيمن خرج مع المستورد بن علفة، وكنت أحدث رجل فيهم. قال: فخرجنا حتى أتينا الصراة فاقمنا بها حتى تمت جماعتنا، ثم خرجنا حتى انتهينا إلى بهرسير، فدخلنا ونذر بنا سماك بن عبيد العبيسي، وكان في المدينة العتيقة، فلما ذهبنا لنعبر الجسر إليهم قاتلنا عليه، ثم قطعه علينا، فاقمنا ببهرسير. قال: فدعاني المستورد بن علفة، فقال: أكتب يا ابن أخي؟ قلت: نعم، فدعا لي برق ودواة، وقال: اكتب: من عبد الله المستورد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد، أما بعد، فقد نقمنا على قومنا الجور في الأحكام، وتعطيل الحدود، والاستثثار بالفيء، وإننا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، والبراءة من عثمان وعلي، لإحداثهما في الدين، وتركهما حكم الكتاب، فإن تقبل فقد أدركت رشدك، وإلا تقبل فقد بالغنا في الإعذار إليك، وقد أذنك بحرب، فنبذنا إليك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين. قال: فقال المستورد: انطلق إلى سماك بهذا الكتاب فادفعه إليه، واحفظ ما يقول لك، والقي.

قال: وكنت فتى حدثا حين أدركت، لم أجرب الأمور، ولا علم لي بكثير منها، فقلت: أصلحك الله! لو أمرتني أن أستعرض دجلة فالقي نفسي فيها ما عصيتك، ولكن تأمن علي سماكاً أن يتعلق بي، فيحبسني عنك، فإذا أنا قد فاتني ما أترجاه من الجهاد! فتبسم وقال: يا ابن أخي، إنما أنت رسول، والرسول لا يعرض له، ولو خشيت ذلك عليك لم أبعثك، وما أنت على نفسك بأشفق مني عليك.

قال: فخرجت حتى عبرت إليهم في معبر، فأتيته سماك بن عبيد، وإذا الناس حوله كثير. قال: فلما أقبلت نحوهم أبدوني أبصارهم، فلما دنوت منهم ابتدرني نحو من عشرة، وظننت والله أن القوم يريدون أخذني، وأن الأمر عندهم ليس كما ذكر لي صاحبي، فانتضيت سيفي، وقلت: كلا، والذي نفسي بيده، لا تصلون إلي حتى أعذر إلى الله فيكم، قالوا لي: يا عبد الله، من أنت؟ قلت: أنا رسول أمير المؤمنين المستورد بن علفة، قالوا: فلم انتضيت سيفك؟ قلت: لا ابتداركم إلي، فخشيت أن توثقوني وتغدروا بي. قالوا: فأنت آمن، وإنا أتيناك لنقوم إلى جنبك، ونمسك بقائم سيفك، وننظر ما جئت له، وما تسأل، قال: فقلت لهم: ألسن آمناً حتى تردوني إلى أصحابي؟ قالوا: بلى، فشمت سيفي، ثم أتيت حتى قمت على رأس سماك بن عبيد وأصحابه قد اتشبعوا بي، فمنهم ممسك بقائم سيفي، ومنهم ممسك

عبيه للناس، فنحن ندع كثيراً عما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكرًا فضله فأذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرًا، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به، فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه، فلما قام إليه وقال له: ابعتني إليهم، وجد المغيرة قد حقد عليه خلافة إياه، فقال: اجلس فإنما أنت خطيب، فأحفظه، فقال له: أوما أنا إلا خطيب فقط! أجل والله، إني للخطيب الصليب الرئيس، أما والله لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا، فشون تفري، وهامة تختلي، لعلمت أنني أنا الليث الهزبر، فقال: حسبك الآن، لعمرى لقد أوتيت لساناً فصيحاً، ولم يلبث قبيصة بن الدمون أن أخرج الجيش مع معقل، وهم ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، عن سالم بن ربيعة، قال: إني جالس عند المغيرة بن شعبة حين أتاه معقل بن قيس يسلم عليه ويودعه، فقال له المغيرة: يا معقل بن قيس، إني قد بعثت معك فرسان أهل مصر، أمرت بهم فانتخبوا انتخاباً، فسر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا وشهدوا عليها بالكفر، فادعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكفف عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم.

فقال معقل بن قيس: سندعوهم ونعذر، وإيم الله ما أرى أن يقبلوا ولئن لم يقبلوا الحق لا تقبل منهم الباطل، هل بلغك - أصلحك الله - أين منزل القوم؟ قال: نعم، كتب إلى سماك بن عبيد العبيسي - وكان عاملاً له على المدائن - يخبرني أنهم ارتحلوا من الصراة، فأقبلوا حتى نزلوا بهرسير، وإنهم أرادوا أن يعبروا إلى المدينة العتيقة التي بها منازل كسرى وأبيض المدائن فمنعهم سماك أن يجوزوا فنزلوا بمدينة بهرسير مقيمين، فاخرج إليهم، وانكمش في آثارهم حتى تلحقهم، ولا تدعهم والإقامة في بلد ينتهي إليهم فيه أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها، فإن قبلوا وإلا فناهضهم، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم.

فخرج من يومه فبات بسورا، فأمر المغيرة مولاه وراداً، فخرج إلى الناس في مسجد الجماعة، فقال: أيها الناس، إن معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة، وقد بات الليلة بسورا، فلا يتخلفن عنه أحد من أصحابه.

الا وإن الأمير يخرج على كل رجل من المسلمين منهم، ويعزم عليهم أن يبيتوا بالكوفة، ألا وإما رجل من هذا البعث

بجذافيرها، وأضعاف ما يتنافس فيه منها بقبال نعلي! وما خرجت إلا التماس الشهادة، وأن يهديني الله إلى الكرامة بهوان بعض أهل الضلالة، وإنني قد نظرت فيما استشرتكم فيه فرايت ألا أقيم لهم حتى يقدموا علي وهم جامون متوافرون، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا، فنقطعوا وتبددوا، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم، فأخرجوا بنا على اسم الله عز وجل.

قال: فخرجنا فمضينا على شاطئ دجلة حتى انتهينا إلى جرجرايا، فغيرنا دجلة، فمضينا كما نحن في أرض جوحى حتى بلغنا المذار، فاقمتنا فيها، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذي كنا فيه فسأل عن المغيرة بن شعبة كيف صنع في الجيش الذي بعث إلى الخوارج؟ وكم عدتهم؟ فأخبر بعدتهم، وقيل له: إن المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع علي عليه السلام، وكان من أصحابه، فبعثه وبعث معه شيعة علي لعداوتهم لهم، فقال: أصاب الرأي، فبعث إلي شريك بن الأعور الحارثي - وكان يرى رأى علي عليه السلام - فقال له: اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس، ثم أتبعهم حتى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتلهم، وقال له بينه وبينه: اخرج إلى أعداء الله بمن يستحل قتالهم من أهل البصرة، فظن شريك به إنما يعني شيعة علي عليه السلام، ولكنه يكره أن يسميهم، فانتخب الناس، وألح على فرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة، وكان تجييه العظماء منهم. ثم إنهم خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد بن علفة بالمذار.

قال أبو مخنف: وحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث، قال: كنت في الذين خرجوا مع معقل بن قيس، فاقبلت معه، فوالله ما فارقت ساعة من نهار منذ خرجت، فكان أول منزل نزلناه سورا.

قال: فمكثنا يوماً حتى اجتمع إليه جل أصحابه، ثم خرجنا مسرعين مبادرين لعدونا أن يفوتنا، فبعثنا طليعة، فارتحلنا فنزلنا كوئي، فاقمتنا بها يوماً حتى لحق بنا من تخلف، ثم أدلج بنا من كوئي، وقد مضى من الليل هزيع فاقبلنا حتى دنونا من المدائن فاستقبلنا الناس فأخبرونا أنهم أقبلوا فشق علينا والله ذلك، وأيقنا بالعناء وطول الطلب.

قال: وجاء معقل بن قيس حتى نزل باب مدينة بسهر سير، ولم يدخلها، فخرج إليه سماك بن عبيد، فسلم عليه، وأمر غلمانه ومواليه فاتوه بالجزر والشعير والقت، فجأؤوه من ذلك بكل ما كفاه وكفى الجند الذين كانوا معه.

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثاً جمع

بعضدي، فدفعت إليه كتاب صاحبي، فلما قرأه رفع رأسه إلي، فقال: ما كان المستورد عندي خليفاً لما كنت أرى من إخبائه وتواضعه أن يخرج على المسلمين بسيفة، يعرض على المستورد البراءة من علي وعثمان، ويدعوني إلى ولايته! فبش والله الشيخ أنا إذا! قال: ثم نظر إلي فقال: يا بني، اذهب إلى صاحبك فقل له: اتق الله وارجع عن رأيك في جماعة المسلمين، فإن أردت أن أكتب لك في طلب الأمان إلى المغيرة فعلت، فإنك ستجده سريعاً إلى الإصلاح، محباً للعافية، قال: قلت له: وإن لي فيهم يومئذ بصيرة، هيئات! إنما طلبنا بهذا الأمر الذي أخافنا فيكم في عاجل الدنيا الأمان عند الله يوم القيامة، فقال لي: بؤساً لك! كيف أرحك! ثم قال لأصحابه: إنهم خلوا بهذا. ثم جعلوا يقرؤون عليه القرآن ويتخضعون ويتباركون، فظن بهذا أنهم على شيء من الحق، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، والله ما رأيت قوماً كانوا أظهر ضلالة، ولا أبن شؤماً، من هؤلاء الذين ترون!

قلت: يا هذا إنني لم آت لك لأستألك ولا أسمع حديثك وحدث أصحابك، حدثني، أنت تجيبني إلى ما في هذا الكتاب أم لا تفعل فأرجع إلى صاحبي؟ فنظر إلي ثم قال لأصحابه: ألا تعجبون إلى هذا الصبي! والله إنني لأراني أكبر من أبيه، وهو يقول لي: اتجيبني إلى ما في هذا الكتاب! انطلق يا بني إلى صاحبك، إنما تندم لو قد اكتفتكم الخيل، وأشرعت في صدوركم الرماح، هناك غنى لو كنت في بيت أمك! قال: فأنصرفت من عنده فعبثت إلى أصحابي، فلما دنوت من صاحبي قال: ما رد عليك؟ قلت: ما رد خيراً، قلت له: كذا وقال لي: كذا، فقصصت عليه القصة، قال: فقال المستورد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال: فليتنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثة أيام، ثم استبان لنا مسير معقل بن قيس إلينا. قال: فجمعنا المستورد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن هذا الخرق معقل بن قيس قد وجه إليكم وهو من السبئية المفرتين الكاذبين، وهو لله ولكم عدو، فأشيروا علي برأيكم، قال: فقال له بعضنا: والله ما خرجنا نريد إلا الله، وجهاد من عادى الله، وقد جاؤونا فأين نذهب عنهم! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين. وقالت طائفة أخرى: بل نعتزل ونتنحى، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء.

فقال: يا معشر المسلمين، إنني والله ما خرجت ألتمس الدنيا ولا ذكرها ولا فخرها ولا البقاء، وما أحب أنها لي

عليهم، وكونوا قريباً منهم، فإن الجيش آتيكم إلى ساعة.

قال: فاختذت الخوارج كلما حملت عليهم المحازوا وهم كانوا حامية، وإذا أخذوا في الكرة عليهم فتفرق جماعتهم قرب أبو الرواغ وأصحابه على خيلهم في آثارهم، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحي إلى الأولى. فلما حضرت صلاة الظهر نزل المستورد للصلاة، واعتزل أبو الرواغ وأصحابه على رأس ميل منهم أو ميلين، ونزل أصحابه فصلوا الظهر، وأقاموا رجلين ريتة، وأقاموا مكانهم حتى صلوا العصر. ثم إن فتى جاءهم بكتاب معقل بن قيس إلى أبي الرواغ، وكان أهل القرى وعابرو السبيل يرون عليهم ويرونهم يقتتلون، فمن مضى منهم على الطريق نحو الوجه الذي يأتي من قبله معقل استقبل معقلاً فآخبره باللقاء أصحابه والخوارج، فيقول: كيف رأيتموهم يصنعون؟

فيقولون: رأينا الخروية تطرد أصحابك، فيقول: أما رأيتم أصحابي يعطفون عليهم ويقاتلونهم؟ فيقولون: بلى، يعطفون عليهم ويهزمون. فقال: إن كان ظني بأبي الرواغ صادقاً لا يقدم عليكم منهزماً أبداً. ثم وقف عليهم، فدعا مجزز بن شهاب بن مجير بن سفيان بن خالد بن فخر التميمي فقال له: تخلف في ضعة الناس، ثم سر بهم على مهل، حتى تقدم بهم علي، ثم ناد في أهل القوة: ليتعجل كل ذي قوة معي، اعجلوا إلى أخونكم، فإنهم قد لاقوا عدوهم، وإني لأرجو أن يهلكهم الله قبل أن تصلوا إليهم.

قال: فاستجمع من أهل القوة والشجاعة وأهل الخيل الجياد نحو من سبعمائة، وسار فأسرع، فلما دنا من أبي الرواغ قال أبي الرواغ: هذه غيرة الخيل تقدموا بنا إلى عدونا حتى يقدم علينا الجند، ونحن منهم قريب، فلا يرون أننا نتحينا عنهم ولا هبناهم. قال: فاستقدم أبو الرواغ حتى وقف مقابل المستورد وأصحابه، وغشيه معقل في أصحابه، فلما دنا منهم غربت الشمس ونزل أبو الرواغ، فنزل فصلى بأصحابه ونزل أبو الرواغ فصلى بأصحابه في جانب آخر، وصلى الخوارج أيضاً، ثم إن معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبي الرواغ دعاه فاتاه، فقال له: أحسنت أبا الرواغ! هكذا الظن بك، الصبر والمحافظة. فقال: أصلحك الله! إن لهم شدات منكرات، فلا تكن أنت تليها بنفسك، ولكن قدم بين يديك من يقاتلهم، وكن أنت من وراء الناس رداً لهم، فقال: نعم ما رأيت! فوالله ما كان إلا ريشاً قالها حتى شدوا عليه وعلى أصحابه، فلما غشوه انخفل عنه عامة أصحابه، وثبت ونزل، وقال: الأرض الأرض يا أهل الإسلام! ونزل معه أبو الرواغ الشاكري وناس كثير من الفرسان

أصحابه فقال: إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادة أن تتعجلوا في آثارهم، فتقطعوا وتبددوا، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتم ونصبتم، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله، فخرج بنا من المادائن، فقدم بين يديه أبو الرواغ الشاكري في ثلثمائة فارس، فأتبع آثارهم، فخرج معقل في أثره، فآخذ أبو الرواغ يسأل عنهم، ويركب الوجه الذي أخذوا فيه، حتى عبروا جرجارياً في آثارهم، ثم سلك الوجه الذي أخذوا فيه، فأتبعهم، فلم يزل ذلك دأبه حتى لحقهم بالمذار مقيمين، فلما دنا منهم استشار أصحابه في لقائهم وقاتلهم قبل قدوم معقل عليه، فقال له بعضهم: أقدم بنا عليهم فلنقاتلهم، وقال بعضهم: والله ما نرى أن تعجل إلى قتالهم حتى يأتينا أميرنا، ونلقاهم بجماعتنا.

قال أبو مخنف: فحدثني تليد بن زيد بن راشد الفاشسي أن أباه كان معه يومئذ. قال: فقال لنا أبو الرواغ: إن معقل بن قيس حين سرحني أمامه أمرني أن أتبع آثارهم، فإذا لحقتهم لم أعجل إلى قتالهم حتى يأتيني.

قال: فقال له جميع أصحابه: فالراي الآن بين، تنح بنا فلنكن قريباً منهم حتى يقدم علينا صاحبنا، فتتحينا - وذلك عند المساء - قال: فبتنا ليلتنا كلها متحارسين حتى أصبحنا، فارتفع الضحى، وخرجوا علينا، قال: فخرجنا إليهم وعدتهم ثلثمائة ونحن ثلثمائة، فلما اقتربوا شدوا علينا، فوالله ما ثبت لهم منا إنسان، قال: فانهزمتنا ساعة.

ثم إن أبا الرواغ صاح بنا وقال: يا فرسان السوء، قبحكم الله سائر اليوم! الكرة الكرة! قال: فحمل وحملنا معه، حتى إذا دنونا من القوم كر بنا، فانصرفنا وكروا علينا، وكشفونا طويلاً، ونحن علي خيل معلمة جياد، ولم يصب منا أحد، وقد كانت جراحات يسيرة، فقال لنا أبو الرواغ: لكلتكم أمهاتكم! انصرفوا بنا فلنكر قريباً منهم، لا نزالهم حتى يقدم علينا أميرنا، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش، وقد انهزمتنا من عدونا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكر القتلى.

قال: فقال رجل منا بمجيئه: إن الله لا يستحيي من الحق، قد والله هزمونا، قال أبو الرواغ: لا أكثر الله فينا ضربك! إنا ما لم ندع المعركة فلم نهزم، وإنا متى عطفتنا عليهم وكنا قريباً منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش، ولم نرجع عن وجهنا، إنه والله لو كان يقال: انهزم أبو حمران حمير بن مجير الهمداني، ما باليت، إنما يقال: انهزم أبو الرواغ، فقفوا قريباً، فإن أتوكم فعجزتم عن قتالهم فأنحازوا، فإن حملوا عليكم فعجزتم عن قتالهم فتأخروا وأنحازوا إلى حامية، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا

وأهل الحفاظ نحو مائتي رجل.

قال أبو مخنف: وحدثنني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي قال: إنا لموافقون أول الليل إذا أتانا رجل كنا بعثناه أول الليل، وكان بعض من يمر الطريق قد أخبرنا أن جيشاً قد أقبل إلينا من البصرة، فلم نكثر، وقلنا لرجل من أهل الأرض وجعلنا له جعلاً: اذهب فاعلم هل أتانا من قبل البصرة جيش؟ فجاء ونحن مواقف أهل الكوفة، وقال لنا: نعم، قد جاءكم شريك بن الأعور، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى، ولا أرى القوم إلا نازلين بكم الليلة، أو مصبيحكم غدوة، فأسقط في أيدينا.

وقال المستورد لأصحابه: ماذا ترون؟

قلنا: نرى ما رأيت، قال: فإني لا أرى أن أقيم لهؤلاء جميعاً، ولكن نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه، فإن أهل البصرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة، ولا يتبعنا حينئذ إلا أهل مصرنا فقلنا له: ولم ذاك؟ فقال: قتال أهل مصر واحد أمرون علينا من قتال أهل المصريين، قالوا: سر بنا حيث أحببت، قال: فانزلوا عن ظهور دوابكم فاربحوا ساعة، وأقضموها، ثم انظروا ما أمركم به، قال: فنزلنا عنها، فأقضمناها، قال: وبيننا وبينهم حينئذ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيتهم، قال: فلما أرحناها وأقضمناها أمرنا فاستوتينا على متونها، ثم قال: ادخلوا القرية، ثم اخرجوا من ورائها، وانطلقوا معكم بعلج يأخذ بكم من ورائها، ثم يعود بكم حتى يردكم إلى الطريق الذي منه أقبلتم، ودعوا هؤلاء مكانهم، فإنهم لم يشعروا بكم عامة الليل، أو حتى تصبحوا. قال: فدخلنا القرية وأخذنا علاجاً، ثم خرجنا به أماناً، فقلنا: خذ بنا من وراء هذا الصف حتى نعود إلى الطريق الذي منه أقبلنا. ففعل ذلك، فجاء بنا حتى أقامنا على الطريق الذي منه أقبلنا، فلزمناه راجعين، ثم أقبلنا حتى نزلنا جرجرايا.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، عن أبيه عبد الله عن الحارث، قال: إني أول من فطن لأهلبهم، قال: فقلت: أصلحك الله! لقد رابني أمر هذا العدو منذ ساعة طويلة، فإنهم كانوا موافقين نرى سوادهم، ثم لقد خفي علي ذلك السواد منذ ساعة، وإني الخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليكيديوا الناس، فقال: وما تخاف أن يكون من كيدهم؟ قلت: أخاف أن يبيتوا الناس، قال، والله ما آمن ذلك، قال: فقلت له: فاستعد لذلك، قال: كما أنت حتى أنظر. يا عتاب، انطلق فيمن أحببت حتى تدنو من القرية فتشظّر هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزاً! وسل أهل القرية عنهم.

فخرج في خمس الغزاة يركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلمه، وصاح بأهل القرية، فخرج إليه منهم

فلما غشيه المستورد وأصحابه استقبلوهم بالرماح والسيوف، وانخفلت خيل معقل عنه ساعة، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس - وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدّهم بأساً - فقال: يا أهل الإسلام، أين الفرار، وقد نزل أميركم! ألا تستحيون! إن الفرار غزاة وعار ولؤم، ثم كر راجعاً، ورجعت معه خيل عظيمة، فشددوا عليهم ومعقل بن قيس يضاربهم تحت رايته مع ناس نزلوا معه من أهل الصير، فضربوهم حتى اضطروهم إلى البيوت، ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن تخلف من الناس، فلما أتوهم أنزلهم ثم صف لهم، جعل ميمنة وميسرة، فجعل أبا الرواغ على ميمنته ومحرز بن بجير بن سفيان على مسيرته ومسكين بن عامر على الخيل، ثم قال لهم: لا تبرحوا مصافكم حتى تصبحوا، فإذا أصبحكم ثرنا غلبهم فناجزناهم، فوقف الناس مواقفهم على مصافهم.

قال أبو مخنف: وحدثنني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي، قال: لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد: لا تدعوا معقلاً حتى يعيى لكم الخيل والرجل، وشددوا عليهم شدة صادقة، لعل الله يصرعه فيها. قال: فشددنا عليهم شدة صادقة، فانكشفوا فانقضوا ثم انجلبوا ووثب معقل عن فرسه حين رأى إدبار أصحابه عنه، فرفع رايته معه ناس من أصحابه، فقاتلوا طويلاً، فصبروا لنا، ثم إنهم تداعروا علينا، فغطفوا علينا من كل جانب، فانخرنا حتى جعلنا البيوت في ظهورنا، وقد قاتلناهم طويلاً، وكانت بيننا جراحة وقتل يسير.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، عن أبيه أن عمير بن أبي أشاء الأزدي قتل يومئذ، وكان فيمن نزل مع معقل بن قيس، وكان رئيساً.

قال: وكنت أنا فيمن نزل معه، فوالله ما أنسى قول عمير بن أبي أشاء ونحن نقتل وهو يضاربهم بسيفه قدماً: قد علمت أنني إذا ما اقتسروا عني والثلاث اللثام الوضع أحوس عند الروع ندب أروع

وقاتل قتالاً شديداً ما رأيت أحداً قاتل مثله، فخرج رجالاً كثيراً، وقتل وما أدري أنه قتل، ما عدا واحداً وقد علمت أنه اعتنقه، فخر على صدره فذبحه، فما حز رأسه حتى حمل عليه رجل منهم فطعنه بالرمح في ثغرة نحره فخر عن صدره، وانجدل ميتاً، وشددنا عليهم، وحزناهم إلى القرية، ثم انصرفنا إلى معركتنا، فأتيت وأنا أرجو أن يكون به رمق، فإذا هو قد فاظ، فرجعت إلى أصحابي فوقفت فيهم.

من أخ خيراً! إنما لم نحتاج إلى ذلك، وأما والله إنني أرجو أن لو قد جهدوا لا يفلت منهم غبر.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن أبي أمامة عبيد الله بن جنادة، عن شريك بن الأعور، قال: حدثنا بهذا الحديث شريك بن الأعور. قال: فلما قال: والله إنني لأرجو أن لو جهدوا لا يفلت منهم غبر، كررتها والله له، واشفقت عليه، وحسبت أن يكون شبه كلام البغي، قال: وايم الله ما كان من أهل البغي.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن الحارث الأزدي، قال: لما أتاينا أن المستورد بن علفه وأصحابه قد رجعوا عن طريقهم سررنا بذلك، وقلنا: تبعهم ونستقبلهم بالمداين، وإن دنوا من الكوفة كان أهلك لهم، ودعا معقل بن قيس أبا الرواغ فقال له: اتبعه في أصحابك الذين كانوا معك حتى تحبسه علي حتى الحقك، فقال له: زدني منهم فإنه أقوى لي عليهم إن هم أرادوا منا جزتي قبل قدومك، فإنا كنا قد لقينا منهم برحاً، فزاده ثلثمائة، فاتبعهم في ستمائه، وأقبلوا سراعاً حتى نزلوا جرجرايا، وأقبل أبو الرواغ في إثرهم مسرعاً حتى لحقهم بجرجرايا، وقد نزلوا، فنزل بهم عند طلوع الشمس، فلما نظروا إذا هم بأبي الرواغ في المقدمة، فقال بعضهم لبعض: إن قتالكم هؤلاء أهون من قتال من يأتي بعدهم.

قال: فخرجوا إلينا فأخذوا يخرجون لنا العشرة فرسان منهم والعشرين فارساً، فنخرج لهم مثلهم، فتطارد الخيلان ساعة يتتصف بعضنا من بعض، فلما راوا ذلك اجتمعوا فشدوا علينا شدة واحدة صدقوا فيها الحملة.

قال: فصرفونا حتى تركنا لهم العرصة. ثم إن أبا الرواغ نادى فيهم، فقال: يا فرسان السوء، يا حماة السوء، بش ما قاتلتهم القوم! إليّ إليّ! فالتج غوراً من أمة فارس، فعطف عليهم، وهو يقول:

إن الفتى كل الفتى من لم يهل إذا الجبان حاد عن وقع الأسل  
قد علمت أنني إذا الباس نزل أروع يوم الميخ مقدم بطل  
ثم عطف عليهم فقاتلهم طويلاً، ثم عطف أصحابه من كل جانب، فصدقوهم القتال حتى ردوهم إلى مكانهم الذي كانوا فيه، فلما رأى ذلك المستورد وأصحابه ظنوا أن معقلاً إن جاءهم على تفته ذلك لم يكن دون قتله لهم شيء، فمضى هو وأصحابه حتى قطعوا دجلة، ووقعوا في أرض بهر سير وقطع أبو الرواغ في آثارهم فاتبعهم، وجاء معقل بن قيس فاتبع إثر أبي الرواغ، فقطع في إثره دجلة، ومضى المستورد نحو المدينة العتيقة، وبلغ ذلك سماك بن عبيد، فخرج حتى عبر إليها، ثم خرج

ناس، فسألهم عنهم، فقالوا: خرجوا فلا ندري كيف ذهبوا! فرجع إليه عتاب فأخبره الخبر، فقال معقل: لا آمن البيات، فأين مضر؟ فجاءت مضر فقال: قفوا ها هنا، وقال: أين ربيعة؟ فجعل ربيعة في وجهه وغيماً في وجهه وهمدان في وجهه، وبقيّة أهل اليمن في وجه آخر، وكان كل ربع من هؤلاء في وجه وظهره مما يلي ظهر الربع الآخر، وجال فيهم معقل حتى لم يدع ربعاً إلا وقف عليه، وقال: أيها الناس، لو أتوكم فبدوا بغيركم فقاتلوهم فلا تبرحوا أنتم مكانكم أبداً حتى يأتيتكم أمري، وليغن كل رجل منكم الوجه الذي هو فيه، حتى نصبح فنرى رأينا. فمكثوا متحارسين يخافون بيانهم حتى أصبحوا، فلما أصبحوا نزلوا فصلوا، وأتوا فأخبروا أن القوم قد رجعوا في الطريق الذي أقبلوا منه عودهم على بدهم، وجاء شريك بن الأعور في جيش من أهل البصرة حتى نزلوا بمعقل بن قيس فلقبه، فساءلا ساعة، ثم إن معقلاً قال لشريك: أنا متبع آثارهم حتى أحققهم لعل الله أن يهلكهم، فلاني لا آمن إن قصرت في طلبهم أن يكثروا، فقام شريك فجمع رجلاً من وجوه أصحابه، فيهم خالد بن معدان الطائي وبيس بن صهيب الجرمي، فقال لهم: يا هؤلاء، هل لكم في خير؟ هل لكم في أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة في طلب هذا العدو الذي هو عدو لنا وهم حتى يستأصلهم الله ثم نرجع؟ فقال خالد بن معدان وبيس الجرمي: لا والله، لا نفعل، إنما أقبلنا نحوهم لتنفيهم عن أرضنا، ونمنعهم من دخولها، فإن كفانا الله مئونتهم فإن منصرفون إلى مصرنا، وفي أهل الكوفة من يمنعون بلادهم من هؤلاء الأكلب، فقال لهم: ويحكم! أطيعوني فيهم، فإنهم قوم سوء لكم في قتالهم أجر وحظوه عند السلطان، فقال له بيس الجرمي: نحن والله إذا كما قال أخو بني كنانة.

كمرضة أولاد أخرى وضعت بنها فلم ترقع بذلك مرقعاً أما بلغك أن الأكراد قد كفروا بجهال فارس! قال: قد بلغني، قال: فتأمرنا أن نطلق معك نحمل بلاد أهل الكوفة، ونقاتل عدوهم، ونترك بلادنا، فقال له: وما الأكراد! إنما يكفيكم طائفة منكم، فقال له: وهذا العدو الذي تدبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة، إنهم لعمرى لو اضطروا إلى نصرتنا لكان علينا نصرتهم، ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد، وفي بلادنا فتق مثل الفتق الذي في بلادهم، فليغنوا ما قبلهم، وعلينا أن نغني ما قبلنا، ولعمرى لو أنا أطيناك في اتباعهم فاتبعتهم كنت قد اجترأت على أميرك، وفعلت ما كان ينبغي لك أن تطلع فيه رايه، ما كان ليحتملها لك. فلما رأى ذلك قال لأصحابه: سيروا فارتحلوا، وجاء حتى لقي معقلاً - وكان متحابين على رأي الشيعة متوادين عليه - فقال: أما والله لقد جهدت بمن معي أن يتبعوني حتى أسير معكم إلى عدوكم فغلبوني، فقال له معقل: جزاك الله

ملنا على الناس المتزحلين والمتقدمين، فحملنا عليهم حتى فرقنا بينهم ثم أقبلنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جشاة على الركب على حالهم التي كانوا عليها، فحملنا عليهم، فلم يتحلحسوا، ثم حملنا عليهم أخرى، ففعلوا مثلها، فقال لنا المستورد: نازلوهم، لينزل إليهم نصفكم، فنزل نصفنا، وبقي نصفنا معه على الخيل، وكنت في أصحاب الخيل.

قال: فلما نزل إليهم رجالتنا قاتلتهم، وأخذنا نحمل عليهم بالخيـل، وطمعنا والله فيهم. قال: فوالله إنا لنقاتلهم ونحن نرى أن قد علوانهم إذ طلعت علينا مقدمة أصحاب أبي الرواغ، وهم حر أصحابه وفرسانهم، فلما دنوا منا حلوا علينا، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبهم. قال: فما علمته نجا منهم يومئذ أحد غيري. قال: وإني أحذتهم رجلاً فيما أرى.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي، قال: وحدثنا بهذا الحديث مرتين من الزمن، مرة في إمارة مصعب بن الزبير بياجميراً، ومرة ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم. قال: فقتل والله يومئذ بدير الجماجم يوم الهزيمة، وإنه لمقبل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه، قال: فقلت له بدير الجماجم: إنك قد حدثني بهذا الحديث بياجميراً مع مصعب بن الزبير، فلم أسألك كيف لمجوت من بين أصحابك؟ قال: أحدثك، والله إن صاحبنا لما أصيب قتل أصحابه إلا خمسة نفر أو ستة، قال: فشددنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلاً، فأنكشوا.

قال: وانتهيت إلى فرس واقف عليه سرجه ولبامه، وما أدري ما قصة صاحبه أقتل أم نزل عنه صاحبه بقاتل وتركه! قال: فأقبلت حتى أخذت بلجامه، وأضع رجلي في الركاب وأستوي عليه. قال: وشد والله أصحابه علي، فانتهوا إليّ، وغمزت في جنب الفرس، فإذا هو والله أجود ما سخر، وركض منهم ناس في أثري فلم يعلقوا بي، فأقبلت أركض الفرس، وذلك عند المساء، فلما علمت أنني قد فتهم وأمنت، أخذت أسير عليه خيياً وتقريباً. ثم إنني سرت عليه بذلك من سيره. ولقيت علجاً فقلت له: اسع بين يدي حتى تخرجني الطريق الأعظم، طريق الكوفة، ففعل، فوالله ما كانت إلا ساعة حتى انتهيت إلى كوشى، فجئت حتى انتهيت إلى مكان من النهر واسع عريض، فأقحمت الفرس فيه، فعبته، ثم أقبلت عليه حتى أتى دير كعب، فنزلت فعقلت فرسي وأرخته وهومت تهوية، ثم إنني هببت سريعاً، فحلت في ظهر الفرس، ثم سرت في قطع من الليل فاتخذت بقية الليل جلاً، فصليت الغداة بالمزاحمية على رأس فرسخين من قبين، ثم

بأصحابه وبأهل المداين، فصف على بابها، وأجلس رجالاً رماة على السور، فبلغهم ذلك، فانصرفوا حتى نزلوا ساباط، وأقبل أبة الرواغ في طلب القوم حتى مر بسماك بن عبيد بالمداين. فخبـره بوجههم الذي أخذوا فيه، فاتبعهم حتى نزل بهم ساباط.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي، قال: لما نزل بنا أبو الرواغ دعا المستورد أصحابه، فقال: إن هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبي الرواغ هم حر أصحاب معقل، ولا والله ما قدم إليكم إلا حماته وفرسانه، والله لو أعلم أنني إذا بادرت أصحابه هؤلاء إليهم أدركته قبل أن يفارقوه بساعة لبادرتهم إليهم، فليخرج منكم خارج فيسال عن معقل أين هو؟ وأين بلغ؟ قال: فخرجت أنا فاستقبلت علجاً أقبلوا من المداين، فقلت لهم: ما بلغكم عن معقل بنت قيس؟ قالوا: جاء فيج لسماك بن عبيد من قبله كان سرحه ليستقبل معقلاً فينظر أين انتهى؟ وأين يريد أن ينزل؟ فجاءه فقال: تركته نزل ديلمايا - وهي قرية من قرى إستان بهر سير إلى جانب دجلة، وكانت لقدامه بن العجلان الأزدي - قال له: كم بيننا وبينهم من هذا المكان؟ قالوا: ثلاثة فراسخ، أو نحو ذلك.

قال فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، فقال لأصحابه: اركبوا، فركبوا، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر ساباط - وهو جسر نهر الملك، وهو من جانبه الذي يلي الكوفة - وأبو الرواغ وأصحابه مما يلي المداين، قال: فجتنا حتى وقفنا على الجسر، قال: ثم قال لنا: لتنزل طائفة منكم: قال: فنزل منا نحو من خمسين رجلاً، فقال: اقطعوا هذا الجسر، فنزلنا فقطعناه، قال: فلما رأونا وقفوا على الخيل ظنوا أننا نريد أن نعب إليهم، قال: فصفوا لنا، وتعبوا، واشتغلوا بذلك عنا في قطعنا الجسر.

ثم إننا تأخذنا من أهل ساباط دليلاً فقلنا له: احضر بين أيدينا حتى تنتهي إلى ديلمايا، فخرج بين أيدينا يسعي، وخرجنا تلمع بنا خيلتنا، فكان الحبيب والوجيف، فما كان إلا ساعة حتى أطللنا على معقل وأصحابه وهو يتحملون، فما هو إلا أن بصر بنا وقد تفرق أصحابه عنه، ومقدمته ليست عنده، وأصحابه قد استقدم طائفة منهم، وطائفة تزحل، وهم غارون لا يشعرون.

فلما رأنا نصب رايته، ونزل ونادى: يا عباد الله، الأرض الأرض! فنزل معه نحو من مائتي رجل، قال: فأخذنا نحمل عليهم فيستقبلونا بأطراف الرماح جشاة على الركب فلا نقدر عليهم. فقال لنا المستورد: دعوا هؤلاء إذا نزلوا وشدوا على خيلهم حتى تحولوا بينها وبينهم، فإنكم إن أصبتم خيلهم فإنهم لكم عن ساعة جزر، قال: فشددنا على خيلهم، فحملنا بينهم وبينها، وقطعنا أعنتها، وقد كانوا قرونوا، فذهب في كل جانب، قال: ثم

فصحبنا بأهل القرية، قال: فجاؤوا سراعاً: فقلنا لهم: عجلوا عقد الجسر، واستحثناهم فما لبثوا أن فرغوا منه، ثم عبرنا عليه، فاتبعناهم سراعاً ما تلوي على شيء، فلزمنا آثارهم، فوالله ما زلنا نسأل عنهم، فيقال: هم الآن أمامكم، لحقتموهم، ما أقربكم منهم، فوالله ما زلنا في طلبهم حرصاً على لحاقهم حتى كان أول من استقبلنا من الناس فلهم وهم منهزمون لا يسوي أحد على أحد. فاستقبلهم أبو السرواغ، ثم صاح بالناس: إلي إلي، فأقبل الناس إليه، فلاذوا به فقال: ويلكم ما وراءكم؟ فقالوا: لا ندري، لم يرعنا إلا والقوم معنا في عسكرنا ونحن متفرون، فشدوا علينا، ففرقوا بيننا، قال: فما فعل الأمير؟ فقالوا يقول: نزل وهو يقاتل، وقاتل يقول: ما نراه إلا قاتل، فقال لهم: أيها الناس، ارجعوا معي، فإن ندرك أميرنا حياً نقاتل معه، وإن نجده قد هلك قاتلناهم، فنحن فرسان أهل المصر المنتخبون لهذا العدو، فلا يفسدون فيكم رأي أميركم بالمصر، ولا رأي أهل المصر، وإيم الله لا ينبغي لكم إن عابتموه وقد قتلوا معقلاً أن تفارقوهم حتى تبيروهم أو تباروا، سيروا على بركة الله. فساروا وسرنا، فأخذ لا يستقبل أحداً من الناس إلا صاح به ورده، ونادى وجوه أصحابه وقال: اضربوا وجوه الناس وردوهم. قال: فأقبلنا نرد الناس حتى انتهينا إلى العسكر، فإذا نحن براهبة معقل بن قيس منصوبة، فإذا معه مائتا رجل أو أكثر فرسان الناس ووجوههم ليس فيهم إلا راجل، وإذا هم يقتلون أشد قتال سمع الناس به، فلما طلعتنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلنون أصحابنا، وإذا أصحابنا على ذلك صابرون يجالدونهم، فلما رأونا كروا ثم شدوا على الخوارج، فارتفعت الخوارج عنهم غير بعيد، وانتهينا إليهم، فنظر أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يذمر أصحابه ويحرضهم، فقال له: أحي أنت فذاك عمي وخالي! قال: نعم، فشد القوم، فنادى أبو الرواغ أصحابه: ألا ترون أميركم حياً! شدوا على القوم، قال: فحمل وحملنا على القوم بأجمعنا، قال: فصدنا خيلهم صدمة منكراً، وشد عليهم معقل وأصحابه.

فنزول المستورد، وصاح بأصحابه: يا معشر الشراة، الأرض الأرض، فإنها والله الجنة! والذي لا إله غيره لمن قتل صادق النية في جهاد هؤلاء الظلمة وجلاهم، فتنزلوا من عند آخرهم، فنزلنا من عند آخرنا، ثم مضينا إليه منصلتين بالسيوف، فاضطربنا بها طويلاً من النهار كاشد قتال اقتله الناس قط، غير أن المستورد نادى معقلاً فقال: يا معقل، ابرز لي، فخرج إليه معقل، فقلنا له: ننشدك أن تخرج إلى هذا الكلب الذي قد آيسه الله من نفسه! قال: لا والله لا يدعوني رجل إلى مبارزة أبداً فأكون أنا الناكل، فمشي إليه بالسيف، وخرج الآخر بالرمح، فناديناه أن ألقه برمح مثل رمحه، فأبى، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتى

أقبلت حتى أدخل الكوفة حين متع الضحى، فأتى من ساعتي شريك بن ثملة المحاربي، فأخبرته خبري وخبر أصحابه، وسأله أن يلقي المغيرة بن شعبة فيأخذ لي منه أماناً، فقال لي: قد أصبت الأمان إن شاء الله، وقد جئت ببشارة، والله لقد بث الليلة وإن أمر الناس ليهمجي.

قال: فخرج شريك بن ثملة المحاربي حتى أتى المغيرة مسرعاً فاستأذن عليه، فأذن له، فقال: إن عندي بشري، ولي حاجة، فاقض حاجتي حتى أبشرك بشارتي، فقال له: قضيت حاجتك، فهات بشراك، قال: تؤمن عبد الله بسن عقبة الغسوري، فإنه كان مع القوم، قال: قد أمته، والله لوددت أنك أتيتني بهم كلهم فأمتهم. قال: فأبشر، فإن القوم كلهم قد قتلوا، وكان صاحبي مع القوم، ولم ينج منهم فيما حدثني غيره. قال: فما فعل معقل بن قيس؟ قال: أصلحك الله! ليس له بأصحابنا علم.

قال: فما فرغ من منطقة حتى قدم عليه أبو الرواغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشرين بالفتح، فأخبروا أن معقل بن قيس والمستورد بن علفة مشى كل واحد منهما إلى صاحبه، بيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف، فالتقيا، فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أم الدماغ، فغرا ميتين.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما رأينا المستورد بن علفة وقد نزلنا به سباط أقبل إلى الجسر فقطعه، كنا نظن أنه يريد أن يعبر إلينا. قال: فارتفعنا عن مظلم سباط إلى الصحراء التي بين المداين وسباط فتعبنا وتهينا، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا. قال: فقال أبو الرواغ: إن هؤلاء لثأناً، ألا رجل يعلم لنا علم هؤلاء؟ فقلت: أنا ووهيب بن أبي أشاء الأزدي: نحن نعلم لك علم ذلك، ونأتيك بخبرهم، فقربنا على فرسينا إلى الجسر فوجدناه مقطوعاً، فظننا القوم لم يقطعوه إلا هبة لنا ورعباً منا، فرجعنا نركض سراعاً حتى انتهينا إلى صاحبنا، فأخبرناه بما رأينا، فقال: ما ظنكم؟ قال: فقلنا: لم يقطعوا الجسر إلا هيبتنا ولما أدخل الله في قلوبهم من الرعب منا. قال: لعمرى ما خرج القوم وهم يريدون الفرار، ولكن القوم قد كادوك، أنسمعوا! والله ما أراهم إلا قالوا: إن معقلاً لم يبعث إليكم أبا الرواغ إلا في حر أصحابه، فإن استعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا، وجدوا في السير نحو معقل وأصحابه، فإنكم تجدونهم غارين آمين إن تأتوهم، فقطعوا الجسر لكيما يشغلوك به عن لحاقكم إياهم حتى يأتوا أميركم على غرة، النجاء النجاء في الطلب!

قال: فوقع في أنفسنا أن الذي قال لنا كما قال. قال:

وثاب عليها، وقاف عند المهالك، أنفذ بالسرية، وأقسم بالسوية، أنشدكم بالله من كان يعرف ذلك مني لما صدقني! قال أصحابه حول المنبر: صدقت، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ممن نشدت فقل بما تعلم، قال: صدقت.

قال علي: أخبرنا شيخ من بني تميم يقال له معمر، عن بعض أهل العلم أن قيس بن الهيثم قدم على ابن عامر من خراسان مراغماً لابن خازم، قال: فضربه ابن عامر مائة وحلقه وحبسه، قال: فطلبت إليه أمه، فأخرجته.

وحج بالناس في هذه السنة - فما قيل - مروان بن الحكم، وكان على المدينة، وكان على مكة خالد بن العاصم بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح، وعلى البصرة وفارس وسجستان وخراسان عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عمير بن يثرب.

خرج سنان الرمح من ظهره، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أم الدماغ، فوقع ميتاً، وقتل معقل، وقال لنا حين برز إليه: إن هلكت فأسيركم عمرو بن محرز بن شهاب السعدي ثم المنقري: قال: فلما هلك أخذ الراية عمرو بن محرز، وقال عمرو: إن قتلتم فعليكم أبو الرواغ، فإن قتل أبو الرواغ فأسيركم مسكين بن عامر بن أنيف، وإنه يومئذ لفتى حدث، ثم شد برايته، وأمر الناس أن يشدوا عليهم، فما لبثوهم أن قتلوهم.

### ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان

وما كان في هذه السنة تولية عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم بن ظبيان خراسان وانصرف قيس بن الهيثم عنه، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر أبو مخنف عن مقاتل بن حيان - أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج، فأراد أن يعزله، فقال له ابن خازم: ولبي خراسان فأكفيكها وأكفيك قيس بن الهيثم، فكتب له عهده أو هم بذلك، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به وإسكاه عن الهدية، وأنه قد ولي ابن خازم، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه، فترك خراسان، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضباً، وقال: ضيعت الثغر! فضربه وحبسه، وبعث رجلاً من بني يشكر على خراسان.

قال أبو مخنف: بعث ابن عامر أسلم بن زرعة الكلابي حين عزل قيس ابن الهيثم، قال علي بن محمد: أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي، عن أشياخه، أن ابن عامر استعمل قيس بن الهيثم على خراسان أيام معاوية، فقال له ابن خازم: إنك وجهت إلى خراسان رجلاً ضعيفاً، وإنني أخاف إن بقي حرباً أن يتهزم بالناس، فتهلك خراسان، وتفتضح أخوالك. قال ابن عامر: فما الرأي؟ قال: تكتب لي عهداً: إن هو انصرف عن عدوك فمت مقامه. فكتب له، فجاشت جماعة من طخارستان، فساور قيس ابن الهيثم فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع إليه أطرافه، فانصرف، فلما سار من مكانه مرحلة أو مرحلتين أخرج ابن خازم عهده، وقام بأمر الناس، ولقي العدو فهزمهم، وبلغ الخبر المصريين والشام فغضب القيسية وقالوا: خدع قيساً وابن عامر، فأكثروا في ذلك حتى شكوا إلى معاوية، فبعث إليه فقدم، فاعتذر بما قيل فيه، فقال له معاوية: قم فاعتذر إلى الناس غداً، فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال: إني قد أمرت بالخطبة، ولست بصاحب كلام، فاجلسوا حول المنبر، فإذا تكلمت فصدقوني، فقام من الغد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنما يتكلف الخطبة إمام لا يجد منها بداً، أو أحق يهمر من رأسه لا يبالي ما خرج منه، ولست بواحد مهما، وقد علم من عرفني أنني بصير بالفرس.



## السنة الرابعة والأربعون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكما كان فيها من ذلك دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومشتاهم بها، وغزو بسر بن أبي أرطاة البحر.

## عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة.

## ذكر الخبر عن سبب عزله:

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلاً ليناً كريماً، لا يأخذ على أيدي السفهاء، ففسدت البصرة بسبب ذلك أيام عمله بها لمعاوية.

فحدثني عمر بن شبة، قال: أخبرنا يزيد الباهلي، قال: شكنا ابن عامر إلى زياد فساد الناس وظهور الخبيث، فقال: جرد فيهم السيف، فقال: إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي.

حدثني عمر، قال أبو الحسن: كان ابن عامر ليناً سهلاً، سهل الولاية، لا يعاقب في سلطانه، ولا يقطع لصاً، فقبل له في ذلك، فقال: أنا أتألف الناس، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعت أباه وأخاه!

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا مسلمة بن محارب، قال: وفد ابن الكواء، واسم ابن الكواء عبد الله بن أبي أوفى إلى معاوية، فسأله عن الناس، فقال ابن الكواء: أما أهل البصرة فقد غلب عليها سفهاؤها، وعاملها ضعيف، فبلغ ابن عامر قول ابن الكواء، فاستعمل طفيل ابن عوف يشكري على خراسان، وكان الذي بينه وبين ابن الكواء متباعدًا، فقال ابن الكواء: إن ابن دجاجة لقليل العلم في، أظن أن ولاية طفيل خراسان تسوؤني! لوددت أنه لم يبق في الأرض يشكري إلا عاداني، وأنه ولاهم. فعزل معاوية ابن عامر، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدي. قال: وقال القحزمي: قال ابن عامر: أي الناس أشد عداوة لابن الكواء؟ قالوا: عبد الله بن أبي شيخ، فولاه خراسان، فقال ابن الكواء ما قال.

وذكر عن عمر، عن أبي الحسن، عن شيخ من ثقيف وأبي عبد الرحمن الإصبهاني، أن ابن عامر أوفد إلى معاوية وفداً،

فوافقوا عنده وفد أهل الكوفة، وفيهم ابن الكواء يشكري، فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصة، فقال له ابن الكواء: يا أمير المؤمنين، إن أهل البصرة أكلهم سفهاؤهم، وضعف عنهم سلطانهم، وعجز ابن عامر وضعفه.

فقال له معاوية: تكلم عن أهل البصرة وهم حضورا!

فلما انصرف الوفد إلى البصرة بلغوا ابن عامر ذلك، فغضب، فقال: أي أهل العراق أشد عداوة لابن الكواء! فقيل له: عبد الله بن أبي شيخ يشكري، فولاه خراسان، وبلغ ابن الكواء ذلك فقال ما قال.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: لما ضعف ابن عامر عن عمله، وانتشر الأمر بالبصرة عليه، كتب إليه معاوية يستزيه، قال عمر: فحدثني أبو الحسن أن ذلك كان في سنة أربع وأربعين، وأنه استخلف على البصرة قيس بن الهيثم، فقدم على معاوية، فردّه على عمله، فلما ودعه قال له معاوية: إني سائلك ثلاثاً، فقل: هن لك. قال: هن لك وأنا ابن أم حكيم، قال: ترد علي عملي. ولا تغضب، قال: قد فعلت، قال: وتهب لي مالك بعرفة، قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دورك بمكة، قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم! قال: فقال ابن عامر: يا أمير المؤمنين، إني سائلك ثلاثاً فقل: هن لك، قال: هن لك وأنا ابن هند، قال: ترد علي مالي بعرفة، قال: قد فعلت، قال: ولا تحاسب لي عاملاً، ولا تتبع لي أثراً قال: قد فعلت، قال: وتكحني ابتك هنداً، قال: قد فعلت.

قال: ويقال: إن معاوية قال له: اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك، وأردك إلى عملك، وبين أن أسوغك ما أصبت، وتعتزل، فاختر أن يسوغه ذلك ويعتزل.

## استلحاق معاوية نسب زياد ابن سمية بأبيه

وفي هذه السنة استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان فيما قيل.

حدثني عمر بن شبة، قال: زعموا أن رجلاً من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية، فقال لزياد: إن لابن عامر عندي بدءاً، فإن أذنت لي أتيته، قال: على أن تحدثني ما يجري بينك وبينه، قال: نعم، فأذن له فأتاه، فقال له ابن عامر: هيه! وابن سمية يقبح آثاره، ويعرض بعناني! لقد هممت أن آتي بقسامة من قريش يخلفون أن أبا سفيان لم ير سمية، قال: فلما رجع سأله زياد، فأبى أن يخبره، فلم يدعه حتى أخبره، فأخبر ذلك زياد معاوية، فقال معاوية لحاجبه: إذا جاء ابن عامر فاضرب وجهه دابته عن أقصى الأبواب، ففعل ذلك به، فأتى ابن عامر يزيد،

فشكا إليه ذلك، فقال له: هل ذكرت زياداً؟ قال: نعم، فركب معه يزيد حتى أدخله، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل، فقال يزيد لابن عامر: اجلس فكم عسى أن تقعد في البيت عن مجلسه! فلما أطالا خرج معاوية وفي يده قضيب يضرب به الأبواب، ويتمثل: لنا سياق ولكم سياق قد علمت ذلكم الرفاق ثم قعد فقال: يا ابن عامر، أنت القاتل في زياد ما قلت! أما والله لقد علمت العرب أنني كنت أعزها في الجاهلية، وإن الإسلام لم يزدني إلا عزاً، وأني لم أتكثر بزياد من قلة، ولم أتعزز به من ذلة، ولكن عرفت حقاً له فوضعت موضعه، فقال: يا أمير المؤمنين، نرجع إلى ما يحب زياد، قال: إذا نرجع إلى ما تحب، فخرج ابن عامر إلى زياد فترضاه.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثني عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثني عمرو بن هاشم، عن عمر بن بشير الهمداني، عن أبي إسحاق، أن زياداً لما قدم الكوفة، قال: قد جئتكم في أمر ما طلبته إلا إليكم، قالوا: ادعنا إلى ما شئت، قال: تلحقون نسيي بمعاوية، قالوا: أما بشهادة الزور فلا، فأتي البصرة، فشهد له رجل.

وحج بالناس في هذه السنة معاوية.

وفيها عمل مروان المقصورة، وعملها - أيضاً فيما ذكر - معاوية بالشام.

وكانت العمال في الأمصار فيها العمال الذين ذكرنا قبل أنهم كانوا العمال في سنة ثلاث وأربعين.

وسلمت، فتمثل:

يمثلي فافزعي يا أم عمرو إذا ما هاجني السفر النعور  
أذهب إلى ابن سمية فرحلته حتى لا يصبح إلا من وراء  
الجرس. فخرجنا فائتينا زياداً، فأخرجنا حتى طرحناه من وراء  
الجرس قبل أن يصبح.

فحدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثني مسلمة  
والهذلي وغيرهما أن معاوية استعمل زياداً على البصرة وخراسان  
وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وقدم البصرة في  
آخر شهر ربيع الآخر - أو غرة جمادى الأولى - سنة خمس،  
والفسق بالبصرة ظاهر، فاش، فخطب خطبة بترأه لم يحمد الله  
فيها، وقيل: بل حمد الله فقال.

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه،  
اللهم كما رزقتنا نعماً، فالهنا شكرأ على نعمتك علينا.

أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر  
الموقد لأهله النار، الباقي عليهم سعيها، ما يأتي سفهاؤكم،  
ويشتمل عليه حلماءكم، من الأمور العظام، نبت فيها الصغير،  
ولا يتحاشى منها الكبير، كأن لم تسمعوا بآي الله، ولم تقرأوا  
كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل  
طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمذ الذي لا  
يزول. أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه  
الشهوات، واختار القانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم  
في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا به، من ترككم هذه المواخير  
المصوبة، والضعيفة المسلوقة، في النهار المبصر، والعدد غير قليل!  
لم تكن منكم نهاية تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار! قربتم  
القربة، وباعدم الدين، تعذرون بغير العذر، وتغطون على  
المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف  
عقاباً، ولا يرجو معاداً. ما أتمم بالعلماء، ولقد اتبعتم السفهاء،  
ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم  
الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكائس الريب. حرم علي  
الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً. إني رأيت  
آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف،  
وشدة في غير جبرية وعنف. وإني أقسم بالله لأخذن الولي  
بالولي، والمقيم بالطاعن، والمقبل بالمدير، والصحيح منكم  
بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد  
هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة المنبر تبقى مشهورة،  
فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها  
مني فاعتموها في واعلموا أن عندي أمثالاً من يبت منكم فأننا  
ضامن لما ذهب له. إياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا

## السنة الخامسة والأربعون

### ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي  
فيها على البصرة.

فحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: عزل  
معاوية ابن عامر وولي الحارث بن عبد الله الأزدي البصرة في  
أول سنة خمس وأربعين، فأقام بالبصرة أربعة أشهر، ثم عزله.  
قال: وقد قيل: هو الحارث بن عمرو وابن عبد عمرو، وكان من  
أهل الشام، وكان معاوية عزل ابن عامر ليولي زياداً، فولى  
الحارث كالفارس المحلل، فولى الحارث شرطته عبد الله بن عمرو  
بن غيلان الثقفي، ثم عزله معاوية وولاه زياداً.

### ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا بعض أهل  
العلم أن زياداً لما قدم الكوفة ظن المغيرة أنه قدم والياً على  
الكوفة، فأقام زياد في دار سلمان بن ربيعة الباهلي، فأرسل إليه  
المغيرة وائل بن حجر الحضرمي أباهنيدة، وقال له: أعلم لي  
علمه. فأنه فلم يقدر منه على شيء، فخرج من عنده يريد  
المغيرة، وكان زاجراً، فرأى غراباً ينق، فرجع إلى زياد فقال: يا أبا  
المغيرة، هذا الغراب يرحلك عن الكوفة. ثم رجع إلى المغيرة،  
وقدم رسول معاوية على زياد من يومه: أن سر إلى البصرة.

وأما عبد الله بن أحمد المرزوي فحدثني، قال: حدثني أبي،  
قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن إسحاق - يعني  
ابن يحيى - عن معبد بن خالد الجدلي، قال: قدم علينا زياد -  
الذي يقال له ابن أبي سفيان - من عند معاوية، فنزل دار سلمان  
بن ربيعة الباهلي ينتظر أمر معاوية. قال: فبلغ المغيرة بن شعبة -  
وهو أمير على الكوفة - أن زياداً ينتظران تحييء إمارته على  
الكوفة، فدعا قطن بن عبد الله الحارثي فقال: هل فيك من خير؟  
تكفيني الكوفة حتى أتيتك من عند أمير المؤمنين، قال: ما أنا  
بصاحب ذا، فدعا عتيبة بن النعمان العجلي، فعرض عليه فقبل،  
فخرج المغيرة إلى معاوية، فلما قدم عليه سأل أنه يعزله، وأن  
يقطع له منازل بقرقيسيا بين ظهري قيس، فلما سمع بذلك  
معاوية خاف باثقتة، وقال: والله لترجعن إلى عملك يا أبا عبد  
الله. فأبى عليه، فلم يزد ذلك إلا تهمة، فردّه إلى علمه، فطرقنا  
ليلاً، وإني لفوق القصر أحرسه، فلما قرع الباب أنكرناه، فلما  
خاف أن ندلي عليه حجراً تسمى لنا، فنزلت إليه فرجبت له

حدثني عمر، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: سمعت من يخبر عن الشعبي، قال: ما سمعت متكلماً قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً أن يسيء إلا زياداً، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن مسلمة قال: استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن، فأمهل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة، وعاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلي ثم يصلي، يأمر رجلاً فيقرأ سورة البقرة ومثلها، يترتل القرآن، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنساناً يبلغ الخربة، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج ولا يرى إنساناً إلا قتله. قال: فأخذ ليلة أعرايياً، فأتي به زياداً فقال: هل سمعت النداء؟ قال: لا والله، قدمت مجلوبة لي، وغشيتني الليل، فاضطرتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا علم لي بما كان من الأمر. قال: أظنك والله صادقاً، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة، ثم أمر به فضربت عنقه.

وكان زياد أول من شد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وجرد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً، حتى أمن الناس بعضهم بعضاً، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهاب الناس هبة لم يهابوها أحد قبله، وأدر العطاء، وبنى مدينة الرزق.

قال: وسمع زياد جرساً من دار عمير، فقال: ما هذا؟ فقيل: محترس. قال: فليكنف عن هذا، أنا ضامن لما ذهب له، ما أصاب من إصطخر.

قال: وجعل زياد الشرط أربعة آلاف، عليهم عبد الله بن حصن، أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن، والجعد بن قيس النميري صاحب طاق الجعد، وكانا جميعاً على شرطه، فبينما زياد يوماً يسير وهما بين يديه يسيران مجرتين، تنازعا بين يديه، فقال زياد: يا جعد، ألق الخربة، فألقاها، وثبت ابن حصن على شرطه حتى مات زياد.

وقيل: إنه ولي الجعد أمر الفساق، وكان يتبعهم، وقيل لزياد: إن السبل خوفاً، فقال: لا أعاني شيئاً سوى المصر حتى أغلب على المصر وأصلحه، فإن غلبني المصر فغيره أشد غلبة، فلما ضبط المصر تكلف ما سوى ذلك فأحكمه. وكان يقول: لو ضاع جبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه.

وكتب خمسمائة من مشيخة أهل البصرة في صحابته،

سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إلي. وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوماً غرقته، ومن حرق على قوم حرقناه، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفوا عني أيديكم والمستكم أكفف يدي وأذاي، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه.

وقد كانت بيني وبين أقوام إحن، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزيد إحساناً، ومن كان مسيئاً فليتزع عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له ستر، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أنظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتس بقدمونا سيسر، ومسرور بقدمونا سيبتس.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي حولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفينا بمناصحتكم. واعلموا أنني مهما قصرت عنه فإني لا أقصر عن ثلاث: لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتانني طارقاً بليل، ولا حاسباً رزقاً ولا عطاء عن إتيائه، ولا مجمرأ لكم بعثاً. فادعوا الله بالصلاح لأنتمكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى تصلحوا يصلحوا. ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدرکوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم كان شراً لكم.

أسأل الله أن يعين كلاً على كل، وإذا رايتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.

قال: فقام عبد الله بن الأهمم فقال: أشهد أيها الأمير أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب، فقال: كذبت، ذاك نبي الله داود عليه السلام.

قال الأحنف: قد قلت فأحسن أيها الأمير، والثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نشئ حتى نتلى، فقال زياد: صدقت.

فقام أبو بلال مرداس بن أدية بهمس وهو يقول: أئبأ الله بغير ما قلت، قال الله عز وجل: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. ألا تَسْزُرُ وَأَزْرَهُ وَزَرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، فأوعدنا الله خيراً مما واعدت يا زياد، فقال زياد: إنا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلاً حتى نخوض إليها الدماء.

فرزقهم ما بين الثلثمائة إلى الخمسمائة، فقال فيه حارثة بن بدر الغداني:

ألا من مبلغ عني زياداً      فنعلم أخو الخليفة والأمير!  
فأنت إمام مدللة وقصد      وحزم حين تحضرك الأمور  
أخوك خليفة الله ابن حرب      وأنت وزيره، نعم الوزير!  
تصيب على الهوى منه وتأتي      عبك ما يجين لنا الضمير  
بأمر الله منصور معان      إذا جبار الرعية لا تجور  
يدر على يديك لما أرادوا      من الدنيا لهم حلب غزير  
وتقسم بالسواء فلا غني      لضيم يشتكك ولا فقير  
وكنت حياً وجئت على زمان      خيبت، ظاهر فيه شرور  
تقاسمت الرجال به هواها      فما تخفي ضغائنها الصدور  
وخاف الحاضرون وكل باد      يقيم على المخافة أو يسير  
فلما قام سيف الله فيهم      زياد قام أبلج مستبصر  
قوي لا من الحدثان غر      ولا جزع ولا فان كبير

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: استعان زياد بعدة من أصحاب النبي ﷺ، منهم عمران بن الحصين الخزاعي ولاء قضاء البصرة، والحكم بن عمرو الغفاري ولاء خراسان، وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سمرة، فاستعاه عمران فأعفاه. واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي، ثم أخاه عاصم بن فضالة، ثم زرارة بن أوفى الحرشي، وكانت أخته لبابة عند زياد.

وقيل: إن زياداً أول من سير بين يديه بالخراب، ومشى بين يديه بالعمد، واتخذ الحرس رابطة خمسمائة، واستعمل عليهم شيبان صاحب مقبرة شيبان، من بني سعد، فكانوا لا يبرحون المسجد.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: جعل زياد خراسان أرباعاً، واستعمل على مرو أمير بن أحمير الشكري، وعلى أبر شهر خليل بن عبد الله الحنفي، وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة وباذغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي.

حدثني عمر، قال: حدثنا مسلمة بن محارب وابن أبي عمرو، شيخ من الأزدي، أن زياداً عتب على نافع بن خالد الطاحي، فحبسه، وكتب عليه كتاباً بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف، وكان سبب موجدته عليه أنه بعث بخوان بازهر قوائمه منه، فأخذ نافع قائمه، وجعل مكانها قائمة من ذهب، وبعث بالخوان إلى زياد مع غلام له يقال له زيد، كان قيمه على أمره كله، فسمي زيد بنافع، وقال لزياد: إنه قد خانتك، وأخذ قائمة من قوائم الخوان، وجعل مكانها قائمة من ذهب، قال:

فعمى رجال من وجوه الأزدي، فيهم سيف بن وهب الموالي، وكان شريفاً، وله يقول الشاعر:

اعمد بسيف للسماحة والندى      واعمد بصبرة للفعال الأعظم  
قال: فدخلوا على زياد وهو يستاك، فتمثل زياد حين رأيهم:

أذكر بنا موقف أفراسنا      بالخنو إذ أنست إلينا فقير  
قال: وأما الأزدي فيقولون: بل تمثل سيف بن وهب أبو طلحة الموالي بهذا البيت حين دخل على زياد، فقال: نعم. قال: وإنما ذكره أيام أجاره صبرة، فدعا زياد بالكتاب فمحاه بسواكه وأخرج نافعاً.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، عن مسلمة، أن زياداً عزل نافع بن خالد الطاحي وخليد بن عبد الله الحنفي وأمير بن أحمير الشكري، فاستعمل الحكم بن عمرو بن مجد بن حذيم بن الحارث بن نعيمة بن مليك - ونعيمة أخو غفار بن مليك - ولكنهم قليل، فصاروا إلى غفار.

قال مسلمة: أمر زياد حاجبه فقال: ادع لي الحكم - وهو يريد الحكم ابن أبي العاص الثقفي - فخرج الحاجب فرأى الحكم بن عمرو الغفاري فأدخله، فقال زياد: رجل له شرف وله صجة من رسول الله ﷺ، فعقد له على خراسان، ثم قال له: ما أردت، ولكن الله عز وجل أرادك.

حدثني عمر قال: حدثنا علي قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي ومحمد بن الفضل، عن أبيه، أن زياداً لما ولي العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان، وجعل معه رجلاً على كور، وأمرهم بطاعته، فكانوا على جباية الخراج، وهم أسلم بن زرعة، وخليد بن عبد الله الحنفي، ونافع بن خالد الطاحي، وربيع بن عسل اليربوعي، وأمير بن أحمير الشكري، وحاتم بن النعمان الباهلي، فمات الحكم بن عمرو، وكان قد غزا طخارستان، فغنم غنائم كثيرة، واستخلف أنس بن أبي أناس بن زعيم، وكان كتب إلى زياد: إني قد رضيت الله وللمسلمين ولك، فقال زياد: اللهم إني لا أرضاه لدينك ولا للمسلمين ولا لي.

وكتب زياد إلى خليل بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي إلى خراسان في خمسين ألفاً، من البصرة خمسة وعشرين ألفاً، ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفاً، على أهل البصرة الربيع، وعلى أهل الكوفة عبد الله بن أبي عقيل، وعلى الجماعة الربيع بن زياد.

وقيل: حجج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وهو على المدينة، وكانت الولاة والعمال على الأمصار في هذه السنة من تقدم ذكره قبل، المغيرة ابن شعبة على الكوفة، وشريح على

القضاء بها، وزياد على البصرة، والعمال من قد سميت قبل..

وفي هذه السنة كان مشى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد  
بارض الروم.

## السنة السادسة والأربعون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشى مالك بن عبد الله بارض الروم، وقيل: بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكوني.

## خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه

وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص، فدرس ابن أثال النصراني إليه شربة مسمومة - فيما قيل - فشربها فقتلته.

## ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

وكان السبب في ذلك ما حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب، أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولغناؤه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية، وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله، وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراج ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مملوكيه، فشربها فمات بحمص، فوقى له معاوية بما ضمن له، وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجها.

قال: وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينة، فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير، فسلم عليه، فقال له عروة: من أنت؟ قال: أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال له عروة: ما فعل ابن أثال؟ فقام خالد من عنده، وشخص متوجهاً إلى حمص، ثم رصد بها ابن أثال. فرآه يوماً راكباً، فاعترض له خالد بن عبد الرحمن، فضربه بالسيف، فقتله، فرفع إلى معاوية، فحبسه أياماً، وأغرمة ديتة، ولم يقده منه. ورجع خالد إلى المدينة، فلما رجع إليها أتى عروة فسلم عليه، فقال له عروة: ما فعل ابن أثال؟ فقال: قد كفيته ابن أثال، ولكن ما فعل ابن جرموز؟ فسكت عروة. وقال خالد بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال:

أنا ابن سيف الله فاعرفوني لم يبق إلا حسي وديني

وصارم صل به يميني

## ذكر خروج سهم والخطيم

وفيها خرج الخطيم وسهم بن غالب الهجيمي، فحكما، وكان من أمرهما ما حدثني به عمر، قال: حدثنا علي، قال: لما ولي زياد خافه سهم ابن غالب الهجيمي والخطيم - وهو يزيد بن مالك الباهلي - فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدث وحكم، ثم رجع فاخفى وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد، وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه. وأما الخطيم فإن زياداً سيره إلى البحرين، ثم أذن له فقدم، فقال له: الزم مصر، وقال لمسلم بن عمرو: اضمته، فأبى وقال: إن بات عن نيتي أعلمتك. ثم أتاه مسلم فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته، فأمر به فقتل، وألقي في باهلة.

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان. وكان العمال والولاة فيها العمال والولاة في السنة التي قبلها.

## السنة السابعة والأربعون

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كان مشى مالك بن هيرة بأرض الروم، ومشى أبي عبد الرحمن القيني بأنطاكية.

## ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج

وفيهما عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر، ووليها معاوية بن حديج، وسار - فيما ذكر الواقدي في المغرب، وكان عثمانياً.

قال: ومرو به عبد الرحمن بن أبي بكر وقد جاء من الإسكندرية، فقال له: يا معاوية، قد لعمرى أخذت من معاوية جزاءك، قتلت محمد بن أبي بكر لأن تلي مصر، فقد وليتها. قال: ما قتلت محمد بن أبي بكر إلا بما صنع بعثمان، فقال عبد الرحمن: فلو كنت إنما تطلب بدم عثمان لم تشرك معاوية فيما صنع حيث صنع عمرو بن العاص بالأشعري ما صنع، فوثبت أول الناس فبايعته.

## ذكر غزو الغور

وقال بعض أهل السير: وفي هذه السنة وجه زياد الحكم بن عمرو الغفاري إلى خراسان أميراً، فغزا جبال الغور وفراونده، فقهروهم بالسيف عنوة ففتحها، وأصاب فيها مغام كثيرة وسبائاً، وسأذكر من خالف هذا القول بعد إن شاء الله تعالى.

وذكر قائل هذا القول أن الحكم بن عمرو قفل من غزوته هذه، فمات بمرو.

واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال الواقدي: أقام الحج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان. وقال غيره: بل الذي حج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان.

وكانت الولاة والعمال على الأمصار الذين ذكرت أنهم كانوا العمال والولاة في السنة التي قبلها.



## السنة الثامنة والأربعون

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

وكان فيها مشى أبي عبد الرحمن القمي أنطاكية، وصائفة عبد الله بن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر، وبأهل المدينة، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزهير، وعلى جيمعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وقال بعضهم: فيها وجه زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ.

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم في قول عامة أهل السير وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه، وارتجاعه منه فذلك، وقد كان وهبها له.

وكانت ولاية الأمصار وعمالها في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها.

## السنة التاسعة والأربعون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

فكان فيها مشى مالك بن هبيرة السكوني بأرض الروم.  
وفيهما كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة، وشتا بجربة،  
وفتحت على يديه، وأصاب فيها سبياً كثيراً.

وفيهما كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي.  
وفيهما كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر، فشتا  
بأهل الشام.

وفيهما كانت غزوة عقبة بن نافع البحر، فشتا بأهل مصر.  
وفيهما كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ  
قسنطينية، ومعه ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وابن الزبير  
وأبو أيوب الأنصاري.

وفيهما عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في شهر  
ربيع الأول.

وأمر فيها سعيد بن العاص على المدينة في شهر ربيع  
الآخر، وقيل في شهر ربيع الأول.

وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثمان سنين  
وشهرين.

وكان على قضاء المدينة لمروان - فيما زعم الواقدي حين  
عزل عبد الله بن الحارث بن نوفل، فلما ولي سعيد بن العاص  
عزله عن القضاء، واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

وقيل: في هذه السنة وقع الطاعون بالكوفة، فهرب المغيرة  
بن شعبة من الطاعون، فلما ارتفع الطاعون قيل له: لو رجعت  
إلى الكوفة! فقدمها فطعن فمات، وقد قيل: مات المغيرة سنة  
خمس، وضم معاوية الكوفة إلى زياد، فكان أول من جمع له  
الكوفة والبصرة.

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص.

وكانت الولاة والعمال في هذه السنة الذين كانوا في السنة  
التي قبلها، إلا عامل الكوفة فإن في تاريخ هلاك المغيرة اختلافاً،  
فقال بعض أهل السير: كان هلاكه في سنة تسع وأربعين، وقال  
بعضهم: في سنة خمسين.

المكان.

قال الشعبي: فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة، وما وعدنا خيراً ولا شراً إلا أنفذه.

حدثني عمر قال: حدثنا علي، عن سلمة بن عثمان، قال: بلغني عن الشعبي أنه قال: أول رجل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن، بلغه عنه شيء فطلبه فهرب، فعرض الناس زياد، فمر به، فقال: من هذا؟ قالوا: أوفى بن حصن الطائي، فقال زياد: أنتك بجائن رجلاً، فقال أوفى:

إن زياداً أبسا المغيرة لا يعجل والناس فيهم عجلة خشتك والله فاعلمن حلفي خوف الحفايت صولة الأصله فجت إذ ضاقت البلاد فلم يكن عليها لحائف والله

قال: ما رأيك في عثمان؟ قال: ختن رسول الله ﷺ على ابنته، ولم أنكره، ولي محصول رأي، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: جواد حليم، قال: فما تقول في؟ قال: بلغني أنك قلت بالبصرة: والله لأخذن البريء بالسقيم، والمقبل بالمدير، قال: قد قلت ذلك، قال: خبطتها عشواء، قال زياد: ليس النفاخ بشر الزمرة، فقتله، فقال عبد الله بن همام السلولي:

خيب الله سعي أرفى بن حصن حين أضحى فروجة الرقاء قاده الحين والشقاء إلى ليد ث عريسن وجبة صماء

قال: ولما قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة بن أبي معيط، فقال: إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب، فقال له عمرو بن حريث: ما يدعوك إلى رفع ما لا يقينه ولا تدري ما عاقبته! فقال زياد: كلاهما لم يصب، أنت حيث تكلمني في هذا علانية وعمرو حين يردك عن كلامك، قوما إلى عمرو بن الحمق يقولوا له: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك! من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد.

قال: ويقال: إن الذي رفع على عمرو بن الحمق وقال له: قد أنغل المصرين، يزيد بن رويم، فقال عمرو بن الحريث: ما كان قط أقبل على ما ينفعه منه اليوم، فقال زياد ليزيد بن رويم: أما أنت فقد أشطت بدمه، وأما عمرو فقد حقن دمه، ولو علمت أن مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج علي.

واتخذ زياد المقصورة حين حصبه أهل الكوفة.

وولي زياد حين شخص من البصرة إلى الكوفة سمرة بن جندب.

فحدثني عمر، قال: حدثني إسحاق بن إدريس، قال: حدثني محمد بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب!

## السنة الخمسون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم.

وقيل: كانت فيها غزوة فضالة بن عبيد الأنصاري البحر.

### ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة

وفيها - في قول الواقدي والمدائني - كانت وفاة المغيرة بن شعبة.

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن أبي موسى الثقفي، عن أبيه، قال: كان المغيرة بن شعبة رجلاً طوالاً، مصاب العين، أصيب باليرموك، توفي في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة.

وأما عوانة فإنه قال - فيما حدثت عن هشام بن محمد، عنه: هلك المغيرة سنة إحدى وخمسين.

وقال بعضهم: بل هلك سنة تسع وأربعين.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: كان زياد على البصرة وأعمالها إلى سنة خمسين، فمات المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها، فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة والبصرة، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وشخص إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة، وستة أشهر بالبصرة.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب، قال: لما مات المغيرة جمعت العراق لزياد، فأتي الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا الأمر أثنائي وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة البصرة، ثم ذكرت أنكم أهل حق، وأن حاكم طالما دفع الباطل، فأثيتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس، وحفظ مني ما ضيعوا... حتى فرغ من الخطبة، فحُصب على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً من خاصته، وأمرهم، فأخذوا أبواب المسجد، ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم جلسه، ولا يقولن: لا أدري من جليسي؟ ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعة أربعة يملفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف بخلاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال: بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على

إلى الكوفة، فقتل سمرة منهم بشراً كثيراً.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال: قال زياد يومئذ على المنبر: يا أهل البصرة، والله لتكفي هؤلاء أو لأبدان بكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطاياكم درهماً. قال: فثار الناس بهم فقتلوه.

### ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة

قال محمد بن عمر: وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله ﷺ، أن يحمل إلى الشام، فحرك، فكسفت الشمس حتى رثت النجوم بادية يومئذ، فأعظم الناس ذلك، فقال: لم أرد حمله، إنما خفت أن يكون قد أرض، فنظرت إليه. ثم كساه يومئذ. وذكر محمد بن عمر، أنه حدثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأموي.

قال محمد بن عمر: حدثني يحيى بن سعيد بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيت أن منبر رسول الله ﷺ وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتل أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ، فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين، نذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح، تخرج منبر رسول الله ﷺ من موضع وضعه، وتخرج عصاه إلى الشام، فناقض المسجد، فأقصر وزاد فيه ست درجات، فهو اليوم ثمانى درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدثني سويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: كان عبد الملك قد هم بالمنبر، فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، وأن تحولاه! إن أمير المؤمنين معاوية حركه فكسفت الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «من حلف على منبري آثماً فليتبوا مقعده من النار»، فتخرجه من المدينة وهو مقطع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصر عبد الملك عن ذلك، وكف عن أن يذكره، فلما كان الوليد وحج هم بذلك وقال: خبراني عنه، وما أراني إلا سافعل. فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: كلم صاحبك يتق الله عز وجل ولا يتعرض لله سبحانه ولسخطه، فكلمه عمر بن عبد العزيز، فأقصر وكف عن ذكره، فلما حج سليمان بن عبد الملك أخيره عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد هم به وإرسال سعيد بن المسيب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحب أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابرة، وما لنا ولهذا! أخذنا الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نعمد إلى علم من أعلام

استخلفه زياد على البصرة، وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت - أو كما قال.

حدثني عمر، قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا نوح بن قيس، عن أشعث الحداني، عن أبي سوار العدوي، قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً. قد جمع القرآن.

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، عن جعفر الصدي، عن عرف، قال: أقبل سمرة من المدينة، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم، ففجأ أوائل الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة. قال: ثم مضت الخيل، فأتى عليه سمرة بن جندب، وهو متشطح في دمه، فقال: ما هذا؟ قيل: أصابته أوائل خيل الأمير، قال: إذا سمعتم بنا قد ركبتا فاتقوا أستاذنا.

### خروج قريب وزحاف

حدثني عمر قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا غسان بن مضر، عن سعيد بن زيد، قال: خرج قريب وزحاف، وزباد بالكوفة، وسمرة بالبصرة، فخرجوا ليلاً، فنزلوا بني يشكر، وهم سبعون رجلاً، وذلك في رمضان، فأتوا بني ضبيعة وهم سبعون رجلاً، فمروا بشيخ منهم يقال له حكاك، فقال حين رآهم: مرحباً بابي الشعثاء! فرآه ابن حصين فقتلوه، وتفرقوا في مساجد الأزد، وأتت فرقة منهم رجة بنى علي، وفرقة مسجد المعادل، فخرج عليهم سيف بن وهب في أصحاب له، فقتل من أتاه، وخرج على قريب وزحاف شباب من بني علي وشباب من بني راسب، فرموهم بالنبل. قال قريب: هل في القوم عبد الله بن أوس الطاسحي؟ وكان يناضله، قيل: نعم، قال: فهلم إلى البراز، فقتله عبد الله وجاء برأسه، وأقبل زياد من الكوفة فجعل يؤننه، ثم قال: يا معشر طاحية، لولا أنكم أصبتم في القوم لنفيتكم إلى السجن، قال: وكان قريب من إباد، وزحاف من طيبه، وكانا ابني خالة، وكانا أول من خرج بعد أهل النهر.

قال غسان: سمعت سعيداً يقول: إن أبا بلال قال: قريب لا يقربه الله، وإيم الله لأن أفع من السماء أحب إلي من أن أصنع ما صنع - يعني الاستعراض.

حدثني عمر، قال: حدثنا زهير، قال: حدثني وهب، قال: حدثني أبي أن زياداً اشتد في أمر الحزورية بعد قريب وزحاف، فقتلهم وأمر سمرة بذلك، وكان يستخلفه على البصرة إذا خرج

الإسلام يوفد إليه، فنحمله إلى ما قبلنا! هذا ما لا يصلح.

وفيها عزل معاوية بن حديج عن مصر وولي مسلمة بن غنم مصر وإفريقية، وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولي مسلمة مصر وإفريقية عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، فافتتحها، واخطت قبروانها، وكان موضعه غيضة - فيما زعم محمد بن عمر - لا ترام من السباع والحيات وغير ذلك من الدواب. فدعا الله عز وجل عليها فلم يبق منها شيء إلا خرج هارباً، حتى إن السباع كانت تحمل أولادها.

قال محمد بن عمر: حدثني موسى بن علي، عن أبيه، قال: نادى عقبة بن نافع:

إننا نازلونا فاطمئنا عزيزنا

فخرج من جحرتهن هوارب.

قال: وحدثني الفضل بن فضالة، عن زيد بن أبي حبيب، عن رجل من جند مصر، قال: قدمنا مع عقبة بن نافع، وهو أول الناس اختطها وأقطعها للناس مساكن ودوراً، وبني مسجدها. فأقمنا معه حتى عزل، وهو خير وال وخير أمير.

ثم عزل معاوية في هذه السنة - أعني سنة خمسين - معاوية بن حديج عن مصر، وعقبة بن نافع عن إفريقية، وولي مسلمة بن غنم مصر والمغرب كله، فهو أول من جمع له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية وطرابلس، فولي مسلمة بن غنم مولى له يقال له: أبو المهاجر إفريقية، وعزل عقبة بن نافع، وكشفه عن أشياء، فلم يزل والياً على مصر والمغرب، وأبو المهاجر على إفريقية من قبله حتى هلك معاوية بن أبي سفيان.

وفي هذه السنة مات أبو موسى الأشعري، وقد قيل: كانت وفاة أبي موسى سنة اثنتين وخمسين.

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حج بهم معاوية، وقال بعضهم: يل حج بهم ابنه يزيد، وكان الوالي في هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص، وعلى البصرة والكوفة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد.

### ذكر هرب الفرزدق من زياد

وفي هذه السنة طلب زياد الفرزدق، واستعدت عليه بنو نهشل وقيم، فهرب منه إلى سعيد بن العاص - وهو يومئذ والي المدينة من قبل معاوية - مستجيراً به، فأجاره.

ذكر الخبر عن ذلك:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو عبيدة وأبو الحسن

المدايني وغيرهما، أن الفرزدق لما هجا بني نهشل وبني ققيم. لم يزد أبو زيد في إسناد خبره على ما ذكرت، وأما محمد بن علي فإنه حدثني عن محمد بن سعد، عن أبي عبيدة، قال: حدثني أعين بن لبطة بن الفرزدق، قال: حدثني أبي عن أبيه، قال: لما هاجبت الأشهب بن ربيعة والبعيث فسقطا، استعدت علي بنو نهشل وبني ققيم زياد بن أبي سفيان. وزعم غيره أن يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن رباعي بن سلمي بن جندل بن نهشل استعدى أيضاً عليه. فقال أعين: فلم يعرفه زياد حتى قيل له: الغلام الأعرابي الذي أنهب ورقه وألقى ثيابه، فعرفه.

قال أبو عبيدة: أخبرني أعين بن لبطة، قال: أخبرني أبي، عن أبيه، قال: بعثني أبي غالب في غير له وجلب أبيه وأمنار له واشتري لأهله كساء، فقدمت البصرة، فبعت الجلب، فأخذت ثمنه فجعلته في ثوبي أزاوله، إذ عرض لي رجل أراه كأنه شيطان، فقال: لشد ما تستوثق منها! فقلت: وما يعني! قال: أما لو كان مكانك رجل أعرفه ما صبر عليها، فقلت: ومن هو؟ قال: غالب بن صعصعة، قال: فدعوت أهل المريد فقلت: دونكموها - ونثرتها عليهم - فقال لي قائل: ألق رداءك يا ابن غالب، فآلقته. وقال آخر: ألق قميصك، فآلقته، وقال آخر: ألق عمامتك فآلقها حتى بقيت في إزار، فقالوا: ألق إزارك، فقلت: لن آلقه وأمشي مجرداً، إني لست بمجنون. فبلغ الخبر زياداً، فأرسل خيلاً إلى المريد ليأتوه به، فجاء رجل من بني الهجيم على فرس، قال: أتيت فالنجاه! وأردفني خلفه، وركض حتى تغيب، وجاءت الخيل وقد سبقت، فأخذ زياد عمن لي: ذهباً والزحاف ابني صعصعة - وكانا في الديوان على ألفين ألفين، وكانا معه - فحبسهما فأرسلت إليهما: إن شئتما أتيتكما، فبعثا إلي: لا تقرنا، إنه زياد! وما عسى أن يصنع بنا، ولم نذب ذنباً فكنا أياماً. ثم كلم زياد فيهما، فقالوا: شيخان سامعان مطيعان، ليس لهما ذنب مما صنع غلام أعرابي من أهل البادية، فخلى عنهما، فقالا لي: أخبرنا بجميع ما أمرك أبوك أنم ميرة أو كسوة، فخيرتهما به أجمع، فاشترياه وانطلقت حتى لحقت بغالب، وحملت ذلك معي أجمع، فأتيته وقد بلغه خبري فسألني: كيف صنعت؟ فأخبرته بما كان، قال: وإنك لتحسن مثل هذا ومسح رأسي. ولم يكن يومئذ يقول الشعر، وإنما قال الشعر بعد ذلك، فكانت في نفس زياد عليه.

ثم وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة، من بني ربيعة بن كعب بن سعد والجنون بن قتادة العبشمي والختات بن يزيد أبو منازل، أحد بني حوى بن سفيان بن مجاشع إلى معاوية بن أبي سفيان، فأعطى كل رجل منهم مائة ألف، وأعطى الختات سبعين ألفاً، فلما كانوا في الطريق سأل بعضهم بعضاً، فأخبروه

معي فسي الرحب والسعة، وإن شخضت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها. قال: فركب بعد ليل، وبعث عيسى معه حتى جاوز البيوت، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليال، فقال الفرزدق في ذلك:

حباني بها الهزي حملان من أبي من الناس والجاني تخاف جرائمه  
ومن كان يا عيسى يوجب ضيفه فضيفك محبور هني مطاعمه  
وقال تعلم أنها أرحبية وأن لها الليل الذي أنت جاشمه  
فأصبحت والملقى ورائي وحبل وما صدرت حتى علا النجم عاقه  
تزاور عن أهل الخفير كأنها ظليم تبارى جنح ليل نعائمه  
رأت بين عينها دوية وأنجلي لها الصبح عن صعل أسيل غاطمه  
كان شراعاً فيه مجرى زمامها بدجلة إلا خطمه وملاغمه  
إذا أنت جاوزت الغريين فاسلمي وأعرض فلج ورائي غارمه  
وقال أيضاً:

تداركي أسباب عيسى من الردى ومن يك مولاه فليس بواحد  
وهي قصيدة طويلة.

قال: وبلغ زياداً أنه قد شخص، فأرسل علي بن زهدم، أحد نبي نولة بن ققيم في طلبه.

قال أعين: فطلبه في بيت نصرانية يقال لها ابنة مرار، من بني قيس بن ثعلبة تنزل قصيمة كاظمة، قال: فسلته من كسر بيتها، فلم يقدر عليه، فقال في ذلك الفرزدق:

أثيت ابنة المرار أهبلت تبتغي وما يبتغي تحت السوية أمثالي  
ولكن بغائي لسو أردت لقاءنا فضاء الصحاري لا ابتغاء بأدغال  
وقيل: إنها ربيعة بنت المرار بن سلامة العجلي أم أبي النجم الراجز.

قال أبو عبيدة: قال مسمع بن عبد الملك: فأتى الروحاء، فنزل في بكر بن وائل، فأمّن، فقال بمدحهم:

وقد مثلت أين المسير فلم تجد لفورتها كالحي بكر بن وائل  
أعف وأوفى ذمة يعقدونها إذا وزانت شم الذرا بالكواهل  
وهي قصيدة طويلة. ومدحهم بقصائد أخر غيرها.

قال: فكان الفرزدق إذا نزل زياد البصرة نزل الكوفة، وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة، وكان زياد ينزل البصرة ستة أشهر والكوفة ستة أشهر فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الرحمن بن عبيد: إنما الفرزدق فحل الوحوش يرعى القفار، فإذا ورد عليه الناس ذعر ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع، فاطلبه حتى تظفر به. قال الفرزدق: فطلبت أشد طلب، حتى جعل من كان يؤويني يخرجني من عنده، فضاقت علي الأرض، فبينما أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر

بجوازهم، فكان الختات أخذ سبعين ألفاً، فرجع إلى معاوية، فقال: ما ردك يا أبا منازل؟ قال: فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح! أولست ذا سن! أولست مطاعاً في عشيرتي! فقال معاوية: بلى، قال: فلما بالك خستت بي دون القوم! فقال: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان - وكان عثمانياً - فقال: وأنا فاشتر مني ديني، فأمر له بتمام جائزة القوم.

وطعن في جائزته، فحبسها معاوية، فقال الفرزدق في ذلك: أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثاً فيختار التراث أقاربهم  
فما بال ميراث الختات أخذته وميراث حرب جامد لك ذائبه  
فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت من المرء القليل حلاجه  
ولو كان في دين سوى ذا شتتم لنا حقناً أو غص بالماء شاربه  
ولو كان إذ كنا وفي الكف بسطة لصمم غضب فيك ماض مضاربه  
وأنشد محمد بن علي وفي الكف مبسط -

وقد رمت شيئاً يا معاوي دونه خياطف علود صعب مراتبه  
وما كنت أعطى النصف من غير قوة سواك ولو مالت علي كتابه  
الست أعز الناس قوماً وأسرة وأمنعهم جاراً إذ ضيم جانبه  
وما ولدت بعد النبي وآله كمثلي حصان في الرجال يقاربه  
أبي غالب والمرء ناجية الذي إلى صمصع ينمى، فمن ذا يناسبه!  
ويسبي إلى جنب الثريا فساؤه ومن دونه البدر المضيء كواكبه  
أنا ابن الجبال الصم في عدد الحصى وعرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه!  
أنا ابن الذي أحيا الوئيد وضامن على الدهر إذ عزت للدهر مكاسبه  
وكم من أب لي يا معاوي لم يزل أغر يباري الريح ما أזור جانبه  
نمته فسروا المسالكين ولم يكن أبوك الذي من عبد شمس يقاربه  
تراه كنصل السيف يهتر للندى كريماً يلاقي المجد ما طر شاربه  
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن قصي وعبد الشمس ممن يخاطبه  
فرد ثلاثين ألفاً على أهله، وكانت أيضاً قد أغضبت زياداً عليه.

قال: فلما استعدت عليه نهشل وقيم ازداد عليه غضباً، فطلبه فهرب، فأتى عيسى بن خضيلة بن معتب بن نصر بن خالد الهزلي، ثم أحد بني سليم، والحجاج بن علاط بن خالد السلمي.

قال ابن سعد: قال أبو عبيدة: فحدثني أبو موسى الفضل بن موسى ابن خضيلة، قال: لما طرد زياد الفرزدق جاء إلى عمي عيسى بن خضيلة ليلاً فقال: يا أبا خضيلة، إن هذا الرجل قد أخافني، وإن صديقي وجميع من كنت أرجو قد لفظوني، وإني قد أتيتك لتفييني عندك، قال: مرحباً بك! فكان عنده ثلاث ليال، ثم قال: إنه قد بدا لي أن الحق بالشام، فقال: ما أحببت، إن أقمت

الطريق، إذ مر بي الذي جاء في طلبي، فلما كان الليل أتيت بعض أخوالي من بني ضبة وعندهم عرس - ولم أكن طعمت قبل ذلك طعاماً، فقلت: آتيهم فأصيب من الطعام - قال: فيينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادي فرس وصدر رمح قد جاوز باب الدار داخلاً إلينا، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه، فخرجت منه، وألقوا الحائط فعاد مكانه، ثم قالوا: ما رأيناه، وبمئذ ساعة ثم خرجوا، فلما أصبحنا جاؤوني فقالوا: أخرج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك، فلو ظفر بك البارحة أهلكتنا، وجمعوا ثمن رحلتين، وكملوا لي مقاعساً أحد بني تيم الله بن ثعلبة - وكان دليلاً يسافر للتجار - قال: فخرجنا إلى بانقيا حتى انتهينا إلى بعض القصور التي تنزل، فلم يفتح لنا الباب، فألقينا رحالنا إلى جنب الحائط والليله مقمرة، فقلت: يا مقاس، أرايت إن بعث زياد بعدما نصبح إلى العتيق رجلاً، أيقدرون علينا؟ قال: نعم، يرصدوننا - ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خندق كان للعجم - قال: فقلت: ما تقول العرب؟ قال: يقولون: أمهله يوماً وليلة ثم خذه. فارتحل، فقال: إني أخاف السباع، فقلت: السباع أهون من زياد، فارتحلنا لا نرى شيئاً إلا خلفناه، ولزمتنا شخص لا يفارقنا، فقلت: يا مقاس، أتري هذا الشخص! لم نمر بشيء إلا جاوزناه غيره، فإنه يسايرنا منذ الليلة. قال: هذا السبع، قال: فكأنه فهم كلامنا، فنقدم حتى ربيض على متن الطريق، فلما رأينا ذلك نزلنا فشدنا أيدي ناقتينا بشنايين وأخذت قوسي. وقال مقاس: يا ثعلب، أتدري ممن فررنا إليك؟ من زياد، فأحصب بذنبه حتى غشينا غباره وغشي ناقتينا، قال: فقلت: أرميه، فقال: لا تهجه، فإنه إذا أصبح ذهب، قال: فجعل يردد ويبرق ويژر، ومقاس يتوعده حتى انشق الصبح، فلما رآه ولي، وأنشأ الفرزدق يقول:

ما كنت أحسني جباناً بعد ما      لاقت ليلة جنب الأنهار  
لياً كان على يديه رحالة      شئن البرائن موجد الأظفار  
لما سمعت له زمام جهشت      نفسي إلي وقلت أين فراري!  
وربطت جرونها وقلت لها اصبري      وشدت في ضيق المقام إزاري  
فلأنت أهون من زياد جانباً      اذهب إليك مخرم الأسفار

قال ابن سعد: قال أبو عبيدة: فحدثني أعين بن لبطة، قال: حدثني أبي، عن شيب بن ربعي الرياحي، قال فأنشدت زياداً هذه الأبيات فكأنه رق له، وقال: لو اتاني لامته وأعطيته، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

تذكر هذا القلب من شوقه ذكرا تذكر شوقاً ليس ناسيه عصراً  
تذكر ظمياء التي ليس ناسيا وإن كان أدنى عهدا حججاً عسراً  
وما مغزل بالغور غور تهامة ترعى أراكاً في منابته نضراً  
من الأدم حواء المدام ترعوي إلى رشاء طفل تحال به فترا

أصابته بسوادي الولولان حباله  
فما استمكنت حتى حسين بها نفرا  
بأحسن من ظمياء يوم تعرضت  
ولا مزنة راحت غمامتها قصرا  
وكم دونها من عاطف في صريمة  
وأعداء قوم ينزلون دمى لنرا!  
إذا أودعوني عند ظمياء ساءها  
وعيدي وقالت لا تقولوا له هجراً  
دعاني زياد للعطاء ولم أكن  
لأتيه ما ساق ذو حسب وفرا  
وعند زياد لو يريد عطاءهم  
رجال كثير قد يرى بهم فقرا  
قمود لدى الأبواب طلاب حاجة  
غوان من الحاجات أو حاجة بكر  
فلما خشيت أن يكون عطاؤه  
أناهم سوداً بدرجة سمر  
نميت إلى حرف أضرب بينها  
سرى الليل واستعرضها البلد القفر  
تنفس في بهو من الجوف واسع  
إذا مد حيزوما شراسيفها الضفرا  
تراه إذا صام النهار كأنما  
تسامى فينقأ أو تخالسه خطرا  
تخوض إذا صاح الصدى بعد هجعة  
من الليل ملتبجاً غياطله خضرا  
فإن عرضت زوراء أو شمريت بها  
فلاة ترى منها مخارمها غبرا  
تعادين عن صهب الحصى وكأنما  
طحن به من كل رضاضة جبرا  
وكم من عدو كاشح قد تجاوزت  
نخافته حتى تكون لها جسرا  
يؤم بها المومة من لا يرى له  
إلى ابن أبي سفيان جاهاً ولا عنرا  
ولا تعجلاني صاحبي فربما  
سبقت بورد الماء غادية كدرا  
وحضنين من ظلماء ليل سريته  
بأغيد قد كان النعاس له سكرا  
رماه الكرى في الراس حتى كأنه  
أميم جلاميد تركز به وقرا  
من السير والإدلاج تحسب أنما  
سقاء الكرى في كل منزلة خبرا  
جررنا وفديناه حتى كأنما  
يرى بهوادي الصبح قبلة شقرا  
قال: فمضينا وقدما المدينة وسعيد بن العاص بن أمية  
عليها، فكان في جنازة، فتبعته فوجدته قاعداً والميت يدفن حتى  
قمت بين يديه فقلت: هذا مقام العائذ من رجل لم يصب دماً ولا  
مالاً! فقال: قد أجرت إن لم تكن أصبت دماً ولا مالاً، وقال: من  
أنت؟ قلت: أنا همام بن غالب بن صعصعة، وقد أثبتت على  
الأمير، فإن رأى أن يأذن لي فاسمعه فليفعل، قال: هات،  
فأشددته:

وكوم تنعم الأضياف عيناً وتصبح في مباركها ثقالا  
حتى أتيت إلى آخرها، قال: فقال مروان:  
فعوداً ينظرون إلى سعيد  
قلت: والله إنك لقامم يا أبا عبد الملك.

**قال:** وقال كعب بن جعيل: هذه والله الرؤيا التي رأيت البارحة، قال سعيد: وما رأيت؟ قال: رأيت كأنني أمشي في سكة من سكك المدينة، فإذا بابين قتره في حجر، فكانه أراد أن يتناولني، فانفتحه، قال: فقام الحطيطه فشق ما بين رجلين حتى تجاوز إلي، فقال: قل ما شئت فقد أدركت من مضى، ولا يدرك من بقي. وقال لسعيد: هذا والله الشعر، لا يعمل به منذ اليوم. قال: فلم

نزل بالمدينة مرة وبمكة مرة. وقال الفرزدق في ذلك:

ألا من مبلغ عني زياداً  
مغلغلة يخسب بها البريد  
بأنني قد فررت إلى سعيد  
ولا يسطاع ما يجمي سعيد  
فررت إليه من ليث هزبر  
تفادى عن فريسته الأسود  
فإن شئت انتسبت إلى النصارى  
وإن شئت انتسبت إلى اليهود  
وإن شئت انتسبت إلى ققيس  
وناسيني وناسبت القرود  
ويروي:

وناسيني وناسبت اليهود  
وأبغضهم إلى بنو ققيس  
ولكن سوف أتني ما تريد  
وقال أيضاً:

أتاني وعبد من زياد فلم أتم  
وسيل اللوى دوني فهضب التهائم  
فبت كإني مشعر خيرية  
سرت في عظامي أو سمام الأراقم  
زياد بن حرب لن أظنك تاركي  
وذا الضغن قد خشمته غير ظالم  
قال: وأنشدني عمرو:

وبالضغن قد خشمته غير ظالم  
وقد كافحت مني العراق قصيدة  
رجوم مع الماضي رؤوس المخارم  
خفيفة أفواء الرواة ثقيلة  
على قرنها نزالة بالمواسم  
وهي طويلة. فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد.  
وفي هذه السنة كانت وفاة الحكم بن عمرو الغفاري بمرو  
منصرفه من غزوة أهل جبل الأشل.

### ذكر الخبر عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل

#### وسبب هلاكه

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبح، قال: كنت مع الحكم بن عمرو بجراسان، فكتب زياد إلى عمرو: إن أهل جبل الأشل سلاحهم اللبود، وآتيهم الذهب. فغزاهم حتى توسطوا، فأخذوا بالشعاب والطرق، فأحدقوا به، فعي الأمر، فولي المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتى أخذ عظيمًا من عظمائهم، فقال له: اختر بين أن أقتلك، وبين أن تخرجنا من هذا المضيق، فقال له: أوقد النار حيال الطريق من هذه الطرق، وممر بالأنقال فلتوجه نحوه، حتى إذا ظن القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوهم فإنهم يستجمعون لكم، ويعرون ما سواه من الطرق، فيأدرهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه. ففعلوا ذلك، فنجا وغنموا غنيمة عظيمة.

حدثني عمر قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما قفل الحكم بن عمرو من غزوة جبل الأشل ولّى المهلب ساقته، فسلكوا في

شعاب ضيقة، فعارضه الترك فأخذوا عليهم بالطرق، فوجدوا في بعض تلك الشعاب رجلاً يتغنى من وراء حائط بيتين:

تعز بصير لا وجدك لا تدرى  
سنام الحمى أخرى الليالي الغواير  
كان فؤادي من تذكرى الحمى  
وأهل الحمى يهفون به ريش طائر  
فأتي به الحكم، فسأله عن أمره، فقال: غايرت ابن عم لي، فخرجت ترفعي أرض وتخفضي أخرى، حتى هبطت هذه البلاد. فحملة الحكم إلى زياد بالعراق.

قال: وتخلص الحكم من وجهه حتى أتى هراة، ثم رجع إلى مرو.

حدثني عمر، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبح، قال: كتب إليه زياد: والله لئن بقيت لك لأقطعن منك طابقاً سحتاً، وذلك أن زياداً كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم: إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفي له صفراء وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك.

فكتب إليه الحكم: أما بعد، فإن كتابك ورد، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع، ولا تحركن شيئاً، فإن كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رقاً على عبد اتقى الله عز وجل جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً.

وقال للناس: اغدوا على غنائمكم، فغدا الناس، وقد عزل الخمس، فقسم بينهم تلك الغنائم، قال: فقال الحكم: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني، فمات بجراسان بمرو.

قال عمر: قال علي بن محمد: لما حضرت الحكم الوفاة بمرو، استخلف أنس بن أبي أناس، وذلك في سنة خمسين.



بسهمك، إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك! اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبه السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً. ثم يكف عنه ويصفح.

## السنة الحادية والخمسون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم، وغزوة بسر بن أبي أرطاة الصائفة، ومقتل حجر بن عدي وأصحابه.

### ذكر مقتل حجر بن عدي وأصحابه

#### ذكر سبب مقتله:

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن المجالد بن سعيد، والصقعب بن زهير، وفضيل بن خديج، والحسين بن عتبة المرادي، قال: كل قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث حجر بن عدي الكندي وأصحابه: إن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرق العصا، وقد قال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرق العصا وما علم الإنسان إلا لعلما  
وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فإنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانني، ويصلح به رعييتي، ولست تاركاً إيصاءك بمصلحة: لا تتحم عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شعبة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم. قال: بل نحمد إن شاء الله.

قال أبو مخنف: قال الصقعب بن زهير: سمعت الشعبي يقول: ما ولينا وال بعده مثله، وإن كان لاحقاً بصالح من كان قبله من العمال.

وأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهرًا، وهو من أحسن شيء سيرة، وأشدّه حباً للمعاوية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوف فيه والعيب لقتلة عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتركية لأصحابه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم فذمم الله ولعن! ثم قام فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، وأنا أشهد أن من تذمون وتعبرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول المغيرة: يا حجر، لقد رمي

فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول، وكانت مقالته: اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه، وأجزه بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابك، واتبع سنة نبيك ﷺ، وجمع كلمتنا، وحقق دماءنا، وقتل مظلوماً، اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والظالمين بدمه! ويدعو على قتلته. فقام حجر بن عدي فنعر نكرة بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجاً منه، وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هرمك! أيها الإنسان، مر لنا بارزقنا وأعطياتنا، فإنك قد حسبتها عنا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين، وتقريظ الجرمين. قال: فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبر، مر لنا بارزقنا وأعطياتنا، فإننا لا نتنع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئاً، وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه. فنزل المغيرة، فدخل واستأذن عليه قومه، فأذن لهم، فقالوا: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجراءة! إنك تجمع على نفسك بهذا خصلتين: أما أولهما فتوهين سلطانك، وأما الأخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له عليه - وكان أشدهم له قولاً في أمر حجر والتعظيم عليه عبد الله أبي عقيل الثقفي - فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شيئاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، ولا أحب أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دماءهم، فيسعدوا بذلك واشتقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئتهم، وحامد حلیمهم، وواعظ سفیههم، حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكرونني لو قد جربوا العمال بعدي.

قال أبو مخنف: سمعت عثمان بن عتبة الكندي، يقول: سمعت شيخاً للحي يذكر هذا الحديث يقول: قد والله جربناهم فوجدنا خيرهم، أحدهم للبري، وأغفرهم للمسيء، وأقبلهم للعدو.

قال هشام: قال عوانة: فولى المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين في جمادى، وهلك سنة إحدى وخمسين، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإننا قد جربنا وجربنا، وسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا

لا تطلقوا عني حديدًا، ولا تغسلوا عني دمًا، فإني آتسي معاوية غدًا على الجادة. ثم قدم فضربت عنقه.

قال غلغل: قال هشام: كان محمد إذا سئل عن الشهيد يغسل، حدثهم حديث حجر.

قال محمد: فلقيت عائشة أم المؤمنين معاوية - قال غلغل: أظنه بمكة - فقالت: يا معاوية، أين كان حلمك عن حجر! فقال لها: يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيدًا!

قال ابن سيرين: قبلنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل!

قال هشام، عن أبي غنغف، قال: حدثني إسماعيل بن نعيم النمري، عن حسين بن عبد الله الهمداني، قال: كنت في شرط زياد، فقال زياد: لينطلق بعضكم إلى حجر فليدعه، قال: فقال لي أمير الشرطة - وهو شداد بن الهيثم الهلالي: اذهب إليه فادعه، قال: فأتيته، فقلت: أجب الأمير، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة! قال: فرجعت إليه فأخبرته، فأمر صاحب الشرطة أن يبعث معي رجالاً، قال: فبعث نفرًا، قال: فأتيناه فقلنا: أجب الأمير، قال: فسبونا وشتموننا، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر، قال: فوثب زياد بأشراف أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، أتشجون

بيد وتأسون بأخرى! أبدانكم معي وأهواؤكم مع حجر هذا المهجاجة الأحق المذنب أنتم معي وإخوانكم وأبنائكم وعشائركم مع حجر! هذا والله من دحسكم وغشكم! والله لتظهرن لي براءتكم أو لأتبنكم يقوم أقيم بهم أودكم وصعركم! فوثبوا إلى زياد، فقالوا: معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننا أن فيه رضاك، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا حجر فمرنا به قال: فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذو قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعم أن تقيموه، ففعلوا ذلك، فأقاموا جل من كان مع حجر بن عدي، فلما رأى زياد أن جل من كان مع حجر أقيم عنه قال لشداد بن الهيثم الهلالي - ويقال: هيثم بن شداد أمير شرطته: انطلق إلى حجر، فإن تبعك فأتني به، وإلا فمر من معك فليترعوا عمد السوق، ثم يشدوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حال دونه. فأتاه الهلالي فقال: أجب الأمير، قال: فقال أصحاب حجر: لا ولا نعمة عين! لا نجييه. فقال لأصحابه: شدوا على عمد السوق، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها قد انتزعوها، فقال عمير بن يزيد الكندي من بني هند - وهو أبو العمرطة: إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، وما يغني عنك! قال: فما ترى؟ قال: قم من هذا المكان فالحق بأهلك بمنعك قومك. فقام

الأمر لا يصلح آخره إلا بما يصلح أوله، بالطاعة للينة المشبه سرها بعلانياتها، وغيب أهلها بشاهدتهم، وقلوبهم بالسستهم، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كذبة إمام على المنبر. ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرظهم، وذكر قتلته ولعنهم. فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، وقد كان زياد قد رجع إلى البصرة وولي الكوفة عمرو بن الحريث، ورجع إلى البصرة فبلغه أن حجرًا يجتمع إليه شيعة علي، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه، وأنهم حصبوا عمرو بن الحريث، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها، فأتى القصر فدخله، ثم خرج فصعد المنبر وعليه قباء سندس ومطرف خبز أخضر، قد فرق شعره، وحجر جالس في المسجد حوله أصحابه أكثر ما كانوا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن غيب البغي والغبي وخيم، إن هؤلاء جوا فاشروا، وأمنوني فاجترعوا علي، وإيم الله لئن لم تستقيموا لأدوينكم بدوائكم، وقال: ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر وأدعه نكالاً لمن بعده! ويل أمك يا حجر! سقط العشاء بك على سرحان، ثم قال:

أبلغ نصيحة أن راعي إيلها سقط العشاء به على سرحان وأما غير عوانة، فإنه قال في سبب أمر حجر ما حدثني علي بن حسن قال: حدثنا مسلم الجرمي، قال: حدثنا غلغل بن الحسن، عن هشام، عن محمد بن سيرين، قال: خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة! فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة! فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره، وكثر عليه.

فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد، ثم أحمله إلي. فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعه، فقال: لا، ولكن سمع وطاعة، فشد في الحديد، ثم حمل إلى معاوية، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له معاوية: أمير المؤمنين! أما والله لا أقبلك ولا أستقبلك، أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرج من عنده، فقال حجر للذين يلون أمره، دعوني حتى أصلي ركعتين، فقالوا: صل، فصلى ركعتين خفف فيهما، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير، ثم قال: لمن حضره من أهله:

فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك، وقتلتنا معك، فوضع حجر رجله في الركاب، فلم يستطع أن ينهض، فحمله أبو العمرطة على بقلته، ووثب أبو العمرطة على فرسه، فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسلي - وكان يغمز - فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذيه، ويخترط أبو العمرطة سيفه، فضرب به رأس يزيد بن طريف، فخر لوجهه. ثم إنه براً بعد، فله يقول عبد الله بن همام السلوي:

الؤم ابن لؤم ما عدا بك حاسراً إلى بطل ذي جرة وشكيم  
معاود ضرب الدارعين بسيفه على الهام عند الروع غير لثيم  
إلى فارس الغارين يوم تلاقياً بصفين قرم خير نجل قروم  
حسبت ابن برصاء المختار قتاله قتالك زيدا يوم دار حكيم  
وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في الاختلاف بين الناس. ومضى حجر وأبو العمرطة حتى انتهيا إلى دار حجر، واجتمع إلى حجر ناس كثير من أصحابه، وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كنده، ويقول:

يا قروم حجر دافعوا وصاولوا وعن أخيكم ساعة فقتالوا  
لا يلقى منكم لحجر خاذل أليس فيكم رامح ونابل  
وفارس مستلثم وراجل وضارب بالسيف لا يزال!

فلم يأت من كنده كثير أحد.

وقال زياد وهو على المنبر: ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كنده، فليعضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به، ثم إنه كره أن يسير طائفة من مضر مع طائفة من أهل اليمن فيقع بينهم شغب واختلاف، وتفسد ما بينهم الحمية، فقال: لتقم تميم وهوازن وأبناء أعصر وأسد وغطفان ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كنده، ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسر سائر أهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصائدين فليعضوا إلى صاحبهم، فليأتوني به، فخرجت الأزد وبجيلة وختعم والأنصار وخزاعة وقضاعة فنزلوا جبانة الصائدين، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لمكانهم من كنده، وذلك أن دعوة حضرموت مع كنده، فكرهوا الخروج في طلب حجر.

قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: إني لمع أهل اليمن في جبانة الصائدين إذ اجتمع رؤوس أهل اليمن يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي إن قتلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والاثم، أرى لكم أن تلبثوا قليلاً فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تلوا من مساءة قومكم في صاحبكم قال: فاجمع رأيهم على ذلك، قال: فوالله ما كان إلا

زياد ينظر إليهم وهو على المنبر، فغشوا بالعمد، فضرب رجل من الحمراء - يقال له بكر بن عبيد - رأس عمرو بن الحمق بعمود فوق، وأتاه أبو سفيان بن عويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه، فأتينا به دار رجل من الأزد - يقال له عبيد الله بن مالك - فخبأ بهما، فلم يزل بهما متوارياً حتى خرج منها.

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لما انصرفنا من غزوة باجميرا قبل مقتل مصعب بعام، فإذا أنا بأحزري يسايرني - والله ما رأيته من ذلك اليوم الذي ضرب فيه عمرو بن الحمق، وما كنت أرى لسو رأيته أن أعرفه - فلما رأيته ظننت أنه هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهت أن أسأله: أنت الضارب عمرو بن الحمق؟ فيكابرني، فقلت له: ما رأيك من اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يومي هذا، ولقد عرفتكم الآن حين رأيتم، فقال لي: لا تعدم بصرك، ما أثبت نظرك! كان ذلك أمر الشيطان، أما إنه قد بلغني أنه كان امرأ صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة، فاستغفر الله، فقلت له: ألا ترى والله لا أفرق أنا وأنت حتى أضربك على رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت! فناشدني الله وسألي الله، فأبيت عليه، ودعوت غلاماً لي يدعى رشيداً من سبي أصبهان معه قناة له صلبة، فاخذتها منه ثم أحمل عليه بها، فنزل عن دابته، وألقه حين استوت قدماء بالأرض، فأصفع بها هامته، فخر لوجهه، ومضيت وتركته، فبرأ بعد، فلقبته مرتين من الدهر، كل ذلك يقول: الله بيني وبينك! وأقول: الله عز وجل بينك وبين عمرو بن الحمق!

ثم رجع إلى أول الحديث.

قال: فلما ضرب عمرأ تلك الضربة وحمله ذاك الرجلان، انحاز أصحاب حجر إلى أبواب كنده، ويضرب رجل من جذام كان في الشرطة رجلاً يقال له عبد الله بن خليفة الطائي بعمود، فضربه ضربة فصعرة، فقال وهو يرتجز:

قد علمت يرم الهياج خلتي أنسي إذا ما قنسي تولت  
وكثرت عاداتها أو قلت أنسي قتال غداة بليت

وضربت يد عائذ بن حملة التميمي وكسرت نابه، فقال:

إن تكسروا نابي وعظم ساعدي فإن في سورة المناجد  
وبعض شعب البطل المبالد

ويتزع عموداً من بعض الشرطة، فقاتل به وحى حجرأ وأصحابه، حتى خرجوا من تلقاء أبواب كنده، وبغلة حجر موقوفة، فأتى بها أبو العمرطة إليه، ثم قال: اركب لا أب لغيرك!

بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً، قال: أمهلني حتى أطلبه، قال: قد أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا عد نفسك مع المهلكي. وأخرج محمد نحو السجن منتق اللون يتل نلأ غنيفاً، فقال حجر بن يزيد الكندي لزياد: ضمني وخل سبيله يطلب صاحبه، فإنه غلّى سربه - أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان مجوساً. فقال أئضمنه؟ قال: نعم، قال: أما والله لئن حاص عنك لأزيرنك شعوب. وإن كنت الآن علي كريعاً قال: إنه لا يفعل، فخلّى سبيله.

ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتني به أسيراً، فقال لهم: ما على قيس بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان، وبلاءه يوم صفين مع أمير المؤمنين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال له: إني قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر، أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية قد غفرتها لك لما أعلم من حسن رأيك، وحسن بلاتك، ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيكم عمير، قال: أجيتك به إن شاء الله، قال: فهات من يضمه لي معك، قال: هذا حجر بن يزيد يضمه لك معي، قال حجر بن يزيد: نعم أضمنه لك، على أن تؤمنه على ماله ودمه، قال: ذلك لك، فانطلقا فأتيا به وهو جريح، فأمر به فأورق حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها القوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه والقوه، ففعلوا به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد فقال: ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله؟ قال: بلى، قد أمتته على ماله ودمه، ولست أهرق له دماً، ولا أخذ له مالا. قال: أصلحك الله! يشفى به على الموت، ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن، فدنوا منه وكلموه، فقال: أئضمنوني لي بنفسه، فمتى ما أحدث حدثاً أئضمنوني به؟ قالوا: نعم، قال: وتضمنون لي أرش ضربة المسلي، قالوا: ونضمنها، فخلّى سبيله.

ومكث حجر بن عدي في منزل ربيعة بن ناجد الأزدي يوماً وليلة، ثم بعث حجر إلى محمد بن الأشعب غلاماً له يدعى رشيداً من أهل إصبهان: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره، فإني خارج إليك، أجمع نفراً من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يؤمنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى في رأيي.

فخرج ابن الأشعب إلى حجر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه، ففعل، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذنا الذي تسأل، وأمروه أن يأتي، فأقبل حتى دخل على زياد فقال

كلا ولا حتى أتينا، فقبل لنا: إن مذحج وهمدان قد دخلوا فآخذوا كل من وجدوا من بني جبلة. قال: فمر أهل اليمن في نواحي دور كندة معذرة، فبلغ ذلك زياداً، فإثنى على مذحج وهمدان وذم سائر أهل اليمن. وإن حجراً لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلة من معه من قومه، وبلغه أن مذحج وهمدان نزلوا جبانة كندة وسائر أهل اليمن جبانة الصائدين قال لأصحابه: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك، فذهبوا لينصرفوا، فلحقهم أوائل خيل مذحج وهمدان. فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدي وعبد الرحمن بن عمرز الطمحي وقيس بن شمر، فقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقاتلوا فإني أخذ في بعض السكك. ثم أخذ طريقاً نحو بني حرب، فسار حتى انتهى إلى دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليم بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ قال: أريد والله أسأله أن ينصرفوا عنك، فإن فعلوا وإلا ضاربهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك، فقال حجر: لا أبا لغيرك! بس ما دخلت به إذاً على بناتك! قال: إني والله ما أؤمنهن، ولا زرقهن إلا على الحي الذي لا يموت، ولا أشتري العار بشيء أبداً، ولا تخرج من داري أسيراً أبداً حتى وأنا حي أملك قائم سيفي، فإن قتلت دونك فاصنع ما بدا لك. قال حجر: أما في دارك هذه حائط أقتحمه، أو خوخة أخرج منها، عسى أن يسلمني الله عز وجل منهم ويسلمك، فإذا القوم لم يقدروا علي عندك لم يضروك! قال: بلى هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم من قومك، فخرج حتى مر ببني ذهل، فقالوا له: مر القوم أنفا في طلبك يقفون أثرك.

فقال: منهم أهرب، قال: فخرج ومعه فتية منهم يتقصون به الطريق، ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع، فقال لهم عند ذلك: انصرفوا رحمكم الله فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له الفرش عبد الله، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه، وحسن البشر، إذ أتى فقبل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع - وذلك أن أمة سوداء يقال لها: آدماء، لقبهم، فقالت: من تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، قالت: ها هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع - فخرج من عند عبد الله متكرراً، وركب معه عبد الله بن الحارث ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأزدي في الأزدي، فنزلها يوماً وليلة، فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له: يا أبا ميثاء، أما والله لتأتيني

زيداد: مرحباً بك أبا عبد الرحمن! حرب في أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس! على أهلها تحني براقتي. قال: ما خلعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي، فقال: هيهات هيهات يا حجر! تشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى! كلا والله.

قال: ألم تؤمني حتى أتني معاوية فبرى في رايه! قال: بلى قد فعلنا، انطلقوا به إلى السجن، فلما قفي به من عنده قال زيداد: أما والله لو لا أمانة ما برح أو يلفظ مهجة نفسه.

قال هشام بن عروة: حدثني عوانة، قال: قال زيداد: والله لأحرصن على قطع خيط رقبته.

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، وحدثني الجبالد بن سعيد، عن الشعبي وزكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، أن حجراً لما قفي به من عند زيداد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي، لا أقبلها وأستقبلها، سماع الله والناس. وكان عليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزيداد ليس له عمل إلا طلب رؤوس أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل، فأتيا جبلاً فكمنوا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أن رجلين قد كمنوا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بلتعة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فاما عمرو بن الحمق فكان مريضاً، وكان بطنه قد سقى، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شداد - وكان شاباً قوياً - فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما يفعلي أن تقاتل! أنج بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فافرجوا له، فخرج تنفر به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه - وكان رامياً فأخذ لا يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر لكم، فسألوه: فابى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية يخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإن لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو الثانية.

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائي - وكان شهد مع حجر وقاتلهم قتلاً شديداً - فبعث إليه زيداد بكير بن حمران الأحمري - وكان تبيع العمال - فبعثه في أناس من أصحابه، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عدي بن حاتم، فأخرجوه، فلما أرادوا أن يذهبوا به - وكان عزيز النفس - امتنع منهم فحاربهم وقاتلهم، فشجوه ورموه بالحجارة حتى سقط، فنادت ميثاء أخته: يا معشر طيء! أتسلمون ابن خليفة لسانكم وسنانكم!

فلما سمع الأحمري نداءها خشي أن تجتمع طيء فيهلك، فهرب وخرج نسوة من طيء فأدخلته داراً، وينطلق الأحمري حتى

قال أبو مخنف: وحدثني الجبالد، عن الشعبي وزكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق. قال: وجه زيداد في طلب أصحاب حجر فأخذوا يهربون منه، ويأخذ من قدر عليه منهم، فبعث إلى

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوه إلى نكت البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفره صلعا.

فقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق، فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل شهادته - وكانوا أربعة - ثم إن زياداً دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع. فقرأ عليهم الكتاب، فقام أول الناس عنان بن شرحبيل بن أبي دهم التيمي تيم الله بن ثعلبة، فقال: بينوا اسمي، فقال زياد: ابدؤوا بأسمي قريش، ثم اكتبوا اسم عنان في الشهود، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة.

فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله، وموسى بن طلحة، وإسماعيل بن طلحة بن عبيد الله، والمندر بن الزبير، وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الرحمن بن هناد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وعامر بن مسعود بن أمية بن خلف، وعمر بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، وعبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي، وعنات بن شرحبيل بن أبي دهم، وواثل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شهاب بن حصين الحارثي، وقطن بن عبد الله بن حصين، والسري بن وقاص الحارثي - وكتب شهادته وهو غائب في عمله - والسائب بن الأقرع الثقفي، وشيث بن ربيع، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، ومصلحة بن هيرة الشيباني، والققعاق بن شور الدهلي، وشداد بن المنذر بن الحارث بن ولة الدهلي - وكان يدعى ابن زبيعة، فقال: ما لهذا أب ينسب إليه! ألقوا هذا من الشهود، فقبل له: إنه أخو الحضيض، وهو ابن المنذر، قال: فانسبه إلى أبيه، فنسب إلى أبيه، فبلغت شداداً، فقال: ولي على ابن الزانية! أوليست أمه أعرف من أبيه! والله ما ينسب إلا إلى أمه سمية. وحجار بن أجمر العجلي فغضبت ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم: شهدتم على أوليائنا وحلفائنا! فقالوا: ما نحن إلا من الناس، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير - وعمرو بن الحجاج الزبيدي وليد بن عطار التيمي، ومحمد بن عمير بن عطار التيمي، وسويد بن عبد الرحمن التيمي من بني سعد، وأسماء بن خارجة الفزاري - كان يعتذر من أمره - وشمر بن ذي الجوشن العامري، وشداد ومروان ابنا الهيثم الهلاليان، ومحفز بن ثعلبة من عاتدة قريش، والهيثم بن الأسود النخعي - وكان يعتذر إليهم - وعبد الرحمن بن قيس الأسدي

أتى زياداً، فقال: إن طيئاً اجتمعت إلي فلم أطقهم، فأيتنك، فبعث زياد إلى عدي - وكان في المسجد - فحبسه وقال: جئني به - وقد أخبر عدي بخبر عبد الله - فقال عدي: كيف آتيك برجل قد قتلته القوم؟ قال: جئني حتى أرى أن قد قتلوه، فاعتل له وقال: لا أدري أين هو، ولا ما فعل! فحبسه، فلم يبق رجل من أهل المصر من أهل اليمن وربيعه ومضر إلا فرغ لعدي، فأتوا زياداً فكلّموه فيه، وأخرج عبد الله فتغيب في بحر، فأرسل إلى عدي: إن شئت أن أخرج حتى أضع يدي في يدك فعلت، فبعث إليه عدي: والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتهما عنك. فدعا زياد عدياً، فقال له: إني أخلي سبيلك على أن تجعل لي لتفنيه من الكوفة، ولتسير به إلى الجبلين، قال: نعم، فرجع وأرسل إلى عبد الله بن خليفة: اخرج، فلو قد سكن غضبه لكلمته فيك حتى ترجع إن شاء الله، فخرج إلى الجبلين.

وأني زياد بكريم بن عفيف الخثعمي فقال: ما اسمك؟ قال: أنا كريم ابن عفيف، قال: ويحك، أو ويلك! ما أحسن اسمك واسم أبيك، واسوأ عملك ورأيك! قال: أما والله إن عهدك برأيي لمنذر قريب، ثم بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن. ثم إنه دعا رؤوس الأرباع، فقال: اشهدوا على حجر بما رأيتم منه - وكان رؤوس الأرباع يومئذ: عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى على مذبح وأسد - فشهد هؤلاء الأربعة أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر وأخرج عامل المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء نفر الذين معه هم رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه وأمره. ثم أمر بهم ليخرجوا، فأتاه قيس بن الوليد فقال: إنه قد بلغني أن هؤلاء إذا خرج بهم عرض لهم. فبعث زياد إلى الكناسة فاتباع إبلاً صعباً، فشد عليها الحامل، ثم حملهم عليها في الرحبة أول النهار، حتى إذا كان العشاء قال زياد: من شاء فليعرض، فلم يتحرك من الناس أحد، ونظر زياد في شهادة الشهود فقال: ما أظن هذه الشهادة قاطعة، وإنني لأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن حصيرة، عن أبي الكنود وهو عبد الرحمن بن عبيد وأبو مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبي راشد، عن أبي الكنود بأسماء هؤلاء الشهود.

وبين دمشق اثنا عشر ميلاً.

### تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حجر بن عدي بن جبلة الكندي، والأرقم بن عبد الله الكندي من بني الأرقم، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، من بني عامر بن شهران ثم من قحافة، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العزيان من بني هميم، وعمر بن شهاب التميمي من بني منقر، وعبد الله بن حوية السعدي من بني تميم، فمضوا بهم حتى نزلوا مرج عذراء، فحبسوا بها. ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين مع عامر بن الأسود العجلي، بعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر بن هوزان، وسعيد بن نمران الهمداني ثم الناعطي، فتما أربعة عشر رجلاً، فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما، وفرض كتابهما، فقرأه على أهل الشام، فإذا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان. أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوه، وكفاه مؤنة من بغى عليه. إن طواغيت من هذه الترابية السبئية، رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم، وأمكنا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرفهم وذوي السن والدين منهم، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل مصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا.

فلما قرأ الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال: ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تستمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فيكفيهم طواغيتنا.

ودفع وائل بن حجر كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية، فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد، فإنه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالعرف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. فقرأ كتابه على وائل بن حجر وكثير، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم.

فحبس القوم بمرج عذراء، وكتب معاوية إلى زياد: أما بعد،

والخارث وشداد ابنا الأزعم الهمدانيان، ثم الرادعيان، وكريب بن سلمة بن يزيد الجعفي، وعبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وزحر بن قيس الجعفي، وقدامة بن العجلان الأزدي وعزرة بن عزرة الأحسي - ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدوا عليه، فراغا - وعمر بن قيس ذي اللحية وهانئ بن أبي حية الوادعيان.

فشهد عليه سبعون رجلاً، فقال زياد: القوهم إلا من قد عرف بحسب وصلاح في دينه، فآلقوا حتى صيروا إلى هذه العدة، وألقت شهادة عبد الله بن الحجاج الثعلبي، وكتبت شهادة هؤلاء الشهود في صحيفة، ثم دفعها إلى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب الخارثي، وبعثهما عليهم، وأمرهما أن يخرججا بهم. وكتب في الشهود شريح بن الخارث القاضي وشريح بن هانئ الخارثي، فأما شريح فقال: سألني عنه، فأخبرته أنه كان صواماً قواماً، وأما شريح بن هانئ الخارثي فكان يقول: ما شهدت، ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي، فأكذبت ولمته، وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرج القوم عشية، وسار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة.

فلما انتهوا إلى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره وهي في جبانة عرزم، فإذا بناته مشرفات، فقال لوائيل وكثير: ائذنا لي فأرصي أهلي، فأذنا له، فلما دنا منهم وهن بيكين، سكت عنهن ساعة ثم قال: اسكتن، فسكتن، فقال: اتقين الله عز وجل، واصبرن فإني أرجو من ربي في وجهي هذا إحدى الحسينين: إما الشهادة، وهي السعادة، وإما الانصراف إليكن في عافية، وإن الذي كان يرضكن ويكفيكن مؤنتكن هو الله تعالى - وهو حي لا يموت - أرجو ألا يضيعكن وأن يحفظني فيكن ثم انصرف فمر بقومه، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية، فقال: إنه لما يعدل عندي خطراً ما أنا فيه هلاك قومي. يقول: حيث لا ينصرونني، وكان رجلاً أن يتخلصوه.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح العبسي، عن عبيد الله بن الحر الجعفي، قال: والله إنني لواقف عند باب السري بن أبي وقاص حين مروا بحجر وأصحابه، قال: فقلت: ألا عشرة رهط استنفذ بهم هؤلاء! إلا خمسة! قال: فجعل يتلف، قال: فلم يجيني أحد من الناس، قال: فمضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغرين، فلحقهم شريح بن هانئ معه كتاب، فقال لكثير: بلغ كتابي هذا إلى أمير المؤمنين، قال: ما فيه؟ قال: لا تسألني فيه حاجتي، فأبى كثير وقال: ما أحب أن أتى أمير المؤمنين بكتاب لا أدري ما فيه، وعسى ألا يوافقه! فأتى به وائل بن حجر فقبله منه. ثم مضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء، وبينها

وقد سألتني ابني عمك، فهما لك. وطلب وائل بن حجر في الأرقم فكره له، وطلب أبو الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن ثمران الهمداني فوهبه له، وكلمه حبيب بن مسلمة في ابن حوية، فخلى سبيله.

وقام مالك بن هبيرة السكوني، فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين، دع لي ابن ابن عمي حجراً، فقال: إن ابن عمك حجراً رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد على مصري، فيضطرنا غداً إلى أن ننخصك وأصحابك إليه بالعراق. فقال له: والله ما أنصفتي يا معاوية، قاتلت معك ابن عمك فتلقاني منهم يوم كيوم صفين، حتى ظفرت ككف وعلا كعكك ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وبسطت من القول بما لا انتفع به، وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر! ثم انصرف فجلس في بيته، فبعث معاوية هدية بن فياض القضاعي من بني سلامان بن سعد والحصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدي، فاتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور مقبلاً: يقتل نصفنا وينجو نصفنا، فقال سعيد بن ثمران: اللهم اجعلي ممن ينجو وأنت عني راض، فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلي ممن يكرم بهوانهم وأنت عني راض، فطلما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراه!

فجاء رسول معاوية إليهم بتخيلة ستة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فابروا من هذا الرجل نخل سبيلكم. قالوا: اللهم إنا لسنا فاعلي ذلك. فأمر بقبورهم فحفرت، وأدريت أكفانهم، وقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، لقد رأيناكم البارحة قد اطلتم الصلاة، وأحستم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق، فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم، ثم قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل! قالوا: بل تتولاہ وتبرأ ممن تبرأ منه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقبله، ووقع قبضة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البدي، فقال له قبضة: إن الشر بين قومي وقومك آمن، فليقتلني سواك، فقال له: بترك رحم! فأخذ الحضرمي فقتله، وقتل القضاعي قبضة بن ضبيعة.

قال: ثم إن حجراً قال لهم: دعوني أتوضأ، قالوا له: توضأ، فلما أن توضأ قال لهم: دعوني أصل ركعتين فأبى الله ما

فقد فهمت ما اقتضت به من أمر حجر وأصحابه، وشهادة من قبلك عليهم، فنظرت في ذلك، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم. والسلام.

فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجة بن ربيعة التيمي: أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصير فلا تردن حجراً وأصحابه إلى.

فأقبل يزيد بن حجة حتى مر بهم بعذراء. فقال: يا هؤلاء أما والله ما أرى براءتكم، ولقد جئت بكتاب فيه الذبح، فمروني بما أحببتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به. فقال حجر: أبلغ معاوية أنا على بيعتنا، لا نستقبلها ولا نقيها، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأطناء. فقدم يزيد بالكتاب إلى معاوية فقرأه، وبلغه يزيد مقالة حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ويقال: عثمان بن عمير الثقفي: جذاذها جذاذها، فقال له معاوية: لا تعن أبراً. فخرج أهل الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن، فأتوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أم الحكم، فقال النعمان: قتل القوم، وأقبل عامر بن الأسود العجلي وهو بعذراء يريد معاوية ليعلمه علم الرجلين اللذين بعث بهما زياد، فلما ولي ليمضي قام إليه حجر بن عدي يرسف في القيود، فقال: يا عامر، اسمع مني، أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام، وأخبره أنا قد أومنا وصالحناه، فليقتل الله، ولينظر في أمرنا. فقال له لحواً من هذا الكلام، فأعاد عليه حجر مراراً، فكان الآخر عرض، فقال: قد فهمت لك - أكثر، فقال له حجر: إني ما سمعت بعبيع، وعلى أية تلوم! إنك والله تحبى وتعطى، وإن حجراً يقدم ويقتل، فلا الومك أن تستثقل كلامي، اذهب عنك، فكأنه استحيا، فقال: لا والله ما ذلك بي، ولا بلغن ولا جهدن، وكأنه يزعم أنه قد فعل، وأن الآخر أبى.

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرجلين. قال: وقام يزيد بن أسد البجلي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي ابني عمي - وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما: إن امرأين من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن، سعى بهما ساع ظنين إلى زياد، فبعث بهما في النفر الكوفيين الذين وجه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يحدث حدثاً في الإسلام ولا نبياً على الخليفة، فليضعهما ذلك عند أمير المؤمنين - فلما سألهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير، فقال: قد كتب إلي ابن عمك فيهما جرير، محسناً عليهما الثناء، وهو أهل أن يصدق قوله، وتقبل نصيحته،



توضأت قط إلا صليت ركعتين، قالوا: لتصل، فصلى، ثم انصرف فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولو لا أن تروا أن ما بي جزء من الموت لأحببت أن أستكثر منها. ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إنسي لأول فارس من المسلمين هلك في واديهما، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها. فمشى إليه الأعور هدية بن فياض بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فأنا أدعك فأبرأ من صاحبك، فقال: مالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفنأ منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإنني والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرب. فقتله، وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقاتلتهما، فبعث إليهم أن آتوني بهما.

فلما دخل عليه قال الخثعمي: الله الله يا معاوية، فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم مسؤول عما أردت بقتلنا، وفيهم سفكت دماءنا، فقال معاوية: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، قال: أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟ فسكت، وكره معاوية أن يجيبه.

وقام شمر بن عبد الله من بني قحافة، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي ابن عمي، قال: هو لك، غير أنني حابسه شهراً، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه، وقال له: إنني لأنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك. ثم إن شمراً عاوده فيه الكلام، فقال: غررك على هبة ابن عمك، فدعاه فخلى سبيله على ألا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان، فقال: تخبر أي بلاد العرب أحب إليك أن أسيرك إليها، فاختر الموصلي، فكان يقول: لو قد مات معاوية قدمت مصر، فمات قبل معاوية بشهر.

ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي فقال: إيه يا أخا ربيعة! ما قولك في علي؟ قال: دعني ولا تسألني فإنه خير لك، قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه، قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الأبرار بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس، قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم، وأرتج أبواب الحق، قال: قتلت نفسك، قال: بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادي - يقول حين كلم شمر الخثعمي في كريم بن عفيف الخثعمي، ولم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه - فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: أما بعد، فإن هذا العنزي شر من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، واقتله شر قتله.

### تسمية من قتل من أصحاب حجر رحمه الله

حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي ثم المقرري، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، فبعث به إلى زياد فدفن حياً بقس الناطف، فهم سبعة قتلوا وكفنوا وصلي عليهم.

قال: فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حجر وأصحابه، قال: صلوا عليهم، وكفّنوهم، واستقبلوا بهم القبلة، قالوا: نعم قالوا: حجّوهم ورب الكعبة!.

### تسمية من نجا منهم

كريم بن عفيف الخثعمي، وعبد الله بن حوية التميمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، والأرقم بن عبد الله الكندي وعتبة بن الأخنس، من بني سعيد بن بكر، وسعيد بن غرمان الهمداني فهم سبعة.

وقال مالك بن هيرة السكوني حين أبى معاوية أن يهب له حجراً وقد اجتمع إليه قومه من كندة والسكون وناس من اليمن كثير، فقال: والله لنحن أغنى عن معاوية من معاوية عنا، وإننا لنجد في قومه منه بدلاً، ولا نجد منّا في الناس خلفاً، سيروا إلى هذا الرجل فلنخله من أيديهم، فأقبلوا يسرون ولم يشكوا أنهم بعداء لم يقتلوا، فاستقبلتهم قتلهم قد خرجوا منها، فلما راوه في الناس ظنوا أنما جاء بهم ليخلص حجراً من أيديهم، فقال لهم ما وراءكم؟ قال: تاب القوم، وجئنا لنخبر معاوية. فسكت عنهم، ومضى نحو عذراء، فاستقبله بعض من جاء منها فأخبر أن القوم قد قتلوا، فقال: علي بالقوم! وتبعهم الخيل وسبقوهم حتى دخلوا على معاوية فأخبروه خبر ما أتى له مالك بن هيرة ومن معه من الناس، فقال لهم معاوية: اسكنوا، فإنما هي حرارة يجدها في نفسه، وكأنها قد طفت، ورجع مالك حتى نزل في منزله، ولم يأت معاوية، فأرسل إليه معاوية فأبى أن يأتيه،

فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم، وقال له: إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى، وإن حجر بن عدي لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر، فقبلها، وطابت نفسه، وأقبل إليه من غده في جموع قومه حتى دخل ورضي عنه.

قال أبو مخنف: وحدثنني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، أن عائشة رضي الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.

قال أبو مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: كانت عائشة تقول: لولا أنا لم تغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر. أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً.

قال أبو مخنف: وحدثنني عبد الملك بن نوفل، عن سعيد المقبري، أن معاوية حين حج مر على عائشة - رضوان الله عليها - فاستأذن عليها، فأذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية، أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك؟ قال: بيت الأمن دخلت، قالت: يا معاوية، أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلهم، إنما قتلهم من شهد عليهم.

قال أبو مخنف: حدثني زكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد.

قال أبو مخنف: وزعموا أن معاوية قال عند موته: يوم لي من ابن الأديب طويل! ثلاث مرات - يعني حجراً.

قال أبو مخنف: عن الصقعب بن زهير، عن الحسن، قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذا الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنانير، وادعائه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر! مرتين.

وقالت هند ابنة زيد بن مخزومة الأنصارية، وكانت تشيع ترثي حجراً:

ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير  
يسير إلى معاوية بن حرب ليقبله كما زعم الأمير  
تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير  
وأصبحت البلاد بها عولاً كأن لم ينجها مزن مطير  
الا يا حجر حجر بني عدي تلقىك السلامة والسرور  
أخاف عليك ما أردى عدياً وشيخاً في دمشق له زئير  
يرى قتل الخيار عليه حقاً له من شر أمته وزير  
الا ياليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير!  
فإن تهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير  
وقالت الكندية ترثي حجراً - ويقال: بل قاتلها هذه الأنصارية:

دموع عيني ديمة تقطر تبكي على حجر وما تفر  
لو كانت القوس على أسره ما حمل السيف له الأور

وقال الشاعر يحرض بني هند من بني شيبان على قيس بن عباد حين سعى بصيفي بن فسيل:

دعا ابن فسيل يال مرة دعوة ولاقي ذباب السيف كفاً ومعصما  
فحرض بني هند إذا ما لقيتهم وقل لغيثك وابنه يتكلما  
لتبكي بني هند قتيلة مثل ما بكت عرس صيفي وتبعث ماتما

غيث بن شيبان، وكان شريفاً، وقتيلة أخت قيس بن عباد، فعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث في موطنه، فقال حوشب للحجاج بن يوسف: إن منا امرأ صاحب فتن ووثوب على السلطان، لم تكن فتنة في العراق قط إلا وثب فيها، وهو ترابي، يلعن عثمان، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في موطنه كلها، يحرض الناس حتى إذا أهلكهم الله، جاء فجلس في بيته، فبعث إليه الحجاج فضرب عنقه، فقال بنو أبيه لآل حوشب: إنما سعيتم بنا سعيًا، فقالوا لهم: وأنتم إنما سعيتم بصاحبنا سعيًا.

فقال أبو مخنف: وقد كان عبد الله بن خليفة الطائي شهد مع حجر بن عدي، فطلبه زياد فتوراه، فبعث إليه الشرط، وهم أهل الحمراء يومئذ، فأخذوه، فخرجت أخته النوار فقالت: يا معشر طييء، أنسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة! فشد الطائيون على الشرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبد الله بن خليفة، فرجعوا إلى زياد، فأخبروه، فوثب على عدي بن حاتم وهو في المسجد، فقال: اتني بعبد الله بن خليفة، قال: وما له! فأخبره، قال: فهذا شيء كان في الحي لا علم لي به، قال: والله لتأتي به، قال: لا، والله لا أتيتك به أبداً، أجيتك بابن عمي تقتله! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه. قال: فأمر به إلى السجن، قال: فلم يبق بالكوفة يماني ولا ربعي إلا أتاه وكلمه،

وقالوا: تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله ﷺ قال: فإني أخرجه على شرط، قالوا: ما هو؟ قال: يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان. فأتي عدي فأخبر بذلك، فقال: نعم، فبعث عدي إلى عبد الله بن خليفة فقال: يا ابن أخي، إن هذا قد لج في أمرك، وقد أبى إلا إخراجك عن مصر كما دام له سلطان، فالحق بالجبلين، فخرج، فجعل عبد الله بن خليفة يكتب إلى عدي، وجعل عدي يُعَيِّنُهُ، فكتب إليه:

تذكرت ليلي والشبية أعصرا وذكر الصبا برح على من تذكرنا وولى الشباب فافقدت غضونه فيالك من وجد به حين أدبرنا فعد عنك تذكر الشباب وفقدته وآتاه إذ بان منك فأنقصا وبك على الخللان لما تخرموا ولم يجودا عن منهل الموت مصدرا دعته منابها ومن حان يومه من الناس فاعلم أنه لن يؤخرا أولئك كانوا شيعة لي وموئلاً إذا اليوم ألقى ذا احتدام مذكرا وما كنت أهوى بعدهم متعللاً بشيء من الدنيا ولا أن أعمرها أقول ولا والله أنسى أذكاهم سجين الليالي أو أموت فأتبرا على أهل عناء السلام مضاعفاً من الله وليست الغمام الكههورا ولاقى بها حجر من الله رحمة فقد كان أرضى الله حجر وأعزرا ولا زال تهطال ملث وديمة على قبر حجر أو ينادى فيحشرا فيما حجر من للخل تدمي نخورها وللملك المغزي إذا ما تغشرا ومن صاعد بالحق بعدك ناطق بقوى ومن إن قيل بالجور غيرا فنعم أخو الإسلام كنت وإني لأطمع أن تؤتى الخلود وتغبرا وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه تعرف معروفاً وتكرر منكرا فيا أخونا من هميم عصمتنا ويسرنا للصالحات فأبشرا وبأخوي الخندقيين أبشرا فقد كتبا حيثما أن تبشرا وبأخواننا من حضرموت وغالب وشيخان لقيتم حساباً يسيراً سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم حجاجاً لدى الموت الجليل وأصبرا سأكبكم ما لاح نغم وغرد الـ حمام بطن الواديين وقرقرا فقلت ولم أظلم أغوث بن طيء من كنت أخشى بينكم أن أسيرا هلبتم إلا أقاتلتم عن أخيككم وقد ذب حتى مال ثم تجورا ففرجتم عني ففودرت مسلماً كائي غريب في إساد وأعصرا فمن لكم مثلي لدى كل غارة ومن لكم مثلي إذا لباس أصحرا ومن لكم مثلي إذا الحرب قلصت وأوضع فيها المستमित وشمرا فها أنا ذا داري بأجبال طيء طريداً ولو شاء الإله لغبرا ففاني عدوي ظلماً عن مهاجري رضىت بما شاء الإله وقلدرا وأسلمني قومي لغبر جنابة كان لم يكونوا لي قبلاً ومعثرا فإني ألف في دار بأجبال طيء وكان معاناً من عصير ومعضراً فما كنت أخشى أن أرى متغرباً لحا الله من لاحى عليه وكثرا لحا الله قتل الحضرميين وإنشأ ولاقى الفنا من السنان الموقرا

ولاقى الردى القوم الذين تخزبوا علينا وقالوا قول زور ومكراً فلا يدعي قوم لغوث بن طيء لأن دهرهم أشقى بهم وتغبرا فلم أغزهم في المعلمين ولم أئر عليهم عجاجاً بالكوفة أكندرا فبلغ خليلي إن رحلت مشرقاً جديلة والحين معناً وبحترا ونهبان والأفناء من جذم طيء ألم أك فيكم ذا الغناء العشزرا! ألم تذكروا يوم العذيب البتي أمامكم ألا أرى الدهر ملدبرا! وكري على مهران والجمع حاسر وقتلى الهمام المستमित المسورا ويسوم جلولا الوقيعة لم ألم ويسوم نهالوند الفتوح وتسترا وتنسوني يوم الشريعة والقنا بصفين في أكناهم قد تكسرا جزى ربه عني عدي بن حاتم برفضي وخذلاني جزاء موفراً أتسى بلاني سادراً يا ابن حاتم عشة ما أغنت عليك حزمرا! فدافعت عنك القوم حتى تحاذلوا وكنت أنا الخصم الألد العلورا فولو وما قاموا مقامى كأنما راووني ليشاً بالأبساء غندرا نصرتمك إرخام القريب وأبعط الـ سعيد وقد أقردت نصراً مؤزرا فكان جزائي أن أجرد بينكم سجيناً وإن أولى الهوان وأوسرا وكم علة لي منك أنك راجعي فلم تغن بالميعاد عني حبترا فأصبحت أروع النيب طوراً وتارة أهرهر إن راعى الشويهاه هرهرا كائي لم أركب جواداً لغارة ولم أترك القرن الكمي مقطرا ولم أعترض بالسيف خيلاً مغيرة إذا النكس مشى الفقري ثم جرجرا ولم أستح الركض في إثر عصة ميممة علياً سجاجس وأبهرا ولم أذعر الأبلاد مني بفارة كورد القطا ثم انحدرت مظفرا ولم أر في خيل تطالعن بالقنا بقزوين أو شروين أو أغز كندرا فذللك دهر زال عني حميده وأصبح لي معروفة قد تكسرا فلا يبعدن قومي وإن كنت غائباً وكنت المضاع فيهم والمكفرا ولا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم وإن كنت عنهم نائي الدار محصرا فمات بالجبلين قبل موت زياد.

وقال عبيدة الكندي ثم البدي، وهو يعبر محمد بن الأشعث بخذلانه حجراً:

أسلمت عمك لم تقا تل دونه فرقاً ولولا أنت كان منيعا وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا لو كنت من أسد عرفت كرامتي ورايت لي بيت الحباب شفيعا

### ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة وجه زياد الربيع بن زياد الحارثي أميراً على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الغفاري، وكان الحكم قد استخلف على عمله بعد موته أنس بن أبي أناس، وأنس هو الذي صلى على الحكم حين مات فدفن في دار خالد بن عبد الله أخي خلد بن عبد الله الحنفي، وكتب بذلك الحكم إلى زياد،

فعزل زياد أنساً، وولى مكانه خليل بن عبد الله الحنفي.

فحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: لما عزل زياد أنساً وولى مكانه خليل بن عبد الله الحنفي قال أنس:

ألا من مبلغ عني زياداً مغفلتة يحب بها البريد  
أنعزلني وتطعمها خليلداً لقد لاقت حنيفة ما تريد  
عليكم باليمامة فاحرثوها فأولكم وأخركم عبيد  
فولى خليلداً شهراً ثم عزله، وولى خراسان ربيع بن زياد  
الحارثي في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناس عيالاتهم إلى  
خراسان، ووطنوا بها، ثم عزل الربيع.

فحدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب  
وعبد الرحمن بن أبان القرشي، قالوا: قدم الربيع خراسان ففتح  
بلخاً صلحاً، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن  
قيس، وفتح قهستان عنوة، وكانت بناحيها أتراك، فقتلهم  
وهزمهم، وكان ممن بقي منهم نيزك طرخان، فقتله قتيبة بن مسلم  
في ولايته.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: غزا الربيع فقطع  
النهر ومعه غلامه فروخ وجاريتيه شريفة، فغنم وسلم، فأعنت  
فروخاً، وكان قد قطع النهر قبله الحكم بن عمرو في ولايته ولم  
يفتح.

فحدثني عمر، عن علي بن محمد، قال: كان أول المسلمين  
شرب من النهر مولى للحكم، اغترف بترسه فشرب، ثم تناول  
الحكم فشرب، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين، وكان أول  
الناس فعل ذلك، ثم قفل.

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية، حدثني بذلك  
أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي  
معشر، وكذلك قال الواقدي.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص،  
وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد، وعلى قضاء الكوفة  
شريح، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربي.

## السنة الثانية والخمسون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

فزعم الراقدي أن فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الأزدي، ومشته بأرض الروم، وأنه توفي بها، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري.

وقال غيره: بل السذي شتا بأرض الروم في هذه السنة بالناس بسر بن أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف الأزدي، وغزا الصائفة في هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفي.

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص في قول أبي معشر والواقدي وغيرهما.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال عليها كانوا في سنة إحدى وخمسين.

## السنة الثالثة والخمسون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مشى عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي بأرض الروم.

وفيهال فتحت رودس، جزيرة في البحر، ففتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي، فنزلها المسلمون - فمما ذكر محمد بن عمر - وزرعوا واتخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن، ولهم ناطور يجذرون ما في البحر ممن يريدهم بكيد، فكانوا على حذر منهم، وكانوا أشد شيء على الروم، فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يدر لهم الأرزاق والعطاء، وكان العدو قد خافهم، فلما مات معاوية أقفلهم يزيد بن معاوية.

وفيهال كانت وفاة زياد بن سمية، حدثني عمر، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن الزبير، عن فيل مولى زياد، قال: ملك زياد العراق خمس سنين، ثم مات سنة ثلاث وخمسين.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما نزل زياد على العراق بقي إلى سنة ثلاث وخمسين، ثم مات بالكوفة في شهر رمضان وخليفته على البصرة سمرة بن جندب.

## ذكر سبب مهلك زياد بن سمية

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، قال: أخبرني عبد الله بن شوذب، عن كثير بن زياد، أن زياداً كتب إلى معاوية: إني ضبطت العراق بشمالي، ويميني فارغة. فضم إليه معاوية العروص - وهي اليمامة وما يليها - فدعا عليه ابن عمر، فظعن ومات. فقال ابن عمر حين بلغه الخبر: اذهب إليك ابن سمية، فلا الدنيا بقيت لك، ولا الآخرة أدركت.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: كتب زياد إلى معاوية: قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز، وبعث في ذلك الهيثم بن الأسود النخعي، وكتب له عهده مع الهيثم، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبد الله بن عمرو بن الخطاب، فذكروا ذلك له، فقال: ادعوا الله عليه يكفيكموه، فاستقبل القبلية واستقبلوها فدعوا ودعا، فخرجت طاعونة على أصبعه، فأرسل إلى شريح - وكان قاضيه - فقال: حدث بي ما ترى، وقد أمرت بقطعها، فأشر علي، فقال

له شريح: إني أخشى أن يكون الجراح على يدك، والألم على قلبك، وأن يكون الأجل قد دنا، فتلقى الله عز وجل أجذم، وقد قطعت يدك كراهية للقاءه، أو أن يكون في الأجل تأخير وقد قطعت يدك فتعيش أجذم وتغير ولدك فتركها، وخرج شريح فسأله، فأخبرهم بما أشار به، فلاموه وقالوا: هلا أشرت عليه بقطعها! فقال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤمن».

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: قال عبد الله: سمعت بعض من يحدث أنه أرسل إلى شريح يستشيريه في قطع يده، فقال: لا تفعل، إنك إن عشت صرت أجذم، وإن هلكت إياك جانياً على نفسك، قال: أثم والطاعون في الحاف! فعزم أن يفعل، فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وترك ذلك.

حدثني عمر، قال: حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، قال: حدثني ابن أبي زياد، قال: لما حضرت زياداً الوفاة قال له ابنه: يا أبت، قد هيات لك ستين ثوباً أكفئك فيها، قال: يا بني، قد دنا من أهلك لباس خير من لباسه هذا، أو سلب سريع، فمات فدفن بالثوية إلى جانب الكوفة، وقد توجه يزيد إلى الحجاز والياً عليها، فقال مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم:

رأيت زيادة الإسلام ولست جهاراً حين ودعنا زياد  
وقال الفرزدق لمسكين - ولم يكن هجا زياداً حتى مات:

أمسكين أبكي الله عينك إنفا جري في ضلال دمعها فتحدرا  
بكيت امرأ من آل ميسان كافراً ككسرى على عدانه أو كقيصرا  
أقول له لما أناني نعيه به لا بظي بالصرمة أعفرا  
فأجابه مسكين، فقال:

ألا أيها المرء الذي لست ناطقاً ولا قاعداً في القوم إلا أنبرى ليا  
فجنتي بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي أو خال صدق كخاليا  
كعمرو بن عمرو أو زرارة والداً أو البشر من كل فرعت الروايا  
وما زال بي مثل القننة وسابح وخطارة غب السرى من عاليا  
فهذا لأيام الحفاظ وهذه لرحلي وهذا عدة لارتحاليا!

وقال الفرزدق:

أبلغ زياداً لأقبت مصرعه أن الحمامة طارت من الحرم  
طارت فما زال ينميتها قوادمها حتى استغاثت إلى الأنهار والأجم

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، عن سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، عن جرير بن يزيد، قال: رأيت زياداً فيه حمرة في عينه اليمنى انكساراً، أبيض اللحية مغروطها، عليه قميص مرقوع، وهو على بغلة عليها لجامها قد

أرسلها..

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، قال أبي: فشهدت ذلك، فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير، فمات شرمية، قال: وشهدته وأتي بناس كثير وأناس بين يديه فيقول للرجل: ما دينك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأني بريء من الحورية، فيقدم فيضرب عنقه حتى مر بضعة وعشرون.

وحج الناس في هذه السنة سعيد بن العاص في قول أبي معشر الواقدي وغيرهما.

وكان العامل فيها على المدينة سعيد بن العاص، وعلى الكوفة بعد موت زياد عبد الله بن أسيد، وعلى البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب، وعلى خراسان خليلد بن عبد الله الحنفي.

### ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي

وفي هذه السنة كانت وفاة الربيع بن زياد الحارثي، وهو عامل زياد على خراسان.

#### ذكر الخبر عن سبب وفاته:

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: ولي الربيع بن زياد خراسان ستين وأشهرًا، ومات في العام الذي مات فيه زياد، واستخلف ابنه عبد الله بن الربيع، فولى شهرين، ثم مات عبد الله. قال: فقدم عهده من قبل زياد على خراسان وهو يدفن، واستخلف عبد الله بن الربيع على خراسان خليلد بن عبد الله الحنفي.

قال علي: وأخبرني محمد بن الفضل، عن أبيه، قال: بلغني أن الربيع بن زياد ذكر يوماً بخراسان حجر بن عدي، فقال: لا تزال العرب تقتل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فذلت، فمكث بعد هذا الكلام جمعة، ثم خرج في ثياب بياض في يوم جمعة، فقال: أيها الناس، إني قد مللت الحياة، وإني داع بدعوة فأمنوا. ثم رفع يده بعد الصلاة، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً. وأمن الناس فخرج، فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته، واستخلف ابنه عبيد الله، ومات من يومه، ثم مات ابنه، فاستخلف خليلد بن عبد الله الحنفي، فأقره زياد، فمات زياد وخليد على خراسان، وهلك زياد وقد استخلف على عمله على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة سمرة بن جندب الفزاري.

فحدثني عمر بن شبة قال: حدثني علي، قال: مات زياد وعلى البصرة سمرة بن جندب خليفة له، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، فأقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهراً.

قال عمر: وبلغني عن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: أقر معاوية سمرة بعد زياد ستة أشهر، ثم عزله، فقال سمرة: لعن الله معاوية! والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبتني أبداً.

حدثني عمر، قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثني سليمان بن مسلم العجلي، قال: سمعت أبي يقول: مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة فادى زكاة ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه، فإذا رأسه في المسجد، ويدنه ناحية، فمر أبو بكر، فقال: يقول الله سبحانه:

المؤمنين بنا في قربتنا، أن يضغن بعضنا على بعض! فأمر المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنيين، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء، وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلا بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم، واجتماع كلمتنا، لكان حقاً علينا أن نرعى ذلك، والذي أدركنا به خير، فكتب إليه يتصل من ذلك، وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده.

عاد الحديث إلى حديث عمر، عن علي بن محمد، قال: فلما ولي مروان كتب إليه: أهدم دار سعيد، فأرسل الفعلة، وركب ليهدها، فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك، أتهدم داري! قال: نعم، كتب إلى أمير المؤمنين، ولو كتب في هدم داري لفعلت، قال: ما كنت لأفعل، قال: بلى، والله لو كنت إليك لهدمتها، قال: كلا أبا عبد الملك. وقال لغلامه: انطلق فجنني بكتاب معاوية، فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مروان بن الحكم، قال: مروان كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري، فلم تهدم ولم تعلمني. قال: ما كنت لأهدم دارك، ولا أمن، عليك، وإنما أراد معاوية أن يخرض بيننا، فقال مروان: فذاك أبي وأمي! أنت والله أكثر منا ريشاً وعقباً. ورجع مروان ولم يهدم دار سعيد.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو محمد بن ذكوان القرشي، قال: قدم سعيد بن العاص على معاوية، فقال له: يا أبا عثمان، كيف تركت أبا عبد الملك؟ قال: تركته ضابطاً لعملك، منفذاً لأمرك قال: إنه كصاحب الخبزة كفي نضجها فاكلها، قال: كلا، والله يا أمير المؤمنين، إنه لمع قوم لا يحمل بهم السوط، ولا يحل لهم السيف، يتهادون كوقع النبل، سهم لك وسهم عليك، قال: ما باعد بينك وبينه؟ قال: خافني على شرفه، وخفته على شرفي، قال: فماذا له عندك؟ قال: أسره غائباً، وأسره شاهداً، قال: تركتنا يا أبا عثمان في هذه الهنات، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فتحملت الثقل، وكيف الحزم، وكنت قريباً لو دعوت أجبته، ولو ذهبت رفعت.

وفي هذه السنة كان عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة، واستعمل عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان.

فحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد قال: عزل معاوية سمرة وولي عبد الله بن عمرو بن غيلان، فأقره ستة أشهر، فولى عبد الله بن عمرو شرطه عبد الله بن حصن.

ذكر تولية معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة ولي معاوية عبيد الله بن زياد خراسان.

## السنة الرابعة والخمسون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مشى محمد بن مالك أرض الروم، وصائفة ممن بن يزيد السلمي.

وفيهما - فيما زعم الواقدي فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة في البحر قريبة من قسطنطينية يقال لها أرواد.

وذكر محمد بن عمر أن المسلمين أقاموا بها دهرًا، فيما يقال سبع سنين، وكان فيها مجاهد بن جبر قال: وقال تبيع ابن امرأة كعب: تسرون هذه الدرجة؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا. قال: فهاجت ريح شديدة فقلعت الدرجة، وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقتل فقلنا، فلم تعمر بعد ذلك وخربت، وأمن الروم.

### ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

وفيهما عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة، واستعمل عليها مروان بن الحكم.

### ذكر سب عزل معاوية سعيداً واستعمال مروان

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، عن جوية بن أسماء، عن أشياخه، أن معاوية كان يغري بين مروان وسعيد بن العاص، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة: أهدم دار مروان، فلم يهدمها، فأعاد عليه الكتاب بهدمها، فلم يفعل، فعزله وولى مروان.

وأما محمد بن عمر، فإنه ذكر أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية، ويقبض فذلك منه - وكان وهبها له، فراجع سعيد بن العاص في ذلك، وقال: قرابته قريبه. فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مروان، فأبى، وأخذ سعيد بن العاص الكتائب فوضعهما عند جارية، فلما عزل سعيد عن المدينة فولىها مروان، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالبحجاز، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك، فخبه أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت، فدعا سعيد بن العاص بالكتائب اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مروان يأمره فيهما بقبض أمواله، فذهب بهما إلى مروان فقال: هو كان أوصل لنا منا له! وكف عن قبض أموال سعيد.

وكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: العجب مما صنع أمير



ذكر سبب ولاية ذلك:

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا مسلمة بن محارب ومحمد بن أبان القرشي، قالا: لما مات زياد وقد عبيد الله إلى معاوية فقال له: من استخلف أخى على عمله بالكوفة؟ قال: عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: فمن استعمل على البصرة؟ قال: سمرة بن جندب الفزاري، فقال له معاوية: لو استعملك أبوك استعملتك، فقال له عبيد الله: أنشدك الله أن يقولها إلى أحد بعدك: لو ولاك أبوك وعمك لوليتك!.

قالا: وكان معاوية إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاء الطائف، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولاء مكة معها، فإن أحسن الولاية وقام بما ولي قياً حسناً جمع له معهما المدينة، فكان إذا ولي الطائف رجلاً قيل: هو في أبي جاد، فإذا ولاء مكة قيل: هو في القرآن، فإذا ولاء المدينة قيل: هو قد حذق.

قالا: فلما قال عبيد الله ما قال ولاء خراسان، ثم قال له حين ولاء: إني قد عهدت إليك مثل عهدي إلى عمالي، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي: لا تبغين كثيراً بقليل، وخذ لنفسك من نفسك، واكف فيما بينك وبين عدوك بالوفاء تخف عليك المؤونة وعلينا منك، وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى الناس، ولا يكن لأحد فيه مطمع ولا يرجعن عليك وأنت تستطيع، وإذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الأرض فلا يغلبوك على بطنها، وإن احتاج أصحابك إلى أن تؤاسيهم بنفسك فأسهم.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: أخبرنا علي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، قال: استعمل معاوية عبيد الله بن زياد وقال:

استمسك الفسفس إن لم يقطع

وقال له: اتق الله ولا تؤثر على تقوى الله شيئاً، فإن في تقواه عوضاً، وق عرضك من أن تدنسه، وإذا أعطيت عهداً فف به، ولا تبغين كثيراً بقليل، ولا تخرجن منك أمراً حتى تبرمه، فإذا خرج فلا يردن عليك، وإذا لقيت عدوك فكن أكثر من معك، وقاسمهم على كتاب الله، ولا تظمن أحداً في غير حقه، ولا تؤيسن أحداً من حق له. ثم ودعه.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا مسلمة، قال: سار عبيد الله إلى خراسان في آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشام وقدم إلى خراسان أسلم بن زرعة الكلابي، فخرج، فخرج معه من الشام الجعد بن قيس النمري يرجز بين يديه بمراثية زياد يقول فيها.

وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب أخبار أهل البصرة، قال: حدثني أبو الحسن المدائني قال: لما عقد معاوية لعبيد الله بن زياد على خراسان خرج وعليه عمامة - وكان وضياً - والجعد بن قيس ينشده مرثية زياد:

أبقى على عاذلي من اللوم      فيما أزيلت نعمتي قبل اليوم  
قد ذهب الكريم والظل الدوم      والنعم المؤمل الذثر الحوم  
والماشيات مشية بعد النوم      ليت الجياد كلها مع القوم  
سقين سم ساعة قبل اليوم      لأربع مضين من شهر الصوم

ومنها:

يوم الثلاثاء الذي كان مضى      يوم قضى فيه المليك ما قضى  
وفاة بر ماجد جلد القوى      حرب به نوال جعد والتظى  
كان زياد جيلاً صعب الذرى      شهماً إذا شتمت تقبصات أبى  
لا يبعد الله زياداً إذ ثوى

وبكى عبيد الله يومئذ حتى سقطت عمامته عن رأسه، قال: وقدم عبيد الله خراسان ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل، فكان هو أول من قطع إليهم جبال بخارى في جند، ففتح رامثين ونصف بيكند - وهما من بخارى - فمن ثم أصاب البخارية.

قال علي: أخبرنا الحسن بن رشيد، عن عمه، قال: لقي عبيد الله بن زياد الترك ببخارى ومع ملكهم امرأته فبيج خاتون، فلما هزمهم الله أعجلوها عن لبس خفيها، فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأصابه المسلمون، فقوم الجورب بمائتي ألف درهم.

قال: وحدثني محمد بن حفص، عن عبيد الله بن زياد بن معمر، عن عبادة بن حصن، قال: ما رأيت أحداً أشد بأساً من عبيد الله بن زياد، لقينا زحف من الترك بخراسان، فرأيتهم يقتل فيحمل عليهم فيقطعن فيهم ويغيب عنا، ثم يرفع رايته تقطر دماً.

قال علي: وأخبرنا مسلمة أن البخارية الذين قدم بهم عبيد الله بن زياد البصرة ألفان، كلهم جيد الرمي بالشاب.

قال مسلمة: كان زحف الترك ببخارى أيام عبيد الله بن زياد من زحوف خراسان التي تعد، قال: وأخبرنا الهذلي، قال: كانت زحوف خراسان خمسة: أربعة لقيها الأحنف بن قيس، الذي لقيه بين قهستان وأبرشهر، والزحوف الثلاثة التي لقيها بالمرغاب، والزحف الخامس زحف قارن، فضه عبد الله بن خازم..

قال علي: قال مسلمة: أقام عبيد الله بن زياد بخراسان سنتين.

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم، كذلك

حدثني أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان على المدينة في هذه السنة مروان بن الحكم، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وقال بعضهم: كان عليها الضحاك بن قيس، وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان.

زياد.

قال عمر: حدثني علي بن محمد، قال: عزل معاوية عبد الله بن عمرو وولي عبيد الله بن زياد البصرة في سنة خمس وخسين وولي عبيد الله بن أسلم بن زرعة خراسان فلم يغز ولم يفتح بها شيئاً، وولي شرطه عبد الله بن حصن، والقضاء زوارة بن أوفى ثم عزله، وولي القضاء ابن أذينة العبدى.

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولاه الضحاك بن قيس الفهري.

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

## السنة الخامسة والخمسون

### ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشى سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم في قول الواقدي.

وقال بعضهم: بل الذي كان شتا بأرض الروم في هذه السنة عمرو بن محرز.

وقال بعضهم: بل الذي شتا بها عبد الله بن قيس الفزازي.

وقال بعضهم: بل ذلك مالك بن عبد الله.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاه عبيد الله بن زياد.

### ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن

#### غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

حدثني عمر، قال: حدثنا الوليد بن هشام وعلي بن محمد قال: واختلفا في بعض الحديث - قالوا: خطب عبد الله بن عمرو بن غيلان على منبر البصرة، فحصبه رجل من بني ضبة - قال عمر: قال أبو الحسن: يدعى جبير بن الضحاك أحد بني ضرار - فأمر به فقطعت يده، فقال:

السمع والطاعة والتسليم خير وأعفى لبني نعيم فأتته بنو ضبة، فقالوا: إن صاحبنا جنى ما جنى على نفسه، وقد بالغ الأمير في عقوبته، ونحن لا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين، فيأتي من قبله عقوبة تخص أو تعم، فإن رأى الأمير أن يكتب لنا كتاباً يخرج به أحدنا إلى أمير المؤمنين يخبره أنه قطعه على شبهة وأمر لم يضح، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة - وقال أبو الحسن: لم يزد على ستة أشهر - فوجه إلى معاوية، ووافاه الضبيون، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه قطع صاحبنا ظلماً، وهذا كتابه إليك، وقرأ الكتاب، فقال: أما القود من عمالي فلا يصح، ولا سبيل إليه، ولكن إن شئتم وديت صاحبكم، قالوا: فده، فوداه من بيت المال، وعزل عبد الله، وقال لهم: اختاروا من تحبون أن أولي بلدكم، قالوا: يتخير لنا أمير المؤمنين، وقد علم رأي أهل البصرة في ابن عامر، فقال: هل لكم في ابن عامر؟ فهو من قد عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته، قالوا: أمير المؤمنين أعلم، فجعل يردد ذلك عليهم ليسرهم، ثم قال: قد وليت عليكم ابن أخي عبيد الله بن

## السنة السادسة والخمسون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مشى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم، وقيل: عبد الرحمن بن مسعود.

وقيل غزا فيها البحر يزيد بن شجرة الرهاوي، وفي البر عياض بن الحارث.

وحج بالناس - فيما حدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر الوليد بن عتبة بن أبي سفیان.

وفيهما اعتمر معاوية في رجب.

## ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد

وفيهما دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده، وجعله ولي العهد.

## ذكر السبب في ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو إسماعيل الهمداني وعلي بن مجاهد، قالوا: قال الشعبي: قدم المغيرة على معاوية واستغفاه وشكا إليه الضعف، فأعفاه، وأراد أن يولي سعيد بن العاص، وبلغ كاتب المغيرة ذلك، فأتى سعيد بن العاص فأخبره وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له ربيعة - أو الربيع - من خزاعة، فأتى المغيرة فقال: يا مغيرة، ما أرى أمير المؤمنين إلا قد قلاك، رأيت ابن خنيس كاتبك عند سعيد بن العاص يخبره أن أمير المؤمنين يوليه الكوفة، قال المغيرة: أفلا يقول كما قال الأعشي:

أم غاب ربك فاعترتك خصاصة ولعل ربك أن يعود مؤيدا  
رويداً! ادخل على يزيد، فدخل عليه فعرض له بالبيعة، فأدى ذلك يزيد إلى أبيه، فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة، فأمره أن يعمل في بيعة يزيد، فشحص المغيرة إلى الكوفة، فأتاه كاتبه ابن خنيس، فقال: والله ما غششتك ولا خنتك، ولا كرهت ولايتك، ولكن سعيداً كانت له عندي يد وبلاء، فشكرت ذلك له، فرضي عنه وأعاده إلى كتابته، وعمل المغيرة في بيعة يزيد، وأوفد في ذلك وافداً إلى معاوية.

حدثني الحارث، قال: حدثنا علي، عن مسلمة، قال: لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشير، فبعث زياد إلى

عبيد بن كعب النميري، فقال: إن لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إذاعة السر، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخره يرجو ثواباً، ورجل دنياه له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد عجمتهما منك، فأحدث الذي قبلك، وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف، إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد، وهو يتخوف نفرة الناس، ويرجو مطابقتهم، ويستشيرني، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسالة وتهاون، مع ما قد أوقع به من الصيد، فالتق أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فعات يزيد، فقال له: رويدك بالأمر، فأقمن أن يتم لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفت. فقال عبيد له: أفلا غير هذا! قال: ما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته، وأنت تخوف خلاف الناس لهفات يقومونها عليه، وأنت ترى له ترك ما ينقم عليه، فيستحكم لأمر المؤمنين الحجة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش وأبعد بك إن شاء الله من الخطيئة، قال: تقول بما ترى، ويقضي الله بغيث ما يعلم. فقدم على يزيد فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وألا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا علي، قال: لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد، إن حدث به الموت فيزيد ولي عهد، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر.

فحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عون، قال: حدثني رجل بنحلة، قال: بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس، فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي، فقال: يا ابن أخي، قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قریش أنت تقودهم، يا ابن أخي، فما إربك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم! قال: نعم، أنت تقودهم، قال: فأرسل إليهم، فإن بايعوا كنت رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلت علي بأمر، قال: وتفعل؟ قال: نعم، قال: فأخذ عليه

شكري لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشف الأور، ولست بلائم لنفسي في التشهير، وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك واللّه خير مني وأقرب برسول الله ﷺ، وأما فضل أمك على أمه فما ينكر، امرأة من قریش خير من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الوطئة دحست ليزيد رجلاً مثلك. فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين، ابن عمك، وأنت أحق من نظري في أمره، وقد عتب عليك فأعتهبه، قال: فوالله حرب خراسان، وولي إسحاق بن طلحة خراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمه أم أبان ابنة عتبة بن ربيعة، فلما صار بالري مات إسحاق بن طلحة فولي سعيد خراج خراسان وحررها.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: أخبرنا مسلمة، قال: خرج سعيد إلى خراسان وخرج معه أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي والمهلب بن أبي صفرة وربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع، قال: وكان قوم من الأعراب يقطعون الطريق على الحاج بطن فلج، فقيل لسعيد: إن هنا قوماً يقطعون الطريق على الحاج ويخيفون السبل فلو أخرجتهم معك! قال: فأخرج قوماً من بني تميم، منهم مالك بن الرب المازني في ثييان كانوا معه، وفيهم يقول الراجز:

اللّه انجلك من القصيم ومن أبي حردبة الأثيم  
ومن غوث فاتح المكوم ومالك وسيفه المسموم  
قال علي: قال مسلمة: قدم سعيد بن عثمان، فقطع النهر إلى سمرقند، فخرج إليه أهل الصغد، فتوافقوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال، فقال مالك بن الرب يذم سعيداً:

ما زلت يوم الصغد ترعد وافتقاً من الجين حتى خفت أن تنصرا  
وما كان في عثمان شيء علمته سوى نسله في رهطه حين أدبرا  
ولولا بنو حرب لظلت دماؤكم بطون العظايا من كسير وأعورا

قال: فلما كان الغد خرج إليهم سعيد بن عثمان، وناهضة الصغد، فقاتلهم فهزمهم وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم، وعبر فأقام بالترمد، ولم يف لهم، وجاء بالغلمان الرهن معه إلى المدينة.

قال: وقدم سعيد بن عثمان خراسان وأسلم بن زرعة الكلابي بها من قبل عبيد الله بن زياد، فلم يزل أسلم بن زرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عبيد الله بن زياد بعهدته على خراسان الثانية، فلما قدم كتاب عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمان ليلاً، فأسقطت جارية له غلاماً، فكان سعيد يقول: لأقتلن به رجلاً من بني حرب، وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه،

ألا يخبر مجديتهم أحداً قال: فالتوي عليه، ثم أعطاه ذلك، فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلاً بالطريق قال: يقول لك أخوك ابن الزبير: ما كان؟ فلم يزل به به حتى استخرج منه شيئاً.

ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير، فقال له: قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قریش أنت تقودهم، يا ابن أخي! فما إربك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم! قال: نعم، أنت تقودهم، قال: فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلت علي بأمر، قال: وتفعل؟ قال: نعم، قال: فأخذ عليه ألا يخبر مجديتهم أحداً، قال: يا أمير المؤمنين، نحن في حرم الله عز وجل، وعهد الله سبحانه ثقيل، فأبى عليه، وخرج. ثم أرسل بعده إلى ابن عمر فكلمه بكلام هو البين من كلام صاحبيه، فقال: إني أرهب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها، وقد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قریش أنت تقودهم، فما إربك إلى الخلاف؟ قال: هل لك في أمر يذهب الذم، ويحقن الدم، وتدرك به حاجتك؟ قال: وددت! قال: تبرز سريرك، ثم أجي فأبايعك، على أني أدخل بعديك فيما تجتمع عليه الأمة، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدي على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الأمة، قال: وتفعل؟ قال: نعم، ثم خرج فأتى منزله فأطبّق بابيه، وجعل الناس يجيؤون فلا يأذن لهم.

فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: يا ابن أبي بكر، بأية يد أو رجل تقدم على معصيتي! قال: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي، فقال: والله لقد هممت أن أقتلك، قال: لو فعلت لأتبعك الله به لعنة في الدنيا، وأدخلك به في الآخرة النار. قال: ولم يذكر ابن عباس.

### ذكر عزل ابن زياد عن خراسان

واستعمال سعيد بن عثمان وكان العامل على المدينة في هذه السنة مروان بن الحكم، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان سعيد بن عثمان.

وكان سبب ولايته خراسان ما حدثني عمر، قال: حدثني علي، وقال: أخبرني محمد بن حفص، قال: سأل سعيد بن عثمان معاوية أن يستعمله على خراسان، فقال: إن بها عبيد الله بن زياد، فقال: أما لقد اصطنعك أبي ورفاك حتى بلغت باصطناعه المدي الذي لا يجاري إليه ولا يسامي، فما شكرت بلاءه، ولا جازيته بآلائه، وقدمت علي هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعت له، وو الله لأنا خير منه أباً وأماً ونفساً، فقال: فقال معاوية: أما بلاء أبيك فقد يحق علي الجزاء به وقد كان من

وغيضت القيسية، قال: فدخل همام بن قبيصة النمري فنظر إليه معاوية محمر العينين، فقال: يا همام، إن عينيك لمحمرتان، قال همام: كانتا يوم صفين أشد حمرة، فغم معاوية ذلك، فلما رأى ذلك سعيد كف عن أسلم، فأقام أسلم بن زرعة على خراسان والياً لعبيد الله بن زياد ستين.

## السنة السابعة والخمسون

وكان فيها مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم.  
وفيها صرف مروان عن المدينة في ذي القعدة في قول  
الواقدي، وقال غيره: كان مروان إليه المدينة في هذه السنة.  
وقال الواقدي: استعمل معاوية على المدينة حين صرف  
عنها مروان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.  
وكالذي قال الواقدي قال أبو معشر، حدثني بذلك أحمد  
بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه.  
وكان العامل على الكوفة في هذه السنة الضحاك بن قيس،  
وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان سعيد بن عثمان  
بن عفان.

## السنة الثامنة والخمسون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها نزع معاوية مروان عن المدينة في ذي القعدة في قول أبي معشر، وأمر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عليها، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وفيهما غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم.

وفيهما قتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقدي. قال: ويقال عمرو بن يزيد الجهني، وكان الذي شتا بأرض الروم، وقد قيل: إن الذي غزا في البحر في هذه السنة جنادة بن أبي أمية.

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

## عزل الضحاك عن الكوفة

## واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم

وفي هذه السنة ولي معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وعزل عنها الضحاك بن قيس، ففي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفه، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات المغيرة خرجا من السجن.

فذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف، حدثه عن عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي أن حيان بن ظبيان السلمي جمع إليه أصحابه، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال لهم: أما بعد، فإن الله عز وجل كتب علينا الجهاد، فمننا من قضى نحبه، ومننا من ينتظر، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم، ومن يكن منا من ينتظر فهو من سلفنا القاضين نحبه، السابقين بإحسان، فمن كان منكم يريد الله وثوابه فليسلك سبيل أصحابه وإخوانه يؤته الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله مع المحسنين.

قال معاذ بن جوين الطائي: يا أهل الإسلام، إنا والله لو علمنا أننا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور، كان لنا به عند الله عذر، لكان تركه أيسر علينا، وأخف من ركوبه، ولكننا قد علمنا

واستيقنا أنه لا عذر لنا، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم، ونغير الجور، ونجاهد الظالمين، ثم قال: أبسط يدك نبايعك، فبايعه وبايعه القوم، فضربوا على يد حيان بن ظبيان، فبايعوه، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، وكان على شرطته زائدة بن قدامة الثقفي.

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائي. فقال لهم حيان بن ظبيان: عباد الله، أشيروا برأيكم، أين تأمرونني أن أخرج؟ فقال له معاذ: إنني أرى أن تسير بنا إلى حلوان حتى ننزلها، فإنها كورة بين السهل والجبل، وبين مصر والثغر - يعني بالثغر الري - فمن كان يرى رأينا من أهل مصر والثغر والجبال والسواد لحق بنا. فقال له حيان: عدوك معاجلك قبل اجتماع الناس إليك، لعمري لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسبخة أو زراة والحيرة، ثم نقاتلهم حتى نلحق برينا، فإني والله لقد علمت أنكم لا تقدر أن تقاتلهم دون المائة رجل أن تهزموا عدوكم، ولا أن تشتد نكايتكم فيهم، ولكن متى علم الله أنكم قد أجهدتم أنفسكم في جهاد عدوه وعدوكم كان لكم به العذر، وخرجتم من الإثم. قالوا: رأينا رأيك، فقال لهم عتريس ابن عرقوب أبو سليمان الشيباني: ولكن لا أرى رأي جماعتكم، فانظروا في رأي لكم، إني لا أخالك تجهلون معرفتي بالحرب، وتجربتي بالأمور، فقالوا له: أجل، أنت كما ذكرت، فما رأيك؟ قال: ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمصر، إنكم قليل في كثير، والله ما تزيدون على أن تجزؤهم أنفسهم، وتقرأوا أعينهم بقتلكم، وليس هكذا تكون المكابدة إذ أثرت أن تخرجوا على قومكم، فكيدوا عدوكم ما يضرهم، قالوا: فما الرأي؟ قال: تسيرون إلى الكورة التي أشار بنزولها معاذ بن جوين بن حصين - يعني حلوان - أو تسيرون بنا إلى عين التمر فنقيم بها، فإذا سمع بنا إخواننا أتونا من كل جانب وأوب، فقال له حيان بن ظبيان: إنك والله لو سرت بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ما اطمانتم به حتى يلحق بكم خيول أهل مصر، فأنى تشفون أنفسكم! فوالله ما عدتكم بالكثرة التي ينبغي أن تطعموا معها بالنصر في الدنيا على الظالمين المعتدين، فخرجوا بجانب من مصركم هذا فقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعه الله، ولا تربصوا ولا تنتظروا فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة، وتخرجون أنفسكم بذلك من الفتنة. قالوا: أما إذا كان لا بد لنا فإننا لن نخالفك، فخرج حيث أحببت.

فمكث حتى إذا كان آخر سنة من سني ابن أم الحكم في



## ذكر سبب قتله إياهم:

حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عيسى بن عاصم الأسدي، أن ابن زياد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة بن أدية أخو أبي بلال، فأقبل على ابن زياد فقال: خسر كين في الأمم قبلنا، فقد صرن فينا: «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ. وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ». وخصلتين آخرين لم يحفظهما جرير. فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يجترئ على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه، فقام وركب وترك رهانه، فقبل لعروة: ما صنعت! تعلمن والله ليقتلنك. قال: فتواري، فطلبه ابن زياد، فأتى الكوفة، فأخذ بها فقدم به على ابن زياد، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: أرى أنك أفسدت ديني وأفسدت آخرتك، فقتله، وأرسل إلى ابنته فقتلها.

وأما مرداس بن أدية فإنه خرج بالأهواز وقد كان ابن زياد قبل ذلك حبسه - فيما حدثني عمر، قال: حدثني خلاد بن يزيد الباهلي، قال: حبس ابن زياد - فبين حبس - مرداس بن أدية، فكان السجان يرى عبادته واجتهاده، وكان يأذن له في الليل، فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم إذا أصبح، فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس فأخبرهم، وقال: أرسلوا إلى أبي بلال في السجن فليعهد فإنه مقتول، فسمع ذلك مرداس، وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع، فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم، قال: ثم غدوت! قال: نعم، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقب بسبي، وأصبح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج، ثم دعا بمرداس، فلما حضر وثب السجان - وكان ظنراً لعبيد الله - فأخذ بقدمه، ثم قال: هب هذا، وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه.

حدثني عمر، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني يونس بن عبيد، قال: خرج مرداس أبو بلال - وهو من بني ربيعة بن حنظلة - في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فبعث إليهم ابن زياد جيشاً عليهم ابن حصن التميمي، فقتلوا في أصحابه وهزموه، فقال رجل من بني تميم الله بن ثعلبة:

ألفا مؤمن منكم زعمتم ويقتلهم بأسك أربعونا  
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا

أول السنة - وهو أول يوم من شهر ربيع الآخر - اجتمع أصحاب حيان بن ظبيان إليه، فقال لهم: يا قوم، إن الله قد جمعكم لخير وعلى خير، والله الذي لا إله غيره ما سررت بشيء قط في الدنيا بعد ما أسلمت سروري لمخرجي هذا على الظلمة الأثمة، فوالله ما أحب أن الدنيا بمخايفها لي وأن الله حرمني في مخرجي هذا الشهادة. وإني قد رأيت أن أخرج حتى نستزل جانب دار جرير، فإذا خرج إليكم الأحزاب ناجزتموه. فقال عتريس بن عرقوب البكري: أما أن تقاتلهم في جوف المصر فإنه يقاتلنا الرجال، وتصدع النساء والصبيان، والإماء فيرموننا بالحجارة، فقال لهم رجل منهم: انزلوا بنا إذا من وراء المصر الجسر - وهو موضع زراة، وإغما بنيت زراة بعد ذلك إلا أبياناً يسيرة كانت منها قبل ذلك - فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين الطائي: لا، بل سيروا بنا فلننزل بانقيا فما أسرع ما يأتاكم عدوكم، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا، وجعلنا البيوت في ظهورنا، فقاتلناهم من وجه واحد. فخرجوا، فبعث إليهم جيش، فقتلوا جميعاً.

ثم إن عبد الرحمن بن أم الحكم طرده أهل الكوفة فحدثت عن هشام بن محمد، قال: استعمل معاوية ابن أم الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم، فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له: أوليك خيراً منها، مصر، قال: فولاه، فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر، فقال: أرجع إلى خالك فلمعري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة.

قال: فرجع إلى معاوية، وأقبل معاوية بن حديج واندأ، قال: وكان إذا جاء قلست له الطريق - يعني ضربت له قباب الریحان - قال: فدخل على معاوية وعنده أم الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بخ! هذا معاوية بن حديج، قالت: لا مرحباً به! تسمع بالمعدي خير من أن تراه، فقال: على رسلك يا أم الحكم! أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أغثت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان الله ليبريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطئ منه، وإن كره ذلك الجالس. فالتفت إليها معاوية، فقال: كمّي.

## ذكر قتل عروة بن أدية وغيره من الخوارج

وفي هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، ومن قتل منهم صبراً عروة بن أدية، أخو أبي بلال مرداس بن أدية.

هي الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرون  
قال عمر: البيت الأخير ليس في الحديث، أشدنيه خلاد  
بن يزيد الباهلي.  
وقيل: مات في هذه السنة عميرة بن يثربي قاضي البصرة،  
واستقضى مكانه عليها هشام بن هيرة.  
وكان على الكوفة في هذه السنة عبد الرحمن بن أم الحكم.  
وقال بعضهم: كان عليها الضحاك بن قيس الفهري، وعلى  
البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح.  
وحج بالناس الوليد بن عتبة في هذه السنة، كذلك قال أبو  
معشر والواقدي.

وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم، قال: بل تسوغني ما قلت، ويستعمل عليها غيري. وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف من قبلي.

### ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية

وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية في أشرف أهل البصرة، فعزله عن البصرة، ثم رده عليها وجدده له الولاية.

### ذكر من قال ذلك:

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له: ائذن لوفدك على منازلهم وشرفهم، فأذن لهم، ودخل الأحنف في آخرهم، وكان سيئ المنزلة من عبيد الله، فلما نظر إليه معاوية رحب به، وأجلسه معه على سريره، ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله، والأحنف ساكت، فقال: ما لك يا أبا جحر لا تتكلم! قال: إن تكلمت خالفت القوم. فقال: انهضوا فقد عزلتكم، واطلبوا والياً ترضونه، فلم يبق في القوم أحد إلا أتى رجلاً من بني أمية أو من أشرف أهل الشام، كلهم يطلب، وقعد الأحنف في منزله، فلم يأت أحداً، فلبثوا أياماً، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم، فلما دخلوا عليه قال: من اخترتم؟ فاختلفت كلمتهم، وسمى كل فريق منهم رجلاً والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك يا أبا جحر لا تتكلم! قال: إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك، قال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف، وقبض رأيه في مباحده، فلما هاجت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف.

### ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بني زياد

وفي هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرغ الحميري وعباد بن زياد وهجاء يزيد بني زياد.

### ذكر سبب ذلك:

حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري كان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه مجرب الترك، فاستطأه، فأصاب الجند مع عباد ضيق في أعلاف دوابهم، فقال ابن مفرغ: ألا ليت اللحى عادت حشيشاً فتعلفها خيول المسلمين!

## السنة التاسعة والخمسون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مشى عمرو بن مرة الجهني أرض الروم في البر، قال الواقدي: لم يكن عامئذ غزو في البحر. وقال غيره: بل غزا في البحر جنادة بن أبي أمية.

وفيهما عزل عبد الرحمن بن أم الحكم عن الكوفة، واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، وقد ذكرنا قبل سبب عزل ابن أم الحكم عن الكوفة.

### ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

وفي هذه السنة ولي معاوية عبد الرحمن بن زياد بن سمية خراسان.

### ذكر سبب استعمال معاوية إياه على خراسان:

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو، قال: سمعت أشياخنا يقولون: قدم عبد الرحمن بن زياد وأفنداً على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، أما لنا حق؟ قال: بلى، قال: فماذا توليني؟ قال: بالكوفة النعمان رشيد، وهو رجل من أصحاب النبي ﷺ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان، وعباد بن زياد على سجستان، ولست أرى عملاً يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله، قال: أشركني، فإن عمله واسع يحتل الشركة، فولاه خراسان.

قال علي: وذكر أبو حفص الأزدي، قال: حدثني عمر، قال: قدم علينا قيس بن الهيثم السلمي، وقد وجهه عبد الرحمن بن زياد، فاخذ أسلم بن زرعة فحبسه، ثم قدم عبد الرحمن، فأغرم أسلم بن زرعة ثلثمائة ألف درهم.

قال: وذكر مصعب بن حيان، عن أخيه مقاتل بن حيان، قال: قدم عبد الرحمن بن زياد خراسان، فقدم رجل سخي حريص ضعيف لم يغزو غزوة واحدة، وقد أقام بخراسان ستين.

قال علي: قال عوانة: قدم عبد الرحمن بن زياد على يزيد بن معاوية من خراسان بعد قتل الحسين عليه السلام، واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم.

قال: وحدثني مسلمة بن محارب وأبو حفص، قالوا: قال يزيد لعبد الرحمن بن زياد: كم قدمت به معك من المال من خراسان؟ قال: عشرين ألف ألف درهم، قال: إن شئت حاسبناك

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية، فأنهى شعره إلى عباد،  
وقيل: ما أراد غيرك، فطلبه عباد، فهرب منه، وهجاه بقصائد  
كثيرة، فكان مما هجاه به قوله:

إذا أودى معاوية بن حرب فبشر شعب قبلك بانصداع  
فأشهد أن أمك لم تبأشر أباسفیان واضعة القناع  
ولكن كان أمراً فيه لبس على وجل شديد وارتياح  
وقوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغفلة من الرجل اليماني  
أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان!  
فأشهد أن رحمتك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

فحدثني أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرغ عباداً فارقه مقبلاً  
إلى البصرة، وعبيد الله يومئذ وأد على معاوية، فكتب عباد إلى  
عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على  
معاوية فأنشده إياه، واستأذنه في قتل ابن مفرغ، فأبى عليه أن  
يقتله، وقال: أدبه ولا تبلغ به القتل، وقدم ابن مفرغ البصرة،  
فاستجار بالأحنف بن قيس، فقال: إنا لا نجيز على ابن سمية فإن  
شئت كفيتك شعراً بني تميم، قال: ذاك ما لا أبالي أن أكفاه، فأتى  
خالد بن عبد الله فوعده، وأتى أمية فوعده، ثم أتى عمر بن عبيد  
الله بن معمر فوعده، ثم أتى المنذر بن الجارود فأجاره، وأدخله  
داره، وكانت بحرية بنت المنذر عند عبيد الله، فلما قدم عبيد الله  
البصرة أخبر بمكان ابن مفرغ عند المنذر، وأتى المنذر عبيد الله  
مسليماً، فأرسل عبيد الله الشرط إلى دار المنذر، فأخذوا ابن  
مفرغ، فلم يشعر المنذر وهو عند عبيد الله إلا بآب ابن مفرغ قد أقيم  
على رأسه، فقام إلى عبيد الله وقال: أيها الأمير، إني قد أجرته،  
قال: والله يا منذر ليمدحكن وأباك ويهجونني أنا وأبي، ثم تجيره  
علي! فأمر به فسقي دواء، ثم حمل على حمار عليه إكاف فجعل  
يطاف به وهو يسلمح في ثيابه، فيمر به في الأسواق، فمر به فارسي  
فرأه، فسأل عنه، فقال: أين جئت؟؟ ففهمها ابن مفرغ، فقال:

آب است نبيذ است عصارات زيب است  
سمية روسيد است

ثم هجا المنذر ابن الجارود:

تركت قريشاً أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر  
أناس أجارونا فكان جوارهم أعاصير من فسو العراق المبذر  
فأصبح جاري من جذية نائم ولا يمنع الجيران غير المشمر  
وقال لعبيد الله:

يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخ منك في العظام البوالي  
ثم حمله عبيد الله إلى عباد بسجستان، فكلمت اليمانية فيه  
بالشام معاوية، فأرسل رسولاً إلى عباد، فحمل ابن مفرغ من

عنده حتى قدم على معاوية، فقال في طريقه:

عندس ما لعباد عليك إمارة نجوت وهذا تحملين طليق  
لعمرى لقد نجاك من هوة الردى إمام وحيل للأمام وثيق  
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ومثلي بشكر المتعمين حقيق  
فلما دخل على معاوية بكى، وقال: ركب مني ما لم يركب  
من مسلم على غير حدث ولا جريرة! قال: أو لست القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغفلة من الرجل اليماني!  
القصيدة - قال: لا والذي عظم حق أمير المؤمنين ما قلت  
هذا، قال: أفلم تقل:

فأشهد أن أمك لم تبأشر أباسفیان واضعة القناع  
في أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد! اذهب فقد عفونا لك  
عن جرمك، أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء، فانطلق، وفي  
أي أرض شئت فانزل. فنزل الموصل، ثم إنه ارتاح إلى البصرة،  
فقدمها، ودخل على عبيد الله فأمنه.

وأما أبو عبيدة فإنه قال في نزول ابن مفرغ الموصل عن  
الذي أخبرني به أبو زيد، قال: ذكر أن معاوية لما قال له: ألت  
القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغفلة من الرجل اليماني  
الآيات، حلف ابن مفرغ أنه لم يقله، وأنه إنما قاله عبد  
الرحمن بن أم الحكم أخو مروان، واتخذني ذريعة إلى هجاء زياد،  
وكان عتب عليه قبل ذلك، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن  
أم الحكم وحرمه عطائه، حتى أضرب، فكلّم فيه، فقال: لا  
أرضى عنه حتى يرضى عبيد الله، فقدم العراق على عبيد الله،  
فقال عبد الرحمن له:

لأنت زبادة في أك حرب أحب إلى من إحدى بناني  
أراك أخاً وعماً وابن عم ولا أدري يغيب ما تراني  
فقال: أراك والله شاعر سوء! فرضي عنه، فقال معاوية  
لابن مفرغ: ألت القائل:

فأشهد أن أمك لم تبأشر أباسفیان واضعة القناع  
الآيات! لا تعودن إلى مثلها، عفونا عنك. فأقبل حتى نزل  
الموصل، فتزوج امرأة، فلما كان في ليلة بنائها خرج حين أصبح  
إلى الصيد، فلقي ذهناً أو عطاراً على حمار له، فقال له ابن مفرغ:  
من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز، قال: وما فعل ماء مسرفان؟  
قال: على حاله، قال: فخرج ابن مفرغ فتوجه قبل البصرة، ولم  
يعلم أهله بمسيره، ومضى حتى قدم على عبيد الله بن زياد  
بالبصرة، فدخل عليه فأمنه، ومكث عنده حتى استأذنه في  
الخروج إلى كرمان، فأذن له في ذلك، وكتب إلى عامله هناك

بالوصاة والإكرام له، فخرج إليها. وكان عامل عبيد الله يومئذ على كرمان شريك ابن الأعور الحارثي..

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان الوالي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى قضائها شريح، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد، وعلى سجستان عباد بن زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور من قبل عبيد الله بن زياد.

## السنة الستون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة بن أبي أمية رودس، وهدمه مدينتها، في قول الواقدي.

## ذكر عهد معاوية لابنه يزيد

وفيهما كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه مع عبيد الله بن زياد البيعة لابنه يزيد، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في نفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البيعة.

وكان عهده الذي عهد، ما ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن خزيمة، أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه، فقال له: يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذلك لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإنني لا أخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقفته العباد، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللّهو، وأما الذي يجمش لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعة إرباً إرباً.

قال هشام: قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت - وذلك في سنة ستين - وكان يزيد غائباً، فدعا بالصحاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلم بن عقبة المري، فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا

بغير أخلاقهم، وإنني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد وقفه الدين، فليس ملتصقاً شيئاً قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد ﷺ ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإذا شخص لك فالبد له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل واحقق دماء قومك ما استطعت.

## ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان

وفي هذه السنة هلك معاوية بن أبي سفيان بدمشق، فاختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة، وفي رجب منها، فقال هشام بن محمد: مات معاوية لهلل رجب من سنة ستين.

وقال الواقدي: مات معاوية للنصف من رجب.

وقال علي بن محمد: مات معاوية بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من رجب، حدثني بذلك الحارث عنه.

## ذكر الخبر عن مدة ملكه

حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: قال: حدثني من سمع إسحاق بن عيسى يذكر عن أبي معشر، قال: بويع لمعاوية بأذرح، بايعه الحسن بن علي في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وتوفي معاوية في رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني يحيى بن سعيد بن دينار السعدي، عن أبيه، قالوا: توفي معاوية ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في سنة سبع وثلاثين في ذي القعدة حين تفرق الحكماء، وكانوا قبل بايعوه على الطلب بدم عثمان، ثم صالحه الحسن بن علي، وسلم له الأمر سنة إحدى وأربعين، لحسن بقين من شهر ربيع الأول، فبايع الناس جميعاً معاوية، فقبل: عام الجماعة، ومات بدمشق سنة ستين، يوم الخميس لثمان بقين من رجب. وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.

وتجلىدي للشامتين أريهم أني لربب الدهر لا أتضعع  
وإذا النية أنشبت أظفارها ألفت كل غيمة لا تنفع  
قال: وكان به النفاثات، فمات من يومه ذلك.

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن إسحاق بن  
أيوب، عن عبد الملك بن مينا الكلي، قال: قال معاوية، لابنته  
في مرضه الذي مات فيه وهما تغلبانه: تغلبان حولاً قلباً، جمع  
المال من شُبِّ إلى دُبِّ إن لم يدخل النار، ثم تمثّل:  
لقد سمعت لكم من سعي ذي نصب وقد فكيتكم الطواف والرحلا  
ويقال: من جمع ذي حسب.

حدثني أحمد بن زهير، عن علي، عن سليمان بن أيوب،  
عن الأوزاعي، وعلي بن مجاهد، عن عبد الأعلى بن ميمون، عن  
أبيه، أن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه: إن رسول الله ﷺ  
كساني قميصاً فرفعت. وقلم أظفاره يوماً، فأخذت قلامته  
فجعلتها في قارورة، فإذا مات فالبسوني ذلك القميص، وقطعوا  
تلك القلامة، واسحقوها وذروها في عيني، وفي في، فعسى الله أن  
يرحمي ببركتها! ثم قال متمثلاً بشعر الأشهب بن رميلة النهشلي  
يمدح به القباع:

إذا مات الجد وانقطع الندي من الناس إلا من قليل مصدر  
وردت أكف السائلين وأسكوا من الدين والدنيا بخلف مجد  
فقلت إحدى بناته - أو غيرها: كلا يا أمير المؤمنين، بل  
يدفع الله عنك، فقال متمثلاً:

وإذا النية أنشبت أظفارها ألفت كل غيمة لا تنفع  
ثم أغمي عليه، ثم أفاق، فقال: لمن حضره من أهله: اتقوا  
الله عز وجل، فإن الله سبحانه يقي من اتقاه، ولا وافي لمن لا  
يتقي الله، ثم قضى.

حدثنا أحمد، عن علي، عن محمد بن الحكم، عمن حدثه  
أن معاوية لما حضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال، كان  
أراد أن يطيب له الباقي، لأن عمر قاسم عماله.

### ذكر الخبر عمن صلى على معاوية حين مات

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: صلى على  
معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وكان يزيد غائباً حين مات  
معاوية.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني  
عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن غرمة، قال: لما  
مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر وأكفان  
معاوية على يديه تلوح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن

قال: ويقال: كان بين موت علي عليه السلام وموت  
معاوية تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاث ليال.

وقال هشام بن محمد: بويع لمعاوية بالخلافة في جمادى  
الأولى سنة إحدى وأربعين، فولي تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا  
أياماً، ثم مات لئال رجب من سنة ستين.

### ذكر مدة عمره

واختلفوا في مدة عمره، وكم عاش؟ فقال بعضهم: مات  
يوم مات وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمر، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: أخبرني  
هشام بن الوليد، قال: قال ابن شهاب الزهري: سألني الوليد عن  
أعمار الخلفاء، فأخبرته أن معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين  
سنة، فقال: بخ بخ! إن هذا لعمر.

وقال آخرون: مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمر، قال: حدثني أحمد بن زهير قال: قال علي بن  
محمد: مات معاوية وهو ابن ثلاث وسبعين، قال: ويقال ابن  
ثمانين سنة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

وذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا  
محمد بن عمر، قال: حدثني يحيى بن سعيد بن دينار، عن أبيه،  
قال: توفي معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن خمسين وثمانين سنة، حدثت  
بذلك عن هشام بن محمد أنه كان يقوله عن أبيه.

### ذكر العلة التي كانت فيها وفاته

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا  
أبو عبيدة، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن عمير، قال:  
لما ثقل معاوية وحدث الناس أنه الموت، قال لأهله: احشوا عيني  
إنمداً، وأوسعوا رأسي دهناً، ففعلوا، وبرقوا وجهه بالدهن، ثم  
مهد له، فجلس وقال: أستدوني، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا  
قياماً، ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه  
مكتحلاً مدهناً فيقول: يقول الناس: هو لمآبه وهو أصح الناس  
فلما خرجوا عنده قال معاوية:

صغيراً.

ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية، تزوجها، فحدثني أحمد، عن علي قال: لما تزوج معاوية نائلة قال لميسون: انطلقني فانظري إلى ابنة عمك، فنظرت إليها، فقالت: كيف رأيته؟ فقالت: جميلة كاملة، ولكن رأيت تحت سرتها خالاً ليوضعن رأس زوجها في حجرها، فطلقها معاوية، فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري، ثم خلف عليها بعد حبيب النعمان بن بشير الأنصاري، فقتل، ووضع رأسه في حجرها.

ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهي معه، فماتت هنالك.

### ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدثني أحمد بن زهير، عن علي، قال: لما يبيع لمعاوية بالخلافة صير على شرطته قيس بن حمزة الهمداني، ثم عزله، واستعمل زميل بن عمرو العذري - ويقال السكسكي وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي، وعلى حرسه رجل من الموالي يقال له المختار، وقيل: رجل يقال له مالك، ويكنى أبا المخارق، مولى الحمير، وكان أول من اتخذ الحرس. وكان على حجابيه سعد مولاة، وعلى القضاء فضالة بن عبيد الأنصاري، فمات فاستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني. إلى هاهنا حديث أحمد، عن علي.

وقال غير علي: وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن حصن الحميري، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم. قال: وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمر بن الزبير في معوته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق، ففرض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمرأ بردها وحجسه، فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزمو الكتب، ولم تكن تخزمو.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد القبري، قال: قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!!

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: قرأت على عبد الله، عن فليح، قال: أخبرني أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر، فقال لهم عمرو: انظروا، إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة، فإنه أعظم لكم في عينه، وصغروه ما استطعتم. فلما

معاوية كان عود العرب، وحد العرب، قطع الله عز وجل به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد. إلا إنه قد مات، فهذه أكفانه، فنحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى. ويعث البريد إلى يزيد بوجع معاوية فقال يزيد في ذلك:

جاء البريد بقرطاس يخسب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا قلنا: لك الويل ماذا في كتابكم؟ قالوا: الخليفة أمسى مثبأ وجعا فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كان أغبر من أركانها انقطعا من لا تزل نفسه توفي على شرف توشك مقاليد تلك النفس أن تقعا لما انتهينا وباب السدار منصفق وصوت رملة ريع القلب فانصدعا

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن إسحاق بن خليل، عن خليل بن عجلان مولى عباد، قال: مات معاوية، ويزيد بمجورابن، وكانوا كتبوا إليه حين مرض، فأقبل وقد دفن، فأتى قبره فصلى عليه، ودعا له، ثم أتى منزلة، فقال: جاء البريد بقرطاس... الأبيات.

### ذكر الخير عن نسبه وكنيته

أما نسبه فإنه ابن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف بن قصي، وكنيته أبو عبد الرحمن.

### ذكر نسائه وولده

من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبي، ولدت له يزيد بن معاوية. قال علي: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة - رب المشارق - فماتت صغيرة ولم يذكرها هشام في أولاد معاوية.

ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. ولدت له عبد الرحمن وعبد الله بني معاوية، وكان عبد الله محمقاً ضعيفاً، وكان يكنى أبا الخير.

حدثني أحمد، عن علي بن محمد، قال: مر عبد الله بن معاوية يوماً بطحان قد شد بغله في الرحا للطحن، وجعل في عنقه جلاجل، فقال له: لم جعلت في عنق بغلك هذه الجلاجل؟ فقال الطحان: جعلتها في عنقه لأعلم إن قد قام فلم تدر الرحا، فقال له: أرايت إن هو قام وحرك رأسه كيف تعلم أنه لا يدير الرحا؟ فقال له الطحان: إن بغلي هذا - أصلح الله الأمير - ليس له عقل مثل عقل الأمير! وأما عبد الرحمن فإنه مات



وليس معه ابنه، فقال معاوية: ما فعل ابنك التلقامة؟ قال: اشتكى، فقال: قد علمت أن أكله سيورثه داء.

حدثني أحمد، عن علي، عن جويرية بن أسماء، قال: قدم أبو موسى على معاوية، فدخل عليه في برنس أسود، فقال: السلام عليك يا أمين الله، قال: وعليك السلام، فلما خرج قال معاوية: قدم الشيخ لأوليته، ولا والله لا أوليه.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو صالح سليمان بن صالح قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال: دخلت على معاوية حيث أصابته قرحته، فقال: هلم يا ابن أخي، نحوى فانظر، فنظرت فإذا هي قد سبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، فدخل يزيد فقال معاوية: إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا، فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أنني رأيت في القتال ما لم يره.

حدثني أحمد، عن علي، عن شهاب بن عبيد الله، عن يزيد بن سويد، قال: أذن معاوية للأحفف وكان يبدأ بإذنه، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحفف، فقال معاوية: إنا لم نأذن له قبلك فتكون دونه، وقد فعلت فعال من أحسن من نفسه ذلاً، إنا كما نملك أموركم نملك إذنكم، فأريدوا منا ما نريد منكم، فإنه أبقي لكم.

حدثني أحمد، عن علي، عن سحيم بن حفص، قال: خطب ربيعة بن عسل الربوعي إلى معاوية فقال معاوية: اسقوه سوقاً، قال له معاوية: يا ربيعة، كيف الناس عندكم؟ قال: يختلفون على كذا وكذا فرقة، قال: فمن أيهم أنت؟ قال: ما أنا على شيء من أمرهم، فقال معاوية: أراهم أكثرهما قلت، قال: يا أمير المؤمنين، أعني في بناء داري باثني عشر ألف جذع، قال معاوية: أين دارك؟ قال بالبصرة، وهي أكثر من فرسخين في فرسخين، قال: فدارك في البصرة، أو البصرة في دارك! فدخل رجل من ولده على ابن هبيرة فقال: أصلح الله الأمير! أنا ابن سيد قومه، خطب أبي إلى معاوية، فقال ابن هبيرة لسلم بن قتيبة: ما يقول هذا؟ قال: هذا ابن أحمق قومه، قال ابن هبيرة: هل زوج أباك معاوية؟ قال: لا، قال: فلا أرى أباك صنع شيئاً.

حدثني أحمد، عن علي، عن أبي محمد بن ذكوان القرشي، قال: تنازع عتبة وعنيسة ابنا أبي سفيان - وأم عتبة هند وأم عنيسة ابنة أبي أزيهر الدوسي - فأغلظ معاوية لعنيسة، وقال عنيسة: وأنت أيضاً يا أمير المؤمنين! فقال: يا عنيسة، وإن عتبة ابن هند، فقال عنيسة:

كما يحسب صالحاً ذات بيننا قديماً فاست فرقت بيننا هند

قدموا عليه قال معاوية لحجابه: إني كأني أعرف ابن النابتة وقد صغر أمري عند القوم، فانظروا إذا دخل الوفد فتعتوهم أشد تنعته تقدرين عليها، فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همتته نفسه بالتلف. فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط، فدخل وقد تنع، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فتتابع القوم على ذلك، فلما خرجوا قال لهم عمرو: لنعكم الله! نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة، فسلمتم عليه بالنبوة!

قال: ولبس معاوية يوماً عمامته الحرقانية واكتحل، وكان من أجل الناس إذا فعل ذلك. شك عبد الله فيه سمعه أو لم يسمعه.

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: حدثنا أبو محمد الأموي قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب، أو خدعه رجل أريب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، مرني بما شئت أصر إليه، قال: ويحك! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري أمرك أم أنهاك!

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن معمر، عن جعفر بن برقان، أن المغيرة كتب إلى معاوية: أما بعد، فإني قد كبرت سني، ودق عظمي، وشفت لي قريش، فإن رأيت أن تعزلي فاعزلي.

فكتب إليه معاوية: جاءني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك، فلعمري ما أكل عمرك غيرك، وتذكر أن قريشاً شنت لك، لعمري ما أصبت خيراً إلا منهم. وتسالني أن أعزلك، فقد فعلت، فإن تك صادقاً فقد شفعتك، وإن تك مخادعاً فقد خدعتك.

حدثني أحمد، عن علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، قال: قال معاوية: إذا لم يكن الأموي مصلحاً لماله، حليماً، لم يشبه من هو منه، وإذا لم يكن الهاشمي سخياً جواداً لم يشبه من هو منه، ولا يقدمك من الهاشمي اللسان والسقاء والشجاعة.

حدثني أحمد، عن علي، عن عوانة وخذلاد بن عبيدة قال: تغدى معاوية يوماً وعنده عبيد الله بن أبي بكر، ومعه ابنه بشير - ويقال: غير بشير - فأكثر من الأكل، فلحظه معاوية، وفطن عبيد الله بن أبي بكر، فأراد أن يغمز ابنه، فلم يمكنه، ولم يرفع رأسه حتى فرغ، فلما خرج لأمه على ما صنع، ثم عاد إليه

أن يكتب فهدر، أشهدكم أنني إن بقيت بعده فقد خلعت عهده. قال: وقال عمرو بن العاص: ما رأيت معاوية متكئاً قط واضعاً إحدى رجله على الأخرى كاسراً عينه يقول لرجل: تكلم إلا رحمة.

قال أحمد: قال علي بن محمد: قال عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين، ألت أنصح الناس لك؟ قال: بذلك نلت ما نلت.

قال أحمد: قال علي بن جويرية بن أسماء، أن بسر بن أبي أرتاة نال من علي عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس، فعلاه بعضاً فشجه، فقال معاوية لزيد: عمدت إلى شيخ من قرش سيد أهل الشام فضربت! وأقبل على بسر فقال: تشتم علياً وهو جده وابن الفاروق على رؤوس الناس، أو كنت ترى أنه يصبر على ذلك! ثم أراضاهما جميعاً. قال: وقال معاوية: إنني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفسي، وجهل أكثر من حلمي، أو عورة لا أواربها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني. قال: وقال معاوية: زين الشريف العفاف، قال: وقال معاوية: ما من شيء أحب إلي من عين خراة، في أرض خوارة، فقال عمرو بن العاص: ما من شيء أحب إلي من أن أبيت عروساً بعقيلة من عقائل العرب، فقال وردان مولى عمرو بن العاص: ما من شيء أحب إلي من الإفضال على الإخوان، فقال معاوية: أنا أحق بهذا منك، قال: ما تحب فافعل.

حدثني أحمد، عن علي، عن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادي: من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب زر بن حبیش - أو أئمن بن خريم - كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب، وفيه:

إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر أعضادها  
وجعلت أسقامها تعتادها فهي زروع قد دنا حصادها  
فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب، قال: نعمي إلي نفسي.

قال: وقال معاوية: ما من شيء ألد عندي من غيظ أنجره.

قال: وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص: يا ابن أخي، إنك قد لهجت بالشعر، فإياك والتشبيب بالنساء فتعر الشريفة، والهجاء فتعر كريماً، وتستشير لثيماً، والمذح، فإنه طعمة الوقاح، ولكن افخر بمافخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك، وتؤدب به غيرك.

فلان تك هند لم تلدني فإني لبيضاء ينمها غطارفة نجد  
أبوها أبو الأضياف في كل شدة وماوى ضعاف لا تنوء من الجهد  
جفيناته ما إن تزال مقيمة لمن خاف من غوري تهامة أو نجد  
فقال معاوية: لا أعيدها عليك أبداً.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن حرملة بن عمران، قال: أتى معاوية في ليلة أن يقصر قصد له في الناس، وأن نائل بن قيس الجذامي غلب فلسطين وأخذ بيت مالها، وأن المصريين الذين كان سجنهم هربوا، وأن علي بن أبي طالب قصد له في الناس، فقال لمؤذنه: أذن هذه الساعة - وذلك نصف الليل - فجاء عمرو بن العاص، فقال: لم أرسلت إلي؟ قال: أنا ما أرسلت إليك، قال: ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلي، قال: رميت بالقسي الأربع، قال عمرو: أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم في سجن الله عز وجل، وهم قوم شراة لا رحمة بهم، فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه ديتة، فإنك ستؤتي بهم، وانظر يقصر فوادعه، وأعطه مالاً وحللاً من حلل مصر، فإنه سيرضى منك بذلك، وانظر نائل بن قيس، فلعمري ما أغضبه الدين، ولا أراد إلا ما أصاب، فاكذب إليه، وهب له ذلك، وهنته إياه، فإن كانت لك قدرة عليه، وإن لم تكن لك فلا تأس عليه، واجعل حدك وحديدك لهذا الذي عنده دم ابن عمك. قال: وكان القوم كلهم خرجوا من سجنه غير أبرهة بن الصباح، قال معاوية: ما منعك من أن تخرج مع أصحابك؟ قال: ما منعي منه بغض لعلي، ولا حب لك، ولكني لم أقدر عليه، فخلى سبيله.

حدثني عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن الزبير يحدث، قال: حدثني عبد الله بن مسعدة بن حكمة الفزاري من بني آل بدر، قال: انتقل معاوية من بعض كور الشام إلى بعض عمله، فنزل منزلاً بالشام، فبسط له على ظهر إجار مشرف على الطريق، فأذن لي، فقمعدت معه، فمرت القطرات والرحائل والجواري والخيول، فقال: يا ابن مسعدة، رحم الله أبا بكر! لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا، وأما عمر - أو قال: ابن حنتمة - فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه، وأما نحن فتمرغنا فيها، ثم كأنه ندم فقال: والله إنه لملك آتانا الله إياه.

حدثني أحمد، عن علي بن محمد، عن علي بن عبيد الله، قال: كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه أباه من مصر، فقال معاوية: أراد أبو عبد الله

حدثني أحمد، عن علي، قال: قال الحسن بن حماد: نظر معاوية إلى الثما في عباءة، فازدراه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العبادة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها..

حدثني أحمد، عن علي، عن سليمان، قال معاوية: رجلان إن ماتا لم يموتا، ورجل إن مات مات، أنا إن مت خلفني ابني، وسعيد إن مات خلفه عمرو، وعبد الله بن عامر إن مات مات، فبلغ مروان، فقال: أما ذكر ابني عبد الملك؟ قالوا: لا، قال: ما أحب أن لي بابني ابنيهما.

### خلافة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض: لثمان بقين منه - على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية - فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلا بيعته النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعته يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولي عهده بعده، والفراخ من أمرهم، فكتب إلى الوليد.

بسم الله الرحمن الرحيم. من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوله، ومكن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات براً تقياً، والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فارة.

أما بعد، فخذ حسناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فلما أتاه نعي معاوية فظع به، وكبر عليه، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه - وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً - فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسته، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلما قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فلإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم

حدثني أحمد، عن علي، قال: قال الحسن بن حماد: نظر معاوية إلى الثما في عباءة، فازدراه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العبادة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها..

حدثني أحمد، عن علي، عن سليمان، قال معاوية: رجلان إن ماتا لم يموتا، ورجل إن مات مات، أنا إن مت خلفني ابني، وسعيد إن مات خلفه عمرو، وعبد الله بن عامر إن مات مات، فبلغ مروان، فقال: أما ذكر ابني عبد الملك؟ قالوا: لا، قال: ما أحب أن لي بابني ابنيهما.

حدثني أحمد، عن علي، قال حدثنا عبد الله بن صالح، قال رجل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: أشدهم لي تحبياً إلى الناس. قال: وقال معاوية: العقل والحلم أفضل ما أعطي العبد، فإذا ذكر دُكر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلى صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا ساء استغفر، وإذا وعد أنجز.

حدثني أحمد، عن علي، عن عبد الله وهشام بن سعد، عن عبد الملك بن عمير، قال: أغلظ رجل لمعاوية فأكثر، فقيل له: اتعلم عن هذا؟ فقال: إني لا أحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا.

حدثني أحمد، عن علي، عن محمد بن عامر، قال: لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء، فدخل يوماً على معاوية ومعه بديح، ومعاوية واضع رجلاً على رجل، فقال عبد الله لبديح: إيه يا بديح! فتغنى فحرك معاوية رجله، فقال عبد الله: مه يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: إن الكريم طروب.

قال: وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر - وكان مولى لبني ليث، وكان فاجراً - فقال له: ارفع حوائجك، ففعل، ورفع فيها حاجة سائب خاثر، فقال معاوية: من هذا؟ فخبزه، فقال: أدخله، فلما قام على باب المجلس غنى: لمن الديار رسوما قفر لعبت بها الأرواح والقطر! وخلها من بعد ساكنها حجج خلون ثمان أو عشر والزعفران على تراثها شرقاً به البسات والنحر فقال أحسنت، وقضى حوائجه.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن معمر، عن همام بن منبه، قال: سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناس منه على أرجاء واد رحب، ولم يكن كالضيق الخضخض، الحصر - يعني ابن الزبير.

حدثني عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن

الله! اقتل حسينا أن قال: لا أبايح! والله إني لا أظن امرأ يحاسب بدم حسين لحفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه.

وأما ابن الزبير، فقال: الآن آتيكم، ثم أتى داره فكمعن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً، فالح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال، فاما حسين فقال: كف حتى تنتظر ونظر، وترى ونرى، وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم، أهملوني، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على حسين أشد إبقاء، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية، والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليلة يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله! كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرت بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فمر رسلك فليصرفوا عنا. فبعث إليهم فانصرفوا، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الأعظم بخافة الطلب، وتوجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال، فبعث ركباً من موالى بني أمية في ثمانين راكبا، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فرجعوا، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلة، ولم يلحوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين.

وكان خرج ابن الزبير قبله بليلة، خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينما عبد الله بن الزبير يسائر أخاه جعفر إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكل بني أم سيمسون ليلة ولم يبق من أعقابهم غير واحد  
فقال عبد الله! سبحان الله، ما أردت إلى ما أسمع يا أخي! قال: والله يا أخي ما أردت به شيئاً مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إلي أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد - قال: وكأنه تقدير منه - وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن

فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمناظرة، ودعا إلى نفسه لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يجب أنه يولى على الناس، إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً.

فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلام حدث - إليهما يدعوهم، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فاتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا، الأمير يدعوكم، فقالا له: انصرف، الآن تأتية. ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها! فقال حسين: قد ظننت، أرى طاعتهم قد هلك، فبعث إلينا لياخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخير، فقال: وأنا ما أظن غيره. قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع قتياني الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتسبته عليه، ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتية إلا وأنا على الامتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقفتموا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده، فقال حسين، كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس، فاقراه الوليد الكتاب، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله معاوية، وعظم لك الأجر! أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تحترق بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان امرأ واحداً، فقال له الوليد - وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، أحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب، عند ذلك الحسين، فقال: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتي، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: ويخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسينا، سبحان

في شهر رمضان، فأقر عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيها قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان، فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد، وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاثين من مكة، فسألاه، ما وراءكما؟ قالوا: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين، وأما ابن عمر فقدم فأقام أياماً، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان، فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس.

وفي هذه السنة وجه عمرو بن سعيد بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير لحربه.

### ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفوه.

قال محمد بن عمر: حدثنا هشام بن سعيد، عن شيبه بن نصاح، قال: كانت الرسل تجري بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في البيعة، فحلف يزيد ألا يقبل منه حتى يؤتى به في جماعة، وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة، فمنعه ابن الزبير، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد، أن ابعث جيشاً إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولي شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضرهم ضرباً شديداً.

قال محمد بن عمر: حدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضره، وكان ممن ضرب المنذر بن الزبير، وابنة محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر، فضرهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: من رجل نوجه إلى أخيك؟ قال: لا توجه إليه رجلاً أبداً إنكأ له مني، فأخرج لأهل الديوان عشرات، وأخرج من موالى أهل المدينة ناس كثير، وتوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة، فوجهه في مقدمته، فعسكر بالجرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلصوا ابن

الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إنني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيها دماً وأذلها أهلاً، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسيب ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبلاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي، قد نصحت فاشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً.

قال أبو غنغف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعيد المقبري، قال: نظرت إلى الحسين داخلًا مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو يمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح  
مع مغبراً ولا دعيت يزيداً  
يوم أعطى من الهابة ضيماً  
والتابا يردني أن أحيداً

قال: فقلت في نفسي: والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد، قال: فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة.

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: ما يمنعك أن تبايع؟ إنما تريد أن يختلف الناس فيقتلوا ويتفانوا، فإذا جهدهم ذلك قالوا: عليكم بعبد الله بن عمر، لم يبق غيره، بايعوه! قال عبد الله: ما أحب أن يقتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت، قال: فتركوه وكانوا لا يتخفونه.

قال: ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد، فلما دخل مكة قال: إنما أنا عائذ، ولم يكن يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده، قال: فلما سار الحسين نحو مكة، قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. فلما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهَيِّجَنِي سَرَاءَ السَّبِيلِ﴾.

### ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد

وفي هذه السنة عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة، عزله

وكتبت كل ذلك.

حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً، قدم في ذي القعدة سنة ستين، فولى عمرو ابن الزبير شرطته، وقال: قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليبر عين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنساً، ولا ترى إلا أن يسمع صوتها، وقال: خذها فليست للعزير بخطئة وفيها مقال لامرئ متذلل أعمار إن القوم ساموك خطئة ومالك في الجيران عذل معذل

قال محمد: وحدثني رباح بن مسلم، عن أبيه، قال: بعث إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تغز مكة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعة من نهار، ثم عادت كحرمتها»، فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ، فبعث عمرو جيشاً مع عمرو ومعه أنيس بن عمرو الأسلمي، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام، - وكانوا نحو ألفين - فقاتلهم أهل مكة، فقتل أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلمس في ناس كثير، وهزم جيش عمرو، فجاء عبيدة بن الزبير، فقال لأخيه عمرو: أنت في ذمتي، وأنا لك جار، فانطلق به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث! فقال عمرو:

لسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء فحبسه وأخفر عبيدة، وقال: أمرتك أن تحجر هذا الفاسق المستحل لحرمات الله، ثم أقاد عمراً من كل من ضربه إلا المشذر وابنه، فإنهما أبا أن يستقيدا، ومات تحت السياط. قال: وإنما سمي سجن عارم لعبد كان يقال له: زيد عارم، فسمي السجن به، وحبس ابن الزبير أخاه عمراً فيه.

قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن أبي يحيى، عن أبيه، قال: كان مع أنيس بن عمرو ألفان.

وفي هذه السنة وجه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم، فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

من ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه

السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل عليه السلام

حدثني زكرياء بن يحيى الضريس، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي - ويكنى أبا الوليد - قال: حدثنا خالد بن يزيد

الزبير فقد كبر، هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير: والله لنقاتلنه ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم، فقال مروان: والله إن ذلك ليسووني، فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل طوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: بر يمين الخليفة، واجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعذك المسجد، فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوى، وكان قد ضوى إلى عبد الله بن صفوان قوم ممن نزل حول مكة، فقاتلوا أنيس بن عمرو، فهزم أنيس بن عمرو أقبح هزيمة، وتفرق عن عمرو جماعة أصحابه، فدخل دار علقمة، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال: إني قد أجرتك، فقال: تجبر من حقوق الناس! هذا ما لا يصلح.

قال محمد بن عمر: فحدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وأبعثه إلى ابن الزبير، وأبعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير، فإذا انصرف شبك أصابعه في أصابعه، ولم يبق أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بن صفوان فقال: مالي لا أرى عبد الله بن صفوان! أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جمع ومن ضوى إليه من غيرهم قليل، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه، فحركته، فقال لعبد الله بن الزبير: أني أراك كأنك تريد البقاء على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقى عليه يا أبا صفوان! والله لو قدرت على عون الذر عليه لاستعنت بها عليه، فقال ابن صفوان: فأنأ أكفيك أنيس بن عمرو، فأكفني أخاك، قال ابن الزبير: نعم، فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبرهم، وأججزوا على جريحهم، وسار معصب بن عبد الرحمن إلى عمرو، وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو: تعال أنأ أجيرك. فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمراً، فأجره لي، فأبى أن يجيره، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة وحبسه بسجن عارم.

قال الواقدي: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير،

كان فيها إلى منزل هاني بن عروة المرادي، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره ببينة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم. وقال عبيد الله لوجه أهل الكوفة: مالي أرى هاني بن عروة لم يأتي فيمن أناني! قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره، فقالوا: إن الأمير قد ذكر واستبطاك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: «أتك بجائن رجلاه»، فلما سلم عليه قال: يا هاني، أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قطع به، فقال: أصحح الله الأمير! والله ما دعوته إلى منزلي ولكنه جاء فطرح نفسه علي، قال: اتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتما عنه، قال: أدنوه إلي، فأدني فصره على حاجبه فشجه، قال: وأهوى هاني إلى سيف شرطي ليسله، فدفع عن ذلك، وقال: قد أحل الله دمك، فأمر به فحبس في جانب القصر.

وقال غير أبي جعفر: الذي جاء بهاني بن عروة إلى عبيد الله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي.

#### ذكر من قال ذلك.

حدثنا عمر بن علي، قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن العيزار بن حريث، قال: حدثنا عمارة بن عقبة بن أبي معيط، فجلس في مجلس ابن زياد فحدث، قال: طردت اليوم حمراً فأصبت منها حمراً فعقرته، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: إن حمراً تعقره أنت لحمار حائن، فقال: ألا أخبرك بأحين من هذا كله! رجل جيء بأبيه كافراً إلى رسول الله ﷺ، فأمر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمد فمن للصيبة؟ قال: النار، فأنت من الصيبة، وأنت في النار، قال: فضحك ابن زياد.

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني، عن أبي جعفر. قال: فيينا هو كذلك إذ خرج الخبر إلى مذحج، فلذا على باب القصر جلبه سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم أنني إنما حبسته لأسأله، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول، فمر بهاني بن عروة، فقال له هاني: اتق الله يا شريح، فإنه قتالي، فخرج شريح حتى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسأله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، ففرقوا، فأتى مسلماً الخبر، فنأدى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدمته، وعي ميمته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله، وبعث عبيد الله إلى وجه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم فأنتهى إلى باب القصر أشرفوا

بن أسد بن عبد الله القسري، قال: حدثنا عمار الدهني، قال: قلت لأبي جعفر: حدثني بمقتل الحسين حتى كآني حضرته، قال: مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيته، فقال له: أخزني وارفق، فأخذه، فخرج إلى مكة فأتاه أهل الكوفة ورسلمهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نخضر الجمعة مع الوالي، فاقدم علينا - وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة، قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي، فإن كان حقاً خرجنا إليهم. فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمر به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستغفیه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة.

فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة، قال: فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً. قال: فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف أو متضعف، قد فسد البلاد! فقال له النعمان: أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله.

فكتب بقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولى له يقال له: سرجون، - وكان يستشير - فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً؟ قال: نعم، قال: فاقبل مني، فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فولها إياه - وكان يزيد عليه سخطاً، وكان هم بعزله عن البصرة - فكتب إليه برضائه، وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده.

قال: فأقبل عبيد الله في وجه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً، ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام - حتى نزل القصر، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف، وقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى. فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دل على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقبه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سرني لقاءك إياي، وقد ساءني، فأما ما سرني من ذلك فما هداك الله له، وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد. فادخله إليه، فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيد الله فأخبره.

فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي

ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف، ويأتي حسينا فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة، ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وأن حسينا أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس منه.

فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير، ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة إلى حسين، وعليهم النعمان بن بشير.

قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعة وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكثبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكثبوا إليه، فكتبوا إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم. حسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغضبها فيها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود! إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنّا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

قال: ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبيح الهمداني وعبد الله بن وال، وأمرناهما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضين من شهر رمضان بمكة، ثم لبثنا يومين، ثم سرحنا إليه قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرجي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

قال: ثم لبثنا يومين آخرين، ثم سرحنا إليه هاني، بن هاني

على عشائهم فجعلوا يكلمونهم ويردونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسي في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: استقبيني، فسقته، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبد الله، إن مجلسك مجلس ريبة، فقم، قال: إني أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك ماوى؟ قالت: نعم، ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطه - إليه، ومعه عبيد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهاني فسحب إلى الكناسة، فصلب هنالك، وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدبرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل  
أصابهما أمر الإمام فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سيل  
أيركب أسماءهم المصالح أمنأ وقد طلبته مذبح بذحول!

وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشعب وأتم من خبر عمار الذهبي عن أبي جعفر الذي ذكرناه، ما حدثت عن هشام بن محمد، عنه، قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني عتبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي امرأة حسين - وكانت مع سكينه ابنة حسين، وهو مولى لأبيها، وهي إذ ذاك صغيرة - قال: خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم، فقال للحسين أهل بيته: لو تنكبنا الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب، قال: لا، والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه، قال: فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين: جعلت فداك! أين تريد؟ قال: أما الآن فإني أريد مكة، وأما بعدها فإني أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أنت آتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤوك، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم، فإنك سيد العرب، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك.

فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه



منزلك، فأقبل في أثره، ولما لم يجد الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالساً، فقال: «بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» قال: فسلم عليه، وجلس إليه، فخبّره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه، فقتل معه هو وابناه. ثم دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحي فأمره بتقوى الله وكنمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ﷺ، وودع من أحب من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلاً الطريق وجاراً، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى تنتهي إلى الماء، وقد كسادوا أن يموتوا عطشاً. فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين، وذلك بالمضيق من بطن الخبيث.

أما بعد، فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلاً، واشتد علينا العطش، فلم يلبس أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيث، وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام. فكتب إليه حسين.

أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أتخوفه على نفسي، فأقبل كما هو حتى مر بماء لطيف، فنزل بهم، ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد رمى ظيلاً حين أشرف له، فصرعه فقال مسلم: يقتل عدونا إن شاء الله، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد - وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب - وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا ويكون.

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس، ولا علم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيينكم إذا دعوت، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

السيبي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبنا معهما.

بسم الله الرحمن الرحيم. لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فجهيلاً، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك.

وكتب شيب بن ربيعي وحجار بن أنجر وي زيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي.

أما بعد، فقد أخضر الجنب، وأنبعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند، والسلام عليك.

وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني السيبي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر الرسل.

بسم الله الرحمن الرحيم. من حسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هاتئنا وسعيداً قدما عليّ بكتيكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلکم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوى الفضل والحجي منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبيكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والخابس نفسه على ذات الله. والسلام.

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسبي، قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد - أو منقذ - أياماً، وكانت تشيع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق.

قال: فاجمع يزيد بن نبيط الخروج - وهو من عبد القيس - إلى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكمن يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لمان على طلب من طلبني.

قال: ثم خرج فتقدى في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام، فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسين جبهته، فجعل يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين، فقيل له: قد خرج إلى

الكوفة؟ وكان يزيد عاتياً على عبيد الله بن زياد، فقال سرجون: رأيت معاوية لو نشر لك، أكنت أخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه وضم المصريين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهدته على الكوفة.

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي - وكان عنده - فبعثه إلى عبيد الله بعهدته إلى البصرة، وكتب إليه معه: أما بعد، فإنه كتب إلي شيعي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الحرزة حتى تنفقه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً، قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخاس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها: أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه، وأكرمته بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به ﷺ، وكنا أهله وأوليائه وأوصيائه وورثه وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا للفرقة، وأحبنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه، غير المنذر بن الجارود، فإنه خشي بزعمه أن يكون دسياً من قبل عبيد الله، فجاءه بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة، وأقرأه كتابه، فقدم الرسول فضرب عنقه، وصعد عبيد الله من البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

أما بعد، فوالله ما تفرق بي الصعبة، ولا يقعق بي بالشنان، وإني لكل من عاداني، وسم لمن حاربي، أنصف القارة من رامها. يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد

فقام حبيب بن مظاهر الفقعي، فقال: رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله السذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه..

ثم قال الحنفي مثل ذلك. فقال الحجاج بن علي: فقلت لحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب.

واختلفت الشيعة إليه حتى علم مكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن ولة، عن أبي الروداك، قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتنصب الأموال - وكان حليماً ناسكاً يحب العافية - قال: إني لم أقاتل من لم يقاتلي، ولا أئب على من لا يئب علي، ولا أشاتمكم، ولا أتحرش بكم، ولا أخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتهم صفحتكم لي، ونكتهم ببعثكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين، فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعرزين في معصية الله، ثم نزل.

وخرج عبد الله بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف. فكان أول من كتب إليه.

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك.

قال هشام: قال عوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ - وأقرأه كتبهم - فما ترى من استعمل على

جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور وكان شيعة لعلي، فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال: إنه تساقط غمرة ومعه ناس - ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط، ويغضي حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولا، فقال: يا أبا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف، قال: لا، والله ما أستطيع. فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن، ثم اعتجز بمعجزة يمانية، فركب بغلته، ثم انحدر راجلاً وحده، فجعل يمر بالحارس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله! وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين، ومعه الخلق يضحون، فكلمه النعمان، فقال: أنشدك الله إلا تنحيت عني! ما أنا بمسلم إليك أماني، وما لي في قتلك من أرب، فجعل لا يكلمه. ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شرفتين، فجعل يكلمه فقال: افتح لا فتحت، فقد طال لي لك، فسمعها إنسان خلفه، فتكفى إلى القوم، فقال: أي قوم، ابن مرجانة، والذي لا إله غيره! فقالوا: ويحك! إنما هو الحسين، ففتح له النعمان، فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس، فانقضوا، وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيها الناس، إني لأعلم أنه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفت منكم أحداً، ثم نزل.

وأخبر أن مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأنه بناحية الكوفة، فدعا مولى لبي غميم فاعطاه مالا، وقال: انتحل هذا الأمر، وأعنتهم بالمال، واقصد هاتين ومسلم وانزل عليه، فجاء هاتناً فأخبره أنه شيعة، وأن معه مالا. وقدم شريك بن الأعور شاكياً، فقال لهاتين: مر مسلماً يكن عندي، فإن عبيد الله يعودني، وقال شريك لمسلم: أرايتك إن أمكتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله. وجاء عبيد الله شريكاً يعودني في منزل هاتين - وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول: اسقوني ماء فأخرج عليه فأضربه - وجلس عبيد الله على فراش شريك، وقام على رأسه مهران، فقال: اسقوني ماء، فخرجت جارية بقدر، فرأت مسلماً، فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء، ثم قال الثالثة: ويلكم تحمونني الماء! اسقوني ولو كانت فيه نفسي، فقطن مهران فغمز عبيد الله، فوثب، فقال شريك: أيها الأمير، إني أريد أن أوصي إليك، قال: أعود إليك، فجعل مهران يطرد به، وقال:

إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو مثلثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم، فرأى من تبشيرهم بالحسين عليه السلام مساهه، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهر، وإنما معه بضعة عشر رجلاً، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغازط عبيد الله ما سمع منهم، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني الملعى بن كليب، عن أبي وداك، قال: لما نزل القصر نودي: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فانا لحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه. الصدق ينبيء عنك لا الوعيد، ثم نزل.

فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إليّ الغرياء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرية وأهل الرب الذين رايهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته إلا نجالنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأياما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة.

وأما عيسى بن يزيد الكناني فإنه قال - فيما ذكر عمر بن شبة، عن هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عنه - قال: لما

حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجبرني وتضيفني، فقال: رحمك الله! لقد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك لأحببت ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، ادخل.

فأواه، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء بن عروة، ودعا ابن زياد مولى له يقال له معقل، فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم، ثم اطلب مسلم بن عقيل، واطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف، فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إليهم اطمأنوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثم اغد عليهم ورح. ففعل ذلك، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجه الأسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي، وسمع الناس يقولون: إن هذا يبائع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبد الله، إني امرؤ من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، أنعم الله علي بحب أهل هذا البيت وحب من أحبه، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبائع لابن بنت رسول الله ﷺ، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه ولا يعرف مكانه، فإني جالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نقرأ من المسلمين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلي على صاحبك فأبائعه، وإن شئت أخذت بيعي له قبل لقاءه، فقال: الحمد لله على لقائك إياي، فقد سررتني ذلك لتسال ما تحب، ولينصر الله بك أهل بيت نبيه، ولقد ساءني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمى مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فأخذ يبعته قبل أن يبرح، وأخذ عليه الموائيق المغلظة ليناصحن وليكنمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال له: اختلف إلى أيامي في منزلي، فإنا طالب لك الإذن على صاحبك. فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فمرض هانيء بن عروة، فجاء عبيد الله عائداً له، فقال له عمارة بن عبيد السلولي: إنما جمعنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، قال هانيء: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور - وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، وكان شديد التشيع - فأرسل إليه عبيد الله: إني رافع إليك العشيّة، فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم أقعد في القصر، ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك، فقام

أراد والله قتلك، قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هانيء ويد أبي عنده يد! فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث فقال: اتينا بهانيء، فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان، قال: ومال له وللأمان! وهل أحدث حدثاً! انطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فأمناه، فأتياه فدعواه، فقال: إنه إن أخذني قتلي، فلم يزلأ به حتى جاء به وعبيد الله يخطب يوم الجمعة، فجلس في المسجد، وقد رجل هانيء غديرته، فلما صلى عبيد الله، قال: يا هانيء، فبعت، ودخل فسلم، فقال عبيد الله: يا هانيء، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حجر، وكان من حجر ما قد علمت، ثم لم يزل يحسن صحبتك، ثم كتب إلى أمير المؤمنين الكوفة إن حاجتي قبلك هانيء؟ قال: نعم، قال: فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني! قال: ما فعلت، فأخرج التميمي الذي كان عيناً عليهم، فلما رآه هانيء علم أن قد أخبره الخبر، فقال: أيها الأمير، قد كان الذي بلغك، ولن أضيع يدك عني، فانت آمن وأهلك، فسر حيث شئت.

فكبا عبيد الله عندها، ومهران قائم على رأسه في يده معكزة، فقال: وأذلاه! هذا العبد الحائك يؤمنك في سلطانك! فقال: خذه، فطرح المعكزة، وأخذ بضفيري هانيء، ثم أقنع بوجهه، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هانيء، وندر الزج، فارتز في الجدار، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه، وسمع الناس الهيعة، وبلغ الخبر مذحج، فأقبلوا، فاطافوا بالددار، وأمر عبيد الله بهانيء فألقي في بيت، وصيح المذحجيون، وأمر عبيد الله مهران أن يدخل عليه شريحاً، فخرج، فأدخله عليه، ودخلت الشرط معه، فقال: يا شريح، قد ترى ما يصنع بي! قال: أراك حياً قال: وحي أنا مع ما ترى! أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلتني، فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيته حياً ورأيت أثره سبتاً، قال: وتنكر أن يعاقب الولائي رعيته! أخرج إلى هؤلاء فاخبرهم، فخرج، وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه، فقال لهم شريح: ما هذه الرعة السيئة! الرجل حي، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا.

وذكر هشام، عن أبي مخنف، عن المعلبي بن كليب، عن أبي الوداك، قال: نزل شريك بن الأعور على هانيء بن عروة المرادي، وكان شريك شيعياً، وقد شهد صفين مع عمار.

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقاتله التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، فخرج من دار المختار - وقد علم به، حتى انتهى إلى دار هانيء بن عروة المرادي، فدخل بابيه، وأرسل إليه أن أخرج، فخرج إليه هانيء، فكره هانيء مكانه

مسلم بن عقيل ليدخل، وقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس، فقام هاني بن عروة إليه فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري - كأنه استقيح ذلك فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكاً عن وجعه، وقال: ما الذي تجدد؟ ومتى أشكيت؟ فلما طال سؤاله إياه، ورأى أن الآخر لا يخرج، خشي أن يفوته، فأخذ يقول:

ما تنتظرون بسلمي أن تحبوا.

استقنيتها وإن كانت فيها نفسي، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله، ولا يفتن ما شأنه؟ أترونه يهجر؟ فقال له هاني: نعم أصلحك الله! ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه. ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان: أما إحداهما فكرهه هاني أن يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي ﷺ: «إن الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن»، فقال هاني: أما والله لو قتلت لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يقتل في داري. ولبت شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، فخرج ابن زياد فصرى عليه، وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهائناً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك، فقال عبيد الله: والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً، والله لو لا أن قبر زياد فيهم لنبتت شريكاً.

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عوسجه أياماً ليدخله على ابن عقيل، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور، فأخبره خبره كله، فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي، فقبض ماله الذي جاء به، وهو الذي كان يقبض أموالهم، وما يعين به بعضهم بعضاً، يشتري لهم السلاح، وكان به بصيراً، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج، يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، ثم ينطلق بها حتى يقرأها في آذن ابن زياد. قال: وكان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض، فجعل لا يخرج، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هائناً؟ فقالوا: هو شك، فقال: لو علمت بمرضه لعدته!

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد، قال: دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة.

قال أبو مخنف: حدثني الحسن بن عقبة المرادي أنه بعث معهما عمرو بن الحجاج الزبيدي.

قال أبو مخنف: وحدثني غير بن وعلة، عن أبي الوداك، قال: كانت روعة أخت عمر بن الحجاج تحت هاني بن عروة، وهي أم يحيى بن هاني. فقال لهم: ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا؟ قالوا: ما ندري أصلحك الله! وإنه ليتشكى، قال: قد بلغني أنه قد برا، وهو يجلس على باب داره، فالفقه، فمروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق، فلاني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب، فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على باب، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنه قد ذكرك، وقد قال: أو أعلم أنه شك لعدته؟ فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا له: يبلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا! فدعا بشيابه فلبسها، ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر، كان نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان ابن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي، إني والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟ قال: أي عم، والله ما أخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء؟ وزعموا أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله، فأما محمد فقد علم به، فدخل القوم على ابن زياد، ودخل معهم، فلما طلع قال عبيد الله: أتتكم بحائن رجلاً! وقد عرس عبيد الله إذ ذاك بأمر نافع ابنة عمارة بن عقبة، فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه، فقال:

أريد جباه ويريد قلبي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان له أول ما قدم مكرماً ملطفاً، فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟ قال: إيه يا هاني بن عروة! ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين! جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفي علي لك! قال: ما فعلت، وما مسلم عندي، قال: بلى قد فعلت، قال: ما فعلت، قال: بلى، فلما كثر ذلك بينهما، وأبى هاني إلا بمجاذته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فسقط في خلده ساعة. ثم إن نفسه راجعته، فقال له: اسمع مني، وصدق مقالتي، فوالله لا أكذبك، والله الذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره، حتى رأيته جالساً على بابي، فسألني النزول علي، فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك دمام، فأدخلته داري وضفته وأوتيته، وقد كان من أمره الذي بلغك، فإن شئت أعطيت الآن موثقاً مغلظاً وما تطمئن إليه إلا أبغيت سوءاً، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى أتيتك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من دمامه وجواره، فقال: لا

فأعظمو ذلك، فقيل لعبيد الله: هذه مذبح بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل، وأنك قد رأيته، فدخل إليه شريح فنظر إليه.

فقال أبو مخنف: فحدثني الصقعب بن زهير، عن عبد الرحمن بن شريح، قال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة، قال: دخلت على هاني، فلما رأيته قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشرتي؟ فأين أهل الدين! وأين أهل المصر! تفاقدوا! يخلونني، وعدوهم وابن عدوهم! والدماء تسيل على لحيتي، إذ سمع الرجة على باب القصر، وخرجت واتبعني، فقال: يا شريح، إني لأظنها أصوات مذبح وشيعتي من المسلمين، إن دخل علي عشرة نفر انفذوني، قال: فخرجت إليهم ومعهم حميد بن بكير الأحمري أرسله معي ابن زياد، وكان من شرطه ممن يقوم على رأسه - وإيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به، فلما خرجت إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم، وأن أعلمكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً. فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال: لما ضرب عبيد الله هائناً وجسه خشي أن يشب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشرف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا ببطاعة الله واطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا، فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتحرقوا وتغرموا، إن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه.

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هاني، قال: فلما ضرب وجبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايع ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن

والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به، فقال: لا، والله لا أجيتك أبداً أنا أجيتك بضيفي تقتله! قال: والله لتأتيني به، قال: والله لا أتيتك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شأمي ولا بصري غيره - فقال: أصلح الله الأمير! خلني وإياه حتى أكلمه، لما رأى لجأته وتأييه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً، فقال لهاني: قم إلي هاهنا حتى أكلمك، فقام فخلاً به ناحية من ابن زياد، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما، إذا رفعاً أصواتهما سمع ما يقولان، وإذا خفضا خفى عليه ما يقولان، فقال له مسلم: يا هاني، إني أنشدك الله أن تقتل نفسك، وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك! فوالله إني لأنفس بك عن القتل، وهو يرى أن عشيرته ستحرك في شأنه أن هذا الرجل ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك حزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان، قال: بلى، والله إن علي في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه، فأخذ ينشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً، فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه مني فادنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك، قال: إذا تكثر البارقة حول دارك، فقال: والهفاً عليك! أبا البارقة تخوفني! وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فآذني، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه، وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الرجال، وجابذه الرجل ومنع، فقال عبيد الله: أحروري سائر اليوم! أحللت بنفسك، قد حل لنا قلقك، خذوه فآلقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، واجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرسل غدر سائر اليوم! أمرتنا أن نحيتك بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمت وجهه، وسيلت دمه على لحيته، وزعمت أنك تقتله! فقال له عبيد الله: وإنك لهاهنا! فأمر به فلهز وتعت به، ثم ترك فحبس.

وأما محمد بن الأشعب فقال: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب. وبلغ عمرو بن الحجاج أن هائناً قد قتل، فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذبح ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل،

عن موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين، فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد -: أصلى الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شريك وأهل بيتك ومواليك، فأخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لثبث بن ربيعي لواء، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ثم قال: أشرفوا على الناس فمنا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن خازم الكثيري من الأزدي، من بني كثير، قال: أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تحب، فقال: أيها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيتم أن يحرم ذريتم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد، أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر! انصرف. فيذهب به، فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتى صليت المغرب، فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً. فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طووعة - أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره - فسلم عليها ابن عقيل، فودت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء،

عزيز الكندي على ريع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ريع مذحج وأسد، وقال: أنزل في الرجال فأتت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ريع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجذلي على ريع المدينة، ثم أقبل نحو القصر، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر، وغلقت الأبواب.

قال أبو مخنف: وحدثني يونس بن أبي إسحاق، عن عباس الجذلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء، فضاقت بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه. ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويحذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعب أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربيعي التميمي وحجار بن أبحر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يحذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني ثقيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردت، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك، فأمر به فحبس، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلح الأزد وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشامي، فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحى ويتأخر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلست على ابن عقيل من العرار، فتأخر

فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله! فمر إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك، فقام فقال: يا أمة الله، مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجرة ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبي هؤلاء القوم وغروني، قالت: أنت مسلم! قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرأها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنه ليربني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إن لك لشأناً، قالت: يا بني، اله عن هذا، قال لها: والله لتخبرني: قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فالح عليها، فقالت: يا بني، لا تحدث أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت - وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس. وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له - ولما طال على ابن زياد وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً! فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، ففرعوا بمباح المسجد، وجعلوا يخفون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلوا القناديل وأنصاف الطنان تشد بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدل، حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد. ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فتأدى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد، فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس، أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر، فيأني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك! فقال: مر حرسني فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودر فيهم فيأني لست بداخل إذا.

فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله! فمر إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك، فقام فقال: يا أمة الله، مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجرة ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبي هؤلاء القوم وغروني، قالت: أنت مسلم! قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرأها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنه ليربني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إن لك لشأناً، قالت: يا بني، اله عن هذا، قال لها: والله لتخبرني: قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فالح عليها، فقالت: يا بني، لا تحدث أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت - وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس. وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له - ولما طال على ابن زياد وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً! فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، ففرعوا بمباح المسجد، وجعلوا يخفون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلوا القناديل وأنصاف الطنان تشد بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدل، حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد. ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فتأدى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد، فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس، أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر، فيأني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك! فقال: مر حرسني فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودر فيهم فيأني لست بداخل إذا.

فصلى بالناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل السفیه الجاهل، قد أنسى ما قد رأيتم من

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي، أن ابن الأشعب حين قام ليأتيه بابين عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس، أن ابعت مع ابن الأشعب ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس - وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه، فشد عليهم كذلك فاختلف هو وبكير بن حران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، وتصلت لها ثنيته، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكراً، وثني بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه، فلما رآوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثم يقلبونها عليه من فوق البيت، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكة فقاتلهم، فأقبل عليه محمد بن الأشعب فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حسراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً  
كل امرئ يوماً ملاق شراً ويغلط البارد سخناً مرأ



أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيتك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام.

واقبل محمد بن الأشعب بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكبير إياه فقال: بعداً له! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان! كأننا أرسلناك تؤمنه! إنما أرسلناك لتأيننا به، فسكت. وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى باب القصر فإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم! قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال ابن عقيل: لأملك الثكل! ما أجفاك. وما أفضلك، وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني، ثم جلس متسانداً إلى حائط.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث بعث غلاماً يدعى سليمان، فجاءه بماء في قلة فسقاه.

قال أبو مخنف: وحدثني سعيد بن مدرك بن عمارة، أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يدعى قيساً، فجاءه بقلعة عليها منديل ومعه قدح فصب فيه ماء، ثم سقاه فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً، فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيته فيه، فقال: الحمد لله! لو كان لي من الرزق المقسوم شريته، وأدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالأمرة، فقال له الحرس: الا تسلم على الأمير! فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه! وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه، فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلن، قال: كذلك؟ قال: نعم، قال: فدعني أوص إلى بعض قومي، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نصح حاجتي، وهو سر، فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد، فقال له:

رد شعاع الشمس فاستقرا أخاف أن أكذب أو أوغرا فقال له محمد بن الأشعب: إنك لا تكذب ولا تخدع ولا تغر، إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك، وقد أنخن بالحجارة، وعجز عن القتال وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمد بن الأشعب فقال: لك الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتحنى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم. وأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكانه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر، قال محمد بن الأشعب: أرجو ألا يكون عليك بأس، قال: ما هو إلا الرجاء، أين أمانكم! إنا لله وإنا إليه راجعون! ويكي، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم ييك، قال: إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي، أبكي لحسين وآل حسين! ثم أقبل على محمد بن الأشعب فقال: يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أمانتي، فهل عندك خير! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسناً، فلاني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتى تقتل، وهو يقول: أرجع بأهل بيتك، ولا يترك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، وإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكذب رأي، فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد امتكت.

قال أبو مخنف: فحدثني جعفر بن حذيفة الطائي وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث - قال: دعا محمد بن الأشعث إلياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً، وكان لمحمد زواراً، فقال له: ألق حسناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك، ومتعة لعيالك، فقال: من أين لي يراحلة، فإن راحلتي قد أنصيتها؟ قال: هذه راحلة فاركيها برحليها. ثم خرج فاستقبله بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حُم نازل، وعند الله نخشع أنفسنا وفساد أمتنا.

وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحول إلى دار هانئ بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدم كتاباً إلى حسين مع عباس بن أبي شبيب الشاكري.

ويعطي علي ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا. وأشرف به على موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة قال: نزل الأحمري بكير بن حران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتله؟ قال: نعم، قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدبته لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا، فقلت له: ادن مني، الحمد لله الذي أقادني منك، فضرته ضربة لم تغن شيئاً، فقال: أما ترى في خدش تخدشني وفاء من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: أو فخرأ عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.

قال: وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هانئ بن عروة، وقال: إنك قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في مصر، وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنني وصاحبي سقتاه إليك، فأتشدك الله كما وهبته لي، فأني أكره عداوة قومه، هم أعز أهل مصر، وعدد أهل اليمن! قال: فوعده أن يفعل، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان، بدا له فيه، وأبى أن يفي له بما قال.

قال: فأمر بهانئ بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل فقال: أخرجه إلى السوق فاضربوا عنقه، قال: فأخرج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وامذحجاه! ولا مذحج لي اليوم! وامذحجاه، وأبن مني مذحج! فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده فزعهما من الكتاف، ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه!

قال: ووثبوا إليه فشدوه وثاقاً، ثم قيل له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها مجذو سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي.

قال: فضربه مولى لعبيد الله بن زياد - تركى يقال له رشيد - بالسيف، فلم يصنع سيفه شيئاً، فقال هانئ: إلى الله المعاد! اللهم إلى رحمتك ورضوانك! ثم ضربه أخرى فقتله.

قال: فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر، وهو مع عبيد الله بن زياد، فقال الناس: هذا قاتل هانئ بن عروة، فقال ابن الحصين: قتلي الله إن لم أقتله أو أقتل دونه! فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله، ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان، فأبى به فقال له: أخبرني بأمرك، فقال: أصلحك الله! خرجت لأنظر ما يصنع الناس،

إن علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فأقصها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد، فوارها، وأبعث إلى حسين من يردّه، فأبى قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً، فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا، قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها، إنه ليس بأهل منا لذلك؛ قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا، وزعموا أنه قال: أما جثته فإننا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها. ثم إن ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل! أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض! قال: كلا، لست أتيت، ولكن أهل مصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب، قال: وما أنت وذاك يا فاسق! أو لم تكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر! قال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأني لست كما ذكرت، وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمليك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله، قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد فقال: الحمد لله على كل حال، رضىنا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً! قال: والله ما هو بالظن، ولكنه اليقين، قال: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك. وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه. وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بماء فسقي بمزفة ثم قال له: إنه لم يمتنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن نحرم بالشرب فيها، ثم نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا، ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم أتبعوا جسده رأسه، فقال: يا ابن الأشعب، أما والله لو لا أنك آمنيتي ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك، ثم قال: يا ابن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني، ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر ويستغفر

علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال: كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين - ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم - قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

وذكر هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عن عيسى بن يزيد، أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براهبه خضراء، وخرج عبد الله براهبه حمراء، وعليه ثياب حمراء، وجاء المختار براهبه فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال: إنما خرجت لأمنع عمراً، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتلاً شديداً وأن شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يفرقوا، فقال له القعقاع: إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فأفرج لهم ينسربوا، وإن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث، وجعل فيهما جعلاً، فأتى بهما فحبسا.

### ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة.

ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، قال: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهيباً للمسير إلى العراق، أتيت فدخلت عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثبتت عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني أتيتك يا ابن عم الحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستصحني وإلا كففت عما أريد أن أقول، فقال: قل، فوالله ما أظنك بسوء الرأي، ولا هو للقيح من الأمر والفعل، قال: قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى

فأخذني كثير بن شهاب، فقال له: فعليك وعليك، من الأيمان المغلظة، وإن كان أخرجك إلا ما زعمت! فأبى أن يحلف، فقال عبيد الله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبيع فاضربوا عنقه بها، قال: فانطلق به فضربت عنقه، قال: وأخرج عمارة بن صلحب الأزدي - وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره فأتى به أيضاً عبيد الله فقال له: ممن أنت؟ قال: من الأزدي. قال انطلقوا به إلى قومه، فضربت عنقه فيهم، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتله مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المرادي - ويقال: قاله الفرزدق:

إن كنت لا تدلين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل  
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتل  
أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسري بكل سيل  
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونصح دم قد سال كل سيل  
فتى هو أحياء من فتاة حية وأقطع من ذي شفرتين صقيل  
أيركب أسماء الهماليج أمناً وقد طلبته منجج بذحول  
تطيف حوالبه مراد وكلهم على رقة من سائل ومسول  
فلإن أنتم لم تشاروا بأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حبة الكلبي، قال: ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانثاً بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حبة الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتب.

أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه. أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وأنني جعلت عليهما العيون، ودست إليهما الرجال، وكدت هما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حبة الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي - وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة - فليسا لهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً، وفهماً وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأيي فيك، وقد دعوت رسولك فسألتهما، وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن الحسين بن

الله بن العباس فقال: يا ابن عم إنني أتصبر ولا أصبر، إنني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكذب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيع، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيتك عند ذلك الذي تحب في عافية، فقال له الحسين: يا ابن عم، إنني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكي قد أزمعت وأجمعت على المسير، فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إنني لخاصف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشرك وناصيتك حتى يجمع عليّ عليك الناس أطعني لفعلت ذلك. قال: ثم خرج ابن عباس من عنده، فمر بعبد الله بن الزبير، فقال: قرت عينك يا ابن الزبير! ثم قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجوف فيضي واصفري  
ونقري ما شئت أن تقرري

هذا حسين يخرج إلى العراق عليك بالحجاز.

قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حية، عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة، فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالا: فتقربنا منهما، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقم فتليت هذا الأمر فأزرنك وساعدناك، ونصحنك لك وبايعناك، فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمته، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش، فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتولياني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما أريد هذا أيضاً، قالا: ثم إنهما أخفيا كلامهما دوناً، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس راثنين متوجهين إلى منى عند الظهر، قالا: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقص من شعره، وحل من عمرته، ثم توجه نحو الكوفة، وتوجهنا نحو الناس إلى منى.

قال أبو مخنف: عن أبي سعيد عقيص، عن بعض أصحابه، قال: سمعت الحسين بن علي وهو بمكة مع عبد الله بن

العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه من يقاتلك معه، فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقضى من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح.

قال: فانصرفت من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام فسألني: هل لقيت حسيناً؟ فقلت له: نعم، قال: فما قال لك، وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلت كذا وكذا، وقال كذا وكذا، فقال: نصحته ورب المروة الشهباء، أما ورب البنية إن الرأي لما رأيته، قبله أو تركه، ثم قال:

رب مستصح يغش ويردى وظنين بالغيب يلقى نصيحا  
قال أبو مخنف: وحديثي الحارث بن كعب الوالي، عن عقبة بن سميان، أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عم، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: إنني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيدك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله! أنسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله نجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال له حسين: وإنني أستخير الله وأنظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة، ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاء هذا الأمر دونهم! خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إلى شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقممت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر هاهنا ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فود أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشي أو من الغد، أتى الحسين عبد

دخلت الحرم في أيام الحج، وذلك في سنة ستين، إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسبافه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ ف قيل: للحسين بن علي، فأنيت فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله! ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت، قال: ثم سألي: ممن أنت؟ فقلت له: امرؤ من العراق، قال: فوالله ما فتشتني عن أكثر من ذلك، واكتفى بها مني، فقال: أخبرني عن الناس خلفك؟ قال: فقلت له: القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله، قال: فقال لي: صدقت، قال: فسألته عن أشياء، فأخبرني بها من نذور ومناسك، قال لي: وإذا هو ثقل اللسان من برسام أصابه بالعراق، قال: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم، وهيته حسنة، فأنيت فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، فسألني، فأخبرته بلقاء الحسين بن علي، فقال لي: ويلك! فهلا اتبعته، فوالله ليملكن، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه، قال: فهمت والله أن الحق به، ووقع في قلبي مقاتته، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدني ذلك عن اللحاق بهم، فقدمت على أهلي بعسفان، قال: فوالله إني لعندهم إذ أقبلت غير قد امتارت من الكوفة، فلما سمعت بهم خرجت في آثارهم حتى إذا سمعتهم الصوت وعجلت عن إتيانهم صرخت بهم: ألا ما فعل الحسين بن علي؟ قال: فردوا علي: ألا قد قتل، قال: فأنصرفت وأنا العن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، ويتنظرونه في كل يوم وليلة. قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر، قال: فقلت له: فما يمنعك أن تبيع الوهط؟ قال: فقال لي: لعنة الله على فلان - يعني معاوية - وعليك، قال: فقلت: لا، بل عليك لعنة الله، قال: فزادني من اللعن ولم يكن عنده من حشمة أحد فالتقى منهم شراً، قال: فخرجت وهو لا يعرفني - والوهط حائط لعبد الله بن عمرو بالطائف - قال: وكان معاوية قد ساوم به عبد الله بن عمرو، وأعطاه به مئلاً كثيراً فأبى أن يبيعه بشيء - قال: وأقبل الحسين مغداً لا يلوي على شيء حتى نزل ذات عرق.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنيه: عون ومحمد: أما بعد، فإني أسالك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكك اليوم طغى نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب، والسلام.

الزبير، فقال له ابن الزبير إلي يا ابن فاطمة، فأصغى إليه، فساره، قال: ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلي من أن أقتل داخلها منها بشير، وإيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، وو الله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالي، عن عقبة بن سمعان قال: لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب! فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان، فاضطربوا بالسياف. ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فتداه: يا حسين، ألا تقي الله! تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأمة! فتأول حسين قول الله عز وجل: ﴿لِي غَمَلِي وَلَكُمْ غَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

قال: ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم، فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، - وكان عامله على اليمن - وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد فاخذها الحسين، فانطلق بها، ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراهه وأحسننا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراهه على قدر ما قطع من الأرض، قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراهه وكساه.

قال أبو مخنف، عن أبي جناب، عن عدي بن حرمة، عن عبد الله بن سليم والمذري قال: أقبلنا حتى انتهيا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر، فوافق حسناً فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبا الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال له الحسين: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريره، ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا.

قال هشام، عن عوانة بن الحكم، عن لبطة بن الفرزدق بن غالب، عن أبيه، قال: حججت بأمي، فانا أسوق بعيرها حين

فأسند ظهره إلى قصباء وخلا كيلاً يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيتيه، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راكب، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري وعهد إليه عهده فقال: اكفي هذا الرجل، قال: أعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخره، فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به، فتوجه إليه عمر بن سعد، فلما أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فالحق بالثغور، فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي! فقال له الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته، وجاء سهم فاصاب ابناً له معه في حجره، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، ثم أمر بحجرة فشققها، ثم ليسها وخرج بسيفه، فقاتل حتى قتل صلوات الله عليه، قتله رجل من مذبح وحز رأسه، وانطلق به إلى عبيد الله وقال:

أوفر ركابي فضة وذهباً فقد قتلست الملك المحجبا  
قتلت خير الناس أمراً وأباً وخيرهم إذا ينسبون نسباً  
وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

يلفلن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً  
فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فإ رسول الله ﷺ على فيه يلثمه! وسرح عمر بن سعد مجرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضاً مع النساء، فأمر به عبيد الله ليقتل، فطرح زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلوني! فرق لها فتركه وكف عنه.

قال: فجهزهم وحملهم إلى يزيد، فلما قدموا عليه جمع من كان بمحضرتهم من أهل الشام، ثم أدخلوهم، فهتسوه بالفتح، قال رجل منهم أزرق أحر ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله، قال: فأعادهما الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا، ثم أدخلهم على عياله، فجهزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم!  
بعترتي ويسألني بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

قال: وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه. وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأنتي به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: أختمه، وأبعث مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه، ويعلم أنه الجند منك، ففعل، وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة، قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ، وأمرت فيها بامر أنا ماض له، عليّ كان أولي، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها حتى ألقي ربي.

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيدك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه سلاك، وقد بعث إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك، الله عليّ بذلك شهيد وكفيل، ومراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله خافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلبي وبيري، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام.

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني عن أبي جعفر. فحدثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي قال: حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال: حدثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر: حدثني عن مقتل الحسين حتى كاني حضرته، قال: فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهم أن يرجع، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمة! حدثني الحسين بن نصر قال: حدثنا أبو ربيعة، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن قال: بلغنا أن الحسين عليه السلام...

وحدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا عباد بن العوام قال: حدثني حصين، أن الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: إنه معك مائة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هاني بن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك. زاد الحسين بن نصر في حديثه: فأرسل إلى هاني فأتاه، فقال: ألم أوفرلك! ألم أكرمك! ألم أفعل بك! قال: بلى، قال: فما جزاء ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمتك، قال: تمنعني! قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكفف ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله أركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملأ من الناس.

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يهرون في طريق مينا ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك. قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بمرجادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً. قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميزوا أربعاً أربعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فخرج مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزوا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فساره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إن مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلوا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك، فقال: اعتدلا لي عتداً، فقالا: ما مملك ذلك، فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكفف ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية - قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا - جئت لتتزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه.

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب، فسألهم، فقالوا: ولا والله ما ندرى، غير أننا لا

نستطيع أن نلج ولا نخرج، قال: فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول بكربلاء، فنزل يناشدهم الله والإسلام، قال: وكان بعث إليه عمرو بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن تميم، فناشدهم الحسين الله والإسلام أن يسروه إلى أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، فقالوا: لا، إلا على حكم ابن زياد، وكان فيمن بعث إليه الحر بن يزيد الخنظلي ثم النهلشي على خيل، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم! والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوه! فأبوا إلا على حكم ابن زياد، فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم، ثم كر على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين، ثم قتل رحمة الله عليه.

وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجاً، فأقبل معه، وخرج إليه ابن أبي بحينة المرادي ورجلان آخران وعمرو بن الحجاج ومعن السلمي، قال الحصين: وقد رأيتهما.

قال الحصين: وحدثني سعد بن عبيدة، قال: إن أشياء من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتصرونه! قال فأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد، قال: وإني لأنظر إليه وعليه جبة من برود، فلما كلمهم انصرف، فرماه رجل من بني تميم يقال له: عمر الطهوي بسهم، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً في جبهته، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه، وإني لأنظر إليهم، وإنهم لقريب من مائة رجل، فيهم لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد.

قال: وحدثني سعد بن عبيدة، قال: إنا لمستنقون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه فساره وقال له: قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمي، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك، قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثم دعا سلاحه فلبسه، وإنه على فرسه، فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوضع بين يديه، فجعل ينكت بقضيبه، ويقول: إن أبا عبد الله قد كان شطط، قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لمن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهم رزقاً، وأمر لمن بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر - أو ابن ابن جعفر - فأتيا رجلاً من طيئ فلجأ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى

وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهم بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أتني يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا.

قال حصين: فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأنما تلتطخ الحوايط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع.

قال: وحدثني العلاء بن أبي عائشة قال: حدثني رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، قال: قلت: لم؟ قال: كنا نتحدث أن ولد نسي مقتول في ذلك المكان، قال: وكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنا نتحدث. قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثني علي بن محمد، عن جعفر بن سليمان الضبيعي قال: قال الحسين: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة، فقدم للعراق فقتل بينوي يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: قتل الحسين بن علي عليه السلام في صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين.

حدثني بذلك أفلح بن سعيد، عن ابن كعب القرظي، قال الحارث: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبي معشر قال: قتل الحسين لعشر خلون من الحرم. قال الواقدي: هذا أثبت.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عطاء بن مسلم، عن أخبره، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، قال: أول رأس رفع على خشبة، رأس الحسين عليه وعلى الله روحه.

قال أبو مخنف: عن هشام بن الوليد، عن شهد ذلك، قال: أقبل الحسن بن علي بأهله من مكة ومحمد بن الحنفية بالمدينة، قال: قبله خبره وهو يتوضأ في طست، قال: فبكى حتى سمعت وكف دموعه في الطست.

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال: ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن قميم صاحب شرطه حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى الققططانة وإلى

لعلح، وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق.

قال أبو مخنف: وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أهد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملثكم على نصرنا، والطلب بمحقتنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان مسلم ابن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك.

قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، وأقبل قيس بن مسهر الصيداي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذته الحصين بن قميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فاسب الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقه بالحاجر، فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب. قال: فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يرمي به من فوق القصر، فرمي به، فتقطع فمات. ثم أقبل الحسين سرياً إلى الكوفة، فأنتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي، وهو نازل هاهنا، فلما رأى الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! ما أقدمك! واحتمله فانزله، فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلي أهل العراق يدعوني إلى أنفسهم، فقال له عبد الله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ! أنشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقنتلنك، ولئن تلوكل لا يهابون بعدك أحداً أبداً. والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضي، قال: فأقبل الحسين حتى كان بالماء فوق زرود.

قال أبو مخنف: فحدثني السدي، عن رجل من بني فزارة



قال: لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنا غثبين فيها، قال: فقلت للفزاري: حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي، قال كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم، ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كانا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدثني دهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أبيعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو أتته فسمعت من كلامه! ثم انصرفت، قالت: فاتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لأمراته: أنت طالق، الحقى بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك من سبي إلا خير، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فإنا فإني أستودعكم الله، قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن عدي بن حرمة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: لما قضينا حجة لم يكن لنا همة إلا للحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقاتنا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلما دوننا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه، ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنساله، فلما كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، قال: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم قلنا: فمن الرجل؟ قال: أسدي: فقلنا: فنحن أسديان فمن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة، فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم،

لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق، قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسباً، فجنناه حين نزل، فسلمنا عليه فرد علينا، فقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خيراً، فإن شئت حدثنا علانية، وإن شئت سراً، قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر، فقلنا له: أرايت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم وقد أردت مسأله، فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسأله، وهو امرؤ من أسد منا، ذو رأي وصدق، وفضل وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وحتى رأهما يجران في السوق بأرجلهما، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما، فردد ذلك مراراً، فقلنا: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل تتخوف أن تكون عليك! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن خالد، عن زيد بن علي بن حسين، وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أن بني عقيل قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو ندوق ما ذاق أخونا. قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عدي بن حرمة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين، قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رايه على المسير، قالا: فقلنا: خار الله لك! قالا: فقال: رحمكم الله! قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع، قال الأسديان: ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانهم وغلمانهم: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة.

قال أبو مخنف: حدثني أبو علي الأنصاري، عن بكر بن مصعب المزني قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبيد الله بن بقطر، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرجه به إلى عبيد الله بن زياد، فقال: اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لتصوره وتوازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدعي. فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فاتاه رجل

يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريجه.

قال هشام: حدثنا أبو بكر بن عياش عن ابن أخيه، قال: والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير. قال: فأتى ذلك الخبر حسيناً وهو بزيالة، فأخرج للناس كتاباً، فقرأ عليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنه قد أتنانا خير فطيع، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن بقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف، ليس عليه منا ذمام.

قال: فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الأعراب، لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه. قال: فلما كان من السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء واكثروا، ثم سار حتى مر ببطن العقبة، فنزل بها.

قال أبو مخنف: فحدثني لوزان أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدثه، فقال له: إني أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفرك مؤنة القتال، ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فيني لا أرى لك أن تفعل. قال: فقال له: يا عبد الله، إنه ليس يخفى علي الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره، ثم ارتحل منها.

ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة، وولاه عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في شهر رمضان منها، فحج بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعدما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة.

## السنة الحادية والستون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه، قتل فيها في الحرم لعشر خلون منه، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي، وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتله.

حدثت عن هشام، عن أبو مخنف، قال: حدثني أبو جناب، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمزني بن المشمعل الأسديين قالا: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها، فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار. ثم إن رجلاً قال: الله أكبر! فقال الحسين: الله أكبر ما كبرت؟ قال: رأيت النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأي؟ قلنا: نراه رأي هوادي الخيل، فقام فتيانه فرشقوا الخيل ترشيقاً فقال: وأنا والله أرى ذلك، فقال الحسين: أما لنا ملجأً نلجأ إليه نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ قلنا: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد، قالا: فآخذ إليه ذات اليسار، قالا: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتيانها، وعدنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كان أسنتهم اليعاسيب، وكان راياتهم أجنحة الطير، قال: فاستبقنا إلى ذي حسم، فسبقناهم إليه، فنزل الحسين، فأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي الربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لفتيانته: اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورسقوا الخيل ترشيقاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملئون القصاع والأترار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عب فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خساً عزلت عنه عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

قال هشام: حدثني لقيط، عن علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية -

والراوية عندي السقاء - ثم قال: يا ابن أخ. أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء - أي اعطفه - قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل! قال: فقام الحسين فحنثه، فشربت وسقيت فرسي. قال: وكان مجيء الحر بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين ابن تميمي - وكان على شرطه - فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالح فينظم ما بين القطقطانة إلى خفان، وقدم الحر بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية، فيستقبل حسيناً.

قال: فلم يزل موافقاً حسيناً حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم أتكم حتى أتني كتبكم، وقدمت على رسلكم: أن اقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم. قال: فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن: أقم، فأقام الصلاة، فقال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك، قال: فصلى بهم الحسين، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحر إلى مكانه الذي كان به، فدخل خيمة قد ضربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد أصحابه إلى صفهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيئوا للرحيل. ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم، وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجرور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به علي رسلكم، انصرفت عنكم، فقال له الحر بن يزيد: إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر! فقال الحسين: يا عقبه بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي، فأخرج خرجين مملوئين صحفاً فشرها بين أيديهم، فقال الحر: فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا،

كالمرعى الويل. ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا ينتهي عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً.

قال: فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلمون أم أنكم؟ قالوا: لا، بل تكلم، فحمد الله فأنشأ عليه ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلصين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لأننا الخروج معك على الإقامة فيها.

قال: فدعا له الحسين ثم قال له خيراً، وأقبل الحر يسايره وهو يقول له: يا حسين، إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال له الحسين: أفياضت تخوفني! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ، فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:

سامضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وأسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مبشوراً يغش ويرغما

قال: فلما سمع ذلك منه الحر تنحى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب المجنات، وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل، ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه، وهو يقول:

يا نافي لا تدعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر  
بغير ركبنا وخير سفر حتى تحلي بكريم النجر  
الماجد الحر رحيب الصدر أتى به الله لخير أمر  
ثمت إبقاء بقاء الدهر

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات، فقال: أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قلنا أم ظفرونا، قال: وأقبل إليهم الحر بن يزيد فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادهم، فقال له الحسين: لأنعمنهم مما أمتع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك، قال:

هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تمت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك، قال: فكف عنهم الحر، قال: ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم، فقال له جمع بن عبد الله العائذي، وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: أما أشراف

فركبوا، وانتظروا حتى ركبنا سناؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا، فلما ذهبوا ليصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالكل أن أقوله كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه، فقال له الحسين: فما تريد؟ قال الحر: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك، فقال له الحر: إذن والله لا أدعك، فترادا القول ثلاث مرات، ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أؤمر بقتلك، وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردك إلى المدينة، تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت، فلعل الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلى بشيء من أمرك، قال: فخذ هاهنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً. ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره.

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العيزار، إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله». ألا وإن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالقي، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيري، قد أتني كتبكم، وقدمت على رسلكم ببعثكم، أنكم لا تسلموني ولا تحذلونني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فانا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمر ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمفرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإمّا ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقال عقبة بن أبي العيزار: قام حسين عليه السلام بذئ حسم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنتكرت، وأدبر معروفها واستمرت جداً، فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش

وأوصيت، فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أريد، وأقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات، استقبلني سماعة بن بدر، فنعناه إلي، فرجعت، قال: ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزل به، فإذا هو بفسطاط مضروب.

**قال أبو مخنف:** حدثني المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، أن الحسين بن علي عليه السلام قال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله ابن الحر الجعفي، قال: ادعوه لي، وبعث إليه، فلما أتاه الرسول، قال: هذا الحسين بن علي يدعوك، فقال عبيد الله بن الحر: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه فانتعل، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه، فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحر تلك المقالة، فقال: فلا تنصرا فائق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، قال: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله. ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله.

**قال أبو مخنف:** حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عقبة بن سمعان قال: لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وصرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة، ثم أتته وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، يا أبت، جعلت فداك! مم حدثت الله واسترجعت؟ قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقة فغن لي فارس على فرس فقال: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا، قال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق! قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت، إذا لا نبالي، نموت محقين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزي ولداً عن والده، قال: فلما أصبح نزل فصلى الغداة، ثم عجل الركوب، فأخذ يتباسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، فبأتيه الحر بن يزيد فبردهم فبرده، فجعل إذا ردهم إلى الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين، قال: فإذا راكب على نجيح له وعليه السلاح متكب قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد وأصحابه، ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه، فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله

الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم الب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك، قال: أخبروني، فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداوي، فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أباك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك، وأخبرهم بقدموك، فأمر به ابن زياد فآلقي من طمار القصر، فترقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمه، ثم قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قُضِيَ نَجَبُهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً. واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك!.

**قال أبو مخنف:** حدثني جميل بن مرثد عن بني معن، عن الطرماح بن عدي، أنه دنا من الحسين فقال له: والله إنني لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عينا في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليعرضوا، ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت! فإن أردت أن تنزل بلسداً يمنعك الله به حتى ترى من أباك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجاً، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذل قط، فاسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال بمن بأجا وسلمى من طيس، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالاً وركباً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسياهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف، فقال له: جزاك الله وقومك خيراً! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنأ نقدر معه على الانصراف، ولا ندرى علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه!.

**قال أبو مخنف:** حدثني جميل بن مرثد، قال: حدثني الطرماح بن عدي قال: فودعته وقلت له: دفع الله عنك شر الجن والإنس، إني قد امرت لأهلي من الكوفة ميرة، ومعني نفقة لهم، فأتهم فاضع ذلك منهم، ثم أقبل إليك إن شاء الله، فإن الحلك فوالله لأكونن من أنصارك، قال: فإن كنت فاعلاً فعجل رحك الله، قال: فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل، قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم،

يستشير نصحاء، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته - فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فثائم بربك، وتقطع رحلك! فوالله لأن تخرج من دينك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين!.

فقال له عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله.

قال هشام: حدثني عوانة بن الحكم، عن عمار بن عبد الله بن يسار الجهني، عن أبيه، قال دخلت على عمر بن سعد، وقد أمر بالمسير إلى الحسين، فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله، أحل فلا تفعل ولا تسر إليه. قال: فخرجت من عنده، فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيت فإذا هو جالس، فلما رأيته عرض بوجهه فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده، قال: فأقبل عمر بن سعد إلى زياد فقال: أصلحك الله! إنك وليتني هذا العمل، وكتبت لي العهد، وسمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغني ولا أجزا عنك في الحرب منه، فسمي له أناساً، فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة، ولست استأمرك فيمن أريد أن أبعث. إن سرت مجندنا، وإلا فابعث إلينا بعدنا، فلما رآه قد لج قال: فإني سائر، قال: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى.

قال: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزة بن قيس الأحسي، فقال: اتته فسله ما الذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عزة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه. قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلهم أبى وكرهه. وقال: وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يرد وجهه شيء - فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكن به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يفتك به، ولكن اتته فسله ما الذي جاء به؟ قال: فأقبل إليه، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله! قد جاءك شر أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه، فقام إليه، فقال: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة، إنما أنا رسول، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له: فإني آخذ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك، قال: لا والله، لا تمسه فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تذنو منه، فإنك فاجر، قال: فاستبأ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، قال: فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له:

بن زياد فإذا فيه: أما بعد، فجمع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزل إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإفذاك أمري، والسلام.

قال: فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره ألا يفارقتي حتى أنفذ رأييه وأمره، فنظر إلى رسول عبيد الله يزيد بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي ثم البهدي فغن له، فقال: أمالك بن النسر البدي؟ قال: نعم - وكان أحد كندة - فقال له يزيد بن زياد: تكلتك أمك! ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه! أطعت إمامي، ووفيت بيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، فهو إمامك. قال: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دعنا ننزل في هذه القرية، يعنون نينوي - أو هذه القرية - يعنون الغاضرية - أو هذه الأخرى - يعنون شقية.

فقال: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليّ عيناً، فقال له زهير بن القين: يا ابن رسول الله، إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتيك من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين: ما كنت لأبدأهم بالقتال، فقال له زهير بن القين: سر بنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم فقتلهم أهون علينا من قتال من يجيء من بعدهم، فقال له الحسين: وأية قرية هي؟ قال: هي العقر، قال الحسين: اللهم إني أعوذ بك من العقر، ثم نزل، وذلك يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف. قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي، وكانت الدليلم قد خرجوا إليها وغلّبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الري، وأمره بالخروج.

فخرج معسكراً بالناس بمحمام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد، فقال: سر إلى الحسين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال له عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تفني فافعل، فقال له عبيد الله: نعم، على أن ترد لنا عهدنا، قال: فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر، قال: فانصرف عمر

تغفر له أبداً. قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يَغْرَ، ثم يقيء، ثم يعود فيشرب حتى يَغْرَ فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه. يعني نفسه - قال: ولما استشد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاؤوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجيء فقال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلائمونا عنه، قال: فاشرب هنياً، قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فظلموا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤوا قربكم، فشد الرجال فملؤوا قربهم، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفوههم، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فقالوا: امضوا، ووقفوا دونهم، فغطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطردوا قليلاً. ثم إن رجلاً من صداء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج، طعنه نافع بن هلال، فظن أنها ليست بشيء، ثم إنها انتقضت بعد ذلك، فمات منها، وجاء أصحاب حسين بالقرب فادخلوها عليه.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب، عن هانئ بن ثابت الحضرمي وكان قد شهد قتل الحسين، قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري: أن القتي الليل بين عسكري وعسرك. قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فأنكشفتنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما، فتكلما فاطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدث الناس فيما بينهما، ظناً يظنون أنه حسباً قال لعمر بن سعد: أخرج معي إلى يزيد بن معاوية وتدع العسكريين، قال عمر: إذن تهدم داري، قال: أنا أبنيها لك، قال: إذن تؤخذ ضياعي، قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فتكره ذلك عمر، قال: فتحدث الناس بذلك، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه.

قال أبو مخنف: وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين، فهو ما عليه جماعة المحدثين، قالوا: إنه قال: اختاروا مني خصالاً ثلاثاً: إما أن

ويحك يا قرة! ألق حسناً فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قال: فاتاه قرة بن قيس، فلما رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة غيمي، وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد، قال: فجاء حتى سلم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له، فقال الحسين: كتب أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم، قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرة بن قيس! أني ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك، فقال له قرة: أرجع إلى صاحبي بجماب رسالته، وأرى رأيي، قال: فأنصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

قال هشام، عن أبي مخنف قال: حدثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسي، عن حسان بن قائد بن بكير العبسي، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فلما حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه، وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم، فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقت غائباً به يرجو النجاة ولات حين مناص  
قال: وكتب إلى عمر بن سعد.

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام.

قال: فلما أتى عمر بن سعد الكتاب، قال: حسبت ألا يقبل ابن زياد العافية.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يدوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فترلوا على الشريعة، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي - وعداده في بجيلة - فقال: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال حسين: اللهم اقلته عطشاً، ولا

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنيته السلامة والبقاء، ولا لتقع له عندي شافعاً.. انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعت بهم إلى سلماء، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتثمل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً ولكن علي قول لو قد قتله فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا، وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإننا قد أمرنا بأمرنا، والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قمام هو وعبد الله بن أبي المحل - وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان - فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت، قال: نعم ونعمة عين. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له الفتية: أقرئ خالتنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية. قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقراه قال له عمر: ما لك وبلك! لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به علي! والله إنني لأظنك أنت ثبته أن يقبل ما كتب به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبية لبني جنيبه، فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أغضي لأمر أميرك وتقتل عدوه، وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك، قال: فدونك، وكن أنت على الرجال، قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من الحرم، قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين، فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي، فقالوا له: ما لك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له! قال: ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وأبشري. فركب في الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصبيحة فدنست

أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رايه، وإما أن تسبروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شتتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم.

قال أبو مخنف: فأما عبد الرحمن بن جندب فحدثني عن عقبة بن سميان قال: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها. ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.

قال أبو مخنف: حدثني الجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير، أنهما كانا التقياً مراراً ثلاثاً أو أربعاً، حسين وعمر بن سعد، قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شتتاً، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رايه، وفي هذا لكم رضاً وللأمة صلاح. قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأمره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت. قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك! والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فانت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت! الرأي رايك.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له: أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماء، وإن هم أبو قليقاتهم فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فانت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعت إليّ برأسه.



والله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تحيهم إليها، وقال قيس بن الأشعث: أجهم إلى ما سألوك، فلعمري ليصحبك بالقتال غدوة، فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتم العشيّة، قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسينا بما عرض عليه عمر بن سعد قال: أرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشيّة لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار!

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، عن علي بن الحسين قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال: إنا أجلبناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم قلنا تارككم.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن عاصم الفاشي، عن الضحاك بن عبد الله المشريقي بطن من همدان - أن الحسين بن علي عليه السلام جمع أصحابه.

قال أبو مخنف: وحدثني أيضاً الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، عن علي بن الحسين، قال: جمع الحسين أصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، قال علي بن الحسين: فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمد على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماءاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني أظن يوماً من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليل قد غشيكم، فاتخذوه جلاً.

قال أبو مخنف: حدثنا عبد الله بن عاصم الفاشي - بطن من همدان - عن الضحاك بن عبد الله المشريقي، قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين، فسلمنا عليه، ثم جلسنا إليه، فرد علينا، ورحب بنا، وسألنا عما جئنا له، فقلنا: جئنا لنسلم عليك، وتدعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حريك فر رأيك. فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل! قال: فتدعنا وسلمنا عليه، ودعونا الله له، قال: فما يمنعهما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: علي دين، ولي عيال، فقلت له:

من أخيها، فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت! قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، قال: فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا! فقال ليس: لك الولي يا أخية، اسكني رحلك الرحمن! وقال العباس بن علي: يا أخي، أنك القوم، قال: فنهض، ثم قال: يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟ فاتاهم العباس، فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحيب بن مظاهر، فقال له العباس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، قال: فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول، قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت. وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم، فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته ﷺ وعبياد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً، فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاهما وهدهما، فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية! قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً، قال: أفلم تستدل بموقفي هذا أني منهم! أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزيه، وأن أجعل نفسي دون نفسه، حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام. قال: وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطوق، إذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فاما رضىنا فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه أو كرهنا فرددناه، وإنا أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره، ويوصي أهله، فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت، أنت الأمير والرأي رأيك، قد أردت ألا أكون، ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله!

من صاحب أو طالب قاتل والده لا يقتل بالبدل وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك السيل قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل، فأما عمي فإنها سمعت ما سمعت، وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: واكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي، قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أخية، لا يذهبن حلمك الشيطان، قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقلت نفسي فذاك، فرد غصته، وترقرت عيناه، وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام، قالت: يا ويلي، أقتضب نفسك اغضباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشد على نفسي! ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشفتها، وخرت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أخية، اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وإن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني ولي لهم ولكل مسلم برسول الله أسوة، قال: فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلك، قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم، عن الضحاک بن عبد الله المشرقي، قال: فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون، ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا، وإن حسينا ليقرا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرَ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ. مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون، ميزنا منكم. قال: فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر - وكان مضحاكاً بطالا، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية - فقال له برير بن حضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيين! فقال له: من أنت؟ قال: أنا برير بن حضير، قال: إنا

إن علي ديننا، وإن لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً، وعنك دافعاً! قال: قال: فأنت في حل، فأقمت معه، فلما كان الليل قال: هذا الليل قد غشيك، فأتخذوه جملاً ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لخوا عن طلب غيري، فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابن عبد الله بن جعفر: لم تفعل لنبي بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً، بداهم بهذا القول العباس بن علي. ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم، قالوا: فما يقول الناس! يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا! لا والله لا نفعل، ولكن نقديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا. ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقيح الله العيش بعدك!

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم، عن الضحاک بن عبد الله المشرقي، قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: اغنن نخلي عنك ولما نعدز إلى الله في أداء حقك! أما والله حتى أكرس في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدقتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

قال: وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا تخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرقت حياً ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

قال: وقال زهير بن القين: والله لوددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك. قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نفيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا وكنا وفينا، وقضينا ما علينا.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاک، عن علي بن الحسين بن علي قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي غرضني، إذ اعتزل أبي أصحابه في خياه له، وعنده حوى، مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل

قال: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير بن حضير الحمداني على باب الفسطاط تحتك منابهما، فازدحما أيهما يطلي على أثره، فجعل برير يهازل عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن، دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسياقهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسياقهم. قال: فلما فرغ الحسين دخلنا فاطلينا، قال: ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، قال: فاقترل أصحابه بين يديه قتلاً شديداً، فلما رأيت القوم قد صرعوا أفلت وتركتهم.

قال أبو مخنف، عن بعض أصحابه، عن أبي خالد الكاهلي، قال: لما صبحت الخيل الحسين رفع الحسين يديه، فقال: اللهم أنت تقني في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الخيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن عاصم، قال: حدثني الضحاك المشرقي، قال: لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألبننا فيه النار من ورائنا ثلاثا ياتونا من خلفنا، إذا أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلمنا حتى مر على أبياتنا، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً، فنادى بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة! فقال الحسين: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن! فقالوا: نعم، أصلحك الله! هو هو، فقال: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً، فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله، جعلت فداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنتني، وليس يسقط مني سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين، فقال له الحسين: لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم، وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنه علي بن الحسين، قال: فلما دنا منه القوم عاد براجلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته دعاء يسمع جل الناس: أيها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتهموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْتَوْنَنِي﴾، ﴿إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ

لَهُ! عَزَّ عَلَيَّ! هَلَكْتُ وَاللَّهِ! هَلَكْتُ وَاللَّهِ! يَا بَرِير! قَالَ: يَا أَبَا حَرْبٍ، هَلْ لَكَ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكَ الْعِظَامِ! فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَحْنُ الطَّيِّبُونَ، وَلَكِنِّكُمْ لَأَنْتُمْ الْخَيْثُونَ، قَالَ: وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ، قُلْتُ: وَيَكُ! أَفَلَا يَنْفَعُكَ مَعْرِفَتُكَ؟! قَالَ: جَعَلْتُ فِدَاكَ! فَمَنْ يَنَادِمُ يَزِيدُ بْنُ عَزْرَةَ الْعَنْزِيَّ مِنْ عَنْزِ بْنِ وَائِلٍ! قَالَ: هَاهُوَ ذَا مَعِيَ، قَالَ: قَبِحَ اللَّهُ رَأْيَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ! أَنْتَ سَفِيهٌ. قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ عَنَّا وَكَانَ الَّذِي يَجْرُسُنَا بِاللَّيْلِ فِي الْخَيْلِ عَزْرَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْأَحْمَسِيِّ، وَكَانَ عَلَى الْخَيْلِ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ الْغَدَاةَ يَوْمَ السَّبْتِ - وَقَدْ بَلَّغْنَا أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ - خَرَجَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ.

قال: وعبا الحسين أصحابه، وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر محطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم. قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية، فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلاً نؤتي من ورائنا، وقاتلنا القوم من وجه واحد. ففعلوا، وكان لهم نافعاً.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن محمد بن بشر، عن عمرو الحضرمي، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ريع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ريع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وعلى ريع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ريع غنيم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي، فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه إلى عدل الحسين وقتل معه. وجعل عمر على ميمته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية - وهو الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عزة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شيب بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه.

قال أبو مخنف: حدثني عمرو بن مرة الجملي، عن أبي صالح الحنفي عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، قال: كنت مع مولاي فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين، أمر الحسين بفسطاط فضرب، ثم أمر بمسك فميت في جفنة عظيمة أو صحفة، قال: ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة.

إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل منكر لا يؤمن بيوم الحساب، قال: ثم إنه أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان ففعلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.

قال أبو مخنف: فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قتل يقال له كثير بن عبد الله الشعبي، قال: لما زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن قين على فرس له ذنوب، شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانها كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه، قال: فسيبوه، واثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى تقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيزكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلمعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا ابن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم، فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال: أفبالموت تخوفني! فوالله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله لا يفرنكم من دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد ﷺ قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم، قال: فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلمعمرى لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصيح والإبلاغ!.

يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. قال: فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين، وبكى بناته فارفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس بن علي وعلياً ابنه، وقال لهما: أسكتاهن، فلمعمرى ليكثرن بكأوهن، قال: فلما ذهباً ليسكتاهن قال: لا يبعد ابن عباس، قال: فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكأوهن، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهن، فلما سكتن حمد الله واثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره قال: فوالله ما سمعت متكلماً قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: أما بعد، فانسبوني فانظروا، من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الست ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي! أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي! أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: «هذان سيدا شباب أهل الجنة! فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضربه من اختلقه، وإن كذبتوني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي. أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي! فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول! فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك، ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول أنتشكون أثراً ما أتني ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة.

أخبروني، أنظربوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنادى: يا شيث بن ربعي، ويا حجار بن أجرة، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أيعت الثمار، واخضر الجنايب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جنك لك مجند، فأقبل! قالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم، ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمي من الأرض، قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولاً تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل

الاهل والعبر إذ دعوه حتى إذا اتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أسكنتم بنفسه وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب، فمتمنوه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا، ولا يدفع ضررا، وحلائمه ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتغرغ فيه خنازير السواد وكلاسه، وهامهم أولاء قد صرعهم العطش، بشما خلفتم محمدا في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظلم إن لم تتوبوا وتتنزعا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه. فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين.

**قال أبو مخنف:** عن الصقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم، ثم نادى: يا ذويد، أدن رايتك، قال: فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى فقال: أشهدوا أنني أول من رمى.

**قال أبو مخنف:** حدثني أبو جناب، قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير، من بني عليم، كان قد نزل الكوفة، واتخذ عند بئر الجعد من همدان دارا، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين، قال: فسأل عنهم، فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا، وإنني لأرجو ألا يكون جهاد الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك، قال: فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا، فأقام معه، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بهم الرمي الناس، فلما ارتعوا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم، قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن حضير، فقال لهما حسين: اجلسا، فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبد الله، رحمك الله! ائذن لي فلاخرج إليهما، فرأى حسين رجلا آدم طويلا شديدا الساعدين بعيدا ما بين المنكبين، فقال حسين: إنني لأحسبه للأقرب قتالا أخرج إن شئت، قال: فخرج إليهما، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير، ويسار مستتلا أمام سالم، فقال له الكلبي: يا ابن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك، ثم

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عدي بن حرملة، قال: ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له: أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟ قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك، قال: فأقبل حتى وقف من الناس موقفا، ومعه رجل من قومه يقال له قره بن قيس، فقال: يا قره، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنه يريد أن يتنحي فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فساقه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، قال: فاخذ يدنو من حسين قليلا قليلا، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له: يا ابن يزيد، والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلا ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك! قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بمحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، والله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وإنني قد جئتكم تائبا عما كان مني إلى ربي، ومواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد، قال: أنت الحر كما سمعتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل، قال: أنا لك فارسا خير مني رجلا، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك. فاستقدم أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه، فكلمه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلم به أصحابه، قال عمر: قد حرصت، لو وجدت إلى ذلك سبيلا فعلت، فقال: يا أهل الكوفة، لأمكم

حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار، قال: كذبت، بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، قال: فرجع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال: اللهم حزه إلى النار، قال: فغضب ابن حوزة، فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب. قال: فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، قال: فسألته، فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً، قال: ونشب القتال.

**قال أبو مخنف:** وحدثنني يوسف بن يزيد، عن عفيف بن زهير بن أبي الأحنس وكان قد شهد مقتل الحسين - قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس، فقال: يا برير بن حضير، كيف ترى الله صنع بك! قال: صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شراً، قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً، هل تذكر وأنا أماشيكي في بني لوزان وأنت تقول: إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإن معاوية بن أبي سفيان ضال مضل، وإن إسماعيل الهدي والحق علي بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أن هذا رأيي وقولي، فقال له يزيد بن معقل: فإني أشهد أنك من الضالين، فقال له برير بن حضير: هل لك فلا باهلك، ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثم أخرج فلا بارزك، قال: فخرجاً فرعاً أبديهما إلى الله يدعوان أن يلعن الكاذب، وأن يقتل الحق المبطل، ثم برز كل واحد منهما لصاحبه، فاختلعا ضربتين، فضرب يزيد بن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضره شيئاً، وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر، وبلغت الدماغ، فخر كأنما هوى من حائق، وإن سيف بن حضير لثابت في رأسه، فكأنني أنظر إليه ينفضه من رأسه وحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتق بريراً، فاعتركا ساعة. ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضي: أين أهل المصاع والدفاع؟ قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت: إن هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد، فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره، فلما وجد مس الرمح برك عليه فعرض بوجهه، وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتى القاه عنه، وقد غيب السنان في ظهره، ثم أقبل عليه بضربه بسيفه حتى قتله، قال عفيف: كأنني أنظر إلى العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه، ويقول: أنعمت علي يا أبا الأزد نعمة لن أنساها أبداً، قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، رأى عيني وسمع أذني.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته، أو أخته النوار

شد عليه فضربه بسيفه حتى برد، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم، فصاح به: قد رهقك العبد، قال: فلم يابه له حتى غشيه فبدره الضربة، فاتقاه الكلبي بيده اليسرى، فاطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبي بضربه حتى قتله، وأقبل الكلبي مرتجيزاً وهو يقول، وقد قتلهما جميعاً:

إن تكروني فأننا ابن كلب حسي يسي في علم حسي  
إنسي امرؤ ذو مرة وعصب ولست بالخوار عند التكب  
إنسي زعيم لك أم وهب بالظعن فيهم مقدماً والضرب  
ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب امرأته عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فذاك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأخذت تحاذب ثوبه، ثم قالت: إنني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حسين، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال، فانصرفت إليهن. قال: وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلما أن دنا من حسين جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجرحوا منهم آخرين.

**قال أبو مخنف:** فحدثني حسين أبو جعفر، قال: ثم إن رجلاً من بني تميم - يقال له عبد الله بن حوزة - جاء حتى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين يا حسين! فقال حسين: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار، قال: كلا، إنني أقدم على رب رحيم، وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: رب حزه إلى النار، قال: فاضطرب به فرسه في جدول فوقه فيه، وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات.

**قال أبو مخنف:** وأما سويد بن حية، فزعم لي أن عبد الله بن حوزة حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب، وارتفعت اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب رأسه كل حجر وأصل شجرة حتى مات.

**قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب، عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي، عن أخيه مسروق بن وائل، قال:** كنت في أوائل الخيل من سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلني أصيب رأس الحسين، فأصيب بها منزلة عند عبيد الله بن زياد، قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة، فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت حسين، فقالها ثانية، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نعم، هذا حسين، فما

بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً.

وقال كعب بن جابر:

سلي تخبرني عني وأنت ذميمة غداة حسين والرماح شوارع  
لم أت أقصى ما كرهت ولم يخل علي غداة الروح ما أنا صانع  
معني يزني لم تخنه كعوبه وابيض غشوب الغرايين قاطع  
فجردته في عصبة ليس دينهم ببيني وإني بابن حرب لقانع  
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع  
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى الا كل من يحمي النمار مقارع  
وقد صبروا للطعن والضرب حسراً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع  
فأبلغ عبيد الله إما لقيته باني مطيع للخليفة سامع  
قتلت بريراً ثم حملت نعمة أبا منقذ لما دعا: من يماصع؟

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: سمعته في إمارة مصعب بن الزبير، وهو يقول: يارب إنا قد وفينا، فلا تجعلنا يارب كمن قد غدر، فقال له أبي: صدق، ولقد وفى وكرم، وكسبت لنفسك شراً، قال: كلا، إني لم أكسب لنفسي شراً، ولكني كسبت لها خيراً.

قال: وزعموا أن رضي بن منقذ العبدى رد بعد على كعب بن جابر جواب قوله، فقال:

لو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عندي ابن جابر  
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة يعيره الأبناء بعد المعاشر  
فيأليت اني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس قابر

قال: وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول

قد علمت كتيبة الأنصار أنني سامحي حوزة الذمار  
ضرب غلام غير نكس شاري دون حسين مهجتي وداري

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة، فقتل عمرو بن قرظة بن كعب، وكان مع الحسين، وكان علي أخوه عمر بن سعد، فنأدى على بن قريظة: يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررتني حتى قتلته. قال: إن الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضللك، قال: قتلتني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل عليه، فاعترضه نافع بن هلال المرادي، فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستقدوه، فدووي بعد فبراً.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أبو زهير العسبي أن الحر بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة وهم بنو الحارث بن تميم، يقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان، قال: فيينا

الناس يتجالون ويقتلون والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل قول عنترة:

ما زلت أرميهم بنفرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم  
قال: وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه، وإن دماءه لتسيل، فقال الحصين بن تميم - وكان على شرطة عبيد الله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عمر بن سعد، فولاه عمر مع الشرطة الجحفلة - ليزيد بن سفيان: هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتمنى، قال: نعم فخرج إليه فقال له: هل لك يا حر بن يزيد في المباراة؟ قال: نعم قد شئت، فبرز له، قال: فأننا سمعت الحصين بن تميم يقول: والله لأبرز له، فكأنما كانت نفسه في يده، فما لبثه الحر حين خرج إليه أن أقتله.

قال هشام بن محمد، عن أبو مخنف، قال: حدثني يحيى بن هانئ بن عروة أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين علي.

قال: فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث، فقال: أنا على دين عثمان، فقال له: أنت على دين شيطان، ثم حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى، أتدرون من تقاتلون! فرسان المصير، قوماً مستميتين، لا يبرزن لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقلما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيته، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

قال أبو مخنف: حدثني الحسين بن عقبة المرادي، قال: الزبيدي: إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج، أعلي تحرض الناس؟ أنحن مرقنا وأنتم تبتهم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم، ومتم على أعمالكم، أينا مرق من الدين، ومن هو أولى بصلي النار! قال: ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعيد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رmq، فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قُتِيَ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عز علي مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير! فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه

قال أبو مخنف: حدثني غمر بن ولة أن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه، حشائه سهماً، فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تعفروا بي فأننا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر  
قال: فما رأيت أحداً قط يفري فريه، قال: فقال له أشياخ من الحي: أنت قتله؟ قال: لا والله ما أنا قتله، ولكن قتله غيري، وما أحب أني قتله، فقال له أبو السوداك: ولم؟ قال: إنه كان زعموا من الصالحين، فوالله لئن كان ذلك إثمأ لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحب إلي من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم، فقال له أبو الوداك: ما أراك إلا ستلقى الله بإثم قتلهم أجمعين، أرايت لو أنك رميت ذا فعقرت ذا، ورميت آخر، ووقفت موقفاً، وكررت عليهم، وحرضت أصحابك، وكثرت أصحابك وحمل عليك فكرهت أن تفر، وفعل آخر من أصحابك كفعلك، وآخر وآخر، كان هذا وأصحابه يقتلون! أنتم شركاء كلكم في دمائهم، فقال له: يا أبا الوداك، إنك لتقطننا من رحمة الله، إن كنت ولي حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لك إن غفرت لنا! قال: هو ما أقول لك، قال: وأقاتلوهم حتى انتصف النهار أشد قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرّون على أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع إبنيتهم وتقارب بعضها من بعض.

قال: فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوضونها عن إيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم، قال: فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت فيشدون على الرجل وهو يقوض ويتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعفرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنار، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوضوه، فجاءوا بالنار، فأخذوا يحرقون، فقال حسين: دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها، وكان ذلك كذلك، وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد. قال: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة! فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فاضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها، قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمح، ونادى: علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط قال: وصاح به الحسين: يا ابن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، حرقك الله بالنار!

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن

لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه، قال: أفعل ورب الكعبة، قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم، وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجته! يا سيداه! فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي، فقال شبت لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغريمكم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريماً! لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون!.

قال: وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي. قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن في المسيرة على أهل المسيرة فثبتوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين، وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حي التيمي. من تيم الله بن ثعلبة، فقتلاه، وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل وإناهم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته، فلما رأى ذلك عزة بن قيس - وهو على خيل أهل الكوفة - أن خيله تنكشف من كل جانب، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة البسيرة! ابعث إليهم الرجال والرماة، فقال لشبت بن ربعي: ألا تقدم إليهم! فقال: سبحان الله! أتعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعه في الرماة! لم تجد من تدب لهذا ويجزئ عنك غيري! قال: وما زالوا يرون من شبت الكراهة لقتاله. قال: وقال أبو زهير العيسي: فأننا سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية! ضلال يا لك من ضلال!.

قال: ودعا عمر بن سعد بن غنيم فبعث معه الجففة وخمسمائة من الرماة، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالاً كلهم.



مسلم، قال: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله! إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين. تعذب بعدذاب الله، وتقتل الولدان والنساء! والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أمرك، قال: فقال: من أنت؟ قال: قلت: لا أخبرك من أنا، قال: وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرنني عند السلطان، قال: فجاءه رجل كان أطوع له مني، شبت بن ربعي، فقال: ما رأيت مثلاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أفحش من موقفك، أمرعاً للنساء صرنا! قال: فأشهد أنه استجيا، فذهب لينصرف. وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة، فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، فصروا أبا عزة الضبابي فقتلوه، فكان من أصحاب شمر، وتعطف الناس عليهم فكثروهم، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل: فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم، قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين! نعم، هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي، فقال لهم الحصين بن غنيم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تقبل وتقبل منك يا حمار! قال: فحمل عليهم حصين بن غنيم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشب ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كنا لكم أعداداً أو شطركم ولينم أكاداً  
يا شر قوم حسباً وآداً

قال: وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب مظاهر وأبي مظاهر فارس هجاء وحرب تسعر  
أنتم أعد عدة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر  
ونحن أعلى حجة وأظهر حقاً وأتقى منكم وأعذر  
قاتل قتلاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني غنيم فضربه بالسيف على رأسه فقتله - وكان يقال له: بدبل بن صريم من بني عقفان - وحمل عليه آخر من بني غنيم فطعنه فوقع، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن غنيم على رأسه بالسيف، فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه فقال له الحصين: إني لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري، فقال الحصين: أعطينه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنني شركت في قتله، ثم

خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه. قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجاء به في العسكر قد علقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبصر به ابنه القاسم بن حبيب، وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه؟ فارتاب به، فقال: ما لك يا بني تتبعني! قال: لا شيء، قال: بلى: يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي، اقتعطيني حتى أدفنه؟ قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يشيي الأمير على قتله ثوباً حسناً، قال له الغلام: لكن الله لا يشيك على ذلك إلا أسوأ الثوب، أما والله لقد قتلت خيراً منك، وبكى. فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجيراً دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن قيس، قال: لما قتل حبيب بن مظاهر هد ذلك حسياً وقال عند ذلك: احتسب نفسي وحماة أصحابي، قال: فأخذ الحر يرتجز ويقول:

أليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب البرم إلا مقبلا  
أضربهم بالسيف ضرباً مقصلا لا ناكلاً عنهم ولا مهلبلا  
وأخذ يقول أيضاً:

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حل مني والخيف  
فقاتل هو وزهير بن القين قتلاً شديداً، فكان إذا شد أحدهما، فإن استلحم شد الآخر حتى يخلصه، ففعل ذلك ساعة. ثم إن رجالة شددت على الحر بن يزيد فقتل، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له، ثم صلوا الظهر، صلى بهم الحسين صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم، ووصل إلى الحسين، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يرمي حتى سقط. وقاتل زهير بن القين قتلاً شديداً، وأخذ يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أؤدوهم بالسيف عن حسين  
قال: وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول:

أقدم هديت هادياً مهدياً فالיום تلقى جذك النيبا  
وحسناً والمرضى علياً وذو الجناحين الفتى الكميا  
وأسد الله الشهيد الحيا

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. يَا قَوْمِ تَقْتُلُوا حَسِينًا فَيَسْحَتَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ فقال له حسين: يا ابن أسعد، رحمك الله، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستيحيوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين! قال: صدقت، جعلت فداك! أنت أفقه مني وأحق بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال: رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يلى، فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته، فقال: آمين آمين، فاستقدم فقاتل حتى قتل.

قال: ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله، فقاتلا حتى قتل، وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكرا، فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أقتل، قال: ذلك الظن بك، أما لا فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى احتسبه فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب، قال: فتقدم فسلم على الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قتل. ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنني على هديك وهدى أبيك، ثم مشى بالسيف مصلاً نحوهم وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نعيم بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن نعيم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم، فاخذ ينادي: ألا رجل لرجل! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقي درعه ومغفره، ثم شد على الناس، فوالله لرأيت يكره أكثر من ماتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب، فقتل، قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال

قال: فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه، قال: وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسومة وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين علي.

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال: فضرب حتى كسرت عضده وأخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك! قال: إن ربي يعلم ما أردت، قال: والدعاء تسيل على لحيتي وهو يقول: والله لقد قتلت منك اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني، فقال له شمر: اقتله أصلحك الله! قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضي شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منابنا على يدي شرار خلقه، فقتله.

قال: ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول:

خلوا عداة الله خلوا عن شمر يضربهم بسيفه ولا يفر وهو لكم صاب وسم مقر

قال: فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزة الغفاريان، فقالا: يا أبا عبد الله، عليك السلام، حازنا العدو إليك، فأحبنا أن نقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك، قال: مرحباً بكما! ادنوا مني، فدنوا منه، فجعلا يقاتلان قريباً منه، وأحدهما يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار  
لنضربن معشر الفجار بكل غضب صارم بتار  
يا قوم ذودوا عن بني الأحرار بالشرفي والقنسا الخطار

قال: وجاء الفتيان الجابريان: سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عم، وأخوان لأم، فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يكيان، فقال: أي ابني أخي، ما بيكيكما؟ فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين، قالوا: جعلنا الله فداك! لا والله ما على أنفسنا نيكى، ولكننا نيكى عليك، نراك قد أحيط بك، ولا نقدر على أن نمنعك، فقال: جزاكم الله يا بني أخي بوحدةكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين، قال: وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي فقام بين يدي حسين فاخذ ينادي: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَغَادٍ وَنَمُودٍ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ

حتى قتل، فأما الصيداوي عمر بن خالد، وجابر بن الحارث السلمي، وسعد مولى عمر بن خالد، ومجمع بن عبد الله العائذي، فإنهم قاتلوا في أول القتال، فشددوا مقدمين بأسيا فيهم على الناس، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يجوزونهم، وقطعوه من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجأؤوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيا فيهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قتلوا في مكان واحد.

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي، قال: كان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، قال: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ علي الأكبر بن الحسين بن علي، وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وذلك أنه أخذ يشد على الناس وهو يقول:

أنا علي بن حسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي  
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

قال: ففعل ذلك مراراً، فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان العبدي ثم الليثي، فقال: علي أثم العرب إن مر بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أكله أباه، فمر يشد على الناس بسيفه، فاعترضه مرة بن منقذ، فطعنه فصرع، واحتوله الناس فقطعوه بأسيا فيهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بني! ما أجرهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفاء.

وقال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أخياه! يا ابن أخياه! قال: سألت عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتى أكبت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتانته إليه، فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه. قال: ثم إن عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه، ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه، فاعتورهم الناس من كل جانب، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبهاني على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وحمل عامر بن نسهل التيمي على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، قال: وشد عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وبشر بن سوط الهمداني ثم القباضي على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتله، ورمي عبد الله بن عسرة الخثعمي جعفر

ذوي عدة، هذا يقول: أنا قتله، وهذا يقول: أنا قتله، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم، عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا، وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشر بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا ابن رسول الله، قد علمت ما كان بيني وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أر مقاتلاً فأنسا في حل من الانصراف، فقلت لي: نعم، قال: فقال: صدقت، وكيف لك بالنجاء! إن قدرت على ذلك فأت في حل، قال: فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر، أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً، فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذ مراراً: لا تشل، لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك ﷺ! فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط، ثم استويت على متنها، ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنايك رميت بها عرض القوم، فأفروا لي، واتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيت إلى شقية، قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما لحقوني عطف عليهم، فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي، فقالوا: هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي، هذا ابن عمنا، نشدكم الله لما كفتهم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيب إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم، قال: فلما تابع التميميون أصحابي الآخرون، قال: فنجاني الله.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة جثا على ركبتيه بين يدي الحسين، فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلما رمى قال:

أنا ابن بهدلة، فرسان العرجله، ويقول حسين: اللهم سد رميته، واجعل ثوابه الجنة، فلما رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبين لي أنني قد قتلت خمسة نفر، وكان في أول من قتل، وكان رجزه يومئذ:

أنا يزيد وأبي مهاصر أشجع من ليث بغيل خادر  
يارب إنني للحسين ناصر ولا بن سعد تارك وهاجر  
وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه

ابن عقيل بن أبي طالب فقتله.

ذلك؟ قال: أتى الحسين بصبي له، فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقى الحسين دمه، فلما ملا كفيه صبه في الأرض ثم قال: رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين، قال: ورمي عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن علي بسهم فقتله، فلذلك يقول الشاعر، وهو ابن أبي عقبة:

وعند غني قطرة من دماننا وفي أسد أخرى تعد وتذكر  
قال: وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أمه: عبد الله، وجعفر وعثمان: يا بني أمي، تقدموا حتى أرتكم، فإنه لا ولد لكم، ففعلوا، فقتلوا. وشد هاني بن ثيب الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله، ثم شد على جعفر بن علي فقتله وجاء برأسه، ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم، ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

قال هشام: حدثني أبو الهذيل رجل من السكون - عن هاني بن ثيب الحضرمي، قال: رأيته جالساً في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير، قال: فسمعتة وهو يقول: كنت ممن شهد قتل الحسين، قال: فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس، وقد جالت الخيل وتقصعت، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية، عليه إزار وقميص، وهو مذعور، يتلفت يمناً وشمالاً، فكأنني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف.

قال هشام: قال السكوني: هاني بن ثيب هو صاحب الغلام، فلما عتب عليه كنى عن نفسه.

قال هشام: حدثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: عطش الحسين حتى اشتد عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء، فرماه حصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقى الدم من فمه، ويرمي به إلى السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم جمع يديه فقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

قال هشام، عن أبيه محمد بن السائب، عن القاسم بن الأصم بن نبانة، قال: حدثني من شهد الحسين في عسكره أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المستأنة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم! حولوا بينه وبين الماء لا تنالوا إليه شيعته، قال: وضرب فرسه، وأتبعه الناس حتى حالوا

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: خرج إلينا غلام كان وجهه شقة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شمع أحدهما، ما أنسى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدن عليه فشد عليه، فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراههم قد احتولوهم، قال: فقال: والله لأشدن عليه فما ولي حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، فقال: يا عماء! قال فجلى الحسين كما يجلى الصقر، ثم شد شدة لث غضب، فضرب عمراً بالسيف، فأتقاه بالساعد، فأطنها من لدن المرقق، فصاح، ثم تنحى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمراً بصدورها، فحركت حوافرها وجالت الخيل بفرسانها عليه، فوطئته حتى مات، وانجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك! ثم قال: عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعل! صوت والله كثر واتره، وقل ناصره. ثم احتمله فكأنني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض، وقد وضع حسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به! فجاء به حتى ألقياه مع ابنه علي بن الحسين وقتلني قد قتلت حوله من أهل بيته، فسألت عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب. قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره أن يتولى قتله وعظيم إثم عليه، قال: وإن رجلاً من كندة يقال له مالك بن النسير من بني بداء، أتاه فضربه على رأسه بالسيف، وعليه برنس له، فقطع البرنس، وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه، فامتلاً البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين! قال: فالتقى ذلك البرنس، ثم دعا بقلنسوة فلبسها، واعتصم، وقد أعيا وبلد، وجاء الكندي حتى أخذ البرنس - وكان من خز - فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ابنة الحر أخت حسين الحر البدي، أقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله ﷺ تدخل بيتي! أخرجه عني، فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشر حتى مات. قال: ولما قعد الحسين أتى بصبي له فأجلسه في حجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين.

قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الأسدي: قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسد دماً، قال: قلت: فما ذنبني أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر! وما

بينه وبين الفرات، فقال الحسين: اللهم أظمه، قال: ويتزعج الأباني بسهم، فأثبته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم، ثم بسط كفيه فامتلات دماً ثم قال الحسين: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظماً، فجعل لا يروى.

قال القاسم بن الأصم: لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرد له فيه السكر وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وإنه ليقول: ويلكم! اسقوني قتلي الظماً، فيعطى القلة أو العس كان مروياً أهل البيت فيشربه، فإذا نزع من فيه اضطجع الهنيئة ثم يقول: ويلكم! اسقوني قتلي الظماً، قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقد بطنه انقداد بطن البعير.

قال أبو مخنف في حديثه: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجاله أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه، فحالوا بينه وبين رحله، فقال الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغناكم وجهالك، فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا ابن فاطمة، قال: وأقدم عليه بالرجالة، منهم أبو الجنوب - واسمه عبد الرحمن الجعفي - والقثعم بن عمرو بن يزيد الجعفي، وصالح بن وهب اليزني، وسان بن أنس النخعي، وخولي بن يزيد الأصمجي، فجعل شمر بن ذي الجوشن يحرضهم، فمر بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح فقال له: أقدم عليه، قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت! فقال له شمر: ألي تقول ذا! قال: وأنت لي تقول ذا! فاستبأ، فقال له أبو الجنوب - وكان شجاعاً - والله لهما أن أخضخض السنان في عينك، قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك قال: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه. ثم إنهم أحاطوا به إحاطة، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله، فأخذته أخته زينب ابنة علي لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، وجاء يشتد إلى الحسين، فقام إلى جنبه، قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله - من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة - إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخيثة، أنقتل عمي! فضربه بالسيف، فأتقاه الغلام بيده فأتقاه إلا الجلدة، فإذا يده معلقة، فنادى الغلام: يا أمته! فأخذه الحسين فضمه إلى صدره وقال: يا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وحمة وجعفر والحسن بن علي، صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فلان متعهم إلى حين ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قداداً، ولا ترض عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا. قال: وضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه، قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسرأيل محقة يلعب فيها البصر، يماني محقق، ففزره ونكته لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحت ثيابنا! قال: ذلك ثوب مذلة، ولا ينبغي لي أن ألبسه، قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرداً.

قال أبو مخنف: فحدثني عمرو بن شعيب، عن محمد بن عبد الرحمن أن يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيسان كأنهما عود.

قال أبو مخنف: عن الحجاج، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث الباريقي، وعتب على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشم ليداً، قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فأنتهيت إليه، فوالله لو شئت لقطعته، ثم انصرفت عنه غير بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولى قتله! يقتله غيري. قال: فشد عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا، وعلى من عن شماله حتى ابذعروا، وعليه قميص له من خز وهو معتم، قال: فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً، ولا أمضى جنازاً ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، أن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذنب، قال: فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وكانني أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول: ليست السماء تطابقت على الأرض! وقد دنا عمرو بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد، أيقول أبو عبد الله وأنت تنظر إليه! قال: فكانني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته، قال: وصرف بوجهه عنها.

قال أبو مخنف: حدثني الصقبة بن زهير، عن حميد بن مسلم، قال: كانت عليه جبة من خز، وكان معتماً، وكان مخضوياً بالوسمة، قال: وسمعتة يقول قبل أن يقتل، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية، ويفترس العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون! أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله الله أسخط عليكم لقتله مني، وإيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث

فقال علي بن الحسين: جزيت من رجل خيراً! فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلتك شراً، قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قلت حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، قتلت أعظم العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً، فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لوة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى بأعلى صوته:

أوفر ركابي فضة وذهباً أنا قتلت الملك المحجبا  
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال عمر بن سعد: أشهد إنك لمجنون ما صححت قط، أدخلوه علي، فلما أدخل حذفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون، أنتكلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك، قال: وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان - وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبي، وهي أم سكين بنت الحسين - فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلني سبيته، فلم ينج منهم أحد غيره، إلا أن المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبته، فقاتل، فجاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج إليهم، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبره سيره إلى الزارة. قال: ثم إن عمر بن سعد نادى في أصحابه: من يتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة: منهم إسحاق بن حيوة الحضرمي، وهو الذي سلب قميص الحسين - فبرص بعد - وأحشب بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فاتوا فداسوا الحسين بمخولهم حتى رضوا ظهره وصدره، فبلغني أن أحشب بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه، فمات، قال: فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرة من بني أسد بعدما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم، قال: وما هو إلا أن قتل الحسين، فرح برأسه من يومه ذلك مع خولي بن يزيد وحيد بن مسلم الأردني إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خولي فأراد القصر، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله فوضعه تحت إجانة في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي، عن النوار بنت مالك، قالت: أقبل خولي برأس الحسين فوضعه تحن إجانة في الدار، ثم دخل

لا تشعرون، أما والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم. قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، قال: فنادى شمر في الناس: ويحكم، ماذا تنظرون بالرجل! اقلوه ثكلتكم أمهاتكم! قال: فحمل عليه من كل جانب، فضربت كفه اليسرى ضربة، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو، قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوق، ثم قال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل، فضعف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فت الله عضديك، وأبان يديك! فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، ثم دفع إلى خولي بن يزيد، وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

قال أبو مخنف، عن جعفر بن محمد بن علي، قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة، قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه خفاة أن يغلب على رأسه، حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولي، قال: وسلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بجر بن كعب، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته - وكانت من خز، وكان يسمى بعد قيس قطيفة - وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل، قال: ومال الناس على الروس والحلل والإبل وانهبوا، قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صرع فأنخن، فوقع بين القتلى مثخناً فسمعهم يقولون: قتل الحسين، فوجد إفاقة، فإذا معه سكين وقد أخذ سيفه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنه قتل، قتله عروة بن بطار التغلبي، وزيد بن رقاد الجنبي، وكان آخر قتيل.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له، وهو مريض، وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلت سبحان الله! أنقتل الصبيان! إنما هذا صبي، قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم. قال: فوالله ما رد أحد شيئاً، قال:

فقلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك عبد عبداً، فاتخذهم تلدأ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضى بالذل! قال: فلما دخل برأس حسين وصبيان وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أردل ثيابها، وتكرت، وحفت بها إماؤها، فلما دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة، قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوئكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك! قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده، قال: فغضب ابن زياد واستشاط، قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها! إنها لا تؤاخذ بقول، ولا تلام على خطئ، فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك، قال: فبكت ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشفتيت، فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة، قد لعمرى كان أبوك شاعراً شجاعاً، قالت: ما للمرأة والشجاعة! إن لي عن الشجاعة لشغلاً، ولكن نفني ما أقول.

قال أبو مخنف: عن مجالد بن سعيد: إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين قال لشروطي: انظر هل أدرك ما يدرك الرجال؟ فكشط إزاره عنه، فقال: نعم، قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه، فقال له علي: إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعت معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال أنت، فبعته معهن.

قال أبو مخنف: وأما سليمان بن أبي راشد، فحدثني عن حميد بن مسلم قال: إني لقايت عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله علي بن الحسين! فسكت، فقال له ابن زياد: ما لك لا تتكلم! قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي، فقتله الناس، قال: إن الله قد قتله، قال: فسكت علي، فقال له: ما لك لا تتكلم! قال: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»، «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، قال: أنت والله منهم، ويحك انظروا هل أدرك؟ والله إني لأحسبه رجلاً، قال: فكشف عنه

البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتكم بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، قالت: فقلت: وملك - جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً، قالت: فقممت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فادخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها. قال: فلما أصبح غداً بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمر فاذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين مريض.

قال أبو مخنف: حدثني أبو زهير العبسي، عن قرة بن قيس التميمي، قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن. قال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظرأ من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك اليوم، والله هن أحسن من مها يبرين.

قال: فما نسبت من الأشياء لا أنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه! يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليها الصبا. قال: فابكت والله كل عدو وصديق، قال: وقطف رؤوس الباقين، فسرح بائنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعاثيته، فأقبلت حتى أتيت أهله، فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فاجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فادخلهم، وأذن للناس، فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين قبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبيكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، قال:

مري بن معاذ الأحمرى، فقال: نعم قد أدرك، فقال: اقتله، فقال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت به زينب عمتها فقالت: يا ابن زياد، حسبك منا، أما رويت من دماننا وهل أبقيت منا أحداً! قال: فاعتنقته فقالت: أسالك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتي معه! قال: وناداه علي فقال: يا ابن زياد، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام، قال: فنظر إليها ساعة، ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم! والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك.

قال حميد بن مسلم: لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب، الحسين بن علي وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي، ثم أحد بني والبة - وكان من شيعة علي كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف - قال: فلما سمع مقالة ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين، وتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: علي به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه، قال: فنادى بشعار الأزدي: يا مبرور - قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس - فقال: ويح غيرك! أهلكك نفسك، وأهلكك قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعوه فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السبخة، فصلب هنالك.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية، قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد - رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه - قال يزيد: يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً أما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جعفر العباسي، عن أبي عماره العباسي، قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم: هشام يحبب الطيف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

قال: ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه. فأدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعلي: يا علي، أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت! قال: فقال علي: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»، فقال

قال حميد بن مسلم: لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب، الحسين بن علي وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي، ثم أحد بني والبة - وكان من شيعة علي كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف - قال: فلما سمع مقالة ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين، وتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: علي به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه، قال: فنادى بشعار الأزدي: يا مبرور - قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس - فقال: ويح غيرك! أهلكك نفسك، وأهلكك قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعوه فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السبخة، فصلب هنالك.

قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يدار به في الكوفة، ثم دعا زحر بن قيس فسرجه معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعة الجرشي، من حمير، قال: والله إنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ويلك! ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا



ذلك الرسول، قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهية الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم ضوءاً أو قضاء حاجة لم يجتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أختي، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حليتنا، قالت لها: فنعطيه حليتنا، قالت: فأخذت سوارى ودملجي وأخذت أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيء بالأتقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينما القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب أوصروا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا. فجاء البريد ولم يسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلي. قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحق الناس والأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز الأم وأحق، ولكنه قاطع ظالم، قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين، قال:

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ قال: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمه، وجدي رسول الله خير من جده، وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر منه، فأما قوله: «أبوه خير من أبي» فقد حاج أبي أباه، وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله: «أمي خير من أمه»، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله ﷺ خير من أمي، وأما قوله: «جدي خير من جده»، فلعمري ما أحد

يزيد لابنه خالد: اردد عليه، قال: فما درى خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد: قل: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»، ثم سكت عنه، قال: ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة، فقال: قبح الله ابن مرجانة! لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي، قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق لنا، وأمر لنا بشيء، والطفنا، قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه - يعني، وكنت جارية وضيفة - فأرعدت وفرت، وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي زينب، قالت: وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولؤمت! ما ذلك لك وله، فغضب يزيد، فقال: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت، قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب يزيد واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله، قالت: أنت أمير مسلط، تشتم ظالمًا، وتقهّر بسلطانك، قالت: فوالله لكانه استعجيا، فسكت، ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية، قال: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً! قالت: ثم قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير: جهزهم بما يصلحهم، وأبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وأبعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وأخوهن معهن علي بن الحسين، في الدار التي هن فيها. قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن بكسي وتروح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين إليه، قال: فدعا ذات يوم، ودعا عمر بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمر بن الحسن: اتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالداً ابنه، قال: لا، ولكن اعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله، فقال له يزيد، وأخذه فضمه إليه ثم قال: ششنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية! قال: ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الخنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأنه كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم وأوصى بهم

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو برزة الأسلمي: أنتكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره ماخذاً، لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، أما إنك يا يزيد تحيي يوم القيامة وابن زياد شفيحك، ويحيي هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه، ثم قام فولى.

قال هشام: حدثني عوانة بن الحكم، قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشره بقتل الحسين - وكان عمرو بن سعيد العاص أمير المدينة يومئذ - قال: فذهب ليعتل له، فزجره - وكان عبيد الله لا يصطلي بناره - فقال: انطلق حتى تأتي المدينة، ولا يسبقك الخبر، وأعطاه دنائير، وقال: لا تعتل، وإن قامت بك راحتك فاشتر راحلة، قال عبد الملك: فقدمت المدينة، فلقيني رجل من قریش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قتل الحسين بن علي، فدخلت على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سر الأمير، قتل الحسين بن علي، فقال: ناد بقتله، فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين، فقال عمرو بن سعيد وضحك:

عجبت نساء زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

والأرنب: وقعة كانت لبني زياد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، ومن رهط عبد المدان، وهذا البيت لعمر بن معد يكرب، ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتله..

قال هشام، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكندور، قال: لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنه مع الحسين، دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه - قال: ولا أظن مولاه ذلك إلا أبا اللسلاس - فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين! قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء، للحسين تقول هذا! والله لو شهدت لأحببت إلا أفرقه حتى أقتل معه، والله إنه لما يسخى بنفسي عنهما، ويهون علي المصاب بهما، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له، صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عز وجل على مصرع الحسين، إلا تكن آست حسناً يدي، فقد آسأه ولدي. قال: ولما أتني أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نداءً، ولكنه إنما أتني من قبل فقهي، ولم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم ادخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن.

ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد! فقال يزيد: يا ابنة أخي، أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما آت إليك أعظم مما أخذ منك، ثم أخرجنا فدخلنا دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن، وأقمن الماتم، وأرسل يزيد إلى كل امرأة: ماذا أخذ لك؟ وليس منهن امرأة تدعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينه تقول: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية. ثم أدخل الأساري إليه وفهم علي بن الحسين، فقال له يزيد: إيه يا علي! فقال علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فقال يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. ثم جهزه وأعطاه مالا وسرحه إلى المدينة.

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو حمزة الثمالي، عن عبد الله الثمالي، عن القاسم بن مخيم، قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان فانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم، فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجيتم عن محمد يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه، وحدثوه الحديث. قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريب - وكانت تحت يزيد بن معاوية - فتفتحت بثوبها، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أراس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله! قال: نعم فأعولي عليه، وحدي علي ابن بنت رسول الله ﷺ وصريحة قریش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المري:

يفلقن هاماً من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلموا

بعثرتي ويأملني بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم خرجوا بدم  
قال هشام: عن عوانة، قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر  
بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر، أين الكتاب الذي كتبت به  
إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب، قال:  
لتجيتن به، قال: ضاع، قال: والله لتجيتني به، قال: ترك والله  
يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهن بالمدينة، أما والله لقد  
نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص  
كنت قد أدبت حقه، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق  
والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزيمة إلى  
يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل، قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه  
عبيد الله.

قال هشام: حدثني بعض أصحابنا، عن عمرو بن أبي  
المقدام، قال: حدثني عمرو بن عكرمة، قال: أصبحنا صبيحة قتل  
الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدثنا، قال: سمعت البارحة منادياً  
ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتكيل  
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي وملاك وقيل  
قد لعتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل  
قال هشام: حدثني عمر بن حيزوم الكلبي، عن أبيه، قال:  
سمعت هذا الصوت.

### ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته

قال هشام: قال أبو مخنف: ولما قتل الحسين بن علي عليه  
السلام جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره  
إلى عبيد الله بن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم  
قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر  
بن ذي الجرشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو  
أسد بستة أرؤس، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر  
الجيوش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأساً.

قال: وقتل الحسين - وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ  
قتله سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي وجاء برأسه خولي بن  
يزيد، وقتل العباس بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين ابنة  
حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رقاد الجنبي -  
وحكيم بن الطفيل السبسي، وقتل جعفر بن علي بن أبي طالب  
- وأمه أم البنين أيضاً - وقتل عبد الله بن علي بن أبي طالب -

وأمه أم البنين أيضاً - وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب -  
وأمه أم البنين أيضاً - رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله، وقتل  
محمد بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله رجل من بني  
أبان بن دارم، وقتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب - وأمه ليلى  
ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن  
نهلش بن دارم، وقد شك في قتله - وقتل علي بن الحسين بن  
علي - وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب  
الثقفي، وأمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب - قتله مرة بن  
منقذ بن النعمان الجدي، وقتل عبد الله بن الحسين بن علي -  
وأمه الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن  
كعب بن عليم من كلب - قتله هانيء بن ثابت الحضرمي،  
واستصرغ علي بن الحسين بن علي فلم يقتل، وقتل أبو بكر بن  
الحسن بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله عبد الله بن  
عقبة الغنوي، وقتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب -  
وأمه أم ولد - قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم، وقتل القاسم  
بن الحسن بن علي - وأمه أم ولد - قتله سعد بن عمرو بن نفيل  
الأزدي، وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وأمه  
جمانة ابنة المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة - قتله  
عبد الله بن قطبة الطائي ثم التيهاني، وقتل محمد بن عبد الله بن  
جعفر بن أبي طالب - وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف بن  
ربيعة بن عائد بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل  
- قتله عامر بن نهشل التيمي، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي  
طالب - وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب - قتله بشر بن  
حوط الهمداني، وقتل عبد الرحمن بن عقيل - وأمه أم ولد -  
قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وقتل عبد الله بن عقيل بن  
أبي طالب، وأمه أم ولد - رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله،  
وقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم ولد، ولد بالكوفة  
- وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب - وأمه رقية  
ابنة علي بن أبي طالب وأمها أم ولد - قتله عمرو بن صبيح  
الصدائي، وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرمي، وقتل محمد بن  
أبي سعيد بن عقيل - وأمه أم ولد - قتله لقيط بن ياسر الجهني،  
واستصرغ الحسن بن الحسن بن علي، وأمه خولة ابنة منظور بن  
زبان بن سيار الفزاري، واستصرغ عمر بن الحسن بن علي فترك  
فلم يقتل - وأمه أم ولد - وقتل من الموالي سليمان مولى الحسين  
بن علي، قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وقتل منجح مولى  
الحسين بن علي، وقتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين بن علي.  
قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، أن  
عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة، فلم  
يرعبه الله بن الحر، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه. فقال:

الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً. وقال أبو بلال لأصحابه: من كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك إليه، وقرأ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْ بِهِ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان، فقتلوا من عند آخرهم، ورجع عباد بن الأخضر، وذلك الجيش الذي كان معه إلى البصرة، وأقبل عبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم، فرصد عباد بن الأخضر، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً، صغيراً، فقالوا: يا عبد الله، قف حتى نستفتيك فوقف، فقالوا: نحن إخوة أربعة، قتل أخونا، فما ترى؟ قال: استعدوا الأمير، قالوا: قد استعديناه فلم يعدنا، قال: فقتلوه، تله الله! فوثبوا عليه فحكموا، وألقى ابنه فقتلوه.

### ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان

وفي هذه السنة ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان.

#### ذكر سبب توليته إياه:

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد، قال: وفد سلم بن زياد على يزيد بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة، فقال له يزيد: يا أبا حرب، أوليك عمل أخويك: عبد الرحمن وعباد؟ فقال: ما أحب أمير المؤمنين، فولاه خراسان وسجستان، فوجه سلم الحارث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب من الشام إلى خراسان، وقدم سلم البصرة، فتهجد وسار إلى خراسان، فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السلمي فحبسه، وضرب ابنه شبيباً، وأقامه في سراويل، ووجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان. فكتب عبيد الله بن زياد إلى عباد أخيه - وكان له صديقاً - يخبره بولاية سلم، فقسم عباد ما في بيت المال في عبيده، وفضل فضل فنأدى مناديه: من أراد سلفاً فليأخذ، فأسلف كل من أتاه، وخرج عباد عن سجستان، فلما كان بجيرفت بلغه مكان سلم - وكان بينهما جبل - فعدل عنه، فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك، أقل ما مع أحدهم عشرة آلاف. قال: فأخذ عباد على فارس، ثم قدم على يزيد، فقال له يزيد: أين المال؟ قال: كنت صاحب ثغر، فقسمت ما أصبت بين الناس. قال: ولما شخص سلم إلى خراسان شخص معه عمران بن الفضيل البرجي، وعبد الله بن خازم السلمي، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، والمهلب بن أبي صفرة، وحظلة بن عرادة، وأبو حزابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة، ويحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل، وخلق كثير من

أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب، أو مريض البدن! قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله علي بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنت كنت مع عدونا، قال: لو كنت مع عدوك لرثي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى، قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحر فقعده على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، قال: علي به، فأحضرت الشرط فقالوا له: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: ابلغوه أنني لا أتبه والله طائعاً أبداً، ثم خرج حتى أتى منزل أحمري بن زياد الطائي فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن، وقال في ذلك:

يقول أمير غادر حق غادر: ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة! فيا ندمي إلا أكون نصرته ألا كل نفس لا تسدد ناديه وإنني لأنني لم أكن من حماته لنحو حسرة ما إن تفارق لازمه سقى الله أرواح الذين تآزرروا على نصره سقياً من النيث دائمه وقتت على أجدانهم ومجالهم فكاد الحشا ينفض والعين ساجمه لعمرى لقد كانوا مصاليت في الوغى سراعاً إلى الهيجا حماة خضارمه تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم بأسياهم آساد غيل ضراغمه فإن يقتلوا فكل نفس نقيّة على الأرض قد أضحت لذلك واجمه وما إن رأى الراؤون أفضل منهم لدى الموت سادات وزهراً قماقمه اتقتلهم ظلماً وترجرو ودادنا فدع خطة ليست لنا بملائمه! لعمرى لقد راغمونا بقتلهم فكس نائم منا عليكم وناقمه أهم مراراً أن أسير يحفضل إلى فئة زاعت عن الحق ظالمه فكفروا ولا ذنككم في كتاب أشد عليكم من زحوف الديالمة

### ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير

وفي هذه السنة قتل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير، من ربيعة بن حنظلة.

#### ذكر سبب مقتله.

قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم ذكر سبب خروجه، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلم بن زرعة الكلابي في ألفي رجل، والتفافهم بأسك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا.

ولما هزم مرداس أبو بلال أسلم بن زرعة، وبلغ عبيد الله بن زياد، سرح إليه - فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو المخارق الراسبي - ثلاثة آلاف، عليهم عباد بن الأخضر التميمي، فاتبه عباد يطلبه حتى لحقه بتوج. فصف له، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه، فبثتوا. وتعطف

قال علي بن محمد: ذكر الحسن بن رشيد الجوزجاني، عن شيخ من خزاعة، عن أبيه، عن جده، قال: غزوت مع سلم بن زياد خوارزم، فصالحوه على مال كثير، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلها، وكانت معه امرأته أم محمد، فولدت له في غزاته تلك ابناً، وأرسلت إلى امرأة صاحب الصغد تستعير منها حلياً، فبعثت إليها بتاجها، وقللوا، فذهبت بالتاج.

وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاه الوليد بن عتبة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: نزع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد، لهلل ذي الحجة، وأمر الوليد بن عتبة على المدينة، فحج بالناس حجتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين.

وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد، وعلى المدينة في آخرها الوليد بن عتبة، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد، وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة، وعلى قضاء الكوفة شريح.

وفيها أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخلعه. وفيها بويع له.

### ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة

#### وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه - فيما ذكر هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل قال: حدثني أبي، قال: لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله، وعاب على الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ: إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه، فقالوا له: إما أن تضع يدك في أبنينا فتبعث بك إلى ابن زياد بن سمية مسلماً فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتل حسين! لعمرى لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما حم نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يدفع. أبعيد الحسين نظمتم إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً لا ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق

فرسان البصرة وأشرافهم، فقدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل يتخيههم - وقال غيره: بل نخبة ستة آلاف - قال: فكان سلم يتخب الوجوه والفرسان. ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يخرجهم، فكان أول من أخرجه سلم حنظلة بن عرادة، فقال له عبيد الله بن زياد: دعه لي، قال: هو بيني وبينك، فإن اختارك فهو لك، وإن اختارني فهو لي، قال: فاختار مسلماً، وكان الناس يكلمون مسلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه، وكان صلة بن أشيم العدوي يأتي الديوان فيقول له الكاتب: يا أبا الصهباء، ألا أثبت اسمك، فإنه وجه فيه جهاد وفضل؟ فيقول له: استخير الله وأنظر، فلم يزل يدافع حتى فرغ من أمر الناس، فقالت له امرأته معاذة ابنة عبد الله العدوية: ألا تكتب نفسك؟ قال: حتى أنظر، ثم صلى واستخار الله، قال: فرأى في منامه آتياً أتاه، فقال له: اخرج فإنك تريح وتقلع وتنجح، فأتى الكاتب فقال له: أثبتني، قال: قد فرغنا ولن أدعك، فآثبته وابنه، فخرج سلم فصره سلم مع يزيد بن زياد فصار إلى سجستان.

قال: وخرج سلم وأخرج معه أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر.

قال: وذكر مسلمة بن محارب وأبو حفص الأزدي عن عثمان بن حفص الكرمانى أن عمال خراسان كانوا يغزون، فلذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم إلى مرو الشاهجان، فلذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان في مدينة من مدائن مما يلي خوارزم، فيتعاقدون ألا يغزو بعضهم بعضاً، ولا يهيج أحد أحداً، ويتشاورون في أمورهم، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم في غزو تلك المدينة فيأبون عليهم، فلما قدم خراسان غزا فشتاً في بعض مغازيه، قال: فالح عليه المهلب، وسأله أن يوجهه إلى تلك المدينة، فوجهه في ستة آلاف - ويقال أربعة آلاف - فحاصرهم، فسألهم أن يذعنوا له بالطاعة، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يقدوا أنفسهم، فأجابهم إلى ذلك، فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً، فكان يأخذ الرأس بنصف ثمنه، والدابة بنصف ثمنها، والكيمة بنصف ثمنه، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظي بها المهلب عند سلم، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه، وبعث به إلى يزيد مع مرزبان مرو، وأوفد في ذلك وفداً.

قال مسلمة وإسحاق بن أيوب: غزا سلم سمرقند بامرأته أم محمد ابنة عبد الله، فولدت لسلم ابناً، فسماه صفدى.

إني لمن نعمة صم مكاسرها إذا تناوحت القصباء والعشر  
فلا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لفسر الماضع الحجر  
قال: فما أدري أيهما كان أعجب!

زاد عبد الله في حديثه، عن أبي علي، قال: فذاكرت بهذا  
الحديث مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن  
الزبير، فقال: قد سمعته من أبي علي نحو الذي ذكرت له، ولم  
أحفظ إسناده.

قال هشام، عن خالد بن سعيد، عن أبيه سعيد بن عمرو  
بن سعيد: إن عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشرأبوا إلى ابن  
الزبير ومدوا إليه أعناقهم، ظن أن تلك الأمور تامة له، فبعث إلى  
عبد الله بن عمرو بن العاص - وكانت له صحبة، وكان مع أبيه  
بمصر، وكان قد قرأ كتب دنياك هنالك، وكانت قريش إذ ذاك  
تعدو علماً - فقال له عمرو بن سعيد: أخبرني عن هذا الرجل،  
أترى ما يطلب تاماً له؟ وأخبرني عن صاحبي إلى ما ترى أمره  
صائراً إليه؟ فقال: لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تتم لهم  
أموالهم حتى يموتوا وهم ملوك. فلم يزد عند ذلك إلا شدة على  
ابن الزبير وأصحابه، مع الرفق بهم، والمداواة لهم.

ثم إن الوليد بن عتبة وناساً معه من بني أمية قالوا ليزيد بن  
معاوية: لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك،  
فسرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً، وعزل عمراً.

وكان عزل يزيد عمراً عن الحجاز وتأميره عليها الوليد بن  
عتبة في هذه السنة - أعني سنة إحدى وستين - قال أبو جعفر:  
حدثت عن محمد بن عمر قال: نزع يزيد عمرو بن سعيد بن  
العاص لهلال ذي الحجة سنة إحدى وستين وولى الوليد بن عتبة،  
فاقام الحجة سنة إحدى وستين بالناس، وأعاد ابن ربيعة العامري  
على قضائه.

وحدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثت عن إسحاق بن  
عيسى، عن أبي معشر، قال: حج بالناس في سنة إحدى وستين  
الوليد بن عتبة، وهذا لما لا اختلاف فيه بين أهل السير.

وكان الولي في هذه السنة على الكوفة والبصرة عبيد الله  
بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام  
بن هبيرة، وعلى خراسان سلم بن زياد.

بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان  
يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحذاء، ولا  
بالصيام شرب الحرام، ولا بالجالس في حلق الذكر الركض في  
تطلاب الصيد - يعرض بيزيد - فسوف يلقون غياً.

فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه  
لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر. وقد كان يبايع  
الناس سرّاً، ويظهر أنه عائد بالبيت، فقال لهم: لا تعجلوا -  
وعمر بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة، وقد كان أشد  
شيء عليه وعلى أصحابه، وكان مع شدته عليهم يداري ويرفق  
- فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من  
الجموع بمكة، أعطى الله عهداً ليوثقته في سلسلة، فبعث بسلسلة  
من فضة، فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة، فأخبر  
خير ما قدم له وبالسلسلة التي معه، فقال مروان:

خذها فليست للعزیز بخطئة وفيها مقال لامرئ متضعف  
ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير، فأتى ابن  
الزبير فأخبره بمر البريد على مروان، وتثمل مروان بهذا البيت،  
فقال ابن الزبير: لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعف، ورد ذلك  
البريد رداً رقيقاً.

وعلا أمر ابن الزبير بمكة، وكاتبه أهل المدينة، وقال الناس:  
أما إذ هلك الحسين عليه السلام فليس أحد ينازع ابن الزبير.

حدثنا نوح بن حبيب القومسي، قال: حدثنا هشام بن  
يوسف.

وحدثنا عبيد الله بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبيد الله بن  
جعفر المديني قال: حدثنا هشام بن يوسف واللفظ لحديث عبيد  
الله - قال: أخبرني عبد الله بن مصعب، قال: أخبرني موسى  
بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد العزيز بن مروان،  
قال: لما بعث يزيد بن معاوية بن عشاء الأشعري ومساعدة  
وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليؤتى به في جامعة لتبر  
يمين يزيد، بعث معهم بجامعة من ورق وبرنس خز فارسلني أبي  
وأخي معهم وقال: إذا بلغته رسل يزيد الرسالة فتعرضا له، ثم  
ليتمثل أحكما:

فخذها فليست للعزیز بخطئة وفيها مقال لامرئ متذل  
أعامر إن القوم ساموك خطئة وذلك في الجيران عزل بمغزل  
أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً يقال له بالدلو أدبر وأقبل

قال: فلما بلغته الرسل الرسالة تعرضنا، فقال لي أخي:  
اكفئها فسمعي، فقال: أي ابني مروان، قد سمعت ما قلتما،  
وعلمت ما ستقولانه، فأخبرا أبكما:

## السنة الثانية والستون

## ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

## فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية

ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه.

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر لوط بن يحيى، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن عبد الله بن عروة أن يزيد بن معاوية لما سرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً، وعزل عمرو بن سعيد، قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو وموالي له، فحبسهم، فكلهم فيهم عمرو، فأبى أن يخليهم، وقال له: لا تجزع يا عمرو، فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص: أعمرو مجزع! والله لو قبضتم على الجمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه، وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلثمائة رجل: إني باعث إلى كل رجل منكم رجلاً وحقيقه وأداته، وتناخ لكم الإبل في السوق، فإذا أناكم رسولي فاكسروا باب السجن، ثم ليقم كل رجل منكم إلى جملة فليركبه، ثم أقبلوا علي حتى تأتوني، فجاء رسوله حتى اشترى الإبل، ثم جهزها بما ينبغي لها، ثم أناخها في السوق، ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك، فكسروا باب السجن، ثم خرجوا إلى الإبل فاستولوا عليها، ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية. فلما دخل عليه رحب به وأدنى مجلسه. ثم إنه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزبير، فلا ينفذ منها إلا ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وهو وأعطوه الرضا، ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلانية، ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته، وقد كان مجذري وبتحز مني، وكنت أرفق به وأدأريه لأستمكر منه فائت عليه، مع أنني قد ضيقت عليه، ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونة، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجلاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلي باسمه واسم أبيه، ومن رأى بلاد الله هو، وما جاء به وما يريد، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريد رددته صاغراً، وإن كان ممن لا أنهم، خليت سبيله. وقد بعث الوليد، وسيأتك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك، ومناصحتي لك إن شاء الله، والله يصنع لك، ويكتب عدوك يا أمير المؤمنين.

فقال له يزيد: أنت أصدق ممن رقى هذه الأشياء عنك،

وحلني بها عليك، وأنت ممن أثق به، وأرجو معونته، وأدخره لرأب الصدع، وكفاية المهمل، وكشف نوازل الأمور العظام، فقال له عمرو: وما أرى يا أمير المؤمنين أن أحداً أولى بالقيام بتشديد سلطانك، وتوهمين عدوك، والشدة على من نابذك مني. وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذراً متمنعاً، وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين، وثار ابن الزبير، فكان الوليد يفيض من المعرفة، وتفيض معه عامة الناس، وابن الزبير واقف وأصحابه، ونجدة واقف في أصحابه، ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه، لا يفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه.

وكان نجدة يلقي ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس أنه سيبايعه. ثم إن ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة، فكتب إلى يزيد بن معاوية: إنك بعثت إلينا رجلاً أحرق، لا يتجه لأمر رشد، ولا يروعى لعظة الحكيم، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق، لين الكتف، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوع منها، وأن يجتمع ما تفرق، فانظر في ذلك، فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله، والسلام.

فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان - فيما ذكر أبو مخنف، عن عبد الملك ابن نوفل بن مساحق، عن حميد بن حمزة، مولى لبي أمية - قال: فقدم فتى غر حدث غمر لم يجرب الأمور، ولم يحنكه السن، ولم تضره التجارب، وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله، وبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمندر بن الزبير، ورجالاً كثيراً من أشرف أهل المدينة، فقدموا على يزيد بن معاوية، فأكرمهم، وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر ابن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة - وكان يزيد قد أجازة بمائة ألف درهم - فلما قدم أولئك الفز الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه، وقالوا: إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخراب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا قد خلعنا، فتابعهم الناس.

قال لوط بن يحيى: فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، أن الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم.

قال لوط: وحدثني أيضاً محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف: ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية، فقدم

إحدى وستين.

وفي هذه السنة ولد - فيما ذكر - محمد بن عبد الله بن

العباس.

على عبيد الله بن زياد البصرة، فأكرمه وأحسن ضيافته، وكان لزياد صديقاً، إذ سقط إليه كتاب من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمر أصحابه بالمدينة. أن أوثق المنذر بن الزبير وأحبسه عندك حتى يأتبك فيه أمري، فكره ذلك عبيد الله بن زياد لأنه ضيفه، فدعاه فآخبره بالكتاب وأقرأه إياه، وقال له: إنك كنت لزياد ودأ وقد أصبحت لي ضيفاً، وقد آتيت إليك معروفاً، فأنأ أحب أن أسدي ذلك كله بإحسان، فإذا اجتمع الناس عندي فقم فقل: ائذن لي فلأنصرف إلى بلادي، فلماذا قلت: لا بل أقم عندي فإن لك الكرامة والمواساة والأثرة، فقل: لي ضيعة وشغل، لا أجد من الانصراف بدأ فأذن لي، فإني آذن لك عند ذلك، فالحق بأهلك.

فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال: لا بل أقم عندي فإني مكرمك ومواسيك ومؤثرك، فقال له: إن لي ضيعة وشغلاً، ولا أجد من الانصراف بدأ فأذن لي، فأذن له. فانطلق حتى لحق بالحجاز، فأتى أهل المدينة، فكان فيمن يحرض الناس على يزيد، وكان من قوله يومئذ: إن يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إلي أن أخبركم خبره، وأصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد، فكان سعيد بن عمرو يتحدث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال: اللهم إني آثرته وأكرمته، ففعل ما قد رأيت، فأذكره بالكذب والقطيعة.

قال أبو مخنف: فحدثني سعيد بن زيد أبو المثلث أن يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الأنصاري فقال له: اتت الناس وقومك فافئناهم عما يريدون، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئ الناس على خلافي، وبها من عشيرتي من لا أحب أن ينهض في هذه الفتنة فيهلك.

فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه، ودعا الناس إليه عامة، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة، وخوفهم الفتنة، وقال لهم: إنه لا طاقة لكم بأهل الشام، فقال عبد الله بن مطيع العدوي: ما يملكك يا نعمان على تفريق جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا! فقال النعمان: أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبها إلى مكة، وقد خلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم! فعصاه الناس، فانصرف. وكان والله كما قال.

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة. وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العمال الذين ذكرت في سنة



## السنة الثالثة والستون

## ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة، وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية، وحصارهم من كان بها من بني أمية.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن حبيب بن كرة، أن أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية، وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش، فكانوا نحواً من ألف رجل، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم، فحاصروهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً. قال: فدعت بنو أمية حبيب بن كرة، وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان، وكان مروان هو يدبر أمرهم. فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فلأنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي.

قال عبد الملك بن نوفل: فحدثني حبيب بن كرة، قال: كنت مع مروان، فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً إلى يزيد بن معاوية، فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنية الوداع، فدفع إلي الكتاب وقال: قد أجلتكم اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مقبلاً، فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني إن شاء الله في هذه الساعة جالساً انتظرك. وكان الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنه قد حصرنا في دار مروان بن الحكم، ومنعنا العذب، ورمينا بالجرب، فياغوثاه يا غوثاه! قال: فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي، واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيها - ويقال: كان به النقرس - فقرأه ثم قال فيما بلغنا مثملاً:

لقد بذلوا الحلم الذي من سجيتي فبدلت قومي غلظة بليسان  
ثم قال: أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة؟ قال: قلت: بلى والله وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار! قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أجمع الناس كلهم عليهم، فلم يكن لهم يجمع الناس طاقة، قال: فبعثت إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب، وأخبره الخبر، وأمره أن يسير إليهم في الناس، فقال له: قد كنت ضببت لك البلاد، وأحكمت لك الأمور، فأما الآن إذ صارت إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد، فلا أحب أن

أكون أنا أتولى ذلك، يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني. قال فبعثني بذلك الكتاب إلى مسلم بن عقبة المري - وهو شيخ كبير ضعيف مريض - فدفعته إليه الكتاب، فقرأه، وسألني عن الخبر فأخبرته، فقال لي مثل مقالة يزيد: أما يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل! قال: قلت: بلى يكونون، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار! ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم، وعز سلطانهم، ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء، أما استطاعوا أن يقاتلوا يوماً واحداً أو شطره أو ساعة منه! دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم، وعز سلطانهم، ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك، ويصبر عليها أو يستسلم، قال: ويحك! إنه لا خير في العيش بعدهم، فأخرج فأنبئي نبالك، وسر بالناس، فخرج مناديه فنادى: أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطيائكم كملاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل.

حدثنا ابن حيد قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، قال: كتب يزيد إلى ابن مرجانة: أن اغز ابن الزبير، فقال: لا أجمعهما للفساق أبداً، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وأغزو البيت!.

قال: وكانت مرجانة امرأة صدق، فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام: ويلك! ماذا صنعت! وماذا ركب!.

رجع الحديث إلى حديث حبيب بن كرة. قال: فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بعيداً شيئاً. قال: فوجدته جالساً متقنعاً تحت شجرة، فأخبرته بالذي كان، فسر به، فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أمية، فنبأهم بالذي قدمت به، فحمدوا الله عز وجل.

قال عبد الملك بن نوفل: حدثني حبيب، أنه بلغه في عشرة قال: فلم أبرح حتى رأيت يزيد بن معاوية خرج إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها، قال: فسمعتة وهو يقول وهو متقلد سيفاً، متكعب قوساً عربية:

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى  
عشرون ألفاً بين كهل وقتى أجمع سكران من القوم ترى!  
أم جمع يقظان نفي عنه الكرى! يا عجباً من ملحد يا عجباً!  
خادع في الدين يقفو بالقرى

قال عبد الملك بن نوفل: وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مسلم بن عقبة، وقال له: إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش حصين بن غير السكوني، وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا أظهرت عليهم

نزلت، فاستظل الناس في ظله، وأكلوا من صقره، حتى إذا كان الليل أذيت الحرس الليل كله عقبا بين أهل العسكر، حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة، ثم مضيت بهم وتركتم المدينة ذات اليسار، ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيتهم من قبل الحرة مشرقاً، ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك، فلا تؤذيهم، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها، ويصيبهم أذاها، ويرون ما دمت مشرقين من اتلاق يبيضكم وحرابكم، وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستمن بالله عليهم، فإن الله ناصرك، إذ خالفوا الإمام، وخرجوا من الجماعة. فقال له مسلم: الله أبوك! أي امرئ ولد إذ ولدك! لقد رأى بك خلفاً. ثم إن مروان دخل عليه فقال له: إيه! قال: ليس قد دخل عليك عبد الملك! قال: بلى، وأي رجل عبد الملك! قلما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً، فقال له مروان: إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني، قال: أجل، ثم ارتحل من مكانه ذلك، وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذي أمره به عبد الملك، فصنع فيه ما أمره به، ثم مضى في الحرة حتى نزلها، فأتاهم من قبل المشرق. ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال: يا أهل المدينة، إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإني أكره هراقة دمايتكم، وإني أؤجلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه، وانصرف عنكم، وسرت إلى هذا الملحد الذي بمكة، وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم - وذلك في ذي الحجة من سنة أربع وستين، هكذا وجدته في كتابي، وهو خطأ، لأن يزيد هلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت وقعة الحرة في ذي الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه.

ولما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة، قد مضت الأيام الثلاثة، فما تصنعون؟ أنسلون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب، فقال لهم: بل نحارب، فقال لهم: لا تفعلوا، بل ادخلوا في الطاعة، ونجعل خدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي قد جمع إليه المراق والفاسق من كل أوب. فقالوا لهم: يا أعداء الله، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن ندعكم أن تاتوا بيت الله الحرام، وتحيفوا أهله، وتلحدوا فيه، وتستحلوا حرمة! والله لا نفعل.

وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً في جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيم، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان عبد الله بن مطيع على ريع آخر في جانب المدينة، وكان معقل بن سنان الأشجعي

فأجها ثلاثاً، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فأكفف عن الناس، وانظر علي بن الحسين، فأكفف عنه، واستوص به خيراً، وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، وقد أتاني كتابه. وعلي لا يعلم بشيء مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة، وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام أوى إليه يظل مروان بن الحكم، وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان، وهي أم أبان بن مروان.

وقد حدثت عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة، كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده، فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلم علي بن الحسين، وقال: يا أبا الحسن، إن لي رحماً، وحرمي تكون مع حرمك، فقال: أفعل، فبعث مجرمه إلى علي بن الحسين، فخرج مجرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع، وكان مروان شاكرًا لعلي بن الحسين، مع صداقة كانت بينهما قديمة.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل، قال: وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أمية، فحصرهم في دار مروان، وقالوا: والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فنكف عنكم ونخرجكم عنا، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة، ولا ندل لكم على عورة، فأخرجوهم من المدينة، فخرجت بنو أمية بأئقاهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى، وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف، فتمر بعلي بن حسين وهو بمال له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم، فقال لها: احملني ابني عبد الله معك إلى الطائف، فحملته إلى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة.

ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمر بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له: أخبرني خبر ما وراءك، وأشر علي، قال: لا أستطيع أن أخبرك، أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندل على عورة، ولا نظاهر عدواً، فانتهره ثم قال: والله لو لا أنك ابن عثمان لضربت عنقك، وإيم الله لا أقبلها قرشياً بعدك. فخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه، فقال مروان بن الحكم لابنة عبد الملك: ادخل قبلي لعله يجتري بك عني، فدخل عليه عبد الملك، فقال: هات ما عندك، أخبرني خبر الناس، وكيف ترى؟ فقال له: نعم أرى أن تسير بمن معك، فتنبك هذا الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها

وقتل معه إبراهيم بن نعيم العدوي، في رجال من أهل المدينة كثير.

قال هشام، عن عوانة: وقد بلغنا في حديث آخر أن مسلم بن عقبة كان مريضاً يوم القتال، وأنه أمر بسرير وكوسي فوضع بين الصفين، ثم قال: يا أهل الشام، قاتلوا عن أميركم أو دعوا. ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه، ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولوا.

ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال. واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة، ومسلم على سرير مريض، فقال: احملوني فضعوني في الصف، فوضعه بعدما حملوه أمام فسطاطه في الصف، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير، وكان الفضل أحر، فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه: إن العبد الأحمر قاتلي، فأين أنتم يا بني الحارث! اشجروه بالرماح، فوثبوا إليه فطعنوه حتى سقط.

قال هشام: قال أبو مخنف: ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله ابن حنظلة الغسيل ورجاله بعده - كما حدثني عبد الله بن منقذ - حتى دنوا منه، وركب مسلم بن عقبة فرساً له، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم ويقول: يا أهل الشام، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها، ولا أكثرها عدداً، ولا أوسعها بلداً، ولم يخصصكم الله بالذي خصكم به من النصر على عدوكم، وحسن المنزلة عند أئمتكم، إلا بطاعتكم واستقامتكم، وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا غير الله بهم، فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلاح. ثم جاء حتى انتهى إلى مكانه الذي كان فيه، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه، فأخذت الخيل إذا أقدمت على الرجال فشاروا في وجوهها بالرماح والسيوف نفرت وابتدعت وأحجمت، فنأى فيهم مسلم بن عقبة: يا أهل الشام، ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم، يا حصين بن غير، انزل في جندك، فنزل في أهل حصن، فمشى إليهم، فلما رأهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال: يا هؤلاء، إن عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوه به، وإنني قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم. أما إنكم أهل البصرة ودار الهجرة، والله ما أظن بكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بارضى منه عنكم،

على ربع آخر في جانب المدينة، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً..

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي، فذكر أن عبد الله بن مطيع كان على قریش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعتل بن سنان على المهاجرين.

قال هشام، عن أبي مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: وصمد مسلم بن عقبة بجميع من معه، فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة، ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة، فنهض في وجوههم بالرجال، وصاح بهم، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً. ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً، ثم قال لعبد الله: مر من معك فارساً فليأتني فليقتل معي، فإذا حلت فليحملوا، فوالله لا أنهي حتى أبلغ مسلماً، فإما أن أقتله، وإما أن أقتل دونه. فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك بن بني عبد الأشهل من الأنصار: ناد في الخيل فلتتق مع الفضل بن العباس، فنأى فيهم فجمعهم إلى الفضل، فلما اجتمعت الخيل إليه حمل على أهل الشام فانكشفوا، فقال لأصحابه: ألا ترونهم كشفاً لئاماً! احموا أخرى جعلت فداكم! فوالله لئن عاينت أميرهم، لأقتلنه أو لأقتلن دونه، إن صبر ساعة معقب سرور أبدي، إنه ليس بعد لصبرنا إلا النصر. ثم حمل وحمل أصحابه معه، فانفجرت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثا على الركب، مشرعي الأسنة نحو القوم، ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية، وإن عليه لمغفراً، فقط المغفر، وقلق هامته فخر ميتاً فقال: خذها مني وأنا ابن عبد المطلب! فظن أنه قتل مسلماً، فقال: قتلت طاغية القوم ورب الكعبة، فقال مسلم: أخطأت استك الحفرة! وإنما كان ذلك غلاماً له، يقال له: رومي، وكان شجاعاً.

فأخذ مسلم رايته ونادى: يا أهل الشام، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم، وأن يعزوا به نصر إمامهم! قبح الله قتالكم منذ اليوم! ما أوجعه لقلبي، وأغيبه لنفسي! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تحرموا العطاء، وأن تجمروا في أقاصي الثغور. شدوا مع هذه الراية، ترح الله وجوهكم إن لم تعتبروا! فمشى برايته، وشدت تلك الرجال أمام الراية، فصزع الفضل بن عباس، فقتل وما بينه وبين أنياب مسلم بن عقبة إلا نحو من عشر أذرع، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف،

بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» فقال لي: من أنت الله أبوك! فقلت: أنا أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، فانصرف عني.

قال هشام: حدثني عوانة، قال: دعا الناس مسلم بن عقبة بقاء إلى البيعة، وطلب الأمان لرجلين من قريش: ليزيد بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولعقل بن سنان الأشجعي، فأتي بهما بعد الوقعة بيوم فقال: بايعا، فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لا والله لا أقبلكم هذا أبداً، فقدمهما فضرب أعناقهما، فقال له مروان: سبحان الله! أنقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما! فنخس بالقضيب في خاصرته ثم قال: وأنت والله لو قلت بمقتلها ما رأيت السماء إلا برقة.

قال هشام: قال أبو مخنف: وجاء معقل بن سنان، فجلس مع القوم، فدعا بشراب ليسقى، فقال له مسلم: أي الشراب أحب إليك؟ قال: العسل، قال: اسقوه، فشرب حتى ارتوى، فقال له: أفضيت ريك من شرابك؟ قال: نعم، قال: لا والله لا تشرب بعده شراباً أبداً إلا الحميم في نار جهنم، أذكر مقاتلك لأمر المؤمنين: سرت شهراً، ورجعت شهراً، وأصبحت صفراً، اللهم غير - تعني يزيد! فقدمه فضرب عنقه.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن محرز الأشجعي فاتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم: مرحباً بأبي محمد! أراك عطشان! قال: أجل، قال: شويوا له عسلاً بالثلج الذي حملتموه معنا - وكان له صديقاً قبل ذلك - فشاوبه له، فلما شرب معقل قال له: سقاك الله من شراب الجنة، فقال له مسلم: أما والله لا تشرب بعدها شراباً أبداً حتى تشرب من شراب الحميم، قال: أنشدك الله والرحم! فقال له مسلم: أنت الذي لقيتني بطرية ليلة خرجت من عند يزيد، فقلت: سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد صفراً، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين! فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة! إني أليت يمين لا ألساك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت، ثم أمر به فقتل.

قال هشام: قال عوانة: وأني يزيد بن وهب بن زمة، فقال: بايع، قال: أبايك على سنة عمر، قال: اقتلوه، قال: أنا أبايك، قال: لا والله لا أقبلك عثرتك، فكلمه مروان بن الحكم - لصهر كان بينهما - فأمر بمروان فوجئت عنقه، ثم قال: بايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية، ثم أمر به فقتل.

ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم. إن لكل امرئ منكم ميتة هو ميت بها، والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة، وقد ساقها الله إليك فاغتنمها، فوالله ما كل ما أردوها وجدعوها. ثم مشى برأيته غير بعيد، ثم وقف، وجاء ابن غير برأيته حتى أدناها، وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاء الأشعري فمشى في خمسمائة مرام حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه، فأخذوا ينضحونهم بالنبل، فقال ابن الغسيل: علام تستهفون لهم! إن أراد التعجل إلى الجنة فليزلم هذه الراية، فقام إليه كل مستميت، فقال: الغدو إلى ربكم، فوالله إني لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريري عين، فنهض القوم بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رثي في ذلك الزمان ساعة من نهار، وأخذ يقدم بنية أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه، وابن الغسيل يضرب بسيفه، ويقول:

بعداً لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى  
لا يبعد الرحمن إلا من عصى

فقتل، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، استقدم فقاتل حتى قتل، وقال: ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم، ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، فمر عليه مروان بن الحكم وكأنه برطيل من فضة، فقال: رحمك الله! فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها.

قال هشام: فحدثني عوانة، قال: فبلغنا أن مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسي ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول:

أحبا أباه هاشم بن حرملة يوم الهباتين ويوم العمله  
كل الملوكة عنده مغربله ورعته للوالدات مثكله  
لا يلبث القتييل حتى يجذله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

قال هشام، عن أبي مخنف: وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل، فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة، فذهب فيمن ذهب من الناس، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأفرغ ذلك من كان بها من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل، فبصر به رجل من أهل الشام، فجاء حتى اقتحم عليه الغار.

قال أبو مخنف: فحدثني الحسن بن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: دخل إلى الشامي يشي بسيفه، قال: فانتضيت سيفي فمشيت إليه لأرعبه لعله ينصرف عني، فأبى إلا الإقدام علي، فلما رأيت أن قد جد شمت سيفي، ثم قلت له: «لئن

عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن ابن عوف، قال: حج ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين، وكان يسمى يومئذ العائذ، ويرون الأمر شوري. قال: فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلنا إذ قدم علينا سعيد مولى المسور بن مخرمة، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم، فجاءهم أمر عظيم، فرأيت القوم شهروا وجدوا وأعدوا وعرفوا أنه نازل بهم.

وقد ذكر من أمر وقعة الحرة ومقتل ابن الغسيل أمر غير الذي روي عن أبي مخنف، عن الذين روى ذلك عنهم، وذلك ما حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا جويرية بن أسماء، قال: سمعت أسياس أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيبته. فلما هلك معاوية وفد إليه وفد من أهل المدينة، وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، وكان شريفاً فاضلاً سيداً عابداً، معه ثمانية بنين له، فأعطاه مائة ألف درهم، وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: قد بلغنا أنه أجدك وأعطاك وأكرمك، قال: قد فعل، وما قبلت منه إلا لأتقوى به، وحضض الناس فبايعوه، فبلغ ذلك يزيد، فبعث مسلم بن عقبة إليهم، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام، فصبوا فيه زقاً من قطران، وعور، فأرسل الله السماء عليهم، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة، فخرج إليهم أهل المدينة بمجموع كثيرة، وهينة لم ير مثلها، فلما رأهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم، ومسلم شديد الوجع، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة، وأقمهم عليهم بنو حارثة أهل الشام، وهم على الجدد، فانهزم الناس، فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قتل من الناس، فدخلوا المدينة، وهزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند إلى أحد بني يخط نوماً، فنبهه ابنه، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه، فتقدم حتى قتل، فدخل مسلم بن عقبة المدينة، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء.

قال هشام: قال عوانة، عن أبي مخنف. قال: قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق: ثم إن مروان أتني بعلي بن الحسين، وقد كان علي بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع نفل مروان وامراته وآواها، ثم خرجت إلى الطائف، فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان، فبعث ابنه عبد الله معها، فشكر ذلك له مروان - وأقبل علي بن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتصق بهما عند مسلم الأمان، فجاء حتى جلس عنده بينهما، فدعا مروان بشراب ليحرم بذلك من مسلم، فأتي له بشراب، فشرب منه مروان شيئاً يسيراً، ثم ناوله علياً، فلما وقع في يده قال له مسلم: لا تشرب من شرابنا، فأردت كفه، ولم يأمنه على نفسه، وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه، فقال: إنك إنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي، والله لو كان هذا الأمر إليهما لقتلتك، ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك، وأخبرني أنك كاتبته، فذلك نافعك عندي، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك، وإن شئت دعونا بغيره، فقال: هذه التي في كفي أريد، قال: اشربها، ثم قال: إلى هاهنا، فأجلسه معه.

قال هشام: وقال عوانة بن الحكم: لما أتني بعلي بن الحسين إلى مسلم، قال: من هذا؟ قالوا: هذا علي بن الحسين، قال: مرحباً وأهلاً، ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة، ثم قال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً، وهو يقول: إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك، ثم قال لعلي: لعل أهلك فزعوا! قال: أي والله، فأمر بدابته فأسرجت، ثم حمله فرده عليها.

قال هشام: وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية، وأنه أتني به يومئذ إلى مسلم بن عقبة فقال: يا أهل الشام، تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا الخبيث بن الطيب، هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين، هيه يا عمرو! إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم، وإن ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فأمر به فتفت لحيته، ثم قال: يا أهل الشام، إن أم هذا كانت تدخل الجعل في فيها ثم تقول: يا أمير المؤمنين حاجتك، ما في فمي؟ وفي فمها ما ساءها وناءها، فخلى سبيله، وكانت أمه من دوس.

قال أبو جعفر الطبري: فحدثني أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين. وقال بعضهم: ثلاث ليال بقيت منه.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، أخبرنا محمد بن

الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز.

## السنة الرابعة والستون

### ذكر الخبر عما كا فيها من الأحداث

قال أبو جعفر: فمن ذلك مسير أهل الشام إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية.

ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً، شخص بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة، كالذي ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل، أن مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير، وخلف على المدينة روح بن زنياع الجذامي.

وأما الواقدي فإنه قال: خلف عليها عمرو بن محرز الأشجعي، قال: ويقال: خلف عليها روح بن زنياع الجذامي.

### ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة وإحراقها

رجع الحديث إلى أبي مخنف قال: حتى إذا انتهى إلى المشلل - ويقال: إلى قفا المشلل - نزل به الموت، وذلك في آخر الحرم من سنة أربع وستين، فدعا حصين بن غمير السكوني فقال له: يا ابن برذعة الحمار، أما والله لو كان هذا الأمر إلى ما وليت هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدي، وليس لأمر أمير المؤمنين مرد، خذ عني أربعاً: أسرع السير، وعجل الوقاع، وعم الأخبار، ولا تمكن قرشياً من أذنك. ثم إنه مات، فدفن بقفا المشلل.

قال هشام بن محمد الكلبي: وذكر عوانة أن مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير، حتى إذا بلغ ثنية هرشاً نزل به الموت، فبعث إلى رؤوس الأجناد، فقال: إن أمير المؤمنين عهد إلي إن حدث بي حدث الموت أن استخلف عليكم حصين بن غمير السكوني، والله لو كان الأمر إلي ما فعلت، ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت، ثم دعا به فقال: انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به، عم الأخبار، ولا ترع سمعك قريشاً أبداً، ولا تردن أهل الشام عن عدوهم، ولا تقيمن إلا ثلاثاً حتى تناجز ابن الزبير الفاسق، ثم قال: اللهم إنني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أحب إلي من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة، ثم قال لبني مرة: زراعتي التي بمجوران صدقة على مرة، وما أغلقت عليه فلانة بابها فهو لها - يعني أم ولده - ثم مات.

ولما مات خرج حصين بن غمير بالناس، فقدم على ابن

قال هشام: قال عوانة: قال مسلم قبل الوصية: إن ابني يزعم أن أم ولدي هذه سقتني السم، وهو كاذب، هذا داء يصيبنا في بطوننا أهل البيت. قال: وقدم عليه - يعني ابن الزبير - كل أهل المدينة، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمتنعون البيت، فقال لأخيه المنذر: ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك - وأخوه المنذر عن شهد الحرة ثم لحق به - فجرد إليهم أخاه في الناس، فقاتلهم ساعة قتالاً شديداً. ثم إن رجلاً من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة - قال: والشامي على بغلة له - فخرج إليه المنذر، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتاً، فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول: يا رب أبرها من أصلها ولا تشدها، وهو يدعو على الذي بارز أخاه. ثم إن أهل الشام شدوا عليهم شدة منكرة، وانكشف أصحابه انكشافاً، وعثرت بغلته فقال: تعساً! ثم نزل وصاح بأصحابه: إلي، فأقبل إليه المسور بن غرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً، وصار بهم ابن الزبير يمالدهم حتى الليل، ثم انصرفوا عنه، وهذا في الحصار الأول. ثم إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية الحرم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفتيق المزبد - نرمي بها أعواد هذا المسجد  
قال هشام: قال أبو عوانة: جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول:

كيف ترى صنيع أم فروه - تأخذهم بين الصفا والمروه  
يعني بأمر فروة المنجنيق.

وقال الواقدي: سار الحصين بن غمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من الحرم وقدم مكة لأربع بقين من الحرم، فحاصر ابن الزبير أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلاك ربيع الآخر.

### ذكر الخبر عن حرق الكعبة

وفي هذه السنة حرقت الكعبة.

ذكر السبب في إحراقها.

قال محمد بن عمر: احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً، وجاء نعيه لهلاك ربيع

الآخر ليلة الثلاثاء.

## ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية، يكنى أبا ليلى، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

إني أرى فتنة قد حان أولها      والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا  
وخالد بن يزيد - وكان يكنى أبا هاشم، وكان يقال: إنه أصاب عمل الكيمياء - وأبو سفيان، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، تزوجها بعد يزيد مروان، وهي التي يقول لها الشاعر:

انعمي أم خالد رب ساع لقاعد  
وعبد الله يزيد، قيل: إنه من أرمى العرب في زمانه، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، وهو الأسوار، وله يقول الشاعر:

زعم الناس أن خير قريش      كلهم حين يذكر الأسوار  
وعبد الله الأصغر، وعمر، وأبو بكر، وعتبة، وحرب، وعبد الرحمن، والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شتى.

## خلافة معاوية بن يزيد

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بن أبي سفيان بالشام بالخلافة، ولعبد الله بن الزبير بالحجاز.

ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشام يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة - فيما ذكر هشام عن عوانة - أربعين يوماً، قد حصروهم حصاراً شديداً، وضيقوا عليهم. ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه، ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه، فحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال: حدثنا زياد بن جيل، قال: بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير، إذ جاء موت يزيد، فصاح بهم ابن الزبير، فقال: إن طاغيكم قد هلك، فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل، فمن كره فليلق بشامه، فغدوا عليه يقاتلون. قال: فقال ابن الزبير للحصين بن نمير: ادن مني أحذتك، فدنا منه فحذته، فجعل فرس أحدهما يجفل - والجفل: الروث - فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل، فكف الحصين فرسه عنهن، فقال له ابن الزبير: ما لك؟ قال: أخاف أن يقتل فرسي حمام الحرم، فقال له ابن الزبير: أخرج من هذا وتردد أن تقتل المسلمين! فقال له: لا أقاتلك، فأذن لنا نطف بالبيت، ونصرف عنك، ففعل فانصرفوا.

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال - فيما ذكر هشام، عنه - قال: لما بلغ ابن الزبير موت يزيد - وأهل الشام لا يعلمون

قال محمد بن عمر: حدثنا رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: كانوا يوقدون حول الكعبة، فأقبلت شررة هبت بها الريح، فأحترقت ثياب الكعبة، وأحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الأول.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن زيد، قال: حدثني عروة بن أذينة، قال: قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت إليها النار، ورأيته مجردة من الحرير، ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة، فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى الرجل من أصحاب عبد الله بن الزبير، قالوا: هذا احترقت بسببه، أخذ قسماً في رأس رمح له فطيرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود.

## ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية

وفيها هلك يزيد بن معاوية، وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن هشام بن الوليد المخزومي، أن الزهري كتب لجده أسنان الخلفاء، فكان فيما كتب من ذلك: ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم، ويقال: ثمانية أشهر.

وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر أنه قال: توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليال وصلّى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد.

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال في سنن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري، والذي قال هشام في ذلك - فيما حدثنا عنه: استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ستين، وولي ستين وثمانية أشهر، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين، وأمه ميسون بنت مجدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي.

بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

وقال عوانة: استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات.

وحدثني عمر، عن علي بن محمد، قال: لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عمال أبيه وبويع له بدمشق، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته.

ويكنى أبا عبد الرحمن، وهو أبو ليلى، وأمه أم هاشم ابن عتبة بن ربيعة، وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً.

وفي هذه السنة بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطليح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة، فأبوا عليه، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم ثم خالفه أهل البصرة أيضاً، فهاجت بالبصرة فتنة، ولحق عبيد الله بن زياد بالشام.

### ذكر الخير عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن يزيد، عن الحسن، قال: كتب الضحاک بن قيس إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلام عليك، أما بعد، فإن يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخواننا، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا.

وحدثني عمر، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن حماد، قال: حدثنا محمد بن أبي عبيدة، قال: حدثني شهرک، قال: شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

يا أهل البصرة، انسبوني، فوالله لتجدن مهاجر والدي ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم إلا وهو سجنكم هذا، وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهل الشام، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً، وأعزضه فناء، وأغناه عن الناس، وأوسع بلاداً، فاختراروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم، فإنا أول راض من

بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه - أخذ يناديهم هو وأهل مكة: علام تقاتلون؟ قد هلك طاعتكم، وأخذوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقر النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق، فمر بالحصين بن غير - وكان له صديقاً، وكان بينهما صهر، وكان يراه عند معاوية، فكان يعرف فضله وإسلامه وشرفه - فسأل عن الخبر، فأخبره بهلاك يزيد، فبعث الحصين ابن غير إلى عبد الله بن الزبير، فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح، فالتقيا، فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم أخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة، فكان سعيد بن عمرو يقول: ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطير، لأن مكة التي منعه الله بها، وكان ذلك من جند مروان، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان. فزعم بعض قريش أنه قال: أنا أهدر تلك الدماء! أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلمه سرا، وهو يجهر جهراً، وأخذ يقول: لا والله لا أفعل، فقال له الحصين بن غير: قبح الله من يعدك بعد هذه داهياً قط أو أدبياً! قد كنت أظن أن لك رايأ. ألا أراني أكلمك سرا وتكلمني جهراً، وأدعوك إلى الخلافة، وتعدني القتل والهلكة!

ثم قام فخرج وصاح في الناس، فأقبل فيهم نحو المدينة، وندم ابن الزبير على الذي صنع، فأرسل إليه: إما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم. فقال له الحصين: أرايت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانع؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة، فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قت وشعير، وهو على راحلة له، فسلم على الحصين، فلم يكد يلتفت إليه، ومع الحصينين غير فرس له عتيق، وقد فني قته وشعيره، فهو غرض، وهو يسب غلامه ويقول: من أين نجد هنا لدابتنا علفاً! فقال له علي بن الحسين: هذا علف عندنا، فاعلف منه دابتك، فأقبل على علي عند ذلك بوجهه، فأمر له بما كان عنده من علف، واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلبجام دابته ثم نكس عنها، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترون. وقالت لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام، وقد أوصى يزيد بن معاوية



عنده، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله ﷺ ورعاية لحقه وقرابته! لعن الله ابن مرجانة، فإنه أخرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي، أو يلحق بشعر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل، فابى ذلك ورده عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين وزرع في لي قلوبهم العداوة، فبغضني البر والفاجر، بما استعظم الناس من قتلي حسناً، مالي ولا بن مرجانة لعنه الله وغضب عليه! ثم إن عبيد الله بعث مولى يقال له أيوب بن حمران إلى الشام ليأتيه بجبر يزيدي، فركب عبيد الله ذات يوم حتى إذا كان في رجة القضاين، إذا هو بأيوب بن حمران قد قدم، فلحقه فأسر إليه موت يزيد بن معاوية، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله، وأمر عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنأدى: الصلاة جامعة.

قال أبو عبيدة: وأما عمر بن معن الكاتب، فحدثني قال: الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه، فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخيه زياد لأمه، ثم خرج عبيد الله ماشياً من خوخة كانت في دار نافع إلى المسجد، فلما كان في صحته إذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء - وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد إلى معاوية حياته وإلى يزيد - فلما رآه ولم يكن أن له أن يقدم - قال: مهيم! قال: خير، قال: وما وراءه؟ قال: أدنو منك؟ قال: نعم - وأسر إليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشام، وكان يزيد مات يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين - فأقبل عبيد الله من فوره، فأمر منادياً فنادى: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فنعى يزيد، وعرض بثلبه لقصد يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله، فقال الأحنف لعبيد الله: إنه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة، وكان يقال: أعرض عن ذي فنن، فأعرض عنه، ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشام، وقال: إني قد وليتكم... ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة، عن زهير بن حرب إلى: فبايعوه عن رضا منهم ومشورة.

ثم قال: فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه، ويقولون: ظن ابن مرجانة أننا نؤليه أمرنا في الفرقة! قال: فأقام عبيد الله أميراً غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف، ويأمرنا بالأمر فلا يقضى، ويرى الرأي فيرد عليه، ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين أعوانه وبينه.

قال أبو عبيدة: فسمعت غيلان بن محمد يحدث عن عثمان البتي، قال: حدثني عبد الرحمن بن جوشن، قال: تبعت جنازة فلما

رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كتتم على جدليكم حتى تعطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة، وما يستغني الناس عنكم..

فقامت خطباء أهل البصرة فقالوا: قد سمعنا مقاتلك أيها الأمير، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلم فلنبايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك، فاخاروا لأنفسكم، فأبوا عليه، وأبى عليهم، حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات، فلما أبوا بسط يده فبايعوه، ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون: لا يظن ابن مرجانة أننا نستقاد له في الجماعة والفرقة، كذب والله! ثم وثبوا عليه.

حدثني عمر، قال زهير: قال: حدثنا وهب قال. وحدثنا الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، أن شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحضين ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلاً وهو في دار الإمارة، فبلغ ذلك رجلاً من الحي من بني سدوس، قال: فانطلقت فلزمت دار الإمارة، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل، ثم خرجوا ومعهم بغل موقر مالا، قال: فأتيت حضيناً فقلت: مر لي من هذا المال بشيء، فقال: عليك ببني عمك، فأتيت شقيقاً فقلت: مر لي من هذا المال بشيء - قال: وعلى المال مولى له يقال له: أيوب - فقال: يا أيوب، أعطيه مائة درهم، فقلت: أما مائة درهم والله لا أقبلها، فسكت عني ساعة، وسار هنيئة، فأتيت عليه فقلت: مر لي من هذا المال بشيء، فقال: يا أيوب، أعطه مائتي درهم، قلت: لا أقبل والله مائتين، ثم أمر بثلاثمائة ثم أربعمائة، فلما انتهينا إلى الطفاوة قلت: مر لي بشيء، قال: أرايت إن لم أفعل ما أنت صانع؟ قلت: أنطلق والله حتى إذا توسطت دور الحي وضعت إصبعي في أذني، ثم صرخت بأعلى صوتي: يا معشر بكر بن وائل، هذا شقيق بن ثور وحضين بن المنذر ومالك بن المسمع، قد انطلقوا إلى ابن زياد، فاختلفوا في دمائكم، قال: ما له فعل الله به وفعل! وملك أعطه خمسمائة درهم، قال: فأخذتها ثم صبحت غادياً على مالك - قال وهب: فلم أحفظ ما أمر له به مالك - قال: ثم رأيت حضيناً فدخلت عليه، فقال: ما صنع ابن عمك؟ فأخبرته وقلت: أعطني من هذا المال، فقال: إنا قد أخذنا هذا المال ونحونا به، فلن نخشى من الناس شيئاً، فلم يعطيني شيئاً.

قال أبو جعفر: وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن يونس بن حبيب الجرمي حدثه، قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه، بعث برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسر بقتلهم أولاً، وحسنت بذلك منزلة عبيد الله

قال: فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان، كف عن ذلك، ونقلها حين هرب، فهي إلى اليوم تردد في آل زياد، فيكون فيهم العرس أو المآتم فلا يرى في قريش مثلهم، ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة. فدعا عبيد الله رؤوساً خاصة السلطان، فأرادهم أن يقاتلوا معه، فقالوا: إن أمرنا قوادنا قاتلنا معك، فقال إخوة عبيد الله لعبيد الله: واللّه ما من خليفة فتقاتل عنه فإن هزمت فتت إلى هوان استمدته أمدك، وقد علمت أن الحرب دول، فلا ندري لعلها تدول عليك، وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالاً، فإن ظفروا أهلكونا وأهلكوها، فلم تبق لك باقية. وقال له أخوة عبد الله لأبيه وأمه مرجانة: واللّه لئن قاتلت القوم لأعتمدن على ظبة السيف حتى يخرج من صليبي. فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل إلى الحارث بن قيس بن صبهان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك فهم، فقال له: يا حار، إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى المهرب يوماً أن أختارك، وإن نفسي تأبى غيرك، فقال الحارث: قد أبلوك في أيبك ما قد علمت، وأبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مكافأة، وما لك مرد إذا اخترتنا، وما أدري كيف أثنائي لك إن أخرجتكم نهاراً! إني أخاف ألا أصل بك إلى قومي حتى تقتل وأقتل، ولكي أقيم معك حتى إذا وارى دمس دمساً وهدأت القدم، ردت خلفي لئلا تعرف، ثم أخذتكم على أخوالي بني ناجية، قال عبيد الله: نعم ما رأيت، فأقام حتى إذا قيل: أخوك أم الذئب، حمله خلفه، وقد نقل تلك الأموال فأحرزها، ثم انطلق به يمر به على الناس، وكانوا يتحارسون مخافة الحزورية فيسأل عبيد الله أين نحن؟ فيخبره، فلما كانوا في بني سليم قال عبيد الله: أين نحن؟ قال: في بني سليم، قال: سلمنا إن شاء الله، فلما أتى بني ناجية قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية، قال: نجونا إن شاء الله، فقال بنو ناجية: من أنت؟ قال: الحارث بن قيس، قالوا: ابن اختكم، وعرف رجل منهم عبيد الله فقال: ابن مرجانة! فأرسل سهماً فوق في عمامته، ومضى به الحارث حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم، ثم مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب بن صنيم بن مليح بن شيطان بن معن بن مالك بن فهم، فقالت الأزود ومحمد بن أبي عيينة، فلما رآه مسعود قال: يا حار، قد كان يتعود من سوء طوارق الليل، فنعود بالله من شر ما طرقتنا به، قال الحارث: لم أطرقك إلا بخير، وقد علمت أن قومك قد أنجوا فوفوا زياداً له، فصارت لهم مكرمة في العرب يقتخرون بها عليهم، وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا، رضا عن مشورة وبيعة أخرى قد كانت في أعناقكم قبل البيعة - يعني بيعة الجماعة - فقال له مسعود: يا حار، أترى لنا أن نعادي أهل مصرنا في عبيد

كان في سوق الإبل إذا رجل على فرس شهباء متقنع بسلاح وفي يده لواء، وهو يقول: أيها الناس، هلموا إلي أدعكم إلى ما لم يدعكم إليه أحد، أدعوكم إلى العائذ بالحرم - يعني عبد الله بن الزبير. قال: فتجمع إليه نوبيس، فجعلوا يصفقون على يديه، ومضينا حتى صلينا على الجنازة، فلما رجعنا إذا هو قد انضم إليه أكثر من الأولين، ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي ودار الحارثيين قبل بني تميم في الطريق الذي يأخذ عليهم، فقال: ألا من أردني فانا سلمة بن ذؤيب - وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رباح بن يربوع بن حنظلة - قال: فلقيني عبد الرحمن بن بكر عند الرحبة، فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعي، فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عني، فبعث إلي، فأتيته، فقال: ما هذا الذي خبر به عنك أبو بحر؟ قال: فاقصصت عليه القصة حتى أثبت على آخرها، فأمر فنودي على المكان: الصلاة جامعة، فتجمع الناس، فأنشأ عبيد الله يقص أمره وأمرهم، وما قد كان دعاهم إلى من يرتضونه، فيبايعه معهم، وإنكم أبيتهم غيري، وإنه بلغني أنكم مسحتكم أكفكم بالحيطان وباب الدار، وقتلتم ما قتلتم، وإنني آمر بالأمر فلا ينفذ، ويرد علي رأيي، وتحول القبائل بين أعواني وطلبي، ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم، إرادة أن يفرق جماعتكم، ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف. فقال الأحنف صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والناس جميعاً: نحن نأتيك بسلمة، فاتوا سلمة، فإذا جمعه قد كفف، وإذا الفتى قد اتسع على الراتق، وامتنع عليهم، فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه.

قال أبو عبيدة: فحدثني غير واحد، عن سبرة بن الجارود الهذلي، عن أبيه الجارود، قال: وقال عبيد الله في خطبته: يا أهل البصرة، واللّه لقد لبسنا الحز واليمينه واللين من الثياب حتى لقد أجمنا ذلك وأجمته جلودنا، فما بنا إلى أن نعقبها الحديد! يا أهل البصرة، واللّه لو اجتمعتم على ذنب غير لتكسروه ما كسرتموه. قال الجارود: فواللّه ما رمي بجماح حتى هرب، فتوارى عند مسعود لحق بالشام.

قال يونس: وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقل - وقال علي بن محمد: تسعة عشر ألف ألف فقال للناس: إن هذا فيتكم، فخذوا أعطيائكم وأرزاق ذراريكم منه، وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتغريج الأسماء، واستعجل الكتاب في ذلك حتى وكل بهم من يجسهم بالليل في الديوان، وأسرجوا بالشمع.

الله، وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا، ثم لم نكافأ عليه، ولم نشكروا! ما كنت أحسب أن هذا من رأيك، قال الحارث: إنه لا يعاديك أحد على الوفاء ببيعتك حتى تبلغه مأمنه.

قال أبو جعفر: وأما عمر فحدثني قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، عن الزبير بن الحارث، عن أبي ليبيد الجهمي، عن الحارث بن قيس، قال: عرض نفسه - يعني عبيد الله بن زياد - علي، فقال: أما والله إنني لأعرف سوء رأي كان في قومك، قال: فوفقت له، فأردفته على بغلي - وذلك ليلاً - فأخذت على بني سليم، فقال: من هؤلاء؟ قلت: بنو سليم، قال: سلمنا إن شاء الله، ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم السلاح - وكان الناس يتحارسون إذ ذاك في مجالسهم - فقالوا: من هذا؟ قلت: الحارث بن قيس، قالوا: امض راشداً، فلما مضينا قال رجل منهم: هذا والله ابن مرجانة خلفه، فرماه بسهم، فوضعه في كور عمامته، فقال: يا أبا محمد، من هؤلاء؟ قال: الذين كنت تزعم أنهم من قريش، هؤلاء بنو ناجية، قال: نجونا إن شاء الله، ثم قال: يا حارث، إنك قد أحسنت وأجلت، فهل أنت صانع ما أنشبر عليك؟ قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له، فهل لك أن تذهب بي إليه فأكون في داره، فهي وسط الأزدي، فإنك إن لم تفعل صدع عليك أمر قومك، قلت: نعم، فانطلقت به، فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتشد يوقد بقضيب على لبنه، وهو يعالج خفيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر، فلما نظر في وجوهنا عرفنا وقال: إنه كان يتعوذ من طوارق السوء، فقلت له: أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك! قال: فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود - وامرأة عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف بن عمرو - قال: ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه، فطافوا في الأزدي ومجالسهم، فقالوا: إن ابن زياد قد قدد، وإنا لا نأمن أن تلطخوا به، فأصبحوا في السلاح، وفقد الناس ابن زياد فقالوا: أين توجه؟ فقالوا: ما هو إلا في الأزدي.

قال وهب: فحدثنا أبو بكر بن الفضل، عن قبيصة بن مروان أنهم جعلوا يقولون: أين ترونه توجه؟ فقالت عجوز من بني عقيل: أين ترونه توجه! اندحس والله في أجمة أبيه.

وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف، ففرق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه، وحمل الباقي معه، وقد كان دعا البخارية إلى القتال معه، ودعا بني زياد إلى ذلك فأبوا عليه.

حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا

الأسود بن شيان، عن عبد الله بن جرير المازني، قال: بعث إلي شقيق بن ثور فقال لي: إنه قد بلغني أن ابن منجوف هذا وابن مسمع يدلجان بالليل إلى دار مسعود ليردا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذين الغارين، فيهربوا دماءكم، ويعزوا أنفسهم، ولقد هممت أن أبعث إلى ابن منجوف فأشده وثاقاً، وأخرجه عني، فاذهب إلى مسعود فأقرأ عليه السلام مني، وقل له: إن ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا، فأخرج هذين الرجلين عنك. قال: وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد. قال: فدخلت على مسعود وابنا زياد عنده: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: السلام عليك أبا قيس، قال: وعليك السلام، قلت: بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنه بلغني، فرد الكلام بعينه إلي فأخرجهما عنك قال مسعود: والله فعلت ذاك، فقال عبيد الله: كيف أبا ثور - ونسي كنيته، إنا كان يكنى أبا الفضل - فقال أخوه عبد الله: إنا والله لا نخرج عنكم، قد أجرتمونا، وعقدتم لنا ذمتكم، فلا نخرج حتى تقتل بين أظهركم، فيكون عاراً عليكم إلى يوم القيامة.

قال وهب: حدثنا الزبير بن الحارث، عن أبي ليبيد، أن أهل البصرة اجتمعوا فقتلوا أمرهم النعمان بن صهبان الراسي ورجلاً من مضر ليختاراً لهم رجلاً فيولوه عليهم، وقالوا: من رضىتمنا لنا فقد رضىناه. وقال غير أبي ليبيد: الرجل المضري قيس بن الهيثم السلمي. قال أبو ليبيد: ورأي المضري في بني أمية، ورأي النعمان في بني هاشم، فقال النعمان: ما رأي أحدنا أحق بهذا الأمر من فلان - لرجل من بني أمية - قال: وذلك رأيك؟ قال: نعم، قال: قد قلدتك أمري، ورضيت من رضىت. ثم خرجا إلى الناس، فقال المضري: قد رضىت من رضى النعمان، فمن سمي لكم فانا به راض، فقالوا للنعمان: ما تقول! فقال: ما رأي أحدنا غير عبد الله بن الحارث - وهو بية - فقال المضري: ما هذا الذي سميت لي؟ قال: بلى، لعمرى إنه هو، فرضي الناس بعبد الله وبايعوه.

قال أصحابنا: دعت مضر إلى العباس بن الأسود بن عوف الزهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، ودعت اليمس إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل، فراضى الناس أن حكموا قيس بن الهيثم والنعمان بن الصهبان الراسي لينظرا في أمر الرجلين، فاتفق رأيهما على أن يوليا المضري الهاشمي إلى أن يجتمع أمر الناس على إمام فقيل في ذلك:

نزعنا وولينا وبكر بن وائل - نجر خصاها تبغني من تحالف فلما أمروا بية على البصرة ولي شرطته هميان بن عدي السدوسي.

فأخذ بيده، وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظن الناس أنه مبايعه، ثم تركه، وأخذ بيد عبد الله بن الحارث، فاشترط عليه مثل ذلك، ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه، وذكر النبي ﷺ وحق أهل بيته وقرباته، ثم قال: يا أيها الناس ما تقومون من رجل من بني عم نبيكم ﷺ، وأمه هند بنت أبي سفيان! فإن كان فيكم فهو ابن أختكم، ثم صفق على يده وقال: ألا إنني قد رضيت لكم به، فنادوا: قد رضينا، فأقبلوا بعبد الله بن الحارث إلى دار الإمارة حتى نزلها، وذلك في أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين، واستعمل على شرطته هميان بن عدي السدوسي، ونادى في الناس: أن احضروا البيعة، فحضروا فبايعوه، فقال الفرزدق حين بايعه:

وبايعت أقواماً وفيت بعدهم وبة قد بايعته غير ناد

قال أبو عبيدة: فحدثني زهير بن هنيذ، عن عمرو بن عيسى، قال: كان منزل مالك بن مسمع الجحدري في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهاني في خط بني جحدر، الذي عند مسجد الجامع، فكان مالك يحضر المسجد، فيبنا هو قاعد فيه - وذلك بعد سير من أمر بية - وافى الحلقة رجل من ولد عبد الله عامر بن كريض القرشي يريد بية، ومعه رسالة من عبد الله بن خازم، وبيعه بهرة، فتنازعا، فأغلظ القرشي لمالك، فلطم رجل من بكر بن وائل القرشي، فتهايج من ثم من مضر وربيعه، وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة، فنادى رجل: يال تميم! فسمعت الدعوة عصبة من ضبة ابن أد - كانوا عند القاضي - فأخذوا رماح حرس من المسجد وترستهم، ثم شدوا على الربيعيين فهزموهم، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسي - وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل - فأقبل إلى المسجد فقال: لا تحذن مضرباً إلا قتلتموه، فبلغ ذلك مالك بن مسمع، فأقبل متفضلاً يسكن الناس، فكف بعضهم عن بعض، فمكث الناس شهراً أو أقل، وكان رجل من بني يشكر يجالس رجلاً من بني ضبة في المسجد، فتذاكرا لظمة البكري القرشي، ففخر اليشكري. قال: ثم قال: ذهبت ظلفاً. فأحفظ الضبي بذلك، فوجأ عنقه، فوقذه الناس في الجمعة، فحمل إلى أهله ميتاً - أعني اليشكري - فنارت بكر إلى رأسهم أشيم بن شقيق، فقالوا: سر بنا، فقال: بل أبعث إليهم رسولاً، فإن سبيوا لنا حقناً وإلا سرننا إليهم، فأبت ذلك بكر، فاتوا مالك بن مسمع - وقد كان قبل ذلك مملكاً عليهم قبل أشيم، فغلب أشيم على الرياسة حين شخص أشيم إلى يزيد بن معاوية، فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردوا الرياسة إلى أشيم، فأبت اللهازم، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار، أربع

قال أبو جعفر: وأما أبو عبيدة فإنه - فيما حدثني محمد بن علي، عن أبي سعدان، عنه، قص من خبر مسعود وعبيد الله بن زياد وأخيه غير القصة التي قصها وهب بن جرير، عمن روى عنهم خبرهم، قال: حدثني مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد من آل زياد، عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليتهم والقوم أعلم بمحدثهم، أن الحارث بن قيس لم يكلم مسعوداً، ولكنه آمن عبيد الله، فحمل معه مائة ألف درهم، ثم أتى بها إلى أم بسطام امرأة مسعود، وهي بنت عمه، ومعه عبيد الله وعبد الله ابن زياد، فاستأذن عليها، فأذنت له، فقال لها الحارث: قد أتيتك بأمر تسودين به نساءك وتتمين به شرف قومك وتعجلين غنى ودنيا لك خاصة، هذه مائة ألف درهم فأقبضها، فهي لك، وضمي عبيد الله. قالت: إنني أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله، فقال الحارث: البسيه ثوباً من أثوابي، وأدخله بيتك، وخلي بيننا وبين مسعود، فقبضت المال، وفعلت، فلما جاء مسعود أخبرته، فأخذ برأسها، فخرج عبيد الله والحارث من حجلتها عليه، فقال عبيد الله: قد أجارتني ابنة عمك عليك، وهذا ثوبك علي، وطعامك في بطني، وقد التفت علي بيتك، وشهد له على ذلك الحارث، وتلطفا له حتى رضي.

قال أبو عبيدة: وأعطى عبيد الله الحارث نحواً من خمسين ألفاً، فلم يزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قتل مسعود.

قال أبو عبيدة: فحدثني يزيد بن سمير الجرمي، عن سوار بن عبد الله بن سعيد الجرمي، قال: فلما هرب عبيد الله غير أهل البصرة بغير أمير، فاختلوا فيمن يؤمرون عليهم، ثم تراضوا برجلين يختاران لهم خيرة، فירضون بها إذا اجتمعا عليها، فتراضوا بقيس بن الهيثم السلمي، وبنعمان بن سفيان الراسبي - راسب بن جرم ابن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة - أن يختارا من يرضيان لهم، فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية - وكان يلقب ببة، وهو جد سليمان بن عبد الله بن الحارث، وذكرنا عبد الله بن الأسود الزهري، فلما أطبقا عليهما اتعدا المريد، وواعدا الناس أن يجتمع آراؤهم على أحد هذين.

قال: فحضر الناس وحضرت معهم قارعة المريد، أي أعلاه فجاء قيس بن الهيثم، ثم جاء النعمان بعد، فتجاوز قيس والنعمان، فأرى النعمان قيساً أن هواه في ابن الأسود، ثم قال: إنا لا نستطيع أن نتكلم معاً، وأراد أن يجعل الكلام إليه، ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر، فأخذ النعمان على الناس عهداً ليرضون بما يختار. قال: ثم أتى النعمان عبد الله بن الأسود

معكم إلا أن يكون الرئيس منا، فرأسوا مسعوداً عليهم.

قال أبو عبيدة: فحدثني مسلمة بن محارب، قال: قال مسعود لعبيد الله: سر معنا حتى نعيدك في الدار، فقال: ما أقدر على ذلك، امض أنت، وأمر برواحله فشدوا عليها أدواتها وسوادها، وتزمل في أهبة السفر، وألقوا له كرسيّاً على باب مسعود، فقعده عليه، وسار مسعود، وبعث عبيد الله غلماناً له على الخيل مع مسعود، وقال لهم: إني لا أدري ما يحدث فاقول: إذا كان كذا، فليأتني بعضكم بالخبر، ولكن لا يحدثن خير ولا شر إلا أتايني بعضكم به، فجعل مسعود لا يأتي على سكة، ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك، وقدم مسعود ربيعة، وعليهم مالك بن مسمع، فأخذوا جميعاً سكة المريد، فجاء مسعود حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، وعبد الله بن الحارث في دار الإمارة فقبل له: إن مسعوداً وأهل اليمن وربيعاً قد ساروا، وسيهيج بين الناس شر، فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني غيم عليهما فقال: أبعدهم الله! لا والله لا أفست نفسي في إصلاحهم، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول:

لأنكحن بيّه جارية في قبّه    غمّشط رأس لعبه

فهذا قول الأزد وربيعاً، فأما مضر فيقولون: إن أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا، فلما لم يحل أحد بين مسعود وبين صعود المنبر، خرج مالك بن مسمع في كتيبه حتى علا الجبان من سكة المريد، ثم جعل يمر بعداد دور بني غيم حتى دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان، فجعل يحرق دورهم للشحناء التي في صدورهم، لقتل الضبي الإشكري، ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهراة، قال: فبينما هو في ذلك إذ أتوه فقالوا: قتلوا مسعوداً، وقالوا: سارت بنو غيم إلى مسعود، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بني قيس في سكة المريد، وبلغه قتل مسعود، وقف.

قال أبو عبيدة: فحدثني زهير بن هنيذ، قال حدثنا الضحّاك أو الواضح بن خيشمة أحد بني عبد الله بن دارم - قال: حدثني مالك بن دينار، قال: ذهبت في الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون، قال: فأتيت وأتته بنو غيم، فقالوا: إن مسعوداً قد دخل الدار وأنت سيدنا، فقال: لست بسيدكم، إنما سيدكم الشيطان.

وأما هيرة بن جدير، فحدثني عن إسحاق بن سويد العدوي، قال: أتيت منزل الأحنف في النظارة، فأتوا الأحنف فقالوا: يا أبا بحر، إن ربيعة والأزد قد دخلوا الرحبة، فقال: لستم بأحق بالمسجد منهم، ثم أتوه فقالوا: قد دخلوا الدار، فقال: لستم بأحق بالدار منهم، ففسر سلمة بن ذؤيب الرياحي، فقال: إني يا معشر الفتيان، فإنما هذا جيس لا خير لكم عنده، فبددت ذؤيان بني غيم فانتدب معه خمسمائة، وهم مع ماة أفريذون، فقال لهم

قبائل، وأربع قبائل وكان هذا الحلف في أهل الربر في الجاهلية، فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف، لأنهم أهل مدر، فدخلوا في الإسلام مع أخيه عجل، فصاروا لهزمة ثم تراضوا بحكم عمران بن عصام العنزي أحد بني هميم، وردّها إلى أشيم، فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالك بن مسمع، فخف وجمع وأعد، فطلب إلى الأزد أن يجددوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية، فقال حارثة بن بدر في ذلك:

نزعنا وأمرنا وبكر بن وائل    نجر خصامها تبغني من تحالف  
وما بات بكري من الدهر ليلة    فيصبح إلا وهو للذل عارف  
قال: فبلغ عبيد الله الخبر - وهو في رخل مسعود - من تباعد ما بين بكر وقيم، فقال لمسعود: الق مالكاً فجدد الحلف الأول، فلقبه، فترادا ذلك، وتآبى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود، فأعطاه جزيلاً من المال، حتى أنفق في ذلك أكثر من مائتي ألف درهم على أن يبايعوهما، وقال عبيد الله لأخيه: استرثق من القوم لأهل اليمن، فجددوا الحلف، وكتبوا بينهم كتاباً سوى الكتابين اللذين كانا كتباً بينهما في الجماعة، فوضعوا كتاباً عند مسعود بن عمرو.

قال أبو عبيدة: فحدثني بعض ولد مسعود، أن أول تسمية من فيه، الصلت بن حريث بن جابر الحنفي، ووضعوا كتاباً عند الصلت بن حريث أول تسميته ابن رجاء العوذلي، من عوذ بن سود، وقد كان بينهم قبل هذا حلف.

قال أبو عبيدة: وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهيرة بن حدير وزهير بن هنيذ، أن مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة، وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة، وكانوا حيث مضرت البصرة، فحول عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ من المسلمين إلى البصرة، وأقامت جماعة الأزد لم يتحولوا، ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية، وأول خلافة يزيد بن معاوية، فلما قدموا قالت بنو غيم للأحنف: بادر إلى هؤلاء قبل أن تسبقنا إليهم ربيعة، وقال الأحنف: إن أتوكم فاقبلوهم، وإلا لا تأتوهم فإنكم إن أنتموهم صرتم لهم أتباعاً. فاتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المعني، فقال مالك: جددوا حلفنا وحلف كندة في الجاهلية، وحلف بني ذهل بن ثعلبة في طيخ بن أد من ثعل، فقال الأحنف: أما إذ أتوهم فلن يزالوا أتباعاً أذناباً.

قال أبو عبيدة: فحدثني هيرة بن حدير، عن إسحاق بن سويد، قال: فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضر، وجددوا الحلف الأول، وأرادوا أن يسيروا، قالت الأزد: لا نسير

فهذه، أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، وكان يزيد بن فهدة فارساً في الجاهلية يقاتل ويحضر قومه ويرتجز: يال تميم إنها مذكورة إن فات مسعود بها مشهوره فاستمسكوا بجانب المقصورة أي لا يهرب فيفوت.

قال إسحاق بن يزيد. فاتوا مسعوداً وهو على المنبر يحضر، فاستنزلوه فقتلوه، وذلك في أول شوال سنة أربع وستين، فلم يكن القوم شيئاً، فانهزموا. وبادر أشيم بن شقيق القوم بباب المقصورة هارباً، فطعنه أحدهم، فنجأ بها، ففي ذلك يقول الفرزدق:

لو أن أشيم لم يسبق استننا وأخطأ الباب إذ نرانا تقد  
إذا لصاحب مسعوداً وصاحبه وقد تهافت الأعفاج والكبد  
قال أبو عبيدة: فحدثني سلام بن أبي خيرة، وسمعت أيضاً من أبي الحسناء كسب العنبري يحدث في حلقة يونس، قال: سمعنا الحسن بن أبي الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير: فأقبل مسعود من ها هنا - وأشار بيده إلى منازل الأزدي في أمثال الطير - معلماً ببقاء ديباج أصفر مغير بسواد، يأمر الناس بالسنة، وينهى عن الفتنة: ألا إن من السنة أن تأخذ فوق يدك، وهم يقولون: القمر القمر، فوالله ما لبثوا إلا ساعة حتى صار قمرهم قميراً، فاتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه - قد علم الله - فقتلوه.

قال سلام في حديثه: قال الحسن: وجاء الناس من ها هنا - وأشار بيده إلى دور بني تميم.

قال أبو عبيدة: فحدثني مسلمة بن محارب، قال: فاتوا عبيد الله فقالوا: قد صعد مسعود المنبر، ولم يرم دون الدار بكتفاب، فبيناه في ذلك يتهايم ليحيى إلى الدار، إذ جاؤوا فقالوا: قد قتل مسعود، فاغترز في ركابه فالحق بالشام، وذلك في شوال سنة أربع وستين.

قال: أبو عبيدة: فحدثني رواد الكعبي، قال: فأتى مالك بن مسمع أناس من مضر، فحضره في داره، وحرقوا، ففي ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبي في أرجوزة:

وأصبح ابن مسمع محصوراً يغني قصوراً دونه ودورا  
حتى شيينا حوله السعيرا

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه، فأعجز الطلبة، فانهبوا ما وجدوا له ففي ذلك يقول وافر بن خليفة بن أسماء، أحد بني صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد: يارب جبار شديد كلبه - قد صار فينا تاجه وسلبه

سلمة: أين تريدون؟ قالوا: إياكم أردنا، قال: فتقدموا..

قال أبو عبيدة: فحدثني زهير بن هنيد، عن أبي نعام، عن ناشب بن الحسحاس وحيد بن هلال، قال: أتينا منزل الأحنف بمحصرة المسجد، قال: فكنا فيمن ينظر، فأتته امرأة بمجمر فقالت: ما لك وللرياسة! تجمر فإنما أنت امرأة، فقال: است المرأة أحق بالمجمر، فاتوه فقالوا: إن علياً بنت ناجية الرياحي - وهي أخت مطر، وقال آخرون: عزة بنت الحر الرياحية - قد سلبت خلايلها من سابقها، وكان منزلها شارعاً في رجة بني تميم على الميضاة، وقالوا: قتلوا الصباغ الذي على طريقك، وقتلوا المقعد الذي كان على باب المسجد، وقالوا: إن مالك بن مسمع قد دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان، فحرق دوراً، فقال الأحنف: أقيموا البينة على هذا، ففي دون هذا ما يحمل قتلهم، فشهدوا عنده على ذلك، فقال الأحنف: أجاء عباد؟ وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزة بن بيان بن سعد بن الحارث الحطبة بن عمرو بن تميم، قالوا: لا، ثم مكث غير طويل، فقال: أجاء عباد؟ قالوا: لا، قال: فهل ها هنا عيس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم ابن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد؟ فقالوا: نعم، فدعاه، فانتزع معجراً في رأسه، ثم جثا على ركبتيه، فعقده في رمح ثم دفعه إليه، فقال: سر. قال: فلما ولي قال: اللهم لا تخزها اليوم، فإنك لم تخزها فيما مضى. وصاح الناس، هاجت زبراء وزيارة أمة للأحنف، وإنما كانوا بها عنه - قالوا: فلما سار عيس جاء عباد في ستين فارساً فسأل، ما صنع الناس؟ فقالوا: ساروا، قال: ومن عليهم؟ قالوا: عيس بن طلق الصرمي، فقال عباد: أنا أسير تحت لواء عيس! فرجع والفرسان إلى أهله.

فحدثني زهير، قال حدثنا أبو ريمانة العريبي، قال: كنت يوم قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدي أعدو حتى بلغنا شريعة القديم.

قال إسحاق بن سويد: فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا، فقال لهم ماه أفريدون بالفارسية: ما لكم يا معشر الفتيان؟ قالوا: تلقونا بأسنة الرماح، فقال لهم بالفارسية: صكوههم بالفنجان - أي بخمس نشابات في رمية، بالفارسية - والأساورة أربعمائة، فصكوهم بالفي نشابة في دفعة، فأجلوا عن أبواب السكك، وقاموا على باب المسجد، ودلفت التميمية إليهم، فلما بلغوا الأبواب وقفوا، فسألهم ماه أفريدون: ما لكم؟ قالوا: استندوا إلينا أطراف رماحهم، قال: ارموهم أيضاً، فرموهم بالفي نشابة، فأجلوهم عن الأبواب، فدخلوا المسجد، فأقبلوا ومسعود يحط على المنبر ويحضر، فجعل غطفان بن أنيف بن يزيد بن

منهم عبيد الله حين نسلبه جواده وبززه ونهبه يوم التقى مقبنا ومقبه لو لم ينسج ابن زياد هربه وقال جرهم بن عبد الله بن قيس، أحد بني العدوية في قتل مسعود في كلمة طويلة:

ومسعود بن عمرو إذ أنا صبحنا حد مطرور سني  
رجا التامير مسعود فاضحى صريعاً قد أزرناه المتونا

قال أبو جعفر محمد بن جرير: وأما عمر، فإنه حدثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشام، قال: حدثني زهير، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: حدثنا الزبير بن الخريت، قال: بعث مسعود مع بن زياد مائة من الأزد، عليهم قرعة بن عمرو بن قيس، حتى قدموا به الشام.

وحدثني عمر، قال: حدثنا أبو عاصم النبيل، عن عمرو بن الزبير وخلاد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام، عن عمه، عن أبيه، عن عمرو بن هبيرة، عن يساف بن شريح الشكري، قال: وحدثني علي بن محمد، قال - قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض - إن ابن زياد خرج من البصرة، فقال ذات ليلة: إنه قد ثقل عليّ ركوب الإبل، فوطئوا لي على ذي حافر، قال: فألقيت له قطيفة على حمار، فركبه وإن رجليه لتكادان تخدان في الأرض.

قال الشكري: فإنه ليسير أمامي إذ سكت سكتة فاطهاها، فقلت في نفسي: هذا عبيد الله أمير العراق أمس نائم الساعة على حمار، لو قد سقط منه أعنته، ثم قلت: والله لئن كان نائماً لأنقصن عليه نومه، فدنوت منه، فقلت: أنائم أنت؟ قال: لا، قلت: فما أسكتك؟ قال: كنت أحدث نفسي، قلت: أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك؟ قال: هات، فوالله ما أراك تكبس ولا تصيب، قال: قلت: وماذا قلت: كنت تقول: ليتني لم أقتل الحسين، قال: وماذا؟ قلت: ليتني لم أكن قتلته من قتلته، قال: كنت تقول: ليتني لم أكن بنيت البيضاء، قال: وماذا؟ قلت: ليتني لم أكن استعملت الدهاقين، قال: وماذا؟ قلت: تقول: ليتني كنت أسخى مما كنت، قال: فقال: والله ما نطقت بصواب، ولا سكت عن خطأ، أما الحسين فإنه سار إلي يريد قتلي، فاخترت قتله على أن يقتلني، وأما البيضاء فإني اشتريتها ممن عبد الله بن عثمان الثقفي، وأرسل يزيد بألف فانفقها عليها، فلأن بقيت فلاهلي، وإن هلك لم أس عليها بما لم أعنف فيه، وأما استعمال الدهاقين فإن عبد الرحمن بن أبي بكره وزادان فروخ وقعا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز، فبلغنا بخراج العراق مائة ألف ألف، فخيرني معاوية بين الضمان والعزل، فكرهت العزل، فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج، فتقدمت إليه أو أغرمت صدور قومه، أو أغرمت عشيرته أضمرت بهم،

وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجبابة، وأوفى بالأمانة، وأهون في المطالبة منك، مع أنني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحداً. وأما قولك في السخاء، فوالله ما كان لي مال فأجود به عليكم، ولو شئت لأخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض، فيقولون: ما أسخاه! ولكني عممتكم، وكان عندي أنفع لكم. وأما قولك: ليتني لم أكن قتلته من قتلته، فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقرب إلى الله عندي من قتلي من قتلته من الخوارج، ولكي ساخبرك بما حدثت به نفسي، قلت: ليتني قاتلت أهل البصرة، فإنهم بايعوني طائعين غير مكرهين، وإيم الله لقد حرصت على ذلك، ولكن بني زياد أتوني فقالوا: إنك إذا قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا أحداً، وإن تركتهم تغيب الرجل منا عند أخواله وأصهاره، فرفقت لهم فلم أقاتل. وكنت أقول: ليتني كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم، فإما إذ فاتت هاتان فليتني كنت أقدم الشام ولم يرموا أمراً.

قال بعضهم: فقدم الشام ولم يرموا أمراً فكأنما كانوا معه صبياناً، وقال بعضهم: قدم الشام وقد أبرموا، فنقض ما أبرموا إلى رأيه.

وفي هذه السنة طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزلوه، واجتمعوا على عامر بن مسعود.

### ذكر الخبر عن عزهم عمرو بن حريث وتأثيرهم عامراً

قال أبو جعفر: ذكر الهيثم بن عدي، قال: حدثنا ابن عياش، قال: كان أول من جمع له المصران: الكوفة والبصرة زياداً وابنه، فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف، فلما هلك يزيد قام خطيباً، فقال: إن الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات، فإن أمرتوني بجيت فيثكم، وقاتلت عدوكم. وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مقاتل ابن مسعود وسعيد بن قرحا، أحد بني مازن، وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث، فقاما بذلك، فقام يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية، لا ولا كرامة! فأمر به عمرو فلبس ومضى به إلى السجن، فحالت بكر بينهم وبينه، فانطلق يزيد إلى أهله خائفاً فأرسل إليه محمد بن الأشعث: إنك على رأيك، وتتابع على الرسل بذلك، وصعد عمرو المنبر فحصبوه، فدخل داره، واجتمع الناس في المسجد فقالوا: نؤمر رجلاً إلى أن يجتمع الناس على خليفة فاجعوا على عمر بن سعد، فجاءت نساء همدان يبكين حسيناً، ورجاله منقلدو السيوف، فاطافوا بالمنبر، فقال محمد بن الأشعث: جاء أمر غير ما كنا فيه، وكانت

فقتله وخرج، وجال الناس بعضهم في بعض فقالوا: قتل مسعود بن عمرو، قتلته الخوارج، فخرجت الأزرد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا، وطردوهم عن البصرة، ودفنوا مسعوداً، فجاءهم الناس فقالوا لهم: تعلمون أن بني غنيم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو، فبعثت الأزرد تسأل عن ذلك، فإذا أناس منهم يقولونه، فاجتمعت الأزرد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكي، ثم ازدلفوا إلى بني غنيم وخرجت مع بني غنيم قيس، وخرج مع الأزرد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بني غنيم. وأقبلت غنيم إلى الأحنف يقولون: قد جاء القوم، اخرج. وهو متمكث، إذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت: يا أحنف اجلس على هذا، أي إنما أنت امرأة، فقال: استك أحق بها، فما سمع منه بعد كلمة كانت أرفث منها، وكان يعرف بالحلم. ثم إنه دعا برأيه فقال: اللهم انصرها ولا تذللها، وإن نصرتها ألا يظهر بها ولا يظهر عليها، اللهم احقن دماءنا، وأصلح ذات بيننا. ثم سار وسار ابن أخيه إياس بن معاوية بين يديه، فالتقى القوم فاقتتلوا أشد القتال، فقتل من الفريقين قتلى كثيرة، فقالت لهم بنو غنيم: الله الله يا معشر الأزرد في دماننا ودمانكم! بيننا وبينكم القرآن ومن شتمت من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بينة أننا قتلنا صاحبكم، فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم، وإن لم تكن لكم بينة فإننا نخلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً، وإن لم تريدوا ذلك فنحن نندي صاحبكم بمائة ألف درهم. فاصطلحوا فاتاهم الأحنف بن قيس في وجوه مضر إلى زياد بن عمرو العتكي، فقال: يا معشر الأزرد، أنتم جبرتنا في الدار، وإخواننا عند القتال، وقد أنيناكم في رجالكم لإطفاء حشيتكم، وسل سخيمتكم، ولكم الحكم مرسلاً، فقولوا على أحوالنا وأموالنا، فإنه لا يتعاطما ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا، فقالوا: أئذون صاحبنا عشر ديات؟ قال: هي لكم، فانصرف الناس واصطلحوا، فقال الهيثم بن الأسود:

أعلى بمسعود الناعي فقلت له نعم اليماني تجرؤاً على الناعي  
أوفى ثمانين ما يستطيعه أحد فتى دعاه لرأس العدة الداعي  
أوى ابن حرب وقد سدت مذاهبه فأوسع السراب منه أي إيساع  
حتى توارت به أرض وعامرهما وكان ذا ناصر فيها وأشيع  
وقال عبيد الله بن الحر:

ما زلت أرجو الأزرد حتى رأيتها تقصر عن بنائها المتطاوّل  
أبقتل مسعود ولم يشاروا به وصارت سيوف الأزرد مثل المناجل  
وما خير عقل أورث الأزرد ذلة تسب به أحيائهم في المحافل  
على أنهم شمت كان لحاهم ثعلاب في أعناقها كالجلجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً

كندة تقوم بأمر عمر بن سعد لأنهم أخواله، فاجتمعوا على عامر ابن مسعود، وكتبوا إلى ابن الزبير، فأقره.

وأما عوانة بن الحكم، فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه: لما بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله إلى الكوفة: عمرو بن مسمع، وسعد بن القرحة التميمي، ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة، ويسألانهم البيعة لعبد الله بن زياد، حتى يصطليح الناس، فجمع الناس عمرو بن حريث، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم، ويصلح به ذات بينكم، فاسمعوا منهما، وأقبلوا عنهما، فإنهما يرشد ما أتياكم.

فقام عمرو بن مسمع، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولسون عليهم، وقد جنناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحداً، فإنما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة، وقام ابن القرحة فتكلم نحواً من كلام صاحبه قال: فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيباني - وهو ابن رويم - فحصبهما أول الناس، ثم حصبهما الناس بعد، ثم قال: نحن نبايع لابن مرجانة! لا ولا كرامة، فشرفت تلك الفعلة يزيد في المصر ورفعته، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا: أهل الكوفة يخلعون، وأنتم تولونه وتبايعونه! فوثب به الناس، وقال: ما كان في ابن زياد وصمة إلا استجارته بالأزرد.

قال: فلما نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدي، فأجاره ومنعه، فمكث تسعين يوماً بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام، وبعثت الأزرد وبكر بن وائل رجالاً منهم معه حتى أوردوه الشام، فاستخلف حين توجه إلى الشام، مسعود بن عمرو على البصرة، فقالت بنو غنيم وقيس: لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا رجلاً ترضاه جماعتنا، فقال مسعود: فقد استخلفني فلا أدع ذلك أبداً، فخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله، واجتمعت غنيم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له: إن الأزرد قد دخلوا المسجد، قال: ودخل المسجد فمه! إنما هو لكم ولهم، وأنتم تدخلونه، قالوا: فإنه قد دخل القصر، فصعد المنبر. وكانت خوارج قد خرجوا، فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد إلى الشام، فزعم الناس أن الأحنف بعث إليهم أن هذا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم عدو، فما بمنعكم من أن تبدؤوا به! فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد، ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع من أتاه، فيرميه علق يقال له: مسلم من أهل فارس، دخل البصرة فأسلم ثم دخل في الخوارج، فأصاب قلبه



الزبير إلى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي بعهدته على البصرة، ووجه به إليه، فوافقه وهو متوجه يريد العمرة، فكتب إلى عبيد الله يأمره أن يصلي بالناس، فصلى بهم حتى قدم عمر.

حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، قال: سمعت محمد بن الزبير، قال: كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمي، فولى أمرهم أربعة أشهر، وخسرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز، فقال الناس لعبد الله: إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً، تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفضح، قال: فتريدون ماذا؟ قالوا: تضع سيفك، وتشد على الناس، قال: ما كنت لأصلحهم بفساد نفسي، يا غلام، ناولني نعلي، فانتعل ثم لحق بأهله، وأمر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي.

قال أبي، عن الصعب بن زيد: إن الجارف وقع وعبد الله على البصرة، فماتت أمه في الجارف، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حفرتها، وهو الأمير يومئذ.

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: كان بية قد تناول في عمله على البصرة أربعين ألفاً من بيت المال، فاستودعها رجلاً، فلما قدم عمر بن عبيد الله أميراً أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه، وعذب مولى له في ذلك المال حتى أغرمه إياه.

حدثني عمر قال: حدثني علي بن محمد، عن القافلاني، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل: رأيتك زمان استعملت علينا أصبت من المال، واتقيت الدم، فقال: إن تبعة المال أهون من تبعة الدم.

### ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة

وفي هذه السنة ولى أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم، فذكر هشام بن محمد الكلبي، عن عوانة بن الحكم، أنهم لما ردوا وافدي أهل البصرة اجتمع أشرف أهل الكوفة، فاصطلحوا على أن يصلي بهم عامر بن مسعود - وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشي، وهو دحرجة الجعل الذي يقول فيه عبد الله بن همام السلولي:

اشدد يديك يزيد إن ظفرت به - واشف الأرامل من دحرجة الجعل

وكان قصيراً - حتى يرى الناس رأيهم، فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج، فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام، وأهل الجزيرة إلا

يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً، ثم جعلوا بية - وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب - فصلى بهم شهرين، ثم قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير، فمكث شهراً، ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعزله، فوليها الحارث وهو القباع.

قال أبو جعفر: وأما عمر بن شبة، فإنه حدثني في أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كرز - وأمر بية ومسعود وقتله، وأمر عمر بن عبيد الله غير ما قال هشام عن عوانة. والذي حدثني عمر بن شبة في ذلك أنه قال: حدثني علي بن محمد، عن أبي مقرن عبيد الله الدهني، قال: لما بايع الناس بية ولى بية شرطته هميان بن عدي، وقدم على بية بعض أهل المدينة، وأمر هميان بن عدي بإزالة قريباً منه، فأتى هميان داراً للليل مولى زياد التي في بني سليم وهم بتفريقها لينزها إياه، وقد كان هرب وأقفل أبوابه، فمنعت بنو سليم هميان حتى قاتلوه، واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كرز، فأرسل بخاريته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار، وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلم على بية، فلقيه على الباب رجل من بني قيس بن ثعلبة، فقال: أنت المعين علينا بالأمس! فرقع يده فلفطمه، فضرب قوم من البخارية يد القيسي فآطارها، ويقال: بل سلم القيسي، وغضب ابن عامر فرجع، وغضبت له مضر فاجتمعت وأنت بكر بن وائل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه، فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال: أي مضرى وجدتموه فاسلبوه. وزعم بنو مسمع أن مالكا جاء يومئذ متفضلاً في غير سلاح ليرد أشيم عن رأيه. ثم انصرفت بكر وقد تهاجزوا هم والمضرية، واغتمت الأزدي، فخالفوا بكرأ، وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع، وفزعت تميم إلى الأحنف، فعقد عمامته على قناسة ودفعها إلى سلمة بن ذؤيب الرياحي، فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب، فاستنزله وقتلوه، وزعمت الأزدي أن الأزارقة قتلوه، فكانت الفتنة، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزدي من مسعود بعشر ديات، ولزم عبد الله بن الحارث بيته، وكان يتدين، وقال: ما كنت لأصلح الناس بفساد نفسي.

قال عمر: قال أبو الحسن: فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير، فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس، فصلى بهم أربعين يوماً.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: كتب ابن

أهل الأردن.

## خلافة مروان بن الحكم

وفي هذه السنة بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشام.

ذكر السبب في البيعة له.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: لما بويع عبد الله بن الزبير ولي المدينة عبيدة بن الزبير، وعبد الرحمن بن جحدم الفهري مصر، وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم إلى الشام - وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين - فلما قدم حصين بن غنيم ومن معه إلى الشام أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير، وأنه دعاه إلى البيعة، فأبى فقال له ولبي أمية: نراك في اختلاط شديد، فاقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم، فتكون فتنة عمياء صماء، فكان من رأي مروان أن يرسل فيطلب إلى ابن الزبير فيبايعه، فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان، فقال له: استحييت لك مما تريد! أنت كبير قريش وسيدها، تصنع ما تصنعه! فقال: ما فات شيء بعد، فقام معه بنو أمية ومواليهم، وتجمع إليه أهل اليمن، فسار وهو يقول: ما فات شيء بعد، فقدم دمشق ومن معه، والضحاك بن قيس الفهري قد بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم، ويقسم لهم أمرهم حتى يجتمع - أمر أمية محمد.

وأما عوانة فإنه قال - فيما ذكر هشام عنه إن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده، وكان معاوية بن يزيد بن معاوية - فيما بلغني - أمر بعد ولايته فنودي بالشام: الصلاة جامعة! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فأني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فرغ إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتهم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيب حتى مات. فقال بعض الناس: دس إليه فسقي سمًا، وقال بعضهم: طعن.

رجع الحديث إلى حديث عوانة. ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري، فثار زفر بن الحارث الكلبي بقسرين يبايع لعبد الله بن الزبير، وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بمحضر لابن الزبير، وكان حسان بن مالك بن جحد الكلبي بفلسطين عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد ابن معاوية بعده، وكان يهوى هوى بني أمية، وكان سيد أهل فلسطين، فدعا حسان بن مالك بن جحد الكلبي روح بن زنباع

الجذامي، فقال: إني مستخلفك على فلسطين، وأدخل هذا الحسي من لحم وجذام، ولست بدون رجل إذ كنت عنهم قاتلت بمن معك من قومك. وخرج حسان بن مالك إلى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين، فثار نائل بن قيس بروج بن زنباع فأخرجه، فاستولى على فلسطين، وبايع لابن الزبير، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفي بني أمية من المدينة، فنفوا بعيالهم ونساءهم إلى الشام، فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم، فكان الناس فريقين: حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية، ويدعو إليهم، والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير، ويدعو إليه قال: فقام حسان بن مالك بالأردن، فقال: يا أهل الأردن، ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتل أهل الحرة؟ قالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتل أهل الحرة في النار، قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكهم بالحرة؟ قالوا: نشهد أن يزيد على الحق، وأن قتلنا في الجنة، قال: وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقاً يومئذ إنه اليوم وشيعته على حق، وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليوم على باطل وشيعته، قالوا له: قد صدقت، نحن نبايعك على أن نقاتل من خالفك من الناس، وأطاع ابن الزبير، على أن نجنبنا هذين الغلامين، فإننا نكره ذلك - يعنون ابني يزيد بن معاوية عبد الله وخالداً - فإنها حديثة أستانهما، ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونائبهم بصبي. وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير، وكان يمنعه من إظهار ذلك أن بني أمية كانوا يحضرته، وكان يعمل في ذلك سرراً، فبلغ ذلك حسان بن مالك بن جحد، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظم فيه حق بني أمية، ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده وصنيعهم إليه، ويدعوه إلى طاعتهم، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه، ويذكر أنه منافق، قد خلع خليفتين، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس. ودعا رجلاً من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب، ودفعه إلى ناغضة، وقال: إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا قسم فاقرا هذا الكتاب على الناس، وكتب حسان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك، فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بني أمية إليهم، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة، فقال: أصلح الله الأمير! ادع بكتاب حسان فاقراه على الناس، فقال له الضحاك: اجلس، فجلس، ثم قام إليه الثانية فقال له: اجلس، ثم قام إليه الثالثة فقال له: اجلس، فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حساناً وكذب ابن الزبير

بمخرج راهط.

واختلف في الوقعة التي كانت بمخرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم، فقال محمد بن عمر الواقدي: بويج مروان بن الحكم في المحرم سنة خمس وستين، وكان مروان بالشام لا يحدث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله بن زياد حين قدم عليه من العراق، فقال له: أنت كبير قريش ورئيسها، يلي عليك الضحاك بن قيس! فذلك حين كان ما كان، فخرج إلى الضحاك في جيش، فقتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير، وقتل قيس بمخرج راهط مقتلة لم يقتل مثله في موطن قط.

قال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، قال: قتل الضحاك يوم مخرج راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير، وكتب به إلى عبد الله لما ذكر عنه من طاعته وحسن رايه.

وقال غير واحد: كانت الوقعة بمخرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة أربع وستين.

وقد حدثت عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث، قال: قال أهل الأردن وغيرهم لمروان: أنت شيخ كبير، وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل، وإنما يقرع الحديد بعضه ببعض، فلا تبار به هذا الغلام، ورام بتحريك في نحره، ونحن نباعك، أبسط يدك، فبسطها، فبايعوه بالجابية يوم الأربعاء ثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين.

قال محمد بن عمر: وحدثني مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله أن الضحاك لما بلغه أن مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة، بايع من معه لابن الزبير، ثم سار كل واحد منهما إلى صاحبه، فاقتلوا قتلاً شديداً، فقتل الضحاك وأصحابه.

قال محمد بن عمر: وحدثني ابن أبي زياد، عن أبيه، قال: لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان قتيلاً شاباً، فقال: إن الضحاك بن قيس قد كان دعا قيساً وغيرهما إلى البيعة لنفسه، فبايعهم يومئذ على الخلافة، فقال له زفر بن عقيل الفهري: هذا الذي كنا نعرف ونسمع، وإن بني الزبير يقولون: إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير، وخرج في طاعته حتى قتل، الباطل والله يقولون، كان أول ذلك أن قريشاً دعت إليه، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً.

وشتمه، وقام يزيد بن أبي النمس الغساني فصدق مقالة حسان وكتابه، وشتم ابن الزبير، وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فصدق مقالة حسان وكتابه، وشتم ابن الزبير.

وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشم حسان وأثنى على ابن الزبير، واضطرب الناس تبعاً لهم، ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا، وجال الناس بعضهم في بعض، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار، وخرقوا ثيابه.

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقأتين من المنبر وهو يومئذ غلام، والضحاك بن قيس على المنبر، فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله، وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة، ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس، فقال الوليد بن عتبة: لو كنت من كلب أو غسان أخرجت.

قال: فجاء ابن يزيد بن معاوية: خالد وعبد الله، معهما أخوهما من كلب فأخرجوه من السجن، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيرون الأول.

وأقام الناس بدمشق، وخرج الضحاك إلى مسجد دمشق، فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية، فوقع فيه، فقام إليه شاب من كلب بعضاً معه فضربه بها، والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف، فقام بعضهم إلى بعض في المسجد، فاقتلوا، قيس تدعوا إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك، وكتب تدعوا إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد، ويتعصبون ليزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر، وكان من الأجناد ناس يهرون هوى بني أمية، وناس يهون هوى ابن الزبير، فبعث الضحاك إلى بني أمية فدخلوا عليه من الغد، فاعتذر إليهم، وذكر حسن بلائهم عند مواليه وعنده، وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه.

قال: فتكتبون إلى حسان وكتب، فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية، ويسير نحن وأنتم حتى نوافية بها، فبايع لرجل منكم، فرضيت بذلك بنو أمية، وكتبوا إلى حسان، وكتب إليه الضحاك، وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات، وتوجهوا يريدون الجابية، فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي إلى الضحاك، فقال: دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخيه خالد بن يزيد! فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نسر وندعوا إلى طاعة ابن الزبير، ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من الناس ففعلهم ثم أقبل يسير حتى نزل

ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتقام الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين

قال أبو جعفر: حدثنا نوح بن حبيب، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم الكلبي، قال: مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان بن مالك، فعطفهم، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط، وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية، وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم.

قال: وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجابية، فصلى بهم حسان أربعين يوماً، والناس يتشاورون، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص، وإلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين، وإلى نائل بن قيس وهو على فلسطين يستمددهم، وكانوا على طاعة ابن الزبير، فأمدّه النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع، وأمدّه زفر بأهل قنسرين، وأمدّه نائل بأهل فلسطين، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج.

وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة، فأما مالك بن هيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية، ويجب أن تكون الخلافة فيهم، وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، فقال مالك بن هيرة لخصين بن نمير: هلم فلنباع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه، وهو ابن اختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً - يعني خالد بن يزيد - فقال الحصين: لا، لعمر الله، لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزام الطيين، فقالوا: مهلاً يا أبا سليمان! فقال له مالك: والله لئن استخلف مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها، إن مروان أبو عشيرة، وأخو عشيرة، وعم عشيرة، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء، وإن من يمد عنقه إلى الخلافة تناوله فلم ينله، وتناوله مروان فقال، والله لنستخلفنه، فقال له مالك: ويحك يا حصين! أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل البيت من قيس! فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصحبته من رسول الله ﷺ، وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون، ولكن ابن عمر رجل ضعيف، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف، وأما

ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حواري رسول الله ﷺ وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله، لكن ابن الزبير منافق، قد خلع خليفتين: يزيد وابنه معاوية بن يزيد، وسفك الدماء، وشق عصا المسلمين، وليس صاحب أمر أمة محمد ﷺ المنافق، وأما مروان بن الحكم، فوالله ما كان في الإسلام صدق قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع، وهو الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وأنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير - يعني بالكبير مروان بن الحكم، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية. قال: فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان، ثم لخالد بن يزيد من بعده، ثم لعمر بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أن إمارة دمشق لعمر بن سعيد بن العاص، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية. قال: فدعا حسان بن مالك بن مجدل خالد بن يزيد فقال: أباي أختي، إن الناس قد أبوك لخدائتك سنك، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظراً لكم، فقال له خالد بن يزيد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك، ولكن الرأي لك ما رأيت. ثم دعا حسان بمروان فقال: يا مروان، إن الناس والله ما كلهم يرضى بك، فقال له مروان: إن يرد الله أن يعطينها لا يمنعي إياها أحد من خلقه، وإن يرد أن يمنعيها لا يعطينها أحد من خلقه. قال: فقال له حسان: صدقت، وصعد حسان المنبر يوم الاثنين، فقال: أيها الناس، إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله، فلما كان يوم الخميس بايع لمروان، وبايع الناس له، وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كلب، وأتته السكاسك والسكون وغسان، وربع حسان بن مالك بن مجدل إلى الأردن.

قال: وعلى ميمته - أعني مروان - عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وعلى ميمته الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه، وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم يشهد الجابية، وكان مختبئاً بدمشق، فلما نزل مروان مرج راهط نار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها، فغلب عليها، وأخرج عامل الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح، فكان أول فتح فتح على بني أمية. قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة كان، ثم هزم أهل المرج، وقتلوا وقتل الضحاك، وقتل يومئذ من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ

القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها، وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بني عليم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب، وقتل يومئذ صاحب لواء قضاة حيث دخلت قضاة الشام، وهو جد مدلج بن المقدم بن زمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجرشي، وقتل شور بن معن بن يزيد السلمي، وهو الذي كان رد الضحاك عن رأيه. قال: وجاء برأس الضحاك رجل من كلب، وذكروا أن مروان حين أتى برأسه ساء ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظم الحمار، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض!

قال: وذكروا أنه مر يومئذ برجل قتيل فقال:

وما ضرهم غير حين النفر س أي اميري قريش غلب

وقال مروان حين بويع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيت الأمر أمراً نهياً سرت غسان لهم وكلباً  
والسكسكين رحالاً غلباً وطنياً تاباه إلا ضرباً  
والقمن تمشي في الحديد نكبا ومن تنوخ مشمخراً صعباً  
لا يأخذون الملك إلا غصباً وإن دنت قيس فقل لا قرباً

قال هشام بن محمد: حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى، قال: حدثني رجل من بني عبد ود من أهل الشام، قال: حدثني من شهد مقتل الضحاك بن قيس، قال: مر بنا رجل من كلب يقال له زحنة بن عبد الله، كأنما يرمي بالرجال الجداء، ما يطعن رجلاً إلا صرعه، ولا يضرب رجلاً إلا قتله، فجعلت أنظر إليه أتعجب من فعله ومن قتله الرجال، إذ حمل عليه رجل فصصره زحنة وتركه، فأتيته فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس، فأخذت رأسه فأتيت به إلى مروان، فقال: أنت قتلت؟ فقلت: لا، ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبى، فأعجبه صدقي إياه، وتركي ادعاه، فأمر لي بمعروف، وأحسن إلى زحنة.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن حبيب بن كرة، قال: والله إن راية مروان يومئذ لمعي، وإنه ليدفع بنعل سيفه في ظهري، وقال: ادن برايتك لا أبالك! إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حد السيوف انفرجوا انفرج الرأس، وانفرج الغنم عن راعيها. قال: وكان مروان في ستة آلاف، وكان على خيله عبيد الله بن زياد، وكان على الرجال مالك بن هبيرة، قال عبد الملك بن نوفل: وذكروا أن بشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول:

إن على الرئيس حقاً حقاً أن يخضب الصعدة أو تندقا

قال: وصرع يومئذ عبد العزيز بن مروان، قال: ومر مروان

يومئذ برجل من محارب وهو في نفر يسير تحت رايه يقاتل عن مروان، فقال مروان: يرحمك الله! لو أنك انضممت بأصحابك، فإني أراك في قلة! فقال: إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف من تأمرنا ننضم إليه، قال: فسر بذلك مروان وضحك، وضم أناساً إليه ممن كان حوله، قال: وخرج الناس منهزمين من المرج إلى أجنادهم، فأنتهى أهل حصص إلى حصص والنعمان بن بشير عليها، فلما بلغ النعمان الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عمار الكلبية، ومعه ثقله وولده، فتحير ليلته كلها، وأصبح أهل حصص فطلبوه، وكان الذي طلبه رجل من الكلاءيين يقال له عمرو بن الخلي فقتله، وأقبل برأس النعمان بن بشير وبناثله امرأته وولدها، فلقى الرأس في حجر أم أبان ابنة النعمان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد قال: فقالت نائلة: ألقوا الرأس إلي فإنا أحق به منها، فلقى الرأس في حجرها، ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا إلى حصص، فجاءت كلب من أهل حصص فأخذوا نائلة وولدها، قال: وخرج زفر بن الحارث من قنسرين هارباً فلحق بقرقيسياً، فلما انتهى إليها وعليها عياض الجرشي وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم - وكان يزيد بن معاوية ولاء قرقيسياً، فحال عياض بين زفر وبين دخول قرقيسياً، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والعناق إذا أنا دخلت حمامها أن أخرج منها، فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمامها وأقام بها، وأخرج عياضاً منها، وتحصن زفر بها وثابت إليه قيس. قال: وخرج ناتل بن قيس الجذامي صاحب فلسطين هارباً، فلحق بابن الزبير بمكة، وأطبق أهل الشام على مروان، واستوثقوا له، واستعمل عليها عماله.

قال أبو مخنف: حدثني رجل من بني عبدود من أهل الشام - يعني الشرقي - قال: وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشام، فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي يدعو إلى ابن الزبير، فخرج إليه فيمن معه من بني فهر، وبعث مروان بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر، وقام على منبرها يخطب الناس، وقيل لهم: قد دخل عمرو مصر فرجعوا، وأمر الناس مروان وبايعوه، ثم أقبل راجعاً نحو دمشق، حتى إذا دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين، فسرح إليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش، واستقبله قبل أن يدخل الشام، فقاتله فهزم أصحاب مصعب، وكان معه رجل من بني عذرة يقال له محمد بن حريث بن سليم، وهو خال بني الأشدق، فقال: والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلاً قط أشد قتالاً فارساً وراجلاً، ولقد رأيت في الطريق يترجل فيطرد بأصحابه ويشد على رجله، حتى رأيتهما قد دميتا. قال: وانصرف مروان حتى استقرت به دمشق،

ورجع إليه عمرو بن سعيد.

ألا ليت شعري هل تصيبن غارتي تنوحاً وحبي طيساً من شفتايا

فأجابه جواس بن عطل:

لعمري لقد أبقت وقعة راهط على زفر داء من الداء باقيا  
مقيماً ثوى بين الضلوع حمله وبين الحشا أعيا الطيب المداويا  
تبكي على قتلى سليم وعامر وذبيان معذوراً وتبكي البواكيا  
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى سيف جناب والطوال المذاكيا  
عليها كاسد الغاب فتیان نجدة إذا شروا نحو الطعان العوالي

فأجابه عمر بن المخلاة الكلبي من تيم السلات بن رفيدة، فقال:

بكي زفر القيسي من هلك قومه بعيرة عين ما يحيف سجومها  
يبكي على قتلى أصيبت براهط تجاوبه هام القفار وبومها  
أجنا حى للحي قيس براهط وولت شلالاً واستبيح حرعها  
يبكيهم حران تجري دموعه يرجى نزاراً أن تؤوب حلومها  
فمت كمداً أو عش ذليلاً مهضماً بحسرة نفس لا تنام همومها  
إذا خطرت حولي قضاة بالقنا تحبظ فعل المصعبات قرومها  
خبطت بهم من كادني من قبيلة فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها  
وقال زفر بن الحارث أيضاً:

أي الله أما محمد وإبن محمد فيجيا وأما ابن الزبير فيقتل!  
كذبتم وبيت الله لا تقتلونهم ولما يكن يوم أغر عجبل  
ولما يكن للمشرفة فوقكم شعاع كقرن الشمس حين ترجل

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم، أخو مروان بن الحكم، فقال:

أذهب كلب قد حتمها رماحها وتشترك قتلى راهط ما أجت!  
لخا الله قيساً عيلان إنها أضاعت نفور المسلمين وولت  
فباه بقيس في الرخاء ولا تكن أخاها إذا ما المشرفة سلت

قال أبو جعفر: ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية، واستقر لمروان بن الحكم الملك، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة، وأن يجعلها لهم مأكلة، فأعطاه ذلك، وإن بني الحكم لما استوثق الأمر لمروان، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطاً، قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده: إن قوماً يدعون شروطاً منهم عطارة مكحلة - يعني مالك بن هبيرة وكان رجلاً يتطيب ويكتحل - فقال مالك بن هبيرة: هذا ولما تردى تهامة، ولما يبلغ الحزام الطيين، فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان، إنما دعابتك، فقال مالك: هو ذاك. وقال عويج الطائي يمتدح كلباً وحيد بن بحدل:

لقد علم الأقوام وقع ابن بحدل وأخرى عليهم إن بقي سعيدها

قال: ويقال: إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق، فنزل الشام أصاب بني أمية بتدمر، قد فاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله، فنزلوا بتدمر، وأصابوا الضحاك بن قيس أميراً على الشام لعبد الله بن الزبير، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة، فيأخذ منه الأمان لبني أمية، فقال له ابن زياد: أشدك الله ألا تفعل، ليس هذا برأي أن تنطلق وأنت شيخ قریش إلى أبي خبيب بالخلافة، ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم، ثم سر بهم وعين معك من بني أمية إلى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام، فقال عمرو بن سعيد بن العاص: صدق والله عبيد الله بن زياد، ثم أنت سيد قریش وفرعها، وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام - يعني خالد بن يزيد بن معاوية - فتزوج أمه فيكون في حجره، قال: ففعل مروان ذلك، فتزوج أم خالد بن يزيد، وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. ثم جمع بني أمية فبايعوه بالإمارة عليهم، وبايعه أهل تدمر ثم سار في جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس، وهو يومئذ بدمشق، فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية ومسيرتهم إليه، خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم، فيهم زفر بن الحارث، فالتقوا بمرج راهط، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك بن قيس الفهري وعامة أصحابه، وانهزم بقيتهم، فتفرقوا، وأخذ زفر بن الحارث وجهاً من تلك الوجوه، هو وشابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم، فلما خاف السلماني أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر: يا هذا، انج بنفسك، فاما نحن فمقتولان، فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا، فاجتمعت إليه قيس، فرأسوه عليهم، فذلك حيث يقول زفر بن الحارث:

أرني سلاحي لا أبا لك إنني أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا  
أناهي عن مروان بالغيب أنه مقيد دمي أو قاطع من لساني  
ففي العيس منجاة وفي الأرض إذا نحن رفعنا لمن المانيا  
فلا تحسبوني إن تغيت غافلاً ولا تفرحوا إن جتكم بلفانيا  
فقد نبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات القوس كما هيا  
أذهب كلب لم تلها رماحنا وترك قتلى راهط هي ما هيا!  
لعمري لقد أبقت وقعة راهط لحسان صدعاً نبياً متائيا  
أبعد ابن عمرو وابن معن تابعا ومقتل همام أمي الأمانيا!  
فلم تر مني نبوة قبل هذه فرائي وتركني صاحبي ورائيا  
عشية أعدو بالقران فلا أرى من الناس إلا من علي ولا ليا  
أذهب يروم واحد إن أساته بصالح إيامي وحسن بلائيا!  
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا وتثار من نسوان كلب نسانيا

اليمن! فوله مرو الروذ والفارياب والطلالقان والجوزجان، وولي أوس بن ثعلبة بن زفر - وهو صاحب قصر أوس بالبصرة - هراة، ومضى فلما صار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال: من وليت خراسان؟ فأخبره، فقال: أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان! وقال له: اكتب لي عهداً على خراسان، قال: أوالي خراسان أنا! قال: اكتب لي عهداً وخلاك ذم. قال: فكتب له عهداً على خراسان، قال: فأعي الآن مائة ألف درهم فأمر له بها، وأقبل إلى مرو، وبلغ الخبر المهلب بن أبي صفرة، فأقبل واستخلف رجلاً من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال: وأخبرنا الفضل بن محمد الضبي، عن أبيه، قال: لما صار عبد الله بن خازم إلى مرو بعهد سلم بن زياد، منعه الجشمي، فكانت بينهما مناوشة، فأصابته الجشمي رمية بجحر في جبهته، وتناجزوا وخلى الجشمي بين مرو الروذ وبينه، فدخلها ابن خازم، ومات الجشمي بعد ذلك بيومين.

قال علي بن محمد المدائني: حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني، عن أبيه، قال: لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم، وغلب كل قوم على ناحية، ووقعت الفتنة، وغلب ابن خازم على خراسان، ووقعت الحرب.

قال أبو جعفر: وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد، عن أبي نعام، قال: أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو، ثم سار إلى سليمان بن مرثد فلقبه بمرو الروذ، فقاتله أياماً، فقتل سليمان بن مرثد، ثم سار عبد الله بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطلالقان في سبعمائه، وبلغ عمراً إقبال عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان، فأقبل إليه، فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى إلى ابن خازم أصحابه، فأمر عبد الله من كان معه فنزلوا، فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوي، فقالوا: لم يبق حتى أقبل وهو على حاله، فلما أقبل قيل له: هذا زهير قد جاء، فقال له عبد الله: تقدم، فالتقوا فاقتلوا طويلاً، فقتل عمرو بن مرثد، وانهزم أصحابه، فلاحقوا بهراً بأوس بن ثعلبة، ورجع عبد الله بن خازم إلى مرو.

قال: وكان الذي ولي قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العدوي فيما يروون فقال الشاعر:

أنتهب أيام الحروب ولم تبس - زهير بن حيان بعمره بن مرثد!

قال: وحدثنا أبو السري الخراساني وكان من أهل هراة - قال: قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمراً ابني مرثد المحدثين من بني قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مرو، وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هراة، وانضم إليها من كان بكور

يقودون أولاد الرجيح ولاحت من الريف شهراً ما يني من يقودها فهذا لنا ثم إنسي لنافض على الناس أقواماً كثيراً حدودها فلولا أمير المؤمنين لأصبحت قضاة أرباباً وقيس عيدها وفي هذه السنة بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة.

### ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم

#### وبيعة سلم بن زياد

وفيهما كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان.

ذكر الخبر عن ذلك.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب، قال: بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم، وأقام سلم والياً على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، فبلغ سلماً موته، وأثناء مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد، وكتب الخبر سلم، فقال ابن عرادة:

يا أيها الملك المغلق بابه حدثت أمور شأنهن عظيم قتلى بجزرة والذين بكابل وزيد أعلن شأنه المكتوم أبني أمية إن آخر ملككم جسد مجوارين ثم مقيم طرقت منيته وعند وساده كوب وزق راعف مرثوم ومرنة تبكي على نشوانه بالصنح تقعد تارة وتقوم

قال مسلمة: فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه، ثم مكثوا بذلك شهرين، ثم نكثوا به.

قال علي بن محمد: وحدثنا شيخ من أهل خراسان، قال: لم يحب أهل خراسان أميراً قط حبهم سلم بن زياد، فسمى في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين ألف مولود بسلم، من حبهم سلماً.

قال: وأخبرنا أبو حفص الأزدي، عن عمه قال: لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم عن خراسان، وخلف عليها المهلب بن أبي صفرة، فلما كان بسرخص لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة، فقال له: من خلقت على خراسان؟ قال: المهلب، فقال: ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلاً من أهل

فرجع إلى ابن خازم، فقال: ما عندك؟ قال: وجدت إخوتنا قطعاً للرحم، قال: قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غضاباً على ربهام منذ بعث الله النبي ﷺ من مضر.

قال أبو جعفر: وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبي، قال: أغارت الترك على قصر إسفاد وابن خازم بهراة، فحصرها أهله، وفيه ناس من الأزد أكثر من فيه، فهزمتهم، فبعثوا إلى من حولهم من الأزد فجاؤوا لينصروهم فهزمتهم الترك، فأرسلوا إلى ابن خازم، فوجه إليهم زهير بن حيان في بني تميم وقال له: إياك ومشاورة الترك، إذا رأيتهم فاحملوا عليهم، فأقبل فوافاهم في يوم بارد، قال: فلما التقوا شدوا عليهم فلم يثبتوا لهم، وانهزمت الترك واتبعهم حتى مضى عامة الليل حتى انتهوا إلى قصر في المغارة، فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم، وكان عالماً بالطريق، ثم رجع في نصف من الليل، وقد بيست يده على رجمه من البرد، فدعا غلامه كعباً، فخرج إليه، فأدخله، وجعل يسخن له الشحم فيضعه على يده، ودهنوا وأوقدوا له ناراً حتى لان ودفي، ثم رجع إلى هراة، فقال في ذلك كعب بن معدان الأشقري:

أناك أذاك الغوث في برق عارض دروع ويبض حشوهن تميم  
أبوا أن يضموا حشوا ما تجمع فضمهم يوم اللقاء صميم  
ورزقهم من رائحات تزيها ضروع عريضات الخواصر كوم  
وقال ثابت قطنة:

فدت نفسي فوارس من تميم على ما كان من ضحك المقام  
بقصر الباهلي وقد أراني أحامي حين قل به المحامي  
بسيفي بعد كسر الرمح فيهم أذودهم بذئ شطب حسام  
أكر عليهم اليعموم كراً ككر الشرب آتية المدام  
فلولا الله ليس له شريك وضربي قونس الملك الممام  
إذا فاظت نساء بني دثار أمام الترك بادية الخدام

قال أبو جعفر: وحدثني أبو الحسن الخراساني، عن أبي حماد السلمي قال: أقام ابن خازم بهراة يقاتل أوس بن ثعلبة أكثر من سنة، فقال يوماً لأصحابه: قد طال مقامنا على هؤلاء، فنادوهم: يا معشر ربيعة، إنكم قد اعتصمتم بخندقكم، أفرضيت من خراسان بهذا الخندق! فاحفظهم ذلك، فتنادى الناس للقتال، فقال لهم أوس بن ثعلبة: الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلوهم، ولا تخرجوا إليهم بجماعتكم، قال: فغصوه وخرجوا إليهم، فالتقى الناس، فقال ابن خازم لأصحابه: اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب، فإن قتلت فأمركم شماس بن دثار العطاردي، فإن قتل فأمركم بكير بن وشاح الثقفي.

قال علي: وحدثنا أبو الذئيل زهير بن هنيد، عن أبي نعام

خراسان من بكر بن وائل، فكان لهم بها جمع كثير عليهم أوس بن ثعلبة، قال: فقالوا له: نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم، وتخرج مضر من خراسان كلها، فقال لهم: هذا بغي، وأهل البغي مخذولون، أقيموا مكانكم هذا، فإن ترككم ابن خازم - وما أراه يفعل - فارضوا بهذه الناحية، وخلصوه وما هو فيه، فقال بنو صهيب - وهم موالى بني جحدر: لا والله لا نرضي أن نكون نحن ومضر في بلد، وقد قتلوا ابني مرثد، فإن أجبتنا إلى هذا وإلا أمرنا علينا غيرك، قال: إنما أنا رجل منكم، فاصنعوا ما بدا لكم، فبايعوه، وسار إليهم ابن خازم، واستخلف ابنة موسى، وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هراة، قال: فقال البكريون لأوس: اخرج فخذق خندقاً دون المدينة فقاتلهم فيه، وتكون المدينة من ورائنا، فقال لهم أوس: الزموا المدينة فإنها حصينة، واخلوا ابن خازم ومنزله الذي هو فيه، فإنه إن طال مقامه ضجر فأعطاكم ما ترضون به، فإن اضطربتم إلى القتال قاتلتهم، فأبوا وخرجوا من المدينة فخذقوا خندقاً دونها، فقاتلهم ابن خازم نحواً من سنة.

قال وزعم الأحنف بن الأشهب الضبي، وأخبرنا أبو الذئيل زهير بن الهنيد، سار ابن خازم إلى هراة وفيها جمع كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم، وتعاقدوا على إخراج مضر إن ظفروا بخراسان، فنزل بهم ابن خازم، فقال له هلال الضبي أحد بني ذهل، ثم أحد بني أوس: إنما تقاتل إخوانك من بني أبيك، والله إن نلت منهم فما تريد ما في العيش بعدهم من خير، وقد قتلت بمرور الروذ منهم من قتلت، فلو أعطيتهم شيئاً يرضون به، أو أصلحت هذا الأمر! قال: والله لو خرجت لهم عن خراسان ما رضوا به، ولو استطاعوا أن يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم، قال: لا، والله لا أرمي معك بسهم، ولا رجل يطيعني من خندق حتى تعذر إليهم، قال: فأنت رسولي إليهم فأرضهم، فأني هلال إلى أوس بن ثعلبة فناشده الله والقراية، وقال: أذكرك الله في نزار أن تسفك دماءها، وتضرب بعضها ببعض! قال: لقيت بني صهيب؟ قال: لا والله، قال: فالتهم، فخرج فلقي أرقم بن مطرف الحنفي، وضمضم بن يزيد - أو عبد الله بن ضمضم بن بكر يزيد - وعاصم بن الصلت بن الحريث الحنفيين، وجماعة من بكر بن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوساً، فقالوا: هل لقيت بني صهيب؟ فقال: لقد عظم الله أمر بني صهيب عندكم، لا لم ألهم، قالوا: القهم، فأني بني صهيب فكلهم، فقالوا: لولا أنك رسول لقتلتك، قال: أفما يرضيكم شيء؟ قالوا: واحدة من اثنتين، إما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعو فيها لمضر داع، وإما أن تقيموا وتزولوا لنا عن كل كراع وسلاح وذهب وفضة، قال: أفما شيء غير هاتين؟ قالوا: لا، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل!



العدوي عن عبيد بن نقيد، عن إياس بن زهير بن حيان: لما كان

اليوم الذي هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر بن خازم بيكر بن

وائل، قال ابن خازم لأصحابه حين التقوا: إنني قلع، فشدوني على السرج، واعلموا أن علي من السلاح ما لا أقتل قدر جزر جزورين، فإن قيل لكم: إنني قد قتلت فلا تصدقوا. قال: وكانت راية بني عدي مع أبي وأنا على فرس عزم، وقد قال لنا ابن خازم: إذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها، فإنه لن يطعن فرس في غرته إلا أدبر أو رمى بصاحبه، فلما سمع فرسي قعقة السلاح وثب بي وادياً كان بيني وبينهم، قال: فتلقاني رجل من بكر بن وائل فطعن فرسه في غرته، فصرعه، وحمل أبي بيبي عدي، واتبعته بنو نعيم من كل وجه، فاقتلوا ساعة، فانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا إلى خندقهم وأخذوا يميناً وشمالاً، وسقط ناس في الخندق فقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات، وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسير إلا قتله حتى تغيب الشمس، فكان آخر من أتى به رجل من بني حنيفة يقال له محمية فقالوا لابن خازم: قد غابت الشمس، قال: وفوا به القتل، فقتل.

قال: فأخبرني شيخ من بني سعد بن زيد مناة أن أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحات إلى سجستان، فلما صار بها أو قريباً منها مات.

وفي مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حنبل، أحد بني ربيعة بن حنظلة:

وفي الحرب كنتم في خراسان كلها قتيلاً ومسجوناً بها ومسيراً  
ويوم احتواكم في الحفير ابن خازم فلم تجدلوا إلا الخنادق مقبراً  
ويوم تركم في الغبار ابن مرثد وأوساً تركم حيث سار وعسكراً  
قال: وأخبرني أبو الذيال زهير بن هنيد، عن جده أبي أمه، قال: قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف.

قال: وحدثننا التيمي، رجل من أهل خراسان، عن مولى لابن خازم، قال: قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل، وظفر بهراة، وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هراة، واستعمل عليها ابنه محمداً، وضم إليه شماس بن دثار العطاردي، وجعل بكير بن وشاح على شرطته، وقال لهما: ربياه فإنه ابن اختكما، فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفية، وقال له: لا تحالفهما، ورجع ابن خازم إلى مرو.

ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، واتعدوا الاجتماع بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل

قال هشام بن محمد: حدثنا أبو غنخف، قال: حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي، قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصره وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، وراوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وال التيمي، وإلى رفاعه بن شداد البجلي.

ثم إن هؤلاء نفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم.

قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام، فنكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال.

أما بعد، فإننا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً: «أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَذْكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ»، فإن أمير المؤمنين قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا، حتى بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا ﷺ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه، وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بالسنتا، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصره إلى عشائرننا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا ﷺ وقد قتل فينا ولده وحبيبه، وذريته ونسله! لا والله، لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بأمن. أيها القوم، ولوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فبدر القوم رفاعه بن شداد بعد المسيب الكلام، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أما بعد،

لو قد دعيتم إلى مثل ما دعي القوم إليه! اشحذوا السيوف، وركبوا الأسنة، **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾**، حتى تدعوا حين تدعون وتستنفرون.

قال: فقام خالد بن سعد بن نفيل، فقال: أما أنا فوالله لو أعلم أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي ربي لقتلتها، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه، فأشهدوا الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين، أقويهم به على قتال القاسطين.

وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال: وأنا أشهدكم على مثل ذلك.

فقال سليمان بن صرد: حسبكم، من أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل، فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجهم من أموالكم جهزنا به ذوي الخلعة والمسكنة من أشياعكم.

قال أبو مخنف لوط بن يحيى، عن سليمان بن أبي راشد، قال: فحدثنا حميد بن مسلم الأزدي أن سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له: والله لو علمت أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه، قال: أخوكم هذا غداً فريس أول الأسنة، قال: فلما تصدق بماله على المسلمين قال له: أبشر بمزيل ثواب الله للذين لأنفسهم يمهدون.

قال أبو مخنف: حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال: أخذت كتاباً كان سليمان بن صرد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن، فقرأته زمان ولي سليمان، قال: فلما قرأته أعجبني، فتعلمته فما نسيت، كتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين. سلام عليكم، أما بعد، فإن الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً، وأقبل منها ما كان منكراً، وأصبحت قد تشنأت إلى ذوي الألباب، وأزعم بالترحال منها عباد الله الأخيار، وياعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بمزيل مثوبة عند الله لا تقنى. إن أولياء من إخوانكم، وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب، ودعا فلم يجيب، وأراد الرجعة فحبس، وسأل الأمان فمنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً وغرة بالله وجهلاً، وبعين الله ما يعملون، وإلى الله ما يرجعون، **﴿وَسِعِلَّمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آيٌ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**، فلما نظروا إخوانكم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا قد خطنوا بخذلان الزكي الطيب وإسلامه وترك مواساته، والنصر له خطأ

فإن الله قد هداك لأصوب القول، ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه ﷺ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك، مستجاب لك، مقبول قولك، قلت: ولما أمركم رجلاً منكم تفزعون إليه، وتحفون برايته، وذلك رأيي قد رأينا مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفينا متصحاً، وفي جماعتنا عباً، وإن رأيت رأي أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله ﷺ، وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه، والموثوق بجزمه. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

قال: ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد، فحمدا ربهما وأثني عليه، وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد، فذكرنا المسيب بن نجبة بفضلته، وذكرنا سليمان بن صرد بسابقتها، ورضاهما بتوليته، فقال المسيب بن نجبة: أصبتم ووفقتهم، وأنا أرى مثل الذي رأيتم، فولوا أمركم سليمان بن صرد.

قال أبو مخنف: فحدثت سليمان بن أبي راشد بهذا الحديث، فقال: حدثني حميد بن مسلم، قال: والله إني لشاهد بهذا اليوم، يوم ولوا سليمان بن صرد، وإن يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة وجوههم في داره.

قال: فتكلم سليمان بن صرد فشد، وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته، بدأ فقال: انني على الله خيراً، أحمد آلاؤه وبلاءه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسوله، أما بعد، فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونتميم النصر، ونغتهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا، وادهنا، وتربصنا، وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتته وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ فلا يصرخ، ويسأل النصف فلا يعطاه، واتخذ الفاسقون غرضاً للنبيل، وذرية للرماح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه. ألا انهضوا فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما اظنه راضياً دون أن تنأجروا من قتله، أو تبروا. ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل، كونوا كالأول من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم: **﴿إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ تَتَوَبَّعُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾**، فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم

ونقاتل معهم، وراينا في ذلك مثل رأيهم.

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي ثم الحزمري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإننا قد أجبنا إخواننا إلى ما دعونا إليه، وقد راينا مثل الذي قد رأوا، فسرحتي إليهم في الخيل، فقال له: رويداً، لا تعجل، استعدوا للعدو، وأعدوا له الحرب، ثم سير وتسرون.

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمان إلى سليمان بن صرد مع عبد الله بن مالك الطائي.

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى سليمان بن صرد، من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين، سلام عليكم، أما بعد، فقد قرأنا كتابك، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأى الملا من إخوانك، فقد هديت لحظك، ويسرت لرشدك، ونحن جادون مجدون، معدون مسرجون ملجمون ننظر الأمر، ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريح أقبلنا ولم نخرج إن شاء الله، والسلام. فلما قرأ كتابه سليمان بن صرد قرأه أصحابه، فسروا بذلك.

قالوا: وكتب إلى المثني بن مخزبة العبدي نسخة الكتاب الذي كان كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظبيان بن عمارة التميمي من بني سعد، فكتب إليه المثني: أما بعد، فقد قرأت كتابك، وأقرأت إخوانك، فحمدوا رأيك، واستجابوا لك، فنحن موافقك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الوطن الذي ذكرت، والسلام عليك. وكتب في أسفل كتابه: تبصر كائي قد أثبتك معلماً على أتلح الهادي أجش هزيم طويل القرا نهدي الشواة مقلص ملح على فأس اللجام أزوم بكل فتى لا يملأ الروع نحره محس لعض الحرب غير سؤوم أخي ثقة ينوي الإله بسعيه ضروب بنصل السيف غير أئيم

قال أبو مخنف لوط بن يحيى، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن سعد بن نفيل، قال: كان أول ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام، فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال، ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين، فكان يجيهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر.

فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام، وهلك يزيد وأمير العراق عبيد الله بن زياد، وهو بالبصرة، وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث

كبيراً ليس لهم منه مخرج ولا توبة، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفتى على ذلك أرواحهم، فقد جد إخوانكم فجدوا، وأعدوا واستعدوا، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، وموطناً يلقوننا فيه، فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة وإخواناً، وإلا وقد راينا أن ندعوكم إلى هذه الأمر الذي أراد به الله إخوانكم فيما يزعمون، ويظهرون لنا أنهم يتوبون، وإنكم جدرءا بتطلاب الفضل، والتماس الأجر، والتوبة إلى ربكم من الذنب، ولو كان في ذلك حز الرقاب، وقتل الأولاد، واستيفاء الأموال، وهلاك العشائر، ما ضر أهل عذراء الذين قتلوا إلا يكونوا اليوم أحياء عند ربهم يرزقون، شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين - يعني حجباً وأصحابه - وما ضر إخوانكم المقتلين صبراً، المصلين ظلماً، الممثل بهم، والمتندي عليهم، إلا يكونوا أحياء مبتلين بمخاطياكم، قد خير لهم فلقوا ربهم، ووفاهم الله إن شاء الله أجرهم، فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضراء وحين البأس، وتوبوا إلى الله عن قريب، فوالله إنكم لأحرياء إلا يكون أحد من إخوانكم صبر على شيء من البلاء إرادة ثوابه إلا صبرتم التماس الأجر فيه على مثله، ولا يطلب رضاء الله طالب بشيء من الأشياء ولو أنه القتل إلا طلبتم رضا الله به. إن التقوى أفضل الزاد في الدنيا، وما سوى ذلك يبور ويفنى، فلتعزف عنها أنفسكم، ولتكن رغبتكم في دار عافيتكم، وجهاد عدو الله وعدوكم، وعدو أهل البيت نبيكم حتى تقدموا على الله تائبين راغبين، أحيانا الله وإياكم حياة طيبة، وأجارنا وإياكم من النار، وجعل منايانا قتلاً في سبيله على يدي أبغض خلقه إليه وأشداهم عداوة له، إنه التقدير على ما يشاء، والصانع لأوليائه في الأشياء، والسلام عليكم.

قال: وكتب ابن صرد الكتاب وبعث به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائي، فبعث به سعد حين قرأ الكتابة إلى من كان بالمدائن من الشيعة، وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبتهم فآوطنوها وهم يقدمون الكوفة في كل حين عطاء ورزق، فيأخذون حقوقهم، وينصرفون إلى أوطانهم، فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد. ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين وقتال عدوه، فلم يفجاكم أول من قتله، والله مثيبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة، وقد بعث إليكم إخوانكم يستجدونكم ويستمدونكم، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون؟ فقال القوم بأجمعهم: نحبيهم

التوبة، ويقبل العشرة، إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته، وإلى جهاد المحلين والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا.

قال: وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا.

قال: وثب الناس على عمرو بن حريث عند هلاك يزيد بن معاوية، فأخرجوه من القصر، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي.

وهو دحرجة الجعل الذي قال له ابن همام السلولي: أشدد يدك يزيد إن ظفرت به واشف الأرامل من دحرجة الجعل وكان كانه إيهام قصرأ، وزيد مولاه وخازنه، فكان يصلي بالناس وبائع لابن الزبير، ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية أسرع منهم قبل ذلك، فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية، قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة، فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة. قال: وقدم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي من قبل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على حربها وثغرها، وقدم معه من قبل ابن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميراً على خراج الكوفة، وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين.

قال: وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بشمانية أيام، ودخل المختار الكوفة، وقد اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة، قد انقادوا له واجتمعوا عليه، فأخذ يقول للشيعة: إني قد جتكم من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية مؤتمناً مأموناً، متجنباً ووزيراً، فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت إليه طائفة تعظمه وتحببه، وتنتظر أمره، وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد، فسليمان أثقل خلق الله على المختار.

وكان المختار يقول لأصحابه: أندرون ما يريد هذا؟ يعني سليمان بن صرد - إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، ليس له بصير بالحروب، ولا له علم بها.

قال: وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني عبد

المخزومي، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة، فقالوا: قد مات هذا الطاغية، والأمر الآن ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر، ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين، وتبعنا قتله، ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم، فقالوا في ذلك فأكثروا، فقال لهم سليمان بن صرد: رويدا، لا تعجلوا، إني قد نظرت فيما تذكرون، فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة، وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون، وعلموا أنهم المطالبون، كانوا أشد عليكم. ونظرت فيمن تبغي منكم فعلتم أنهم لو خرجوا لم يتركوا ثأرهم، ولم يشفوا أنفسهم، ولم ينكوا في عدوهم، وكانوا لهم جزراً، ولكن بثوا دعائكم في مصر، فادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم، فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا. وخرجت طائفة منهم دعاء يدعون الناس، فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثنا الحصين بن يزيد، عن رجل من مزينة قال: ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المري في منطق ولا عظة، وكان من دعاء أهل مصر زمان سليمان بن صرد، وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يقول: أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه بنبوته، وخصه بالفضل كله، وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به، فحقن به دماءكم المسفوك، وأمن به سبلكم المخوفة، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيه؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسوله؟ لا والله، ما كان ولا يكون. لله أنتم! ألم تتروا ويبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نبيكم! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة، واستضعافهم وحدته، وترميلهم إياه بالدم، وتجراهموه على الأرض! لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول ﷺ، اتخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضباع جزراً، فله عيناً من رأى مثله! والله حسين بن علي، ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم! ابن أول المسلمين إسلاماً، وابن بنت رسول رب العالمين، قلت حماته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه. فويل للقاتل، وملامة للخاذل! إن الله لم يجعل لقائله حجة، ولا لحاذله معذرة، إلا أن ينصح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ القاسطين، فعسى الله عند ذلك أن يقبل

الله بن يزيد الأصاري فقال: إن الناس يتحدثون أن هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد، ومنهم طائفة أخرى مع المختار، وهي أقل الطائفتين عدداً، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان بن صرد، وقد اجتمع له أمره، وهو خارج من أيامه هذه، فإن رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس، ثم تنهض إليهم، ونهض معك، فإذا دفعت إلى منزله دعوته، فإن أجابك فحسبه، وإن قاتلك قاتلته، وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر، فإني أخاف عليك إن هو بدأك وأقررت حتى يخرج عليك أن تشتد شوكته، وأن يتفاقم أمره.

فقال عبد الله بن يزيد: الله بيننا وبينهم، إن هم قاتلونا قتلناهم، وإن تركونا لم نطلبهم، حدثني ما يريد الناس؟ قال: يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي، قال: فأنا قتلت الحسين! لعن الله قاتل الحسين! قال: وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يشبوا بالكوفة، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر، ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو؟ فقبل لي: زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي، فرحم الله هؤلاء القوم، قد والله دلت على أمكانهم، وأمرت بأخذهم، وقيل: إبداهم قبل أن يبدؤوك، فأبيت ذلك، فقلت: إن قاتلوني قاتلتهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلام يقاتلونني! فوالله ما أنا قتلت حسينا، ولا أنا من قاتله، ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه! فإن هؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا وليتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين، وقاتل خياركم وأماثلكم، قد توجه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم، فيقتل بعضكم بعضاً، ويسفك بعضكم دماء بعض، فيلقاكم ذلك العدو غداً وقد رققتم، وتلك والله أمانة عدوكم، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم، من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين، لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين، هو الذي قتلكم، ومن قبله أتيتم، والذي قتل من تشأرون بدمه، قد جاءكم فاستقبلوه بمحدم وشوكتكم، واجعلوها به، ولا تجعلوها بأنفسكم، إني لم ألكم نصحاً، جمع الله لنا كلمتنا، وأصلح لنا أمتنا!

قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيها الناس، لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن المودع، والله لئن خرج علينا خارج لنقتله، ولئن استقين أن قوماً يريدون الخروج

علينا لناخذن الوالد بولده، والمولود بوالده، ولناخذن الحميم بالحميم، والعريف بما في عرافته حتى يدبنا للحق، ويدلوا للطاعة، فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال: يا ابن الناكثين، أنت تهددنا بسيفك وغشمك! أنت والله أذل من ذلك، إنا لا نلومك على بغضنا، وقد قتلنا أباك وجدك، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر حتى يثبثوا بك جدك وأباك، وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولاً سديداً، وإني والله لأظن من يريد هذا الأمر مستصحاً لك، وقابلاً قولك.

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: إي والله، ليقتلن وقد أدهن ثم أعلن فقام إليه عبد الله بن وال التيمي، فقال: ما اعتراضك يا أخا بني تميم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمر، ولا لك علينا سلطان، إنما أنت أمير الجزية، فأقبل على خراجك، فلعمري الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة سوء.

قال: ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامة محموداً وأن تكون عند الذي عنيت واعتريت مقبولاً. فغضب أناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فتشاققوا دونه، فشتهم الناس وخصموهم. فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة، والله لأكتن بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأتى شبت بن ربعي التيمي عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذي سمعت إلا العافية وصلاح ذات البين، إنما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا، فرأيت أن أقوم فيهم بما سمعت إرادة ألا تختلف الكلمة، ولا تتفرق الألفة، والا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم، فعذرهم وقبل منه.

قال: ثم إن أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهزون يجاهرون بجاهزم وما يصلحهم.

### ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن غمير السكوني، فصاروا إلى البصرة، ثم افرقت كلمتهم فصاروا أحزاباً.

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من

أجله فارقه والذي من أجله افترقت كلمتهم..

عن قبيصة بن عبد الرحمن القحافي، من خشم، قال: أنا والله شاهد عبيدة بن هلال، إذ تقدم فتكلم، فما سمعت ناطقاً قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولاً منه، وكان يرى رأي الخوارج. قال: وإن كان ليجمع القول الكثير في المعنى الخطير، في اللفظ اليسير.

قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً ﷺ يدعو إلى عبادة الله، وإخلاص الدين، فدعا إلى ذلك، فأجاباه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله وأمره، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه، واستخلف الناس أباً بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله، فالحمد لله رب العالمين.

ثم إن الناس استخلفوا عثمان بن عفان، فحمى الأحماء، وآثر القربى، واستعمل الفتى ورفع الدرة، ووضع السوط، ومزق الكتاب، وحقر المسلم وضرب منكري الجور وآوى طريد الرسول ﷺ، وضرب السابقين بالفضل، وسيرهم وحرّمهم، ثم أخذ فيء الله الذي أفاءه عليهم قسمه بين فساق قريش، ومجان العرب، فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله مشاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولياء، ومن ابن عفان وأوليائه برآء، فما تقول أنت يا ابن الزبير؟ قال: فحمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فقد فهمت الذي ذكرت، وذكرت به النبي ﷺ، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أباً بكر وعمر، وقد وفقت وأصبت، وقد فهمت الذي ذكرت به عثمان بن عفان رحمه الله عليه، وإنّي لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني، كنت معه حيث نقم القوم عليه، واستعبوه فلم يدع شيئاً استعبه القوم فيه إلا أعطيهم منه. ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم: ما كتبته، فإن شئتم فهاؤا بيتكم، فإن لم تكن حلفت لكم، فوالله ما جاؤوه بيته، ولا استحلفوه. ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبته به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر أني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه، قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله، قال: فبرئ الله منكم يا أعداء الله.

وتفرق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفار السعدي من بني صريم بن معاص، وعبد الله بن إياض أيضاً من بني صريم، وحنظلة بن يهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعبيد الله، والزبير، من بني سليط بن يربوع، حتى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوت من بني زمان بن مالك بن صعب بن

حدثت عن هشام بن محمد الكلبي، عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال: حدثني أبو المخارق الراسبي، قال: لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبي بلال ما ركب، وقد كان قبل ذلك لا يكف عنهم ولا يستقيهم غير أنه بعد قتل أبي بلال تجرد لاستصالحهم وهلاكهم، واجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة، وسار إليه أهل الشام، فتذاكروا ما أتى إليهم، فقال لهم نافع بن الأزرق: إن الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم فيه الجهاد، واحتج عليكم بالبيان، وقد جرد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدا والغشم، وهذا من قد ثار بمكة، فاسخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل، فإن يكن على رأينا جاهداً معه العدو، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله ابن الزبير، فسر بمقدمهم، ونبأهم أنه على رأيهم، وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية، وانصرف أهل الشام عن مكة. ثم إن القوم لقي بعضهم بعضاً، فقالوا: إن هذا الذي صنعتم أمس بغير رأي ولا صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم، إنما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادي: يال ثارات عثمان! فأتوه وسلوه عن عثمان، فإن برئ منه كان وليكم، وإن أبى كان عدوكم فمشوا نحوه فقالوا له: أيها الإنسان، إنا قد قاتلنا معك، ولم نفتشك عن رأيك حتى نعلم أمنا أنت أم من عدونا! خبرنا ما مقاتلك في عثمان؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قليل، فقال لهم: إنكم أتيتوني فصادقتموني حين أردت القيام، ولكن روحوا إليّ العشية حتى أعلمكم من ذلك الذي تريدون. فانصرفوا، وبعث إلى أصحابه فقال: البسوا السلاح، واحضروني بأجمعكم العشية، ففعلوا، وجاءت الخوارج، وقد أقام أصحابه حوله سباطين عليهم السلاح وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة، فقال ابن الأزرق لأصحابه، خشي الرجل غائلتكم، وقد أزمع بخلافكم واستعد لكم، ما ترون؟.

فدنا منه ابن الأزرق، فقال له: يا ابن الزبير، اتق الله ربك، وأبغض الخائن المستأثر، وعاد أول من سن الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، فإنك إن فعلت ذلك ترض ربك، وتنج من العذاب الأليم نفسك، وإنى تركت ذلك فأت من الذين استمتعوا بخلافهم، وأذهبوا في الحياة الدنيا طيباتهم.

يا عبيدة بن هلال، صف لهذا الإنسان ومن معه أمرنا الذي نحن عليه، والذي ندعوا الناس إليه، فتقدم عبيدة بن هلال.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثني أبو علقمة الخثعمي،

احتج الله علينا بمعرفة هذا، وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم، ولا نكتف ما أنزل الله والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ تَحْتِ مَا يَنشَأُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، فاستجاب له إلى هذا الرأي جميع أصحابه.

فكتب: من عبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفار وعبد الله بن إياض ومن قبلهما من الناس. سلام على أهل طاعة الله من عباد الله، فإن من الأمر كيت وكيت، فقصر هذه القصة، ووصف هذه الصفة، ثم بعث بالكتاب إليهما. فأتيا به، فقرأ عبد الله بن صفار، فأخذه فوضعه خلفه، فلم يقرأه على الناس خشية أن يفرقوا ويختلفوا، فقال له عبد الله بن إياض: ما لك لله أبوك! أي شيء أصبت! أن قد أصيب لإخواننا، أو أسر بعضهم! فدفع الكتاب إليه فقرأه، فقال: قاتله الله! أي رأي رأي! صدق نافع بن الأزرق، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبي ﷺ في المشركين، ولكنه قد كذب وكذبت فيما يقول، إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم برآء من الشرك، ولا تحمل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام، فقال ابن صفار: برى الله منك، فقد قصرت، وبرى الله من ابن الأزرق فقد غلا، برى الله منكما جميعا، وقال الآخر: برى الله منك ومنه.

وتفرق القوم، واشتدت شوكة ابن الأزرق وكثرت جموعه، وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة.

### ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

قال أبو جعفر: وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة. ذكر الخبر عن سبب مقدمه إليها.

قال هشام بن محمد الكلبي: قال أبو مخنف: قال النضر بن صالح: كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط، فحمل إلى أبيض المدائن، حتى إذا كان زمن الحسين، وبعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة، نزل دار المختار، وهي اليوم دار سلم بن المسيب فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة، وناصحه ودعا إليه من أطاعة، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج المختار في قرية له بمخزن تدعى لقفا، فجاءه خبر ابن عقيل

علي بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فديك من بني قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود الشكري إلى البمامة، فوثبوا بالبيمامة مع أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الخنفي، فاما البصريون منهم فإنهم قدموا البصرة وهم مجمعون على رأي أبي بلال.

قال هشام: قال أبو مخنف لوط بن يحيى: فحدثني أبو المثني، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة، أنهم اجتمعوا فقالت العامة منهم: لو خرج منا خسارجون في سبيل الله، فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا، فيقوم علمائنا في الأرض فيكونون مصاييح الناس يدعونهم إلى الدين، ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب، فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء.

فانتدب لها نافع بن الأزرق، فاعتقد على ثلثمائة رجل، فخرج، وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد، وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها واشتغال الناس بقتال الأزد وربيعة وبني غنيم وقيس في دم مسعود بن عمرو، فاستغتمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض، فتهيؤوا واجتمعوا، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلي بهم، وخرج ابن زياد إلى الشام، واصطلحت الأزد وبني غنيم، فتجرد الناس للخوارج، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقي منهم البصرة، فلحق بابن الأزرق، إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك، منهم عبد الله بن صفار، وعبد الله بن إياض، ورجال معهم على رأيهما. ونظر نافع بن الأزرق ورأى أن ولاية من تخلف عنه لا تنبغي، وأن من تخلف عنه لا نجا له، فقال لأصحابه: إن الله قد أكرمكم بمخرجكم وبصركم ما عمي عنه غيركم، أستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعتي وأمره! فأمره لكم قائد، والكتاب لكم إمام، وإنما تتبعون سنته وأثره، فقالوا: بلى، فقال: اليس حكمكم في وليكم حكم النبي ﷺ في وليه، وحكمكم في عدوكم حكم النبي صلى الله عليه وآله في عدوكم، وعادوكم اليوم عدو الله وعدو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أن عدو النبي ﷺ يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم! فقال: نعم، قال: فقد أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾، فقد حرم الله ولايتهم، والمقام بين أظهرهم، وإجازة شهادتهم، وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم، ومناكحتهم، وموارثهم، وقد

مع زائدة إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فإن عبيد الله بن زياد حبس المختار، وهو صهري، وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله، فإن رأيت رحمنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخليته ففعلت. والسلام عليك.

فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام، فلما قرأه ضحك ثم قال: يشفع أبو عبد الرحمن، وأهل ذلك هو. فكتب له إلى ابن زياد: أما بعد، فخل سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي، والسلام عليك.

فأقبل به زائدة حتى دفعه، فدعا ابن زياد بالمختار، فأخرجه، ثم قال: له قد أجلتك ثلاثاً، فإن أدركتك بالكوفة بعدها قد برئت منك الذمة. فخرج إلى رحله. وقال ابن زياد: والله لقد اجترأ علي زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتي بالكتاب في تخليه رجل قد كان من شائي أن أطيل حبسه، علي به. فمر به عمرو بن نافع أبو عثمان - كاتب لابن زياد - وهو يطلب، وقال له: النجاء بنفسك، واذكرها يداً لي عندك.

قال: فخرج زائدة، فتوارى يومه ذلك. ثم إنه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شور الدهلي، ومسلم بن عمرو الباهلي، فأخذاه من ابن زياد الأمان.

قال هشام: قال أبو مخنف: ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز، قال: فحدثني الصقعب بن زهير، عن ابن العرق، مولى لثقيف. قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد، فلما استقبلته رحبت به، وعظفت إليه، فلما رأيت شتر عينه استرجعت له، وقلت له بعد ما توجهت له: ما بال عينك، صرف الله عنك السوء! فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى. فقلت له: ما له شلت أنامله! فقال المختار: قتلي الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضائه إرباً إرباً، قال: فعجبت لمقاتته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك الله؟ فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه.

قال: ثم طفق يسألني عن عبد الله بن الزبير، فقلت له: لجأ إلى البيت، فقال: إنما أنا عائد برب هذه البنية، والناس يتحدثون أنه يبايع سراً، ولا أراه إلا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال إلا سيظهر الخلاف، قال: أجل، لا شك في ذلك، أما إنه رجل العرب اليوم، أما إنه إن يخطط في أثري، ويسمع قولي أكفه أمر الناس، وإلا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب، يا ابن العرق، إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت، وكان قد أبعث فوطث في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل:

عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة، فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه، إنما خرج حين قيل له: إن هانئ بن عروة المرادي قد ضرب وحبس، فأقبل المختار في موال له حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب، وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حريث راية على جميع الناس، وأمره أن يقعد لهم في المسجد، فلما كان المختار وقف على باب الفيل مر به هانئ بن أبي حية الوداعي، فقال للمختار: ما وقوفك ها هنا! إلا أنت مع الناس، ولا أنت في رحلك، قال: أصبح رأيي مرتجأ لعظم خطيتكم، فقال له: أظنك والله قاتلاً نفسك، ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما رد عليه المختار.

قال أبو مخنف: فأخبرني النضر بن صالح، عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي، قال: كنت جالساً عند عمرو بن حريث حين بلغه هانئ بن أبي حية عن المختار هذه المقالة، فقال لي: قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدري أين هو! فلا يجعلن على نفسه سبيلاً، فمقت لآتيه، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود، فقال له: يأتيك على أنه آمن؟ فقال له عمر بن حريث: أما مني فهو آمن، وإن رقي إلى الأمير عبيد الله بن زياد شيء من أمره أقمت له بمحضرة الشهادة، وشفعت له أحسن الشفاعة، فقال له زائدة بن قدامة: لا يكونن مع هذا إن شاء الله إلا خير.

قال عبد الرحمن: فخرجت، وخرج معي زائدة إلى المختار، فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث، وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلاً، فنزل إلى ابن حريث، فسلم عليه، وجلس تحت رايته حتى أصبح، وتذكر الناس أمر المختار وفعله، فمشى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد، فذكر له، فلما ارتفع النهار فتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد الله، فقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقييل! فقال له: لم أفعل، ولكي أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث، وبنت معه وأصبحت، فقال له عمرو: صدق أصلحك الله قال: فرفع القضيب، فأعرض به وجه المختار فخط به عينه فشرتها وقال: أولى لك! أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، انطلقوا به إلى السجن فانطلقوا به، فحبس فيه فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين، ثم إن المختار بعث إلى زائدة بن قدامة، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية، فيكتب إلى عبيد الله بن زياد بتخليه سبيله، فركب زائدة إلى عبد الله بن عمر فقدم عليه، فبلغه رسالة المختار، وعلمت صفية أخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر، فبككت وجزعت، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب



بعد إذ رأيته عندك بشهر أو شهرين، فلبث بالمدينة أشهراً، ثم إنني قدمت عليك، فسمعت نقرأ من أهل الطائف جاؤوا معتمرين يزعمون أنه قدم عليهم الطائف، وهو يزعم أنه صاحب الغضب، ومير الجبارين، قال: قاتله الله! لقد اتبعث كذاباً متكهنًا، إن الله إن يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم. فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من منطلقنا حتى عن لنا في جانب المسجد، فقال ابن الزبير: اذكر غائباً تره، أين تظنه يهوي؟ فقلت: أظنه يريد البيت، فأتى البيت فاستقبل الحجر، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم صلى ركعتين عند الحجر، ثم جلس، فما لبث أن مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز، فجلسوا إليه، واستبطا ابن الزبير قيامه إليه، فقال: ما ترى شأنه لا يأتينا! قلت: لا أدري، وساعلم لك علمه، فقال: ما شئت، وكان ذلك أعجبه.

قال: فمقت فعمرت به كاني أريد الخروج من المسجد، ثم التفت إليه، فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه، ثم جلست إليه وأخذت بيده، فقلت له: أين كنت؟ وأين بلغت بعدي؟ أبا الطائف كنت؟ فقال لي: كنت بالطائف وغير الطائف، وعمس عليّ أمره، فملت إليه، فناجيتيه، فقلت له: مثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف! لم يبق أهل بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل، فعجباً لك ولرايك ألا تكون أنتيه فبايعته، وأخذت يحظك من هذا الأمر! فقال لي: وما رأيتي؟ أنتيه العام الماضي، فأشرت عليه بالراي، فطوى أمره دوني، وإنني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أنني مستغن عنه، إنه والله هو أحوج إلي مني إليه، فقلت له: إنك كلمته بالذي كلمته وهو ظاهر في المسجد، وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون إلا والستور دونه مرخاة والأبواب دونه مغلقة، القه الليلة إن شئت وأنا معك، فقال لي: فإني فاعل إذا صلينا العتمة اثنياء، واتعدنا الحجر.

قال: فنهضت من عنده، فخرجت ثم رجعت إلى ابن الزبير، فأخبرته بما كان من قولي ووقوله، فسر بذلك، فلما صلينا العتمة، التقينا بالحجر، ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير، فاستاذنا عليه، فأذن لنا، فقلت: أخليكما؟ فقالا جميعاً: لا سر دونك، فجلست، فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده، فصافحه ورحب به، فسأله عن حاله وأهل بيته، وسكتا جميعاً غير طويل.

فقال له المختار وأنا أسمع بعد أن تبدأ في أول منطق، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه لا خير في الإكثار من المنطق، ولا في التقصير عن الحاجة، إنني قد جئتكم لأبابعك على ألا

إن المختار في عصائبه من المسلمين، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف، سيد المسلمين، وابن سيدها، الحسين بن علي، فو ربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام، قال: فقلت له: سبحان الله! وهذه أعجوبة مع الأحداث الأولى، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرك راحلته، فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة، وحسن الصحابة. قال: ثم إنه واقف فأقسم علي لما انصرفت، فأخذت بيده! فودعته، وسلمت عليه، وانصرفت عنه، فقلت في نفسي: هذا الذي يذكر لي هذا الإنسان - يعني المختار - بما يزعم أنه كائن أشيء حدث به نفسه! فوالله ما أطلع الله على الغيب أحداً، وإنما هو شيء يتمناه فبرى أنه كائن فهو يوجب رايه، فهذا والله الراي الشعاع، فوالله ما كل ما يرى الإنسان أنه كائن يكون، قال: فوالله ما مت حتى رأيته كل ما قاله. قال: فوالله لئن كان ذلك من علم ألقي إليه لقد أثبت له، ولئن كان ذلك رايأ رآه، وشيئاً تمناه، لقد كان.

قال أبو غنخف: فحدثني الصقعب بن زهير، عن ابن العرق، قال: فحدثت بهذا الحديث الحجاج بن يوسف، فضحك ثم قال لي: إنه كان يقول أيضاً:

ورافعة ذبلها وداعية ويلها  
بدجلة أو حولها

فقلت له: أترى هذا شيئاً كان يخترعه، وتخرصاً بتخرصه، أم هو من علم كان أوتيه؟ فقال: والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه، ولكن لله دره أي رجل ديناً، ومسر حرب، ومقارع أعداء كان!

قال أبو غنخف: فحدثني أبو سيف الأنصاري من بني الخزرج، عن عباس بن سهل بن سعد، قال: قدم المختار علينا مكة، فجاء إلى عبد الله بن الزبير وأنا جالس عنده، فسلم عليه، فرد عليه ابن الزبير، ورحب به، وأوسع له، ثم قال: حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق، قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السر أعداء، فقال له ابن الزبير: هذه صفة عبيد السوء، إذا رأوا أربابهم خدومهم وأطاعوهم، فلذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم، قال: فجلس معنا ساعة، ثم إنه مال إلى ابن الزبير كأنه يساره، فقال له: ما تنتظر! ابسط يدك أبايك، وأعطنا ما يرضينا، وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك. وقام المختار فخرج، فلم ير حولاً، ثم إنني بينا أنا جالس مع ابن الزبير إذ قال لي ابن الزبير: متى عهدك بالمختار بن أبي عبيد؟ فقلت له: ما لي به عهد منذ رأيته عندك عاماً أول، فقال: أين تراه ذهب! لو كان بمكة، لقد رثي بها بعد، فقلت له: إنني انصرفت إلى المدينة

فما رأيت أشد منه قط، قال: فلما لنتقاتل إذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشام، فاضطروني وإياه في نحو من سبعين رجلاً من أهل الصبر إلى جانب دار من دور أهل مكة، فقاتلهم المختار يومئذ، وأخذ يقول رجل لرجل:

لا والت نفس امرئ يفسر

قال: فخرج المختار، وخرجت معه، فقلت: ليخرج منكم إلى رجل فخرج رجل وإليه رجل آخر، فمشيت إلى صاحبي فأقتله، ومشى المختار إلى صاحبه فقتله، ثم صحننا بأصحابنا، وشدنا عليهم، فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها، ثم رجعنا إلى صاحبين اللذين قتلنا. قال: فإذا الذي قتل رجل أحر شديد الحمرة كانه رومي، وإذا الذي قتل المختار رجل أسود شديد السواد، فقال لي المختار: تعلم والله إني لأظن قتيلينا هذين عبيدين، ولو أن هذين قتلانا لفجع بنا عشائرننا ومن يرجونا، وما هذان وكلبان من الكلاب عندي إلا سواء. ولا أخرج بعد يومي هذا رجل أبداً إلا لرجل أعرفه، فقلت له: وأنا والله لا أخرج إلا الرجل أعرفه.

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية. وانقضى الحصار. ورجع أهل الشام إلى الشام، واصططح أهل الكوفة على عامر بن مسعود، بعدما هلك يزيد يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه، فلم يلبث عامر إلا شهراً حتى بعث يبعته وبنيته أهل الكوفة إلى ابن الزبير، وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياماً.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: والله إني لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، ونحن نطوف بالبيت. إذ نظر ابن الزبير فإذا هو المختار. فقال لابن صفوان: انظر إليه، فوالله هو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع، قال: فمضى ومضينا معه، فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار، فقال لابن صفوان: ما الذي ذكرني به ابن الزبير؟ قال: فكتمه وقال: لم يذكرك إلا بخير، قال: بلى ورب هذه البنية إن كنت لمن شأنكما، أما الله ليخطن في أثري أو لأقدها عليه سعراً. فأقام معه خمسة أشهر، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة إلا سألته عن حال الناس وهيئتهم.

قال أبو مخنف: فحدثني عطية بن الحارث أبو روق الهمداني، أن هانئ ابن أبي حبة الوادعي قدم مكة يريد عمرة رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم، فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة

تقضي الأمور دوني، وعلى أن أكون في أول من تآذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك. فقال له ابن الزبير: أبابيك على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقال: وشر غلماني أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما لي في هذا الأمر من الحظ ما ليس لأقصى الخلق منك، ولا والله لا أبابيك أبداً إلا على هذه الخصال.

قال عباس بن سهل: فالتقمت أذن ابن الزبير، فقلت له: اشتر منه دينه حتى ترى من رأيك، فقال له ابن الزبير: فإن لك ما سألته، فبسط يده فبايعه، ومكث معه حتى شاهد الحصار الأول حين قدم الحصين بن نمير السكوني مكة، فقاتل في ذلك اليوم، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء، وأعظمهم غناء. فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن غرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، نادى المختار: يا أهل الإسلام، إلي إلي! أنا ابن أبي عبيد ابن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، أنا ابن المقدمين غير المحجمين، إلي يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار. فحمي الناس يومئذ، وأبلى وقاتل قتالاً حسناً.

ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضي من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس، إن ليقاتل حتى يتبلد، ثم يجلس ويحيط به أصحابه، فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشام إلا ضاربهم حتى يكشفهم.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف محمد بن ثابت، عن عباس بن سهل بن سعد، قال: تولى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبد الله بن مطيع وأنا والمختار، قال: فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار.

قال: وقاتل قبل أن يطلع أهل الشام على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالاً شديداً، وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة أربع وستين، وكان أهل الشام قد رجوا أن يظفروا بنا، وأخذوا علينا سكك مكة.

قال: وخرج ابن الزبير، فبايعه رجال كثير على الموت، قال: فخرجت في عصابة معي أقاتل في جانب، والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جمعة من أهل اليمامة في جانب، وهم خوارج، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت، فهم في جانب، وعبد الله بن مطيع في جانب.

قال: فشد أهل الشام علي، فحازوني في أصحابي حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه في مكان واحد، فلم أكن أصنع شيئاً إلا صنع مثله، ولا يصنع شيئاً إلا تكلفت أن أصنع مثله،

ثم دخل المسجد واستشرف له الناس، وقالوا: هذا المختار قد قدم، فقام المختار إلى جنب سارية من سواري المسجد، ف صلى عندها حتى أقيمت الصلاة، ف صلى مع الناس ثم ركد إلى سارية أخرى ف صلى ما بين الجمعة والعصر، فلما صلى العصر مع الناس انصرف.

قال أبو مخنف: فحدثني الجالد بن سعيد عن عامر الشعبي، أن المختار مر على حلقة همدان وعليه ثياب السفر، فقال: أبشروا، فإني قد قدمت عليكم بما يسركم، ومضى حتى نزل داره، وهي الدار التي تدعى دار سلم بن المسيب، وكانت الشيعة تختلف إليها وإليه فيها.

قال أبو مخنف: فحدثني فضيل بن خديج، عن عبيد بن عمرو، وإسماعيل بن كثير من بني هند، قالوا: أتينا من الليل كما وعدنا، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة، فقلنا له: إن الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي، وإنه لن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج قال: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أما بعد، فإن المهدي ابن الوصي، محمد بن علي، يعني إليكم أميناً ووزيراً ومتخباً وأميراً، وأمرني بقتال الملحدين، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء.

قال أبو مخنف: قال فضيل بن خديج: فحدثني عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير، أنهما كانا أول خلق الله إجابة وضرباً على يده، وبإيعاءه. قال: وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد، فيقول لهم: إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الوصي والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتأمم النعماء، إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عظمة من العشم وحش بال، ليس بذئ نجاسة للأموال، ولا له علم بالحروب، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم. إني إنما أعمل على مثال قد مثل لي، وأمر قد بين لي، فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قول، وأطيعوا أمري، ثم أبشروا وتباشروا، فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم. قال: فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة، وكانوا يختلفون إليه ويعظمونه، وينظرون أمره، وعظم الشيعة يومئذ رؤسائهم مع سليمان بن صرد، وهو شيخ الشيعة وأسنتهم، فليس يعدلون به أحداً، إلا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير، فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار، وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره، وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرك، ولا أن يهيج أمراً حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر

من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما، فقال له المختار: أنا أبو إسحاق أنا والله لهم! أنا أجمعهم على مر الحق، وأنفي بهم ركبنا الباطل، وأقتل بهم كل جبار عنيد، فقال له هانئ بن أبي حية: ويحك يا ابن أبي عبيد، إن استطعت ألا توضع في الضلال ليكن صاحبهم غيرك، فإن صاحب الفتنة أقرب شيء أجلاً، وأسوأ الناس عملاً فقال له المختار: إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة، ثم وثب فخرج وركب راحله. فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضي من همدان - وكان من أشجع العرب، وكان ناسكاً فلما التقيا تصافحا وتساءلا، فخبره المختار، ثم قال لسلمة بن مرثد: حدثني عن الناس بالكوفة، قال: هم كفتم ضل راعيها، فقال المختار بن أبي عبيد: أنا الذي أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها، فقال له سلمة: اتق الله واعلم أنك ميت ومبعوث، ومحاسب وعجزى بعلمك إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم افترقا. وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة يوم الجمعة، فنزل فاغتسل فيه، وادهن دهنأ يسيراً، وليس ثيابه واعتم، وتقلد سيفه، ثم ركب راحلته فمر بمسجد السكون وجبانة كندة، لا يمر بمجلس إلا سلم على أهله. وقال: أبشروا بالنصر واليسر والفلاح، أتاكم ما تحبون، وأقبل حتى مر بمسجد بني ذهل وبني حجر، فلم يجد ثم أحداً، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة. فأقبل حتى مر ببني بداء، فوجد عبيدة بن عمرو البدي من كندة، فسلم عليه، ثم قال: أبشروا بالنصر والفلاح، إنك أبا عمرو على رأي حسن، لن يدع الله لك معه مأثماً إلا غفره، ولا ذنباً إلا ستره - قال: وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم، وأشدهم حباً لعلي عليه السلام، وكان لا يصبر عن الشراب - فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة: بشرك الله بخير إنك قد بشرتنا، فهل أنت مفسر لنا؟ قال: نعم، فالقني في الرحل اللية ثم مضى.

قال أبو مخنف: فحدثني فضيل بن خديج، عن عبيدة بن عمرو قال: قال لي المختار هذه المقالة، ثم قال لي: القني في الرحل، وبلغ أهل مسجدهم هذا عني أنهم قوم أخذ الله ميثاقهم على طاعته، يقتلون الحلين، ويطلبون بدماء أولاد النبيين، ويهديهم للنور المبين، ثم مضى فقال لي: كيف الطريق إلى بني هند؟ فقلت له: أنظرنني أدلك، فدعوت بفرسي وقد أسرج لي فركيته، قال: ومضيت معه إلى بني هند، فقال: دلني على منزل إسماعيل بن كثير. قال: فمضيت به إلى منزله، فاستخرجته، فحياه ورحب به، وصافحه وبشره، وقال له: القني أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو فإني قد أتيتكم بكل ما تحبون، قال: ثم مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جهينة الباطنة، ثم مضى إلى باب الفيل، فأناخ راحلته،

وكانت قد مال حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق، فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إبراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد، قال: هدم ابن الزبير البيت حتى سوا بالأرض، وحفر أساسه، وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن الأسود عنده في تابوت في سرقة من حرير، وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجة في خزانة البيت، حتى أعادها لما أعاد بناءه.

قال محمد بن عمر: وحدثني معقل بن عبد الله، عن عطاء، قال: رأيت ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وعلى قضائهما سعيد بن ثمران. وأبى شريح أن يقضي فيها، وقال فيما ذكر عنه: أنا لا أقضي في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعلى قضائهما هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

سليمان، رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة فيكون أقوى له على درك ما يطلب، فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله: إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم، ويذلهم لكم، وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد، وخذلوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فخرجوا إليه في الناس، فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبيداه فاستخرجوه، فلما رأى جماعتهم قال: ما بالكم! فوالله بعدما ظفرت أكفكم! قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله لعبد الله بن يزيد: شدة كثافاً، ومثله حافياً، فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله! ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً، وإنما أخذناه على الظن. فقال له إبراهيم بن محمد: ليس بعشك فادرجي، ما أنت وما يبلغنا عنك يا ابن أبي عبيد! فقال له: ما الذي بلغك عني إلا باطل، وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك!.

قال: قال فضيل: فوالله إنني لأنظر إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له، غير أنني لا أدري أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه، فسكت حين تكلم به، قال: وأتني المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد: ألا تشد عليه القيود؟ فقال: كفى له بالسجن قيداً.

قال أبو مخنف: وأما يحيى بن أبي عيسى فحدثني أنه قال: دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نزوره وتعااهده، فرأيت مقيداً، قال: فسمعت يقول: أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والمهامم والفقار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار بكل لدن خطر، ومهند بشار، في جموع من الأنصار، ليسوا بميل أغمار، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت بثار النبيين، ولم يكبر علي زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

قال: فكان إذا أتياه وهو في السجن ردد علينا هذا القول حتى خرج منه، قال: وكان يتشجع لأصحابه بعدما خرج ابن صرد.

### ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة،

## السنة الخامسة والستون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية

فمن ذلك ما كان من أمر التوابين وشيوخهم للطلب بدم الحسين بن علي إلى عبيد الله بن زياد.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني أبو يوسف، عن عبد الله بن عوف الأحري، قال: بعث سليمان بن صرد إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة خمس وستين، فأتوه، فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر، خرج في وجوه أصحابه، وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره، فدار في الناس ووجوه أصحابه، فلم يعجبه عدة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيل، وقال: اذهبوا حتى تدخلوا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين! وأبلغوا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فخرجا، وكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين!

قال: فأقبل حكيم بن منقذ الكندي في خيل والوليد بن غصين في خيل، حتى مرا بني كثير، وإن رجلاً من بني كثير من الأزدي يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سيرة بن عمرو من بني كثير، وكانت من أجل الناس وأجهم إليه، سمع الصوت: يا لثارات الحسين! وما هو عن كان يأتهم، ولا استجاب لهم. فوثب إلى ثيابه فلبسها، ودعا بسلاحه، وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك! اجننت! قال: لا والله، ولكني سمعت داعي الله، فانا مجيء، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت، أو يقضي الله من أمري ما هو أحب إليه، فقالت له: إلى من تدع بنيك هذا؟ قال: إلى الله وحده لا شريك له، اللهم إني أستودعك أهلي وولدي، اللهم احفظني فيهم، وكان ابنه ذلك يدعى عزرة، فبقي حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير، وخرج حتى لحق بهم، ففعدت امرأته تبكيه واجتمع إليها نساؤها، ومضى مع القوم، وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة، حتى جاؤوا المسجد بعد العتمة، وفيه ناس كثير يصلون، فنادوا: يا لثارات الحسين! وفيهم أبو عزة القابضي وكرب بن نمران يصلي، فقال: يا لثارات الحسين! أين جماعة القوم؟ قيل: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه، ودعا بفرسه ليركبه، فجاءته ابنته الرواح - وكانت تحت ثيب بن مرثد القابضي. فقالت: يا أبت، مالي أراك قد تقلدت سيفك، ولبست سلاحك! فقال لها: يا بنية، إن أباك يفر من ذنبه إلى ربه، فأخذت تتحب وتبكي، وجاءه

أصهاره وبنو عمه، فودعهم، ثم خرج فلحق بالقوم، قال: فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو عن كان في عسكره حين دخله، قال: ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدة من بايعه حين أصبح، فوجدهم ستة عشر ألفاً، فقال: سبحان الله! ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفاً.

قال أبو مخنف: عن عطية بن الحارث، عن حميد بن مسلم، قال: قلت لسليمان بن صرد: إن المختار والله يبيط الناس عنك، إني كنت عنده أول ثلاث، فسمعت نقرأ من أصحابه يقولون: قد كلمنا ألفي رجل، فقال: وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة آلاف، أما هؤلاء مؤمنين! أما يخافون الله! أما يذكرون الله، وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدن ولينصرن! فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم، فخرج إليه نحو من ألف رجل، فقال المسيب بن نجبة إلى سليمان بن صرد، فقال: رحمك الله، إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية فلا تنتظرن أحداً، واكمش في أمرك. قال: فإنك والله لنعمنا رأيت!

فقام سليمان بن صرد في الناس متوكئاً على قوس له عربية. فقال: أيها الناس، من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه، فرحة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما ناتي شيئاً نستفيته، ولا غنيمة نغنمها، ما خلا رضوان الله رب العالمين، وما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خبز ولا حرير، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا.

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني، فقال: آتاك الله رشدك، ولقاك حجتك، والله الذي لا إله غيره ما لنا خير في صحبة من الدنيا همته ونيته. أيها الناس، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبا، والطلب بدم من نبينا، عليه السلام ليس معنا دينار ولا درهم، إنما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح، فتنادي الناس من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجنا.

قال أبو مخنف: عن إسماعيل بن يزيد الأزدي، عن السري بن كعب الأزدي، قال: أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفييل نودعه، قال: فقام فقمنا معه، فدخل على سليمان ودخلنا معه، وقد أجمع سليمان بالمسير، فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفييل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد، فقال هو وروؤوس أصحابه: الرأي ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفييل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا، ومن قبله أتينا، فقال له عبد الله بن سعد

بالناس الظاهر.

فلما انتهى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد إلى سليمان بن صرد دخلا عليه، فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال: إن المسلم أخو المسلم لا يخرجه، ولا يغشه، وأنتم إخواننا، وأهل بلدنا، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تستبدوا علينا برأيكم، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتى نتيسر ونهتأ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم. وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام. قال: فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما: إني قد علمت أنكما قد محضتما في النصيحة، واجتهدتما في المشورة، فحنن بالله وله، وقد خرجنا لأمر، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه، ولا نرانا إلا شاخصين إن شاء الله ذلك، فقال عبد الله بن يزيد: فاقبضوا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً، فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحد. فقال سليمان: تنصرفون، ونرى فيما بيننا، وسياتيك إن شاء الله رأي.

قال أبو غنم: عن عبد الجبار - يعني ابن عباس الهمداني - عن عون ابن أبي جحيفة السوائي، قال: ثم إن عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على أن يخضاه وأصحابه بخراج جوخي خاصة لهم دون الناس، فقال لهما سليمان: إنا ليس للدنيا خرجنا، وإنما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من إقبال عبيد الله بن زياد نحو العراق.

وأنصرف إبراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد إلى الكوفة، وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد، ونظروا فإذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لمعادهم ولا أهل المدائن، فأقبل ناس من أصحابه يلزمونهم، فقال سليمان: لا تلزموهم فإني لا أراهم إلا سيسرعون إليكم، لو قد انتهى إليهم خبركم وحين مسيركم، ولا أراهم خلفهم ولا أقدهم إلا قلة النفقة وسوء العدة، فاقبضوا ليتيسروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوة، وما أسرع القوم في أثاركم. قال: ثم إن سليمان بن صرد قام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال.

أما بعد أيها الناس، فإن الله قد علم ما تنوون، وما خرجتم تطلبون، وإن للدنيا تجاراً، وللآخرة تجاراً، فأما تاجر الآخرة فساع إليها، متصب بتطلباها، لا يشتري بها ثمناً لا يرى إلا قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، لا يطلب ذهباً ولا فضة، ولا دنيا ولا لذة، وأما تاجر الدنيا فمكب عليها، راتع فيها، لا يبتغي بها بدلاً، فعليكم برحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة في

وعنده رؤوس أصحابه جلوس حوله: إني قد رأيت رأياً إن يكن صواباً فالله وفق، وإن يكن ليس بصواب فمن قبلي، فلإني ما ألوكم ونفسي نصحاء، خطأ كان أم صواباً، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل، فأني نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار! فقال سليمان بن صرد: فماذا ترون؟ فقالوا: والله لقد جاء برأي، وإن ما ذكر لكما ذكر، والله ما نلقى من قتلة الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غير ابن زياد وما طلبتنا إلا هاهنا بالمصر، فقال سليمان بن صرد: لكن أنا ما أرى ذلك لكم، إن الذي قتل صاحبكم، وعبا الجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة، عبيد الله بن زياد، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله، فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية، فنظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتهم المحلين، وما عند الله خير للأبرار والصادقين، إني لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين. والله لو قاتلتهم غداً أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحيمه، أو رجلاً لم يكن يريد قتله، فاستخبروا الله وسيروا. فتهيا الناس للشخوص.

قال: وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد وأصحابه، فنظروا في أمرهما، فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الإقامة، وأن تكون أيديهم واحدة، فإن أبوا إلا الشخوص سألوهم النظرة حتى يعبروا معهم جيشاً فيقاتلوا عدوهم بكثف وحد، فبعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة سويد بن عبد الرحمن إلى سليمان بن صرد، فقال له: إن عبد الله وإبراهيم يقولان: إنا نريد أن نجئك الآن لأمر عسى أن يجعل لنا ولك فيه صلاحاً، فقال: قل لهما فليأتينا. وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي: قم أنت فأحسن تعبئة الناس، فإن هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت، فدعا رؤوس أصحابه فجلسوا حوله فلم يمكنوا إلا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد في أشراف أهل الكوفة والشرط وكثير من المقاتلة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة في جماعة من أصحابه، فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم أنه قد شرك في دم الحسين: لا نصحبني إليهم مخافة أن ينظروا إليه فعدوا عليه، وكان عمر بن سعد تلك الأيام التي كان سليمان معسكراً فيها بالنخيلة لا يبيت إلا في قصر الإمارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم في داره، ويذمروا عليه في بيته وهو فاعل لا يعلم فيقتل. وقال عبد الله بن يزيد: يا عمرو بن حريث، إن أنا أبطأت عنك فصل

لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه، فيترحم عليه، ويستغفر له، قال: فوالله لأرايتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود.

قال: ووقف سليمان عند قبره، فكلما دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد: الحقوا ياخوانكم رحمكم الله! فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه. فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه، فقال سليمان: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين، اللهم إذ حرمتها معه فلا تحرمنا فيه بعده.

وقال عبد الله بن وال: أما والله إني لأظن حسيناً وأباه وأخاه أفضل أمة محمد ﷺ وسيلة عند الله يوم القيامة، أقما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم! إنهم قتلوا اثنين، وأشفوا بالثالث على القتل.

قال: يقول المسيب بن نجبة: فأننا من قتلهم ومن كان على رأيهم بريء، إياهم أعادي وأقاتل. قال: فاحسن الرؤوس كلهم المنطق، وكان المثنى بن مخزبة صاحب أحد الرؤوس والأشراف، فسأني حيث لم أسمعهم تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به، قال: فوالله ما لبث أن تكلم بكلمات ما كن بدون كلام أحد من القوم، فقال: إن الله جعل هؤلاء الذين ذكركم بمكانهم من نبيهم ﷺ أفضل ممن هو دون نبيهم، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء. ومنهم براء، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم، فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى ننال، فإن ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة، فقلنا له: صدقت وأصبت ووقفت.

قال: ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وشرنا معه، فأخذنا على الحصاصة، ثم على الأنبار، ثم على الصدود، ثم على القيارة.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة وغيره: إن سليمان بعث على مقدمته كريب بن يزيد الحميري.

قال أبو مخنف: حدثني الحصين بن يزيد. عن السري بن كعب، قال خرجنا مع رجال الحي نشيعهم، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر، ولزموا الطريق، استقدمهم عبد الله بن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كميث مربوع، يتأكل تاكلًا، وهو يرتجز ويقول:

خرجن يلعبن بنا أرسالا عوايساً يحملننا أبطالا  
نريد أن نلقي به الأقتالا القاسطين الغدر الضلالا

جوف الليل، ويذكر الله كثيراً على كل حال وتقربوا إلى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه، حتى تلقوا هذا العدو والحل القاسط فتجاهدوه، فإن توسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة، فإن الجهاد سنام العمل. جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين، المجاهدين الصابرين على اللأواء! وإننا مدجلون الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فادجلوا.

فادلج عشية الجمعة لخمس مضي من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة.

قال: فلما خرج سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صرد حكيم بن منقذ فنأدى في الناس: ألا لا يبيت رجل منكم دون. دير الأعور فبات الناس بدير الأعور، وتخلف عنه ناس كثير، ثم سار حتى نزل الأقسام، أقسام مالك على شاطئ الفرات، فعرض الناس، فسقط منهم نحو من ألف رجل، فقال ابن صرد: ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خيالاً، إن الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم، وخصمكم بفضل ذلك، فاحمدوا ربكم. ثم خرج من منزله ذلك دلجة، فصباحوا قبر الحسين، فأقاموا به ليلة ويوماً يصلون عليه، ويستغفرون له، قال: فلما انتهى الناس إلى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة، وبكوا، فما رثي يوم كان أكثر باكياً منه.

قال أبو مخنف: وقد حدث عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الرحمن بن غزية، قال: لما انتهينا إلى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم، وسمعت جل الناس يتمنون أنهم كانوا أصيبوا معه، فقال سليمان: اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم. ثم انصرف ونزل، ونزل أصحابه.

قال أبو مخنف: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، قال: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإننا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

قال: فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلون عليه ويكونون ويتضرعون، فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه، حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره. وزادهم ذلك حقاً. ثم ركبوا، فأمر سليمان الناس بالمسير، فجعل الرجل

وقد رفضنا الأهل والأموال والخفريات البيض والحجالا  
نرضي به ذا النعم المفاضلا

قال أبو مخنف: عن سعد بن مجاهد الطائي، عن الحل بن خليفة الطائي أن عبد الله بن يزيد كتب إلى سليمان بن صرد، أحسبه قال: بعثني به، فلحقته بالقيارة، واستقدم أصحابه حتى ظن أن قد سبقهم، قال: فوقف وأشار إلى الناس، فوقفوا عليه، ثم أقرأهم كتابه، فإذا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين. سلام عليكم، أما بعد فإن كتابي هذا إليكم كتاب ناصح ذي إرعاء، وكم من ناصح مستغش، وكم من غاش مستنصح محب، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد السير إلى الجمع الكثير، وإنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاولة، وينزع وهو مذموم العقل والفعل. يا قومنا لا تطعموا عدوكم في أهل بلادكم، فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يصبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام مصركم، فيطعمهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مَلِيَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدُوا﴾. يا قوم، إن أيدينا وأيدىكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا، يا قومنا لا تستغشوا نصحي، ولا تحالفوا أمري، وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي، أقبل الله بكم إلى طاعته، وأدبر بكم عن معصيته، والسلام.

قال: فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس: ما ترون؟ قالوا: ماذا ترى؟ قد آيينا هذا عليكم وعليهم، ونحن في مصرنا وأهلنا، فالآن خرجنا ووطنا أنفسنا على الجهاد، ودنونا من أرض عدونا! ما هذا برأي. ثم نادوه أن أخبرنا برأيك، قال: رأيي والله أنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسينين منكم يومكم هذا، الشهادة والفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق، وأردتم به من الفضل، إنا وهؤلاء مختلفون، إن هؤلاء لو ظهوروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً، وإنا إن نحن ظهورنا ردنا هذا الأمر إلى أهله، وإن أصبنا فعلى نيائنا، تائبين من ذنوبنا، إن لنا شكلاً، وإن لابن الزبير شكلاً، إنا وإياهم كما قال أخو بني كنانة:

أرى لك شكلاً غير شكلي فأقصري عن اللوم إذ بدلت واختلف الشكل  
قال: فانصرف الناس معه حتى نزل هيت، فكتب سليمان.

بسم الله الرحمن الرحيم. للأمير عبد الله بن يزيد، من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين، سلام عليك، أما بعد،

فقد قرأنا كتابك، وفهمنا ما نويت، فنعم والله الوالي، ونعم الأمير، ونعم أخو العشرة، أنت والله من نأمنه بالغيب، ونستنصحه في المشورة، ونحمده على كل حال، إنا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ - إلى قوله: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. إن القوم استبشروا ببيعتهم التي بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم، وقد توجهوا إلى الله، وتركوا عليه ورضوا بما قضى الله، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، والسلام عليك.

فلما أناه هذا الكتاب قال: استمات القوم، أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وإيم الله ليقتلن كراماً مسلمين، ولا والذي هو ربه لا يقتلهم عدوهم حتى تشدد شوكتهم، وتكثر القتلَى فيما بينهم.

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأهر، وعبد الرحمن بن جندب، عن عبد الرحمن بن غزوة، قالوا: خرجنا من هيت حتى انتهينا إلى قرقيسيا، فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبانا تعبئة حسنة حتى مرنا بجانب قرقيسيا، فنزلنا قريباً منها، وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم، ولم يخرج إليهم، فبعث سليمان المسيب بن نجبة، فقال: انت ابن عمك هذا قتل له: فليخرج إلينا سوفاً، فإننا لسنا إياه نريد، إنما صعدنا هؤلاء المحلين.

فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا، فقال: افتحوا، ممن تحصن؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا المسيب بن نجبة، فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال: هذا رجل حسن الهيئة، يستأذن عليك، وسألناه من هو؟ فقال: المسيب بن نجبة - وأنا إذ ذاك لا أعلم لي بالناس، ولا أعلم أي الناس هو - فقال لي أبي: أما تدري أي بني من هذا؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها، وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين، ائذن له فأذنت له، فاجلسه أبي إلى جانبه، وسأله والطفة في المسألة، فقال المسيب ابن نجبة: ممن تحصن؟ إنا والله ما إياكم نريد، وما اعترينا إلى شيء إلا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين، فا.

خرج لنا سوفاً، فإننا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم، فقال له زفر بن الحارث: إنا لم نعلق أبواب هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعترتم أم غيرنا! إنا والله ما بنا عجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة، وما نجب أنا بلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح، وسيرة حسنة جميلة.

ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوفاً، وأمر للمسيب بالف



والله لقل ما رأيت جماعة خيل قط أكرم منها، تأهبوا لها من يومكم هذا فإني أرجو أن تسبقوهم إليها، وإن بدرتوهم إلى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنوهم، فإنهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم، فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنوهم، فإنه ليس لكم مثل عددهم، فإن استهدفتهم لم يلبثوكم أن يصروكم، ولا تصفوا لهم حين تلقوهم، فإني لا أرى معكم رجالة، ولا أراكم كلكم إلا فرساناً، والقوم لا توكم بالرجال والفرسان، فالفرسان تحمي رجالها، والرجال تحمي فرسانها، وأنتم ليس لكم رجال تحمي فرسانكم، فالقوم في الكتائب والمقانب، ثم بثوها ما بين ميمتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة إلى جانبها فإن حمل على إحدى الكيتينين ترجلت الأخرى فنفتت عنها الخيل والرجال، ومتى ما شئت كتيبة ارتفعت، ومتى ما شئت كتيبة انحطت، ولو كنتم في صف واحد فزحفت إليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة، ثم وقف فودعهم، وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم. فأنشئ الناس عليه، ودعوا له، فقال له سليمان بن صرد: نعم المنزل به أنت! أكرمت النزول، وأحسن الضيافة، ونصحت في المشورة. ثم إن القوم جدوا في المسير، فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة، قال: فمررنا بالمدن حتى بلغنا ساعاً. ثم إن سليمان بن صرد عيى الكتائب كما أمره زفر، ثم أقبل حتى انتهى إلى عين الوردة فنزل في غريبها، وسبق القوم إليها، فعسكروا، وأقام بها خمساً لا يبرح، واستراحوا واطمانوا، وأراحوا خيلهم.

قال هشام: قال أبو مخنف، عن عطية بن الحارث، عن عبد الله بن غزية، قال: أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، قال عبد الله بن غزية: فقام فينا سليمان فحمد الله فاطال، وأنشئ عليه فاطن، ثم ذكر السماء والأرض، والجبال والبحار وما فيها من الآيات، وذكر الله ونعمه، وذكر الدنيا فزهدها، وذكر الآخرة فرغب فيها، فذكر من هذا ما لم أحصه، ولم أقدر على حفظه، ثم قال: أما بعد، فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير إليه آتاء الليل والنهار، تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح، ولقاء الله معذرين، فقد جاؤوكم بل جتتموهم أنتم في دارهم وحيزهم، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم، واصبروا إن الله مع الصابرين، ولا يولينهم أمرؤ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة. لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل الدعوة.

درهم وفرس، فقال له المسيب: أما المال فلا حاجة لي فيه، والله ما له خرجنا، ولا إياه طلبنا، وأما الفرس فإني أقبله لعلني أحتاج إليه إن ظلع فرسي، أو غمز تحتي. فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السورق، فسوقوا، وبعث زفر بن الحارث إلى المسيب بن نجبة بعد إخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزوراً، وبعث إلى سليمان بن صرد مثل ذلك، وقد كان زفر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهل العسكر، فسمى له عبد الله بن سعد بن نفييل وعبد الله بن وال ورفاعة بن شداد، وسمى له أمراء الأرباع. فبعث إلى هؤلاء الرؤوس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر، وعلف كثير وطعام. وأخرج للعسكر عيراً عظيمة وشعيراً كثيراً، فقال غلمان زفر: هذه عير فاجتزروا منها ما أحببت، وهذا شعير فاحملوا منه ما أردتم، وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم، فظل القوم يومهم ذلك مخصين لم يحتاجوا إلى شراء شيء من هذه الأسواق التي وضعت وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوباً أو سوطاً. ثم ارتحلوا من الغد، وبعث إليهم زفر: إني خارج إليكم فمشيعكم، فأتاهم وقد خرجوا على تعبئة حسنة فسايرهم.

فقال زفر لسليمان: إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن غير السكوني، وشريحيل بن ذي كلاع، وأدهم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدهم. وربيعة بن المخارق الغنوي، وجبله بن عبد الله الحثعمي، وقد جاؤوكم في مثل الشوك والشجر، أتاكم عدد كثير، وحد حديد، وإيم الله لقل ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدة، ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك، ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تخصي، فقال ابن صرد: على الله تركلنا، وعليه فليتوكل المتوكلون، ثم قال زفر: فهل لكم في أمر أعرضه عليكم، لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيراً؟ إن شتمت فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحداً وأيدينا واحدة، وإن شتمت نزلتم على باب مدينتنا، وخرجنا فعسكروا إلى جانبكم، فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعاً. فقال سليمان لزفر: قد أردنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه، وذكرنا مثل الذي ذكرت، وكتبوا إلينا به بعد ما فصلنا، فلم يوافقنا ذلك، فلنسنا فاعلين، فقال زفر: فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه، وخذوا به، فإني للقوم عدو، وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة، وأنا لكم واد، أحب أن يحوطكم الله بالعافية، إن القوم قد فصلوا من الرقة، فبادروهم إلى عين الوردة، فاجعلوا المدينة في ظهوركم، ويكون الرستاق والماء والماد في أيديكم، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون، والله لو أن خيولي كرجالي لأمددتكم، اطبوا المنازل الساعة إلى عين الوردة، فإن القوم يسرون سير العساكر، وأنتم على خيول،

وخلوه لنا، فأخذنا منه ما خفف علينا، فصاح المسيب فينا: الرجعة، إنكم قد نصرتم، وغنمتم وسلمتم، فانصرفوا، فانصرفنا حتى أتينا سليمان.

قال: فأتى الخبر عبيد الله بن زياد، فسرّح إلينا الحصين بن غير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى فجعل سليمان بن عبد الله بن سعد بن نقيب على ميمته وعلى ميسرته المسيب بن نجبة، ووقف هو في القلب، وجاء حصين بن غير وقد عبأ لنا جنده، فجعل على ميمته جبلة بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي، ثم زحفوا إلينا، فلما دنوا دعونا إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ولي الدخول في طاعته، ودعوناهم إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فقتله ببعض من قتل من إخواننا، وأن يخلعوا عبد الملك بن مروان، وإلى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة، فأبى القوم وأبينا.

قال حميد بن مسلم: فحملت ميمتنا على ميسرتهم وهزمتهم، وحملت مسيرتنا على ميمتهم، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فهزمناهم حتى اضطرناهم إلى عسكرهم. فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم، ثم انصرفنا عنهم وقد حجزناهم في عسكرهم، فلما كان الغد صبحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف، أمدهم بهم عبيد الله ابن زياد، وبعث إليه يشتمه، ويقع فيه، ويقول: إنما عملت عمل الأغمار، تضيع عسرك ومساحك! سر إلى الحصين بن غير حتى توافيه وهو على الناس، فجاءه، فغدوا علينا وغاديناها، فقاتلناهم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتحجازنا، وقد والله أكثرنا فينا الجراح، وأفسيناها فيهم، قال: وكان فينا قصاص ثلاثة: رفاعه بن شداد البجلي، وصحير بن حذيفة بن هلال بن مالك المري، وأبو الجويرية العبدى، فكان رفاعه يقص ويحفض الناس في الميمنة، لا يرحها، وجرح أبو الجويرية اليوم الثاني في أول النهار، فلزم الرحال، وكان صحير ليلته كلها يدور فينا ويقول: أبشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه، فحق الله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفرأها سخياً، وبلقاء ربه مسروراً فمكثنا كذلك حتى أصبحنا، وأصبح ابن غير وأدهم بن حمز الباهلي في نحو من عشرة آلاف، فخرجوا إلينا، فقاتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى. ثم إن أهل الشام كثرونا وتعطفوا علينا من كل جانب،

ثم قال سليمان: إن أنا قتلت فأمر الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمر الناس عبد الله بن سعد بن نقيب، فإن قتل عبد الله بن سعد فأمر الناس عبد الله بن وال، فإن قتل عبد الله بن وال فأمر الناس رفاعه بن شداد، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه! ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائه فارس، ثم قال: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة، فإذا رأيت ما تحبه وإلا انصرفت إلى في أصحابك، وإياك أن تنزل أو تدع أحداً من أصحابك أن ينزل، أو يستقبل آخر ذلك، حتى لا تجد منه بداً.

قال أبو مخنف: فحدثني أبي عن حميد بن مسلم أنه قال: أشهد أنني في خيل المسيب بن نجبة تلك، إذ قبلنا تسير آخر يومنا كله وليلتنا، حتى إذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا خاليها، ثم هومنا تهوية بمقدار تكون مقدار قصعها ثم ركبناها، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصيلينا، ثم ركب فركبنا، فبعث أبا الجويرية العبدى بن الأحمر في مائة من أصحابه، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين، وحش بن ربيعة أبا المعتمر الكناني في مثلها، وبقي هو في مائة، ثم قال: انظروا أول من تلقون فاتوني به، فكان أول من لقينا أعرابي يطرد أحمره وهو يقول:

يا مال لا تعجل إلى صحبي واسرح فلانك آمن السرب  
قال: يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر: يا حميد بن مسلم، أبشر بشري ورب الكعبة، فقال له ابن عوف بن الأحمر: ممن أنت يا أعرابي؟ قال: أنا من بني تغلب، قال: غلبتم ورب الكعبة إن شاء الله. فأنهى إلينا المسيب بن نجبة فآخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابي وأثناه به، فقال المسيب ابن نجبة. أما لقد سررت بقولك: أبشر، ويقولك: يا حميد بن مسلم، وإني لأرجو أن تبشروا بما يسركم، وإنما سرركم أن تحمدوا أمركم، وأن تسلموا من عدوكم، وإن هذا القال هو القال الحسن، وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه القال. ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابي: كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا؟ قال: أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع، وكان بينه وبين الحصين اختلاف، ادعى الحصين أنه على جماعة الناس، وقال ابن ذي الكلاع: ما كنت لتولى علي، وقد تكأتا إلى عبيد الله بن زياد، فهما ينتظران أمره، فهذا عسكر ابن ذي الكلاع منكم على رأس ميل، قال: فتركنا الرجل، فخرجنا نحوهم مسرعين، فوالله ما شعروا حتى أشرطنا عليهم وهم غارون، فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا، فأصبنا منهم رجالاً، وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح، وأصبنا لهم دواب، وخرجوا عن عسكرهم

ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه، فنزل فنادى: عباد الله، من أراد البكور إلى ربه، والتوبة من ذنبه، والوفاء بعهده، فإلي: ثم كسر جفن سيفه، ونزل معه ناس كثير، فكسروا جفون سيوفهم، ومشوا معه، وانزوت عليهم حتى اختلطت مع الرجال، فقاتلهم حتى نزلت الرجال تشتد مصلة بالسيف، وقد كسروا الجفون، فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون، فقاتلهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح. فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم، بعث الرجال ترميهم بالنبل، واكتفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان بن صرد رحمه الله، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع، ثم وثب ثم وقع، قال: فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة، وقال لسليمان بن صرد: رحمك الله يا أخي! فقد صدقت ووفيت بما عليك، وبقي ما علينا، ثم أخذ الراية فشد بها، فقاتل ساعة ثم رجع، ثم شد بها فقاتل ثم رجع، ففعل ذلك مراراً يشد ثم رجع، ثم قتل رحمه الله.

قال أبو مخنف: وحدثنا فروة بن لقيط، عن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري، قال: لقيته بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجي، فجرى الحديث حتى ذكرنا أهل عين الورد.

قال هشام عن أبي مخنف، قال: حدثنا هذا الشيخ، عن المسيب بن نجبة، قال: والله ما رأيت أشجع منه إنساناً قط ولا من العصابة التي كان فيهم، ولقد رأيته يوم عين الورد يقاتل قتلاً شديداً، ما ظننت أن رجلاً واحداً يقدر أن يبلي مثل ما أبلى، ولا ينكا في عدوه مثل ما نكا، لقد قتل رجلاً، قال: وسمعتة يقول قبل أن يقتل وهو يقاتلهم:

قد علمت ميلة الذوائب واضحة اللبائت والسترايب  
أنني غداة الروع والتغالب أشجع من ذي لبد موائب  
قطاع أقران خوف الجانب

قال أبو مخنف: حدثني أبي وخالي، عن حميد بن مسلم، وعبد الله بن غزية. قال أبو مخنف: وحدثنني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف، قال: لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفي، ثم قال رحمه الله: أخوي منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. وأقبل بمن كان معه من الأزدي، فحفوا بربائته، فوالله إنا لكذلك إذ جاءنا فرسان ثلاثة: عبد الله بن الحظض الطائي، وكثير بن عمرو المزني وسعر بن أبي سعر الحنفي، كانوا خرجوا مع سعد بن حذيفة بن اليمان في سبعين ومائة من أهل المدائن، فسرهم يوم خرج في آثارنا على خيول مقلمة مقدحة، فقال لهم: اطووا المنازل حتى تلحقوا بإخواننا فنبشروهم بخروجنا إليهم لتشتد بذلك ظهورهم،

قد علمت ذات القوام الرود أن لست بالواني ولا الرعديد  
يوماً ولا بالفرق الحيود

قال: فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرة، فاقتلنا قتلاً شديداً. ثم إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفي، ضربتين، فلم يصنع سيفهما شيئاً، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض، ثم قاما فاضطربا، ويحمل ابن أخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد، فطعنه في ثغرة نحره، فقتله، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق، فطعنه فصرعه، فلم يصب مقتلاً، فقام فكر عليه الثانية، فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه، ثم إن أصحابه استنقذوه. وقال خالد بن سعد بن نفي: أروني قاتل أخي، فأريته ابن أخي ربيعة بن المخارق، فحمل عليه فقتنه بالسيف واعتنقه الآخر فخر إلى الأرض، فحمل أصحابه وحملنا، وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم، وقتلوا صاحبنا، وبقيت الراية ليس عندها أحد. قال: فناديننا عبد الله بن وال بعد قتلهم فرساننا، فإذا هو قد استلحم في عصابة معه إلى جانبنا، فحمل عليه رفاعه بن شداد، فكشفهم عنه، ثم أقبل إلى ربيته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكثيري، فقال لابن وال: أمسك عني رايتك، قال: أمسكها عني رحمكم الله، فإني بي مثل حالك فقال له: أمسك عني رايتك، فإني أريد أن أجاهد، قال: فلما هذا الذي أنت فيه جهاد وأجر، قال: فصحننا: يا أبا عزة، أطع أمرك يرحمك الله! قال: فأمسكها قليلاً، ثم إن ابن وال أخذها منه.

قال أبو مخنف: قال أبو الصلت التيمي الأعور: حدثني شيخ للحكي كان معه يومئذ، قال: قال لنا ابن وال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور

الذي ليس بعده حزن، فليتقرب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلين، والرواح إلى الجنة رحمك الله! وذلك عند العصر، فشد عليهم، وشدنا معه، فأصبنا والله منهم رجلاً، وكشفناهم طويلاً، ثم إنهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه، وكنا بمكان لا يقدر أن يأتونا فيه إلا من وجه واحد، وولي قتالنا عند المساء أدهم بن محرز الباهلي، فشد علينا في خيله ورجاله، فقتل عبد الله بن وال التيمي..

قال أبو مخنف: عن فروة بن لقيط، قال: سمعت أدهم بن محرز الباهلي في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناساً من أهل الشام، قال: دفعت إلى أحد أمراء العراق، رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فَرَجِئْ، الآيات الثلاث، قال: فغاظني، فقلت في نفسي. هؤلاء يعدوننا بمزلة أهل الشرك، يرون أن من قتلنا منهم كان شهيداً فحملت عليه أضرب يده اليسرى فاطنتها، وتنحيت قريباً، فقلت له: أما إني أراك وددت أنك في أهلك، فقال: بشما رأيت! أما والله ما أحب أنها يدك الآن إلا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في يدي، قال: فقلت له: لم؟ قال: لكيما يجعل الله عليك وزرها، ويعظم لي أجرها، قال: فغاظني فجمعت خيلي ورجالي، ثم حملنا عليه وعلى أصحابه، فدفعنا إليه فطعنته فقتلته، وإنه لمقبل إلى ما يزول، فزعموا بعد أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثررون الصوم والصلاة ويفتون الناس.

قال أبو مخنف: وحدثنني الثقة، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال: لما هلك عبد الله بن وال نظرونا، فإذا عبد الله بن خازم قتل إلى جنبه، ونحن نرى أنه رفاعة بن شداد البجلي، فقال له رجل من بني كنانة يقال له الوليد بن غصين: أمسك رأيتك، قال: لا أريدها، فقلت له: إنا لله! ما لك! فقال: ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شر لهم، فوثب عبد الله بن عرف بن الأحمر إليه، فقال: أهلكتنا، والله لئن انصرفت ليركن أكتافنا فلا نبلغ فرسحاً حتى نهلك من عند آخرنا، فإن نجاة منه ناج أخذه الأعراب وأهل القرى، فقتلوا إليهم به فيقتل صبراً، أنشدك الله أن تفعل، هذه الشمس قد طفلت للمغيب، وهذا الليل قد غشينا، فقاتلهم على خيلنا هذه فإننا الآن متمتعون، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها، فكان ذلك الشأن حتى أصبح ونسير ونحن على مهل، فيحمل الرجل منا جريحه ويتنظر صاحبه. وتسير العشرة والعشرون معاً، ويعرف الناس الوجه الذي يأخذون، فيتبع فيه بعضهم بعضاً، ولو كان الذي ذكرت لم تقف أم على ولدها. ولم يعرف رجل وجهه، ولا أين يسقط، ولا

أين يذهب! ولم نصبح إلا نحن بين مقتول ومأسور. فقال له رفاعة بن شداد: فإنك نعم ما رأيت، قال: ثم أقبل رفاعة على الكناني فقال له: أتمسكها أم آخذها منك؟ فقال له الكناني: إني لا أريد ما تريد. إني أريد لقاء ربي، واللاحق بإخواني، والخروج من الدنيا إلى الآخرة. وأنت تريد ورق الدنيا، وتهوى البقاء. وتكره فراق الدنيا، أما والله إني لأحب لك أن ترشد، ثم دفع إليه الراية، وذهب ليستقدم، فقال له ابن أحر: قاتل معنا ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك إلى التهلكة. فما زال به يناشده حتى احتبس عليه. وأخذ أهل الشام يتنادون: إن الله قد أهلكهم، فأقدموا عليهم فافروا منهم قبل الليل. فأخذوا يقدمون عليهم، فيقدمون على شوكة شديدة، ويقاثلون فرساناً شجعاناً ليس فيهم سقط رجل، وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم: فقاتلهم حتى العشاء قتالاً شديداً، وقتل الكناني قبل المساء، وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام الصغير، فقال: يا أهل الشام، هل فيكم أحد من كندة؟ فخرج إليه منهم رجال، فقالوا: نعم، نحن هؤلاء. فقال لهم: دونكم أحوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة، فأنا عبد الله بن عزيز الكندي، فقالوا له: أنت ابن عمنا، فإنك آمن، فقال لهم: والله لا أرغب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللأرض أوتاداً، وبمثلهم كان الله يذكر، قال: فأخذ ابنه يبيكي في أثر أبيه، فقال: يا بني، لو أن شيئاً كان أثر عندي من طاعة ربي إذا كنت أنت، وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره، وأروا الشاميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا، ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه، فشد على صفهم عند المساء، فقاتل حتى قتل.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، قال: حدثني مسلم بن زحر الخولاني، أن كريب بن زيد الحميري مشى إليهم عند المساء ومعه راية بلقاء في جماعة، فلما نقص من مائة رجل إن نقصت، وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاعة أن يصنع إذا أمسى، فقام لهم الحميري وجع إليهم رجلاً من حمير وهمدان، فقال: عباد الله! روحوا إلى ربكم، والله ما في شيء من الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دينهم، وإن هم ركنوا إلى دينهم رجعوا إلى خطاياهم، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أرد موارد إخواني، فأجابه وقالوا: رأينا مثل رأيك. ومضى برايته حتى دنا من القوم، فقال ابن ذي الكلاع: والله إني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية، فدنا منهم فسأهم، فأخبروه، فقال لهم: إنكم آمنون. فقال له صاحبكم: إنا قد كنا آمنين في الدنيا، وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوا القوم حتى قتلوا، ومشى صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من

مزينة، فقال لهم: لا تهابوا الموت في الله، فإنه لا يقيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم، ثم امضوا فقاتلوا حتى قتلوا، فلما أسى الناس ورجع أهل الشام إلى معسكرهم، نظر رفاعه إلى كل رجل قد عقر به، وإلى كل جريح لا يعين على نفسه، فدفعه إلى قومه، ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتينير فعبر الحابور، وقطع المعابر، ثم مضى لا يمر بمعبر إلا قطعه، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا، فلم يبعث في آثارهم أحداً، وسار بالناس فأسرع، وخلف رفاعه وراءهم أبا الجويرية العبدى في سبعين فارساً يسترون الناس، فإذا مروا برجل قد سقط حمله، أو محتاح قد سقط قبضه حتى يعرفه، فإن طلب أو ابغى يبعث إليه فأعلمه، فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر، فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان يبعث إليهم في المرة الأولى، وأرسل إليهم الأطباء، وقال: أقيموا عندنا ما أحببتم، فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثاً، ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف، قال: وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، فانصرف، فتلقى المشى به غربة العبدى بصندوداء، فأخبره، فأقاموا حتى جاءهم الخبر: إن رفاعه قد أظلكم، فخرجوا حين دنا من القرية، فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض، وبكى بعضهم إلى بعض، وتناعوا إخوانهم فأقاموا بها يوماً وليلة، فانصرف أهل المدائن إلى المدائن، وأهل البصرة إلى البصرة، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة، فإذا المختار محبوس.

قال هشام: قال أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أدهم بن محرز الباهلي، أنه أتى عبد الملك بن مروان بشارة الفتح، قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملحق فتنة، ورأس ضلالة، سليمان بن صرد، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاري، ألا وقد قتل الله من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين: عبد الله بن سعد أخا الأزدي، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع.

قال هشام، عن أبي مخنف: وحدث أن المختار مكث نحواً من خمس عشرة ليلة، ثم قال لأصحابه: عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر، ودون الشهر. ثم يجيئكم نبأ هتر، من طعن نتر، وضرب هبر، وقتل جم، وأمر رجم فمن لها؟ أنا لها، لا تكذب، أنا لها.

قال أبو مخنف: حدثنا الحصين بن يزيد، عن أبان بن الوليد، قال: كتب المختار وهو في السجن إلى رفاعه بن شداد حين قدم من عين الورد: أما بعد، فمرحياً بالعصب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي انصرافهم حين قفلوا. أما ورب البنية التي بنى ما خطا خاط منكم خطوة، ولا رتا رتوة، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا. إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تتصرون إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمتنقم من أعداء الدين، والمفيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، وجهاد الملحين، والسلام.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو زهير العبسي، أن الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار، فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد، فخرجوا في الناس حتى أتيا المختار، فأخذه.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: لما تهيأنا للانصراف قام عبد الله بن غزية ووقف على القتلى فقال: يرحمكم الله، فقد صدقتم وصبرتم، وكذبنا وفزنا، قال: فما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزية في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال، فجاء رفاعه وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم: نشدكم الله ألا تزيدونا فلولاً ونقصاناً فإننا لا نزال نجبر ما كان فينا مثلكم من ذوي النيات، فلم يزلوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان، رحل مع الناس، حتى إذا غفل عنه انصرف حتى لقي أهل الشام. فشد بسيفه يضاربهم حتى قتل.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد الأزدي، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: كان ذلك المزني صديقاً لي، فلما ذهب لينصرف ناشدته الله، فقال: أما إنك لم تكن لتسألني شيئاً من الدنيا إلا رأيت لك من الحق على إيتاءك، وهذا الذي تسألني أريد الله به، قال: ففارقني حتى لقي القوم فقتل، قال: فوالله ما كان شيء بأحب إلي من أن ألقى إنساناً يتحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم! قال: فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الأزدي بمكة، فجرى حديث بيننا، جرى ذكر ذلك اليوم، فقال: أعجب ما رأيت يوم عين الورد بعد هلاك القوم أن رجلاً أقبل حتى شد علي بسيفه، فخرجنا نحوه، قال: فأنتهى إليه وقد عقر به وهو يقول:

وغيره أهل الصبر صرعى فأصبحوا تعاورهم ريح الصبا والجنائب  
فأضحى الخزاعي الرئيس مجدلاً كأن لم يقاتل مرة ويحارب  
ورأس بني شمش وفارس قومه شنوءة والتمسي هادي الكتاب  
وعمر بن بشر والوليد وخالد وزيد بن بكر والحليس بن غالب  
وضارب من همدان كل مشيع إذا شمل ينكل كريم المكاسب  
ومن كل قوم قد أصيب زعيمهم وذو حسب في ذروة الحمد ثاقب  
أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه وطعن بإطراف الأسنة صائب  
وإن سعيداً يوم يلمر عامراً لأشجع من ليث بدرني موائب  
فيا خير جيش للعراق وأهله سقيم روابيا كل أسحم ساكب  
فلا يبعدن فرساننا ومهاتنا إذا البيض أبدت عن خدام الكواعب  
فلئن يقتلوا فالقتل أكرم ميتة وكل فتى يوماً لإحدى الشواعب  
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة علين ثوراً كالبليوث الضوارب  
وقتل سليمان بن صرد ومن قتل معه بعين الوردية من  
التوابين في شهر ربيع الآخر.

### ذكر الخبر عن بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان

وفي هذه السنة أمر مروان بن الحكم أهل الشام بالبيعة من  
بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، وجعلهما ولي العهد.

ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها.

قال هشام، عن عوانة قال: لما هزم عمرو بن سعيد بن  
العاص الأشدق مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى  
فلسطين وانصرف راجعاً إلى مروان، ومروان يومئذ بدمشق، قد  
غلب على الشام كلها ومصر، وبلغ مروان أن عمرأ يقول: إن  
هذا الأمر لي من بعد مروان، ويدعي أنه قد كان وعده وعداً،  
فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع  
لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده، وأخبره بما بلغه عن عمرو  
بن سعيد، فقال: أنا أكفيك عمراً، فلما اجتمع الناس عند مروان  
عشياً قام ابن بحدل فقال: إنه قد بلغنا أن رجلاً يمتنون أمانتي،  
قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده، فقام الناس،  
فبايعوا من عند آخرهم.

### ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم

وفي هذه السنة مات مروان بن الحكم بدمشق مستهل  
شهر رمضان.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد  
بن عمر قال: حدثني موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث، قال:

إنني من الله إلى الله أفر رضوانك اللهم أبدي وأسر  
قال: فقلنا له: عن أنت؟ قال: من بني آدم، قال: فقلنا:  
عن؟ قال: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربي البيت  
الحرام، قال: فنزل إليه سليمان بن عمرو بن محصن الأزدي من  
بني الحيار، قال: وهو يومئذ من أشد الناس، قال: فكلاهما أنخن  
صاحبه، قال: وشد الناس عليه من كل جانب، فقتلوه، قال:  
فوالله ما رأيت واحداً قط هو أشد منه، قال: فلما ذكر لي، وكنت  
أحب أن أعلم علمه، دمعت عينا، فقال: أينك وبينه قرابة؟  
فقلت له: لا، ذلك رجل من مضر كان لي ودأً وأخاً فقال لي: لا  
أرقأ الله دمك، أنبكي على رجل من مضر قتل على ضلالة  
قال: قلت: لا، والله ما قتل على ضلالة، ولكنه قتل على بينة  
من ربه وهدي، فقال لي: أدخلك الله مدخله، قلت: آمين،  
أدخلك الله مدخل حصين بن نمير، ثم لا أرقأ الله لك عليه  
دمعاً، ثم قمت وقام.

وكان مما قيل من الشعر في ذلك قول أعشى همدان، وهي  
إحدى المكتومات، كن يكتمن في ذلك الزمان:

ألم خيال منك يا أم غالب فحيث عنا من حبيب مجانب  
ومازلت لي شجواً ومازالت مقصداً لهم عراني من فراقك ناصب  
فما أنس لا أنس افتالك في الضحى إلينا مع البيض الوسام الخراعب  
تراعت لنا هيفاء مهضومة الحشا لطيفة طي الكشح ربا الحقايب  
مبتلة غراء رؤد شبابها كشمس الضحى تنكل بين السحاب  
فلما تغشاهما السحاب وحوله بدا حاجب منها وضنت بحاجب  
فلك الهوى وهي الجوى لي والتمنى فاحجب بها من خلة لم تصاقب  
ولا يبعد الله الشباب وذكره وحب تصافي المعصرات الكواعب  
ويزداد ما أحبته من عاتبا لعباً وسقياً للخديسين المقارب  
فلاني وإن لم أنسهن لذاكر رزية غيبات كريم المناصب  
توسل بالتقوى إلى الله صادقاً وتقوى الإله خير تكساب كاسب  
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها وتاب إلى الله الرفيع المراتب  
تخلى عن الدنيا وقال أطرحتها فلست إليها ما حيت بآيب  
وما أنا فيما يكبر الناس فقدته ويسعى له الساعون فيها براغب  
فوجهه نحو الثوبة سائراً إلى ابن زياد في الجموع الكباكب  
يقوم هم أهل التوبة والنهي مصالبت انجذاب سرة مناجب  
مضوا تاركي رأي ابن طلحة حسب ولم يستجيبوا للأمر المخاطب  
فساروا وهم من بين ملتصق التقى وآخر مما جرب بالأمس تائب  
فلاقوا بعين الوردية الجيش فاصلا إليهم فحسومهم ببيض قواضب  
بمانية تلذري الأكف، وتارة بجمل عناق مقربات سلاهب  
فجاءهم جمع من الشام بعده جموع كموج البحر من كل جانب  
فما برحوا حتى أبعدت سراهم فلم ينج منهم ثم غير عصائب

حبش بن دجلة، فلما سمع حبش بن دجلة سار إليهم من المدينة، وسرح عبد الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد الأنصاري على المدينة، وأمره أن يسير في طلب حبش بن دجلة حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاؤوا ينصرون ابن الزبير، عليهم الخيف، وأقبل عباس في آثارهم مسرعاً حتى لحقهم بالبصرة، وقد قال أصحاب ابن دجلة له: دعهم، لا تعجل إلى قتالهم، فقال: لا أنزل حتى أكل من مقدهم - يعني السوق الذي فيه القند - فجاءهم سهم غرب فقتله، وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي، وأبو عتاب مولى أبي سفيان، وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم، والحجاج بن يوسف، وما نخوا يومئذ إلا على جمل واحد، وتحرز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة، فقال لهم عباس: انزلوا على حكمي، فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم، ورجع فل حبش إلى الشام.

**حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد أنه قال:** الذي قتل حبش بن دجلة يوم الرعدة يزيد بن سياه الأسواري، رماه بنشابة فقتله، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض، فما لبث أن أسودت ثيابه، ورأته مما مسح الناس به وما صبا عليه من الطيب.

### ذكر خير حدوث الطاعون الجارف

**قال أبو جعفر:** وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف، فهلك به خلق كثير من أهل البصرة.

**حدثني عمر بن شبة، قال:** حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، عن المصعب بن زيد أن الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة، فماتت أمه في الجارف، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا ولها أربعة علوج فحملوها إلى حفرتها وهو الأمير يومئذ.

### مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج

وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، وقتل فيها نافع بن الأزرق.

#### ذكر الخبر عن مقتله:

**حدثني عمر بن شبة، قال:** حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن الزبير، أن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله بن نافع بن الأزرق في جيش، فلقبهم بدولاب، فقتل عثمان

لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة، أبي أن يستخلف أحداً، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان صغيراً، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية، فبايع لمروان، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد، فلما بايع لمروان وبايعه أهل الشام قبل لمروان: تزوج أم خالد - وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة - حتى تصغر شأنه، فلا يطلب الخلافة، فتزوجها، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة، وهو يمشي بين الصفيين، فقال: إنه والله ما علمت لأحق، تعال يا ابن الرطبة الاست - يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام - فرجع إلى أمه فأخبرها، فقالت له: أمه: لا يعرفن ذلك منك، واسكت فلاني أكفيكه، فدخل عليها مروان، فقال لها: هل قال لك خالد في شيئاً؟ فقالت: وخالد يقول فيك شيئاً خالد أشد لك إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً! فصدقها، ثم مكنت أياماً، ثم إن مروان نام عندها فغطته بالسادة حتى قتله.

**قال أبو جعفر:** وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي، وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال: كان يوم هلك ابن إحدى وستين سنة، وقيل: توفي وهو ابن إحدى وسبعين سنة، وقيل: ابن إحدى وثمانين سنة، وكان يكنى أبا عبد الملك، وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني، وعاش بعد أن بوع له بالخلافة تسعة أشهر، وقيل: عاش بعد أن بوع له بالخلافة عشرة أشهر إلا ثلاث ليال، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين: أحدهما إلى المدينة، عليهم حبش بن دجلة القتيبي، والآخر منهما إلى العراق، عليهم عبيد الله بن زياد، فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة، فأتاه الخبر بها بموت مروان، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالين بدم الحسين، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره، وسنذكر إن شاء الله باقي خبره إلى أن قتل.

### ذكر خير مقتل حبش بن دجلة

وفي هذه السنة قتل حبش بن دجلة، وأما حبش بن دجلة، فإنه سار حتى انتهى - فيما ذكر عن هشام، عن عوانة بن الحكم - إلى المدينة، وعليهم جابر بن الأسود بن عوف، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، من قبل عبد الله بن الزبير، فهرب جابر من حبش، ثم إن الحارث بن أبي ربيعة - وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة - وجه جيشاً من البصرة، وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة عليهم الخيف بن السجف التميمي لحرب

وهزم جيشه.

الناس في حمايتهم، وأهل الصبر منهم، ثم أقبل بالناس حتى نزل

بهم منزلاً بالأهواز ففي ذلك يقول الشاعر من الخوارج:

يا كبدا من غير جوع ولا ظمأ      ويا كبدي من حب أم حكيم  
ولو شهدتي يوم دولاب أبصرت      طعان امرئ في الحرب غير لثيم  
غداة طفت في الماء بكر بن وائل      وعجتنا صدور الخيل نحو تميم  
وكان لعبد القيس أول حدنا      وذلت شيوخ الأزد وهي تعوم

وبلغ ذلك أهل البصرة، فهالهم وأفزعهم، وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي على تلك الحرة، فقدم، وعزل عبد الله بن الحارث، فأقبلت الخوارج نحو البصرة، وقدم المهلب بن أبي صفرة على تلك من حال الناس من قبل عبد الله بن الزبير، معه عهده على خراسان، فقال الأحنف للحارث بن أبي ربيعة وللناس عامة: لا والله، ما لهذا الأمر إلا المهلب بن أبي صفرة، فخرج أشراف الناس، فكلّموه أن يتولى قتال الخوارج، فقال: لا أفعل، هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان، فلم أكن لأدع عهده وأمره، فدعاه ابن أبي ربيعة فكلّمه في ذلك، فقال له مثل ذلك، فاتفق رأي ابن أبي ربيعة ورأي أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة، سلام عليك، فإني أهد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلى أن الأزارقة المارقة أصابوا جنداً للمسلمين كان عددهم كثيراً، وأشرافهم كثيراً، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة، وقد كنت وجهتك إلى خراسان، وكتبت لك عليها عهداً، وقد رأيت حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتالهم، فقد رجوت أن يكون ميموناً طائرك، مباركاً على أهل مصرك، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خراسان، فسر إليهم راشداً، فقاتل عدو الله وعدوك، ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك، فإنه لن يفوتك من سلطانتنا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله.

فاتي بذلك الكتاب، فلما قرأه قال: فإني والله لا أسير إليهم إلا أن يجعلوا لي ما غلبت عليه، وتعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي، وأنتخب من فرسان الناس وجوهمهم وذوي الشرف من أحببت، فقال جميع أهل البصرة: ذلك لك، قال: فاكتبوا لي على الأخماس بذلك كتاباً ففعلوا، إلا ما كان من مالك بن مسمع وطائفة من بكر بن وائل، فاضطغنوا عليهم المهلب، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن طبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب: وما عليك ألا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعة من أصحابه، إذا أعطاك الذي أردت من ذلك جميع أهل البصرة!

قال عمر: قال زهير: قال وهب: وحدثننا محمد بن أبي عيينة، عن سبرة بن نخف، أن ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق، فهزم جنده وقتل، قال وهب: فحدثنا أبي أن أهل البصرة بعثوا جيشاً عليهم حارثة بن بدر، فلقاهم، فقال لأصحابه:

كربسوا ودولبوا      وحيث شتم فاذهبوا

حدثنا عمر، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا وهب، قال: حدثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة، قال: حدثنا معاوية بن قره، قال: خرجنا مع ابن عبيس فلقيناهم، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحوز، وقتل ابن عبيس.

قال أبو جعفر: وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي نخف، عن أبي المخارق الراسبي من قصة ابن الأزرق، وبني الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر، عن زهير بن حرب، عن وهب بن جرير، والذي ذكر من خبرهم أن نافع بن الأزرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزرد وربيعة وقيم بسبب مسعود بن عمرو، وكثرت جموعه، فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة، فخرج إليه فأخذ مجوزه عن البصرة ويدفعه عن أرضها، حتى بلغ مكنأ من أرض الأهواز يقال له: دولاب، فنهيا الناس بعضهم لبعض وتزاحفوا، فجعل مسلم بن عبيس على ميمته الحجاج بن باب الحميري، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمي، ثم الغدائي، وجعل ابن الأزرق على ميمته عبيدة بن هلال الشكري، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمي، ثم التقوا فاضطربوا، فاقتتل الناس قتالاً لم ير قتال قط أشد منه، فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة، وقتل نافع بن الأزرق رأس الخوارج، وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري، وأمرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز، ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال، فقتل الحجاج بن باب الحميري أمير أهل البصرة، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة. ثم إن أهل البصرة أمروا عليهم ربيعة الأجدم التميمي، وأمرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز، ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا، وقد كره بعضهم بعضاً، وملوا القتال، فإنهم لمواقفون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سرية لهم جامعة لم تكن شهدت القتال، فحملت على الناس من قبل عبد القيس، فانهزم الناس، وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجدم، فقتل، وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر، فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه، فقاتل من وراء



وابنته وأخته إلا دخلها، قال له عبيدة: اسكت يا فاسق فإنما أنت عبد للجبار العنيد، ووزير للظالم الكفور، قال: يا فاسق، وأنت عدو المؤمن التقي، ووزير الشيطان الرجيم، فقال الناس لابن ظبيان: وقتك الله يا ابن ظبيان، فقد والله أجبت الفاسق بجوابه، وصدقته، فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأحاسهم، ومواقفهم الأزدي، وتقيم ميمنة الناس، ويكر بن وائل وعبد القيس مسيرة الناس، وأهل العالية في القلب وسط الناس.

وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري وعلى مسيرتهم الزبير بن الماحوز، وجاؤوا وهم أحسن عدة، وأكرم خيولاً، وأكثر سلاحاً من أهل البصرة، وذلك لأنهم غروا الأرض وجردوها، وأكلوا ما بين كرمين إلى الأهواز، فجاءوا عليهم مغافر تضرب إلى صدورهم، وعليهم دروع يسحبونها، وسوق من زرد يشدون بها بكلايب الحديد إلى مناطقهم، فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال، فصر بعضهم عامة النهار. ثم إن الخوارج شددت على الناس بأجمعها شدة منكراً، فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوي أم على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس، وخافوا السباء، وأسرع المهلب حتى سبقهم إلى مكان يقاع في جانب عن سنن المنهزمين.

ثم إنه نادى الناس: إلي إلي عباد الله، فتاب إليه جماعة من قومه، وثابت إليه سرية عمان فاجتمع إليه منهم نحو من ثلاثة آلاف، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضي جماعتهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أحب أن أحداً ممن انهزم معكم، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خيلاً. عزمتم على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا نحو عسكريهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكريهم، وتقتلوا أميرهم ففعلوا، ثم أقبل بهم راجعاً، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكريهم. ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه، وعليهم الدروع والسلاح كاملاً، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يشخته، ثم يطعنه بعد ذلك برمح، أو يضربه بسيفه، فلم يقاتلهم إلا ساعة حتى قتل عبيد الله ابن الماحوز، وضرب الله وجهه أصحابه، وأخذ المهلب عسكري القوم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم

ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك! انكمش أيها الرجل، واعزم على أمرك، وسر إلى عدوك، ففعل ذلك المهلب، وأمر على الأحماس، فأمر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل، وأمر الحريش بن هلال السعدي على خمس بني تميم، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسر الأصغر، عليهم عبيد الله بن الماحوز، فخرج إليهم في أشرف الناس وفرسانهم وجوهرهم فحازهم عن الجسر، ودفعهم عنه، فكان أول شيء دفعهم عنه أهل البصرة، ولم يكن بقي لهم إلا أن يدخلوا، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر. ثم إنه عبا لهم، فسار إليهم في الخيل والرجال، فلما أن رأوا أن قد أظلم عليهم، وانتهى إليهم، ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى، فلم يزل يجوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة، ومنزلة بعد منزلة، حتى انتهوا إلى منزل من منازل الأهواز يقال له سلى وسلبرى فأقاموا به، ولما بلغ حارثة بن بدر الغداني أن المهلب قد أمر على قتال الأزارقة، قال لمن معه من الناس:

كربنوا ودولبوا وحيث شتمت فاذهبوا  
قد أمر المهلب

فأقبل من كان معه نحو البصرة، فصرهم الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة إلى المهلب، ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه، ووضع المسالحي، وأذكى العيون، وأقام الأحراس، ولم يزل الجند على مصافهم، والناس على راياتهم وأحاسهم، وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها، فكانت الخوارج إذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمراً محكماً، فرجعوا، فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغبط لقلوبهم منه.

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أن رجلاً كان في تلك الخوارج حدثه أن الخوارج بعثت عبيدة ابن هلال والزبير بن الماحوز في خيلين عظيمين ليلاً إلى عسكري المهلب، فجاء الزبير من جانبه الأيمن، وجاء عبيدة من جانبه الأيسر، ثم كبروا وصاحوا بالناس، فوجدتهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين مغذيين، فلم يصيبوا للقوم غرة، ولم يظفروا منهم شيء، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقال:

وجدعوننا وقرأنا أنجاداً لا كشفاً خوراً ولا أوغاداً  
هيهات! إنا ذا صبح بنا أثينا، يا أهل النار، ألا ابكروا إليها  
غدا فإنها ما واكم ومثواكم، قالوا: يا فاسق، وهل تدخر النار إلا لك ولأشباهك! إنها أعدت للكافرين وأنت منهم، قال:  
اتسمعون! كل مملوك لي حر إن دخلتم أنتم الجنة إن بقي فيما بين  
سفوان إلى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسي ينكح أمه

الأخرة وفضلها، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال: أما تظنونه يعرفني إلا بأخي الأزد! ما أهل مكة إلا أعراب.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو المخارق الراسبي أن أبا علقمة اليمحدي قاتل يوم سلى وسلبرى قتالاً لم يقاتله أحد من الناس، وأنه أخذ ينادي في شباب الأزد وقتيان اليمحدي: أعبرونا جهاجمكم ساعة من نهار، فأخذ قتيان منهم يكرون، فيقاتلون ثم يرجعون إليه، يضحكون ويقولون: يا أبا علقمة، القدور تستعار! فلما ظهر المهلب ورأى من بلاته ما رأى وفاه مائة ألف.

وقد قيل: إن أهل البصرة قد كانوا سألوا الأحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة، وأشار عليهم بالمهلب، وقال: هو أقوى على حريهم مني، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شرط على أهل البصرة أن ما غلب عليه من الأرض فهو له ولمن خف معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين، وأنه ليس لمن تخلف عنه منه شيء، فأجابوه إلى ذلك، وكتب بذلك عليهم كتاباً، وأوفدوا بذلك وفداً إلى ابن الزبير.

وإن ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلها للمهلب وأجازها له، وإن المهلب لما أجيب إلى ما سأل وجه ابنه حبيباً في ستمائه فارس إلى عمرو القنا، وهو معسكر خلف الجسر الأصغر في ستمائه فارس، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصغر. فقطع حبيب الجسر إلى عمرو ومن معه، فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر، وانهمزوا حتى صاروا من ناحية الفرات، وتجهز المهلب فيمن خف من قومه معه، وهم اثنا عشر ألف رجل، ومن سائر الناس سبعون رجلاً، وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر، وعمرو القنا بإزائه في ستمائه.

فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرجالة. فهزمتهم الرجالة بالنبل، واتبعتهم الخيل، وأمر المهلب بالجسر فعقد، فعبر هو وأصحابه، فلحق عمرو القنا حينئذ بابين الماحوز وأصحابه، وهو بالفتح، فأخبرهم الخبر، فساروا فعسكروا دون الأهواز بشمانية فراسخ، وأقام المهلب بقية سنته، فجبي كور دجلة، ورزق أصحابه، وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك فأتيتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفاً.

قال أبو جعفر: فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالمهم عن نواحي البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهان وكرمان في سنة ست وستين. وقيل: إنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف، وإنه قتل منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف.

راجعاً، وقد وضع لهم المهلب خيلاً ورجالاً في الطريق تحتظفهم وقتلتهم، فانكفؤوا راجعين مفلولين، مقتولين عرويين، مغلولين، فارتفعوا إلى كرمات وجانب أصفهان، وأقام المهلب بالأهواز، ففي ذلك اليوم يقول الصلتان العبدى:

بسلى وسلبرى مصارع قتية كرام وقتلى لم توسد حدودها وانصرفت الخوارج حين انصرفت، وإن أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد، حتى جاءتهم مادة لهم من قبل البحرين، فخرجوا نحو كرمات وأصبهان، فأقام المهلب بالأهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرة، وعزل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عنها.

ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. للأمير الحارث بن عبد الله، من المهلب بن أبي صفرة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين، وهزم الفاسقين، وأنزل بهم نعمته، وقتلهم كل قتلة، وشردهم كل مشرد. أخبر الأمير أصلحه الله أنا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الأهواز يقال لها سلى وسلبرى، فزحفنا إليهم ثم ناهضناهم، فاقتلنا كأشد القتال ملياً من النهار. ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضهم إلى بعض، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم، وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هي الأصرى منهم. فلما رأيت ذلك عمدت إلى مكان يفاع فعلوته، ثم دعوت إلى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة، فتاب إلى أقوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء، فقصدت بهم إلى عسكر القوم، وفيه جماعتهم وحدهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم، وذوو النيات منهم، فاقتلنا ساعة رمياً بالنبل، وطعناً بالرماح ثم خلص الفريقان إلى السيوف، فكان الجلال بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة. ثم إن الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين. وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم في رجال كثير من حماهم وذوي نياتهم، فقتلهم الله في المعركة ثم اتبعت الخيل شرادهم فقتلوا في الطريق والآخاذ والقرى، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به إلى الزبير فقرأ على الناس بمكة.

وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب.

أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر فيه نصر الله إياك، وظفر المسلمين، فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزها، وثواب

وكانت أم ابنه محمد امرأة من تميم تدعى صفية، فلما جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمداً بهراً، فكتب ابن خازم إلى بكير وشماس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة، فأما شماس بن دثار فأبى ذلك، وخرج من هراة، فصار من بني تميم، وأما بكير فمنعهم من الدخول.

فذكر علي بن محمد أن زهير بن الهنيد حدثه أن بكير بن وشاح لما منع بني تميم من دخول هراة أقاموا ببلاد هراة، وخرج إليهم شماس بن دثار فارسل بكير إلى شماس: إني أعطيك ثلاثين ألفاً، وأعطي كل رجل من بني تميم ألفاً على أن ينصرفوا، فأبوا، فدخلوا المدينة، وقتلوا محمد بن عبد الله ابن خازم. قال علي: فأخبرنا الحسن بن رشيد، عن محمد بن عزيز الكندي قال: خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيد بهراة، وقد منع بني تميم من دخولها، فرصدوه، فأخذوه فشدوه وثاقاً وشربوا ليلتهم، وجعل كلما أراد رجل منهم البول بال عليه، فقال لهم شماس بن دثار: أما إذا بلغت هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلتهما بالسياط. قال: وقد كان أخذ قبيل ذلك رجلين من بني تميم، فضربهما بالسياط حتى ماتا. قال: فقتلوه، قال: زعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم أن جيهان بن مشجعة الضبي نهاهم عن قتله، وألقى نفسه عليه، فشكل له ابن خازم ذلك، فلم يقتله فيمن قتل يوم فرتنا. قال: فزعم عامر بن أبي عمر أنه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون أن الذي ولي قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن سعد، يقال لأحدهما: عجلة، وللآخر عجل لكومه شراً.

قال علي: وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيذ العدوي، قال: لما قتل بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا إلى مرو، فطلبهم بكير بن وشاح فأدرك رجلاً من بني عطارد يقال له شميخ، فقتله، وأقبل شماس وأصحابه إلى مرو، فقالوا لبني سعد: قد أدركنا لكم بشاركم، قتلنا محمد بن عبد الله بن خازم بالجشمي الذي أصيب بمرو، فأجمعوا على قتال ابن خازم، وولوا عليهم الحريش بن هلال القريني.

قال: فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس، قال: أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن خازم، وقال: وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم، إنما الرجل منهم كتيبة، منهم شماس بن دثار، ومجير بن ورقاء الصرمي، وشعبة بن ظهير النهشلي، وورد بن الفلق العنبري، والحجاج بن ناشب العدوي - وكان من أرمي الناس - وعاصم بن حبيب العدوي، فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم ستين.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة، وذلك قبل مسيره إلى مصر.

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة، وولاهما عبد الله بن مطيع، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير، وولاهما أخاه مصعب بن الزبير، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه - فيما ذكر الواقدي - خطب الناس فقال لهم: قد رأيتم ما صنع بقرم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فسمي بقرم الناقة، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: إن هذا هو التكلف.

### ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام

وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام، فأدخل الحجر فيه. أخبرنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد، قال: حدثني زياد بن جيل أنه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير، فسمعه يقول: إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «لولا حدائنة عهد قومكم بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم، فأزيد في الكعبة من الحجر». فأمر به ابن الزبير فحفر، فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل، فحركوا منها صخرة، فبرقت بارقة فقال: أقروها على أساسها، فبناها ابن الزبير، وجعل لها بابين: يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر.

قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير، وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن مطيع، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو الذي يقال له القبايع. وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

### خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم

وفي هذه السنة خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن من كان بخراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على من كان بها من ربيعة، وعلى حرب أوس بن ثعلبة حتى قتل من قتل منهم، وظفر به، وصفا له خراسان، فلما صفا له ولم يناعه به أحد جفاهم. وكان قد ضم هراة إلى ابنه محمد واستعمله عليها، وجعل بكير بن وشاح على شرطته، وضم إليه شماس بن دثار العطاردي،

العدوي قتل في تلك الحرب، فقال له أخوه زهير وبه رمق: من قتلك؟ قال: لا أدري، طعنني رجل على برذون أصفر، قال: فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلا حمل عليه، فمنهم من يقتله، ومنهم من يهرب، فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر، فكانت خلافة في العسكر لا يركبها أحد. وقال الحريش في قتاله ابن خازم:

أزال عظم يميني عن مركبه حمل الرديني في الإدلاج والسحر  
حولين ما اغتمضت عيني بمنزلة إلا وكفي وساد لي على حجر  
بزى الحديد وسربالي إذا هجعت عني العيون محال القارح الذكر

قال: فلما طالت الحرب والشر بينهم ضجروا، قال: فخرج الحريش فنادى ابن خازم، فخرج إليه فقال: قد طالت الحرب بيننا، فعلام تقتل قومي. وقومك! إبرز لي، فأبنا قتل صاحبه صارت الأرض له، فقال ابن خازم: وأبيك لقد أنصفتني، فبرز له، فتصاولا تصاول الفحلين، لا يقدر أحد منهما على ما يريد. وتغفل ابن خازم غفلة، وضربه الحريش على رأسه، فرمى بفرقة رأسه على وجهه، وانقطع ركابا الحريش، وانتزع السيف. قال: فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعاً إلى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه، ثم غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أياماً، ثم مل الفريقان ففترقوا ثلاث فرق، فمضى بجر بن ورقاء إلى أبرشهر في جماعة، وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى، وقيل: أتى سجستان، وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز إلى فرتنا، فنزل قصرأ بها، ومضى الحريش إلى ناحية مرو الروذ، فاتبعه ابن خازم، فلحقه بقرية من قرأها يقال لها قرية الملحمة - أو قصر الملحمة - والحريش بن هلال في اثني عشر رجلاً، وقد تفرق عنه أصحابه، فهم في خربة، وقد نصب رماحاً كانت معه وترسة.

قال: وانتهى إليه ابن خازم، فخرج إليه في أصحابه، ومع ابن خازم مولى له شديد البأس، فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيئاً، فقال رجل من بني ضبة للحريش: أما ترى ما يصنع العبد! فقال له الحريش: عليه سلاح كثير، وسيفي لا يعمل في سلاحه، ولكن انظر لي خشبة ثقيلة، فقطع له عوداً ثقيلاً من عتاب - ويقال: أصابه في القصر - فأعطاه إياه، فحمل به على مولى ابن خازم، فضربه فسقط وقيداً. ثم أقبل على ابن خازم، فقال: ما تريد إلي وقد خلعتك والبلاد! قال: إنك تعود إليها، قال: فإني لا أعود، فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود إلى قتاله، فوصله ابن خازم بأربعين ألفاً. قال: وفتح له الحريش باب القصر، فدخل ابن خازم، فوصله وضمن له قضاء دينه، وتحديثاً طويلاً. قال: وطارت قطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه، فقام الحريش فتناولها، فوضعها على رأسه، فقال له ابن خازم: مسك اليوم يا أبا قدامة ألين من مسك أمس قال: معذرة إلى الله وإليك، وأما والله لولا أن ركابي انقطعاً لحالط السيف أضراسك. فضحك ابن خازم، وانصرف عنه، وتفرق جمع بني تميم، فقال بعض شعراء بني تميم:

فلو كنتم مثل الحريش صبر وكنتم بقصر الملح خير فوارس  
إذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم سجال دم يورثن طول وساوس  
قال: وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب

فكتب إليهما عبد الله بن عمر.

أما بعد، فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر، والذي بيني وبينكما من الود، فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة الله.

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه، فأتاه أناس من أصحابه كثير، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم لعبد الله بن يزيد: ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم! ضمنه عشرة منهم أشرفاً معروفين، ودع سائرهم. ففعل ذلك، فلما ضمنوه، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، لا يبغيهما غائلة، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة، ومما ليكه كلهم ذكرهم وأثامهم أحرار. فحلف لهما بذلك، ثم خرج فجاء داره فترها.

قال أبو مخنف: فحدثني يحيى بن أبي عيسى، عن حميد بن مسلم، قال: سمعت المختار بعد ذلك يقول: قاتلهم الله! ما أحقهم حين يرون أنني أفي لهم بأيمانهم هذه! أما حلفي لهم بالله، فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير، وأكفر بيمين، وخروجي عليهم خير من كفي عنهم، وأكفر بيمين، وأما هدي ألف بدنة فهو أهون علي من بصفة، وما ثمن ألف بدنة فيهلوني! وأما عتق عماليكي فوالله لوددت أنه قد استتب لي أمري، ثم لم أملك مملوكاً أبداً.

قال: ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن، اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه، واتفق رأيها على الرضا به، وكان الذي يبيع له الناس وهو في السجن خمسة نفر: السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس، وأحر بن شبيب، ورفاعة بن شداد الفتياني، وعبد الله بن شداد الجشمي.

قال: فلم تزل أصحابه يكثر، وأمره يقوى ويشد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الصقعب بن زهير، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدي بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة. قال: فبلغ ذلك

## السنة السادسة والستون

### ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها

#### من الأمور الجليلة

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي.

ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن فضيل بن خديج، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند، أن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار.

أما بعد، فإن الله أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحلين، إنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبه، ولم تخطوا خطرة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصى إلا الله من التضعيف، فأبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً، وقتلهم فداً وتوأمأ، فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى، والسلام يا أهل الهدى.

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو، من بني ليث عبد القيس قد أدخله في قلعنوته فيما بين الظهارة والبطانة، فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد والمثنى بن غزيرة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحر بن شبيب الأحسي وعبد الله بن شداد البجلي وعبد الله بن كامل، فقرأ عليهم الكتاب، فبعضوا إليه ابن كامل، فقالوا: قل له: قد قرأنا الكتاب، ونحن حيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا. فأتاه، فدخل عليه السجن، فأخبره بما أرسل إليه به، فسر باجتماع الشيعة له، وقال لهم: لا تريدوا هذا، فإني أخرج في أيامي هذه.

قال: وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زريباً إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكتب إليه.

أما بعد: فإني قد حبست مظلوماً، وظن بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب في يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً، عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك، والسلام عليك.

سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيتنا ولا في أنفسنا، فإنها إنما كانت أثره وهوى، ولا في سيرة عمر الخطاب في فيتنا، وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرراً، وقد كان لا يألو الناس خيراً. فقال يزيد بن أنس: صدق السائب بن مالك وبر، رأينا مثل رايه، وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتوها ثم نزل. فقال يزيد بن أنس الأسدي: ذهبت بفضلها يا سائب، لا يعدمكم المسلمون! أما والله لقد قمت وإنسي لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك، وما أحب أن الله ولي الرد عليه رجلاً من أهل المصر ليس من شيعتنا.

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع. فقال له: إن السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار، ولست آمن المختار، فابعث إليه فليأتك، فإذا جاءك فاجسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس، فإن عيوني قد أتني فخبرتني أن أمره قد استجمع له، وكأنه قد وثب بالمصر. قال: فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان. فدخلوا عليه، فقالا: أجب الأمير، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابته، وتحشش للذهاب معهما، فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَذِمْكُمْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَاكِرِينَ﴾، ففهمها المختار، فجلس ثملقى ثيابه عنه، ثم قال: القوا علي القטיפه، ما أراني إلا قد وعكت، إني لأجد قفقه شديدة، ثم تمثل قول عبد العزى بن سهل الأزدي:

إذا ما معشر تركوا ندامهم ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا  
ارجعنا إلى ابن مطيع، فأعلمناه حالي التي أنا عليها. فقال له زائدة بن قدامة: أما أنا ففاعل، فقال: وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فإنه خير لك.

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني، عن حسين بن عبد الله، قال: قلت في نفسي: والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بأمن من أن يظهر غداً فيهلكني. قال: فقلت له: نعم، أنا أضع عند ابن مطيع عذرک، وأبلغه كل ما تحب، فخرجنا من عنده، فإذا أصحابه على بابه، وفي داره منهم جماعة كثيرة. قال: فأقبلنا نحو ابن مطيع، فقلت لزائدة بن قدامة: أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية، وعلمت ما أردت بها، وقد علمت أنها هي ثبته عن الخروج معنا بعدما كان قد لبس ثيابه، وأسرج دابته، وعلمت حين تمثل البيت الذي غثل أنما أراد بخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه، وأنه لن يأتيه. قال: فجاحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك، فقلت له: لا تحلف،

بحير بن ريسان الحميري، فلقيهما، فقال لهما: يا هذان، إن القمر الليلة بالناطح، فلا تسيرا. فأما ابن أبي ربيعة، فأطاعه، فأقام يسيراً ثم شخص إلى عمله فسلم، وأما عبد الله بن مطيع فقال له: وهل نطلب إلا النطح! قال: فلقني والله نطحاً وبطحاً، قال: يقول عمر: والبلاء موكل بالقول.

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالاً على البلاد، فقال: من بعث على البصرة؟ فقتل: بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال: لا حر بوادي عوف، بعث عوفاً وجلس! ثم قال: من بعث على الكوفة؟ قالوا: عبد الله بن مطيع، قال: حازم وكثيراً ما يسقط، وشجاع وما يكره أن يفر، قال: من بعث على المدينة؟ قالوا: بعث أخاه مصعب بن الزبير، قال: ذلك الليث النهدي، وهو رجل أهل بيته.

قال هشام: قال أبو مخنف: وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان، فقال لعبد الله بن يزيد: إن أحببت أن تقيم معي أحسنت صحبتك، وأكرمت مثواك، وإن لحقت بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة، وعلى من قبله من المسلمين. وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة: الحق بأمر المؤمنين، فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة، وكسر على ابن الزبير الخراج، وقال: إنما كانت فتنة، فكف عنه ابن الزبير.

قال: وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج، وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي، وأمره أن يحسن السيرة والشفقة على المريب.

قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي - وكان قد أدرك ذلك الزمان، وشهد قتل مصعب بن الزبير - قال: إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم، وأمرني ببجاية فينكم، وألا أحمل فضل فينكم عنكم إلا برضاً منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين، فاتقوا الله واستقيموا ولا تحتلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلو موات أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأقيممن دره الأصغر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري، فقال: أما أمر ابن الزبير إياك ألا تحمل فضل فيتنا عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أننا لا نرضى أن تحمل فضل فيتنا عنا، وألا يقسم إلا فينا، وألا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي

الحكيم وهي ملحمة كتبت عليه، وكرامة أهداها الله له، رفع بما كان منها درجات قوم عنده، ووضع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

قال: فخرجنا من عنده، ونحن نقول: قد أذن لنا، قد قال: لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا.

قال: فجننا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ممن كنا قد أعلمنا بمخرجنا وأطلعنا على ذات أنفسنا، عن كان على رأينا من إخواننا، وقد كان بلغ المختار مخرجنا، فشق ذلك عليه، وخشي أن تأتيه بامر يخذل الشيعة عنه، فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا، فلم يتهيأ ذلك له، فكان المختار يقول: إن نفيراً منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا، وإن هم كبروا وهابوا، واعترضوا ونخابوا، فقد شبروا وخابوا، فلم يكن إلا شهراً وزيادة شيء، حتى أقبل القوم على رواحلهم، حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم، فقال لهم: ما وراءكم؟ فقد فتنتم وارتبتم، فقالوا له: قد امرنا بنصرتك فقال: الله أكبر! أنا أبو إسحاق، اجمعوا إلى الشيعة، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال: يا معشر الشيعة، إن نفيراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى إمام الهدى، والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى، حاشا النبي المجتبى، فسألوه عما قدمت به عليكم، فبأهم أبي وزيره وظهره. ورسوله وخليله، وأمركم باتاعي وطاعي فيما دعوتكم إليه من قتال الحليين، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفى.

فقام عبد الرحمن بن شريح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا معشر الشيعة، فإننا قد كنا أحييناً أن نستثيت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة، فقدمنا على المهدي بن علي، فسألناه عن حربنا هذه، وعما دعانا إليه المختار منها، فأمرنا بمظاهرة ومؤازرته وإجابتة إلى ما دعانا إليه، فأقبلنا طيبة أنفسنا، منشحة صدورنا، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا، فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم، واستعدوا وتأهبوا. ثم جلس وقمنا رجلاً فرجلاً، فنكلمنا بنحو من كلامه، فاستجمعت له الشيعة وحديث عليه.

قال أبو مخنف: فحدثني غير بن وعلة والمشرقي، عن عامر الشعبي، قال: كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار. قال: فلما نهيا أمره ودنا خروجه، قال له أحر بن شميطة ويزيد بن أنس

فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه، ولقد علمت أنك مشفق عليه، تجد له ما يجد المرء لابن عمه. فأقبلنا إلى ابن مطيع، فاخبرناه بعلته وشكواه، فصدقنا ولها عنه.

قال: وبعث المختار إلى أصحابه، فأخذ يجمعهم في الدور حوله، وأراد أن يشب بالكوفة في الحرم، فجاء رجل من أصحابه من شبام - وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح - فلقى سعيد بن منفذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي، فاجتمعوا في منزل سعر الحنفي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

أما بعد، فإن المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا أثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له: أرشدك الله! فقد أصبت ووقفت، اخرج بنا إذا شئت. فاجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم، فخرجوا، فلحقوا بابن الحنفية، وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح، فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه.

قال أبو مخنف: فحدثني خليفة بن وراق، عن الأسود بن جراد الكندي قال: قلنا لابن الحنفية، إن لنا إليك حاجة، قال: فسر هي أم علانية؟ قال: قلنا: لا، بل سر، قال: فريدأ إذا، قال: فمكث قليلاً، ثم تنحى جانباً فدعانا فقمنا إليه، فبدأ عبد الرحمن بن شريح، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة، وشرفكم بالنبوة، وعظم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي، مخسوس النصب، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه. عظمت مصيبة اختصاصكم بها، بعد ما عم بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك. ثم إنا رأينا أن أناتيك فنذكر لك ما دعانا إليه، وندينه له، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا، وهو يسمع، حتى إذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: أما بعد، فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل، فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فله الحمد!

وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين، فإن ذلك كان في الذكر

تفعل فهذا الكتاب حجة عليك، وسيغني الله المهدي محمداً وأوليائه عنك.

قال الشعبي: وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله، فلما قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فدفعته إليه، فدعا بالمصباح وفض خاتمه، وقرأه فإذا هو.

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبني الذي ارتضيته لنفسه، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز، وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، على الوفاء بذلك على عهد الله، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن آبيت هلكت هلاكاً لا تستقيه أبداً، والسلام عليك.

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب قال: لقد كتبت إلى ابن الحنفية، وقد كتبت إليه قبل اليوم، فما كان يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه، قال له المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلي؟ فقال له يزيد بن أنس وأحمد بن شमित وعبد الله بن كامل وجماعتهم - قال الشعبي: إلا أنا وأبي - فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي إليك، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه، فقال: أبسط يدك أبياعك، فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ودعا لنا بفأكهة، فأصبنا منها، ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا، وخرج معنا ابن الأشتر، فركب مع المختار حتى دخل رحله، فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي، فقال: انصرف بنا يا شعبي، قال: فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله، فقال: يا شعبي، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك، أفترى هؤلاء شهدوا على حق؟ قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشايخه المصروفون العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً. قال: فقلت له هذه المقالة، وأنا والله لهم على شهادتهم متهم، غير أنني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم، وأحب تمام ذلك الأمر، فلم أطلعهم على ما في نفسي من ذلك، فقال لي ابن الأشتر: اكتب لي أسماءهم فإني ليس كلهم أعرف. ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسدي وأحمد بن شमित

وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد: إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا، ولا يضرنا خلاف من خالفنا، فإنه فتى بئيس، وابن رجل شريف بعيد الصيت، وله عشيرة ذات عز وعدد. قال لهم المختار: فאלقوه فادعوه، وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته.

قال الشعبي: فخرجوا إليه وأنا فيهم وأبي، فتكلم يزيد بن أنس، فقال له: إنا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك، وندعوك إليه، فإن قبلته كان خيراً لك، وإن تركته فقد أدبنا إليك فيه النصيحة، ونحن نحب أن يكون عندك مستوراً. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته، ولا التقرب إلى سلطانه باغتيال الناس، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همماً. فقال له: إنما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملأ من الشيعة، إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه، والطلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلين، والدفع عن الضعفاء. قال: ثم تكلم أحمد بن شमित، فقال له: إني لك ناصح، ولحظك محب، وإن أباك قد هلك وهو سيد الناس وفيك منه إن رعيت حق الله خلف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت إليك منزلة أبيك في الناس، وأحييت من ذلك أمراً قد مات، إنما يكفي مثلك السير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بني لك أولك مقتحراً. وأقبل القوم كلهم عليه يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولوني الأمر، فقالوا: أنت لذلك أهل، ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي، وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته. فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجيبهم. فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما رد علينا، قال: فغير ثلاثاً، ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه - قال الشعبي: أنا وأبي فيهم - قال: فسار بنا ومضى أماناً يقدر بنا بيوت الكوفة قد لا ندري أين يريد، حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر، فاستأذنا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائد، فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه، فقال المختار.

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله، وصلى الله على محمد، والسلام عليه، أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي، وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله، وهو يسألك أن تنصرتنا وتوازرنا، فإن فعلت اغتبطت، وإن لم



الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر.

قال أبو مخنف: فحدثني يحيى بن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال: خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث، ونحن مع ابن الأشرر كتيبة نحو من مائة، علينا الدروع، قد كفرنا عليها بالأقيية، ونحو متقلدو السيف، ليس معنا سلاح إلا السيف في عواتقنا، والدروع قد سترناها بأقييتنا، فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزناها إلى دار أسامة. قلنا: مر بنا على دار خالد بن عرفة، ثم امض بنا إلى بجيلة، فلنمر في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار - وكان إبراهيم فتى حدثاً شجاعاً، فكان لا يكره أن يلقاهم - فقال: واللّه لأمرئ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق، ولأرعين به عدونا ولأرينهم هوانهم علينا. قال: فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبار، ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث، حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح، فقال لنا: من أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشرر، فقال له ابن مضارب: ما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ واللّه إن أمرك لمريب! وقد بلغني أنك تمر كل عشية هاتنا، وما أنا بتاركك حتى آتي بسك الأمير فيرى فيك رأيي. فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك! خل سيلنا، فقال: كلا واللّه لا أفعل - ومع إياس بن مضارب رجل من همدان، يقال له أبو قطن، كان يكون مع إمرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه، وكان لابن الأشرر صديقاً - فقال له ابن الأشرر: يا أبا قطن، ادن مني - ومع أبي قطن رمح له طويل - فدنا منه أبو قطن، ومعه الرمح، وهو يرى أن ابن الأشرر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلي سبيله، فقال إبراهيم - وتناول الرمح من يده: إن رحمتك هذا لطويل، فحمل به إبراهيم على ابن مضارب، فطعنه في ثغرة غمره فصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل عليه. فاحتز رأسه، فنزل إليه فاحتز رأسه، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع. فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه على الشرطة، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد.

وأقبل إبراهيم بن الأشرر إلى المختار ليلة الأربعاء، فدخل عليه فقال له إبراهيم: إنا اتعدنا للخروج للقبيلة ليلة الخميس، وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة، قال المختار: ما هو؟ قال: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه، فقتلته، وهذا رأسه مع أصحابي على الباب. فقال المختار: فبشرك الله بخير! فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح إن شاء الله. ثم قال المختار: قم يا سعيد بن منقذ، فاشعل في الهرادي النيران ثم

الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي، حتى أتى على أسماء القوم، ثم كتب: شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشرر يأمره بموازرة المختار ومظاهرتهم على قتال الحليين، والطلب بدماء أهل البيت، وشهد على هؤلاء النفس الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل بن عبد - وهو أبو عامر الشعبي الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي، وعامر بن شراحيل الشعبي. فقلت له: ما تصنع بهذا رحلك الله؟ فقال: دعه يكون. قال: ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار.

قال هشام بن محمد: قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي، قال: كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشرر، وكان يختلف إليه، ويذهب به معه، وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء، فيأتي المختار، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم، ثم ينصرف، فمكثوا بذلك يديرون أمورهم، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم. فلما كان عند غروب الشمس، قام إبراهيم بن الأشرر، فأذن، ثم إنه استقدم، فصلى بنا المغرب، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت: أخوك أو الذنب - وهو يريد المختار - فأقبلنا علينا السلاح، وقد أتى إياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، قال: فخرج إياس في الشرط، فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة، وأقبل يسير حول السوق في الشرط.

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع، فقال له: إني قد بعثت ابني إلى الكناسة، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة، هاب المريب الخروج عليك. قال: فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع. وقال: اكفني قومك، لا أوتين من قبلك، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها، لا يحدث بها حدث، فأوليك العجز والوهن. وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة، وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى جبانة الصائدين، وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبانة مراد، وأوصى كل رجل أن يكفيه قومه، والأ يوتى من قبله، وأن يحكم الوجه الذي وجهه فيه، وبعث شيب بن ربعي إلى السبخة، وقال: إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم، فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين، فنزلوا هذه الجباين، وخرج إبراهيم بن الأشرر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار، وقد بلغه أن الجباين قد حشيت رجلاً، وأن

حتى أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً وهم يتلاومون، فقال قائل منهم: إن هذا الأمر يراد، ما يلقون لنا جماعة إلا هزموهم! فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة. وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم: اتبعهم واغتنم ما قد دخلهم من الرعب، فقد علم الله إلى من ندعو وما نطلب. وإلى من يدعون وما يطلبون! قال: لا، ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتى يؤمن الله وحشته، ونكون من أمره على علم، ويعلم هو أيضاً ما كان من عائنا، فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة إلى قواهم وبصيرتهم، مع أنني لا آمن أن يكون قد أتني.

فأقبل إبراهيم في أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث، فوقف به ساعة، ثم مضى حتى أتى دار المختار، فوجد الأصوات عالية، والقوم يقتتلون، وقد جاء شيث بن ربعي من قبل السبخة، فعبى له المختار يزيد بن أنس، وجاء حجار بن أبجر العجلي. فجعل المختار في وجهه أمر بن شميطة، فالناس يقتتلون، وجاء إبراهيم من قبل القصر، فبلغ حجاراً وأصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم، ففترقوا قبل أن يأتهم إبراهيم، وذهبوا في الأثرة والسكك، وجاء قيس بن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار، فحمل على شيث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس، فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعاً. ثم إن شيث بن ربعي ترك لهم السكة، وأقبل حتى لقي ابن مطيع، فقال: ابعث إلى أمراء الجبابين فمرهم فليأتوك، فاجمع إليك جميع الناس، ثم انهض إلى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم، فإن أمر القوم قد قوي، وقد خرج المختار وظهر، واجتمع له أمره. فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شيث بن ربعي على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة.

قال: وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم، يخافون أن يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم، وكان كعب في جبانة بشر، فلما بلغه أن شاكر أخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان، وأخذ عليهم بأقواء سككهم وطرقهم. قال: فلما أتاهم أبو عثمان النهدي في عصابة من أصحابه، نادى: يا لثارات الحسين. يا منصور أمست. يا أيها الحي المهتدون إلا أن أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند، ويعني إليكم داعياً ومبشراً، فاحرجوا إليه يرحمكم الله! قال: فخرجوا من الدور يتداعون: يا لثارات الحسين! ثم ضاربوا كعب بن أبي كعب حتى خلى لهم الطريق، فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في عسكره، وخرج عبد الله بن قنبر الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار، فنزلوا معه في

أرفعها للمسلمين، وقم أنت يا عبد الله بن شداد، فناد: يا منصور أمست، وقم أنت يا سفيان بن ليل، وأنت يا قدامة بن مالك، فننادي: يا لثارات الحسين! ثم قال المختار: علي بدرعي وسلاحي، فأتي به، فأخذ يلبس سلاحه ويقول:

قد علمت بيضاء حسناء الظلل واضحة الخدين عجزاء الكفل  
أنني غداة الروح مقدم بطل

ثم إن إبراهيم قال للمختار: إن هؤلاء الرؤوس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا، ويضيقون عليهم، فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي، فيأتيني كل من قد بايعني من قومي، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة، ودعوت بشعارنا، فخرج إلي من أراد الخروج إلينا، ومن قدر على إتيانك من الناس، فمن أتاك حبسته عندك إلى من معك ولم تفرقهم، فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتع به، وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال. قال له: إمالا فاعجل وإياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله. ولا تقاتل أحد وأنت تستطيع ألا تقاتل، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدك أحد بقتال.

فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتبية التي أقبل فيها، حتى أتى قومه، واجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه. ثم إنه سار بهم في سكك الكوفة طويلاً من الليل، وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأقواء الطرق العظام، حتى انتهى إلى مسجد السكون، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير. فشد عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه، فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة. فقال إبراهيم: من صاحب الخيل في جبانة كندة؟ فشد إبراهيم وأصحابه عليهم، وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك. وثرنا لهم. فانصرنا عليهم، ونم لنا دعوتنا، حتى انتهى إليهم هو وأصحابه، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له: زحر بن قيس، فقال: انصرفوا بنا عنهم، فركب بعضهم بعضاً كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة، فانصرفوا يسرون.

ثم خرج إبراهيم يسير حتى انتهى إلى جبانة أثير، فوقف فيها طويلاً، ونادى أصحابه بشعارهم، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المقرئ مكانهم في جبانة أثير، فرجأ أن يصيبهم فيحطى بذلك عند ابن مطيع، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة، فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه: يا شرطة الله، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله ﷺ، فنزلوا. ثم شد عليهم إبراهيم فصر بهم

عسكره، وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافه. فلما عرفهم ورأى أنهم قومه خلى عنهم. ولم يقاتلهم. وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم: إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع، فالحقوا بالمختار. فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بابعوه، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر. فاصبح قد فرغ من تهيئة.

قال أبو مخنف: فحدثني الوالي قال: خرجت أنا وحميد بن مسلم، والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلة خرج، فأتيته في داره، وخرجنا معه إلى معسكره، قال: فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تهيئته، فلما أصبح استقدم، فصلى بنا الغداة بغلس، ثم قرأ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ و﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، قال: فما سمعنا إماماً أم قوماً أفصح لهجة منه.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، أن ابن مطيع بعث إلى أهل الجبابين فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد، وقال لراشد بن إياس بن مضارب: ناد في الناس فليأتوا المسجد، فتأدى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة! فتوافى الناس في المسجد، فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبت بن ربيعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبي سعيد الصيقل، قال: لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد، فقال المختار: من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم؟ فقلت له: أنا أصلحك الله! فقال المختار: إما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار، ثم تأتيني بخبرهم. قال: ففعلت، فلما دنوت منهم إذا مؤذنهم يقيم، ففجئت حتى دنوت منهم فإذا شبت بن ربيعي معه خيل عظيمة، وعلى خيله شبان بن حريث الضبي، وهو في الرحالة معه منهم كثرة، فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه، قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فقلت في نفسي: أما والله إنني لأرجو أن يزلزل الله بكم، وقرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فقال أناس من أصحابه: لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً! فقال شبت: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة (البقرة) و(آل عمران)! قال: وكانوا ثلاثة آلاف، قال: فأقبلت سريعاً حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبت وأصحابه، وأثناء معي ساعة أتيت شعر بن أبي شعر الحنفي يركض من قبل مراد، وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة

قال أبو مخنف: قال أبو سعيد الصيقل: كنت أنا فيمن توجه مع نعيم بن هبيرة إلى شبت ومعني شعر بن أبي شعر الحنفي، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالاً شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة شعر بن أبي شعر الحنفي على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبطت، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت، ثم إن شبت بن ربيعي ناداهم: يا حماة السوء! بش فرسان الحقائق أنتم. أمن عبيدكم تهربون. قال: فثابت إليه منهم جماعة فشد علينا وقد تفرقنا فهزمننا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل شعر فأسر وأسرنا أنا وخليد مولى حسان بن محدوج، فقال شبت لخليد - وكان وسيماً جسيماً - : من أنت؟ فقال: خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شبت: يا ابن المتكأ، تركت بيع الصحنة بالكاسة وكان جزءاً من أعنتك أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه. اضربوا عنقه، فقتل، ورأى شعراً الحنفي فعرفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم، فقال: ويحك ما أردت إلى اتباع هذه السبية. قبح الله رأيك، دعوا ذا. فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي، إن علم والله إنني مولى قتلي. فلما عرضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تيم الله، قال: أعربي أنت أو مولى؟ فقلت: لا بل عربي، أنا من آل زياد بن خصفة، فقال: بخ بخ. ذكرت الشريف المعروف، الحق بأهلك. قال: فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء، وكانت لي في قتال القوم بصيرة، ففجئت حتى انتهيت إلى المختار، وقلت في نفسي: والله لآتين أصحابي فلاواسينهم بنفسي، فقبح الله العيش بعدهم. قال: فأتيتهم وقد سبقني إليهم شعر الحنفي، وأقبلت إليه خيل شبت، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير، قال: فدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمري، فقال لي: اسكت فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شبت حتى أحاط بالمختار ويزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير، فوقفوا في

عسكره، وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافه. فلما عرفهم ورأى أنهم قومه خلى عنهم. ولم يقاتلهم.

وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم: إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع، فالحقوا بالمختار. فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بابعوه، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر. فاصبح قد فرغ من تهيئة.

قال أبو مخنف: فحدثني الوالي قال: خرجت أنا وحميد بن مسلم، والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلة خرج، فأتيته في داره، وخرجنا معه إلى معسكره، قال: فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تهيئته، فلما أصبح استقدم، فصلى بنا الغداة بغلس، ثم قرأ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ و﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، قال: فما سمعنا إماماً أم قوماً أفصح لهجة منه.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، أن ابن مطيع بعث إلى أهل الجبابين فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد، وقال لراشد بن إياس بن مضارب: ناد في الناس فليأتوا المسجد، فتأدى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة! فتوافى الناس في المسجد، فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبت بن ربيعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبي سعيد الصيقل، قال: لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد، فقال المختار: من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم؟ فقلت له: أنا أصلحك الله! فقال المختار: إما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار، ثم تأتيني بخبرهم. قال: ففعلت، فلما دنوت منهم إذا مؤذنهم يقيم، ففجئت حتى دنوت منهم فإذا شبت بن ربيعي معه خيل عظيمة، وعلى خيله شبان بن حريث الضبي، وهو في الرحالة معه منهم كثرة، فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه، قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فقلت في نفسي: أما والله إنني لأرجو أن يزلزل الله بكم، وقرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فقال أناس من أصحابه: لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً! فقال شبت: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة (البقرة) و(آل عمران)! قال: وكانوا ثلاثة آلاف، قال: فأقبلت سريعاً حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبت وأصحابه، وأثناء معي ساعة أتيت شعر بن أبي شعر الحنفي يركض من قبل مراد، وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة

النجاء، فعثر بحسان فرسه فوق. فقال: تعساً لك، أبا عبد الله! وابتدره الناس فأحاطوا به، فضاربهم ساعة بسيفه، فناداه خزمية بن نصر، قال: إنك آمن يا أبا عبد الله، لا تقتل نفسك، وجاء حتى وقف عليه ونهته الناس عنه. ومرو به إبراهيم، فقال له خزمية: هذا ابن عمي وقد أمته، فقال له إبراهيم: أحسنت، فأمر خزمية بطلب فرسه حتى أتى به، فحملة عليه. وقال: الحق بأهلك.

قال: وأقبل إبراهيم نحو المختار، وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس. فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التي تلي السبخة، وإبراهيم مقبل نحو شبث، أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزمية بن نصر، فقال: أغن عنا يزيد بن الحارث. وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربيعي.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثاً وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً، فلما دنا إبراهيم من شبث وأصحابه. حل عليهم. وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم، فحملنا عليهم، فانكشفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة، وحمل خزمية بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزموه، وازدحموا على أفواه السكك، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية بالنبل، فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه، ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع، وجاءه قتل راشد بن إلياس. فأسقط في يده.

قال أبو مخنف: فحدثني يحيى بن هانيء، قال: قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع: أيها الرجل لا يسقط في خلدك، ولا تلق بيدك، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم، فإن الناس كثير عددهم وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس، والله مخزبها ومهلكها، وأنا أول منتدب، فاندب معي طائفة، ومع غبري طائفة. قال: فخرج ابن مطيع، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها، خيبت دينها، ضالة مضلة. أخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم، وامنعوا منهم فينكم، وإلا والله ليشارككم في فينكم من لا حق له فيه. والله لقد بلغني أن فيهم خمسائة رجل من محريركم عليهم أمير منهم، وإنما ذهبا عزمكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون. ثم نزل.

أفواه تلك السكك. وولى المختار يزيد بن أنس خيله، وخرج هو في الرجال.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالبي، والبة الأزدي، قال: حملت علينا خيل شبث بن ربيعي حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمل أعينكم، وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما أظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذا والله لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنكم صبراً، ولترون منهم أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر. والظعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك على هامهم. فتيسروا للشدة. وتهيؤوا للحملة، فإذا حركت رايتي مرتين فاحلوا. قال الحارث: فتهاينا وتيسرنا، وجئنا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إلياس، مضى حتى لقيه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرب رجل خير من عشرة، ولرب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزمية بن نصر، سر إليهم في الخيل. ونزل وهو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدلف برأيتك، امض بها قدماً قدماً. واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزمية بن نصر العباسي براشد بن إلياس، فحمل عليه فطعنه، فقتله، ثم نادى: قتل راشد ورب الكعبة. وانهزم أصحاب راشد، وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزمية بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار، وبعث النعمان بن أبي الجعد يشير المختار بالفتح عليه ويقتل راشد، فلما جاءهم البشير بذلك كبروا، واشتدت أنفسهم، ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العباسي في جيش كثيف نحو من الفين. فاعترض إبراهيم بن الأشتر فويق الحمراء ليرده عمن في السبخة من أصحاب ابن مطيع، فقدم إبراهيم خزمية بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال. فقال.

والله ما أطعنا برمح، ولا اضطربنا بسيف، حتى انهزموا. وتختلف حسان بن فائد في أخريات الناس بمعيهم، وحمل عليه خزمية بن نصر، فلما رآه عرفه، فقال له: يا حسان بن فائد، أما والله لولا القرابة لعرفت أنني سألتك قتلك بمجهدتي، ولكن

قال: ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة. قال: ومضى المختار من السبيخة حتى ظهر على الجبانة، ثم ارتفع إلى البيوت، بيوت مزينة وأحس وبارق، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم، وبيوتهم شاذة متفردة من بيوت أهل الكوفة، فاستقبلوه بالماء، فسقى أصحابه، وأبى المختار أن يشرب. قال: فظن أصحابه أنه صائم، وقال أحر بن هديج من همدان لابن كامل: أترى الأمير صائماً؟ فقال له: نعم، هو صائم، فقال له: فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له، فقال له: إنه معصوم، وهو أعلم بما يصنع، فقال له: صدقت. استغفر الله. وقال المختار: نعم مكان المقاتل هذا، فقال له إبراهيم بن الأشتر: قد هزمهم الله وفلهم، وأدخل العرب قلوبهم، وتزل هاهنا! سر بنا، فوالله ما دون القصر أحد يمنع، ولا يتمتع كبير امتناع، فقال المختار: ليقم هاهنا كل شيخ ضعيف وذئ علة، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسبوا إلى عدونا. ففعلوا، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه، وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبيخة.

قال: وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل، فخرج عليهم من سكة الثورين، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه. فطواه إبراهيم، ودعا المختار يزيد بن أنس، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج، فمضى نحوه، وذهب المختار في أثر إبراهيم، فمضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة، فمضى، فخرج إليه من سكة ابن عمرز، وأقبل شمر بن ذي الجوشن في ألفين، ففرح المختار إليه سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه، وامض على وجهك. فمضى حتى انتهى إلى سكة شيب، وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن غرمة في نحو من ألفين - أو قال: خمسة آلاف. وهو الصحيح - وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس: أن الحقوا بابن مساحق. قال: واستخلف شيب بن ربيعي على القصر، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة.

قال أبو غنم: حدثني حصيرة بن عبد الله، قال: إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه، حتى إذا دنا منهم قال لهم: انزلوا، فنزلوا، فقال: قربوا خيولكم بعضها إلى بعض، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيف، ولا يهولنكم أن يقال: جاءكم شيب بن ربيعي وآل عتيبة بن النحاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث... قال: فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة، ثم قال: إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيف قد

انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب. قال حصيرة: فلاني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود، وقد شد بها على القباء، وقد كفر بالقباء على الدرع، ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم فدى لكم عمي وخالي! قال: فوالله ما لبثهم أن هزمهم، فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدهوا، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق، فأخذ بلبجام دابته، ورفع السيف عليه، فقال له ابن مساحق: يا ابن الأشتر، أنشدك الله، اتطلبي بثأراً! هل بيني وبينك من إحنة! فخلى ابن الأشتر سبيله، وقال له: أذكرها، فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر، وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً.

قال أبو غنم: وحدثني النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً، يريز أصحابه في القصر حيث حصر الدقيق، ومعه أشراف الناس، إلا ما كان من عمرو بن حريث، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار، ثم خرج حتى نزل البر، وجاء المختار حتى نزل جانب السوق، وولى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر، ويزيد بن أنس، وأمر بن شमित، فكان ابن الأشتر عما يلي المسجد وباب القصر، ويزيد بن أنس عما يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين، وأمر بن شमित بما يلي دار عمارة ودار أبي موسى فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف، فقام إليه شيب فقال: أصلح الله الأمير! انظر لنفسك ولمن معك، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم. قال ابن مطيع: هاتوا، أشيروا علي برأيكم، قال شيب: الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا، وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك. قال ابن مطيع: والله إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور مستقيمة لأمر المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة، قال: فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستصحه وتثق به، ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلتحق بصاحبك، فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن غنم وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة: ما ترون في هذا الرأي الذي أشار به علي شيب؟ فقالوا: ما نرى الرأي إلا ما أشار به عليك، قال: فرويداً حتى أمسي.

قال أبو غنم: فحدثني أبو المغلس الليثي، أن عبد الله بن عبد الله الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم. ويتحى له مالك بن عمرو أبو غرمان النهدي بسهم فيمر بحلقه، فقطع جلدة من حلقه فمال فوقه، قال: ثم إنه قام وبرأ بعد، وقال النهدي حين أصابه: خذها من مالك، من

فاعل كذا.

الصلبة، فلما رآه ومعه ابنه حيان بن المنذر، قال رجل من سفهائهم: هذا والله من رؤوس الجبارين، فشدوا عليه وعلى ابنه، فقتلوهما، فصاح بهم سعيد بن منقذ: لا تعجلوا، لا تعجلوا حتى ننظر ما رأي أميركم فيه. قال: وبلغ المختار ذلك، فكرهه حتى رثي ذلك في وجهه، وأقبل المختار بميني الناس، ويستجر مودتهم ومودة الأشراف، ويحسن السيرة جهده.

قال: وجاءه ابن كامل فقال للمختار: أعلمت أن ابن مطيع في دار أبي موسى؟ فلم يجبه بشيء، فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه، ثم أعادها فلم يجبه، فظن ابن كامل أن ذلك لا يوافقه، وكان ابن مطيع قبل للمختار صديقاً، فلما أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم، فقال له: تجهز بهذه واخرج، فلما قد شعرت بمكانك، وقد ظننت أنه لم يمنعك من الخروج إلا أنه ليس في يديك ما يقوبك على الخروج. وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل - كل رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير، ومناهم العدل وحسن السيرة، وأدنى الأشراف، فكانوا جلساء وحدائه، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينة، فقام ذات يوم على رأسه، فرأى الأشراف يتحدثونه، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم، فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا! فدعاه المختار فقال له: ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلمونك؟ فقال له - وأسر إليه: شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم إلى العرب، فقال له: قل لهم: لا يشق ذلك عليكم، فأنتم مني وأنا منكم. ثم سكت طويلاً، ثم قرأ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّبِعُونَ﴾. قال: فحدثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال: ما هو إلا أن سمعها الموالي منه، فقال بعضهم لبعض: أبشروا، كأنكم والله به قد قتلهم.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله الأزدي وفضيل بن خديج الكندي والنضر بن صالح العبسي، قالوا: أول رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر، عقد له على أرمينية، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوى، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري، وهو حليف لثقيف على بهقباد

قال أبو مخنف: وحدثني النضر بن صالح، عن حسان بن فائد بن بكير، قال: لما أمني في القصر في اليوم الثالث، دعانا ابن مطيع، فذكر الله بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ وقال: أما بعد، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم، وقد علمت أنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخساؤكم، ما عدا الرجل أو الرجلين، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلغ ذلك صاحبي، ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه، حتى كان الله الغالب على أمره، وقد كان من رأيكم وما أشرت به علي ما قد علمتم، وقد رأيت أن أخرج الساعة. فقال له شبت: جزاك الله من أمير خيراً! فقد والله عفت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا، ونصحت لصاحبك، وقضيت الذي عليك، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلا ونحن منك في إذن فقال: جزاكم الله خيراً، أخذ امرؤ حيث أحب، ثم خرج من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى، وخلق القصر، وفتح أصحابه الباب فقالوا: يا ابن الأشتر، آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون، فخرجوا فبايعوا المختار.

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن عامر العدوي، من عدي جهينة - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر، فبات به، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً، وقد خاب من افترى. أيها الناس، إنه رفعت لنا راية، ومدت لنا غاية، فليل لنا في الراجية: أن ارفعوها ولا تضعوها. وفي الغاية: أن اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعتنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي، فكم من ناع وناعية، لقتلى في الواعية! وبعداً لمن طغى وأدبر، وعصى وكذب وتولى، ألا فادخلوها أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكشوفاً، والأرض فجاءاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها.

ثم نزل فدخل، ودخلنا عليه وأشراف الناس، فبسط يده، وابتدره الناس فبايعوه، وجعل يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد الحليين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سلمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم، فإذا قال الرجل: نعم، بايعه. قال: فكانني والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي إذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة، ثم بايعه وانصرف عنه، فلما خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفاً عند

الأعلى، وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباذ الأسفل، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس مجلوان. قال: ورزقه ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وإقامة الطرق، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة مجلوان، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسّمع له والطاعة، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل، لا يكتب أحداً دون ابن الزبير.

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميراً تنحى له عن الموصل، وأقبل حتى نزل تكريت، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس، وإلى ما يصير أمرهم، ثم شخص إلى المختار فبايع له، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده.

قال أبو مخنف: وحدثني صلة بن زهير النهدي، عن مسلم بن عبد الله الضبابي، قال: لما ظهر المختار واستمكن، ونفى ابن مطيع وبعث عماله، أقبل يجلس للناس غدوة وعشية، فيقضي بين الخصمين، ثم قال: والله إن لي فيما أزال وأحاول لشغلاً عن القضاء بين الناس، قال: فأجلس للناس شريعاً، وقضى بين الناس، ثم إنه خافهم فتمارض، وكانوا يقولون: إنه عثماني، وإنه ممن شهد على حجر بن عدي، وإنه لم يبلغ عن هانيء بن عروة ما أرسله به - وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء - فلما أن سمع بذلك ورآهم يذمونه ويستندون إليه مثل هذا القول تمارض، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود. ثم إن عبد الله مرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً.

قال مسلم بن عبد الله: وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان، فقنعه بالسوط، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبد الله بن شداد، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال:

الا انتسأت بالود عنك وأدبرت معانئة بالهجر أم سريع وحملها واش سعى غير مؤتل فأت بهم في الفؤاد جميع فخصص عليك الشأن لا يردك الهوى ليس انتقال خلة بديع وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ويلهبه عن رؤد الشباب شموع دعا يا لشارت الحسين فاقبلت كتاب من همدان بعد هزيع ومن مذبح جاء الرئيس بن مالك يقود جموعاً عيت بمجموع ومن أسد وافى يزيد لنصره بكل فتى حامي النمار متبع

وجاء نعيم خير شيان كلها بأمر لدى الهيجا أحد جميع وما ابن شमित إذ يحرض قومه هناك بمخنول ولا بمضيح ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن وكل أخو إخبانة وخشوع وسار أبو النعمان لله سعيه إلى ابن إياس مصحراً لوقوع بخيل عليها يوم هيجا دروعها وأخرى حسوراً غير ذات دروع فكر الخيول كرهة ثقفتهم وشد بأولاهها على ابن مطيع فولى بضرب يشدخ الهام وقعه وطعن غداة السكّين وجيع فحوصر في دار الإمارة بائياً بذل وإرغام له وخضوع فمّن وزير ابن الرصي عليهم وكان لهم في الناس خير شفيع وآب المهدي حقاً إلى مستقره بخير إياب أبه ورجوع إلى الهاشمي المهدي المهدي به فتحن له من سامع ومطيع قال: فلما أنشدها المختار قال المختار لأصحابه: قد أنسى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الشاء عليكم، فأحسنوا له الجزاء.

ثم قام المختار، فدخل وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى أخرج إليكم، قال: وقال عبد الله بن شداد الجشمي: يا ابن همام: إن لك عندي فرساً ومطرفاً، وقال قيس بن طهفة النهدي - وكانت عنده الرباب بنت الأشعث -: فإن لك عندي فرساً ومطرفاً، واستحيا أن يعطيه صاحبه شيئاً لا يعطي مثله، فقال ليزيد بن أنس: فما تعطيه؟ فقال يزيد: إن كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له، وإن كان إنما اعتري بهذا القول أموالنا، فوالله ما في أموالنا ما يسعه، قد كانت بقيت من عطائي بقية فقويت بها إخواني، فقال أحمربن شमित مبادراً لهم قبل أن يكلموه: يا ابن همام، إن كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله، وإن كنت إنما اعتريت به رضا الناس وطلب أموالهم، فأكدم الجنادل، فوالله ما من قال قولاً لغير الله وفي غير ذات الله بأهل أن ينحل، ولا يوصل، فقال له: عضضت بأير أيبك! فرجع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام: تقول هذا القول يا فاسق! وقال لابن شमित: اضربه بالسيف، فرجع ابن شमित عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتفلقون على ابن همام. وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه، وقال: أنا له جار، لم تأتون إليه ما أرى! فوالله إنه لواصل الولاية، راض بما نحن عليه، حسن الشاء، فإن أنتم لم تكافؤوه بحسن ثنائهم، فلا تشتموا عرضه، ولا تسفكوا دمه. ووثب مذبح فحالت دونه، وقالوا: أجاره ابن الأشتر، لا والله لا يوصل إليه. قال: وسمع لغتهم المختار، فخرج إليهم، وأومأ بيده إليهم، أن اجلسوا، فجلسوا، فقال لهم: إذا قيل لكم خير فاقبلوه، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا، وإن لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا، واتقوا لسان

## ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم وَمَنْ هرب فلم يقدر عليه منهم:

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حُيَيش بن دُجْعة القيني - وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابع من الشيعة بعين الورد - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجَّهه إلى العراق ما غلب عليه، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً.

قال عوانة: فمر بأرض الجزيرة فاحتبس وبها قيسُ غيلان على طاعة ابن الزبير، وكان مروان أصاب قيساً يوم مرج راهط وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفتين على مروان، وعلى ابنه عبد الملك من بعده، فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة. ثم أنه أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل إلى المختار: أما بعد، فإني أخبرك إيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل، وقد وجَّه قبلي خيله ورجاله، وأناي انحزت إلى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرُك، والسلام عليك.

فكتب إليه المختار: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمتُ كل ما ذكرت فيه، فقد أصبَتْ بالخيبارك إلى تكريت، فلا تبرحن مكانك الذي أنت به حتى يأتيك أمري إن شاء الله، والسلام عليك.

قال هشام، عن أبي مخنف: حدثني موسى بن عامر، أن كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه، فقال له: يا يزيد بن أنس، إن العالم ليس كالجاهل، وإن الحق ليس كالباطل، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب، ولم يخالف ولم يرتب، وأنا المؤمنون الميامين، الغالبون المساليم، وإنك صاحب الخيل التي تجر جعابها، وتضفر أذنانها، حتى توردها منابت الزيتون، غائرة عيونها، لا حقة بطونها، أخرج إلى الموصل حتى تنزل أدانيها، فإني معك بالرجال بعد الرجال. فقال له يزيد بن أنس: سرح معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم، وخلني والفرج الذي توجَّهنا إليه، فإن احتجت إلى الرجال فسأكتب إليك؛ قال له المختار: فأخرج فانتخب على اسم الله من أحببت فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل على ربيع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي، وعلى ربيع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني، وعلى مذحج

الشاعر. فإن شره حاضر، وقوله فاجر، وسعيه بائر. وهو بكم غداً غادر. فقالوا: أفلا تقتله؟ قال: إنا قد آمنناه وأجرناه. وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر، فجلس مع الناس.

قال: ثم إن إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفسراً ومطرفاً فرجع بها وقال: لا والله، لا جاورت هؤلاء أبداً، وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضباً لابن همام. فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له، ففعلوا، وقال ابن همام لابن الأشتر مدحه:

أطفأ عني نثار كلبين ألبا على الكلاب ذو الفعال ابن مالك  
فتى حين يلقى الخيل يفرق بينها بطعن دراك أو بضرب مواشك  
وقد غضبت لي من هوازن عصبة طوال النرا فيها عراض المبارك  
إذا ابن شميظ أو يزيد تعرضا لها وقعا في مستعار المهالك  
وثيم علينا يا موالى طيى مع ابن شميظ شر ماش ورائك  
وأعظم ذيَار على الله فريه وما مفرط طاع كآخر ناسك  
فيا عجباً من أحسن ابنة أحسن توثب حولي بالقنا والنيازك  
كأنكم في العز قيس وخنعم وهل أنتم إلا لئام عوارك  
وأقبل عبد الله بن شداد من الغد فجلس في المسجد يقول:

علينا توثب بنو أسد وأحسا والله لا نرضى بهذا أبداً. فبلغ ذلك المختار، فبعث إليه فدعاه، ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميظ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا ابن شداد، إن الذي فعلت نزعاً من نزغات الشيطان، فتب إلى الله، قال: قد تبنت، وقال: إن هذين أخواك، فأقبل إليهما. وأقبل منهما، وهب لي هذا الأمر، قال: فهو لك. وكان ابن همام قد قال قصيدة أخرى في أمر المختار، فقال:

أضحت سليمى بعد طول عتاب وتجرم ونفاد غسرب شباب  
قد أزمعت بصرمعي وتجنبي وتهوك مذاك في إعتاب  
لما رايت القصر أغلق بابيه وتركلت همدان بالأسباب  
ورأيت أصحاب الدقيق كأنهم حول البيوت تعال بالأسراب  
ورأيت أبواب الأزقة حولنا دريت بكل هراوة وذباب  
أيقنت أن خيول شيعة راشد لم يبق منها فيش أير ذباب

## ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتله الحسين بالكوفة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتله الحسين والمشايعة على قتله، فقتل من قدر عليه منهم، وهرب من الكوفة بعضهم، فلم يقدر عليه.



وأسد ورقاء بن عازب الأسدي، وعلى رُبَّ ربيعة وكندة سير بن أبي سيغر الحنفي.

ثم إنَّه فصل من الكوفة، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيِّعونَه، فلما بلغ دير أبي موسى ودَّعه المختار انصرف، ثم قال له: إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم، وإذا أمكثت الفرصة فلا تؤخرها، ولكن خبرك في كلِّ يوم عندي، وإن احتجت إلى مدد فاكذب إليّ؛ مع أنني مُمدِّك ولو لم تستمدد، فإنَّه أشدَّ لعدُّدك، وأعزَّ لجُنْدك، وأرعب لعدوك. فقال له يزيد بن أنس: لا تمدني إلا بدعائك، فكفى به مدداً. وقال له الناس: صَحْبَك الله وأذاك وأيدك. وودَّعوه. فقال لهم يزيد: سلوا الله لي الشهادة وإيم الله لئن لقيتم فقاتني النصر لا تقبلي الشهادة إن شاء الله. فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس: أما بعد. فخلَّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله. والسلام عليك. فخرج يزيد بن أنس بالناس حتَّى بات بسُوراً، ثم غدا سائراً حتَّ بات بهم المدائن؛ فشكا الناس إليه ما دخلهم من شدَّة السير عليهم، فأقام بها يوماً وليلة. ثم إنَّه اعترض بهم أرض جوحى حتَّى خرج بهم في الراذات، حتَّى قطع بهم إلى أرض الموصل، فنزلت بِنات تلي، وبلغ مكانه ومنزله الذي نزل به عبيد الله بن زياد، فسأل عن عدَّتْهم، فأخبرته عيونه أنَّه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس، فقال عبيد الله: فأنَّ أبعت إلى كلِّ ألف ألفين. ودعا ربيعة بن المخارق الغنوي وعبد الله بن حملة الخثعمي، فبعثهما في ثلاثة آلاف، وبعث ربيعة بن المخارق أولاً، ثم مكث يوماً، ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة، ثم كتب إليهما: أيكما سبق فهو أمير على صاحبه، وإن انتهيتما جميعاً فأكبركما سنأُمرُ على صاحبه والجماعة. قال: فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بِنات تلي، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضى.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت، عن أبي سعيد الصيقل، قال: خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يُسكِّونه عن يمينه وعن شماله، بفخذه وعضديه وجنبه، فجعل يقف على الأربع: رُبَّ رُبَّ ويقول: يا شرطة الله، اصبروا تؤجروا، وصابروا عدوكم تظفروا، وقَاتِلُوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، إن هلك فأميركن ورقاء بن عازب الأسدي، فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضَمْرَة العذري، فإن هلك فأميركم سيغر بن أبي سيغر الحنفي. قال: وأنا والله فيمن يمشي معه ويُمسك بعضده ويده، وإنِّي لأعرف في وجهه أنَّ الموت قد نزل به. قال: فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضَمْرَة العذري على ميمته، وسيغر بن أبي سيغر على ميسرته، وجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل، ونزل هو فوضع

بين الرجال على السرير، ثم قال لهم: ابرزوا لهم بالعراء، وقد موني في الرجال، ثم إن شتتم فقاتلوا عن أميركم، وإن شتتم ففرُّوا عنه. قال: فأخرجناه في ذي الحجة يوم عرفة سنة ست وستين، فأخذنا نُمسك أحياناً بظَهْره فيقول: اصنعوا كذا، اصنعوا كذا، وافعلوا كذا. فيأمر بأمره، ثم لا يكون بأسرع من أن يغلبه الوجع فيوضع هُنيئة ويقتل الناس، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس. قال: فحملت ميسرته على ميمتنا، فاشتدَّ قتالهم، وتحمَّل ميسرتنا على ميمتهم فتَهزَمها، ويحمَّل ورقاء بن عازب الأسدي في الخيل فَهَزَمهم، فلم يرتفع الضحى حتَّى هزَمناهم، وخوينا عسكرهم.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر العدوي، قال: انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل بِنادي: يا أولياء الحق، يا أهل السمع والطاعة، إلي أنا ابن المخارق؛ قال موسى: فأنا أنا فكنت غلاماً حَدَثاً، فَهَبْتَهُ ووقفت، ويحجل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدي وعبد الله بن ضَمْرَة العذري، فقتلته.

قال أبو مخنف: وحدثني عمرو بن مالك أبو كبشة القيبي، قال: كنت غلاماً حين راهقت مع أحد عمومي في ذلك العسكر، فلما نزلنا بعسكر الكوفيَّين عبَّأنا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبئة، وجعل على ميمته ابن أخيه، وعلى ميسرته عبد ربه السلمي، وخرج هو في الخيل والرجال وقال: يا أهل الشام إنكم إنما تقاتلون العبيد الأثاق، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه. ليست لهم تقية، ولا ينطقون بالعريَّة؛ قال: فوالله إن كنت لأخسب أنَّ ذلك كذلك حتَّى قاتلناهم؛ قال: فوالله ما هو إلا أن اقتل الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول:

برئت مِنَّ وَيْسَ الْحَكَمِيْنَا      وذاك فينا شرُّ ديسِ دِينَا  
ثم إنَّ قاتلنا وقتلهم أَشدَّ ساعة من النهار، ثم إنهم هزَمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا. وخووا عسكرنا؛ فخرجنا منهزمين حتَّى تلقَّينا عبد الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بِنات تلي. فردَّنا، فأقبلنا معه حتَّى نزل بيزيد بن أنس، فبِتْنَا متحارسين حتَّى أصبحنا فصلينا الغداة ثم خرجنا على تعبئة حَسَنَة، فجعل على ميمته الزبير بن خُزَيْمَة، من خثعم، وعلى ميسرته ابن أقصر القحاطي من خثعم، وتقدَّم في الخيل والرجال، وذلك يوم الأضحى، فقاتلنا قتالاً شديداً، ثم إنهم هزَمونا هزيمة قبيحة، وقتلونا قتالا ذريعاً، وحووا عسكرنا، وأقبلنا حتَّى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: أقبل إلينا

وعبد بن حَمَلَة الخثعمي؛ فاستقبل قُلُ ربيعة بن المخارق الغنوي فرُدَّهم، ثم جاء حتَّى نزل بنات تلي، فلمَّا أصبح غادوا وغادينا، فتطاردت الخيلان من أوَّل النهار، ثم انصرفوا وانصرفنا؛ حتَّى إذا صلينا الظهر خرجنا فافتتلنا، ثم هزمناهم. قال: ونزل عبد الله بن حَمَلَة فأخذ ينادي أصحابه: الكرَّة بعد الفرَّة، يا أهل السمع والطاعة؛ فحمل عليه عبدُ الله بن قراد الخثعمي فقتله، وحوَّنا عسكريهم وما فيه، وأتى يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق، فأخذ يومئذ بيده أن اضربوا أعناقهم، فقتلوا من عند آخرهم.

وقال يزيد بن أنس: إن هلكْتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي، فما أمسى حتَّى مات، فصلَّى عليه ورقاء بن عازب وذقته، فلمَّا رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم، وكسَّر موته قلوب أصحابه، وأخذوا في دفته، فقال لهم ورقاء: يا قوم. ماذا ترون؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون. ثم أنَّ ورقاء دعا رؤوس الأربع وفُرسان أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء، ماذا ترون فيما أخبرتكم؟ إنَّما أنا رجل منكم، ولست بأفضلكم رأياً، فاشيروا عليَّ. فأنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُند أهل الشام الأعظم، وبجَلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافهم، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا، وتفرَّقت عنَّا طائفة منَّا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم، وقبل أن نبلغهم، فيعلموا أنَّنا إنَّما ردُّنا عنهم هلاكُ صاحبنا. فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم أو لأنَّا إنَّما نقتل لانصرافنا بموت صاحبنا وإنَّا إن لقيناهم اليوم كُنَّا مخاطرين، فإن هُزِمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إلَّاهم من قبل اليوم. قالوا: فإنَّك نعمًا رأيت، انصرف رحمك الله. فانصرف، فبلغ مُنصرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة، فأرجف الناس، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنَّ يزيد بن أنس هلك، وأنَّ الناس هُزِموا، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل، ثم قال له: سر حتَّى إذا أنت لقيت جيش ابن أنس فارددهم معك، ثم سر حتَّى تلقى عدوك فتناجزهم. فخرج إبراهيم فوضَّع عسكريه بحمَّام عين.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن حوشب، قال: جاء شيب ابن ربيعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتَّى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي، فتكلم شيب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار، وسأله أن يجيهم إلى ذلك، وقال فيما يعب به المختار: إنَّه تأمر علينا بغير رضا منَّا، وزعم أنَّ ابن الحنفية بعثه إلينا، وقد علمنا أنَّ ابن الحنفية لم يفعل، وأطعم موالينا فيثنا. وأخذ عبيدنا، فحرب بهم يتامانا وأراملنا، وأظهر هو وسببته البراءة من أسلافنا الصالحين. قال: فرحب بهم كعب بن أبي كعب، وأجابهم إلى ما دَعَوْه إليه.

قال أبو مخنف: حدثني أبي يحيى بن سعيد أنَّ أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف، فدعوه إلى أن يجيهم إلى قتال المختار، فقال لهم: يا هؤلاء، إنَّكم إن أبيتم إلَّا أن تخرجوا أخذلكم، وإن أنتم أطمعتموني لم تخرجوا. فقالوا: لِمَ؟ قال: لأنِّي أخاف أن تتفرَّقوا وتختلفوا وتتخاذلوا؛ ومع الرجل والله شجاعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم؛ اليس مع فلان وفلان! ثمَّ معه عبيدُكم ومواليكم، وكلُّهُ هؤلاء واحدة، وعبيدكم ومواليكم أشدَّ حنفاً عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب، وعداوة العجم، وإن انتظرتوه قليلاً كفيتموه بقدم أهل الشام، أو بجي أهل البصرة، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم، ولم تجعلوا بأسكم بينكم؛ قالوا: ننشدك الله أن تخالفنا، وأن تفسد

وقال يزيد بن أنس: إن هلكْتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي، فما أمسى حتَّى مات، فصلَّى عليه ورقاء بن عازب وذقته، فلمَّا رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم، وكسَّر موته قلوب أصحابه، وأخذوا في دفته، فقال لهم ورقاء: يا قوم. ماذا ترون؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون. ثم أنَّ ورقاء دعا رؤوس الأربع وفُرسان أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء، ماذا ترون فيما أخبرتكم؟ إنَّما أنا رجل منكم، ولست بأفضلكم رأياً، فاشيروا عليَّ. فأنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُند أهل الشام الأعظم، وبجَلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافهم، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا، وتفرَّقت عنَّا طائفة منَّا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم، وقبل أن نبلغهم، فيعلموا أنَّنا إنَّما ردُّنا عنهم هلاكُ صاحبنا. فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم أو لأنَّا إنَّما نقتل لانصرافنا بموت صاحبنا وإنَّا إن لقيناهم اليوم كُنَّا مخاطرين، فإن هُزِمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إلَّاهم من قبل اليوم. قالوا: فإنَّك نعمًا رأيت، انصرف رحمك الله. فانصرف، فبلغ مُنصرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة، فأرجف الناس، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنَّ يزيد بن أنس هلك، وأنَّ الناس هُزِموا، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل، ثم قال له: سر حتَّى إذا أنت لقيت جيش ابن أنس فارددهم معك، ثم سر حتَّى تلقى عدوك فتناجزهم. فخرج إبراهيم فوضَّع عسكريه بحمَّام عين.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير النضر بن صالح، قال: لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس، ولم يصدقوا أنَّه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأثر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا، ولقد ادنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيثنا،

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير النضر بن صالح، قال: لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس، ولم يصدقوا أنَّه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأثر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا، ولقد ادنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيثنا،

سبيع حتى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع.

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي إسحاق، أن شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم: إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم، وإلا فلا، والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سكك ضيقة، ونقاتل من غير وجه. فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سلول. قال: ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشيّة، فنادى في الناس: أن ارجعوا إلى الكوفة، فسار بقية عشيتهم تلك، ثم نزل حين أمسى، فتعشى أصحابه، وأراحوا الدواب شيئاً كلاً شيء، ثم نادى في الناس، فسار ليلته كلها، ثم صلى الغداة بسوراً، ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد، ثم إنه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار، خرج المختار إلى المنبر فصعد.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب الكلبي أن شئت بن ربعي بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال: إنما نحن عشرينك، وكف يمينك، لا والله لا نقاتلك، فشق بذلك منا؛ وكان رأيته قتاله، ولكنه كاده. ولما ان اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة. ففكره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: هذا أول الاختلاف، قدّموا الرضا فيكم، فإن في عشرينكم سيد قرأ أهل مصر، فليصل بكم رفاعة بن شداد الفتياني من بجيلة، ففعلوا، فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة.

قال أبو مخنف: وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن، وسمعه وهم يقولون: إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم، وإن سار إلينا ساروا إلينا، فسمعها منهم رجل، وأقبل جواداً حتى صعد المختار على المنبر، فأخبره بمقالتهم، فقال: أمّا هم فخلفاء لو سرت إلى مضر أن يسيروا إليهم، وأمّا أهل اليمن فأشهد لئن سرت إليهم لا تسير إليهم مضر، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه. ثم إن المختار نزل فعياً أصحابه في السوق - والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء - فقال لإبراهيم بن الأشتر: إلى أي الفريقين أحب إليك أن تسير؟ فقال: إلى أي الفريقين أحببت، فنظر المختار - وكان ذا رأي، ففكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم - فقال: سر إلى مضر بالكثافة وعليهم شئت بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطار، وأنا أسير إلى أهل اليمن.

قال: ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس، وقلة البقيا على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى

عليها رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا. قال: فأنا رجل منكم، فإذا شتتم فاخرجوا. فسار بعضهم إلى بعض وقالوا: انتظروا حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر؛ قال: فأملهوا حتى بلغ ابن الأشتر سباباً، وثبوا بالمختار. قال: فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع، وخرج زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كيدة.

قال هشام: فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي، قال: خرج إليهما جبير الحضرمي فقال لهما: أخرجا عن جبانتنا، فإننا نكره أن نرى بشراً؛ فقال له إسحاق بن محمد: وجبانتكُم هي؟ قال: نعم، فانصرفوا عنه؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر، وسار بشير بن جريس بن عبد الله إليهم في بجيلة، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع، وسارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد. وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم. فبعثوا الرسل يتلو بعضهم بعضاً إلى الأزد وبجيلة وخثعم، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم. فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبانة السبيع، ولما أن بلغ ذلك المختار سره اجتمعهم في مكان واحد، وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل جبانة بني سلول في قيس، ونزل شئت بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن فروان الضبي في مضر بالكثافة، ونزل حجار بن أجمر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بن تبعه من مذحج، فبعث إليه أهل اليمن: أن اتنا، فأبى أن يأتهم وقال لهم: جدوا، فكأنني قد أتيتكم. قال: وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط الأتضع كتابي من يدك حتى تغيب بجميع من مَلَكَ إلي. قال: وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم: أخبروني ما تريدون؟ فأني صانع كل ما أحببتهم، فقالوا: فإننا نريد أن تعتزلنا، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك. فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفداً، وأبعث إليه من قبلي وفداً. ثم انظروا في ذلك حتى تتبينوه، وهو يريد أن يريهم بهذه المقالة ليقيم عليه إبراهيم بن الأشتر، وقد أمر أصحابه فكفروا أيديهم، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوثج، يجيئهم إذا غفلوا عنه. قال: وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان، فقاتلته شاكراً شديداً، فنجاء عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى رد عاديته، ثم أقبل على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سلول، وجاء عبد الله بن

هو عند مسجد عبد القيس، وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل - وكان من أشد الناس بأساً - وبعث عبد الله بن شريك في مائتي فارس إلى أحر بن شميظ، وثبت مكانه، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال، ومضى ابن الأشتر حتى لقي شيب بن ربعي، وأناساً معه من مضر كثيراً وفيهم حسان بن فائد العبسي، فقال لهم إبراهيم: ويحكم! انصرفوا، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي، فلا تهلكوا أنفسكم، فابوا، فقاتلوه فهزمهم، واحتمل حسان بن فائد إلى أهله، فمات حين أدخل إليهم، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال: أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه، وما كنت أحب أن تكون منيئي إلا بطعنة رمح، أو بضربة السيف؛ فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات. وجاءت البشرية إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة مضر، فبعث المختار البشري من قبله إلى أحر بن شميظ وإلى ابن كامل، فالتأس على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها.

قال: فاجتمعت شبام وقد رأسو عليهم أبا القلوص، وقد اجتمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: أما والله لو جعلتم جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة فقاتلوهم - وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم - فقالوا: يا أبا القلوص، ما رايك؟ فقال: قال الله جل ثناؤه: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ قوموا؛ فقاموا؛ فمشى بهم قيس رحيم أو ثلاثة ثم قال لهم: اجلسوا فجلسوا. ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً، ثم قعد بهم، ثم قال لهم: قوموا، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً، ثم قعد بهم، فقالوا له: يا أبا القلوص، والله إنك عندنا لأشجع العرب، فما يملكك على الذي تصنع! قال: إن المجرب ليس كمن لم يجرب، إنني أردت أن ترجع إليكم أفئدتكم، وأن توطئوا على القتال أنفسكم، وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دهش؛ قالوا: أنت أبصر بما صنعت.

فلما خرجوا إلى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري، فحمل عليه الجندي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه، ودخلا الجبانة، ودخل الناس الجبانة في آناهم، وهم ينادون: يا لشارت الحسين! فأجابهم أصحاب ابن شميظ يا لشارت الحسين! فسمعها يزيد بن عمير بن ذي مران من همدان فقال: يا لشارت عثمان! فقال لهم رفاعة بن شذاد: ما لنا ولعثمان! لا أقاتل مع قوم يبنون دم عثمان، فقال له أناس من قومه: جئت بنا وأطعناك، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف

الكناسة، وسار المختار إلى جبانة السبيع، فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص، وسرح بين أيدي أحر بن شميظ البجلي ثم الأحسي، وسرح عبد الله بن كامل الشاكري، وقال لابن شميظ: الزم هذه السكة حتى تخرج إلى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك. وقال لعبد الله بن كامل: الزم هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار آل الأخنس بن شريق، ودعاهما فأسر إليهما أن شباماً قد بعثت تخبرني أنهم قد أتوا القوم من ورائهم. فمضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرهما بهما، وبلغ أهل اليمن مسير هذين الرجلين إليهم، فاقسموا تينك السكتين، فأما السكة التي في دبر مسجد أحمر فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وإسحاق بن الأشعث وزحر بن قيس، وأما السكة التي تلي الفرات فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف، وبشير بن جرير بن عبد الله، وكعب بن أبي كعب. ثم إن القوم اقتتلوا كأشد قتال اقتلته قوم. ثم إن أصحاب أحر بن شميظ انكشفوا وأصحاب عبد الله بن كامل أيضاً، فلم يبرح المختار إلا وقد جاءه الفلّ قد أقبل، فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هزماً؛ قال: فما فعل أحر بن شميظ؟ قالوا: تركناه قد نزل عند مسجد القصاص - يعنون مسجد أبي داود في وداعة، وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصون فيه، وقد نزل معه أناس من أصحابه - وقال أصحاب عبد الله: ما ندرى ما فعل ابن كامل! فصاح بهم: أن انصرفوا. ثم أقبل بهم حتى انتهى إلى دار أبي عبد الله الجذلي، وبعث عبد الله بن فراد الخنعمي - وكان على أربعمائة رجل من أصحابه - فقال: سر في أصحابك إلى ابن كامل، فإن يك هلك فانت مكانه، فقاتل القوم بأصحابك وأصحابه، وإن تجده حياً صالحاً فسر في مائة من أصحابك كلهم فارس، ودافع إليه بقية أصحابك، ومر بالجد معه والمناصحة له، فإنهم إنما يناصحتوني، ومن ناصحتي فليشر، ثم امض في المائة حتى تأتي أهل جبانة السبيع ثم يلي حمام قطن ابن عبد الله. فمضى فوجد ابن كامل واقفاً عند حمام عمرو بن حريث معه أناس من أصحابه قد صبروا هو يقاتل القوم، فدفع إليه ثلثمائة من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيع.

ثم أخذ في تلك السكة حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس، فوقف عنده، وقال لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: أمرنا لأمرك تبع وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة؛ فقال لهم: والله إنني لأحب أن يظهر المختار. والله إنني لكأراه أن يهلك أشراف عشيرتي اليوم، والله لأن أموت أحب إلي من أن يحل بهم الهلاك على يدي، ولكن قفوا قليلاً فإني قد سمعت شباماً يزعمون أنهم سيأتون من ورائهم، فلعل شباماً تكون هي تفعل ذلك، ونعافى نحن منه. قال له أصحابه: فراك. فثبت كما

قلت: انصرفوا ودعوهم! عطف عليهم وهو يقول:

أنا ابنُ شَدادٍ على دين علي لستُ لعثمان بن أروى يولى  
لأصلين اليومَ فيمن يصطلى بحرَ نار الحرب غير مؤتمل  
فقاتل حتى قُتل، وقتل يزيد بن عُمر بن ذي مُرَّان، وقُتل  
النعمان ابن صُهبان الجرمي ثم الراسبي - وكان ناسكاً - ورفاعة  
بن شَداد بن عوسجة الفتياني عند حُمام المهديان الذي بالسبخة -  
وكان ناسكاً - وقتل الفرات ابن زُحر بن قيس الجُعفي، وارث  
زُحر بن قيس، وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس. وقتل عمر  
بن مخنف، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتى أُرثت، وحملته  
الرجال على أيديها وما يشعر، وقتل حوله رجال من الأزد،  
فقال حُميد بن مسلم:

لأضرين عن أبي حكيم مفارق الأعبد والصميم  
وقال سُرَّاق بن مرداس البارقي:

يا نفسُ إلا تصبري تُليمي لا تسولي عن أبي حكيم  
واستخرج من دور الوداعين خمسمائة أسير. فأتى بهم  
المختار مكثفين، فأخذ رجل من بني نَهْد وهو من رؤساء أصحاب  
المختار يقال له: عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعربي إلا خلى  
سبيله، فَرَفَعَ ذلك إلى المختار درهم مولى لبني نهد. فقال له  
المختار: اعرضوهم علي، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين  
فاعلموني به، فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا  
قيل له: هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم  
قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلًا، وأخذ أصحابه كلُّما  
رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضربهم خلوا به فقتلوه  
حتى قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأخبر بذلك  
المختار بعد، فدعا بمن بقي من الأسارى فاعتقهم، وأخذ عليهم  
المواثيق إلا يجامعوا عليه عدواً، ولا ييغوه ولا أصحابه غائلة، إلا  
سُرَّاق بن مرداس البارقي، فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد.  
قال: ونادي منادي المختار: إنه من أغلق بابه فهو آمن، إلا رجلاً  
شريك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، بن عامر الشعبي،  
أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجار بن أبحر بعثا رسلاً  
لهما، فقالا لهم: كونوا من أهل اليمن قريباً، فإن رأيتموهم قد  
ظهروا فايكم سبق إلينا فليقل صرفان، وإن كانوا هُزموا فليقل  
جُمران، فلما هُزم أهل اليمن أتتهم رسلهم، فقال لهم أول من  
انتهى إليهم: جُمران، فقام الرجلان فقالا لقومهما: انصرفوا إلى  
بيوتكم، فانصرفوا، وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي - وكان ممن  
شهد قتل الحسين - فركب راحلته، ثم ذهب عليها، فأخذ طريق  
شراف وواقصة، فلم ير حتى الساعة، ولا يدري أرض بحسته، أم

سماء حصبة! وأما فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قُتل بعثت  
عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجُعفي - وكانت امرأة الحسين بن  
علي - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى جسده؛ ففعل؛  
فدفنته. وبعث المختار غلاماً له يدعى زريباً في طلب شمر بن  
الجوشن.

قال أبو مخنف: فحدثني يونس بن أبي إسحاق، عن مسلم  
بن عبد الله الضبابي، قال: تبعنا زريب غلام المختار، فلاحقنا وقد  
خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمر، فأقبل يتمطر به فرسه،  
فلما دنا منا قال لنا شمر: اركضوا وتباعدا عني لعل العبد  
يطمع في؛ قال: فركضنا، فامنعنا، وطمع العبد في شمر، وأخذ  
شمر ما يستطرد له، حتى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر  
فدق ظهره، وأتى المختار فأخبر بذلك، فقال: يؤسأ لزريب، أما لو  
يشتبرني ما أمرته أن يخرج لأبي السابغة.

قال أبو مخنف: حدثني أبو محمد الهمداني، عن مسلم بن  
عبد الله الضبابي، قال: لما خرج شمر بن ذي الجوشن وأنا معه  
حين هزمنا المختار، وقتل أهل اليمن بجيئة السبيع، ووجه غلامه  
زريباً في طلب شمر، وكان من قتل شمر إياه ما كان، مضى شمر  
حتى ينزل سائداً ما، ثم مضى حتى ينزل إلى جانب قرية يقال لها  
الكلتائية على شاطئ نهر، إلى جانب تل، ثم أرسل إلى تلك  
القرية فأخذ منها علجاً فضربه، ثم قال: التَّجاء بكتابي هذا إلى  
المصعب بن الزبير وكتب عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير من  
شمر بن ذي الجوشن. قال: فمضى العليج حتى يدخل قرية فيها  
بيوت، وفيها أبو عمرة، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى  
تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلك  
العليج علجاً من تلك القرية، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر،  
فإنه لقاتم معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة،  
فراي الكتاب مع العليج، وعنوانه: لمصعب من شمر، فسألوا  
العليج عن مكانه الذي هو به، فأخبرهم، فإذا ليس بينهم وبينه إلا  
ثلاثة فراسخ. قال: فأقبلوا يسرون إليه.

قال أبو مخنف: فحدثني مسلم بن عبد الله، قال: وأنا والله  
مع شمر تلك الليلة، فقلنا لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا  
نتخوف به! فقال: أو كل هذا فرقاً من الكذاب! والله لا انحول  
منه ثلاثة أيام، ملا الله قلوبكم رعباً! قال: وكان بذلك المكان  
الذي كنا فيه دُبى كثير، فوالله إنني لبين اليقظان والناسم، إذ  
سمعت وقع حوافر الخيل، فقلت في نفسي: هذا صوت الدي. ثم  
ثم إنني سمعته أشد من ذلك، فانتبهت ومسحت عيني، وقلت: لا  
والله، ما هذا بالدي. قال: وذهبت لأقوم، فإذا أنا بهم قد  
أشرفوا علينا من التل، فكبروا، ثم أحاطوا بأياتنا، وخرجنا نشتد

اجتهاداً ولا مبالغةً في الكذب مني في إيماني هذه التي حلفت لهم بها أي قد رأيت الملائكة معهم تقاتل. فخلوا سبيله. فهرب، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج أشرف أهل الكوفة والوجه. فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج سراقه بن مرداس من الكوفة وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنسي رأيت البلق دهماً مصمتات  
كفرت بوحكمكم وجعلت نذراً علي قتالكم حتى الممات  
أري عيني ما لم تبصره كلنا عالم بالترهات  
إذا قالوا أقول لهم كذبتهم وإن خرجوا ليست لهم أداتي

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا محمد بن براد، من ولد أبي موسى الأشعري، عن شيخ، قال: لما أسر سراقه البارقي، قال: وأنتم أسرتموني! ما أسرني إلا قوم على دواب بلق، عليهم ثياب بيض. قال: فقال المختار: أولئك الملائكة، فاطلقه، فقال:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنسي رأيت البلق دهماً مصمتات  
أري عيني ما لم تراه كلنا عالم بالترهات

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال يوم جبانة السبيح: ويحكم! من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا؟ قيل له: شبام، فقال: يا عجباً! يقاتلني بقومي من لا قوم له.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو روق أن شرحبيل بن ذي بقلان من الناعطين قتل يومئذ. وكان من بيوتات همدان، فقال يومئذ قبل أن يقتل: يا لها قتلة، ما أضل مقتولها! قتال مع غير إمام، وقتال على غير نية، وتعميل فراق الأحبة، ولو قتلناهم إذا لم نسلم منهم، إنا لله وإنا إليه راجعون! أما والله ما خرجت إلا مواسياً لقومي بنفسي مخافة أن يضطهدوا، وإيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا، ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا. قال: ويرميهم رجل من الفاتشين من همدان يقال له أحمز بن هديج بسهم فيقتله.

قال: واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة: سحر بن أبي سحر الحنفي، وأبو الزبير الشامي ورجل آخر، فقال سحر: طعنته، وقال أبو الزبير: لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر، وقال لي ابنه: يا أبا الزبير، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك! فقلت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. فقال المختار: كلكم محسن. وأجلت الوقعة عن سبعمئة وثمانين قتيلاً من قومه.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استحر في أهل اليمن، وأن مضر أصيب منهم بالكناسة

على أرجلنا، وتركنا خيلنا. قال: فأمر على شمر، وإنه لمترز ببرد محقق - وكان أبرص - فكأنني أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البرد، فإنه ليطاعنهم بالرمح، قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه، فمضينا وتركناه. قال: فما هو إلا أن أمعت ساعة، إذ سمعت: الله أكبر، قتل الله الخبيث!

قال أبو مخنف: حدثني المشرقي، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العليج، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرأ، قال: قلت: هل سمعته يقول شيئاً ليلتذ؟ قال: نعم، خرج علينا فطاعتنا برمحه ساعة، ثم ألقى رمحه، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ثم خرج علينا وهو يقول:

نبتهم ليست عرين بأسلا جهما يحياه يدق الكاهلا  
لم ير يوماً عن عدونا كالا إلا كذا مقاتلا أو قاتلا  
يرحمهم ضرباً ويروي العامل

قال أبو مخنف، عن يونس بن أبي إسحاق: ولما خرج المختار من جبانة السبيح، وأقبل إلى القصر، أخذ سراقه بن مرداس يناديه بأعلى صوته:

امتن علي اليوم يا خير معد وخير من حل بشعر والجند  
وخير من حيا ولبي وسجد

فبعث به المختار إلى السجن، فحبسه ليلة، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه، فدعا سراقه، فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا نزونا نسزوة كانت علينا  
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خروجنا بطراً وحينا  
نراهم في مصافهم قليلاً وهم مثل الدبي حين التقينا  
برزنا إذ رأيناهم فلمنا رأينا القوم قد برزوا إلينا  
لقينا منهم ضرباً طلفاً وطعناً صائلاً حتى اثنتينا  
نصرت على عدوك كل يوم بكل كنية تنعى حسينا  
كنصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب إذ لاقى حينا  
فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدنا  
تقبل توبة مني فلاني سأشكر إن جعلت التقدينا

قال: فلما انتهى إلى المختار، قال له: أصلحك الله أيها الأمير! سراقه بن مرداس يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الحيول البلق بين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين، فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل، فخلا به المختار، فقال: إني قد علمت أنك لم تر الملائكة، وإنما أردت ما قد عرفت ألا أقتلك فإذهب عني حيث أحببت، لا تفسد علي أصحابي.

قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي البارقي عن سراقه بن مرداس، قال: ما كنت في إيمان حلفت بها قط أشد

أبو سعيد الصيقل أن المختار دل على رجال من قتلة الحسين، دله عليهم شعر الحنفي، قال: فبعث المختار عبد الله بن كامل، فخرجنا معه حتى مر بيبي ضبيعة، فأخذ منهم رجلاً يقال له زياد بن مالك، قال: ثم مضى إلى عترة فأخذ منهم رجلاً يقال له عمران بن خالد. قال: ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدبابة إلى دار في الحمراء، فيها عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني، فجننا بهم حتى أدخلناهم عليه، فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقام منكم اليوم! لقد جاءكم الورد، بيوم نحس - وكانوا قد أصابوا من الورد الذي كان مع الحسين - أخرجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم. ففعل ذلك بهم، فهؤلاء أربعة نفر.

قال أبو مخنف: وحدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار، فخرجت نحو عبد القيس، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب في أثري، وشغلوا بالاحتباس عليهما عني، فنجوت وأخذوهما، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد، فأخذوه، فانتهوا بهم إلى المختار، فأمر بهم فقتلوا في السوق، فهؤلاء ثلاثة. فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم:

ألم ترني على دهش نجوت ولم أكد أنجرو  
رجاء الله أنقذني ولم أك غيره أرجو

قال أبو مخنف: حدثني موسى بن عامر العدوي من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهم بن عبد الرحمن الجهني - قال: بعث المختار عبد الله بن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينة، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضي - وكانا ممن شهدا قتل الحسين، وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان، ثم قال: علي مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم. فقلنا له: أمهلنا نطلبه، فخرجوا مع الخيل في طلبه، فوجدوهما جالسين في الجبابة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل، فقال: الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال، لو لم يجدوا هذا مع هذا عثانا إلى منزله في طلبه، فالحمد لله الذي حينك حتى أمكن منك. فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بشر الجعد ضرب أعناقهما، ثم رجع فاخبر المختار خبرهما، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار، وقال: لا يدفنان حتى يحرقا. فهذان رجلان، فقال أعشى همدان يرثي عثمان الجهني:

بضعة عشر رجلاً، ثم مضوا حتى مروا بربيعة، فرجع حجار بن أجمر، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر - أخو حضين - وعكرمة بن ربيعي، فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انصرف عنهم وقد خرج، فجاء حتى دخل منزله، فقبل له: قد مرت خيل في ناحية الحبي، فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له. وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال يقين من ذي الحجة سنة ست وستين.

قال: وخرج أشراف الناس فلهقوا بالبصرة، وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بنس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا! أنا إذا الكذاب كما سموني، فإني بالله أستعين عليهم، الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحاً طعنهم به، وطالب وترهم، والقائم بمحقهم، إنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنؤهم.

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن عامر أن المختار قال لهم: اطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم، وأنفي المصر منهم.

قال أبو مخنف: وحدثني مالك بن أعين الجهني أن عبد الله بن دباس، وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر:

قتيل ابن دباس أصاب قذالة

هو الذي دل المختار على نفر من قتل الحسين، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة، ومالك بن النسير البدي، وحمل بن مالك الحاربي، فبعث إليهم المختار أبا عمران مالك بن عمرو النهدي - وكان من رؤساء أصحاب المختار - فاتاهم وهم بالقادسية، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء، فقال لهم المختار: يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله، أين الحسين بن علي؟ أدوا إلي الحسين، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة، فقالوا: رحمك الله! بعثنا ونحن كارهون، فامن علينا واستبقنا، قال المختار: فهلا منتقم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه! ثم قال المختار للبيدي: أنت صاحب برنسه؟ فقال له عبد الله بن كامل: نعم، هو هو، فقال المختار: اقطعوا يدي هذا ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل ذلك به وترك، فلم يزل ينزف الدم حتى مات، وأمر بالآخرين فقدا، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني، وقتل شعر بن أبي شعر حل بن مالك الحاربي.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو الصلت التيمي، قال: حدثني

المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان، إلا أن يحدث حدثاً، وأشهد الله على نفسه، وكفى بالله شهيداً.

قال: فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أما أمان المختار لعمر بن سعد: إلا أن يحدث حدثاً، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث.

قال: فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمامه ثم قال في نفسه: أنزل داري، فرجع فغبر الروحاء، ثم أتى داره غدوة، وقد أتى حمامه، فأخبر مولاه بما كان من أمانه وبما أريد به، فقال له مولاه: وأي حدث أعظم مما صنعت! إنك تركت رحلك وأهلك وأقبلت إلى هاهنا، ارجع إلى رحلك، لا تعملن للرجل عليك سبيلاً. فرجع إلى منزله، وأتى المختار بانطلاقة، فقال: كلا إن في عنقه سلسلة سترده، لو جهد أن ينطلق ما استطاع. قال: وأصبح المختار فيعث إليه أبا عمرة: وأمره أن يأتيه به، فجاءه حتى دخل عليه فقال: أجب الأمير فقام عمر: فعثر في جبة له، ويضربه أبو عمرة بسيفه، فقتله، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، قال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده، فأمر به فقتل، وإذا رأسه مع رأس أبيه. ثم إن المختار قال: هذا بحسين وهذا بعلي بن حسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أئمة من أئمة، فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباه:

لو كان غير أخي قسي غره أو غير ذي يمن وغير الأعجم  
سخطي بنفسي ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما الطريق مثل الألام  
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وظيفان بن عمارة التميمي، حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب.

قال أبو مخنف: وحدثنني موسى بن عامر. قال: إنما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية، فسلم عليه، فجرى الحديث إلى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمد بن الحنفية: على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة، وقتله الحسين جلساً على الكراسي يحدثونه! قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وما

يا عين بكّي فتى الفتيان عثمان لا يبعدن الفتى من آل دهمانا  
واذكر فتى ماجداً حلواً شمانه ما مثله فارس في آل همدانا  
قال موسى بن عامر: وبعث معاذ بن هانئ بن عدي الكندي، ابن أخيه جبر، وبعث أبا عمرة صاحب حرسه، فساروا حتى أحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به، فاخبتاً في مخرجه، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار، فخرجت امرأته إليهم، فقالوا لها: أين زوجك؟ فقالت: لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة، فأخرجوه، وكان المختار يسير بالكوفة. ثم إنه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولاً، فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال، ومعه ابن كامل، فأخبره الخبر، فأقبل المختار نحوهم. فاستقبل به، فردده حتى قتله إلى جانب أهله، ثم دعا بنار فحرقه بها، ثم لم يبرح حتى عاد رماً، ثم انصرف عنه. وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين.

قال أبو مخنف: وحدثنني موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين. قال: وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة، فوقع في نفسه أن الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فلما رجع إلى منزله دعا ابنه العريان فقال: ألق ابن سعد الليلة فخبه بكذا وكذا. وقل له: خذ حذرك، فإنه لا يريد غيرك. قال: فأتاه فاستخلاه، ثم حدثه الحديث، فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيراً! كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق! وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وثألاً للناس، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقربته بعلي، فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له: إني لا آمن هذا الرجل - يعني المختار - فخذ لي منه أماناً، ففعل، قال: فانا رأيت أمانه وقرأته وهو.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك ولدك، لا تؤاخذ بمحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس، فلا يعرض له إلا بخير. شهد السائب بن مالك وأحمر بن شमित وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل. وجعل



وهو لا يسره أنه لم يقتله - وهذا عدي قد جاء فيه، وهو أهل أن يشفع ويؤتي ما سره! قال: غلبتي والله الشيعة، قال له عدي: كذبت يا عدو الله، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه، فبادرتي فقتلته، ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت. قال: فاسحفر إليه ابن كامل بالشيعة، فوضع المختار إصبه على فيه، يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدي، فقام عدي راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل، يشكوه عند من لقي من قومه. وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله بن كامل، وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن منقذ بن النعمان العبدي وكان شجاعاً، فأناه ابن كامل فأحاط بداره، فخرج إليهم ويده الرمح، وهو على فرس جواد، فطعن عبید الله بن ناجية الشامي، فصرعه ولم يضره. قال: ويضربه ابن كامل بالسيف فبتقه بيده اليسرى، فأسرع فيها السيف، وتمطرت به الفرس، فأقلت ولحق بمصعب، وشلت يده بعد ذلك. قال: وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكري إلى رجل من جنب يقال له زيد بن رقاد. كان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته، فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدي أن ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل، وأنه قال حيث أثبت كفه في جبهته: اللهم إنهم استقلونا واستذلونا، اللهم فاقتلهم كما قتلونا، وأذهم كما استذلونا. ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر فقتله، فكان يقول: جتته ميتاً فنزعت سهمي الذي قتله به من جوفه، فلم أزل أنضض السهم من جبهته حتى نزعته، وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعه.

قال: فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها، واقتحم الرجال عليه، فخرج مصلاً بسيفه - وكان شجاعاً - فقال ابن كامل: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح، ولكن ارموه بالنبل، وارجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به، فسقط، فقال ابن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فأخرجوه وبه رمق، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه. وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين، فوجده قد هرب إلى البصرة. فهدم داره. وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب، ولحق بالجزيرة، فهدم داره، وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاماً. وقتل رجل آخر من بني أسد يقال له حرمة بن كاهل رجلاً من آل الحسين. ففيهما يقول ابن أبي عقبة الليثي:

وعند غي قطرة من دمانا وفي أسد أخرى تعد وتذكر  
وطلب رجلاً من خثعم يقال له عبد الله بن عروة

ذاكرك؟ قال: فخره الخبر. قال: فما لبث المختار عمر بن سعد وابنه أن قتلها، ثم بعث برأسهما إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفية.

بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد. سلام عليك يا أيها المهدي، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن الله بعثني نعمة على أعدائكم. فهم بين قتيل وأسير. وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم، ونصر مؤازريك. وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته - رحمة الله عليهم - كل من قدرنا عليه، ولن يعجز الله من بقي، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغي أن على أديم الأرض منهم أرمياً. فكتب إلي أيها المهدي براكب أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طفيل الطائي السنبي - وقد كان أصاب صلب العباس بن علي، ورمى حسيناً بسهم، فكان يقول: تعلق سهمي بسراله وما ضره - فأناه عبد الله بن كامل، فأخذه ثم أقبل به، وذهب أهله فاستغاثوا بعدي بن حاتم، فלحقهم في الطريق، فكلم عبد الله بن كامل فيه، فقال: ما إلي من أمره شيء، إنما ذلك إلى الأمير المختار. قال: فإني آتيه، قال: فآته راشداً. فمضى عدي نحو المختار، وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته، فقالت الشيعة لابن كامل: إننا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث، وله من الذنب ما قد علمت، فدعنا نقتله. قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العتزين وهو مكتوف نصبوه غرضاً، ثم قالوا له: سلبت ابن علي ثيابه، والله لنسلن ثيابك وأنت حي تنظر! فنزعوا ثيابه، ثم قالوا له: رميت حسيناً، واتخذته غرضاً لنبلك، وقلت: تعلق سهمي بسراله ولم يضره، وأيم الله لزمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاء. قال: فرموه رشقاً واحداً، فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الجارود، عمن رآه قتيلاً كأنه تنفذ لما فيه من كثرة النبل: ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه، فأخبره عدي عما جاء له، فقال له المختار: أتستحل يا أبا طريف أن تطلب في قتل الحسين! قال: إنه مكذوب عليه أصلحك الله! قال: إذا ندعه لك قال: فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار: ما فعل الرجل؟ قال: قتله الشيعة. قال: وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتي به

الختعمي - كان يقول: رميت فيهم باثني عشر سهماً ضيعة - فقاته ولحق بمصعب، فهدم داره، وطلب رجلاً من صداء يقال له عمرو بن صبيح، وكان يقول: لقد طعنت بعضهم وجرحتهم فيهم وما قتلت منهم أحداً، فأتي ليلاً وهو على سطحه وهو لا يشعر بعدما هدأت العيون، وسيفه تحت رأسه، فأخذوه أخذاً، وأخذوا سيفه، فقال: قبحك الله سيفاً، ما أقربك وأبعدك! فجيء به إلى المختار، فحبسه معه في القصر، فلما أصبح أذن لأصحابه، وقيل: ليدخل من شاء أن يدخل، ودخل الناس، ووجيء به مقيداً، فقال: أما والله يا معشر الكفرة الفجرة أن لو بيدي سيفي لعلمتم أنني بنصل السيف غير رعش ولا رعديد، ما يسرنني إذ كانت منيتي قتلاً أنه قتلتني من الخلق أحد غيركم. لقد علمت أنكم شرار خلق الله. غير أنني وددت أن بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة، ثم رفع يده فلم يمسكها، ثم قال: إنه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن، فمرنا بأمرك فيه، فقال المختار: علي بالرماح، فأتي بها، فقال: اطعنوه حتى يموت، فطعن بالرماح حتى مات.

قال أبو مخنف: حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زرعة بن مسعود، فرمواهم من فوقها، فأقبلوا حتى دخلوا الدار، فقتلوا الهياط بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي، وأفلتهم عبد الملك بن أبي زرعة بضرية في رأسه، فجاء يشتد حتى دخل على المختار، فأمر امرأته أم ثابت ابنة سمرة بن جندب، فدأوت شجته، ثم دعاه، فقال: لا ذنب لي، إنكم رميتهم القوم فأغضبتموهم. وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية، فبعث المختار إليه حوشياً سادن الكرسي في مائة، فقال: انطلق إليه فإنك تجده لاهياً متصيداً. أو قائماً متلبداً، أو خائفاً متلداً، أو كامناً متغمداً، فإن قدرت عليه فأتي برأسه. فخرج حتى أتى قصره فأحاط به، وخرج منه محمد بن الأشعث فالحق بمصعب، وأقاموا على القصر وهم يرون أنه فيه، ثم دخلوا فعلموا أنه قد فاتهم، فانصرفوا إلى المختار، فبعث إلى داره فهدمها، وبنى بلبتها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، وكان زياد بن سمية قد هدمها.

### ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخزبة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها.

فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن عبد الله بن عطية الليثي وعامر بن الأسود، أن المثنى بن مخزبة العبدى

كان ممن شهد عين الورد مع سليمان بن صرد، ثم رجع مع من رجع ممن بقي من التوابين إلى الكوفة، والمختار محبوس، فأقام حتى خرج المختار من السجن، فبايعه المثنى سرّاً، وقال له المختار: الحق ببلدك بالبصرة فارغ الناس، وأسر أمرك، فقدم البصرة فدعا، فأجابته رجال من قومه وغيرهم فلما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخزبة فاتخذ مسجداً، واجتمع إليه قومه، ودعا إلى المختار ثم أتى مدينة الرزق فمسكروا عندها، وجمعوا الطعام في المدينة، ونحروا الجزر، فوجه إليهم القبايع عباد بن حصين وهو على شرطته، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة، فأخذوا في سكة الموالي حتى خرجوا إلى السبخة، فوقفوا، ولزم الناس دورهم، فلم يخرج أحد، فجعل عباد ينظر هل يرى أحداً يسأله! فلم ير أحداً، فقال: أما هاهنا رجل من بني تميم؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدي، عدي الرباب: هذه دار ورواد مولى بني عبد شمس، قال: دق الباب، فدقه، فخرج إليه ورواد، فثبته عباد وقال: ويحك! أنا واقف هاهنا، لم لم تخرج إلي! قال: لم أدر ما يوافئك، قال: شد عليك سلاحك واركب، ففعل، ووقفوا وأقبل أصحاب المثنى فوافقوهم، فقال عباد لوراد: قف مكانك مع قيس، فوقف قيس بن الهيثم ووراد، ورجع عباد فأخذ في طريق الذباحين، والناس وقوف في السبخة، حتى أتى الكلا، والمدينة الرزق أربعة أبواب: باب مما يلي البصرة، وباب إلى الخلالين، وباب إلى المسجد، وباب إلى مهب الشمال، فأتى الباب الذي يلي النهر مما يلي أصحاب السقط، وهو باب صغير، فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة، فصعد ثلاثون رجلاً، وقال لهم: الزموا السطح، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح، ورجع عباد إلى قيس بن الهيثم وقال لوراد: حرش القوم، فطاردهم ورواد، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنى، وقتل رجل من أصحاب عباد، وسمع الذين على السطوح في دار الرزق الضجة والتكبير فكبروا، فهرب من كان في المدينة، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم، فانهزموا، وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهم إلى القبايع فوجهما إلى عبد القيس، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر، وأتاهم عباد من طريق المريد، فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتكي إلى القبايع وهو في المسجد جالس على المنبر، فدخل زياد المسجد على فرسه، فقال: أيها الرجل، لتردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنها.

فأرسل القبايع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمر الناس، فأتيا عبد القيس، فقال الأحنف

لبكر والأزد وللعمامة: أستم على بيعة ابن الزبير! قالوا: بلى، ولكننا لا نسلم إخواننا. قال: فمروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا، ولا يفسدوا هذا المصر على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤوا.

فمشى مالك بن مسمع وزباد بن عمرو ووجوه أصحابهم إلى المثنى، فقالوا له ولأصحابه: إنا والله ما نحن على رأيكم، ولكننا كرهنا أن تضاموا، فالحقوا بصاحبكم، فإن من أجابكم إلى رأيكم قليل، وأنتم آمنون. فقبل المثنى قولهما وما أشارا به، وانصرف. ورجع الأحنف وقال: ما غبنت رأيي إلا يومي هذا، إني أتيت هؤلاء القوم وخلصت بكراً والأزد ورائي، ورجع عباد وقيس إلى القباع، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه، وأصيب في تلك الحرب سويد بن رثاب الشني، وعقبه بن عشيرة الشني، قتله رجل من بني تميم وقتل التميمي فولغ أخو عقبه بن عشيرة في دم التميمي، وقال: ناري. وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزباد بن عمرو ومسيرهما إليه، وذبهما عنه حتى شخص عن البصرة، فطعم المختار فيهما، فكتب إليهما.

أما بعد، فاسمعوا وأطيعوا أوتكما من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة. فقال مالك لزباد: يا أبا المغيرة، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة! فقال زياد للمالك مازحاً: يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة، من أعطانا الدراهم قاتلنا معه. وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس.

من المختار إلى الأحنف ومن قبله، فسلم أنتم، أما بعد، فويل أم ربيعة من مضر، فإن الأحنف مورد قومه سقر، حيث لا يستطيع لهم الصدر، وإني لا أملك ما خط في القدر، وقد بلغني أنكم تسموني كذاباً، وقد كذب الأنبياء من قبلي، ولست بخير من كثير منهم.

وكتب إلى الأحنف:

إذا اشترت فوساً من مالكا ثم أخذت الجوب في شمالكا فاجعل مصاعاً حذماً من بالكا

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا الحسن بن حماد عن حيان بن علي، عن المجالد، عن الشعبي، قال: دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس، فقال لي بعض القوم: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: أنتم موال لنا، قلت: وكيف؟ قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار، قلت: تدري ما قال شيخ همدان فينا وفيكم؟ فقال الأحنف بن قيس: وما قال؟ قلت: قال:

أفخ ران قتلتم أعبدأ وهزمتهم مرة آل عزل

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل بين شيخ خاضب عثونه وقتى أبيض وضاح رفل جاءنا يهدج في سابعة فذبحناه ضحى ذبح الحمل وعفونا فنسيتم عفونا وكف رنمة الله الأجل وقتلتم خشيين بهم بدلاً من قومكم شر بدل فغضب الأحنف، فقال: يا غلام، هات تلك الصحيفة، فأتي بصحيفة فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم. من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، أما بعد، فويل أم ربيعة ومضر، فإن الأحنف مورد قومه سقر، حيث لا يقدر على الصدر، وقد بلغني أنكم تكذبوني، وإن كذبت فقد كذب رسل من قبلي، ولست أنا خيراً منهم. فقال: هذا منا أو منكم!.

وقال هشام بن محمد عن أبي خنف، قال: حدثني منيع بن العلاء السعدي أن مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار، فلما هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد بن عمير بن عطار، وقال:

عجبت دختوس لما رأيتني قد علاني من المشيب خمار فاهلت بصورتها وأرنت لا تهالي قد شاب مني العذار إن تريني قد بان غرب شبابي وأتى دون مولدي أعصار فابن عامين وابن خمسين عاماً أي دهر إلا له أدهار! ليست سبغني لها وجوبها لي يوم قالت ألا كريم يغار! ليتنا قبل ذلك اليوم متنا أو فعلنا ما تفعل الأحرار لم نقاتل وقاتل العيزار وتوليت عنهم وأصيبوا ونفاني عنهم شنار وعار لهف نفسي على شهاب قريش يوم يؤتى برأسه المختار! وقال المتوكل الليثي:

قتلوا حسياً ثم هم ينعونه إن الزمان بأهله أطوار لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت وسقى مساكن هامها الأمطار ما شرطة الدجال تحت لوائه بأضل ممن غره المختار أبني قسي أوتقوا دجالكم يجل الغبار وأنتم أحرار لو كان علم الغيب عند أخيكم لتوطأت لكم به الأبحار ولكان أمراً بيناً فيما مضى تأتي به الأنباء والأخبار طعن يشق عصاكم وحصار ويخونكم قوم كان سيوفهم بكفهم تحت العجاجة نار لا يشنون إذا هم لافوككم إلا وهام كماتكم أعشار

ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى

لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثم مضى راجعاً نحو البصرة، فاجتمع بها هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب المثني بن خربة العبدى بالبصرة.

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم أن المختار أخبر أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرف أنه به يبدأ، فخشي أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة، فودع ابن الزبير وداراه وكايدته، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختار لابن الزبير مكاييد موادع، فكتب المختار إلى ابن الزبير.

أما بعد، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببت أن أمذك بمدد أمددتك. فكتب إليه عبد الله بن الزبير.

أما بعد فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادي وتبائع لي الناس قبلك، فإذا أتيتي بيعتك صدقت مقاتلتك، وكففت جنودي عن بلادك، وعجل علي بتسريح الجيش الذي أنت باعته، ومرهم فليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم. والسلام.

فدعا المختار شرحبيل بن ورس من همدان، فسرجه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالي، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل، فقال له: سر حتى تدخل المدينة، فإذا دخلتها فاكذب إلي بذلك حتى يأتيك أمري، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله، ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقالته بمكة، فخرج الآخر يسير قبل المدينة، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده، فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد في ألفين، وأمره أن يستنفر الأعراب، وقال له ابن الزبير: إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم. ففعلوا، وأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم، وقد عصى ابن ورس أصحابه، فجعل على ميمته سلمان ابن حمير الثوري من همدان، وعلى مسيرته عياش بن جعدة الجذلي، وكانت خيله كلها في الميمنة والميسرة، فدنا فسلم عليه، ونزل هو يمشي في الرجالة، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تسمية، فيجد ابن ورس على الماء قد عصى أصحابه تعبئة القتال، فدنا منهم فسلم عليهم، ثم قال: اخل معي ها هنا، فخلاه به، فقال له: رحك الله! ألسنت في طاعة ابن الزبير! فقال له ابن ورس: بلى، قال: فسر بنا إلى عدوه هذا الذي بوادي القرى، فإن ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم، قال ابن ورس: ما أمرت بطاعتك،

المدينة للمكر بابن الزبير، وهو مظهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحروبه، فنزلوا وادي القرى.

### ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم

قال هشام بن محمد قال أبو مخنف: حدثني موسى بن عامر، قال: لما أخرج المختار ابن المطيع من الكوفة لحق بالبصرة. وكره أن يقدم ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول، فكان بالبصرة مقيماً حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن هشام، فصارا جميعاً بالبصرة. وكان سبب قدوم عمر بالبصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت، أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب إليه، فكتب إليه: أما بعد، فقد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك، وما كنت أعطيته إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك، وقضيت الذي كان لك علي، خست بي، ولم تف بما عاهدتني عليه، ورأيت مني ما قد رأيت، فإن ترد مراجعتي أراجلك، وإن ترد مناصحتي أنصح لك. وهو يريد بذلك كفه عنه، حتى يستجمع له الأمر، وهو لا يطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك. قال: فأرأى ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له: تجهز إلى الكوفة فقد وليناكها، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنه يزعم أنه سامع مطيع. قال: فتجهز بما بين الثلاثين الألف درهم إلى الأربعين ألفاً، ثم خرج مقبلاً إلى الكوفة. قال: ويحيى عين المختار من مكة حتى أخبره الخبر، فقال له: بكم تجهز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. قال: فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له: احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا في مسيره إلينا وتلقه في المفاوز، وأخرج معك مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي في خمسمائة فارس دارع رامح، عليهم البيض، ثم قل له: خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك، فإنه قد بلغنا أنك تجهزت وتكلفتم قدر ذلك، فكرهنا أن نغرم، فخذها وانصرف، فإن فعل وإلا فأره الخيل وقيل له: إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة. قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقاه بالمفاوز، وعرض عليه المال، وأمره بالانصراف، فقال له: إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إنفاذ أمره. فدعا زائدة بالخيل وقد أكرمها في جانب، فلما رآها قد أقبلت قال: هذا الآن أعذر لي وأجمل بي، هات المال، فقال له زائدة: أما إنه لم يبعث به إليك إلا

وثبوا عليهم فقتلوه، فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً، وتبعث إليهم من قبلك رسلاً، حتى يعلم أهل المدينة أنني في طاعتك، وأما بعثت الجند إليهم عن أمرك، فافعل، فإنك ستجد عظمهم بحفكم أعرف، وبكم أهل البيت أراف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين، والسلام عليك.

فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد، فإن كتابك لما بلغني قراته، وفهمت تعظيمك لحقي، وما تنوي به من سروري. وإن أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه، فاطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت، وأعلم أنني لو أردت لوجدت الناس إلي سراعاً، والأعوان لي كثيراً، ولكني اعتزلهم، وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودعه وسلم عليه، وأعطاه الكتاب وقال له: قل للمختار فليقتل الله، وليكف عن الدماء، قال: فقلت له: أصلحك الله! أؤلم تكتب بهذا إليه! قال له ابن الحنفية: قد أمرته بطاعة الله، وطاعة الله تجمع الخير كله، وتنتهي عن الشر كله. فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس أنني قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر ويضرح الكفر والغدر.

### ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجليلي.

### ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة:

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام، عن أبي مخنف وعلي بن محمد، عن مسلمة بن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزمزم، وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة، وهربوا إلى الحرم، وتوعدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولاً يعلمهم حالهم وحال من معهم، وما توعدهم به ابن الزبير. فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه، وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار، ويسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته. فقدموا على المختار، فدفعوا إليه الكتاب فنأدى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر

إنما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة، فإذا نزلتها رأيت رأيي. قال له عباس بن سهل: فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين بوادي القرى، فقال له ابن ورس: ما أمرت بطاعتك، وما أنا بمتبعك دون أن أدخل المدينة، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره. فلما رأى عباس بن سهل لجأته عرف خلافه فكره أن يعلمه أنه قد فطن له، فقال: فأريك أفضل، اعمل بما بدا لك، فأما أنا فأني سائر إلى وادي القرى.

ثم جاء عباس بن سهل فتزل بالماء، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه، فأهداها له، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة - وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً - فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة، فذبحوها، واشتغلوا بها، واختلطوا على الماء، وترك القوم تعيبتهم، وأمن بعضهم بعضاً، فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوي البأس والتجدة ثم أقبل نحو فسطاط شريحيل بن ورس، فلما رآهم ابن ورس مقبلين إليه نادى في أصحابه، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول: يا شرطة الله، إلي! قاتلوا المحلين، أولياء الشيطان الرجيم، فإنكم على الحق والهدى، قد غدروا وفجروا.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم، وهو يقول:

أنا ابن سهل فارس غير وكل أروع مقدام إذا الكيش نكل وأعتلي رأس الطرماع البطل بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

قال: فوالله ما اقتلنا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ، ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس، فأتوها إلا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجليلي، فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل، كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم، فخلوا سبيلهم، فرجعوا، فمات أكثرهم في الطريق، فلما بلغ المختار أمرهم، ورجع من رجع منهم، قام خطيباً فقال: ألا إن الفجار الأشرار، قتلوا الأبرار الأخيار، ألا إنه كان أمراً مائياً، وقضاء مقضياً.

وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فأني كنت بعثت إليك جنداً ليذلوا لك الأعداء، وليحوزوا لك البلاد، فساروا إليك حتى إذا اطلوا على طيبة، لقيهم جند الملحد، فخدعهم بالله، وغروهم بعهد الله، فلما اطمأنوا إليهم، ووثقوا بذلك منهم،

ابن خازم، أتى قصر فرتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين، فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزني، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي، وورد بن الفلق العنبري، وزهير بن ذؤيب العدوي، وجيهان بن مشجعة الضبي، والحجاج بن ناشب العدوي، ورقبة بن الحر في فرسان بني تميم. قال: فأتاهم ابن خازم، فحصرهم وخندق خندقاً حصيناً. قال: وكانوا يخرجون إليه فيقاتلونهم ثم يرجعون إلى القصر. قال: فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من من خندقه في ستة آلاف، وخرج أهل القصر إليه، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز: انصرفوا اليوم عن ابن خازم، فلا أظن لكم به طاقة، فقال زهير بن ذؤيب العدوي: امرأته طالق إن رجع حتى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء، ولم يكن يومئذ فيه ماء، فاستبطه زهير، فسار فيه، فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم، فحطم أولهم على آخرهم، واستداروا وكر راجعاً، وأتبعوه على جنبتي النهر يصبحون به لا ينزل إليه أحد، حتى انتهى إلى الموضع الذي المخدر فيه فخرج فحمل عليهم، فأفروا له حتى رجع، قال: فقال ابن خازم لأصحابه: إذا طاعتهم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فاعلقوها في أذاته إن قدمتم عليه، فخرج إليهم يوماً وفي رماحهم كلاليب قد هيئها له فطاعوه، فاعلقوا في درعه أربعة أرماع، فالتفت إليهم ليحمل عليهم، فاضطربت أيديهم، فخلوا رماحهم، فجاء يجر أربعة أرماع حتى دخل القصر، قال: فأرسل بن خازم غزوان بن جزء العدوي إلى زهير فقال: قل له: أرايتك إن أمتكت وأعطيتك مائة ألف، وجعلت لك باسار طعمة تناصحي، فقال زهير لغزوان: ويحك! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث بن ذؤيب! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم.

قال: فلما طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلنا نخرج فتتفرق، فقال: لا إلا أن تنزلوا على حكمي، قالوا: فإنا ننزل على حكمك فقال لهم زهير: تكلنكم أمهاتكم! والله ليقتلنكم عن آخركم، فإن طبتم بالموت أنفساً فموتوا كراماً، اخرجوا بنا جميعاً فإما أن تموتوا جميعاً وإما أن ينجو بعضهم ويهلك بعضهم، وإيم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المريد، فإن شتمت كنت أمامكم، وإن شتمت كنت خلفكم. قال: فأبى عليه، فقال: أما إني سأريكم، ثم خرج هو ورقبة بن الحر ومع رقية غلام له تركي وشعبة بن ظهير. قال: فحملوا على القوم حملة منكراً، فأفروا لهم، فعضوا، فاما زهير فرجع إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه: قد رأيتم فاطميوني، ومضى رقية وغلامه وشعبة، قالوا: إن فينا من يضعف عن هذا ويطمع في الحياة، قال: أبعدكم

على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل، كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الوليل.

ووجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين ركباً من أهل القوة، ووجه ظبيان ابن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وعمر بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، وكتب إلى محمد بن علي مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين ركباً، ثم لحقه عمر بن طارق في أربعين ركباً، ويونس ابن عمران في أربعين ركباً، فتموا خمسين ومائة، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام، ومعهم الكافر كويات، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعد ابن الزبير الخطب ليحرقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فطردوا الحرس، وكسروا أعواد زمزم، ودخلوا على ابن الحنفية، فقالوا له: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال لهم: إني لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير: تحسبون أنني غل سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا! فقال أبو عبد الله الجدلي: إي ورب الركن والمقام، ورب الحل والحرام، لتخلين سبيله أو لتجالدك بأسيفنا جلاداً يرتاب منه المبتلون. فقال ابن الزبير: والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤوسهم، فقال له قيس بن مالك: أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب. فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة، ثم قدم أبو المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وظبيان بن عمارة في مائتين، ومعه المال حتى دخلوا المسجد، فكبروا: يا لثارات الحسين! فلما رآهم ابن الزبير خافهم، فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير. ويستأذنون ابن الحنفية فيه، فيأبى عليهم، فاجتمع مع محمد بن علي في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم ذلك المال.

### ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمداً.

قال علي بن محمد: حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطفيل بن مرداس العمي، قال: لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام

الله! اتحلون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعكم عند الموت.  
قال: ففتحوا القصر ونزلوا، فأرسل فقيدهم، ثم حملوا إليه رجلاً  
رجلاً، فأراد أن يمن عليهم، فأبى ابنه موسى، وقال: والله لئن  
عفوت عنهم لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري، فقال له  
عبد الله: أما والله إني لأعلم أن الغي فيما تأمرني به، ثم قتلهم  
جميعاً إلا ثلاثة، قال أحدهم الحجاج بن ناشب العدوي - وكان  
رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضره، فحلف لئن ظفر به  
ليقتله أو ليقطعن يده، وكان حدثاً، فكلمه فيه رجال من بني تميم  
كانوا معتزلين من عمرو بن حنظلة، فقال رجل منهم: ابن عمي  
وهو غلام حدث جاهل، هبه لي، قال: فوهبه له، وقال: النجاء!  
لا أرينك. قال: وجهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على  
ابنه محمد يوم قتل، فقال ابن خازم: خلوا عن هذا البغل الدارج،  
ورجل من بني سعد، وهو الذي قال يوم لحقوا ابن خازم:  
انصرفوا عن فارس مضر. قال: وجاؤوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا  
حمله وهو مقيد، فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه، فقام له  
ابن خازم: كيف شكرك إن أطلقتك وجعلت لك بأسار طعمعة؟  
قال: لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك، فقام ابنه موسى  
فقال: تقتل الضبيع وتترك الذبيح! تقتل اللبوة وتترك الليث! قال:  
ويحك! تقتل مثل زهير! ممن لقتال عدو المسلمين! من لئساء  
العرب! قال: والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك، فقام  
رجل من بني سليم إلى ابن خازم، فقال: أذكرك الله في زهير!  
فقال له موسى: اتخذ فحلاً لبئناك، فغضب ابن خازم، فأمر  
بقتله، فقال له زهير: إن لي حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقتلني  
على حدة، ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام، فقد نهيتهم عما  
صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً، وأن يخرجوا عليكم مصلتين،  
وايم الله أن لو فعلوا لذعروا بنيك هذا، وشغلوه بنفسه عن  
طلب الثار بأخيه فأبوا، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل  
رجالاً. فأمر به فتح ناحية فقتل.

قال مسلمة بن محارب: فكان الأخنف بن قيس إذا ذكرهم  
قال: قبح الله ابن خازم! قتل رجلاً من بني تميم بابنه. صبي وغد  
أحق لا يساوي علقاً. ولو قتل منهم رجلاً به لكان وفي.

قال: وزعمت بنو عدي أنهم لما أرادوا حمل زهير بن  
ذؤيب أبى واعتمد على رعه وجمع رجليه فوثب الخندق، فلما  
بلغ الخريش بن هلال قتلهم قال:

أعاذل إنسي لم ألم في قتالهم وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما  
أعاذل ما وليت حتى تبددت رجال وحتى لم أجد متقلما  
أعاذل أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الأبطال يرجع مكلمما  
أعيني إن أنزمتا الدمع فأسكبنا دماً لازماً لي دون أن تسكبنا الدما

أبعد زهير وابن بشر تابعاً وورد أرجى في خراسان مغنماً  
أعاذل كم من يوم حرب شهدته أكر إذا ما فارس السوء أحجماً  
يعني بقوله: أبعد زهير، زهير بن ذؤيب، وابن بشر عثمان  
بن بشر المخنف المازني، وورد بن الفلق العنبري، قتلوا يومئذ،  
وقتل سليمان بن المخنف أخو بشر.

قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن  
الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد  
الله. وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى  
قضاها هشام بن هبيرة، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها،  
وبخراسان عبد الله بن خازم.

### شخص إبراهيم بن الأشتر حرب عبيد الله بن زياد

وفي هذه السنة شخص إبراهيم بن الأشتر متوجهاً إلى  
عبيد الله بن زياد لحربه. وذلك لثمان بقين من ذي الحجة.

قال هشام بن محمد: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني النضر  
بن صالح - وكان قد أدرك ذلك - قال: حدثني فضيل بن خديج  
- وكان قد شهد ذلك - وغيرهما. قالوا: ما هو إلا أن فرغ  
المختار من أهل السبيع وأهل الكناسة. فما نزل إبراهيم بن  
الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه له  
لقتال أهل الشام. فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة  
سنة ست وستين، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه  
وفرسانهم وذوي البصائر منهم: ممن قد شهد الحرب وجربها.  
وخرج معه قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة. وأمر  
عبد الله بن حبة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وبعث الأسود  
بن جراد الكندي على ربع كندة وربيعة. وبعث حبيب بن منقذ  
الثوري من همدان على ربع تميم وهمدان، وخرج معه المختار  
يشيعه حتى إذا بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحكم، إذا أصحاب  
المختار قد استقبلوه، قد حملوا الكرسي على بغل أشهب كانوا  
يحملونه عليه، فوقفوا به على القنطرة، وصاحب أمر الكرسي  
حوشب البرسمي، وهو يقول: يا رب عمرنا في طاعتك، وانصرنا  
على الأعداء. واذكرنا ولا تنسنا واسترنا، قال: وأصحابه  
يقولون: آمين آمين، قال فضيل: فانا سمعت ابن نوف الهمداني  
يقول: قال المختار:

أما ورب المرسلات عرفاً لنقتلن بعد صف صفاً  
وبعد ألف قاسطين ألفاً

قال: فلما انتهى إليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحاماً  
شديداً على القنطرة، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس  
الجالوت - وهي إلى جنب دير عبد الرحمن - فإذا أصحاب

بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وإن هذا فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه، فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبيبة فرفعوا أيديهم، وكبروا ثلاثاً، فقام شبت بن ربعي وقال: يا معشر مضر. لا تكفرن، فنحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه، قال إسحاق: فوالله إني لأرجو أنها لشبت، ثم لم يلبث أن قيل: هذا عبید الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجيراً، فخرج بالكرسي على بغل وقد غشي، يسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلاً، فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر، فقلت: إنا لله! وندمت على ما صنعت. فتكلم الناس في ذلك، فغيب، فلم أره بعد.

حدثني عبد الله. قال: حدثني أبي قال: قال أبو صالح: فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله:

شهدت عليكم أنكم سبيبة وإني بكم يا شرطة الشرك عارف  
وأقسم ما كرسبكم بسكينة وإن كان قد لفت عليه اللفاف  
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت شبام حواليه ونهد وخارف  
وإني امرؤ أحبيت آل محمد وتابعت وحيأ ضمت المصاحف  
وتابعت عبد الله لما تابعت عليه قريش: شملها والغطارف

وقال المتوكل الليثي:

أبلغ أبا إسحاق إن جته أنسي بكرسيكم كافر  
تزو شبام حول أعواده وتحمل الوحي له شاعر  
محبرة أعينهم حوله كأنهن الحمص الحادر

فأما أبو مخنف: فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به، عن طفيل بن جعدة. والذي ذكر من ذلك ما.

حدثنا به، عن هشام بن محمد، عنه، قال: حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام: أن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي - وكانت أم جعدة أم هانيء بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه: اتوني بكرسي علي بن أبي طالب، فقالوا: لا والله ما هو عندنا، وما ندرى من أين نجيء به! قال: لا تكونن حقى، اذهبوا فاتتوني به، قال: فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي، فيقولون: هو هذا إلا قبله منهم، فجاءوا بكرسي فقالوا: هو هذا قبله، قال: فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحرير والديباج.

قال أبو مخنف عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهمي: إن الكرسي لما بلغ ابن الزبير أمره قال: أين بعض جنادة الأزدي عنه!

قال أبو الأشعر: لما جيء بالكرسي كان أول من سدنه

الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون، فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف، وذلك حين أراد أن ينصرف، فقال لابن الأشر: خذ عني ثلاثاً: خف الله في سر أمرك وعلايته، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تصبح حتى تنأجزهم، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله. ثم قال: هل حفظت ما أوصيتك به؟ قال: نعم، قال: صحبك الله، ثم انصرف. وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين، ومنه شخص بعسكره.

### ذكر أمر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به!

قال أبو مخنف: فحدثني فضيل بن خديج قال: لما انصرف المختار مضى إبراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله وهم رافعو أيديهم إلى السماء يستنصرون، فقال إبراهيم: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنة بني إسرائيل، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي.

### ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو

وأصحابه:

قال أبو جعفر: وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، قال: حدثني معبد بن خالد، قال: حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: أعدمت مرة من الورق، فإني لذلك إذ خرجت يوماً فإذا زيات جار لي، له كرسي قد ركه وسخ شديد، فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا! فرجعت فأرسلت إلى الزيات: أرسل إلي بالكرسي، فأرسل لي به، فأتيت المختار، فقلت: إني كنت أكتملك شيئاً لم أستحل ذلك، فقد بدا لي أن أذكره لك، وما هو؟ قلت: كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من علم، قال: سبحان الله! فأخرت هذا إلى اليوم! أبعث إليه. أبعث إليه، قال: وقد غسل وخرج عود نضار، وقد تشرب الزيت، فخرج بيص، فجيء به وقد غشي، فأمر لي باثني عشر ألفاً. ثم دعا: الصلاة جامعة.

فحدثني معبد بن خالد الجدلي قال: انطلق بي وبإسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبت بن ربعي والناس يجرون إلى المسجد، فقال المختار: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه



موسى بن أبي موسى الأشعري، وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحلف به، لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب. ثم إنه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا منه، فدفعه إلى حوشب الرسمي، فكان صاحبه حتى هلك المختار. قال: وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله، فيه نبأ ما يكون من شيء.

قال أبو مخنف: حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف. ويقول: المختار أمرني به، ويتبرأ المختار منه.

## السنة السابعة والستون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام.

## ذكر الخبر عن صفة مقتله عبيد الله بن زياد

ثم إن عميراً انصرف، وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة الليل كله، ولم يدخل عنه غمض، حتى إذا كان في السحر الأول عبي أصحابه، وكتب كتابه، وأمر أمراءه. فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمته، وعليه بن مالك الجشمي على مسيرته، وهو أخو أبي الأحوص. وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمه - على الخيل، وكانت خيله قليلة، فضمها إليه، وكانت في الميمنة والقلب، وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك.

قال: فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس، ثم خرج بهم فصفهم، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم، وألحق أمير الميمنة بالميمنة وأمير الميسرة بالميسرة، وأمير الرجالة بالرجالة. وضم الخيل إليه، وعليها أخوه لأمه عبد الرحمن بن عبد الله، فكانت وسطاً من الناس، ونزل إبراهيم يمشي، وقال للناس: ازحفوا، فزحف الناس معه على رسلهم رويداً رويداً حتى أشرف على تل عظيم مشرف على القوم، فجلس عليه، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد - فرشح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلاً، فقال: قرب عليّ فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء، فانطلق، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، فقال: قد خرج القوم على دهش وفشل، لقيني رجل منهم فما كان له هجيرى إلا يا شيعه أبي تراب، يا شيعه المختار الكذاب! فقلت: ما بيننا وبينكم أجل من الشتم، فقال لي: يا عدو الله، إلام تدعوننا! أنتم تقتلون مع غير إصام، فقلت له: بل يا لشارات الحسين، ابن رسول الله! ادفعوا إلينا عبيد الله بن زياد، فإنه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين، فإننا لا نراه لحسين ندأ فنرضى أن يكون منه قوداً، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله أو أي صالح من المسلمين شتمت حكماً، فقال لي: قد جربناكم مرة أخرى في مثل هذا - يعني الحكيم - فغدرتم، فقلت له: وما هو؟ فقال: قد جعلنا بيننا وبينكم حكيم فلم ترضوا بحكمهما، فقلت له: ما جئت بحجة، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما. ورضينا به وبايعناه، فلم يجتمعا على واحد، وتفرقا، فكلاهما لم يوفقه الله لخبر ولم يسدده. فقال: من أنت؟ فاخبرته، فقلت له: من أنت؟ فقال: عدس - لبغلة يزجرها - فقلت له: ما أنصفتي، هذا أول غدرك!

قال: ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه، ثم مر بأصحاب الرايات كلها، فكلما مر على راية وقف عليها، ثم قال: يا أنصار

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الصلت، عن أبي سعيد الصيقل، قال: مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام، فخرجنا مسرعين لا نشئي، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق. قال: فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سباً بعيداً، ووصلنا في أرض الموصل، فتعجلنا إليه، وأسرعنا السير، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باريشا، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط، من وهيل من النخع (رجلاً من قومه)، وكان شجاعاً نبياً، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث إليه، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبية، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله، فأخذ يسير بهم جميعاً لا يفرقهم، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية.

قال: وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ خازر. وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر: إني معك، وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسل إليه ابن الأشتر: أن القتي إذا شئت، وكانت قيس كلها بالجزيرة، فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن مجذل. فاتاه عمير ليلاً فبايعه، وأخبره أنه على مسرة صاحبه، وواعده أن يهزم بالناس، وقال ابن الأشتر: ما رايك؟ أأخذني علي وأتلوم يومين أو ثلاثة؟ قال عمير بن الحباب: لا تفعل، إنا لله! هل يريد القوم إلا هذه! إن طاولوك وماطوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في المطولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملثوا منكم رعباً، فأتهم فإنهم إن شاموا أصحابك وقتلوه يوماً بعد يوم، ومرة بعد مرة أنسوا بهم، واجتروا عليهم، قال إبراهيم: الآن علمت أنك لي مناصح، صدقت، الرأي ما رأيته، أما إن صاحبي بهذا أوصاني، وبهذا الرأي أمرني. قال عمير: فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ قد ضرسته الحروب، وقاسى منها ما لم تقاس، أصبح فناهض الرجل.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق أن إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته: انغمس برايتك فيهم، فيقول له: إنه - جعلت فداك - ليس لي متقدم، فيقول: بلى، فإن أصحابك يقاتلون، وإن هؤلاء لا يهربون إن شاء الله، فإذا تقدم صاحب رايته برايته شد إبراهيم بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه. وكرد إبراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحملان، وإذا حمل برايته شد أصحابه شدة رجل واحد.

قال أبو مخنف: حدثني المشرقي أنه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدة لا تليق شيئاً مرت به، وأنه لما هزم أصحابه حمل عينية بن أسماء أخته هند بنت أسماء - وكانت امرأة عبيد الله بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول:

إن تصرمي جالناً فربما أردت في الهيجا الكمي العلما

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج أن إبراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين الفريقين، وأن عمير بن الحباب لما رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه: أجيئك الآن؟ فقال: لا تأتيني حتى تسكن فورة شرطة الله، فاني أخاف عليك عاديتهم.

وقال ابن الأشتر: قتل رجلاً وجدت منه رائحة المسك، شرقت يدها وغربت رجلاه، تحت راية منفردة، على شاطئ نهر خازر. فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً، ضربه فقدمه بتصفين، فذهبت رجلاه في المشرق، ويدها في المغرب. وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد. فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، ونادى التغلبي: اقلوني وابن الزانية، فقتل ابن نمير.

وحدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، قال: حدثني الحسن بن كثير، قال: كان شريك بن جدير التغلبي مع علي عليه السلام، أصيبت عينه معه، فلما انقضت حرب علي لحق ببيت المقدس، فكان به، فلما جاءه قتل الحسين، قال: أعاهد الله إن قدرت على كذا وكذا - يطلب بدم الحسين - لأقتل ابن مرجانة أو لأموتنس دونه. فلما بلغه أن المختار خرج يطلب بدم الحسين أقبل إليه. قال: فكان وجهه مع إبراهيم بن الأشتر، وجعل على خيل ربيعة، فقال لأصحابه: إني عاهدت الله على كذا وكذا، فبايعه ثلثمائة على الموت، فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفاً صفاً مع أصحابه حتى وصلوا إليه، وثار الرهج فلا يسمع إلا وقع الحديد والسيوف. فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد، التغلبي وعبيد الله بن زياد، قال: وهو الذي يقول:

كل عيش قد أراه قسراً غير ركن الرمح في ظل الفرس

الدين. وشيعة الحق، وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته، فوالله ما عمل فرعون بن نجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قد جاءكم الله به، وجاءكم بكم، فوالله إني لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الوطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم. فسار فيما بين الميمنة والميسرة، وسار في الناس كلهم فرغهم في الجهاد، وحرضهم على القتال، ثم رجع حتى نزل تحت رايته، وزحف القوم إليه، وقد جعل ابن زياد على ميمته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي، وشرحيل بن ذي الكلاع على الخيل وهو يمشي في الرجال، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة، وعليها علي بن مالك الجشمي، فثبت له هو بنفسه فقتل، ثم أخذ رايته قرة بن علي، فقتل أيضاً في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة، فأخذ راية علي بن مالك الجشمي عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا، فقال: إلي يا شرطة الله، فأقبل إليه جلهم، فقال: هذا أميركم يقاتل، سيروا بنا إليه، فأقبل حتى أتاه وإذا هو كاشف عن رأسه ينادي: يا شرطة الله، إلي أنا ابن الأشتر! إن خير فراركم كراركم، ليس مسيئاً من اعتب، فتاب إليه أصحابه، وأرسل إلى صاحب الميمنة: اعمل على ميسرتهم - وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عمير بن الحباب كما زعم، فحمل عليهم صاحب الميمنة، وهو سفيان بن يزيد بن المغفل، فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالاً شديداً، فلما رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه: أموا هذا السواد الأعظم، فوالله لو قد فضضناه لا نجفل من ترون منهم بمنة ويسرة الغفاله طبر دعرتها فطارت.

قال أبو مخنف: فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري، عن ورقاء بن عازب، قال: مشيتا إليهم حتى إذا دنونا منهم اطعنا بالرماح قليلاً، ثم صرنا إلى السيوف والعمد، فاضطربنا بها ملياً من النهار، فوالله ما شبهت ما سمعت بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مياجن قصاري دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط. قال: فكان ذلك كذلك، ثم إن الله هزمهم، ومنحنا أكتافهم.

ضربناك بالعصب الحسام محدة إذا ما أبانا قاتلاً بقتيل  
جزى الله خيراً شرطة الله إنهم شفا من عبيد الله أمس غليلي

### ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة، وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير، فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا الشعبي. قال: حدثني وافد بن أبي ياسر، قال: كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا، قال: كنت والله في الرهط الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة إلى البصرة، قال: فقدم متلماً حتى أناخ على باب المسجد، ثم دخل فصعد المنبر، فقال الناس: أمير أمير. قال: وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أميرها قبله - فسفر المصعب فعرّفوه، وقالوا: مصعب بن الزبير! فقال للحارث: أظهر أظهر، فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة، قال: ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه. قال: فوالله ما أكثر الكلام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. تَلْوَا عَلَىكَ مِنْ تَلَا مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتْسِدِّينَ﴾ - وأشار بيده نحو الشام - ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ - وأشار بيده نحو الحجاز - ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ مِمَّنْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ - وأشار بيده نحو الشام.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن عوانة، قال: لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال: يا أهل البصرة، بلغني أنكم تلقبون أمراءكم، وقد سميت نفسي الجزار.

### ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد

وفي هذه السنة سار مصعب بن الزبير إلى المختار فقتله.

ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار:

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، حدثني حبيب بن بديل، قال: لما قدم شيب على مصعب بن الزبير البصرة وتحتة بغلة له قد قطع ذنبها، وقطع طرف أذنها وشق قباءه، وهو ينادي: يا غوثاه يا غوثاه! فأتى مصعب، فقبل له: إن بالباب رجلاً ينادي: يا غوثاه يا غوثاه! مشقوق القباء، من صفته كذا وكذا، فقال لهم: نعم، هذا شيب بن ربيعي لم يكن ليفعل هذا غيره، فادخلوه، فادخل عليه، وجاءه أشرف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه، فآخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به ووئوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم،

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج قال: قتل شرحبيل بن ذي الكلاع، فادعى قتله ثلاثة: سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي، وورقاء بن عازب الأسدي، وعبيد الله بن زهير السلمي. قال: ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر، فكان من غرق أكثر ممن قتل، وأصابوا عسكرهم فيه من كل شيء، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه: يأتاكم الفتح أحد اليومين إن شاء الله من قبل إبراهيم بن الأشتر وأصحابه، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة. قال: فخرج المختار من الكوفة، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري، وخرج بالناس، ونزل ساباط.

قال أبو مخنف: حدثني المشرق، عن الشعبي، قال: كنت أنا وأبي عن خرج معه، قال: فلما جازنا ساباط قال للناس: أبشروا فإن شرطة الله قد حسوهم بالسيف يوماً إلى الليل بنصيبين أو قريباً من نصيبين ودوين منازلهم، إلا أن جلهم محصور بنصيبين. قال: ودخلنا المدائن، واجتمعنا إليه، فصعد المنبر، فوالله إنه ليخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن الرأي والاجتهاد والثبات على الطاعة، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، إذ جاءت البشرية ترى يتبع بعضها بعضاً بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه، وأخذ عسكره، وقتل أشرف أهل الشام، فقال المختار: يا شرطة الله. ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون! قالوا: بلى والله لقد قلت ذلك، قال: فيقول لي رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين: أتؤمن الآن يا شعبي؟ قال: قلت: بأي شيء أومن؟ أومن بأن المختار يعلم الغيب! لا أومن بذلك أبداً. قال: أو لم يقل لنا: إنهم قد هزموا! فقلت له: إنما زعم لنا أنهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة، وإنما هو بخازر من أرض الموصل، فقال: والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم، فقلت له: من هذا الهمداني الذي يقول لك هذا؟ فقال: رجل لعمرى كان شجاعاً - قتل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء - يقال له: سلمان بن حمير من الثوريين من همدان، قال: وانصرف المختار إلى الكوفة، ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل، وبعث عماله عليها، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين، وغلب على سنجار ودارا، وما والاها من أرض الجزيرة، وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم، فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة. وكان فيمن قدم على مصعب شيب بن ربيعي، فقال سراقه بن مرداس البارقى يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله بن زياد:

أتاكم غلام من عرانيين مذحج جري على الأعداء غير نكول  
فيا ابن زياد بؤ بأعظم مالك وذق حد ماضي الشفرتين صقيل

فاستغفروهم عليكم ليصيح الحق، ويتعش الباطل، ويقتل أولياء الله، والله لو تهلكون ما عبد الله في الأرض إلا بالفري على الله واللعن لأهل بيت نبيه. انتدبوا مع أحر بن شميظ فإنكم لرو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم.

فخرج أحر بن شميظ، فسكر بحمام أعين، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحر بن شميظ، كما كانوا مع ابن الأشتر، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر، لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار، فانصرفوا عنه، وبعثهم المختار مع ابن شميظ، وبعث معه جيشاً كثيفاً، فخرج ابن شميظ، فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري. وسار أحر بن شميظ حتى ورد المذار، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً.

ثم إن كل واحد منهما عصى جنده. ثم تراحقا، فجعل أحر بن شميظ على ميمنة عبد الله بن كامل الشاكري، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب بن نضلة الجشمي، وعلى الخيل رزين عبد السلولي. وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكندي - وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لعمرية - على الموالي، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميظ وقد جعله على ميسرته، فقال له: إن الموالي والعبيد آكل خور عند المصدوقة، وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل. وأنت تمشي، فمرهم فليزولوا معك، فإن لهم بك أسوة، فإني أخوف إن طوردوا ساعة وطوعنا وضوربوا أن يطيروا على متوننا ويسلموك، وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بداً، وإنما كان هذا منه غشاً للموالي والعبيد، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد، ولم يهتم ابن شميظ، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا، فقال: يا معشر الموالي، انزلوا معي فقاتلوا، فنزلوا معه، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل، فجاء عباد حتى دنا من ابن شميظ وأصحابه فقال: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقال الآخرون: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بيعة الأمير المختار، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول، فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه. فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره، فقال له: ارجع فاحمل عليهم، فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزل منهم أحد، ثم انصرف إلى موقفه وحمل المصعب على ابن كامل، فجال أصحابه بعضهم في بعض، فنزل ابن كامل، ثم انصرف عنه المصعب، فقام مكانه، فوقفوا ساعة ثم قال المصعب لأصحابه: كروا

والمسير إلى المختار معهم. وقدم عليهم محمد بن الأشعث بن قيس - ولم يكن شهد وقعة الكوفة، كان في قصر له مما يلي القادسية بطبرستان - فلما بلغه هزيمة الناس تهياً للشخص، وسأل عنه المختار، فأخبر بمكانه، فسرح إليه عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة، فلما ساروا إليه، وبلغه أن قد دنوا منه، خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به، فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج، وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه. قال: وبعث المختار إلى دار محمد بن الأشعث فهدمها.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه، قال لمحمد بن الأشعث: إني لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة. فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله على فارس - أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا، فإننا نريد المسير إلى الكوفة. فأبطأ عليه المهلب وأصحابه، واعتل بشيء من الخراج، لكراهة الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يأتي المهلب فيقبل به، وأعلمه أنه لا يشخص دون أن يأتي المهلب، فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب. فلما قرأه قال له: مثلك يا محمد يأتي بريداً! أما وجد المصعب بريداً غيرك! قال محمد: إني والله ما أنا بريد أحد، غير أن نساءنا وأبنائنا وحرماننا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا. فخرج المهلب، وأقبل بجمع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيبة ليس بها أحد من أهل البصرة. ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه، فرفع المهلب يده فكسر أنفه، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دماً، فقال له: ما لك؟ فقال: ضربني رجل ما أعرفه، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال: هو ذا، قال له المصعب: عد إلى مكانك، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر. ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له: اتت الكوفة فأخرج إلي جميع من قدرت عليه أن تخرجه. وادعهم إلى بيعتي سراً. وخذل أصحاب المختار، فأنسل من عنده حتى جلس في بيته مستتراً لا يظهر، وخرج المصعب فقدم أمامه عباد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس، والأحف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزدي، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية، وبلغ ذلك المختار. فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة، يا أهل الدين، وأعوان الحق، وأنصار الضعيف، وشيعة الرسول، وآل الرسول، إن فراركم الدين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين

عودنا المصعب جبر القلس والزئيريات الطوال القعس  
قال: فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي  
إخوانهم مع ابن شميظ قالوا بالفارسية: أين بار دروغ كفت،  
يقولون: هذه المرة كذب.

قال أبو مخنف: وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي، عن  
عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي، قال: واللّه إني لجالس عند  
المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لقوا، قال: فأصغى إلي، فقال:  
قتلت واللّه العبيد قتلة ما سمعت بمثله قط. ثم قال: وقتل ابن  
شميظ وابن كامل وفلان وفلان، فسمي رجالاً من العرب  
أصبيوا، كان الرجل منهم في الحرب خيراً من فنام من الناس.  
قال: فقلت له: فهذه واللّه مصيبة، فقال لي: ما من الموت بد، وما  
من ميتة أموتها أحب إلي من مثل ميتة ابن شميظ، حبذا مصارع  
الكرام! قال: فعلمت أن الرجل قد حدث نفسه إن لم يصب  
حاجته أن يقاتل حتى يموت.

ولما بلغ المختار أنهم قد أقبلوا إليه في البحر، وعلى الظهر،  
سار حتى نزل بهم السيلحين، ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الحيرة  
ونهر السيلحين ونهر القادسية، ونهر يوسف، فسكن الفرات على  
مجتمع الأنهار، فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار، وبقيت  
سفن أهل البصرة في الطين، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن  
يمشون، وأقبلت خيلهم تركض حتى أتو ذلك السكر، فكسروه  
وصمدوا صمد الكوفة، فلما رأى ذلك المختار أقبل إليهم حتى  
نزل حروراء، وحال بينهم وبين الكوفة، وقد كان حصن قصره  
والمسجد، وأدخل في قصره عدة الحصار، وجاء المصعب يسير  
إليه وهو مجروراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد،  
وخرج إليه المختار وقد جعل على ميمته سليم بن يزيد الكندي،  
وجعل على ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ثم الشوري، وكان  
على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمي، وبعث على الخيل  
عمر بن عبد الله النهدي، وعلى الرجال مالك بن عمرو النهدي،  
وجعل مصعب على ميمته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته  
عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعلى الخيل عباد بن الحصين  
الحطيطي، وعلى الرجال مقاتل بن مسمع البكري، ونزل هو يمشي  
متكباً قوساً له.

قال: وجعل على أهل الكوفة محمد بن الأشعث، فجاء  
محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغرباً ميامناً. قال: فلما رأى  
ذلك المختار بعث إلى كل خمس من أخماس أهل البصرة رجلاً من  
أصحابه، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته،  
وعليهم مالك بن مسمع البكري، وبعث إلى عبد القيس وعليهم  
مالك بن المنذر عبد الرحمن بن شريح الشامي، وكان على بيت

كرة صادقة، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجولتهم التي جالوا،  
فحمل عليهم حملة منكورة فولوا، وصبر ابن كامل في رجال من  
همدان، فأخذ المهلب يسمع شعار القوم: أنا الغلام الشاكري، أنا  
الغلام الشامي، أنا الغلام الشوري، فما كان إلا ساعة حتى  
هزموا، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله بن أنس،  
فقاتل ساعة ثم انصرف، وحمل الناس جميعاً على ابن شميظ،  
فقاتل حتى قتل. وتنادوا: يا معشر بجيلة وخثعم. الصبر الصبر!  
فناداهم المهلب: الفرار الفرار! اليوم أنجي لكم، علام تقتلون  
أنفسكم مع هذه العبدان، أضل الله سعيكم. ثم نظر إلى أصحابه  
فقال: واللّه ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي. ومالت  
الخيل على رجالة ابن شميظ، فافترت فانهزمت وأخذت  
الصحراء، فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخيل، فقال: أيما  
أسير أخذته فاضرب عنقه. وسرح محمد بن الأشعث في خيل  
عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم، فقال:  
دونكم ثارككم! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة،  
لا يدركون منهزماً إلا قتلوه. ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه.  
قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل، وأما  
رجالتهم فأبيدوا إلا قليلاً.

قال أبو مخنف: حدثني ابن عياش المتوفى، عن معاوية بن  
قرة المزني، قال: انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في  
عينه، فأخذت أخضض عينه بسنان رمحي، فقلت له: وفعلت به  
هذا؟ قال: نعم. إنهم كانوا أحل عندنا دمأً من الترك والديلم،  
وكان معاوية بن قرة قاضياً لأهل البصرة، ففي ذلك يقول  
الأعشى:

ألا هل أذاك والأنباء تنمي بما لاقت بجيلة بالمدار  
أتيح لهم بها ضرب طلحف وطعن صائب وجه النهار  
كان سحابة صعقت عليهم فعمتهم هنالك بالدمار  
فبشر شيعة المختار إما مررت على الكوفة بالصغار  
أقر العين صرعاهم وفل لهم جيم يقتل بالصحاري  
وما إن سرتني إهلاك قومي وإن كانوا وجدك في خيار  
ولكني سررت بما يلاقي أبو إسحاق من خزري وعار

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب، ولم  
تلك واسط هذه بنيت حينئذ بعد، فأخذ في سكر، ثم حمل الرجال  
وأنقاهم وضعفاء الناس في السفن، فأخذوا في نهر يقال له: نهر  
خرشاذ، ثم خرجوا من ذلك النهر إلى نهر يقال له قوسان، ثم  
أخرجهم من ذلك النهر إلى الفرات.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي، أن أهل  
البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون:

أن عبد الله بن قراد هو الذي قتله.

قال أبو خننف: وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم قتله، فادعى قتله أربعة نفر. كلهم يزعم أنه قتله، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضارب حتى قتل، وقاتل المختار على فم سكة شبت، ونزل وهو يريد ألا يرح فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم. وقتل معه ليلتذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي، وعياش بن خازم الهمداني، ثم الثوري، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايهي.

قال أبو خننف: حدثنا أبو الزبير أن همدان نادوا ليلتذ: يا معشر همدان، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال، فلما أن تفرقوا عن المختار قال له أصحابه: أيها الأمير. قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر. فقال المختار: أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر، فاما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله، فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى في قتل محمد بن الأشعث:

تأوب عينك عوارها وعاد لنفسك تذكاريها  
وإحدى لياليك راجعتها أرقى ولوم سمارها  
وما ذقت العين طعم الرقا د حتى تبلج إسفارها  
وقام نعاة أبي قاسم فأسبل بالدمع تحدارها  
فحق العيون على ابن الأشج ألا يفتر تقطارها  
والآنزال تكسي له وتبتل بالدمع أشفارها  
عليك محمد لما ثوبت تبكي البلاد وأشجارها  
وما يذكرونك إلا بكوا إذا ذمة خانها جارهـا  
وعارية من ليالي الشتا ء لا يتمنح أيسارها  
ولا يبيح الكلب فيها العقور ر إلا المريـر وتختارها  
ولا ينفع الثوب فيها الفتى ولا ربة الخدر تحدارها  
فأنت محمد في مثلها مهين الجزائر تحارها  
نظل جفانك موضوعة تسيل من الشحم أصبارها  
وما في سقائك مستطف إذا الشول روح أغبارها  
فيا واهب الوصفاء الصبا ح إن شـد بُرتْ إشـبارها  
ويا واهب الجرد مثل القدا ح قد يعجب الصف شوارها  
ونكت كدجلة إذ ترتمي ن عوداً تجاوب إيكارها  
ونكت جليداً وذاً مرة فيقذف في البحر تيارها  
ونكت إذا بلدة أصفقت إذا يتغنى منك إمرارها  
بعث عليها ذواكي العيو ن حتى تواصل أخبارها  
بإذن من الله والخيل قد أعد لذلك مزارها

ماله، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمي عبد الله بن جعدة القرشي، ثم المخزومي، وبعث إلى الأزرد وعليهم زياد بن عمرو العتكي مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي، وبعث إلى بني نعيم وعليهم الأحنف بن قيس سليم بن يزيد الكندي، وكان صاحب ميمته، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري، ووقف في بقية أصحابه، وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، ويحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل، وعبد القيس، وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتلهم ربيعة قتالاً شديداً، وصبروا لهم، وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يقلعان، إذا حمل واحد فانصرف حمل الآخر، وربما حملاً جميعاً، قال: فبعث المصعب إلى المهلب: ما تنتظر أن تحمل على من يبارئك! ألا ترى ما يلقي هذان الخمران منذ اليوم! احمل بأصحابك، فقال: إي لعمرى ما كنت لأجزر الأزرد وقيماً خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي. قال: وبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة أن احمل على من يبارئك، فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا إلى المصعب، فجثا المصعب على ركبته - ولم يكن فراراً - فرمى بأسهم. ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة، ثم تحاجزوا.

قال: وبعث المصعب إلى المهلب وهو في خمسين جامين كثيري العدد والفرسان: لا أباك لك! ما تنتظر أن تحمل على القوم! فمكث غير بعيد، ثم إنه قال لأصحابه: قد قاتل الناس منذ اليوم وأنتم وقوف، وقد أحسنوا، وقد بقي ما عليكم، احمّلوا واستعينوا بالله واصبروا، فحمل على من يليه حملة منكورة، فحطموا أصحاب المختار حطمةً منكورة، فكشفوهم. وقال عبد الله بن عمرو النهدي - وكان من أصحاب صفين -: اللهم إني على ما كنت عليه ليلة الخميس بصفين، اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا، وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء - يعني أصحاب المصعب - ثم جالسد سيفه حتى قتل، وأتى مالك بن عمرو أبو نمران النهدي وهو الرجالة بفرسه فركبه، وانقص أصحاب المختار انقصة شديدة كأنهم أجمه فيها حريق. فقال مالك حين ركب: ما أصنع بالركوب! والله لأن أقتل هاهنا أحب إلي من أن أقتل في بيتي، أين أهل البصائر؟ أين أهل الصبر؟ فثاب إليه نحو من خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، فكر على أصحاب محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه، فبعض الناس يقول: هو قتل محمد بن الأشعث، ووجد أبو نمران قتيلاً إلى جانبه - وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي قتله - فلما مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال: يا معشر الأنصار، كروا على الثعالب الرواغة، فحملوا عليهم، فقتل، فخثعم تزعم

فقال له: ألم تزعم لنا يا ابن نوف أنا سنهزمهم! قال: أوما قرأت في كتاب الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ﴾! قال: فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة، فآخذ بهم نحو السبخة، فمر بالمهلب. فقال له المهلب: يا له فتحاً ما أهناه لو لم يكن محمد بن الأشعث قتل! قال: صدقت، فرحم الله محمداً. ثم سار غير بعيد، ثم قال: يا مهلب، قال: لبيك أيها الأمير، قال: هل علمت أن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل! قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، قال: المصعب: أما إنه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح، ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه، أتدري من قتله؟ قال: لا، قال: إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه.

قال: ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة، وبعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم بن جبانة السبيع. وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف: ما كنت صنعت فيما كنت وكلت بك به؟ قال: أصلحك الله! وجدت الناس صنفين، أما من كان له فيك هوى فخرج إليك. وأما من كان يرى رأي المختار، فلم يكن ليدعه، ولا ليؤثر أحداً عليه، فلم أبرح بيتي حتى قدمت، قال: صدقت، وبعث عباد بن الحصين إلى جبانة كندة، فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة، وهم في قصر المختار، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة مراد، وبعث عبيد الله بن الحر إلى جبانة الصائدين.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج، قال: لقد رأيت عبيد الله بن الحر، وإنه ليطارد أصحاب خيل المختار، يقائلهم في جبانة الصائدين ولربما رأيت خيلهم تطرد خيله، وإنه لوراء خيله يحميها حتى ينتهي إلى دار عكرمة، ثم يكر راجعاً هو وخيله فيطردهم حتى يلحقهم بجبانة الصائدين، ولربما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون، وإنما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد. وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتلاً ضعيفاً، ولا نكاية لهم، وكانت لا تخرج له خيل إلا رميت بالحجارة من فوق البيوت، ويصب عليهم الماء القذر. واجترأ عليهم الناس، فكانت معابشهم أفضلها من نساءهم، فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء. قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة، وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها، فإذا دنت من القصر فتح لها، فدخلت على زوجها وحميمها بطعامه وشرابه ولطفه. وإن ذلك بلغ المصعب

وقد تعلم الخيل منك الوجيد  
وقد تعلم البازل العيسجور  
فيا أسفى يوم لاقيتهم  
وأقبلت الخيل مهزومة  
بشط حروراء واستجمعت  
فأخطرت نفسك من دونهم  
فلا تبعدن أباً قاسم  
وأقضى الحوادث ساداتنا  
ف حتى تئبد أمهارها  
رانك بالحب حسارها  
وخانت رجالك فرارها  
عثاراً تضرب أدبارها  
عليك الموالى وسحارها  
فحاز الرزية أخطارها  
فقد يلغ النفس مقدارها  
ومر الليالي وتكرارها

قال هشام: قال أبي: كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير فقتله ورقاء النخعي من وهيل، فقال ورقاء:

من مبلغ عني عيذاً بآثني  
علوت أخاه بالحسام المهند  
فإن كنت تبغي العلم عنه فإنه  
صريع لدى الدينين غير موسد  
وعمداً علوت الرأس منه بصارم  
فأنكلته سفيان بعد محمد

قال هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني حصيرة بن عبد الله، أن هنداً بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع إليها كل غال من الشيعة فيتحدث في بيتها وفي بيت ليلى بنت قمامة المزنية، وكان أخوها رفاعة بن قمامة من شيعة علي، وكان مقصداً، فكانت لا تحبه، فكان أبو عبد الله الحنظلي يزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين المراتين وغلوهما وخبر أبي الأحراس المرادي والبطين الليثي وأبي الحارث الكندي.

قال هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني يحيى بن أبي عيسى قال: فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل إلى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء، فكتب إليهم.

من محمد بن علي إلى من بالكوفة من شيعتنا. أما بعد، فاخرجوا إلى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانيةً وسراً ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانةً، فإن خشيتهم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين، وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء، فإنه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله قائم على كل نفس بما كسبت، فاعملوا صالحاً، وقدموا لأنفسكم حسناً، ولا تكونوا من الغافلين، والسلام عليكم.

قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله، أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء وهو يقول: يوم الأربعاء، ترفعت السماء، ونزل القضاء، بهزيمة الأعداء، فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء. فخرج. فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة، ورجع الناس منهزمين، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي، وقد سمع مقالته،



رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ما يريد المختار تدل من القصر مجبل، فلحق بأناس من إخوانه، فاختبأ عندهم.

ثم إن المختار أزمع بالخروج إلى القوم حين رأى من أصحابه الضعف، ورأى ما بأصحابه من الفشل، فأرسل إلى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري، فأرسلت إليه بطيب كثير، فاغتسل وتحنط، ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته، ثم خرج في تسعة عشر رجلاً، فيهم السائب بن مالك الأشعري - وكان خليفته على الكوفة إذا خرج إلى المدائن - وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الأشعري، فولدت له غلاماً. فسماه محمداً. فكان مع أبيه في القصر، فلما قتل أبوه وأخذ من في القصر وجد صبيّاً فترك، ولما خرج المختار من القصر قال للسائب: ماذا ترى؟ قال: الرأي لك، فماذا ترى؟ قال: أنا أرى أم الله يرى! قال: الله يرى، قال: ويحك! أم أنت! إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على البصرة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنيت كأحدكم، إلا أنني قد طلبت بئار أهل بيت النبي ﷺ إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغت في ذلك إلى يومي هذا، فقاتلت على حبسك إن لم تكن لك نية، فقال: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وما كنت أصنع أن أقاتل على حسي! فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي:

ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت عني المومم بأمر ما له طبق  
لقال رهباً ورعباً يجمعان معاً غنم الحياة وهول النفس والشفق  
إما تسف على مجد ومكرمة أو إسوة لك فيمن تهلك السورق

فخرج في تسعة عشر رجلاً فقال لهم: أنؤمنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا، إلا على الحكم، فقال: لا أحكمكم في نفسي أبداً، فضارب بسيفه حتى قتل، وقد كان قال لأصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه: إذا أنا خرجت إليهم فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلاً، فإن نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترغومهم، فقال كل رجل منهم لبعضكم: هذا عنده ثاري فيقتل وبعضكم ينظر إلى مصارع بعض فيقول: يا ليتنا أطعنا المختار وعملنا برايه! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر مئم كراماً، وإن هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته، أنتم غداً هذه الساعة أذل من على ظهر الأرض، فكان كما قال.

قال: وزعم الناس أن المختار قتل عند موضع الزياتين اليوم قتله رجلان من بني حنيفة أخوان يدعى أحدهما طرفة والآخر طرافاً، ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة. ولما كان

وأصحابه، فقال له المهلب - وكان مجرباً - اجعل عليهم دروباً حتى تمنع من يأتيهم من أهلهم وأبنائهم، وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه. وكان القوم إذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر. ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه، فكان ذلك أيضاً مما يروى أكثرهم. ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقتربوا من القصر، فجاء عباد بن الحصين الحطبي حتى نزل عند مسجد جهينة، وكان ربما تقدم حتى يتهمي إلى مسجد بني خزوم، وحتى يرمي أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر، وكان لا يلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها: من أنت؟ ومن أين جئت؟ وما تريدن؟ فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشبابيين وشاكر آتين أزواجهن في القصر، فبعث بهن إلى مصعب. وإن الطعام لمعهن، فردهن مصعب ولم يعرض لهن، وبعث زحر بن قيس - فنزل عند الحدادين حيث تكرر الدواب، وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جذعة بن مالك من بني أسد بن خزيمه، وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج خنيس، وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية، وابتدأ السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة، أغمار ليس لهم علم بالحرب، فأخذوا يصيحون - وليس لهم أمير: يا ابن دومة، يا ابن دومة! فأشرف عليهم المختار فقال: أما والله لو أن الذي يعيرني بدومة كان من القريتين عظيماً ما يعيرني بها. وبصر بهم وبفرقهم وهيتهم وانتشارهم. فطمع فيهم، فقال لطائفة من أصحابه: اخرجوا معي، فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل، فكر عليهم فشذخ نحواً من مائة، وهزمهم، فركب بعضهم بعضاً، وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلي.

ثم إن رجلاً من بني ضبة من أهل البصرة يقال له مجيى بن ضمضم، كانت رجلاًه تكادان تحيطان الأرض إذا ركب من طوله، وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم إذا راوه، فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده، وبصر به المختار، فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه، وخر ميتاً. ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة، فدخلوا القصر، فكانوا فيه، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار: ويحكم! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً، انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله، فضعفوا وعجزوا، فقال لهم المختار: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي، ولما

ثم اجتمعوا، وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأسجحو، وقد قدرتم فاعفوا، فما زال بهذا القول ونحوه حتى رُق لهم الناس، ورق لهم مصعب، وأراد أن يخلي سبيلهم، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: تخلي سبيلهم! اخترنا يا ابن الزبير أو اخترهم.

ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال: قتل أبي وخسمائة من همدان وأشراف العشيرة أهل مصر ثم تخلي سبيلهم، ودماؤنا تفرق في أجوافهم! اخترنا أو اخترهم. ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نغواً من هذا القول. فلما رأى مصعب بن الزبير ذلك أمر بقتلهم، فنادوه بأجمعهم: يا ابن الزبير، لا تقتلنا، اجعلنا مقدمتك إلى أهل الشام غداً، فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غداً غنى، إذا لقيتم عدوكم فإن قتلنا لم تقتل حتى نرقم لكم، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لك ولن معك. فأبى عليهم وتبع رضا العامة، فقال بجير السلي: إن حاجتي إليك ألا أقتل مع هؤلاء القوم إني أمرتهم أن يخرجوا بأسياهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراماً فعصوني، فقدم فقتل.

قال أبو مخنف: وحدثني أبي، قال: حدثني أبو روق أن مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير: يا ابن الزبير، ما تقول لله إذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبراً! حكموك في دمائهم، فكان الحق في دمائهم ألا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس مسلمة، فإن كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدة من قتلنا منكم، وخلوا سبيل بقيتنا، وفيما الآن رجال كثير لم يشهدوا موطناً من حربنا وحربكم يوماً واحداً، كانوا في الجبال والسهول يجيئون الحجاج، ويؤمنون السبيل، فلم يستمع له، فقال: قبح الله قوماً أمرتهم أن يخرجوا ليلاً على حرس سكة من هذه السكك فنطردهم، ثم نلحق بعشائرنا، فعصوني حتى حملوني على أن أعطي التي هي أنقص وأدنى وأوضع، وأبو أن يموتوا إلا ميتة العبيد، فانا أسألك ألا تخلط دمي بدمائهم. فقدم فقتل ناحية.

ثم إن المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسار حديد إلى جنب المسجد، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف، فنظر إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كف المختار، فأمر بنزعها. وبعث مصعب عماله على الجبال والسهول، ثم إنه كتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له: إن أنت أجيتي ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعنة الخيل، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان.

وكتب عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول: إن أنت أجيتي ودخلت في طاعتي فلك العراق.

من الغد من قتل المختار قال بجير بن عبد الله السلي: يا قوم، قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالراي لو أطعتموه. يا قوم، إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذهبت كما تذهب الغنم، اخرجوا بأسياهم فقاتلوا حتى تموتوا كراماً. فعصوه وقالوا: لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك، فعصيناه، أفنحن نطيعك! فأمكن القوم من أنفسهم، ونزلوا على الحكم. فبعث إليهم مصعب عباد بن الحصين الحبطي فكان هو يخرجهم مكثفين، وأرصى عبد الله بن شداد الجشمي إلى عباد بن الحصين، وطلب عبد الله بن فراد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقاتل به فلم يجده، وذلك أن الندامة أدركته بعدما دخلوا عليه، فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفاً، فمر به عبد الرحمن وهو يقول:

ما كنت أخشى أن أرى أسيراً إن الذين خلفوا الأميرا قد رُغموا وتبروا تبيرا

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: عليّ بهذا قدموه إلي أضرب عنقه. فقال له: أما إني على دين جدك الذي آمن ثم كفر، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاط. فنزل ثم قال: أدنوه مني، فادنوه منه، فقتله فغضب عباد، فقال: قتلته ولم تؤمر بقتله!

ومر بعبد الله بن شداد الجشمي وكان شريفاً، فطلب عبيد الرحمن إلى عباد أن يجسبه حتى يكلم فيه الأمير، فأتى مصعباً، فقال: إني أحب أن تدفع إلي عبد الله بن شداد فاقتله، فإنه من الثار، فأمر له به، فلما جاءه أخذه فضرب عنقه، فكان عباد يقول: أما والله لو علمت أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله، ولكني حسبت أنك تكلمه فيه فتخلي سبيله. وأتني بابن عبد الله بن شداد، وإذا اسمه شداد، وهو رجل محتل، وقد اطل على بنورة، فقال: اكشفوا عنه هل أدرك! فقالوا: لا إنما هو غلام، فخلوا سبيله، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مصعب أن يعرض على أخيه الأمان، فإن نزل تركه له، فأتاه فعرض عليه الأمان، فأبى أن ينزل، وقال: أموت مع أصحابي أحب إلي من حياة معكم، وكان يقال له قيس، فأخرج فقتل فيمن قتل، وقال بجير بن عبد الله السلي - ويقال: كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير - فقال له السلي: الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار، وابتلاك بأن تعفو عنا، وهما منزلتان إحداهما رضا الله، والأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه، وزاده عزاً، ومن عاقب لم يأمن القصاص. يا ابن الزبير، نحن أهل قبلتكم، وعلى ملتكم، ولسنا تركاً ولا دليماً، فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطؤوا، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتلنا كما اقتل أهل الشام بينهم، اختلفوا فقد واقتلوا

ابن الزانية، قطعت نفسها قطع الله بينك! فلزمه حتى رفعه إلى مصعب، فقال: إن أمي مسلمة، وادعى شهادة بني قفل، فلم يشهد له أحد، فقال مصعب: خلو سبيل الفتى فإنه رأى أمراً فظيلاً، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير:

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول  
قتلت هكذا على غير جرم إن لله درهما من قتيل  
كسب القتل والقتال علينا وعلى الحصنات جر الذبول

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن يوسف، أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه، وقال له: أنا ابن أخيك مصعب، فقال له ابن عمر: نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة! عش ما استطعت! فقال مصعب: إنهم كانوا كفره سحرة، فقال ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً، فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك:

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب يقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب  
بقتل فتاة ذات دل سنية مهذبة الأخلاق والحيم والنسب  
مظهرة من نسل قوم أكارم من المؤثرين الخير في سالف الحقب  
خليل النبي المصطفى ونصيره وصاحبه في الحرب والنكب والكرب  
أتاني بأن الملحدتين توافقوا على قتلها لا جبنوا القتل والسلب  
فلا هنأت آل الزبير معيشة وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب  
كانهم إذ أبرزوها وقطعت بأسياهم فازاروا بملكة العرب  
لم تعجب الأقوام من قتل حرة من الحصنات الدين محمودة الأدب  
من العافلات المؤمنات، بريئة من الدم والبهتان والشك والكذب  
علينا كتاب القتل والبأس واجب وهن العفاف في الحجال وفي الحجب  
على دين أجساد لها وأبوة كرام مضت لم تحز أهلاً ولم ترب  
من الحفريات لا خروج بذية ملائمة تبغي على جارها الجنب  
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا ولم تردلف يوماً بسوء ولم تحب  
عجبت لها إذ كفتت وهي حية إلا إن هذا الخطب من أعجب

حدثت عن علي بن حرب الموصلي، قال: حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفي، ابن أخي أبي الأحوص، قال: حدثنا محمد بن أبان، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة، قال: بينا أنا أسير بظهر النجف إذ لحقني رجل فطعنني بمخضرة من خلفي، فالتفت إليه، فقال: ما قولك في الشيخ؟ قلت: أي الشيخوخ؟ قال: علي بن أبي طالب، قلت: إني أشهد أني أحبه بسمعي وبصري وقلبي ولساني، قال: وأنا أشهدك أني أبغضه بسمعي وبصري وقلبي ولساني. فسرنا حتى دخلنا الكوفة، فافترقنا، فمكث بعد ذلك سنين - أو قال: زماناً - قال: ثم إنني لفي المسجد الأعظم إذ

فدعا إبراهيم أصحابه فقال: ما ترون؟ فقال بعضهم: تدخل في طاعة عبد الملك، وقال بعضهم: تدخل مع ابن الزبير في طاعته، فقال ابن الأثير: ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبع عبد الملك، مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصري مصرأ، ولا على عشيرتي عشيرة. فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعب أن أقبل، فأقبل إليه بالطاعة.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأثير وفيه.

أما بعد، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى بيعة أمير المؤمنين، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلي، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد، والسلام.

وكتب إليه عبد الملك بن مروان.

أما بعد فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى، ونازعوا الأمر أهله وأخذوا في بيت الله الحرام والله يمكن منهم، وجاعل دائرة السوء عليهم، وإنني أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه، فإن قبلت وأجبت فلنك سلطان العراق ما بقيت وبقيت، علي بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه.

قال: فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب، واستشارهم في الرأي، فقال يقول: عبد الملك، وقائل يقول: ابن الزبير، فقال لهم: ورأيي اتباع أهل الشام، ولكن كيف لي بذلك، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري! فأقبل إلى مصعب، فلما بلغ مصعباً إقباله بعث المهلب إلى عمله، وهي السنة التي نزل فيها المهلب على الفرات.

قال أبو مخنف: حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أم ثابت: ما عسينا أن نقول! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم، فقالوا لها: اذهبي، وأما عمرة فقالت: رحمة الله عليه، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين، فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها. فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة، فضر بها مطر ثلاث ضربات بالسيف - ومطر تابع لآل قفل من بني تميم الله بن ثعلبة، كان يكون مع الشرط - فقالت: يا ابتاه، يا أهلاه، يا عشيرتاه! فسمع بها بعض الأنصار، وهو أبان بن النعمان بن بشير، فأتاه فلطمه وقال له: يا

أصحاب مصعب، فأنصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا، فوقفوا ملياً، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قتل، فهرب منهم من أطاق الهرب، واختفوا في دور الكوفة، وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم، ووجدوا المختار في القصر، فدخلوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا في تلك الليلة من أصحاب مصعب بشراً كثيراً، فيهم محمد بن الأشعث، وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد، ولا يقدر عليه حتى قتل المختار، فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه، فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرهم من العجم، قال: فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب، فكلّمه من معه، فقالوا: أي دين هذا؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحداً فقدّمهم فضرب أعناقهم.

**قال أبو جعفر:** وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه في الحضورين الذين نزلوا على حكمه، فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار: اقتلهم، وضجت ضبة، وقالوا: دم منذر بن حسان، فقال عبيد الله بن الحر: أيها الأمير، ادفع كل رجل في يديك إلى عشيرته ممن عليهم بهم، فإنهم إن كانوا قتلونا فقد قتلناهم، ولا غنى بنا عنهم في ثورنا، وادفع عبيدنا الذين في يديك إلى مواليهم فإنهم لأيتامنا وأراملتنا وضعفائنا، يردونهم إلى أعمالهم، واقتل هؤلاء الموالي، فإنهم قد بدا كفرهم، وعظم كبرهم، وقل شكرهم. فضحك مصعب وقال للأخف: ما ترى يا أبا بحر؟ قال: قد أرادني زياد فعصيته - يعرض بهم - فأمر مصعب بالقوم جميعاً فقتلوا، وكانوا ستة آلاف، فقال عقبة الأسدي:

قتلتم ستة آلاف صبراً مع العهد الوثق مكتفين  
جعلتم ذمة الحبطي جسراً ذلولاً ظهره للواطئين  
وما كانوا غداة دعوا ففروا بعدهم بأول حائنين  
وكنتم أمرتهم لو طاعوني بضرب في الأزقة مصلتين  
وقتل المختار - فيما قيل - وهو ابن سبع وستين سنة، لأربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين.

فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه، وصار إليه إبراهيم ابن الأشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة.

دخل رجل معتم يتصنع وجوه الخلق، فلم يزل ينظر فلم ير لحى أحق من لحى همدان، فجلس إليهم، فتحولت فجلست معهم، فقالوا: من أين أقبلت؟ قال: من عند أهل بيت نبيكم، قالوا: فماذا جئتنا به؟ قال: ليس هذا موضع ذلك، فوعدهم من الغد موعداً، فغدا وغدوت، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص، فدفعه إلى غلام، فقال له: يا غلام، اقراه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للمختار بن أبي عبيد كتبه له وصي آل محمد، أما بعد فكذا وكذا.

فاستفرغ القوم البكاء، فقال: يا غلام، ارفع كتابك حتى يفيق القوم، قلت: معاشر همدان، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف، فقصصت عليهم قصته، فقالوا: آيبت والله إلا تنبيطاً عن آل محمد وتزييناً لتعطل شقاق المصاحف. قال: قلت: معاشر همدان، لا أحدثكم إلا ما سمعته أذناي، ووعاء قلبي من علي بن أبي طالب عليه السلام، سمعته يقول: لا تسماوا عثمان شقاق المصاحف، فوالله ما شققها إلا عن ملا منا أصحاب محمد، ولو وليتها لعملت فيها مثل الذي عمل، قالوا: الله أنت سمعت هذا من علي؟ قلت: والله لأنا سمعته منه، قال: فتفرقوا عنه، فعند ذلك مال إلى العبيد، واستعان بهم وصنع ما صنع.

**قال أبو جعفر:** واقتصر الواقدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا، فخالف فيه من ذكرنا خبره، فزعم أن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة، وأن مصعباً لما سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أمر بن شميظ البجلي، وأمره أن يواقعه بالمدار، وقال: إن الفتح بالمدار، وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلاً من ثقيف يفتح عليه بالمدار فتح عظيم، فظن أنه هو، وإنما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الأشعث. وأمر مصعب صاحب مقدمته عباد الحبطي أن يسير إلى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب، ونزل مصعب، نهر البصريين على شط الفرات، وحفر هنالك نهراً فسمي نهر البصريين من أجل ذلك قال: وخرج المختار في عشرين ألفاً حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه، فوافوه مع الليل على تبيية، فأرسل إلى أصحابه حين أمسى: لا يرحن أحد منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادي: يا محمد، فإذا سمعتموه فاحملوا. فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذاب على الله، وانحاز ومن معه إلى المصعب، فأمهل المختار حتى إذا طلع القمر أمر منادياً، فنادى: يا محمد، ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزمهم، فأدخلوه عسكريه، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد، وإذا أصحابه قد غلغوا في

## خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها، فاختلف في سبب عزله إياه عنها، وكيف كان الأمر في ذلك.

**فقال بعضهم** في ذلك ما حدثني به عمر، قال: حدثني علي بن محمد قال: لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر، فقتل المختار، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وجسه عنده، واعتذر إليه من عزله: وقال: والله إني لأعلم أنك أخرى وأكفى من حمزة، ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه.

وحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: قدم حمزة البصرة والياً، وكان جواداً سخياً غلطاً، يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه، ويمنع أحياناً ما لا يمتنع مثله، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف، فيقال: إنه ركب يوماً إلى فيض البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقراً به ليكفيهم صيفهم، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً، فقال: قد رأيت هذا ذات يوم، وظننت أن لن يكفيهم، فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يفيض عنا. وشخص إلى الأهواز، فلما رأى جبلها قال: هذا قيعقان - لموضع بمكة - فسُمي الجبل قيعقان، وبعث إلى مردانشاه فاستحثه بالخراج، فأبطلأ به، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله، فقال الأحنف: ما أحد سيف الأمير!

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر، وهم بعبد العزيز بن بشر أن يضربه، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك، وسأله أن يعيد مصعباً. قال: وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال التجدية بالبحرين.

حدثني عمر قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما عزل ابن الزبير حمزة احتل مالاً كثيراً من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسمع، فقال: لا ندعك تخرج بأعطياتنا. فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء، فكف، وشخص حمزة بالمال، فترك إياه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجالاً، فذهبوا به إلا يهودياً كان أودعه فوفى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال: أبعده الله! أردت أن أباهي به بني مروان فنكص.

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة ورده إياه إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه، عن أبي المخارق الراسي، أن مصعباً لما ظهر على الكوفة أقام بها

سنة معزولاً عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بذلك سنة، ثم إنه وفد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة.

**وقيل:** إن مصعباً لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. قال: وقال محمد بن عمر: لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة.

## أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير. وكان عامله على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة.

وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان.

وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي.

## السنة الثامنة والستون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعباً إلى العراق أميراً، وقد ذكرنا السبب في رد عبد الله أخاه مصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه، ولما رده عليها أميراً بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً وذلك أنه بدأ بالبصرة مرجعه إلى العراق أميراً بعد العزل، فصار إليها.

## ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق

وفي هذه السنة كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة، ودخلوا المدائن.

## ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم إلى العراق.

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو المخارق الراسي، أن مصعباً وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس، فلقيهم بسابور، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم إنه ظفر بهم ظفراً بيناً، غير أنه لم يكن بينهم كثير قتلى، وذهبوا كأنهم على حامية، وقد تركوا على ذلك المعركة.

قال أبو مخنف: فحدثني شيخ للحسي بالبصرة، قال: إنني لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فلإني أخبر الأمير أصلحه الله أنني لقيت الأزارقة التي مرقت من الدين واتبعته أهواها بغير هدى من الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال. ثم إن الله ضرب وجوههم وأديبارهم، ومنحنا أكتافهم، فقتل الله منهم من خاب وخسر، وكل إلى خسران، فكتبت إلى الأمير كتابي هذا وأنا على ظهر فرسي في طلب القوم، أرجو أن يجزئهم الله إن شاء الله، والسلام.

ثم إنه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا إصطخر، فسار إليهم حتى لقيهم على قنطرة طمستان، فقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل ابنه ثم إنه ظفر بهم، فقطعوا قنطرة طمستان، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكرمان، فأقاموا بها حتى اجتبروا وقوا، واستعدوا وكثروا، ثم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر

بن عبيد الله بن معمر، فقطعوا أرضه من غير الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور، ثم خرجوا على أرجان، فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة إلى البصرة خشي ألا يحتملها له مصعب بن الزبير، فشمّر في آثارهم مسرعاً حتى أتى أرجان، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الأهواز، وبلغ مصعباً إقبالهم، فخرج فمسكروا بالناس بالجسر الأكبر، وقال: والله ما أدري ما الذي أغنى عني أن وضعت عمر بن عبيد الله بفارس، وجعلت معه جنداً أجري عليهم أرزاقهم في كل شهر، وأوفيتهم أعطياتهم في كل سنة، وأمرهم من معاون في كل سنة بمثل الأعطيات، تقطع أرضه الخوارج إلي! وقد قطعت علته فأمددته بالرجال وقوتيتهم، والله لو قاتلهم ثم فر كان أعذر له عندي، وإن كان الفار غير مقبول العذر، ولا كريم الفعل.

وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز، فأتتهم عيونهم أن عمر بن عبيد الله في أثرهم، وأن مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة إليهم، فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن من سوء الرأي والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين، انهضوا بنا إلى عدونا نلقهم من وجه واحد. فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوحى، ثم أخذ على النهروانات، ثم لزم شاطئ دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرثد بن نجبة الفزاري، فشنوا الغارة على أهل المدائن، يقتلون الولدان والنساء والرجال، ويقرقون الحبالى، وهرب كردم، فأقبلوا إلى سباط فوضعوا أسيافهم في الناس، فقتلوا أم ولد لربيعة بن ماجد، وقتلوا بئانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي، وكانت قد قرأت القرآن، وكانت من أجل الناس، فلما غشوها بالسيوف قالت: ويحكم! هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء! ويحكم! تقتلون من لا يسطع إليكم يداً، ولا يريد بكم ضراً، ولا يملك لنفسه نفعاً! أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين! فقال بعضهم: اقتلوا، وقال رجل منهم: لو أنكم تركتموها! فقال بعضهم: أعجبك جملها يا عدو الله! قد كفرت وافتننت، فانصرف الآخر عنهم وتركهم، فظننا أنه فارقتهم، وحملوا عليها فقتلوا، فقالت ربيعة بنت يزيد: سبحان الله! أترون الله يرضى بما تصنعون! تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب إليكم ذنباً! ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت إياس بن شريح الهمداني، وهي ابنة أخيها لأمها، فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف، ويصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطنا جميعاً إلى الأرض، وقاتلهم إياس بن شريح ساعة، ثم صرع فوق بين القتلى، فزعر عنه وهم يرون أنهم قد قتلوه، وصرع منهم رجل من بكر بن وائل يقال له: رزين بن المتوكل.

شبت بن ربعي، فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأستر، فارغل ولم يكذب، فلما رأى الناس بطله سيره رجزوا به فقالوا:

سار بنا القباغ سيراً نكراً يسير يوماً ويقيم شهراً  
فأشخصوه من ذلك المكان، فكلما نزل بهم منزلاً أقام بهم  
حتى يضح الناس به من ذلك، ويصيحو به حول فسقاطه، فلم  
يبلغ الصراة إلا في بضعة عشر يوماً، فأتى الصراة وقد انتهى إليها  
طلائع العدو وأوائل الخيول، فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم  
جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس  
يرتحزون:

إن القباغ سار سيراً ملساً بين دبيري ودبأها حساً  
قال أبو مخنف: وحدثني يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه،  
أن رجلاً من السبيح كان به لم، وكان بقرية يقال لها جوبر عند  
الخرارة، وكان يدعى سماك بن يزيد، فأتت الخوارج قريته  
فأخذوه وأخذوا ابنته، فقدموا ابنته فقتلوا، وزعم لي أبو الربيع  
السلولي أن اسم ابنته أم يزيد، وأنها كانت تقول لهم: يا أهل  
الإسلام، إن أبي مصاب فلا تقتلوه، وأما أنا فلأنا جارية، والله  
ما أتيت فاحشة قط، ولا أذيت جارة لي قط، ولا تطلعت ولا  
تشرفت قط. فقدموها ليقتلوا، فأخذت تنادي: ما ذنبي ما ذنبي!  
ثم سقطت مغشياً عليها أو ميتة، ثم قطعوها بأسيا فنههم.

قال أبو الربيع حدثني بهذا الحديث ظئر لها نصرانية من  
أهل الخورنق كانت معها حين قتلت.

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، أن  
الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشفروا على الصراة.  
قال: فاستقبل عسكرنا، فرأى جماعة الناس وكثرتهم، فأخذ يناديها  
ويرفع صوته: اعبروا إليهم فإنهم قل خبيث، فضربوا عند ذلك  
عنقه وصلبوه ونحن ننظر إليه. قال: فلما كان الليل عبرت إليه أنا  
ورجل من الحي. فأنزلناه دفنناه.

قال أبو مخنف: حدثني أبي أن إبراهيم بن الأستر قال  
للحارث بن أبي ربيعة: اندب معي الناس حتى أعبر إلى هؤلاء  
الأكلب، فأجيتك برؤوسهم الساعة، فقال شبت بن ربعي  
وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحارث ومحمد بن الحارث ومحمد  
بن عمير: أصلىح الله الأمير! دعهم فليذهبوا، لا تبدأهم، قال:  
وكانهم حسدوا إبراهيم بن الأستر.

قال أبو مخنف: وحدثني حصيرة بن عبد الله وأبو زهير  
العبيسي أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصراة فرأوا أن جماعة  
أهل المصر قد خرجوا إليهم، قطعوا الجسر، واغتنم ذلك  
الحارث، فتحبس. ثم إنه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم  
قال: أما بعد، فإن أول القتال الرما بالنبل، ثم إشراع الرماح، ثم

فلما انصرفوا عنهم لم يمت غير بنانة بنت أبي يزيد، وأم  
ولد ربيعة بن ناجد، وأفانق سائرهم، فسقى بعضهم بعضاً من  
الماء، وعصبوا جراحاتهم ثم استأجروا دواب، ثم أقبلوا نحو  
الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الرواع ابنة إياس، قالت: ما رأيت  
رجلاً قط كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته، فلما  
غشنا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا رجلاً قط كان أكرم  
من رجل كان معنا، ما نعرفه ولا يعرفنا، لما غشنا قاتل دوننا  
حتى صرع بيننا وهو رزين بن المتوكل البكري. وكان بعد ذلك  
يزورنا ويواصلنا. ثم إنه هلك في إمارة الحجاج، فكانت ورثته  
الأعراب، وكان من العباد الصالحين.

قال هشام بن محمد - وذكره عن أبي مخنف - قال: حدثني  
أبي عن عمه أن مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف  
على إستان العال، فلما قدم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه، ثم أقره  
بعد ذلك على عمله السنة الثانية، فلما قدمت الخوارج المدائن  
سرحوا إليه عصابة منهم، عليها صالح بن غرق، فلقبه بالكركخ  
فقاتله ساعة، ثم تنازلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج، فقتل أبو  
بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بن أبي جعال، ورجل من قومه،  
وانهزم سائر أصحابه، فقال سراقه بن مرداس البارق في بطن من  
الأزد:

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وللحدث الجاني بإحدى الصفائق  
ومقتل غطريف كريم نجاره من المقدمين النائدين الأصايق  
أناني دوين الخيف قتل ابن مخنف وقد غورت أولى النجوم الخوافيق  
فقلت: تلقاك الإله برحمة وصلى عليك الله رب المشارق  
لما الله قوماً عردوا عنك بكرة ولم يصيروا للأصمات البوارق  
تولوا فأجلوا بالضحي عن زعيمنا وسيدنا في المازق المضائق  
فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا سمعت عويلاً من عوان وعاتق  
يكيين محمود الضريبة ماجداً صبوراً لدى الهيجاء عند الحقائق  
لقد أصبحت نفسي لذلك حزينة وشابت لما حملت منه مفارق

قال أبو مخنف: فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي،  
والنضر بن صالح العبيسي، وفضيل بن خديج، كلهم أخبرني أن  
الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباغ أتاه أهل الكوفة، فصاحوا  
إليه وقالوا له: أخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا ليست له  
تقية، فخرج وهو يكذب كذا حتى نزل النخيلة، فأقام بها أياماً،  
فوثب إليه إبراهيم بن الأستر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما  
بعد، فإنه سار إلينا عدو ليست له تقية، يقتل الرجل والمرأة  
والمولود، ويخيف السبيل، ويخرب البلاد، فانهض بنا إليه، فامر  
بالرحيل. فخرج فنزل دير عبد الرحمن، فأقام فيه حتى دخل إليه

الطعن بها شزراً، ثم السلة آخر ذلك كله. قال: فقام إليه رجل فقال: قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة، ولكن حتام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا! مر بهذا الجسر فليعد كما كان، ثم اعب بنا إليهم، فإن الله سيريك فيهم ما تحبه، فأمر بالجرس فأعيد، ثم عبر الناس إليهم فطاروا حتى انتهوا إلى المدائن، وجاء المسلمون حتى انتهوا إلى المدائن، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طرداً ضعيفاً عند الجسر. ثم إنهم خرجوا منها فاتبعهم الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن خنث في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة، فإذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فاتبعهم حتى إذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم ولم يكن بينه وبينهم قتال، ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء بجي، فأقاموا عليه وحاصروه، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يقطعهم، وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة، وكانت أصبهان يومئذ طعمة لإسماعيل بن طلحة من مصعب بن الزبير، فبعث عليها عتاباً، فصر لهم عتاب، وأخذ يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم على باب المدينة، ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة، وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح، فكان يخرج مع عتاب، وكان شجاعاً، فكان يحمل عليهم ويقول:

كيف ترون يسا كلاب النار شد أبي هريرة الهراس  
يهركم بالليل والنهار يا ابن أبي الماحوز والأشرار  
كيف ترى جي على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبيدة بن هلال، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع، ويقول كما كان يقول، إذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على حبل عاتقه فصرعه، وحمل أصحابه عليه فاحتلموه فادخلوه ودأبوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون: يا أعداء الله، ما فعل أبو هريرة الهراس؟ فينادونهم: يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برىء، ثم خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون: يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك، فقال لهم: يا فساق، ما ذكركم أمي! فأخذوا يقولون: إنه ليغضب لأمه، وهو آتيها عاجلاً. فقال له أصحابه: ويحك! إنما يعنون النار، فقطن فقال: يا أعداء الله، ما أعقكم بأمكم حين تنتفون منها! إنما تلك أمكم، وإليها مصيركم.

قال أبو خنث: قال أبو زهير العبيسي وكان معهم: خرجنا إلى قطري من الغد مشاةً مصلتين بالسيوف، قال: فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم.

قال: ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة، وأكل الأرض واجتبى المال وقوي، ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصبهان. ثم إنه خرج من شعب ناشط إلى أيدج، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المصعب بن الزبير على البصرة، فكتب إلى مصعب يخبره أن الخوارج قد تحدت إلى الأهواز، وأنه ليس لهم إلا المهلب، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة. فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم، وبعث إلى عمله إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلب حتى قدم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحب، ثم توجه نحو الخوارج، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف، فاقتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس، لا يتقنع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصد بعضهم عن بعض.

ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى هلك كراهم، ونفذت أطعمتهم، واشتد عليهم الحصار، وأصابهم الجهد الشديد، فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:



قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الغزو.

وفيهما عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين، فمطروا بها، فكثر الوحل فسموها بطنان الطين، وشتا بها عبد الملك، ثم انصرف منها إلى دمشق.

وفيهما قتل عبيد الله بن الحر.

### ذكر الخبر عن مقتل عبيد الله بن الحر

ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جر ذلك عليه:

روى أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، أن عبيد الله بن الحر كان رجلاً من خيار قومه صلاحاً وفضلاً، وصلاً واجتهاداً، فلما قتل عثمان وهاج ذلك الهيج بين علي ومعاوية، قال: أما إن الله ليعلم أنني أحب عثمان، ولأنصره ميتاً. فخرج إلى الشام، فكان مع معاوية وخرج مالك بن مسيع إلى معاوية على مثل ذلك الرأي في العثمانية، فأقام عبيد الله عند معاوية، وشهد معه صفين، ولم يزل معه حتى قتل علي عليه السلام، فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى إخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم: يا هؤلاء، ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله، كنا بالشام، فكان من أمر معاوية كيت وكيت. فقال له القوم: وكان من أمر علي كيت وكيت، فقال: يا هؤلاء، إن تمكنتنا الأشياء فاخلعوا عذرکم، واملکوا أمرکم، قالوا: سنلتقي، فكانوا يلتقون على ذلك.

فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير، قال: ما أرى قريشاً تصف، أين أبناء الحارثاء فأتاه خلیع کل قبيلة، فكان معه سبعمائة فارس، فقالوا: مرنا بأمرک، فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية، قال عبيد الله بن الحر لفتيانہ: قد بین الصبح لذي عینین، فإذا شتم! فخرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان إلا أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه، ثم قال: إن لکم شرکاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبه، ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفاً، ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك. قال: قلت: فهل كان يتناول أموال الناس والتجار؟ قال لي: إنك لغير عالم بأبي الأشرس، والله ما كان في الأرض عربي أغیر عن حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه، ولكن إنما وضعه عند الناس شعره، وهو من أشعر الفتيان. فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار، وبلغه ما يصنع بالسواد، فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست، وقال: والله لأقتله أو لأقتلن أصحابه،

فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل في فتياه حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسر باب السجن، وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه، فبعث إليه المختار من يقائله، فقاتلهم حتى خرج من المصر، فقال حين أخرج امرأته من السجن:

ألم تعلمي يا أم توبة أنني أنا الفارس الحامي حقائق مذبح وأني صبحت السجن في سورة الضحى بكل فتى حامي النمار مدجج فما إن برحنا السجن حتى بدا لنا جبين كقرن الشمس غير مشنج وخد أسيل عن فتاة حية إلينا سقاها كل دان مئجج فما العيش إلا أن أزورك آمنأ كعادتنا من قبل حربي ومخرجي وما أنت إلا همة النفس والمهوى عليك السلام من خليط مسجج وما زلت محبوساً لحبسك واجباً وإني بما تلقين من بعده شج فبالله هل أبصرت مثلي فارساً وقد وجوا في السجن من كل مولج ومثلي يحامي دون مثلك إنني أشد إذا ما غمرة لم تفرج أضرهم بالسيف عنك لسترجعي إلى الأمن والعيش الرفيع المخرفج إذا ما أحاطوا بي كررت عليهم ككر أبي شبلين في الخيس محرج دعوت لي الشاكري ابن كامل فلولي خيشاً ركضه لم يعسرج وإن هتفوا باسمي عطف عليهم خيول كرام الضرب أكثرها الوجي فلا غرو إلا قول سلمى طعيني أما أنت يا ابن الحر بالمتخرج دع القوم لا تقتلهم وإنج سالماً وشمر هداك الله بالخيل فاخرج وإني لأرجو بإبنة الخير أن أرى على خير أحوال المؤمنل فارغجي ألا حبسنا قولي لأمر طييء ولابن خبيب قد دنا الصبح فادلج وقولي لهذا سر وقولي لهذا الرحمل وقولي لهذا من بعد ذلك أسرج وجعل يعبت بعمال المختار وأصحابه. ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره، وانتهبوا ضيعته بالجنة والبدة، فلما بلغه ذلك سار إلى ماه إلى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، فأنهبها وأنهب ما كان لهما من بها، ثم أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهما مني إلا أخذه. ففي ذلك يقول:

وما ترك الكذاب من جل مالنا ولا الزرق من همدان غير شريد  
أفي الحق أن تهب ضياعي شاكر وتأمين عندي ضيعة ابن سعيد!  
ألم تعلمي يا أم توبة أنني على حدثان الدهر غير بليد  
أشد حيازمي لكل كربة وإني على ما ناب جد جليد  
فلن لم أصبح شاكرأ بكئية فعالجت بالكفن غل حديد  
هم همدوا داري وقادوا حليلي إلى سجنهم والمسلمون شهودي  
وهم أعجلوها أن تشد خاها فيا عجباً هل الزمان مقيدي!  
فما أنا بباين الحر إن لم أرهم يحبل تعادي بالكلمة أسود  
وما جنت خيلتي ولكن حملتها على جحفل ذي عدة وعديد  
وهي طويلة.

قال: وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخي فيأخذ ما

يومئذ حدث - حدثاً، فهل لك أن تتبني وأموك! فأبى عليه، فقال ابن الحر حين خرج من الحبس:

لا كوفة أسي ولا بصرة أبي ولا أنا يثني عن الرحلة الكسل  
قال أبو الحسن: يروى هذا البيت لسحيم بن وثيل  
الرياحي -

فلا تحسبي ابن الزبير كناعس إذا حل أغفى أو يقال له ارغسل  
فإن لم أترك الخيل تردى عوايساً بفرساتها لا أنزع بالحازم البطل  
وإن لم تر الغارات من كل جانب عليك فتندم عاجلاً أيها الرجل  
فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا عشت إلا بالأمان والعلل  
وهي طويلة.

فبعث مصعب الأبرد بن قرة الرياحي في نفر، فقاتله فهزمه ابن الحر، وضربه ضربة على وجهه، فبعث إليه مصعب حريث بن زيد - أو يزيد - فبارزه فقتله عبيد الله بن الحر، فبعث إليه مصعب الحجاج بن جارية الخثعمي ومسلم بن عمرو، فلقياه بنهر صرصر، فقاتلهم فهزمهم، فأرسل إليه مصعب قوماً يدعونه إلى أن يؤمنه ويصله، ويؤليه أي بلد شاء، فلم يقبل، وأتى نرسي ففر دهقاناً طيزجنس بمال الفلوجة، فتبعه ابن الحر حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هيرة الشيباني، فتعود بهم الدهقان، فخرجوا إليه فقاتلوه - وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس - فقال يونس بن هاعان الهمداني من خيوان، ودعاه ابن الحر إلى المبارزة: شر دهر آخره، ما كنت أحسني أعيش حتى يدعوني إنسان إلى المبارزة! فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثختته، ثم اعتنقا فخرا جميعاً عن فرسيهما، وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب، ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمي، فحمل عليه الحجاج فأسره أيضاً عبيد الله وبارز بسطام بن مصقلة الجشتر، فاضطربا حتى كره كل واحد منهما صاحبه وعلاه بسطام، فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام، فسقطا إلى الأرض، وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره، وأمر يومئذ ناساً كثيراً، فكان الرجل يقول: أنا صاحبك يوم كذا، ويقول الآخر: أنا نازل فيكم، ويمت كل واحد منهم بما يرى أنه ينفعه، فيخلي سبيله، وبعث فوارس من أصحابه عليهم دهن المرادي يطلبون الدهقان، فأصابوه، فأخذوا المال قبل القتال، فقال ابن الحر:

لو أن لي مثل جرير أربعه صبحت بيت المال حتى أجمعه  
ولم يهني مصعب ومن معه نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه  
ثم إن عبيد الله أتى تكريت، فهرب عامل المهلب عن تكريت، فأقام عبيد الله يجبي الخراج، فوجه إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي والجون بن كعب الهمداني في ألف، وأمدهما

معهم من الأموال، ثم عيّل إلى الجبل، فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار، فلما قتل المختار، قال الناس لمصعب في ولايته الثانية: إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار، ولا نأمنه أن يُثب السواد كما كان يفعل، فحبسه مصعب فقال ابن الحر:

من مبلغ الفتيان أن أخاهم أتى دونه باب شديد وحاجبه بمنزلة ما كان يرضى بمثلها إذا قام عتته كبرول تحاويه على الساق فوق الكعب أسود صامت شديد يلدني خطوه ويقاربه وما كان ذا من عظم جرم جنبته ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه وقد كان في الأرض العريضة مسلك وأي امرئ ضاقت عليه مذاهبه! وفي الدهر والأيام للمرء عبرة وفيما مضى إن ناب يوماً نوابه فكلم عبيد الله قوماً من مذحج أن يأتوا مصعباً في أمره، وأرسل إلى وجوههم، فقال: اتوا مصعباً فكلموه في أمري ذاته، فإنه حبسني على غير جرم، سعى بي قوم كذبة وخوفوه ما لم أكن لأفعله، وما لم يكن من شائي. وأرسل إلى فتيان من مذحج وقال: البسوا السلاح، وخذوا عدة القتال، فقد أرسلت قوماً إلى مصعب يكلمونه في أمري، فأقيموا بالباب، فإن خرج القوم وقد شفّعهم فلا تعرضوا لأحد، وليكن سلاحكم مكفراً بالثياب.

فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلموه فشفعهم فأطلقه وكان ابن الحر قال لأصحابه: إن خرجوا ولم يشفعهم فكابروا السجن فإني أعينكم من داخل، فلما خرج ابن الحر قال لهم: أظهروا السلاح، فأظهروه، ومضى لم يعرض له أحد، فأتى منزله، وندم مصعب على إخراجه، فأظهر ابن الحر الخلاف، وأتاه الناس يهتونه، فقال: هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين، وما نرى لهم فينا ندأ ولا شبيهاً فلنلقي إليه أزمنا، ونمحصه نصيحته، فإن كان إنما هو من عزب، فعلام نعتقد لهم في أعناقنا بيعه، وليسوا بأشجع منا لقاء، ولا أعظم منا غناء! وقد عهد إلينا رسول الله ﷺ: «ألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وما رأينا بعد الأربعة الماضين إماماً صالحاً، ولا وزيراً تقياً. كلهم عاص مخالف، قوي الدنيا، ضعيف الآخرة، فعلام تستحل حرمتنا، ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند! نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا، ثم لا يعرف لنا حقنا وفضلنا، فقاتلوا عن حريمكم، فأي الأمر ما كان فلکم فيه الفضل، وإني قد قلبت ظهر المجن، وأظهرت لهم العداوة، ولا قوة إلا بالله.

وحاربهم فأغار فأرسل إليه مصعب سيف بن هاني المرادي، فقال له: إن مصعباً يعطيك خراج بادوريا على أن تباع وتدخل في طاعته، قال: أوليس لي خراج بادوريا وغيرها! لست قابلاً شيئاً، ولا أؤمنهم على شيء، ولكني أراك يا فتى - وسيف

المهلب يزيد بن المغفل في خمسمائة، فقال رجل من جعفي لعبيد الله: قد أتاك عدد كثير فلا تقاتلهم، فقال:

يخوفني بالقتل قومي وإنما أموت إذا جاء الكتاب المؤجل لعل القنا تدني بأطرافها الغنى فنجيا كراماً أو نكر فقتل فقال للمجشر ودفع إليه رايته، وقدم معه دلهماً المرادي، فقاتلهم يومين وهو في ثلاثمائة، فخرج جرير بن كريب، وقتل عمرو بن جندب الأزدي وفرسان كثير من فرسانه، وتحاجزوا عند المساء، وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه: إني سائر بكم إلى عبد الملك بن مروان، فتهبوا، وقال: إني أخاف أن أفارق الحياة ولم أذعر مصعباً وأصحابه، فارجعوا بنا إلى الكوفة. قال: فسار إلى كسكر فنفي عاملها، وأخذ بيت مالها، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير، فبعث إليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتله، فخرج إلى دير الأعور، فبعث إليه مصعب حجار بن أبحر، فانهزم حجار، فشتمه مصعب وردّه، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتلوه بأجمعهم، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحر وعقرت خيولهم، وجرح المجشر، وكان معه لواء ابن الحر، فدفعه إلى أحر طيء، فانهزم حجار بن أبحر ثم كر، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أسوا، فقال ابن الحر:

لو أن لي مثل الفتى المجشر ثلاثة يبيّهم لا أمسري ساعدني ليلة دير الأعور بالظعن والضرب وعند المعبر لطاح فيها عمر بن معمر

وخرج ابن الحر من الكوفة، فكتب مصعب إلى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيباني - وهو بالمدائن - يأمره بقتال ابن الحر، فقدم ابنه حوشباً فلقبه بباجسري، فهزمه عبيد الله وقتل فيهم، وأقبل ابن الحر فدخل المدائن، فتحصنوا، فخرج عبيد الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأسدي، فنزل الجون حولاً، وقدم بشر إلى تامرأ فلقى ابن الحر، فقتله ابن الحر، وهزم أصحابه، ثم لقي الجون بن كعب بجولاً، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله، فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه، وتبعهم، فخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي، فالتقوا بسوراً فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانحاز بشير عنه، فرجع إلى عمله، وقال: قد هزمت ابن الحر، فبلغ قوله مصعباً فقال: هذا من الذين يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا. وأقام عبيد الله في السواد يغير ويبيح الخراج فقال ابن الحر في ذلك:

سلو ابن رؤيم عن جلادي وموقني بليوان كسرى لا أوليهم ظهري أكر عليهم معلماً وتراهم كعزى تحى خشية الذنب بالصخر ويبيهم في حصن كسرى بن هرمز بمشحوذة بيض وخطبة سمر

فأجزتهم طعنأ وضربأ تراهم يلوذون منا موهنأ بسنرا القصر يلوذون مني رهبة وخفاسة لواءأ كما لا ذ الحماثم من صقر ثم إن عبيد الله بن الحر - فيما ذكر - لحق بعبد الملك بن مروان، فلما صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة، وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود، فسار بهم، فلما بلغ الأنبار وجه إلى الكوفة من بجر أصحابه بقدمه، ويسألهم أن يخرجوا إليه، فبلغ ذلك القيسية، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة، فسألوه أن يبعث معهم جيشاً، فوجه معهم، فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة، ثم غرقت فرسه، وركب معبراً فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادي، وصاحوا: إن هذا طلبة أمير المؤمنين، فاعتنقا فغرقا، ثم استخرجوه فجزوا رأسه، فبعثوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة.

قال أبو جعفر: وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول، قيل: كان سبب مقتل عبيد الله بن الحر أنه كان يغشى بالكوفة مصعباً، فرأه يقدم عليه أهل البصرة، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة يعاتب بها مصعباً ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان، يقول فيها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فلست على رأي قبيح أواريه  
أني الحق أن أجني ويجعل مصعب وزيره من قد كنت فيه أحاربه  
فكيف وقد أبلتكم حق يبعثي وحقي يلوى عندكم وأطالبه  
وأبليتكم مالا يضيغ مثله وأسيتكم والأمصر صعب مراتبه  
فلما استنار وانتصادت العدا وأدرك من مال العسراق رغبته  
جفا مصعب عني ولو كان غيره لأصبح فيما بيننا لا أعاتبه  
لقد راني من مصعب أن مصعباً أري كل ذي غش لنا هو صاحبه  
وما أنا إن حلا تمني بسوارد على كدر قد غص بالصفو شاربه  
وما لأمرى إلا الذي الله سائق إليه وما قد خط في الزبر كاتبه  
إذا قمت عند الباب أدخل مسلم ويمعني أن أدخل الباب حاجبه  
وهي طويلة.

وقال لمصعب وهو في حبسه، وكان قد حبس معه عطية بن عمرو البكري، فخرج عطية، فقال عبيد الله:

أقول له صبراً عطى فأتا هو السجن حتى يجعل الله خرجا  
أرى الدهر لي يومين يوماً مطرداً شريداً ويوماً في الملوك متوجاً  
أنظعن في ديني غداة أتيتكم وللدن تدني الباهلي وحشرجا!  
ألم تر أن الملك قد شين وجهه ونبع بلاد الله قد صار عوسجا!  
وهي طويلة.

وقال أيضاً يعاتب مصعباً في ذلك، ويذكر له تقريره سويد بن منجوف، وكان سويد خفيف اللحية:

قال محمد: حدثني ابن نافع، عن أبيه، قال: كان ابن عمر لم يدفع تلك العشيّة إلا بدفعه ابن الزبير، فلما أبطا ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية - قال ابن عمر: يتظر ابن الزبير أمر الجاهلية - ثم دفع، فدفع ابن الزبير على أثره.

قال محمد: حدثني هشام بن عمار، عن سعيد بن محمد بن جبير، عن أبيه، قال: خفت الفتنة، فمشت إليهم جميعاً، فجئت محمد بن علي في الشعب، فقلت: يا أبا القاسم، اتق الله فإننا في مشعر حرام، وبلد حرام، والناس وفد الله إلى هذا البيت، فلا تفسد عليهم حجهم، فقال: والله ما أريد ذلك، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير، وما يروم مني، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف علي فيه اثنان! ولكن انت ابن الزبير فكلمه، وعليك بنجدة، قال محمد: فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية، فقال: أنا رجل قد اجتمع علي الناس ويايعوني، وهؤلاء أهل خلاف، فقلت: أرى خيراً لك الكف، قال: أفعل، ثم جئت نجدة الحروري فأجده في أصحابه، وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده، فقلت له: استأذن لي على صاحبك، قال: فدخل، فلم ينشب أن أذن لي، فدخلت فعظمت عليه، وكلمته كما كلمت الرجلين، فقال: أما إن ابتدىء أحداً بقتل فلا، ولكن من بدأ بقتل قاتلته، قلت: فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك، ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم، فقالوا: نحن على ألا نقاتل أحداً إلا أن يقاتلنا، فلم أر في تلك الألوية قوماً أسكن ولا أسلم دفعة من ابن الحنفية.

قال أبو جعفر: وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري، وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلمي، وبالشام عبد الملك بن مروان.

بأي بلاء أم بأية نعمة  
ويدعى ابن منجوف إمامي كأنه  
وشيوخ تميم كالغمامة رأسه  
وجعلت قصور الأزد ما بين منبج  
بلاد نقى عنها العدو سيوفنا  
وصفرة عنها نازح الدار أجنب

وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان، يقول فيها:

أنا ابن بني قيس فإن كنت سائلاً  
بقيس تجدهم ذروة في القبائل  
ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت  
لحاهم وباعت نبلها بالمغازل  
وما زلت أرجو الأزد حتى رأيتها  
تقصر عن بنيانها المتطاوّل

فكتب زفر بن الحارث إلى مصعب: قد كفيتك قتال ابن الزرقاء وابن الحر يهجو قيساً. ثم إن نفرأ من بني سليم أخذوا ابن الحر فأسروه، فقال: إني إنما قلت:

ألم تر قيساً قيس عيلان أقبلت  
إلينا وسارت بالقنا والقنابل  
فقتله رجل منهم يقال له عياش  
فقال زفر بن الحارث:

لما رأيت الناس أولاد علة  
وأغرق فينا نزعاً كل قائل  
تكلم عنا مشيناً بسيوفنا  
إلى الموت واستشاط جبل المراكل  
فلو يسأل ابن الحر أخبر أنها  
يمانبة لا تشتري بالمغازل  
وأخبر أنا ذات علم سيوفنا  
باعتاق ما بين الطلى والكواهل  
وقال عبد الله بن همام:

ترغمت يا ابن الحر وحدك خالياً  
بقول امرئ نثوان أو قول ساقط  
أذكرك قوماً أوجعتك رماحهم  
وذبوا عن الأحساب عند المآط  
وتبكي لما لاقت ربيعة منهم  
وما أنت في أحساب بكر بواسط  
فهلا يجعفي طلبت ذحولها  
ورهمك دنيا في السنين الفوارط  
تركتناهم يوم الشرى أدلّة  
يلوذون من أسيافتنا بالعراطف  
وخالطكم يوم النخيل يجمعه  
عمير فما استبشرتم بالمخالط  
ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم  
وليس علينا يوم ذاك بقاسط  
ضربنا بحد السيف مفروق رأسه  
وكان حديثاً عهده بالمواشط  
فإن رغمت من ذلك آنف مذحج  
فرغماً وسخطاً للأنوف السواشط

### أخبار متفرقة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية، قال محمد بن عمر: حدثني شرحبيل ابن أبي عون، عن أبيه، قال: وقفت في سنة ثمان وستين بعرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة، وابن الزبير في لواء، فقام مقام الإمام اليوم ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير، ونجدة الحروري خلفهما، ولواء بني أمية عن يسارهما، فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية، ثم تبعه نجدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير، واتبه الناس.

## السنة التاسعة والمستون

## ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبد الملك، فرجع إلى دمشق، فحاصره - قال: ويقال: خرج معه - فلما كان ببطان حبيب، رجع إلى دمشق فتحصن فيها، ورجع عبد الملك إلى دمشق.

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه: - إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله، ثم سار يريد قرقيساء، وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد، حتى إذا كان ببطان حبيب فتك عمرو بن سعيد، فرجع ليلاً ومعه حميد بن حريث بن مجدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك، فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها.

وقال غيرهما: كانت هذه القصة في سنة سبعين. وقال: كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص: إنك تخرج إلى العراق، وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلاني معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق.

رجع الحديث إلى حديث هشام، عن عوانة، قال: ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه، فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال.

أيها الناس، إنه لم يقم أحد من قریش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً، يدخل الجنة من أطاعه، والنار من عصاه، وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله، وأنه ليس إلي من ذلك شيء، غير أن لكم عليّ حسن المؤاساة والعطية. ونزل.

وأصبح عبد الملك، ففقد عمرو بن سعيد، فسأل عنه، فأخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق، فلذا عمرو قد جليل دمشق المسوح فقاتله بها أياماً، وكان عمرو بن سعيد إذا أخرج

حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن مجدل الكلبي.

قال هشام: حدثني عوانة، أن الخيلين تواقفتا ذات يوم، وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج، فقال رجاء: يا عبد الرحمن بن سليم، إبرز - وكان عبد الرحمن مع عبد الملك - فقال عبد الرحمن: قد أنصف القارة من راماهما، وبرز له، فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن، فنجأ منه ابن سراج، فقال عبد الرحمن: والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تبن، وما اصططح عمرو وعبد الملك أبداً، فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن مجدل الكلبي: علام تقتلون أنفسكم لسلطان قریش! فحلف كل واحد منهما ألا يرجع حتى يرجع صاحبه، فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث، فطلبوا إلى حريث، فرجع. ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا، وكتبا بينهما كتاباً، وأمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس.

قال هشام: فحدثني عوانة أن عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلداً قوساً سوداء، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك فانقطعت الأطناب وسقط السرادق، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب، فقال لعمرو: يا أبا أمية، كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس! قال: لا، ولكني أشبه بمن هو خير منهم، العاص بن أمية. ثم قام مغضباً والخيل معه حتى دخل دمشق، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم، فأرسل إليه عمرو: إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه. فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اتيتي - وهو عند امرأته الكلبية، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد، فقال له: في هذا هلكت خير، لا أرى لك ذلك، لا ناقتي في ذا ولا جلبي - فلما أتى رسول عبد الملك عمرأ يدعو صادم الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد: يا أبا أمية، والله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه، وأنا أرى لك ألا تفعل، فقال له عمرو: ولم؟ قال: لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال: إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق، ثم يخرج منها، فلا يلبث أن يقتل، فقال له عمرو: والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينهني ابن الزرقاء، ولا كان ليجترى على ذلك مني، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فالبسني

يدعوك إلى كسر عظم مني أن تركب ما هو أعظم من ذلك. فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنك تبقي عليّ إن أبقي عليك وتصلح قریش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه. فلما رأى عمرو أن ثيئه قد اندقت وعرف الذي يريد عبد الملك، قال: أغدراً يا ابن الزرقاء!

**وقيل:** إن عبد الملك لما جذب عمراً فسقطت ثيئه جعل عمرو يمسه، فقال عبد الملك له: أرى ثيئك قد وقعت منك موقعاً لا تطيب نفسك بعدها. فأمر به فضرب عنقه.

رجع الحديث إلى حديث عوانة. وأذن المؤذن العصر، فخرج عبد الملك يصلي بالناس، وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله، فقام إليه عبد العزيز بالسيف، فقال له عمرو: أذكرك الله والرحم أن تلي أنت قتلي، وليتول ذلك من هو أبعد رحماً منك! فالتقى عبد العزيز السيف وجلس، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل، وغلقت الأبواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل في الناس حتى حل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو، وأناس بعد من أصحابه كثير، فجعل من كان معه يصيحون: أسمعننا صوتك يا أبا أمية! وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الأبرد فكسروا باب المقصورة، وضربوا الناس بالسيف، وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس، ودخل عبد الملك حين صلى فوجد عمراً حياً، فقال لعبد العزيز: ما منعك من أن تقتله! قال: منعي أنه ناشدني الله والرحم فرفقت له. فقال له عبد الملك: أخزى الله أمك البوالة على عقيها. فإنك لم تشبه غيرها - وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وكانت أم عبد العزيز ليلي، وذلك قول ابن الرقيات:

ذاك ابن ليلي عبد العزيز يسا بليون تغدو جفانه رذما  
ثم إن عبد الملك قال: يا غلام، اتني بالحربة. فأتاه بالحربة فهزها، ثم طعنه بها فلم تجز، ثم ثنى فلم تجز، فضرب بيده إلى عضد عمرو، فوجد مس الدرع، فضحك، ثم قال: ودارع أيضاً يا أبا أمية! إن كنت لمعداً يا غلام، اتني بالصمصامة، فأتاه بسيفه، ثم أمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومتقصي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني  
وانقض عبد الملك رعدة - وكذلك الرجل زعموا يصييه إذا قتل ذا قرابة له - فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على

قميصه - وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول: أبلغه السلام، وقل له: أنا راتح إليك العشي إن شاء الله.

فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي وقميص قوهي، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة، وحميد بن حريث بن مجدل الكلبي، فلما نهض متوجهاً، عثر بالبساط، فقال له حميد: أما والله لئن أطعني لم تأته، وقالت له امرأته تلك المقالة، فلم يلتفت إلى قولهم، ومضى في مائة رجل من مواليه، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده، فلما بلغ عبد الملك أنه بالباب أمر أن يحبس من كان معه، وأذن له فدخل، ولم تزل أصحابه يحبسونه عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار، وما معه إلا وصيف له، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك، فإذا حوله بنو مروان، وفيهم حسان بن مالك بن مجدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي. فلما رأى جماعتهم أحس بالشر، فالتفت إلى وصيفه فقال: انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد، فقل له يأتيني. فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له: لبيك! فقال له: أغرب عني في حرق الله وناره. وقال عبد الملك لحسان وقبيصة: إذا شئتما فقوموا فالتقيا وعمراً في الدار، فقال عبد الملك لهما كالمأزح ليطمئن عمرو بن سعيد: أيكما أطول؟ فقال حسان: قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة، وكان قبيصة على الخاتم. ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال: انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني، فقال له: لبيك ولم يفهم عنه، فقال له عمرو: أغرب عني، فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك، وقال: هاهنا يا أبا أمية، يرحمك الله! فاجلسه معه على السرير، وجعل يحدثه طويلاً، ثم قال: يا غلام، خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين! فقال عبد الملك: أو تطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك! فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إنك حيث خلعتني أليت يمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقال له بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم أطلقه، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية! فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال: يا غلام، قم فاجمع فيها، فقام الغلام فجعله فيها، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس! فقال عبد الملك: أمكراً أبا أمية عند الموت! لا والله إذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس، ولما نخرجها منك إلا صعداً ثم اجتذبه اجتباذة أصاب فمه السرير فكسر ثيئه، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن

فأخذ برأيه، وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير، فلما قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد، فقال له ابن الزبير: انفلت وانخص الذنب، فقال: والله إن الذنب ليهلبه. ثم إن عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيّة: ابعثي إلي بالصلح الذي كنت كتبت له عمرو، فقالت لرسوله: ارجع إليه فأعلمه أنني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربه، وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان في النسب إلى أمية، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم ابن أبي العاص عمة عبد الملك.

قال هشام: فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً، وكان ابنا سعيد أهمها أم البنين، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود، وكانت أم مروان إذا أتوها هيات لهم طعاماً، ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة، وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد، فيقتلون ويتصارمون الحين، لا يكلم بعضهم بعضاً، وكانت تقول: إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين، فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحنة في صدورهم.

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسري أبا خالد كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة، فقاتل بني مروان، فلما قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق، فقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك، وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقتت يوم المرج، وكان مع ابن الزبير يقاتل بني أمية، وإنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة، فقال: كيف أنتم آل يزيد؟ فقال عبد الله: حرباء حرباء، فقال عبد الملك: ذلك بما قدمت أيديكم، وما الله بظلام للعبيد.

قال هشام عن عوانة: إن ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة: أمية، وسعيد، وإسماعيل، ومحمد، فلما نظر إليهم عبد الملك قال لهم: إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قديماً في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية. فأقطع بأمية بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلم، وكان أنبلهم وأعقلهم، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال: يا أمير المؤمنين، ما تنعى علينا أمراً كان في الجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك، فوجدنا جنة، وحذرنا ناراً! وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإن عمراً ابن

سريره، فقال: ما رأيت مثل هذا قط، قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة. ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بني مروان الدار فجرحوهم ومن كان معهم من مواليتهم، فقاتلوا يحيى وأصحابه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع إليه الرأس، فآلقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال في البدور، فجعل يلقيها إلى الناس، فلما نظر الناس إلى الأموال ورأوا الرأس انتهبوا الأموال وتفرقوا. وقد قيل: إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعزعة بقتل عمرو، فقتله وألقى رأسه إلى الناس وإلى أصحابه.

قال هشام: قال عوانة: فحدثت أن عبد الملك أمر بتلك الأموال التي طرحت إلى الناس فجبيت حتى عادت كلها إلى بيت المال، ورمي يحيى بن سعيد يومئذ في رأسه بصخرة، وأمر عبد الملك بسريره فأبرز إلى المسجد، وخرج فجلس عليه، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول: ويحكم! أين الوليد؟ وأيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه إبراهيم بن عربي الكناني فقال: هذا الوليد عندي، قد أصابته جراحة، وليس عليه بأس، فأثني عبد الملك بيحيى بن سعيد، فأمر به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز، فقال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين! أترك قاتلاً بني أمية في يوم واحد! فأمر بيحيى فحبس، ثم أتى بعنيسة بن سعيد، فأمر به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وهلاكها! فأمر بعنيسة فحبس، ثم أتى سعيد فأمروا به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز بن مروان، فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وهلاكها! فأمر بعنيسة فحبس، ثم أتى بعامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه، ثم قال: أنقائني مع عمرو وتكون معه علي! قال: نعم، لأن عمراً أكرمني وأهنتني، وأدناسني وأقصيتني، وقربني وأبعدتني، وأحسن إلي وأساء إلي، فكنت معه عليك. فأمر به عبد الملك أن يقتل، فقام عبد العزيز فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي! فوهبه له. وأمر ببني سعيد فحبسوا، ومكث يحيى في الحبس شهراً أو أكثر.

ثم إن عبد الملك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم استشار الناس في قتله، فقام بعض خطباء الناس فقال: يا أمير المؤمنين، هل تلد الحية إلا حية! نرى والله أن تقتله فإنه منافق عدو. ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري، فقال: يا أمير المؤمنين، إن يحيى ابن عمك، وقربته ما قد علمت، وقد صنعوا ما صنعوا، وصنعت بهم ما قد صنعت، ولست لهم بآمن، ولا أرى لك قتلهم، ولكن سيرهم إلى عدوك، فإن هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك، وإن هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك.

عمك، وأنت أعلم وما صنعت، وقد وصل عمرو إلى الله، وكفى بالله حسيباً، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها. فرق لهم عبد الملك رقة شديدة، وقال: إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله، فاخترت قتله على قتلي، وأما أنتم فما أرغبني فيكم، وأوصلني لقرابتكم، وأرعاني لحقكم! فأحسن جائزتهم، ووصلهم وقربهم.

وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم: عجب منك ومن عمرو بن سعيد، كيف أصبت غرته فقتلته! فقال عبد الملك:

دائيتي مني ليسكن روعه فأصول صولة حازم مستمكن غضباً ومحمية لديني إنه ليس المسيء سبيله كالحسن قال عوانة: لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة، فقال له: ورب هذه البنية، ما كان في القوم مثل أبيك، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعطب.

وكان الواقدي يقول: إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الحصار، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب، فحاصره فيها، وأما قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة حكم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة، ذكر محمد بن عمر أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه، قال: رأيته عند الجمرة سل سيفه، وكانوا جماعة فأمسك الله بأيديهم، وبدر هو من بينهم، فحكم، فمال الناس عليه فقتلوه.

وأقام الحج للناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

وكان عامله فيها على المصريين: الكوفة والبصرة أخوه مصعب بن الزبير. وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.



## السنة السبعون

## ذكر ما كان فيها من أحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين، فصالح عبد الملك ملك الروم، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين.

وفيها شخص - فيما ذكر محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة، فقسمها في قومه وغيرهم، وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبه، وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً، ونحر بدنأ كثيرة.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء.

## السنة الحادية والسبعون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

## خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مصعب، حتى يبلغ بطنان حبيب، ويخرج مصعب إلى باجميرا، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه، ثم يعودان، فقال عدي بن زيد بن عدي بن الرقاع العاملي:

لعمري لقد أصحرت خيلنا      بأكناف دجلة للمصعب  
إذا ما منافق أهل العرا      ق عوتب ثمت لم يعتب  
دلفنا إليه بذئ تدرا      قليل التفقد للغيث  
يهزون كل طويل القنا      ملتئم النصل والثعلب  
كان وعاهم إذا ما غدوا      ضجيج قطا بلد مخصب  
فقدمنا واضح وجهه      كريم الضرائب والمنصب  
أعين بنا ونصرنا به      ومن ينصر الله لم يغلّب

فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: أقبل عبد الملك من الشام يريد مصعباً - وذلك قبل هذه السنة، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال خالد لعبد الملك: إن وجهتي إلى البصرة وأتبعني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها. فوجهه عبد الملك، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصته، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي.

قال عمر: قال أبو الحسن: قال مسلمة بن محارب: أجاز عمرو بن أسمع خالداً، وأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر - وكان مصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عباد بن الحصين - بآني قد أجرت خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهراً. فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه، فقال له عباد: قل له: والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل. فقال عمرو لخالد: إني لا أغرك، هذا عباد يأتيك الساعة. ولا والله ما أقدر على منعك، ولكن عليك بمالك بن مسمع.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: ويقال إنه نزل على علي بن أسمع، فبلغ ذلك عبداً فأرسل إليه عباد: إني سائر إليك.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن مسلمة وعوانة أن خالداً خرج من عند ابن أسمع يركض، عليه قميص قوهي رقيق، قد حصره عن فخذيه، وأخرج رجله من الركابين، حتى أتى مالكا، فقال: إني قد اضطررت إليك، فاجرني، قال: نعم، وخرج هو وابنه، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد، فكانت أول راية أثنه راية بني يشكر. وأقبل عباد في الخيل، فتواقفوا، ولم يكن بينهم، فلما كان من الغد غدوا إلى حفرة نافع بن الحارث التي نسبت بعد إلى خالد، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتره، منهم صعصعة بن معاوية، وعبد العزيز بن بشر، ومرة بن عكان، في عدد منهم، وكان أصحاب خالد جفيرة ينسبون إلى الجفيرة، وأصحاب ابن معمر زبيرة، فكان من الجفيرة عبيد الله بن أبي بكرة وحران والمغيرة بن المهلب، ومن الزبيرية قيس بن الميهم السلمي، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجراً فقال: غداً أعطيكها، فقال غطفان بن أبينف، أحد بني كعب بن عمرو:

لبس ما حكمت يا جلاجل      النقد دين والطعان عاجل  
وأنت بالباب سمير أجل

وكان قيس يعلق في عنق فرسه جلاجل، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحيفي، وكان له عبيد يؤجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم، فيعطيه عشرة عشرة، فليل له:

لبس ما حكمت يا ابن وبرة      تعطي ثلاثين وتعطي عشرة  
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مدداً لابن معمر في ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مدداً لخالد، فكره أن يدخل البصرة، وأرسل مطر بن التوام فرجعه إليه فأخبره بفرق الناس، فلحق بعبد الملك.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: فحدثني شيخ من بني عرين، عن السكن بن قتادة، قال: اقتلوا أربعة وعشرين يوماً، وأصابت عين مالك، فضجر من الحرب، ومشت السفراء، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فصالحه، على أن يخرج خالداً وهو آمن، فأخرج خالداً من البصرة، وخاف ألا يجيز المصعب أمان عبيد الله، فلحق مالك بئاج، فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد:

عجبت لأقوام تميم أبوهم      وهم في بني سعد عظام المبارك  
وكانوا أعز الناس قبل مسيرهم      إلى الأزد مصفراً لحاهم ومالك  
فما ظنكم بابن الحواري مصعب      إذا افتر عن أنيابه غير ضاحك  
ونحن نقينا مالكا عن بلاده      ونحن نقانا عينه بالنيازك

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: حدثني مسلمة أن المصعب لما انصرف عبد الملك إلى دمشق لم يكن له همة إلا البصرة، وطمع

بني أسد إن تقتلونني تحاربوا تيمناً إذا الحرب العوان اشمعلت  
بني أسد هل فيكم من هوادة فتعنون إن كانت بي النعل زلت  
فلا تحب الأعداء إذ غبت عنهم وأوريت معناً أن حربي كلت  
تمشي خدشاً في الأسكة أمناً وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خدشاً فقتله - وكان خدشاً على شرطة مصعب  
يومتد - وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد  
بدار مالك بن مسمع فهدهما، وأخذ مصعب ما كان في دار  
مالك، فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب.

قال: وأقام مصعب بالبصرة حتى شخص إلى الكوفة، ثم  
لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك، ونزل عبد الملك  
مسكن، وكتب عبد الملك إلى مروانة من أهل العراق، فأجابه  
كلهم وشرطوا عليه ولاية أصبهان، فأنعم بها لهم كلهم، منهم  
حجار بن الجحر، والغضبان بن القبيصري، وعتاب بن ورقاء، وقطن  
بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس،  
وزحر بن قيس، ومحمد بن عمير، وعلى مقدمته محمد بن مروان،  
وعلى ميمته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد  
بن يزيد، وسار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة.

قال عروة بن المغيرة بن شعبة: فخرج يسير متكئاً على  
معرفة دابته، ثم تصفح الناس يمناً وشمالاً فوقعته عينه علي،  
فقال: يا عروة، إلى فدنوت منه، فقال: أخبرني عن الحسين بن  
علي، كيف صنع ببيانه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على  
الحرب؟ فقال:

إن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا  
قل: فعلمت أنه لا يريم حتى يقتل، وكان عبد الملك -  
فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي  
قرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن رجاء بن حيوة -  
قال: لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه، فلما  
أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب  
الناس وأمرهم بالهتف إلى مصعب، فاختلف عليه رؤساء أهل  
الشام من غير خلاف لما يريد، ولكنهم أحبوا أن يقيم ويقدم  
الجيش، فإن ظفروا فذاك، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيش خشية  
على الناس إن أصيب في لقائه مصعباً لم يكن وراءه ملك، فقالوا:  
يا أمير المؤمنين، لو أقمنا مكانك وبعثت على هؤلاء الجيش  
رجلاً من أهل بيتك، ثم سرحته إلى مصعب! فقال عبد الملك: إنه  
لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأي، ولعلي أبعث من له  
شجاعة ولا أري له، وإني أجد في نفسي أنني بصير بالحرب،  
شجاع بالسيف إن أجتت إلى ذلك، ومصعب في بيت شجاعة،  
أبوه أشجع قريش، وهو شجاع ولا علم له بالحرب، يجب

أن يدرك بها خالداً، فوجده قد خرج، وأمن ابن معمر الناس،  
فأقام أكثرهم، وخاف بعضهم مصعباً فشخص، فغضب مصعب  
على ابن معمر، وحلف ألا يوليه، وأرسل إلى الجفرية فسبهم  
وأنهم.

قال أبو زيد: فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه  
أرسل إليهم فأتي بهم، فأقبل على عبيد الله بن أبي بكر، فقال:  
يا ابن مسروح، إنما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب. فجاءت بأمر  
وأصفر من كل كلب بما يشبهه، وإنما كان أبرك عبداً نزل  
إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف، ثم أقمتهم البينة تدعون  
أن أبا سفيان زنى بأمكم، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم.  
ثم دعا بجمران فقال: يا ابن اليهودية، إنما أنت عليج نبطي سبيت  
من عين التمر. ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود: يا ابن  
الخيث، أتدري من أنت ومن الجارود! إنما كان الجارود عليجاً  
بجزيرة ابن كاوان فارسياً، فقطع إلى ساحل البحر، فأنتمى إلى عبد  
القيس، ولا والله ما أعرف حياً أكثر اشتمالاً على سوءة منهم.  
ثم أنكح أخته المكبر الفارسي فلم يصب شرقاً قط أعظم منه،  
فهؤلاء ولدها يا ابن قباد. ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني  
فقال: ألسنت من أهل هجر، ثم من أهل سماهيج! أما والله  
لأردنك إلى نسبك. ثم أتى بعلي بن أصمع، فقال: أعبد لبني تميم  
مرة وعزّي من باهلة! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حناط فقال:  
يا ابن المشثور، ألم يسرق عمك عزراً في عهد عمر، فأمر به فسير  
ليقطعه! أما والله ما أعنت إلا من ينكح أختك - وكانت أخته  
تحت مقاتل بن مسمع - ثم أتى بأبي حاضر الأسدي فقال: يا  
ابن الإصطخرية. ما أنت والأشراف! وإنما أنت من أهل قطر  
دعي! بني أسد، ليس لك فهم قريب ولا نسب. ثم أتى بزياد  
بن عمرو فقال: يا ابن الكرماني، إنما أنت عليج من أهل كرماني  
قطعت إلى فارس فصرت ملاحاً، ما لك وللحرب! لأنت بجر  
القلس أحذق. ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال:  
أعلي تكثر وأنت عليج من أهل هجر، لحق أبوك بالطائف وهم  
يضمون من تأسب إليهم يتعززون به! أما والله لأردنك إلى  
أصلك. ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال: يا ابن الخيث، إنما أنت  
عليج من أهل زندورد، هربت أمك وقتل أبوك، فتزوج أخته  
رجل من بني يشكر. فجاءت بغلامين فالحقنك بنسبهما، ثم  
ضربهم مائة مائة. وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهدم دورهم،  
وصهرهم في الشمس ثلاثاً. وحلهم على طلاق نسائهم، وجر  
أولادهم في البعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة، وأحلفهم ألا  
ينكحوا الحرائر. وبعث مصعب خدشاً بن يزيد الأسدي في  
طلب من هرب من أصحاب خالد، فأدرك مرة بن محكان فأخذه،  
فقال مرة:

بخراسان!

خزنيي فجريني جمار وأبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب: يا بني، اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة فآخِره ما صنع أهل العراق، ودعني فإني مقتول. فقال ابنه: والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً، ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة، أو الحق بأمير المؤمنين. قال مصعب: والله لا تتحدث قريش أنني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزماً، ولكن أقاتل، فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار، وما الفرار لي بعادة ولا خلق، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل. فرجع فقاتل حتى قتل.

قال علي بن محمد عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر، عن أبيه. إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان: إن ابن عمك يعطيك الأمان، فقال مصعب: إن مثلي لا يتصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً.

وقال الهيثم بن عدي: حدثنا عبد الله بن عياش، عن أبيه، قال: إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جار صدق، فلما أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمة! قال: هو آمن، فمضى زياد - وكان ضخماً على ضخم - حتى صار بين الصفيين، فصاح: أين أبو البخترى إسماعيل بن طلحة؟ فخرج إليه، فقال: إنني أريد أن أذكر لك شيئاً، فدنا حتى اختلعت أعناق دوابهما - وكان الناس يتطوقون بالحواشي المحشوة - فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل، ثم اقتلعه عن سرجه - وكان خيفاً - فقال: أنشدك الله يا أبا المغيرة، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب، فقال: هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً.

ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له: يا ابن أخي، لا تقتل نفسك. لك الأمان. فقال له مصعب: قد أنكك عمك فامض إليه. قال: لا تتحدث نساء قريش أنني أسلمت للقتل، قال: تقدم بين يدي احتسبك، فقاتل بين يديه حتى قتل، وأنخن مصعب بالرمي، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشده عليه فطعنه، وقال: يا لثارات المختار! فصرعه، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن طبيان، فاحتز رأسه، وقال: إنه قتل أخي النابىء بن زياد. فأتى به عبد الملك بن مروان فأنابه ألف دينار، فأبى أن يأخذها. وقال: إنني لم اقتله على طاعتك، إنما قتلت على وتر صنعه بي، ولا آخذ في حمل رأس مالا. فتركه عند عبد الملك.

الخفض، ومعه من يخالفه، ومعني من ينصح لي، فسار عبد الملك حتى نزل مسكن، وسار مصعب إلى باجيرا. وكتب عبد الملك إلى شيعته من أهل العراق، فأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك مخرّوماً لم يقرأه، فدفعه إلى مصعب، فقال: ما فيه؟ فقال: ما قرأته، فقرأه مصعب فإذا هو يدعو إلى نفسه، وجعل له ولاية العراق، فقال لمصعب: إنه والله ما كان من أحد آيس منه مني. ولقد كتب إلي أصحابك كلهم بمثل الذي كتب إلي، فاطعني فيهم فاضرب أعناقهم. قال: إذا لا تناصحننا عشائهم. قال: فأوقرهم حديدًا وأبعث بهم إلى أبيض كسرى فاجسهم هنالك ووكّل بهم من إن غلبت ضرب أعنتهم، وإن غلبت منتت بهم على عشائهم. فقال: يا أبا النعمان، إنني لفي شغل عن ذلك، يرحم الله أبا بجر، إن كان ليحذرني غدر أهل العراق، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه!

حدثني عمر، قال: حدثنا محمد بن سلام، عن عبد القاهر بن السري، قال: هم أهل العراق بالغدر بمصعب. فقال قيس بن الهيثم: ويحك! لا تدخلوا أهل الشام عليكم، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم، والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه.

قال: ولما تدانى العسكران بدير الجاثليق من مسكن، تقدم إبراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه، فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية، ففرب من محمد بن مروان. والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلي، وقتل يحيى بن مبشر، أحد بني ثعلبة بن يربوع، وقتل إبراهيم بن الأشتر، فهرب عتاب بن ورقاء - وكان على الخيل مع مصعب - فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي: أبا عثمان، قدم خيلك، قال: ما أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: أكره أن تقتل مذبح في غير شيء، فقال لحجار بن أبحر: أبا أسيد، قدم رايتك، قال: إلى هذه العذرة! قال: ما تتأخر إليه والله أنتن والألم، فقال محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك، فقال: ما أرى أحداً فعل ذلك فأفعله. فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم!

حدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: أخبر ابن خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك، فقال: أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر؟ قيل: لا، استعمله على فارس، قال: أفمعه المهلب بن أبي صفرة؟ قيل: لا، استعمله على الموصل، قال: أفمعه عباد بن الحصين؟ قيل: لا، استخلفه على البصرة، فقال: وأنسا

وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولي في بعض ولايته شرطة مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بني جأوة.

**فحدثني** عمر بن شبة، قال: حدثني أبو الحسن المدائني ومحمد بن يحيى بن حاضر، أن مطرفاً أتى بالنابىء بن زياد بن ظبيان ورجل من بني غير قد قطعاً الطريق، فقتل النابىء، وضرب النميري بالسياط فتركه، فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعاً بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز، فخرج يريده، فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر، فعبر مطرف إليه النهر، وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله، فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان، فسار حتى بلغ عسكر مكرم، فنسب إليه، ولم يلق ابن ظبيان، ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه، فقال البيهقي يشكركي بعد قتل مصعب يذكر ذلك:

ولما رأينا الأمر نكساً صدوره وهم الهوادي أن تكن تواليا  
صبرنا لأمر الله حتى يقيمهم ولم نرض إلا من أمة واليا  
ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب أخا أسد والنخعي اليماني  
ومرت عقاب الموت منا مسلم فاهوت له ناباً فأصبح ثاويا  
سقيناً ابن سيدان بكأس روية كفتنا وخير الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو يزيد، قال: حدثني علي بن محمد، قال: مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة، فقيل لها: هذا قاتل أبيك، فقالت: في سبيل الله أبي، فقال ابن ظبيان:

فلاني سبيل الله لاقى حمامه أبوك ولكن في سبيل الدراهم  
فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة، فبايعوه، وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند دير الجاثليق، فلما قتل أمر به عبد الملك وبانته عيسى دفنوا.

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد، عن أبي بكر بن عمر، عن عروة قال: قال عبد الملك حين قتل مصعب: واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة، ولكن هذا الملك عقيم.

قال أبو زيد: وحدثني أبو نعيم، قال: حدثني عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد، عن عبد الله بن شريك العامري، قال: إني لواقف إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتاباً من قبائي، فقلت له: هذا كتاب عبد الملك، فقال: ما شئت، قال: ثم جاء رجل من أهل الشام فدخل عسكره، فأخرج جارية فصاحت: واذا له! فنظر إليها مصعب، ثم أعرض عنها.

قال: وأتى عبد الملك برأس مصعب، فنظر إليه فقال: متى تغدو قريش مثلك! وكانا يتحدثان إلي جئى، وهما بالمدينة، فقبل لها: قتل مصعب، فقالت: تمس قاتله! قيل قتله عبد الملك بن مروان، قالت: بأبي القاتل والمقتول!

قال: وحج عبد الملك بعد ذلك، فدخلت عليه جبي، فقالت: أقتلت أخاك مصعباً؟ فقال:

من يذق الحرب يجد طعمها مرّاً وتركه يجعجعا  
وقال ابن قيس الرقيات:

لقد أورت المصيرين خزيّاً وذلةً قتل بدير الجاثليق مقيم  
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم  
ولو كان بكراً تعطف حوله كائب يغلي حيمها ويدوم  
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مضري يوم ذاك كريم  
جزى الله كوفياً هناك ملاماً وبصريهم إن المليم مليم  
وان بني العلات أخلوا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصميم  
فإن نفن لا يبقوا ولا يك بعدنا لذي حرمة في المسلمين حريم

قال أبو جعفر: وقد قيل: إن ما ذكرت من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة الثانية وستين، وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصييره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين، وقتل مصعب في جمادى الآخرة.

### ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصيرين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي، وأما أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة الثانية وسبعين.

وحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة الثانية وسبعين.

ولما أتى عبد الملك الكوفة - فيما ذكر نزل النخيلة، ثم دعا الناس إلى البيعة، فجاءت قضاة، فرأى قلة، فقال: يا معشر قضاة، كيف سلمتم من مضر مع قتلكم! فقال عبد الله بن يعلى النهدي: نحن أعز منهم وأمنع، قال: بمن؟ قال: بمن معك منا يا أمير المؤمنين.

ثم جاءت مذحج وهمدان فقال: ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً.

ثم جاءت جعفي، فلما نظر إليهم عبد الملك قال: يا معشر جعفي، اشتلتم على ابن اختكم، وواريتموه؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص - قالوا: نعم، قال: فهاتوه، قالوا: وهو آمن؟ قال: وتشرطون أيضاً؟ فقال رجل منهم: إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده،

ثم إنه ولي - فيما قيل - قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة أربعين يوماً ثم عزله، وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال:

إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فأسى نفسه، ولم يغرز ذنبه في الحرم. ثم قال: إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان، وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

واستعمل محمد بن عمير على همدان، ويزيد بن رؤيم على الري، وفرق العمال، ولم يف لأحد شرط عليه ولاية أصبهان، ثم قال: علي هؤلاء الفساق الذين أغلوا الشام، وأفسدوا العراق، فقيل: قد أجارهم رؤساء عشائرتهم، فقال: وهل يجير علي أحداً.

وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ إلى علي بن عبد الله بن عباس، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن معيوف الحمداني، ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمي إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فأمنهم عبد الملك، فظفروا.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تنازع الرئاسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحران بن أبان.

فحدثني عمر بن شبة قال: حدثني علي بن محمد قال: لما قتل المصعب وثب حران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة، فقال ابن أبي بكره: أنا أعظم غناء منك، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة. فقيل لحران: إنك لا تقوى على ابن أبي بكره، فاستعن بعبد الله بن الأهم، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره. ففعل، وغلب حران على البصرة وابن الأهم على شرطها.

وكان لحران منزلة عند بني أمية، حدثني أبو زيد قال: حدثني أبو عاصم النبيل قال: أخبرني رجل قدم شيخاً أعرابي فرأى حران فقال: من هذا؟ فقالوا: حران، فقال: لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه. قال أبو زيد: قال أبو عاصم: فحدثت بذلك رجلاً من ولد عبد الله بن عامر، فقال: حدثني أبي أن حران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يتمزها.

### ذكر خير ولاية خالد بن عبد الله على البصرة

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً، حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: مكث حران على البصرة يسيراً، وخرج ابن أبي بكره حتى قدم

فقال: أما والله لنعم الحي أنتم، إن كنتم لفرساناً في الجاهلية والإسلام، هو آمن، فجأؤوا به وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر إليه عبد الملك قال: أيا قبيح، بأي وجه تنظر إلى ربك وقد خلعتني! قال: بالوجه الذي خلقه، فباع ثم ولي فنظر عبد الملك في فقهه فقال: لله دره! أي ابن زوملة هو! يعني غريبة.

وقال علي بن محمد: حدثني القاسم بن معن وغيره أن معبد بن خالد الجدلي قال: ثم تقدمنا إليه معشر عدوان، قال: فقدمتنا رجلاً وسمياً جيلاً، وتأخرت - وكان معبد دميماً - فقال عبد الملك: من؟ فقال الكاتب: عدوان، فقال عبد الملك:

عذير الحي من عدوا ن كانتوا حجة الأرض  
بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض  
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض  
ثم أقبل على الجميل فقال: إيه! فقال: لا أدري، فقلت من خلفه:

ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي  
ومنهم من يميز الحج بالسنة والفرس  
وهم مذ ولدوا شيوخا بسر النسب الخوض

قال: فتركتني عبد الملك، ثم أقبل على الجميل فقال: من هو؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفه: ذو الإصبع، قال: فأقبل على الجميل فقال: ولم سمي ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: لأن حبة عضت إصبعه فقطعتها، فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه؟ فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: حرثان بن الحارث، فأقبل على الجميل، فقال: من أيكم كان؟ قال: لا أدري. فقلت من خلفه: من بني ناج، فقال:

أبعد بني ناج وسعيك بينهم فلا تبعن عينيك ما كان هالكا  
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب: لا أصالح ذلكا  
فأضحى كظهر العير جب ستامه تطيف به الولدان أحذب باركا

ثم أقبل على الجميل، فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة، فقال لي: في كم أنت؟ قلت: في ثلاثمائة، فأقبل على الكاتبين، فقال: حطاً من عطاء هذا أربعمائة، وزيداًها في عطاء هذا، فرجعت وأنا في سبعمائة، وهو في ثلاثمائة.

ثم جاءت كندة فنظر إلى عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، فأوصى به بشراً أخاه، وقال: اجعله في صحابتك.

وأقبل داود بن قحذم في مائتين من بكر بن وائل، عليهم الأقبية الداودية، وبه سميت، فجلس مع عبد الملك على سريره، فأقبل عليه عبد الملك، ثم نهض ونهضوا معه، فأتبعهم عبد الملك بصره، فقال: هؤلاء الفساق، والله لولا أن صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة.

وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع. وأمر به إلى الخورنق، وأذن إذناً عاماً، فدخل الناس فآخذوا مجالسهم. فدخل عمرو بن حريث المخزومي فقال: إلي وعلى سريري، فأجلسه معه. ثم قال: أي الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك؟ قال: عناق حمراء قد أجيد تمليحها، وأحكم نضجها، قال: ما صنعت شيئاً. فأين أنت من عمرو بن راضع قد أجيد سمطه، وأحكم نضجه، اختلجت إليك رجله. فأتبعها يده، غذي بشريجين من لبن وسمن. ثم جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبد الملك بن مروان: ما ألد عشنا لو أن شيئاً يدوم! ولكننا كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان  
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث: لمن هذا البيت؟ ومن بنى هذا البيت؟ وعمرو يجبره فقال عبد الملك:

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان  
ثم أتى مجلسه فاستلقى، وقال:  
اعمل على مهل فإنك ميت واكده لنفسك أيها الإنسان  
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان  
وفي هذه السنة افتتح عبد الملك - في قول الواقدي -  
قيسارية.

على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب، فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكره خليفته على البصرة، فلما قدم على حمران، قال: أقد جئت لا جئت! فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدم خالد.

وفي هذه السنة رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام.

قال: وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عرف عن المدينة، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عرف. قال: وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرب طلحة، وأقام طارق بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي.

### خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب

وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال.

الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. ألا إنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً، ولم يعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنعام طراً. ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر حزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه، فاما الذي أفرحنا فليعلمنا أن قتله له شهادة، وأما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعواني.

ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق، أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإننا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام، وما نموت إلا قعصاً بالرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف. ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يبدي ملكه، فإن تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهن، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

المهلب على إصطخر.

## السنة الثانية والسبعون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر: فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قتل، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه، فناداهم الخوارج: ألا تخبرونا ما قولكم في مصعب؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: فهو وليكم في الدنيا والآخرة؟ قالوا: نعم، قالوا: وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتاً؟ قالوا: ونحن أولياؤه أحياء وأمواتاً؟

قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذلك ابن اللعين، نحن إلى الله منه براء، هو عندنا أحل دماً منكم، قالوا: فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة؟ قالوا: نعم كبرائتنا منكم، قالوا: وأنتم له أعداء أحياء وأمواتاً؟ قالوا: نعم نحن له أعداء كعدائنا لكم، قالوا: فإن إمامكم مصعباً قد قتله عبد الملك بن مروان، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم، وأنتم الآن تتبرؤون منه، وتلعنون أباه! قالوا: كذبتم يا أعداء الله.

فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأنتمهم الخوارج فقالوا: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: يا أعداء الله، لا نخبركم ما قولنا فيه، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم، قالوا: فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتاً، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: ذاك إمامنا وخليفتنا - ولم يجدوا إذ بايعوه بداً من أن يقولوا هذا القول - قالت لهم الأزارقة: يا أعداء الله، أنتم أمس تبرؤون منه في الدنيا والآخرة، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتاً، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم، وقد قتل إمامكم الذي كنتم تولونه! فأيهما الحق، وأيها المهتدي، وأيها الضال! قالوا لهم: يا أعداء الله، رضيينا بذلك إذ كان ولي أمورنا، ونرضى بهذا كما رضيينا بذلك، قالوا: لا والله ولكنكم إخوان الشاطين، أولياء الظالمين، وعبيد الدنيا.

وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة، وخاله بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة. فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعونتها، وبعث عامر بن مسمع على سابور، ومقاتل بن مسمع على أردشير خره، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسا ودراجبرد، والمغيرة بن

ثم إنه بعث إلى مقاتل فبعثه على جيش، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة، فانخطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا درابجرد، فسار نحوهم. وبعث قطري مع صالح بن غرقا تسعمائة فارس، فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلاً، يجرون على غير تعبئة، فهزم الناس، ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل، وانهزم عبد العزيز بن عبد الله، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - فغار رجل من قومها كان من رؤوس الخوارج يقال له: أبو الحديد الشني، فقال: تنحو هكذا، ما أرى هذه المشتركة إلا قد فتتكم، فضرب عنقه. ثم زعموا أنه لحق بالبصرة، فرآه آل المنذر فقالوا: والله ما ندري أعمدك أم نذملك! فكان يقول: ما فعلته إلا غيرة وحمية.

وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز، وأتى المهلب فأخبر به، فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد فرسانه، فقال: اتته فإن كان منهزماً فعزه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعله الناس قبله، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً، ثم بعزه الله وينصره. فأتاه ذلك الرجل، فوجده نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزياً، فسلم عليه الأزدي، وأخبره أنه رسول المهلب، وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة. ثم انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر، فقال له المهلب: الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر، فقال: أنا أتية أخبره أن أخاه هزم! والله لا أتية. فقال المهلب: لا والله لا يأتيه غيرك، أنت الذي عاينته ورأيت، وأنت كنت رسولي إليه، قال: هو إذاً بهديك يا مهلب أن ذهب إليه العام، ثم خرج. قال المهلب: أما أنت والله فإني لك لي آمن، أما والله لو أنك مع غيري، ثم أرسلك على رجلك خرجت تشتد! قال له وأقبل عليه: كأنك إنما تمن علينا بملك! فنحن والله نكافئك بل نزيد، أما تعلم أنا نعرض أنفسنا للقتل دونك، ونحميك من عدوك! ولو كنا والله مع من يجهل علينا وبعثنا في حاجاته على أرجلنا، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا، ووقينا به أنفسنا. قال له المهلب: صدقت صدقت. ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرجه إلى خالد يخبره خبر أخيه، فأتاه الفتى الأزدي وحوله الناس، وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر، فسلم عليه، فرد عليه، فقال: ما جاء بك؟ قال: أصلحك الله! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته، قال: وما عاينته؟ قال: رأيت عبد العزيز برامهرمز مهزوماً، قال: كذبت، قال: لا، والله ما كذبت، وما قلت لك إلا الحق، فإن كنت كاذباً فاضرب عنقي، وإن كنت صادقاً فأعطني



خيلهم إليها فحرقتها. وبعث خالد بن عبد الله على ميمته المهلب، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة، ومرت المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يثندق، فقال: يا ابن أخي، ما يمنعك من الخندق؟ فقال: والله لهم أهون على من ضرورة الجمل، قال: فلا يهونوا عليك يا ابن أخي، فإنهم سباع العرب، لا أبرح أو تضرب عليك خندقاً، ففعل.

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم: أهون علي من ضرورة الجمل، فقال شاعرهم:

يا طالب الحق لا تستهوا بالأمل      فإن من دون ما تهوى مدى الأجل  
واعمل لربك واسأله مئوته      فإن تقواه فاعلم أفضل العمل  
واغز المخائيل في الماذي معلمة      كيما تصح غدواً ضرورة الجمل

فأقاموا نحواً من عشرين ليلة. ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس، فرأوا أمراً هالهم من عدد الناس وعدتهم، فآخذوا ينحازون، واجترأ عليهم الناس، فكرت عليهم الخيل، وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة، وانصرف خالد إلى البصرة، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى السري وأقام المهلب بالأهواز، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك.

أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أنني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين، وخرجوا من ولاية المسلمين، فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتلنا كاشد قتال كان في الناس. ثم إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين، وضرب الله وجوه أعدائه، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم، ولا يمنعون ولا يمتنعون، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين، ثم أتبعهم داود بن قحذم، والله إن شاء مهلكهم ومستاصلهم، والسلام عليك.

فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان.

أما بعد، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة، فإن خالداً كتب إلي يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم، فمر صاحبك الذي تبعث ألا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا، فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم عليهم. والسلام عليك.

فبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عاتمهم، وأصابهم الجهد والجوع، ورجع عامة ذينك الجيشين

أصلحك الله جيتك ومطرفك. قال: ويحك! ما أيسر ما سألت، ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً. فحبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبين له هزيمة القوم، فكتب إلى عبد الملك.

أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج. وأنهم لقوه بفارس، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس، وقتل مقاتل بن مسمع، وقدم الفل إلى الأهواز. أحييت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله.

فكتب إليه.

أما بعد، فقد قدم رسولك في كتابك، تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج، وبهزيمة من هزم، وقتل من قتل، وسألت رسولك عن مكان المهلب، فحدثني أنه عامل لك على الأهواز، فقيح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب إلى جنبك يجي الخراج، وهو اليمون النقية، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لها، ابنها وابن أبنائها! انظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز. وقد بعثت إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة، فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضره المهلب، وتستشير به فيه إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله.

فشق عليه أنه فیل رأيه في بعثة أخيه وترك المهلب، وفي أنه لم يرض رأيه خالصاً حتى قال: أحضره المهلب واستشره فيه.

وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان.

أما بعد، فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله أمره بالنهوض إلى الخوارج، فسرّح إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجلاً من قبلك ترضاه، فإذا قضوا غزاتهم تلك صرفتهم إلى الري فقاتلوا عدوهم، وكانوا في مسالحهم، وجبوا فيهم حتى تأتي أيام عقيبم فتعقبهم وتبعث آخرين مكانهم.

فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال: إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى الري. وكتب له عليها عهداً. وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن بن محمد ببعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز، وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم، وقال المهلب لخالد بن عبد الله: إني أرى هاهنا سفناً كثيرة، فضعها إليك. فو الله ما أظن القوم إلا محرقيها. فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من

وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج. وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة الثانية وسبعين. فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير.

حج الحجاج بالناس في هذه السنة، وابن الزبير محصور، وكان قدوم طارق مكة لهلال ذي الحجة، ولم يطف بالبيت، ولم يصل إليه وهو محرم، وكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل عبد الله بن الزبير. ونحر ابن الزبير بدنأ بمكة يوم النحر، ولم ينج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة.

قال محمد بن عمر: حدثني سعيد بن مسلم بن بابك، عن أبيه، قال: حججت في سنة الثانية وسبعين فقدمنا مكة، فدخلناها من أعلاها، فنجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميمون، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، ثم حج بالناس الحجاج، فرأيت واقفاً بالهضبات من عرفة على فرس، وعليه الدرع والمغفر، ثم صدر فرأيت عدل إلى بئر ميمون، ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون، ورأيت الطعام عندهم كثيراً، ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام، الكعك والسويق والدقيق، فرأيت أصحابه مخاصيب، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم، فكفاننا إلى أن بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر.

قال محمد بن عمر: حدثني مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير - قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة الثانية وسبعين.

### أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعو إلى بيعته ويضعه خراسان سبع سنين، فذكر علي بن محمد أن المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيذ حدثوه - قال: وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض - أن مصعب بن الزبير قتل سنة الثانية وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بمجر بن وراق الصرمي صريم بن الحارث، فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري: إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي. فقال ابن خازم لسورة: لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة، فأكلها.

قال: وقال أبو بكر بن محمد بن واسع: بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النميري.

وقال بعضهم: بعث عبد الملك إلى ابن خازم سنان بن

مشاة إلى الأهواز، فقال ابن قيس الرقيات - من بني مخزوم - في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم وتركتهم صرعى بكل سبيل  
من بين ذي عطش يجود بنفسه وملح بين الرجال قليل  
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلاً إذ رحت متكت القوي بأصيل  
وتركت جيشك لا أمير عليهم فارجع بعار في الحياة طويل  
ونسيت عرسك إذ تقاد سية تبكي العيون برنة وعويل

### خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي، وهو من بني قيس بن ثعلبة، فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الخنفي، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك، فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف إلى أبي فديك، فهزمه أبو فديك، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه، وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام، فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة.

### خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير

وفي هذه السنة وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وكان السبب في توجيه الحجاج إليه دون غيره - فيما ذكر - أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام، قام إليه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في منامي أنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه، وولني قتاله. فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام، فسار حتى قدم مكة، وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته.

فحدثني الحارث، قال: حدثني محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن أبي الأسود، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: بعث عبد الملك بن مروان حين قُتل مصعب بن الزبير الحجاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة، فخرج في ألفين من جند أهل الشام في جمادى من سنة الثانية وسبعين، فلم يعرض للمدينة، وسلك طريق العراق، فنزل بالطائف، فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الخيل، ويبعث ابن الزبير بعثاً فيقتلون هنالك، فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر.

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره أن شوكتة قد كلت، وتفرق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمدّه برجال فجاءه كتاب عبد الملك،

مكمل الغنوي، وكتب إليه: إن خراسان طعمة لك، فقال له ابن خازم: إنما بعثك أبو الذبان لأنك من غي، وقد علم أنني لا أقتل رجلاً من قيس، ولكن كل كتابه.

قال: وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهدده على خراسان ووعده ومناه، فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك بن مروان، فأجابه أهل مرو، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر، فترك مجيراً، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمز، فأتبعه مجير، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية: شاهميفد، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ.

قال: فقاتله ابن خازم، فقال مولى لبني ليث: كنت قريباً من معترك القوم في منزل، فلما طلعت الشمس تهايج العسكران، فجعلت أسمع وقع السيوف، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات، فقلت: هذا لارتفاع النهار فلما صليت الظهر - أو قبل الظهر - خرجت، فتلقتني رجل من بني تميم، فقلت: ما الخبر؟ قال: قتل عدو الله ابن خازم وما هو ذا، وإذا هو محمول على بغل، وقد شدوا في مذاكيره حبلاً وحجراً وعدلوه به على البغل.

قال: وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريعي وهو ابن الدورقية، اعتور عليه مجير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي وكيع، فطعنوه فصرعوه، فقعد وكيع على صدره فقتله، فقال بعض الولاة لوكيع: كيف قتلت ابن خازم؟ قال: غلبته بفضل القنا، فلما صرع قعدت على صدره، فحاول القيام فلم يقدر عليه، وقلت: يا لثارات دويلة! ودويلة أخ لوكيع لأمه، قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام.

قال وكيع: فتنخم في وجهي وقال: لعنك الله! تقتل بكش مضر بأخييك، عالج لا يساوي كفا من نوى - أو قال: من تراب - فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت.

قال: فذكر ابن هبيرة يوماً هذا الحديث فقال: هذه والله البسالة. قال: وبعث مجير ساعة قتل ابن خازم رجلاً من بني غدانة إلى عبد الملك بن مروان يخبره بقتل ابن خازم، ولم يبعث بالراس، وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم، فأراد أخذ رأس ابن خازم، فمنعه مجير، فضربه بكير بعمود، وأخذ الرأس وقيد مجيراً وحبسه، وبعث بكير بالراس إلى عبد الملك، وكتب إليه يخبره أنه هو الذي قتله، فلما قدم بالراس على عبد الملك دعا الغداني رسول مجير وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقت القوم حتى قتل، فقال رجل من بني سليم:

اليتا ينيسابور ردي  
كواكبها زواحف لا غبات  
تلوم على الحوادث أم زيد  
وهل لك في الحوادث من تكبر!  
جهلن كرامتي وصددن عني  
إلى أجل من الدنيا قصير  
فلو شهد الفوارس من سليم  
غداة يطاف بالأسد العقير  
لنازل حوله قوم كرام  
فعز الوتر في طلب الوتر  
فقد بقيت كلاب نائجات  
وما في الأرض بعدك من زئير  
فولى الحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف.

وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك، وعلى الكوفة بشر بن مروان، وعلى قضائهما عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضائهما هشام بن هبيرة. وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي، وفي قول بعض: بكير بن وشاح. وزعم من قال: كان على خراسان في سنة الثانية وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل بعدما قتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعو إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه خراسان عشر سنين بعدما قتل عبد الله بن الزبير، وبعث برأسه إليه، وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يعطيه طاعة أبداً، وأنه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير، وحنطه وكفنه، وصلى عليه، وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال: لولا أنك رسول لضربت عنقك. وقال بعضهم: قطع يديه ورجليه وضرب عنقه.

### فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية.

وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب، وكان في زمان إدريس.

وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبين منازلهم هراسب بن كاوغان بن كيموس.

وحكي أن أبرويز قال لكتابه: إنما الكلام أربعة أقسام: سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء، فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد، وإن نقص منها رابع لم تسم، فإذا طلبت فأسجع، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فاتحمت، وإذا أخبرت فحققت.

وقال أبو موسى الأشعري: أول من قال: أما بعد: داود، وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله عنه.

وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم، ويكتب له على الديوان سرجون. ويروى أنه كتب له أبو الزعزعة.

وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حلجلة الخزاعي، ويكنى أبا إسحاق. وكتب على ديوان الرسائل أبو الزعزعة مولاة.

وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد - أو خليل العبسي، وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني، وعلى ديوان الخاتم شعيب العماني مولاة، وعلى ديوان الرسائل جناح مولاة، وعلى المستغلات نفع بن ذؤيب مولاة.

وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميري.

وكان يكتب لمسلمة سميع مولاة، وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني، وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين، وقيل: بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم.

وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فروة.

وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، ورجاء بن حيوة. وكتب له إسماعيل بن أبي الحكم مولى الزبير، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني، وقيل مكانه صالح بن جبير الغساني - وقيل: الغداني - وعدي بن الصباح بن المثنى، ذكر الهيثم بن عدي أنه كان من جلة كتابه.

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله، ثم استكتب أسامة بن زيد السليحي.

وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، ويكنى أبا مخاشع، وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام. وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار.

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ، وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك، ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو، ويقال: عبد الأعلى بن أبي عمرو، وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة.

وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم، وكان عمرو بن الحارث مولى بني جمح يتولى له ديوان الخاتم، وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشني - ويقال الربيع بن عرعة الخشني - وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن.

وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة، وكان يتقلد له

وقال الهيثم بن عدي: أول من قال: أما بعد: قس بن ساعدة الإيادي.

### أسماء من كتب للنبي ﷺ

علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان، كانا يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت.

وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه.

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد بنو العلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في حوائجهم، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملك عن النبي ﷺ.

### أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة

وكتب لأبي بكر عثمان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي، وحظلة بن الربيع.

وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة. وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبرة بن الضحاك الأنصاري.

وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله: إن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاهب عليكم الأعمال، فلا تدرون بأيهما تبدؤون، وأيهما تأخذون. وهو أول من دون الدواوين في العرب في الإسلام.

وكان يكتب لعثمان مروان بن الحكم، وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة، وأبو جبرة الأنصاري على ديوان الكوفة، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس عيلان يكتب له، وكان يكتب له أهيب مولاة، وحران مولاة.

وكان يكتب لعلي عليه السلام سعيد بن نمران الهمداني، ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير. وكان يكتب له عبد الله بن مسعود، وروي أن عبد الله بن جبير كتب له. وكان عبيد الله بن أبي رافع يكتب له. واختلف في اسم أبي رافع، فقيل: اسمه إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: سنان، وقيل: عبد الرحمن.

وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد بن أوس الغساني. وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي. وكتب له عبد الرحمن بن دراج، وهو مولى معاوية، وكتب على بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي.

الديوان بفلسطين، وبايع الناس إبراهيم - أعني ابن الوليد - سوى أهل حمص، فإنهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي.

وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي، وزباد بن أبي الورد. وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري. وكان من كتابه غلغل بن محمد بن الحارث - ويكنى أبا هاشم - ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمي، ويكنى أبا موسى. وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين، وما اختير له من الشعر:

ترحل ما ليس بالقافل وأعقب ما ليس بالزائل  
فلهفي على الخلف النازل ولهفي على السلف الراحل  
أبكي على ذا وأبكي لهذا بكاء موهلة ناكل  
تبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل  
فليست تفر عن عبدة لها في الضمير ومن هامل  
تقضت غوايات سكر الصبي وردت التقى عن الباطل

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك، ودفع أبو العباس ابنته ربطة إلى خالد بن برمك حتى أرضعته زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تدعى أم يحيى، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ربطة. وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ربطة بنت أبي العباس.

وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان، وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسط. وروي أن سليمان بن غلغل كان يكتب لأبي جعفر، وما كان يمثل به أبو جعفر المنصور:

وما إن شفى نفساً كأم صرعة إذا حاجة في النفس طال اعتراضها  
وكتب له الربيع. وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال، وله:

لا تشكون دهرأ صححت به إن الغنى في صحة الجسم  
هيبك الإمام أكنيت متفعلاً بغضارة الدنيا مع السقم!  
وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس:

أمن أمية دمع العين مذروف لو أن ذا منك قبل اليوم معروف  
لا تبك عينك إن الدهر ذو غير فيه تفرق ذو إلف ومألوف  
وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله، ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود، وكان اتخذ على وزارته وأمره، وله:

عجلاً نصريف الأمور رغبة وكرهية

والدهر يلعب بالرجسا ل له دوائر جاربه  
ولابنه عبد الله بن يعقوب - وكان له محمد ويعقوب، كلاهما شاعر مجيد:

ورع الشيب شراسي وغرامي ومرى الجفون بمسيل سجام  
ولقد حرصت بأن أوارى شخصه عن مقلتي فرمت غير مرام  
وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيام  
لا تبعدن شبيبة ذبالسة فارقتها في سالف الأعوام  
ما كان ما استصحت من أيامها إلا كبعض طوارق الأحلام  
ولأبيه:

طلق الدنيا ثلاثاً واتخذ زوجاً سواها  
إنها زوجة سوء لا تبالي من أتاها  
واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح، وكان جواداً.

وكتب للمهدي موسى عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمد بن حميد.

وسأل المهدي يوماً أبا عبيد الله عن أشعار العرب، فصنفها له، فقال: أحكمها قول طرفه بن العبد:

أرى قبر نحام يخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد  
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفح مصد  
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشد  
أرى العيش كترأ ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنيه باليد  
وقوله:

وقد أرانا كلانا هم صاحبه لو أن شيئاً إذا ما فاتنا رجعا  
وكان شيء إلى شيء ففرقه دهر يكر على تفريق ما جمعا  
وقول لبيد:

الا نسالن المرء ماذا يحاول اغب فيقضى أم ضلال وباطل  
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل  
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واسل  
وكقول النابغة الجعدي:

وقد طال عهدي بالشباب وأهله ولاقيت روعات تشيب النواصيا  
فلم أجد الإخوان إلا صحابة ولم أجد الأهلين إلا مثاويها  
ألم تعلمي أن قد رزئت محاربا فما لك منه اليوم شيء ولا ليا  
وكقول هذبة بن خشرم:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب  
ولا ابتغي الشر والشر تاركي ولكن متى أعمل على الشر أركب  
وما يعرف الأقوام للدهر حقه وما الدهر بما يكرهون بمعتب  
وللدهر في أهل الفتى وتلاذه نصيب كحز الجازر المتشعب

وكقول زيادة بن زيد، وتمثل به عبد الملك بن مروان:

تذكر عن شحط أميمة فارعوى لها بعد إكثار وطول تحيب  
وإن أمراً قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصره لغير ليب  
هل الدهر والأيام إلا كما ترى رزينة مال أو فراق حبيب  
وكل الذي يأتي فأتى نسيه ولست لشيء ذاهب بنسيب  
وليس بعيد ما يجيء كمقبل ولا ما مضى من مفرح بقريب  
وكقول ابن مقبل:

لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذل هذه الأبدال  
والناس همهم الحياة ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبال  
وإذا افقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال  
ووزر له يحيى بن خالد. ووزر للرشيد ابنة جعفر بن يحيى  
بن خالد، فمن مليح كلامه: الخط سمة الحكمة، به تفصل  
شذورها، وينظم مثورها.

قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن  
يكون الاسم محيطاً بمعناك، خيراً عن مغزاك، مخرجاً من الشركة،  
غير مستعان عليه بالفكرة.

قال الأصمعي: سمعت يحيى بن خالد يقول: الدنيا دول،  
والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.

ونأتي بتسمية باقي كتاب خلفاء بني العباس إذا انتهينا إلى  
الدولة العباسية إن شاء الله تعالى.

حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف.

## السنة الثالثة والسبعون

### ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

#### خبر مقتل عبد الله بن الزبير

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير.

#### ذكر الخبر عن صفة ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر. قال: حدثني إسحاق بن يحيى، عن عبيد الله بن القبطية، قال: كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة.

قال محمد بن عمر: وحدثني مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير - قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة الثانية وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة.

حدثنا الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إسحاق بن يحيى، عن يوسف بن ماهك. قال: رأيت المنجنيق يرمى به، فرعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة، فاشتعل عليها، فأعظم ذلك أهل الشام، فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقتة، ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه، ثم قال: ارموا، ورمي معهم.

قال: ثم أصبحوا، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام، لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة، هذه صواعق تهامة، هذا الفتح قد حضر فأبشروا، إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم، فصعقت من الغد. فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة، وهم على خلاف الطاعة! فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إسحاق بن عبد الله، عن المنذر بن جهم الأسدي، قال: رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلاناً شديداً. وجعلوا يخرجون إلى الحجاج

وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابنه حمزة وخبيب، فأخذاه منه لأنفسهما أماناً، فدخل على أمه أسماء - كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد، عن مخمرة بن سليمان الوالي، قال: دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمه، خذلي الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير عن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له. فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقتك يتلعب بها غلمان أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبنس العبد أنت! أهلكك نفسك، وأهلكك من قتل معك. وإن قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلوك في الدنيا! القتل أحسن. فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه. ولكني أحببت أن أعلم رايلك، فزدتني بصيرة مع بصيرتي. فانظري يا أمه فأني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إثيان منكراً، ولا عملاً بفاحشة، ولم يحرق في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته. ولم يكن شيء أتر عندي من رضا ربي. اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني. فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني، وإن تقدمتك ففي نفسي، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك. قال: جزاك الله يا أمه خيراً، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد. فقلت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتل على حق. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النجيب والظما في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبني. اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فإثني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

قال مصعب بن ثابت: فما مكث بعده إلا عشراً، ويقال: خمسة أيام.

قال محمد بن عمر: حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله، عن عمه قال: دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر، فوقف فسلم، ثم دنا فتناول يدها فقبلها. فقالت: هذا وداع فلا تبعد، قال ابن الزبير: جئت مودعاً، إني لأرى هذا آخر يوم من

بن عمر، قال: فحدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب، عن أبي المنذر. وحدثنا نافع مولى بني أسد، قال: لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير يصلي عامة الليل، ثم احتبى بمخاض سيفه فأغفى، ثم اتبته بالفجر فقال: أذن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير، وركع ركعتي الفجر، ثم تقدم، وأقام المؤذن فصلى بأصحابه، فقرأ ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ حرفاً حرفاً، ثم سلم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

اكتشفوا وجوهكم حتى أنظروا، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال: يا آل الزبير، لو طبت لي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اضطلنا في الله لم تصبنا زبلاء بته. أما بعد يا آل الزبير، فلا يرعكم وقع السيوف، فإني لم أضرب موطناً قط إلا ارتثت فيه من القتل، وما أجد من أدواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها. صرنا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، لا أعلم امرأ كسر سيفه، واستبقى نفسه، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل، غصوا أبصاركم عن البارقة، وليشغل كل امرئ امرئ قرنه، ولا يلهيكم السؤال عني، ولا تقولن: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيال الأول:

أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي النابيا أي صرف تيمما  
فلمست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرقن من خشية الموت سلماً  
احملوا على بركة الله.

ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، فرمي بأجرة فأصابته في وجهه فأرعرش لها، ودُمي وجهه، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما  
وتعاووا عليه.

قالا: وصاحت مولاة لنا مجنونة: وا أمير المؤمنيناه! قالوا: وقد رآته حيث هوى، فأشارت لهم إليه، فقتل وإن عليه ثياب خز. وجاء الخبر إلى الحجاج، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا، فقال الحجاج: تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين! قال: نعم، هو أعذر لنا، ولولا هذا ما كان لنا عذر، إنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو، فبلغ كلامهما عبد الملك، فصوب طارقاً.

حدثنا عمر قال: حدثنا أبو الحسن، عن رجاله، قال: كاني

الدنيا يمر بي، واعلمي يا أمه أنني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي، قالت: صدقت يا بني، أتمم على بصيرتك، ولا تخمك ابن أبي عقيل منك، وادن مني أودعك، فدنا منها فقبلها وعانقها، وقالت حيث مست الدرع: ما هذا صنع من يريد ما تريد! قال: ما لبست هذا الدرع إلا لأشدُّ منك، قالت العجوز: فإنه لا يشد مني، فنزعها ثم أدرج كمي، وشد أسفل قميصه، وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة، وأمه تقول: البس ثيابك مشمرة. ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول:

إنسي إذا أعرف يومسي أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر  
فسمعت العجوز قوله، فقالت: تصبر والله إن شاء الله، أبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب.

حدثني الحارث، قال: حدثني ابن سعد، قال: أخبرني محمد بن عمر، قال: أخبرنا ثور بن يزيد، عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام، قال: رأيته يوم الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله، لا يدخله غيرنا، فيخرج إلينا وحده في أثرا، ونحن منهزمون منه، فما أنسى أرجوزة له:

إنسي إذا أعرف يومسي أصبر وإني يعرف يوميه الحر  
إذا بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول: أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال: رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء، وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس، وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالاً وقائداً وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمع، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعاً في ناحية الأبطح إلى المروة، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية، ومرة في هذه الناحية. فلكانه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال. فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز:

إنسي إذا أعرف يومسي أصبر وإني يعرف يوميه الحر  
ثم يصيح: يا أبا صفوان، ويل أمه فتحاً لو كان له رجال!  
لو كان قرني واحداً كفتيه

قال ابن صفوان: إي والله وألف.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد



وانصرفوا إلى البصرة.

وفي هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاه أخاه بشر بن مروان، فصارت ولايتها ولاية الكوفة إليه. فشخص بشر لما ولي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث.

وفيهما غزا محمد بن مروان الصائفة. فهزم الروم.

وقيل: إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً. فهزمهم وأكثر القتل فيهم.

وأقام الحج في هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة. وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان، وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث. وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة. وعلى خراسان بكير بن وشاح.

أنظر إلى ابن الزبير وقد قتل غلاماً أسود ضربه فعرقبه، وهو يمر في حملته عليه ويقول: صبراً يا ابن حام، ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الجبار بن عمارة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان، ثم دخل الحجاج مكة، فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان.

### أخبار متفرقة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ولي عبد الملك طارقاً مولد عثمان المدينة فولياها خمسة أشهر.

وفي هذه السنة توفي بشر بن مروان في قول الواقدي، وأما غيره فإنه قال: كانت وفاته في سنة أربع وسبعين.

وفيهما أيضاً وجه - فيما ذكر - عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك، وأمره أن يندب معه من أحب من أهل المصريين، فقدم الكوفة فندب أهلها، فانتدب معه عشرة آلاف، ثم قدم البصرة فندب أهلها، فانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم، فأعطوها. ثم سار بهم عمر بن عبيد الله، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله، وجعل خيله في القلب، حتى انتهوا إلى البحرين، فصف عمر بن عبيد الله أصحابه. وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض، واستتروا بالبراذع. فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد، فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون، وارث عمر بن موسى بن عبيد الله، فهو في القتلى قد أنخن جراحة. فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تدمعوا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحاً فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تين كثير فأحرقوه. ومالت عليهم الريح، وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصلوهم في المشقر، فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله - منهم فيما ذكر - نحواً من ستة آلاف، وأسر ثمانمائة، وأصابوا جارية أمية بن عبد الله حبلى من أبي فديك

أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين. وأبعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً، وأبعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً حسيباً صليبا، يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب، ثم أنهض إليهم أهل المصريين فليتبعوهم أي وجه ما توجهاوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم. والسلام عليك.

فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب، وأمره أن ينتخب من شاء، فبعث مجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي - وهو خال يزيد ابنه - فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس، وشق على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك، فلا يستطيع أن يبعث غيره، فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب. ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة، وأمره أن ينتخب فرسان الناس وجوهم وأولي الفضل منهم والنجدة.

قال أبو مخنف: فحدثني أشياخ الحي، عن عبد الرحمن بن مخنف قال: دعاني بشر بن مروان فقال لي: إنك قد عرفت منزلتك مني، وأثرتك عندي، وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك، فكن عند أحسن ظني بك. انظر هذا الكذا كذا - يقع في المهلب - فاستبد عليه بالأمر، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً، وتنقصه وقصر به.

قال: فترك أن يوصيني بالجند، وقتل العدو، والنظر لأهل الإسلام، وأقبل يغريني بآبن عمي كائني من السفهاء أو ممن يستصبي ويستجهل، ما رأيت شيخاً في مثل هيتي ومنزلي طمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام مني، شب عمرو عن الطوق.

قال: ولما رأى أنني لست بالنشيط إلى جوابه قال لي: ما لك؟ قلت: أصلحك الله! وهل يسعني إلا إنفاذ أمرك في كل ما أحببت وكرهت! قال: امض راشداً. قال: فودعته وخرجت من عنده.

وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام مهرمز فلقني بها الخوارج، فخذق عليهم، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير، وعلى ربع عجم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وعلى ربع كندة وربيعة إسحاق بن محمد بن الأشعث، وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس. فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف. حيث تراءى العسكران برام مهرمز، فلم يلبث الناس إلا عسراً حتى أتاهم نعي بشر بن مروان، وتوفي بالبصرة، فأرفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة، واستخلف بشر خالد بن عبد الله بن أسيد، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث، وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة

## السنة الرابعة والسبعون

### ذكر ما فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر: فمما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة، واستعماله عليها الحجاج بن يوسف. فقدمها - فيما ذكر - فأقام بها شهراً ثم خرج معتمراً.

وفيهما كان - فيما ذكر - نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر، وجعل لها بابين، فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة، ثم انصرف إلى المدينة في صفر، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبت بأهل المدينة ويتعتهم، وبنى بها مسجداً في بني سلمة، فهو ينسب إليه.

واستخف فيها بأصحاب رسول الله ﷺ، فختسم في أعناقهم، فذكر محمد بن عمران بن أبي ذئب. حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله غتوماً في يده.

وعن ابن أبي ذئب، عن إسحاق بن يزيد، أنه رأى أنس بن مالك غتوماً في عنقه، يريد أن يذله بذلك.

قال ابن عمر: وحدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: رأيت الحجاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه، فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان! قال: قد فعلت. قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه برصاص.

وفيهما استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولاني - فيما ذكر الواقدي.

وفي هذه السنة شخص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة والياً عليها.

### ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة

وفي هذه السنة ولي المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك.

#### ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها:

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه.

أما بعد: فأبعت المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة، وليتخب من أهل مصره وجوهم وفرسانهم وأولي الفضل والتجربة منهم، فإنه أعرف بهم وخله ورأيه في الحرب، فإني

أما بعد. فإنكم تركتم مكتبكم وأقبلتم عاصين مغالين،  
فليس لكم عندنا إذن ولا أمان.

فلما آتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى  
رحالهم، فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف.

### عزل بكير بن وشاح عن خراسان

#### وولاية أمية بن عبد الله عليها

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن  
خراسان وولاه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

#### ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية:

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم أمية  
عليها والياً ستين في قول أبي الحسن، وذلك أن ابن خازم قتل  
سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين.

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيراً - فيما ذكر  
عليّ عن المفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت  
في رأس ابن خازم حين قتله، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل  
عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فلما بلغ ذلك  
بكيراً أرسل إلى بحير ليصالحه، فأبى عليه وقال: ظن بكير أن  
خراسان تبقى له في الجماعة! فعمشت السفراء بينهم، فأبى بحير،  
فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي. فقال: ألا أراك مانقاً! يرسل  
إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أسيره، والمشرقي في يده - ولو  
قتلك ما حقت فيك عترة - ولا تقبل منه! ما أنت بموفق. أقبل  
الصلح، واخرج وأنت على أمرك. فقبل مشورته. وصالح بكيراً،  
فأرسل إليه بكير باريعين ألفاً، وأخذ على بحير ألا يقاتله. وكانت  
تميم قد اختلفت بخراسان، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون  
له، فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد، ويقهرهم  
عدوهم من المشركين، فكتبوا إلى عبد الملك بن مروان.

إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش  
لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه، فقال عبد الملك: خراسان ثغر  
المشرق، وقد كان به من الشر ما كان، وعليه هذا التميمي، وقد  
تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه، فيهلك الثغر  
ومن فيه. وقد سألوا أن أولي أمرهم رجلاً من قريش فيسمعوا له  
ويطيعوا، فقال أمية بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، تداركهم برجل  
منك، قال: لولا انخيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل. قال:  
يا أمير المؤمنين، والله ما انحزرت حتى لم أجد مقاتلاً، وخذلي  
الناس، فرأيت أن انخيازي إلى فئة أفضل من تعريضي عصبه  
بقيت من المسلمين للهلكة، وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن

زحر بن قيس وإسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد  
الرحمن بن سعيد بن قيس، فبعث عبد الرحمن بن مخنف ابنه  
جعفرًا في آثارهم، فرد إسحاق ومحمدًا، وفاته زحر بن قيس،  
فحبسهما يومين، ثم أخذ عليهما ألا يفارقاه، فلم يلبثا إلا يوماً  
حتى انصرفا، فأخذوا غير الطريق، وطلباً فلم يلحقا، وأقبلا حتى  
لحقا زحر بن قيس بالأهواز، فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد  
البصرة، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب إلى الناس كتاباً  
وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له،  
فقرأ الكتاب على الناس، وقد جمعوا له.

بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن عبد الله، إلى من  
بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد  
إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن الله كتب على عباده  
الجهاد، وفرض طاعة ولاية الأمر، فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه،  
ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى، ومن عصى ولاية  
الأمر والقوام بالحق أسخط الله عليه، وكان قد استحق العقوبة  
في بشره، وعرض نفسه لاستفائة ماله وإلقاء عطائه، والتسيير إلى  
أبعد الأرض وشر البلدان. أيها المسلمون، اعلموا على من  
اجترأتم ومن عصيتم! إنه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين،  
الذي ليست فيه غميمة، ولا لأهل المعصية عنده رخصة، سوطه  
على من عصى، وعلى من خالف سيفه، فلا تجمعوا على أنفسكم  
سبيلاً، فإني لم ألكم نصيحة.

عباد الله، ارجعوا إلى مكتبكم وطاعة خليفتمكم، ولا  
ترجعوا عاصين مغالين فيأتكم ما تكرهون. أقسم بالله لا أثقف  
عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله، والسلام عليكم  
ورحمة الله.

وأخذ كلما قرأ عليهم سطرًا أوسطرين قال له زحر:  
أوجز، فيقول له مولى خالد: والله إني لأسمع كلام رجل ما يريد  
أن يفهم ما يسمع. أشهد لا يعييج، بشيء مما في هذا الكتاب.  
فقال له: أقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به، ثم ارجع إلى  
أهلك، فإنك لا تدري ما في أنفسنا.

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما في كتابه، وأقبل  
زحر وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية  
لآل الأشعث إلى جانب الكوفة، وكتبوا إلى عمرو بن حريث.

أما بعد: فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه  
تفرقوا فلم يبق معنا أحد، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا، وأحبينا  
ألا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه.

فكتب إليهم.

بن أبي بكرة، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري - قال: وكان خالد كتب إليه بعذره، ويخبره أن الناس قد خذلوه - فقال مرار: صدق أمية يا أمير المؤمنين، لقد صبر حتى لم يجد مقاتلاً، وخذله الناس. فولاه خراسان، وكان عبد الملك يجب أمية، ويقول: نتيجتي أي لدتي، فقال الناس: ما رأينا أحداً عوض من هزيمة ما عرض أمية، فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان، فقال رجل من بكر بن وائل في محبس بكير بن وشاح: أتلك العيس تنفخ في براها تكشف عن مناكها القطوع كأن مواقع الأكوار منها حمام كنائس يقع وقوع بابيض من أمية مضرحي كان جينة سيف صنيع ومجير يومئذ بالسنج يسأل عن مسير أمية، فلما بلغه أنه قد قارب أبرشهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين - أو زير-: دلني على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه، ولك كذا وكذا، وأجزل لك العطية، وكان عالماً بالطريق فخرج به فسار من السنج إلى أرض سرخس في ليلة، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر، فلقبه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم، ويخف على الوالي مؤونتهم، ورفع عن بكير أموالاً أصابها، وحذره غدره.

قال: وسار معه حتى قدم مرو، وكان أمية سيداً كريماً، فلم يعرض لبكير ولا لعماله، وعرض عليه أن يولييه شرطته، فأبى بكير، فولاهما مجير بن ورقاء، فلام بكيراً رجال من قومه، فقالوا: أبيت أن تلي، فولى مجيراً وقد عرفت ما بينكما! قال: كنت أمس والي خراسان تحمل الحراب بين يدي، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحرية!

وقال أمية لبكير: اختر ما شئت من عمل خراسان، قال: طخارستان، قال: هي لك. قال: فتجهز بكير وأنفق مالا كثيراً، فقال مجير لأمية: إن أتى بكير طخارستان خلعتك، فلم يزل يحذره حتى حذر، فأمره بالمقام عنده.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف. وكان ولي قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن غزوة قبل شخوصه إلى المدينة كذلك، ذكر ذلك عن محمد بن عمر.

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة، ولا نعلم صحة ذلك.

## السنة الخامسة والسبعون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش.

وفي هذه السنة ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة.

وفي هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان.

## ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها

وفيها قدم الحجاج الكوفة.

فحدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن يحيى أبو غسان، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر ركباً على التجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه، وقد كان بشر بعث المهلب إلى الحروورية، فبدأ بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء، فقال: عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خارجة، فهموا به، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثياث متى أضع العمامة تعرفوني  
أما والله إني لأهل الشر محمله، وأحدوه بنعله، وأجزيه  
بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأنظر  
إلى الدماء بين العمام والمحي.

قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم  
ليس براعي إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضيم  
قد لفها الليل بعصلي أروع خراج من السدوي  
مهاجر ليس بأعرابي  
ليس أوان يكره الخلط جاء به والقلص الأعلاط  
تهوى هوي سابق الغلط

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا  
يقعق لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية  
القصوى. إن أمير المؤمنين، عبد الملك ثر كنانته ثم عجم عيدانها

فوجدني أمرها عوداً، وأصلبها مكسراً، فوجهني إليكم، فإنكم  
طالما أوضعتم في الفتن، وسنتم سنن الغي. أما والله لأخونكم  
لحو العود، ولأعصينكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب  
غرائب الإبل. إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فريت.  
فيايى وهذه الجماعات وقيلاً وقالا، وما يقول، وفيهم أنتم وذاك؟  
والله لتستقيم على سبل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً  
في جسده. من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه،  
وانتهت ماله.

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك.

قال: ويقال: إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير  
حصى فأراد أن يحصبه بها، وقال: قاتله الله! ما أعياء وأدمه!  
والله إني لأحسب خبره كروانه. فلما تكلم الحجاج جعل  
الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به، وأن الحجاج قال في خطبته.

شاهت الوجوه! إن الله ضرب ﴿مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ أَقْنَةً  
مُطْمَئِنَّةً بِأَيِّهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ  
فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، وأنتم  
أولئك وأشباه أولئك، فاستوثقوا واستقيموا. فوالله لأذيقنكم  
الهوان حتى تدروا، ولأعصينكم عصب السلمة حتى تنقادوا،  
أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف، وكان  
وكان، وأخبرني فلان عن فلان، والهبر وما الهبر! أو لأهبرنكم  
بالسيف هبراً يدع النساء أيامي، والولدان يتامى، وحتى تمشوا  
السهمى، وتقلعوا عن هاوها. إياي وهذه الزرافات، لا يركبن  
الرجل منكم إلا وحده. ألا إنه لو ساع لأهل المعصية معصيتهم  
ما جبي في ولا قوتل عدو، ولعطت الثغور، ولولا أنهم يفسزون  
كرهاً ما غزو طوعاً، وقد بلغني رفضكم المهلب، وإقبالكم على  
مصركم عصاة مخالفين، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد  
ثلاثة إلا ضربت عنقه.

ثم دعا العرفاء فقال: الحقوا الناس بالمهلب، وأتوني  
بالبراءات بموافقاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى  
تنقضي هذه المدة.

تفسير الخطبة: قوله أنا ابن جلا، فابن جلا الصبح لأنه  
يجلو الظلمة. والثياث: ما صغر من الجبال ونثاً. وأينع الثمر: بلغ  
إدراكه. وقوله: فاشتدي زيم، فهي اسم للحرب، والحطم: الذي  
يحطم كل شيء يمر به. والوضم: ما بقي به اللحم من الأرض.  
والعصلي: الشديد. والدوية: الأرض الفضاء التي يسمع فيها  
دوي أخفاف الإبل. والأعلاط: الإبل التي لا أرسان عليها. أنشد  
أبو زيد الأصمعي:

واعرورت العلط المرضي تركضه أم الفوارس بالدينا والريعه

وغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن الغطاء المقبل  
بفتح الغين. قال: والغطاط بضم الغين: اختلاط الضوء  
بالظلمة من آخر الليل، قال الراجز:  
قام إلى آدماء في الغطاط يمشي بمثل قائم الفسطاط  
تم التفسير.

قال: فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي ثم الحنظلي فقال:  
أصلح الله الأمير! أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبير عليل، وهذا  
ابني، وهو أشب مني، قال: ومن أنت؟ قال: عمير بن ضابئ  
التميمي، قال: أسمعت كلامنا بالأمس؟ قال: نعم، قال: ألت  
الذي غزا أمير المؤمنين عثمان؟ قال: بلى، قال: وما حملك على  
ذلك؟ قال: كان حبس أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: أوليس  
يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلالته  
إني لأحسب في قتلك صلاح المصريين، قم إليه يا حرسى  
فاضرب عنقه، فقام إليه رجل فاضرب عنقه، وأنهب ماله.

ويقال: إن عتبة بن سعيد قال للحجاج: أنعرف هذا؟  
قال: لا، قال: هذا أحد قتله أمير المؤمنين عثمان، فقال الحجاج:  
يا عدو الله، أفلا إلى أمير المؤمنين بعثت بديلاً! ثم أمر بضرب  
عنقه وأمر منادياً فنادى: ألا إن عمير بن ضابئ أتى بعد ثالثة،  
وقد كان سمع النداء، فأمرنا بقتله. ألا فإن ذمة الله بريئة ممن  
بات الليلة من جند المهلب. فخرج الناس فازدحموا على الجسر،  
وخرجت العرفاء إلى المهلب وهو برامهرمز فاخذوا كتبه بالمرافاة،  
فقال المهلب: قدم العراق اليوم رجل ذكر: اليوم قوتل العدو.

قال ابن أبي عبيدة في حديثه: فعبر الجسر تلك الليلة أربعة  
آلاف من مذبح، فقال المهلب: قدم العراق رجل ذكر.

قال عمر عن أبي الحسن، قال: لما قرأ عليهم كتاب عبد  
الملك قال القارىء: أما بعد، سلام عليكم فإني أحد إليكم الله.  
فقال له: اقطع، يا عبيد العصا، أسلم عليكم أمير المؤمنين فلا  
يرد راد منكم السلام! هذا أدب ابن نهي، أما والله لأؤدبنكم غير  
هذا الأدب، أبدأ بالكتاب، فلما بلغ إلى قوله: (أما بعد، سلام  
عليكم)، لم يبق منهم أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام  
ورحمة الله.

قال عمر: حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن  
مسمع، قال: حدثني عمرو بن سعيد، قال: لما قدم الحجاج الكوفة  
خطبهم فقال: إنكم قد أخلتكم بعسكر المهلب، فلا يصحح بعد  
ثالثة من جنده أحد، فلما كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمي، فقال:  
من بك؟ قال: عمير بن ضابئ البرجمي، أمرته بالخروج إلى

والشنان، جمع شنة: القرية البالية اليابسة، قال الشاعر:  
كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجله يشن  
وقوله: فجعم عيدينها أي عضها، والعجم بفتح الجيم:  
حب الزبيب، قال الأعشى:

وملفوظها كلفيط العجم

وقوله: أمرها عوداً، أي أصلها، يقال: جبل مر، إذا كان  
شديد القتل. وقوله: لأعصبنكم عصب السلمة، فالعصب  
القطع، والسلمة، شجرة من العضا. وقوله: لا أخلق إلا فريت،  
فالخلق: التقدير، قال الله تعالى: ﴿مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ  
مُخْلَقَةٍ﴾، أي مقدره وغير مقدره، يعني ما يتم وما يكون سقطاً،  
قال الكمي يصف قرية:

لم تجشم الخالقات فريتها ولم يفض من نطاقها السرب  
وإنما وصف حواصل الطير، يقول: ليست كهذه. وصخرة  
خلقاء، أي ملساء، قال الشاعر:

ويهو هواء فوق مور كانه من الصخرة الخلقاء زحلق ملعب  
ويقال: فريت الأديم إذا أصلحته، وأفريت، بالألف إذا  
أنت أفسدته. والسَّمَى: الباطل، قال أبو عمرو الشيباني: وأصله  
ما تسميه العامة غاط الشيطان، وهو لعاب الشمس عند الظهيرة،  
قال أبو النجم العجلي:

وذاب للشمس لعاب فترزل وقام ميزان الزمان فاعتدل  
والزرافات: الجماعات. تم التفسير.

قال أبو جعفر: قال عمر: فحدثني محمد بن يحيى، عن عبد  
الله بن أبي عبيدة، قال: فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في  
السوق، فخرج حتى جلس على المنبر، فقال.

يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوىء  
الأخلاق، إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراء الله به في  
الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراء به الترهيب، وقد عرفت أنها  
عجاجة تحتها قصف. يا بني اللكيعة وعبيد العصا، وأبناء الأيامي،  
ألا يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه، ويبصر  
موضع قدمه! فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون  
نكالا لما قبلها، وأدبا لما بعدها.

قوله: تحتها قصف، فهو شدة الريح. والمكعاء: الورهاء،  
وهي الحمقاء من الإمام. والظلس: الضعف والوهن من شدة  
السير. وقوله: تهوى هوى سابق الغطاء، فالغطاط بضم الغين:  
ضرب من الطير.

قال الأصمعي: الغطاء بفتح الغين: ضرب من الطير،  
وأنشد لحسان بن ثابت:

## ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة

وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة.

## ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به:

ذكر هشام، عن أبي مخنف، عن أبي زهير العبسي، قال: خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعدما قدمها، وقتل ابن الضائب من فوره ذلك حتى قدم البصرة. فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة، وتوعدهم مثل وعيده إياهم، فأتى برجل من بني يشكر قبيل: هذا عاص، فقال: إن بي فتقاً. وقد رآه بشر فعذرني. وهذا عطائي مردود في بيت المال، فلم يقبل منه وقتله، ففرغ لذلك أهل البصرة، فخرجوا حتى تذاكروا على العارض بقطرة رامهرمز، فقال المهلب: جاء الناس رجل ذكر.

وخرج الحجاج حتى نزل رستقباد في أول شعبان سنة الخامسة وسبعين فثار الناس بالحجاج، عليهم عبد الله بن الجارود، فقتل عبد الله بن الجارود، وبعث بثمانية عشر رأساً فنصبت براهمرز للناس، فاشتدت ظهور المسلمين، وساء ذلك الخوارج، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف، فانصرف الحجاج إلى البصرة.

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من مستوى في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً، فقام في الناس، فقال: إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق، ولست أجزئها.

فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتنا لنا. فكذبه وتوعدته، فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس، فاقتتلوا قتلاً شديداً، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه، وبعث برأسه ورؤوس عشرة من أصحابه إلى المهلب، وانصرف إلى البصرة، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن بن مخنف: أما بعد، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج، والسلام.

## نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

وفي هذه السنة نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن

رامهرمز.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة:

ذكر هشام عن أبي مخنف، عن أبي زهير العبسي، قال:

معسكره فضربي - وكذب عليه. فأرسل الحجاج إلى عمير بن ضائب، فأتى به شيخاً كبيراً، فقال له: ما خلقتك عن معسكرك؟ قال: أنا شيخ كبير لا حراك بي، فأرسلت ابني بديلاً فهو أجلد مني جلدًا، وأحدث مني سنًا، فسل عما أقول لك، فإن كنت صادقاً وإلا فعاقبي. قال: فقال عتبة بن سعيد: هذا الذي أتى عثمان قتيلاً، فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه، فأمر به الحجاج فضربت عنقه. قال عمرو بن سعيد: فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعت رجلاً مضرباً، فعدلت إليهم فقلت: ما الخبر؟ فقالوا: قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحي من ثمود، أسقف الساقين، ممسوح الجاعرتين، أخفش العينين، فقدم سيد الحي عمير بن ضائب فضرب عنقه.

ولما قتل الحجاج عمير بن ضائب لقي إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير:

أقول لإبراهيم لما لقيته أرى الأمر أمسى منصباً متشعباً تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى سوى الجيش إلا في المهالك مذهباً تخير فإما أن تزور ابن ضائب عميراً وإما أن تزور المهلبا هما خططنا كره نجاؤك منهما ركوبك حولياً من الثلج أشهباً فحال ولو كانت خراسان دونه رأها مكان السوق أو هي أقربا فكانت ترى من مكروه العدو مسمن تحمم حنو السرج حتى تحبنا

وكان قدوم الحجاج الكوفة - فيما قيل - في شهر رمضان من هذه السنة، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً، وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله، فلما بلغ خالداً الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم، فنزل الجلحاء وشيعه أهل البصرة. فلم يرح مصلا حتى قسم فيهم ألف ألف.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

ووفد يحيى بن الحكم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان، وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقر على عمله على ما كان عليه بالمدينة. وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف. وعلى خراسان أمية بن عبد الله. وعلى قضاء الكوفة شريح. وعلى قضاء البصرة زرار بن أوفى.

وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رستقباد.

إلى الحجاج، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فنعى عبد الرحمن بنى، وذم أهل الكوفة، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء، وأمره إذا ضمتها الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع، فسأه ذلك، فلم يجده بدأ من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب، وهو في ذلك يقضي أموره، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء. فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالاً من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة، فاغراهم بعتاب.

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد: إن عتاباً أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه، فأجلسه المهلب معه على مجلسه، قال: فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غلظة وتجهم، قال: فقال له المهلب: وإنك لها هنا بابن اللخناء! فبنو تميم يزعمون أنه رد عليه، وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال: واللّه إنها لَمَعَمَّةٌ مخولة، ولوددت أن الله فرق بيني وبينك. قال: فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه، فوثب عليه ابنه المغيرة، فقبض على القضيب وقال: أصلح الله الأمير! شيخ من أشياخ العرب، وشریف من أشرافهم، إن سمعت منه بعض ما تكرهه فاحتمله له، فإنه لذلك منك أهل، ففعل، وقام عتاب فرجع من عنده، واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه، ويقع فيه.

فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل مصر، ويسأله أن يضمه إليه، فوافق ذلك من الحجاج حاجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب، فبعث إليه أن أقدم واركب ذلك الجيش إلى المهلب، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب.

وقال حميد بن مسلم يريي عبد الرحمن بن مخنف:

إن يقتلوك أبا حكيم غدوة فلقد تشد وتقتل الأبطالاً  
أو يثكلونا سيداً لمسود سمح الخليفة ماجداً مفضالاً  
فلمثل قتلك هد قومك كلهم من كان يحمل عنهم الأثقالاً  
من كان يكشف غرمهم وقتلهم يوماً إذا كان القتال نزالاً  
أقسمت ما نيلت مقاتل نفسه حتى تدرع من دم سريالاً  
وتتاجز الأبطال تحت لوائه بالمشرفة في الأكف نصالاً  
يوماً طويلاً ثم آخر للهم حين استبانوا في السماء هلالاً  
وتكشفت عنه الصفوف وخيله فهناك نالته الرماح فمالاً

وقال سراقه بن مرداس البارقى:

أعني جوداً بالدموع السواكب وكونا كواهي شنة مع راكب  
على الأزرد لما أن أصيب سراتهم فتوحا لعيش بعد ذلك خائب

ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة الخامسة وسبعين، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم، وخرج القوم كأنهم على حامية، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون، وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان، فخذق المهلب عليه، فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف: إن رأيت أن تخذق عليك فافعل، وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا: إنما خندقتنا سيوفنا. وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيتوه، فوجدوه قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخذق، فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لمن العسكر المكلل بالصر عى فهم بين ميت وقيل  
فتراهم تسفي الرياح عليهم حاصب الرمل بعد جر الذبول  
وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف: أن ناهضاً الخوارج حين يأتيكمما كتابي. فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة الخامسة وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه، وذلك بعد الظهر، فمالت الخوارج مجدها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره، فسرح إلى عبد الرحمن رجالاً من صلحاء الناس، فأتوه، فقالوا: إن المهلب يقول لك: إنما عدونا واحد، وقد ترى ما قد لقي المسلمون، فأمد إخوانك يرحمك الله. فآخذ بمدّه بالخيال بعد الخيل، والرجال بعد الرجال، فلما كان بعد العصر ورات الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خف أصحابه، فجعلوا الخامسة كتاب أو ستاً تجاه عسكر المهلب، وانصرفوا مجدهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف، فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود، وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي واصلب معه بالكوفة، ونزل معه من خاصة قومه أحد وسبعون رجلاً، وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالاً شديداً. ثم إن الناس انكشفوا عنه، فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب، فنأدى الناس لبيتعه إلى أبيه، فلم يتبعه إلا ناس قليل، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه، فقاتل حتى ارتتته الخوارج، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل، ثم قتل في تلك العصابة، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفته وصلى عليه، وكتب بمصابه



نرجسي الخلود بعدهم وتوقنا عرائق موت أو قراع الكتائب  
 وكنا بخير قبل قتل ابن غننف وكل امرئ يوماً لبعض المذاهب  
 أمار دموع الشيب من أهل مصره وعجل في الشبان شيب الذوائب  
 وقاتل حتى مات أكرم ميتة وخر على خد كريم وحاجب  
 وضارب عنه المارقين عصابة من الأزد تمشي بالسيف القواضب  
 فلا ولدت أنثى ولا آب غائب إلى أهله إن كان ليس بسآيب  
 فبا عين بكّي مخنفاً وابن مخنف وفرسان قومي قصرة وأقاريب  
 وقال سراقة أيضاً يرثي عبد الرحمن بن مخنف:

نوى سيد الأزدين أزد شنوءة وأزد عمان رهن رمس بكازر  
 وضارب حتى مات أكرم ميتة بأبيض صاف كالعقيقة باتر  
 وصُرّع حول التل تحت لوائه كرام المساعي من كرام المعاشر  
 قضى نجه يوم اللقاء ابن مخنف وأدبر عنه كل السوث دائر  
 أمد فلم يمدد فراح مشمراً إلى الله لم يذهب بأتواب غادر  
 وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة.

وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس، وكان يرى رأى الصفرية. وقيل: إنه أول من خرج من الصفرية.

### ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج

#### وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس حج سنة الخامسة وسبعين ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم.

وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان، فهم شبيب بالفتك به، وبلغه ذره من خبرهم، فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم، وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليعدهم، فنبت بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج، فتنكبها.

## السنة السادسة والسبعون

## ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح.

## ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

## وعن سبب خروجه

وكان سبب خروجه - فيما ذكر هشام عن أبي خنيفة، عن عبد الله بن علقمة، عن قبيصة عن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً غيباً مصفر الوجه، صاحب عبادة، وأنه كان بداراً وأرض الموصل والجزيرة، له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا أن قصص صالح بن مسرح عنده، وكان ممن يرى رأيهم، فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم، ففعل.

وكان قصصه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾. اللهم إنا لا نعدل بك ولا نحقد إلا إليك، ولا نعبد إلا إياك، لك الخلق والأمر، ومنك النفع والضرر، وإليك المصير. ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفيته. ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك، ونصيحة عبادك، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة، ونصح للأمة، ودعا إلى الحق، وقام بالقيسط، ونصر الدين، وجاهد المشركين، حتى توفاه الله ﷻ.

أوصيكم بتقوى الله والزهدي في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت. وفراق الفاسقين، وحب المؤمنين، فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله، وتفرغ بدنه لطاعة الله، وإن كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه حتى يجار إليه، ويستكين له، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين، قال الله في كتابه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيهِ وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وإن حب المؤمنين للسبب الذي تُنال به كرامة الله ورحمته وجنته، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين. ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووقفهم في دينهم، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، حتى قبضه الله، صلوات الله عليه، ثم ولي الأمر من بعده التقي الصديق على الرضا من المسلمين، فاقتدى بهديه، واستن بسنته، حتى لحق بالله - رحمه

الله - واستخلف عمر، فولاه الله أمر هذه الرعية، فعمل بكتاب الله، وأحيا سنة رسول الله، ولم يحنق في الحق على جرت، ولم يخف في الله لومة لائم، حتى لحق به رحمة الله عليه، وولي المسلمين من بعده عثمان، فاستأثر بالفيء، وعطل الحدود، وجار في الحكم، واستذل المؤمن، وعزز المجرم، فسار إليه المسلمون فقتلوه، فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين، وولي أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب، فلم ينشب أن يحكم في أمر الله الرجال، وشك في أهل الضلال، وركن وأدهن، فنحن من علي وأشياعه براء، فتيسروا رحمتكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة، وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء، وللحاق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة، ولا تحزعوا من القتل في الله، فإن القتل أيسر من الموت، والموت نازل بكم غير ما ترجم الظنون، فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم، وحلائكم ودنياكم، وإن اشتد لذلك كرهكم وجزعكم. ألا يبيعوا الله أنفسهم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين. وتعانقوا الحور العين، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

قال أبو خنيفة: فحدثني عبد الله بن علقمة، قال: بينا أصحاب صالح يحتفلون إليه إذ قال لهم ذات يوم: ما أدري ما تنتظرون! حتى متى أنتم مقيمون! هذا الجور قد فشا. وهذا العدل قد عفا، ولا تزداد هذه الولاة على الناس إلا غلواً وعتواً، وتباعدوا عن الحق، وجراً على الرب، فاستعدوا وأبعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون، فيأتوكم فنلتقي وننظر فيما نحن صانعون. وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون.

قال: فتراسل أصحاب صالح، وتلاقوا في ذلك. فبينما هم في ذلك إذ قدم عليهم الحلال بن وائل الشكري بكتاب من شيب إلى صالح بن مسرح.

أما بعد، فقد علمت أنك كنت أردت الشخص، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبت لك. فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأت شيخ المسلمين، ولن نعدل بك منا أحداً، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني، فإن الأجال غادية ورائحة، ولا آمن أن تحترمني المنية ولما أجاهد الظالمين. فيا له غبناً، ويا له فضلاً متروكاً! جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه، والنظر إلى وجهه. ومرافقة الصالحين في دار الإسلام. والسلام عليك.

قال: فلما قدم على صالح الحلال بن وائل بذلك الكتاب من شيب كتب إليه صالح.

عاملون أنتم عنه مسؤولون، وإن عظمكم رجاله، وهذه دواب لحمد بن مروان في هذا الرستاق، فابعدوا بها، فشدوا عليها، فاحملوا أراجلكم، وتقروا بها على عدوكم.

فخرجوا فآخذوا تلك الليلة الدواب فحملوا رجالتهم عليها، وصارت رجالتها فرساناً أقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة، وتحصن منهم أهل دار وأهل نصيبين وأهل سنجار، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال: وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة، فاستخف بأمرهم، وبعث إليهم عدي بن عدي بن عميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة، فقال له: أصلح الله الأمير! أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة! قد خرج معه رجال من ربيعة قد سمو لي، كانوا يعازوننا، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل! قال له: فإني أريدك خمسمائة أخرى، فسر إليهم في ألف، فسار من حران في ألف رجل، فكان أول جيش سار إلى صالح وسار إليه عدي، وكائنا يساق إلى الموت، وكان عدي رجلاً يتنكس، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلاً دسه إليه من بني خالد من بني الورثة، يقال له: زياد بن عبد الله، فقال: إن عدياً بعثني إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلداً آخر فتقاتل أهله، فإن عدياً للقاتك كاره، فقال له صالح: ارجع إليه، فقل له: إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك ما نعرف، ثم نحن مدجون عنك من هذا البلد إلى غيره، وإن كنت على رأي الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا، فإن شئنا بداننا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك.

فانصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به، فقال له: ارجع إليه فقل له: إني والله ما أنا على رأيك، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك، فقاتل غيري، فقال صالح لأصحابه: اركبوا، فركبوا وجلس الرجل عنده حتى خرجوا، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتي عدي بن عدي بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى، فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم، فلما بصروا بها تبادوا، وجعل صالح شبيهاً في كتيبة في ميمنة أصحابه، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيان في كتيبة في ميسرة أصحابه، ووقف هو في كتيبة في القلب، فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية، وبعضهم يحول في بعض، فأمر شبيهاً فحمل عليهم، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا، وأتى عدي بن عدي بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه، وجاء صالح بن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه، وذهب فل عدي وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان، فغضب، ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعا

أما بعد، فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني حتى أهمني ذلك، ثم إن امرأ من المسلمين نبأني بنبأ خرجك ومقدمك، فنحمد الله على قضاء ربنا. وقد قدم علي رسولك بكتابك، فكل ما فيه قد فهمته، ونحن في جهاز واستعداد للخروج، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك، فأقبل إلينا، ثم أخرج بنا متى ما أحببت، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه، ولا تقضى دونه الأمور. والسلام عليك.

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه، منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم، والحلحل بن وائل الشكري، والصقر بن حاتم من بني تيم بن شيان، وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني محلم، والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيان، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بدارا، فلما لقيه قال: أخرج بنا رحلك الله! فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً، ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً. فبث صالح رسله في أصحابه، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين. فاجتمع بعضهم إلى بعض، وتهيئوا، وتيسروا للخروج في تلك الليلة، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لميعاده.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط الأزدي، قال: والله إني لمع شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخرجهم، قال: لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج، فكان رأيي استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض، فقلت إليه فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدعاء، أم ندعوهم قبل القتال؟ وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني فيهم برأيك، أما أنا فأرى أن تقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً، فلما نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله، واستحوذ عليهم الشيطان. فقال: لا بل ندعوهم، فلعمري لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك، والدعاء أقطع لحجتهم، وأبلغ في الحجة عليهم. قال: فقلت له: فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به؟ ما تقول في دماهم وأموالهم؟ فقال: إن قاتلنا وغنمنا فلنا، وإن تجاوزنا وعفونا فموسع علينا ولنا. قال: فأحسن القول وأصاب، رحمة الله عليه وعلينا.

قال أبو مخنف: فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج: اتقوا الله عباد الله، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم، وينصبون لكم، فإنكم إما خرجتم غضباً لله حيث انتهكت محارمه، وعصي في الأرض، فسفكت الدماء بغير حلها، وأخذت الأموال بغير حقها، فلا تعيبوا على قوم أعمالاً ثم تعلموا بها، فإن كل ما أنتم

العصر - وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس، فهو في كردوس، وشبيب في كردوس في ميمته، وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة، في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً.

فلما شد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم، وثبت صالح بن مسرح فقتل، وضارب شبيب حتى صرع، فوقع في رجالة، فشد عليهم فانكشفوا، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح بن مسرح فأصابه قتيلاً، فنادى: إلي يا معشر المسلمين، فلاذوا به، فقال لأصحابه: ليعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن، ونرى رأينا، ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلاً بشبيب، وأحاط بهم الحارث بن عميرة عمسياً، وقال لأصحابه: احرقوا الباب، فإذا صار جمرأ فدعوه فإنهم لا يقدرّون على أن يخرجوا منه حتى نصبحهم ففقتلهم. ففعلوا ذلك بالباب، ثم انصرفوا إلى عسكرهم، فأشرف شبيب عليهم وطانفة من أصحابه، فقال بعض أولئك الفرض: يا بني الزواني، ألم يترككم الله! فقالوا: يا فساق، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعماكم الله عن الحق الذي نحن عليه، فما عذركم عند الله في الفرى على أمهاتنا! فقال لهم حلماؤهم: إنما هذا من قول شباب فينا سفهاء، والله ما يعجبنا قولهم ولا نستحلّه. وقال شبيب لأصحابه: يا هؤلاء، ما تنتظرون! فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه هلاككم، فقالوا له: مرنا بأمرك، فقال لهم: إن الليل أخفى للويل، بايعوني ومن شئت منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم، فإنهم لذلك منكم آمنون، وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم. قالوا: فابسط يدك فلبنايكم، فبايعوه، ثم جاؤوا ليخرجوا، وقد صار بابهم جمرأ، فأتوا باللبود فبلوها بالماء، ثم القوها على الجمر، ثم قطعوا عليها، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيف في جوف عسكرهم، فضارب الحارث حتى صرع، واحتمله أصحابه وانهمزوا، وخلوا لهم العسكر وما فيه، ومضوا حتى نزلوا المدائن، فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سته.

خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره

### مع الحجاج

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة.

الحارث بن جعونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعاهما، فقال: اخرجوا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة، وعجلا الخروج، وأغذا السير، فايكما سبق فهو الأمير على صاحبه، فخرجا من عنده فأغذا السير، وجعلا يسالان عن صالح بن مسرح فيقال لهما: إنه توجه نحو أمّد، فأتبعاه حتى انتهيا إليه، وقد نزل على أهل أمّد فنزلا ليلاً فخذقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته، فوجه صالح شبيباً إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه، وتوجه هو نحو خالد بن جزء السلمي.

قال أبو مخنف: فحدثني المحلمي، قال: انتهوا إلينا في أول وقت العصر، فصلى بنا صالح العصر، ثم عبانا لهم فاقبلنا كأشد قتال اقبلته قوم قط، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهمزهم، وعلى العشرين فكذلك، وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا.

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ جل من معهم فترجل، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد، إذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالتهم بالرماح، ونضحتنا رماهم بالنبل، وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك، فقاتلناهم إلى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم، وقد أفسوا فينا الجراحة، وأفشيناها فيهم، وقد قتلوا منا نحواً من ثلاثين رجلاً، وقتلنا منهم أكثر من سبعين، والله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا، فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما نقدم عليهم، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم، ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر.

ثم إن صالحاً دعا شبيباً ورؤوس أصحابه فقال: يا أخلائي، ماذا ترون؟ فقال شبيب: أرى أنا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم، وقد اعتصموا بمخندقهم، فلا أرى أن نقيم عليهم، فقال صالح: وأنا أرى ذلك، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة، ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة.

فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة، ألف من المقاتلة الأولى، وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج. فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين، وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المديح من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوحى، وصالح يومئذ في تسعين رجلاً، فعقب الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه، وجعل على ميمته أبا السرواغ الشاكري، وعلى ميسرته الزبير بن الأروح التميمي، ثم شد عليهم - وذلك بعد

ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر  
الحجاج بها والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك:

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف،  
عن عبد الله بن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن  
شبيباً لما قتل صالح بن مسرح بالمديح وبايعه أصحاب صالح،  
ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيار بن المضاء التيمي  
تيم شيبان، فدعاه إلى الخروج معه، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا  
في الديوان والمغازي، فاشتراط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين  
فارساً، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عدداً. ففعل، فانتخب  
ثلاثين فارساً، فانطلق بهم نحو عترة، وإنما أرادهم ليشفي نفسه  
منهم لقتلهم أخاه فضالة، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك  
في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض  
الجلال، عليه أثلة عظيمة، وعليه عترة، فلما رآته عترة قال  
بعضهم لبعض: نقتلهم ثم ندعو بهم إلى الأمير فنعطى ونحبي،  
فاجمعوا على ذلك، فقال بنو نصر أخواله: لعمر الله لا نساعدكم  
على قتل ولدنا. فنهضت عترة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم، وأتوا  
برؤوسهم عبد الملك بن مروان، فلذلك أنزلهم بانقيا، وفرض  
لهم، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة، فقال سلامة بن  
سيار، أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله إياه:

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر  
قال: وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن  
مسرح وشبيب.

فلما بايع سلامة شبيباً اشترط عليه هذا الشرط، فخرج في  
ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة، فجعل يقتل المحلة منهم بعد  
المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيهم خالته، وقد أكتت على ابن  
ها وهو غلام حين احتلم، فقالت وأخرجت ثديها إليه: انشدك  
برحم هذا يا سلامة! فقال: لا والله، ما رأيت فضالة مذ أناخ  
بعمر الشجرة - يعني أخاه - لتقومن عنه، أو لأجمعن حافتك  
بالرمح، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله.

قال أبو مخنف: فحدثني الفضل بن بكر من بني تيم بن  
شيبان أن شبيباً أقبل في أصحابه نحو راذان، فلما سمعت به طائفة  
من بني تيم بن شيبان خرجوا هرباً منه، ومعهم ناس من غيرهم  
قليل، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حولايا، وهم نحو  
من ثلاثة آلاف، وشبيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون  
قليلاً، فنزل بهم، فهابوه وتحصنوا منه. ثم إن شبيباً سرى في اثني  
عشر فارساً من أصحابه إلى أمه، وكانت في سفح سائداً نازلة  
في مظلة من مظال الأعراب: فقال: لأتبن بأمي فلا جعلنها في  
عسكري فلا تفارقني أبداً حتى أموت أو تموت. وخرج رجلاً

من بني تيم بن شيبان تخوفاً على أنفسهما فتزلا من الدير، فلحقا  
بجماعة من قومهما وهم نزول بالجلال منهم على مسيرة ساعة من  
النهار، وخرج شبيب، في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر.  
يريد أمه بالسفح، فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في  
أموالهم مقيمين، لا يرون أن شبيباً يمر بهم لكنهم الذي هم به،  
ولا يشعر بهم، فحمل عليهم في فرسانه تلك، فقتل منهم ثلاثين  
شيخاً، فيهم حوثة بن أسد وبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من  
الدير، فلحقا بالجلال. ومضى شبيب إلى أمه فحملها من السفح،  
فأقبل بها. وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل  
على أصحاب شبيب. وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه  
مصاد بن يزيد، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن  
حيان، فقال لهم: يا قوم، القرآن بيننا وبينكم. ألم تسمعوا قول  
الله: ﴿وَأَنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ  
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغَهُ مَأْنَهُ﴾.

قالوا: بلى، قال لهم: فكفوا عنا حتى نصبح، ثم نخرج  
إليكم على أمان لنا منكم، لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى  
تعرضوا علينا أمركم هذا، فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا  
ودماؤنا، وكنا لكم إخواناً، وإن نحن لم نقبله رددعونا إلى مأمنا،  
ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم، قالوا لهم: فهذا لكم. فلما  
أصبحوا خرجوا إليهم، فعرض عليهم أصحاب شبيب قوهم،  
ووصفوا لهم أمرهم، فقبلوا ذلك كله، وخالطوهم، ونزلوا إليهم،  
فذخل بعضهم إلى بعض، وجاء شبيب وقد اصطلحوا، فأخبره  
أصحابه خبرهم. فقال: أصبتم ووقفتم وأحسبتم.

ثم إن شبيباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة  
جائحة، وخرج يومئذ مع إبراهيم بن حجر المحلمي أبو الصقير  
كان مع بني تيم بن شيبان نازلاً فيهم، ومضى شبيب في أداني  
أرض الموصل وتخوم أرض جوخي، ثم ارتفع نحو أذربيجان.  
وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن  
يدخل بها طبرستان، فأمر بالقفول، فأقبل راجعاً في نحو من ألف  
فارس، فصالح صاحب طبرستان.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن علقمة عن سفيان بن  
أبي العالية الخثعمي أن كتاب الحجاج أتاه: أما بعد، فسر حتى  
تنزل الدسكرة فيمن معك، ثم أقم حتى يأتك جيش الحارث بن  
عميرة المهداني بن ذي المشعار، وهو الذي قتل صالح بن مسرح  
وخيل المناظر، ثم سر إلى شبيب حتى تناجزه. فلما أتاه الكتاب  
أقبل حتى نزل الدسكرة، ونودي في جيش الحارث بن عميرة  
بالكوفة والمدائن: أن برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن  
عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة.

والصبر فقاتلتهم، حتى خربت بين القتلى، فحملت مرتثاً، فأتني  
بي بابل مهروذ، فهانذا بها والجند الذين وجههم إلي الأمير وافوا  
إلا سورة بن أبحر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى إذا ما نزلت  
بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف، ويعتذر بغير العذر.  
والسلام.

فلما قرأ الحجاج الكتاب قال: من صنع كما صنع هذا،  
وأبلى كما أبلى فقد أحسن. ثم كتب إليه.

أما بعد، فقد أحسنت البلاء، وقضيت الذي عليك، فإذا  
خف عنك الوجد فاقبل مأجوراً إلى أهلك. والسلام.

وكتب إلى سورة بن أبحر.

أما بعد فيا ابن أم سورة، ما كنت خليقاً أن تجترى على  
ترك عهدي وخذلان جندي، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً ممن  
معك صلياً إلى الخيل التي بالمدائن، فليستخب منهم خمسمائة  
رجل، ثم ليقدّم بهم عليك، ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة.  
واحزم في أمرك، وكد عدوك، فإن أفضل أمر الحرب حسن  
المكيدة. والسلام.

فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدي بن عميرة إلى  
المدائن، وكان بها ألف فارس، فانتخب منهم خمسمائة، ثم دخل  
على عبد الله بن أبي عصفير - وهو أمير المدائن في إمارته  
الأولى - فسلم عليه، فأجازه بألف درهم وحمله على فرس،  
وكساه أثواباً. ثم إنه خرج من عنده، فأقبل بأصحابه حتى قدم  
بهم على سورة بن أبحر ببابل مهروذ، فخرج في طلب شبيب،  
وشبيب يحوّل في جوخى وسورة في طلبه. فجاء شبيب حتى  
انتهى إلى المدائن، فتحصن منه أهل المدائن وتحزّروا. وهوى أبنية  
المدائن الأولى. فدخل المدائن، فأصاب بها دواب جند كثيرة،  
فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت. فأتني فقيل له: هذا سورة  
بن أبحر قد أقبل إليك. فخرج في أصحابه حتى انتهى إلى  
النهر، فزّلوا به وتوضّوا وصلّوا، ثم أتوا مصارع إخوانهم  
الذين قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فاستغفروا  
لإخوانهم، وتبرّؤوا من علي وأصحابه، وبكوا فاطلوا البكاء، ثم  
خرجوا فقطعوا جسر النهر، فزّلوا من جانبه الشرقي، وجاء  
سورة حتى نزل بقطرانا، وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب  
بالنهر، فدعا رؤوس أصحابه فقال: إنهم قلما يلقون  
مصحرين أو على ظهر إلا انتصفا منكم، وظهروا عليكم، وقد  
حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل إلا قليلاً، وقد رأيت أن  
انتخبكم فأسير في ثلاثمائة رجل منكم من أثويانكم وشجعانكم  
فأتيهم الآن إذ هم آمنون لبياتكم، فوالله إني لأرجو أن يصرعهم  
الله مصارع إخوانهم الذين صرعوا منهم بالنهر، ومن قبل.

قال: فخرجوا حتى أتوه، وأتته خيل المناظر، وكانوا  
خمسمائة، عليهم سورة بن أبحر التميمي من بني أبيان دارم،  
فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلفوا عنه، وبعث إلى سفيان بن  
أبي العالية ألا تبرح العسكر حتى آتيتك. فعجل سفيان فارتحل في  
طلب شبيب، فلحقه بخانقين في سفح جبل على ميمته خازم بن  
سفيان الخثعمي من بني عمرو بن شهران، وعلى ميسرته عدي بن  
عميرة الشيباني، وأصحر لهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كآته  
يكره لقاءه، وقد أكنن له أخاه مصاداً معه خمسون في هزم من  
الأرض.

فلما رآه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرقاً  
فقالوا: هرب عدو الله فاتبعوه، فقال لهم عدي بن عميرة  
الشيباني: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض  
ونسير بها، فإن يكونوا قد أكننوا لنا كميناً كنا قد حذرناه، وإلا  
فإن طلبهم لن يفوتنا. فلم يسمع منه الناس وأسرعوا في آثارهم.  
فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم.

ولما رأى الكمين أن قد جاوزوهم خرجوا إليهم، فحمل  
عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم  
يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابن أبي العالية في نحو من  
مائتي رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً حسناً، حتى ظن أنه انتصف من  
شبيب وأصحابه. فقال سويد بن سليم لأصحابه: أمكنكم أحد  
يعرف أمير القوم ابن أبي العالية؟ فوالله لئن عرفته لأجهدن  
نفسى في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى  
صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية! فإنه ذلك، فإن كنت  
تريده فأمله قليلاً. ثم قال: يا قعنب، اخرج في عشرين فاتهم من  
ورائهم، فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رآه يريد أن يأتيتهم من ورائهم جعلوا يتنقضون  
ويتسللون، وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالية  
فطاعته، فلم تصنع رماهما شيئاً، ثم اضطربا بسيفهما ثم اعتنق  
كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان، ثم تحاجزا وحمل  
عليهم شبيب فانكشفا، وأتى سفيان غلام له يقال له غزوان،  
فنزّل عن برذونه، وقال: اركب يا مولاي، فركب سفيان، وأحاط  
به أصحاب شبيب، فقاتل دونه غزوان فقتل، وكانت معه رايته.  
وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مهروذ، فنزل  
بها، وكتب إلى الحجاج.

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أنني اتبعت هذه  
المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم، فضرب الله وجوههم،  
ونصرنا عليهم، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيباً عنهم.  
فحملوا على الناس فهزموهم، فنزلت في رجال من أهل الدين

فإن الرعب قد دخل قلوبهم، وقد خشيت ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد، قال له: فإن ذلك لك، ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووقفت.

ثم دعا أصحاب الدواوين فقال: اضربوا على الناس البعث، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس، من كل ربع ألف رجل، وعجلوا ذلك، فجمعت العرفاء، وجلس أصحاب الدواوين، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف، فأمرهم بالعسكر فعسكروا، ثم نودي فيهم بالرحيل، ثم ارتحلوا ونادى منادي الحجاج: أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً، قال: فمضى الجزل بن سعيد، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته، فخرج حتى أتى المدائن، فأقام بها ثلاثاً، وبعث إليه ابن أبي عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألفي درهم، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا، فأصاب الناس ما شاؤوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصيفير. ثم إن الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب، فطلبه في أرض جوحى، فجعل شبيب يريه الهيبة، فيخرج من رستاق إلى رستاق، ومن طسوج إلى طسوج، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه، ويتعجل إليه فيلقاه في يسر من الناس على غير تعب، فجعل الجزل لا يسير إلا على تعب، ولا يتزل إلا خندق على نفسه خندقاً، فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل، فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً، وهو في أربعين، وجعل أخاه مصداً في أربعين، وبعث سويد بن سليم في أربعين، وبعث المحلل بن وائل في أربعين، وقد أئنه عيونه فأخبرته أن الجزل بن سعيد قد نزل دير يزدجرد، قال: فدعانا عند ذلك فعزانا هذه التعبئة، وأمرنا فعلقنا على دوابنا، وقال لنا: تيسروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا، وليس كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه، ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعة. ودعا أمراءنا فقال لهم: إني أريد أن آيت هذا العسكر الليلة، ثم قال لأخيه مصداً: إيتهم فارفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبل حلوان، وسأتيهم أنا من أمامي من قبل الكوفة، وأنهم أنت يا سويد من قبل المشرق، وأنهم أنت يا محلل من قبل المغرب، وليلج كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه، ولا تغفلوا عنهم، تحمّلون وتكبرون عليهم، وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمري.

فلما نزل على تلك التعبئة، وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه، حتى إذا قضمت دوابنا - وذلك أول الليل أول ما

فقالوا: اصنع ما أحببت. فاستعمل على عسكره حازم بن قدامة الخنمي، وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة، ثم أقبل بهم نحو النهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرس، فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم، فاستروا على خيولهم وتعبوا تعبتهم.

فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا، فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم، وضاربوهم حتى صد عنهم سورة وأصحابه، ثم صاح شبيب بأصحابه، فحمل عليهم حتى تركوا له العرصه، وحملوا عليهم معه، وجعل شبيب يضرب ويقول:

من ينك العير ينك ناكاً جندلثان اصطكتا اصطكاكا

فرجع سورة إلى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة، فتحمل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن، فدفع إليهم وقد تحمل وتعدى الطريق الذي فيه شبيب، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره، ويصيب بهزيمته أهل العسكر، فأغذ السير في طلبهم، فانتهوا إلى المدائن فدخلوها، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن. فدفع إليهم وقد دخل الناس، وخرج ابن أبي عصيفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل، ورموا من فوق البيوت بالحجارة، فارفع شبيب بأصحابه عن المدائن، فمر على كلواذا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها، ثم خرج يسير في أرض جوحى ثم مضى نحو تكريت، فبينما ذلك الجند في المدائن إذ أرجف الناس بينهم. قالوا: هذا شبيب قد دنا، وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة، فارتحل عامة الجند. فلحقوا بالكوفة.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن علقمة الخنمي، قال: والله لقد هربوا من المدائن وقالوا: نبيت الليلة، وإن شبيباً ليتكريت، قال: ولما قدم الفل على الحجاج سرح الجزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندي.

قال أبو مخنف: حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي أن الحجاج لما أئنه الفل قال: قبح الله سورة! ضيع العسكر والجند، وخرج يبيت الخوارج، أما والله لأسوؤنه، وكان بعد قد حبسه ثم عفا عنه.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج أن الحجاج دعا الجزل - وهو عثمان بن سعيد - فقال له: تيسر للخروج إلى هذه المارقة، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق، ولا تحجم إحجام الوائي الفرق، هل فهمت؟ لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية! فقال: نعم أصلح الله الأمير قد فهمت، قال له: فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس، فقال: أصلح الله الأمير! لا تبغثن معي أحداً من أهل هذا الجند المفلول المهزوم.

هدأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى دير الحرارة، فإذا للقوم مسلحة، عليهم عياض بن أبي لينة، فما هو إلا أن انتهينا إليهم، فحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلاً، وكان أمام شبيب، وقد كان أراد أن يسبق شبيباً حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره، فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة، وقتلواهم. ثم إننا دفعنا إليهم جميعاً، فحملنا عليهم فهزمناهم، وأخذوا الطريق الأعظم، وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدرج إلا قريب من ميل. فقال لنا شبيب: اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم، فاتبعناهم والله ملظين بهم، ملحين عليهم، ما نرفه عنهم وهم منهزمون، ما لهم همة إلا عسكرهم، فانتهوا إلى عسكرهم، ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم، ورشقونا بالنبل، وكانت عيون لهم قد اتهم فآخبرتهم بمكاننا، وكان الجزل قد خندق عليه، وتحرز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الحرارة، ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق، فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التي كانت بدير الحرارة فالحقناهم بعسكر جماعتهم ورجعت المسالحي الآخر حتى اجتمعت، منعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم: قاتلوا، وانضحوا عنكم بالنبل.

قال أبو مخنف: فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر، قال: كنت مع الناس تاجراً وهم في طلب الحرورية، وعلينا الجزل بن سعيد، فجعل يتبعهم فلا يسير إلا على تعبئة، ولا ينزل إلا على خندق، وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخي وغيرها يكسر الخراج، وطال ذلك على الحجاج، فكتب إليه كتاباً، فقرأه على الناس.

أما بعد، فإني بعثت في فرسان أهل المصر ووجوه الناس، وأمرت أن يتابع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها، فلا تطلع عنها حتى تقتلها وتفنيها، فوجدت التعريس في القرى والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرت به من مناهضتهم ومناجرتهم. والسلام.

فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطرنا ودير أبي مريم، فشق ذلك على الجزل، وأمر الناس بالسير، فخرجوا في طلب الخوارج جادين، وأرجفنا بأمرنا وقلنا: يعزل.

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعن بالله عليهم، ولا تصنع صنيع الجزل، واطلبهم طلب السع، وحد عنهم حيدان الضيع. وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهروان فأدركوه فلزم عسكره، وخندق عليه. وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميراً، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنكم قد عجزتم ووهتم وأغضبتكم عليكم أميركم. أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين، وهم قد خربوا بلادكم، وكسروا خراجكم، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزالونهم إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم، ونزلوا بلداً سوى بلدكم، فاخرجوا على اسم الله إليهم.

فخرج وأخرج الناس معه، وجمع إليه خيول أهل العسكر، فقال له الجزل: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل، فقال له الجزل: أقم أنت في جماعة الجيش، فارسهم وراجلهم، وأصحّر له، فوالله ليقدم عليك، فلا تفرق أصحابك، فإن ذلك شر لهم وخير لك فقال له: قف أنت في الصف، فقال: يا سعيد بن مجالد، ليس لي فيما صنعت رأي، أنا

قال أبو مخنف: وحدثني جرير بن الحسين الكندي، قال: كان على المسلحين الآخرين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان، وواصل بن الحارث السكوني على الأخرى، فلما أن اجتمعت المسالحي جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق، ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم. فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه: سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريباً من موضع قباب حسين بن زفر بن بني بدر بن فزارة - وإنما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك - قال لأصحابه: انزلوا فاقضوا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين، ثم اركبوا، فنزلوا ففعلوا ذلك. ثم إنه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً، وقال: سيروا على تعيبتكم التي عبأتكم عليها بدير بيرما أول الليل، ثم أطيّفوا بعسكرهم كما أمرتكم، فأقبلوا. قال: فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم، وقد آمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريباً منهم، فانتهينا إليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم، ثم صبحنا بهم من كل جانب، فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب، ويرموننا بالنبل. ثم إن شبيباً بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا واخل لهم سبيل الطريق إلى الكوفة، فأقبل إليه، وترك ذلك الوجه، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة، حتى أصبحنا،



الكوفة، وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة. ثم أغد السير من الغد، فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قبين. فلما بلغ الحجاج مكانه بعث إلى سويد بن عبد الرحمن السعدي، فبعثه في ألفي فارس نقاوة، وقال له: اخرج إلى شبيب فאלقه. واجعل ميمنةً وميسرةً، ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه. فخرج فعسكر بالسبخة، فبلغه أن شبيباً قد أقبل، فأقبل نحوه وكأنا يساقون إلى الموت. وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة، ونادى: ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة! وأمر سويد بن عبد الرحمن أن يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقي شبيباً فغير بأصحابه إلى زراة وهو يعينهم ويحرضهم إذ قيل له: قد غشيك شبيب، فنزل ونزل معه جل أصحابه، وقدم رايته ومضى إلى أقصى زراة، فأخبر أن شبيباً قد أخبر بمكانك فتركك، ووجد مخاضة فغير الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به. ثم قيل له: أما تراه! فنادى في أصحابه، فركبوا في آثارهم.

وإن شبيباً أتى دار الرزق. فنزلها، فقيل: إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة، فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا، وهما أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم: إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقتلهم في الخيل.

قال هشام: وأخبرني عمر بن بشر، قال: لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تها له، فصعد الدهقان، ثم نزل وقد تغير لونه، فقال: مالك! قال: قد والله جاءك جمع كثير، قال: أبلغ الشواء بعد؟ قال: لا، قال: دعه. قال: ثم أشرف إشرافة أخرى، فقال: قد والله أحاطوا بالجوسق، قال: هات شواءك، فجعل يأكل غير مكترث لهم، فلما فرغ توضاً وصلى بأصحابه الأولى، ثم تقلد سيفين بعدما لبس درعه، وأخذ عمود حديد ثم قال: أسرجوا لي البغلة، فقال أخوه مصاد: أي هذا اليوم تسرج بغلة! قال: نعم اسرجوها، فركبها، ثم قال: يا فلان، أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة، وقال لمصاد: أنت في القلب، وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم. قال: فخرج إليهم وهو يحكم، فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقري حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل. قال: وجعل سعيد يقول: يا معشر همدان، أنا ابن ذي مران، إلي إلي. ووجه سرباً مع ابنه وقد أحسن أنها تكون عليه، فنظر شبيب إلى مصاد فقال: أئكلنك الله إن لم أئكله ولده. قال: ثم علاه بالعمود، فسقط ميتاً، وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ إلا قتيلاً واحداً. قال: وانكشف أصحاب سعيد بن

بريء من رأيك هذا، سمع الله ومن حضر من المسلمين. فقال: هو رأيي إن أصبت، فآله وفقتي له، وإن يكن غير صواب فأنتم منه براء، قال: فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق، وجعل على ميمنتهم عياض بن أبي لينة الكندي، وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي، ووقف الجزل في جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد، فخرج وأخرج الناس معه، وقد أخذ شبيب إلى براز الروز، فنزل قطفتا، وأمر دهقانها أن يشتري لهم ما يصلحهم، ويتخذ لهم غداءً، ففعل، ودخل مدينة قطفتا وأمر بالباب فأغلق، فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر، فصعد الدهقان السور فنظر إلى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه، فنزل وقد تغير لونه، فقال له شبيب: ما لي أراك متغير اللون! فقال له الدهقان: قد جاءتك الجنود من كل ناحية، قال: لا بأس، هل أدرك غداؤنا؟ قال: نعم، قال: فقربه، وقد أغلق الباب، وأتى بالغداء فتغذى، وتوضأ وصلى ركعتين، ثم دعا ببغل له فركبه.

ثم إنهم اجتمعوا على باب المدينة، فأمر بالباب ففتح، ثم خرج على بغله فحمل عليهم. وقال: لا حكم إلا للحكم الحكيم، أنا أبو مدله اثبتوا إن شتمت. وجعل سعيد يجمع قومه وخيله، ويزلفها في أثره، ويقول: ما هؤلاء! إنما هم أكلة رأس، فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا لف خيله كلها، ثم جمعها، ثم قال: استعرضوهم استعراضاً، وانظروا إلى أميرهم، فوالله لأقتله أو يقتلني. وحمل عليهم مستعرضاً لهم، فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد، ثم نادى أصحابه: إلي إلي، أنا ابن ذي مران! وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه، وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف، فخالط دماغه، فخر ميتاً. وانهزم ذلك الجيش، وقتلوا كل قتلة، حتى انتهوا إلى الجزل، ونزل الجزل ونادى: أيها الناس، إلي وناداهم عياض بن أبي لينة: أيها الناس، إن كان أميركم القادم قد هلك فأمركم الميمون النقيبة المبارك حي لم يمت، فقاتل الجزل قتالاً شديداً حتى حمل من بين القتلى، فحمل إلى المدائن مرتناً، وقدم فل أهل ذلك العسكر الكوفة، وكان من أشد الناس بلاءً يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة. حتى استنقذه وهو مرتث. هذا حديث طائفة من الناس، والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم إلى براز الروز. ثم إن الجزل كتب إلى الحجاج.

قال: وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ، وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم، وذلك اليوم يوم سوقهم، وكان بلغه أنهم يخافونه، فأحب أن يؤمنه، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثياباً وأشياء ليس لهم منها بد، ثم أخذ بهم نحو

عصيفير بالف درهم، وكان يعود ويتعاهده باللفظ والهدية. قال: وأقبل شبيب نحو المدائن، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة، فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ، فعبّر دجلة إليه، وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنهم يخافونه. قال: ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبني سليم في ظهره وظهور أصحابه، وحمل عليهم شبيب حملة منكراً، وذلك عند المساء، فلم يقدر منهم على شيء، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة، وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الحيرة، وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الحيرة، فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهباً، فتركه وأقام حتى أصبح. وبعث إليه الحجاج أن اتبعه فأتبعه، ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه، وارتفع في البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة، فيصيب رجالاً من بني الورثة، فحمل عليهم، فاضطروهم إلى جدد من الأرض، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم، فلما نفذت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحران بن مالك، كلهم من بني الورثة.

قال أبو مخنف: حدثني بذلك عطاء بن عرفة بن زياد بن عبد الله الورثي: ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللفف (ماء لرهطه) وعلى ذلك الماء الفزر بن الأسود، وهو أحد بني الصلت، وهو الذي كان ينهى شبيباً عن رايه، وأن يفسد بني عمه وقومه، فكان شبيب يقول: والله لئن ملكت سبعة أئنة لأغزون الفزر. فلما غشيهم شبيب في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر، فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض، وهرب منه الرجال.

ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القطقطانة، ثم على قصر مقاتل، ثم أخذ على شاطيء الفرات حتى أخذ على الحصاصة، ثم على الأنبار، ثم مضى حتى دخل دقوقاء، ثم ارتفع إلى أذريجان. فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، فما شعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجراً من تجار الأنبار من أهل بلادني أتاني فذكر أن شبيباً يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقل، أحبيت إعلامك ذلك لترى رأيك، ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جابيان من جباني فحدثاني أنه قد نزل خانيجار. فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحجاج بالبصرة، فلما قرأه الحجاج أقبل جواداً إلى الكوفة، وأقبل شبيب

بجالد حتى أتوا الجزل، فناداهم الجزل: أيها الناس، إلى إلي. وناداهم عياض بن أبي لينة: أيها الناس، إن يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقية، أقبلوا إليه، وقاتلوا معه، فمنهم من أقبل إليه، ومنهم من ركب رأسه منهزماً، وقاتل الجزل قتالاً شديداً حتى صرع، وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبي لينة حتى استنقذه وهو مرتث، وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة، فأتي بالجزل حتى أدخل المدائن، وكتب إلى الحجاج بن يوسف.

قال أبو مخنف: حدثني بذلك ثابت مولى زهير.

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أنني خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني إلى عدوه، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلي فيهم ورأيي، فكنيت أخرج إليهم إذا رايت الفرصة، وأحبس الناس عنهم إذا خشيت الورطة، فلم أزل كذلك، ولقد أرادني العدو بكل ريدة، فلم يصب مني غرة، حتى قدم علي سعيد بن بجالد رحمة الله عليه، ولقد أمرته بالتودة، ونهيته عن العجلة، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامة فعصاني، وتعمل إليهم في الخيل، فاشهدت عليه أهل المصريين أنني بريء من رايه الذي رأى، وأني لا أهوى ما صنع. فمضى فأصيب تجاوز الله عنه، ودفع الناس إلي، فنزلت ودعوتهم إلي، ورفعت لهم رأيي وقاتلت حتى صرعت، فحملني أصحابي من بين القتلى، فما أفقت إلا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة، فانا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها. فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده، وعن مكابدي عدوه، وعن موقعي يوم البأس، فإنه يستين له عند ذلك أنني قد صدقته ونصحت له. والسلام.

فكتب إليه الحجاج.

أما بعد، فقد أتاني كتابك وقرأته، وفهمت كل ما ذكرت فيه، وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأمرتك، وحيطتك على أهل مصرك، وشدتك على عدوك، وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته إلى عدوه، فقد رضيت عجلته وتؤدتك، فأما عجلته فإنها أنضت به إلى الجنة، وأما تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت، وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم، وقد أصبت وأحسن البلاء، وأجرت، وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة. وقد أشخصت إليك حيان بن أبحر ليداويك ويعالج جراحتك، وبعثت إليك بالفي درهم فأنفقها في حاجتك وما ينوبك. والسلام.

فقدم عليه حيان بن أبحر الكناني من بني فراس - وهم يعالجون الكي وغيره - فكان يداويه، وبعث إليه عبد الله بن أبي

قال: ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان يصلي في مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفاً إلى منزله، فشدوا عليه ليقتلوه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم. اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فضربوه حتى قتلوه، ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة.

قال هشام: قال أبو بكر بن عياش: واستقبله النضر بن قعقاع بن شور الذهلي، وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني فأبطوه حين نظر إليه - قال: يعني بقوله: «أبطره» أفرغه - فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، قال له سويد مبادراً: أمير المؤمنين، وبلك! فقال: أمير المؤمنين. حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة، وأمر الحجاج المنادي فنادى: يا خيل الله اركبي وأبشري، وهو فوق باب القصر، وثم مصباح مع غلام له قائم، فكان أول من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة، ومعه مواليه، وناس من أهله، فقال: أنا عثمان بن قطن، أعلموا الأمير مكاني، فليأمر بأمره، فقال له ذلك الغلام: قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير، وجاء الناس من كل جانب، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح.

ثم إن الحجاج بعث بسر بن غالب الأسدي من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل، وأبا الفريس مولى بني تميم في ألف من الموال، وأعين - صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان - في ألف رجل، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان، وكتب له عليها عهده، وكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفي رجل إلى سجستان، وعجل سراحه. وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج، فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحبس في الجهاز، فقال له نصحاؤه: تعجل أيها الأمير إلى عملك، فإنك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج! وما يبدو له. فأقام على حاله، وحدث من أمر شيب ما حدث، فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله: تلقى شيباً وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضي إلى عملك، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريب القرشي وزيد بن عمرو العتكي، وخرج شيب حيث خرج من الكوفة. فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي، فدخل الحمام ودخل عليه شيب فاستخرجه فضرب عنقه، واستقبل شيب النضر بن قعقاع بن شور - وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة، فلما

يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها، فقال: ما اسم هذه القرية؟ فقالوا: حربى، فقال: حرب يصلى بها عدوكم، وحرب تدخلونه بيوتهم، إنما يطير من يقوف ويعيف، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه: سيروا، فأقبل حتى نزل عقرقوفاً، فقال له سويد بن سليم: يا أمير المؤمنين، لو تحولت بنا من هذه القرية المشؤومة الاسم! قال: وقد تطيرت أيضاً! والله لا أتحوّل عنها حتى أسير إلى عدوي منها، إنما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحملون عليهم فيها، فالعقر لهم.

ثم قال لأصحابه: يا هؤلاء، إن الحجاج ليس بالكوفة، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء، فسيروا بنا. فخرج يبادر الحجاج إلى الكوفة، وكتب عروة إلى الحجاج أن شيباً قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة، فالعجل العجل.

فتولى الحجاج المنازل، واستبقا إلى الكوفة، ونزلها الحجاج صلاة الظهر، ونزل شيب السبخة صلاة المغرب، فصلى المغرب والعشاء، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئاً يسيراً، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة، فجاء شيب حتى انتهى إلى السوق، ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده.

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً، ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة، ثم قال:

وكان حافرهما بكل خيلة كيل يكيل به شحيح معدم عبد دعي من ثمود أصله لابل يقال أبو أيهم يقدم ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه، فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدي بن عمرو الثقفي وأبا ليث بن أبي سليم مولى عتبة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري، ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوققوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشباً، فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب لركبه حوشب، فكانه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج صاحبك. فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، فعملوا نحوه، ودخل وأغلق الباب، وقتلوا غلامه ميموناً، وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال له: ما تصنع بزولي! قال له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية، فقال له الجحاف: بئس ساعة القضاء هذه الساعة، وبئس قضاء الدين هذا المكان! أما ذكرت أمانتك إلا واللبليل مظلم، وأنت على ظهر فرسك! قبح الله يا سويد ديناً لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوي القرابة وسفك دماء هذه الأمة.

فأعلمهم ذلك. وانصرف عنهم.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال: انتهى إلينا شبيب وفيما سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة. وقد عبي كل أمير أصحابه على حدة، فسي ميمتنا زياد بن عمرو العتكي، وفي مسيرتنا بشر بن غالب الأسدي، وكل أمير واقف في أصحابه. فأقبل شبيب حتى وقف على تل، فأشرف على الناس وهو على فرس له كميث أغر، فنظر إلى تعبيتهم، ثم رجع إلى أصحابه، فأقبل في ثلاث كتاب يوجفون، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم، فتقف في ميمتنا، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب، فوقفت على مسيرتنا، وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب. قال: وخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمتهم إلى مسيرتهم يحرض الناس ويقول.

يا عباد الله أتمم الكثيرون الطيبون، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون، فاصبروا - جعلت لكم الفداء - لكرتين أو ثلاث تكرون عليهم، ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء. ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائي رجل، إنما هم أكلة رأس، إنما هم السراق المراق، إنما جاؤكم ليهريقوا دماءكم، وبأخذوا فيكم، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه، وهم قليل وأنتم كثير، وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة، غضوا الأبصار، واستقبلوهم بالأسنة، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم، ثم انصرف إلى موقفه.

قال: ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو، فانكشف صفهم، وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه، ثم ارتفع عنهم سويد قليلاً، ثم كر عليهم ثانية، ثم اطعنوا ساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: أنا والله فيهم يومئذ، قال: اطعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزلوا، وقاتل زياد بن عمرو قتالاً شديداً، وجعل ينادي: يا خلي، ويشد بالسيف فيقاتل قتالاً شديداً، فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع العرب وأشدّه قتالاً، وما يعرض له. قال: ثم إننا ارتفعنا عنهم آخراً فإذا هم يتقوضون، فقال له أصحابه: ألا تراهم يتقوضون! احمل عليهم، فقال لهم شبيب: خلوهم حتى يخفوا، فتركوهم قليلاً ثم حمل عليهم الثالثة فانهمزوا. فنظرت إلى زياد بن عمرو وإنه ليضرب بالسيف وما من سيف يضرب به إلا نبا عنه وهو مجحف، ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفاً فما ضره من ذلك شيء. ثم إنّه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة، وذلك عند المساء.

قال: ثم شدنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه، وما قاتلنا كثير قتال، وقد ضارب ساعة، وقد بلغني أنه

طوى الحجاج المنازل خلفه وراءه - فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه، فقال له شبيب: يا نصر بن الققعاق، لا حكم إلا لله - وإنما أراد شبيب بمقاتلته له لثقتيه، فلم يفهم النصر - فقال: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فقال أصحاب شبيب: يا أمير المؤمنين، كأنك إنما تريد بمقاتلك أن تلقنه. فشدوا على نصر فقتلوه.

قال: واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد، وأخذ نحو القادسية، ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس، وقال له: اتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته، إلا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه، فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين، وبلغ شبيباً مسيره إليه، فأقبل نحوه فالتقيا، فجعل زحر على ميمته عبد الله بن كنان النهدي، وكان شجاعاً، وعلى مسيرته عدي بن عدي بن عميرة الكندي الشيباني، وجمع شبيب خيله كلها بكبة واحدة، ثم اعترض بها الصف، فوجف وجيفاً، واضطرب حتى انتهى إلى زحر بن قيس، فنزل زحر بن قيس، فقاتل زحر حتى صرع، وانهزم أصحابه، وظن القوم أنهم قد قتلوه، فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها، وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة، فمكث أياماً، ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن، فأجلسه الحجاج معه على السرير، وقال لمن حوله: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر إلى هذا. وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً: قد هزمناهم جنداً وقتلناهم أميراً من أمرائهم عظيماً. انصرف بنا الآن وافرين، فقال لهم: إن قتلنا هذا الرجل وهزمتنا هذا الجند، قد أرعبت هذه الأمراء والجنود التي بعثت في طلبكم، فاقصدوا بنا قصدهم، فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج من شيء. وأخذ الكوفة إن شاء الله. فقالوا: نحن لرأيك سمع تبع، ونحن طوع يدك.

قال: فانقض بهم جواداً حتى يأتي نجران - وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر - ثم سأل عن جماعة القوم فخبّر باجماعهم بروذبار في أسفل الفرات في بهقباد الأسفل، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة. فبلغ الحجاج مسيره إليهم، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل - وكان على الحجاج كريماً - فقال له: الحق بجماعتهم - يعني جماعة الأمراء - فأعلمهم بمسير المارقة إليهم، وقل لهم: إن جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامة. فاتاهم ابن الغرق

بأصحابه. فقرا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، و﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، ثم سلم، ثم ركبوا فحمل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه، وثبتت طائفة. قال فروة: فما أنسى قوله وقد غشينا وهو يقاتل بسيفه وهو يقول: ﴿أَلَمْ أَحْصِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

قال: وضارب حتى قتل. قال: فسمعت أصحابي يقولون: إن شبيباً هو الذي قتله. ثم إنا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء، وهرب الذين كانوا بابعوا شبيباً، فلم يبق منهم أحد.

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير الذي ذكرته عنه، والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولي محمد بن موسى بن طلحة سجستان، فكتب إليه الحجاج: إنك عامل كل بلد مرت به، وهذا شبيب في طريقك. فعدل إليه محمد، فأرسل إليه شبيب: إنك امرؤ خذوع، قد اتقى بك الحجاج، وأنت جار لك حق، فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أذيتك، فأبى إلا محاربتة. فواقفه شبيب، وأعاد إليه الرسول، فأبى إلا قتاله، فدعا إلى البراز، فبرز إليه البطين ثم قنعب ثم سويد، فأبى إلا شبيباً، فقالوا لشبيب: قد رغب عنا إليك، قال: فما ظنكم هذه الأشراف! فبرز إليه شبيب، وقال: إني أنشدك الله في دمك، فإن لك جواراً. فأبى إلا قتاله، فحمل عليه شبيب فضربه بعضاً حديد فيها اثنا عشر رطلاً بالشامي. فهشم بها بيضةً عليه ورأسه فسقط. ثم كفنه ودفنه، وابتاع ما غنموا من عسكره، فبعث به إلى أهله، واعتذر إلى أصحابه وقال: هو جاري بالكوفة. ولي أن أحب ما غنمت لأهل الردة.

قال عمرو بن شبة: قال أبو عبيدة: كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن معمر بفارس، وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمته، وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سجستان، فمر بالكوفة وبها الحجاج بن يوسف، فقيل للحجاج: إن صار هذا إلى سجستان مع نخدته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحد من تطلب، منعك منه، قال: فما الحيلة؟ قيل: تأتبه وتسلم عليه، وتذكر نخدته وبأسه وأن شبيباً في طريقه، وأنه قد أعياك، وأنت ترجو أن يريح الله منه على يده، فيكون له ذكر ذلك وشهرته. ففعل، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، فواقفه شبيب، فقال له شبيب: إني قد علمت خداع الحجاج، وإنما اغتركت ووقى بك نفسه، وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك. فصرعت مصرع أصحابك، فاطعني وانطلق لشانك، فإني أنفست

كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو، فمضينا منهزمين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب، فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا.

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط، أن أخا شبيب مصاداً حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة، فأبلى وكرم والله وصبر، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين، فضاربوا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجد الأزدي، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي، فيقال لهم بنو زارة، فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني عجم، وهو يلي بشر بن غالب، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة، فلما انتهوا إليه نزل ونادى: يا أهل الإسلام، الأرض الأرض، إلي إلي! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر. ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم برضة حوله من أهل الحفاظ.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال: سمعت زائدة بن قدامة ليلتذ رافعاً صوته يقول: أيها الناس، اصبروا وصابروا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل.

قال أبو مخنف: وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر. قال: ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً، وقال شبيب لأصحابه: ارفعوا السيف عن الناس وادعوه إلى البيعة، فدعوه إلى البيعة عند الفجر.

قال عبد الرحمن بن جندب: فكنت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه، فكل من جاء ليبايعه نزع سيفه عن عاتقه. وأخذ سلاحه منه، ثم يدني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين، ثم يخلى سبيله. قال: وإننا لكذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر. معه عصابة من أصحابه قد صبروا، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن، فلما سمع شبيب الأذان قال: ما هذا؟ فقال: هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح، فقال: قد ظننت أن حمقه وخيلاه سيحمله على هذا، نحوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل. قال: فنزل فأذن هو، ثم استقدم فصلى

بك عن الموت، فأبى محمد بن موسى، فبارزه شبيب فقتله.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف.

قال عبد الرحمن: لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما بايعه قال له شبيب: الست أبا بردة! قال: بلى، قال شبيب لأصحابه: يا اخلائي، أبو هذا أحد الحكمين، فقالوا: ألا نقتل هذا؟ فقال: إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه، قالوا: أجل قال: وأصبح شبيب: فأتى مقبلاً نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل، وتحصنا منه فأقام ذلك اليوم عليهم، ثم شخص عنهم، فقال له أصحابه: ما دون الكوفة أحد يمنعنا، فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا، فقال لهم: ما عليكم أكثر مما قد فعلتم، فخرج بهم على نفر، ثم على الصراة، ثم على بغداد، ثم خرج إلى خانيجار فأقام بها.

قال: ولما بلغ الحجاج أن شبيباً قد أخذ نحو نفر ظن أنه يريد المدائن - وهي باب الكوفة، ومن أخذ المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر - فهاهنا ذلك الحجاج، وبعث إلى عثمان بن قطن، ودعاه وسرحه إلى المدائن، وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخي كلها وخراج الأستان. فخرج مسرعاً حتى نزل المدائن، وعزل الحجاج عبد الله بن أبي عصفير، وكان بها الجزل مقيماً شهراً يداوي جراحته، وكان ابن أبي عصفير يعود ويكرمه، فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعده. ولم يكن يتعاهده ولا يطفه بشيء. فقال الجزل: اللهم زد ابن عصفير جوداً وكرماً وفضلاً، وزد عثمان بن قطن ضيقاً وبخلًا. قال: ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: انتخب الناس، وأخرج في طلب هذا العدو، فأمره بنخبة ستة آلاف، فانتخب فرسان الناس ووجوهم، وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت، واستحثه الحجاج بالعسكر، فعسكر بدير عبد الرحمن، فلما أراد الحجاج إشخاصهم كتب إليهم.

أما بعد، فقد اعتدتم عادة الأذلاء. ووليتم الدبر يوم الزحف، وذلك داب الكافرين، وإني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة. وإني أقسم لكم بالله قسماً صادقاً لئن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعاً أكون أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب. وتستترون منه بأبناء النهار والواذ الجبال، فخاف من له معقول على نفسه، ولم يجعل عليها سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

وقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

والسلام عليكم.

قال: ثم سرح ابن الأصم مؤذنه، فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس، فقال له: ارتحل الساعة

وناد في الناس: أن برئت الذمة من رجل من هذا البعث وجدناه متخلفاً. فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمدائن فنزل يوماً وليلة، وتشرى أصحابه حوائجهم، ثم نادى في الناس بالرحيل، فارتحلوا، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته، وسأله ساعة وحده. ثم إن الجزل قال له: يا ابن عم، إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب، وأحلاس الخيل، والله لكأنما خلقوا من ضلوعها، ثم بنوا على ظهورها، ثم هم أسد الأجم، الفارس منهم أشد من مائة، إن لم تبدأ به بدأ، وإن هجج أقدم، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني، وكان لهم الفضل علي، وإذا خندقت علي وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب، وكان لي عليهم الظفر، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تبعية أو في خندق. ثم إنه ودعه، فقال له الجزل: هذه فرسي الفسيفساء، خذها فإنها لا تجارى. فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقواء وشهرزور فخرج عبد الرحمن في طلبه، حتى إذا كان على التخوم أقام، وقال: إنما هو أرض الموصل، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه، فكتب إليه الحجاج بن يوسف.

أما بعد، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فقتله أو تنفيه، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام.

فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج في طلب شبيب، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته، فيجده قد خندق على نفسه وحذر، فيمضي ويدعه، فيتبعه عبد الرحمن، فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل، فإذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية، فلا يصيب له غرة ولا له علة، فيمضي ويدعه.

قال: ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة ولا يصل إليه، جعل يخرج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله، فينزل على مسيرة عشرين فرسخاً، ثم يقيم في أرض غليظة حزنة، فيجيء عبد الرحمن، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فصار خمسة عشر أو عشرين فرسخاً، فنزل منزلاً غليظاً خشناً، ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيباً كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم، وأحفى دوابهم، ولقوا منه كل بلاء، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خناقين ثم على جلواء ثم على تامرا، ثم أقبل حتى نزل البيت - قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل، ليس بينها وبين سواد

وغبرة، فصاح الناس إليه، فقالوا: ننشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم، فإن الريح علينا! فأقام بهم ذلك اليوم، وأراد شبيب قتالهم، وخرج أصحابه، فلما رآهم لم يخرجوا إليه أقام، فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبى الناس على أرباعهم. فجعل كل ربع في جانب العسكر، وقال لهم: اخرجوا على هذه التعبئة، وسألهم: من كان على ميمتكم؟ قالوا: خالد بن نهيك بن قيس الكندي، وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولي، فدعاهما فقال لهما: قفا موافقكما التي كتتما بهما، فقد وليتكما المجنبتين، فاثبتا ولا تفرا، فوالله لا أزول حتى يزول نخل راذان عن أصوله. فقالا: ونحن والله الذي لا إله إلا هو ولا نفر حتى نظفر أو نقتل. فقال لهما: جزاكم الله خيراً. ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة، ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة، وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد في اليمين، ونزل يمشي في الرجال، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً، فقطع إليهم النهر، فكان هو في ميمنة أصحابه، وجعل على ميسرته سويد بن سليم، وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه، وزحفوا وسما بعضهم لبعض.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح العبسي أن عثمان كان يقول فيكثر: ﴿لَنْ يَفْعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مَنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَأُتَمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. أين المحافظون على دينهم، المحامون عن فيهم؟ فقال عقيل بن شداد بن حشبي السلولي: لعلني أن أكون أحدهم، فبذل أولئك يوم روذبار. ثم قال شبيب لأصحابه: إني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر، فإذا هزمتهم فليحمل صاحب ميسرتي على ميمتكم، ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمري. وحمل في ميمته أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهمزوا، ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل، وقتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ثم المراهبي، عم عياش بن عبد الله بن عياش المنتوف، وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يجالدهم:

لأضرين بالحسام الباتر ضرب غلام من سلول صابر

ودخل شبيب عسكرهم، وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي، فنزل خالد فقاتل قتالاً شديداً، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ، وهو صاحب اليمين، فلم يشن شبيب حتى علاه بالسيف فقتله، ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين رجلاً، فلما دنا منهم عثمان بن قطن شد عليهم في الأشراف وأهل الصبر فضاربهم

الكوفة إلا نهر يسمى حولايا - قال: وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان الأعلى من أرض جوحى، ونزل عواقل من النهر، ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهي تعجبه، يرى أنها مثل الخندق والحصن. قال: وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن: إن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم، فليأتكم أن توادعونا حتى تمضي هذه الأيام فافعلوا. فقال له عبد الرحمن: نعم، ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من المطاولة والمواذعة. قال: وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج.

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوحى كلها خندقاً واحداً، وخلق شبيباً وكسر خراجها وهو يأكل أهلها. والسلام.

فكتب إليه الحجاج.

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن، وقد لعمري فعل ما ذكرت، فسر إلى الناس فأنت أميرهم، وعاجل المارقة حتى تلقاهم، فإن الله إن شاء الله ناصرك عليهم، والسلام.

قال: وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة، وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريباً من البت، عشية الثلاثاء، وذلك يوم التروية، فنادى الناس وهو على بغلة: أيها الناس، اخرجوا إلى عدوكم. فوثب إليه الناس، فقالوا: ننشدك الله، هذا المساء قد غشينا، والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال، فبت الليلة ثم أخرج بالناس على تعبئة. فجعل يقول: لأناجزتهم، ولتكونن الفرصة لي أو لهم. فأتاهم عبد الرحمن فاخذ بعنان دابته، وناشده الله لما نزل، وقال له عقيل بن شداد السلولي: إن الذي تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غداً، وهو غداً خير لك وللناس. إن هذه ساعة ريح وغبرة، وقد أمسيت فانزل، ثم أبكر بنا إليهم غدوة، فنزل، فسفت عليه الريح، وشق عليه الغبار، ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها، ثم أصبح يوم الأربعاء، فجاء أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببيتهم - فقالوا: أصلحك الله! أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية، ويكلمك من تلي عليه، ويشكون إليك ما نزل بهم فتتظفر لهم. وتكف عنهم، وإن هؤلاء القوم جبارة لا يكلمون ولا يقولون العذر، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقتلنا إن قضى لك أن ترحل عنا، فإن رأيت فإنزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا، قال: فإني أفعل ذلك بكم، ثم خرج فنزل جانب القرية. قال: فبات عثمان ليلته كلها يحرضهم، فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة

منهما فخلا أحدهما بعد الرحمن طويلاً بناجيه، ثم نزل هو وأصحابه، وقد كان الناس يتحدثون أن ذلك كان شيباً، وأنه قد كان كاتبه، ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبي مريم، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صبر الشعير وألقت بعضه على بعض كأنه القصور، ونحر لهم من الجزر ما شاؤوا، فأكلوا يومئذ، وعلفوا دوابهم، واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له: إن سمع شيب بمكانك أنك كنت له غنيمة، قد ذهب الناس وتفارقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة. فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضاً، وجاء فاخبتاً من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك.

### نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان

وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم.

ذكر الواقدي: أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك.

قال: وحديثي ابن أبي الزناد، عن أبيه، أن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ، وهو أول من أحدث ضربها.

قال: وحديثي خالد بن أبي ربيعة، عن أبي هلال، عن أبيه، قال: كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة، وكان العشرة وزن سبعة.

قال: وحديثي عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال: سألت سعيد بن المسيب في كم تحب الزكاة من الدنانير؟ قال: في كل عشرين مثقالاً بالشامي نصف مثقال، قلت: ما بال الشامي من المصري؟ قال: هو الذي تضرب عليه الدنانير. وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير، اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة، قال سعيد: قد عرفته، قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة: وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولي أبان بن عثمان المدينة في رجب.

وفيها استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدّاش من بني عامر بن لؤي.

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان..

وأقام الحج للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير

حتى فرقوا بينهم، وحمل شيب بالخيول من ورائهم، فما شعروا إلا والرماح في أكفهم تكبهم لوجوههم، وعطف عليهم سويد بن سليم أيضاً في خيله، ورجع مصاد وأصحابه، وقد كان شيب رجلاًهم، فاضطربوا ساعة، وقتل عثمان بن قطن فأحسن القتال. ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا به، وحمل عليه مصاد أخو شيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها، ثم قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾. ثم إن الناس قتلوه، وقتل يومئذ الأبرد بن ربيعة الكندي، وكان على تل، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه، وقتل حتى قتل. ووقع عبد الرحمن فرأه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغلة فعرفه، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له: اركب، فقال عبد الرحمن بن محمد: أينما الرديف؟ قال ابن أبي سبرة: سبحان الله! أنت الأمير تكون المقدم، فركب وقال لابن أبي سبرة: ناد في الناس: الحقوا بذي أبي مريم، فنادى، ثم انطلقا ذاهبين، ورأى واصل بن الحارث السكوني فرس عبد الرحمن الذي حمله عليه الجزل يجول في العسكر، فأخذها بعض أصحاب شيب، فظن أنه قد هلك، فطلبه في القتلى فلم يجده، وسأل عنه فقيل له: قد رأينا رجلاً قد نزل عن دابته فحمله عليها، فما أحلقه أن يكون إياه، وقد أخذ هاهنا أنفأ. فأتبعه واصل بن الحارث على برذونه ومع واصل غلامه على بغل، فلما دنوا منهما قال محمد بن أبي سبرة لعبد الرحمن: قد والله لحق بنا فارسان، فقال عبد الرحمن: فهل غير اثنين؟ فقال: لا، فقال عبد الرحمن: فلا يعجز اثنان عن اثنين. قال: وجعل يحدث ابن أبي سبرة كأنه لا يكثر بهما، حتى لحقهما الرجلان، فقال له ابن أبي سبرة: رحلك الله! قد لحقنا الرجلان فقال له: فانزل بنا، فنزلا فانتضيا سيفيهما، ثم مضيا إليهما، فلما رأهما واصل عرفهما، فقال لهما: إنكما قد تركتما النزول في موضعه، فلا تنزلا الآن، ثم حسر العمامة عن وجهه، فعرفاه فرجبا به، وقال لابن الأشعث: إني لما رأيت فرسك يجول في العسكر ظننتك راجلاً، فأنتيتك ببرذوني هذا لتركبه، فترك لابن أبي سبرة بغلته، وركب البرزون، وانطلق عبد الرحمن بن الأشعث حتى نزل دير اليعار، وأمر شيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف، ودعاهم إلى البيعة، فأثاء من بقي من الرجالة فبايعوه، وقال له أبو الصقير الحلمي: قتل من الكوفيين سبعة في جوف النهر كان آخرهم رجلاً تعلق بثوبي وصاح، ورهني حتى رهبته، ثم أني أقدمت عليه فقتلته. وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة، وقتل عظم العرفاء يومئذ.

قال أبو مخنف: حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمي أنه قتل منهم يومئذ جماعة، وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار، فاتاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت، وقام آخر قريباً



على المدينة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن  
إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي.  
وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف، وعلى  
خراسان أمية بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شريح،  
وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى.

## السنة السابعة والسبعون

## محاربة شبيب عتاب بن ورقاء

## وزهرة بن حوية وقتلها

ففي هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية.

ذكر الخبر عن سبب مقتلها.

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه، وقتل عثمان بن قطن، وذلك في صيف وحر شديد، اشتد الحر عليه وعلى أصحابه. فأتى ماه بهزاذان فتصيف بها ثلاثة أشهر، وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلهقوا به، وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات، كان منهم رجل من الحسي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف، وكان دهقاناً من أهل نهر درقيط قد أساء إليه وضيقا عليه، فشد عليه فقتلها، ثم لحق بشبيب فكان معه بهاء، وشهد معه موطنه حتى قتل، فلما آمن الحجاج كل من كان خرج إلى شبيب من أصحاب المال والتباعات - وذلك بعد يوم السبخة - خرج إليه الحر فيمن خرج، فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج، فأتى به فدخل، وقد أوصى ويش من نفسه، فقال له الحجاج: يا عدو الله، قتل رجلين من أهل الخراج! فقال له: قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا، فقال: وما هو؟ قال: خروجي من الطاعة وفراق الجماعة، ثم أمنت كل من خرج إليك، فهذا أمانتي وكتابك لي. فقال له الحجاج: أول لك! قد لعمري فعلت، وخلى سبيله.

قال: ولما انفسخ الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة، فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ إلى الحجاج.

أما بعد: فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ولا أدري أين يريد!

فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيثكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغیظ منكم، فيقاتلون عدوكم، ويأكلون فيثكم.

فقام إليه الناس من كل جانب، فقالوا: نحن نقاتلهم

ونعتب الأمير، فليندبنا الأمير إليهم فإنا حيث سره. وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائماً حتى يؤخذ بيده. فقال له: أصلح الله الأمير! إنك إنما تبعت إليهم الناس متقطعين، فاستنفر الناس إليهم كافة فلينفروا إليهم كافة، وأبعث عليهم رجلاً نبياً شجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر جداً وكرماً. فقال الحجاج: فانت ذاك فاخرج، فقال: أصلح الله الأمير! إنما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع، ويهز السيف، ويثبت على متن الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضعف بصري وضعفت، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير، فإني إنما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي. فقال له الحجاج: جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً، فقد نصحت وصدقت، أنا مخرج الناس كافة، ألا فسيروا أيها الناس. فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يدرون من أميرهم!

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان.

أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيباً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، في كلها يقتل أمراءهم. ويفل جنودهم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل. والسلام.

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفیان بن الأبرد في أربعة آلاف. وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مدحج في ألفين، فسرهم حين أتاه الكتاب إلى الحجاج، وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم! وهم يقولون: يبعث فلاناً أو فلاناً، وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطري، فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج إلا رجب وشعبان، وقتل قطري عبد الرحمن في آخر رمضان، فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن بن مخنف، وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب، فكان ذلك قد كبر على عتاب، ووقع بينه وبين المهلب شر، حتى كتب عتاب إلى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه إليه، فلما أن جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك.

قال: ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة، فيهم زهرة بن

على أصحابك! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه، فأرسل إليه شبيب: إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا، وأنتم تفعلونه وتستحلونه، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرسه، فلما صاروا في يدي شبيب سرح إليه أصحابه، فأتوا مطرفاً فمكثوا أربعة أيام يتراسلون، ثم لم يتفقوا على شيء، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير تابعه ولا داخل معه نهياً للمسير إلى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشام.

قال أبو غنخف: فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رؤوس أصحابه فقال لهم: إنه لم يثبطني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا الثقيف منذ أربعة أيام، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من المصر، ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون إليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به، وقد جاءتني عيوني اليوم فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر، فهم الآن قد شارفوا الكوفة، وجاءتني عيوني من نحو عتاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة، فما أقرب ما بيننا وبينهم! تيسروا بنا للمسير إلى عتاب بن ورقاء.

قال: وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب الحجاج، فخرج نحو الجبال، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب، فأرسل إليه شبيب: أما إذ لم تنابني فقد نبذت إليك على سواء، فقال مطرف لأصحابه: اخرجوا بنا وافرinq فإن الحجاج سيقاقلنا فيقاتلنا وبنا قوة أمثل. فخرج ونزل المدائن، فعقد شبيب الجسر، وبعث إلى المدائن أخاه مصداً، وأقبل إليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة، وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم، ومن نشط إلى الخروج من شبابهم، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب، ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة، فكانوا خمسين ألفاً، ولم يدع الحجاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلا أخرجهم.

قال أبو غنخف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتاباً إلى شبيب في الناس وهو يقول: يا أهل الكوفة، اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم، لا أرفض لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا. إلا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة، ألا وإن للناكل المأرب الموان والجفوة والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأوليكم كنفاً خشناً،

حوية السعدي من بني الأعرج، وقيصة بن القلقلي، فقال لهم: من ترون أن أبعث على هذا الجيش؟ فقالوا: رأيك أيها الأمير أفضل، قال: فإني قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء، وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة، فيكون هو الذي يسير في الناس، قال زهرة بن حوية: أصلح الله الأمير! رميتهم بمجرهم، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل. وقال له قيصة بن القلقلي: إني مشير عليك برأيي، فإن يكن خطأ فبعد اجتهادي في النصيحة لأمر المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين، وإن بك صواباً فآله سددني له، إنا قد تحدثنا وتحدث الناس أن جيشاً قد فصل إليك من قبل الشام، وأن أهل الكوفة قد هزموا وفلوا واستخفوا بالصبر، وهان عليهم عار الفرار، فقلوبهم كأنها ليست فيهم، كأنما هي في قوم آخرين، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذي أمددت به من أهل الشام فيأخذوا حذرهم، ولا يبيتوا إلا وهم يرون أنهم مبيتون فعلت، فإنك تحارب حوّلاً قليلاً، ظعاناً رَحَلاً، وقد جهزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة. وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام إن شبيباً بنا هو في أرض إذا هو في أخرى، ولا آمن أن يأتيتهم وهم غارون فإن يهلكوا تهلك ويهلك العراق. فقال: لله أنت! ما أحسن ما رأيت! وما أحسن ما أشرت به علي!

قال: فبعث عبد الرحمن بن الغرق مولى عقيل إلى من أقبل من أهل الشام، فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج. أما بعد: فإذا حاذيتهم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار، وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله. وخذوا حذرهم، وعجلوا السير والسلام.

فأقبل القوم سراعاً. قال: وقدّم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج إنه قادم عليكم فيها. فأمّره الحجاج فخرج بالناس فعسكر بهم بمقام أعين، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلوذا فقطع منها دجلة، ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا، فصار بينه وبين مطرف بن الغيرة بن شعبة جسر دجلة.

فلما نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر، وبعث إلى شبيب: أن أبعث إلي رجلاً من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن، وأنظر فيما تدعو إليه. فبعث إليه شبيب رجلاً من وجوه أصحابه، فيهم قنعب وسويد والمحلل، فلما أرادوا أن ينزلوا في السفينة بعث إليهم شبيب ألا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلي رسولي من عند مطرف، فرجع الرسول. وبعث إلى مطرف أن أبعث إلي من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا رهناً في يدي حتى ترد علي أصحابي، فقال مطرف لرسوله: الله وقل له: كيف آمّنك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك، وأنت لا تأمنني

ولأعزكنكم بكلكل ثقيل..

ثم نزل، وتوافى الناس مع عتاب بسوق حكمة.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: عرضنا شبيب بالمداثن فكان ألف رجل، فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين، إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً، وأنقص منه قليلاً، فأنتم اليوم مئون ومئون، ألا إني مصل الظهر ثم سائر بكم. فصلى الظهر ثم نودى في الناس: يا خيل الله اركبي وأبشري، فخرج في أصحابه، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون، فلما جاوزنا ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله، وزهدنا في الدنيا، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة، ثم أمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا العصر، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه، فلما أن رأهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن، ثم تقدم فصلى بنا المغرب، وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني، وكانت عيون عتاب بن ورقاء قد جاؤوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه، فخرج بالناس كلهم فعبأهم، وكان قد خندق أول يوم نزل، وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير إلى شبيب بالمداثن، فبلغ ذلك شبيباً فقال: أسير إليه أحب إلي من أن يسير إلي، فأتاه، فلما صف عتاب الناس بعث على ميمته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وقال: يا ابن أخي، إنك شريف فاصبر وصابر، فقال: أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبت معي إنسان. وقال لقيصة بن النضر - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب: أكفي الميسرة، فقال: أنا شيخ كبير، كثير مني أن أثبت تحت رايتي، قد أنبت مني القيام، ما أستطيع القيام إلا أن أقام، ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيان - وكان كل واحد منهما على ثلث من اثلاث تغلب - فقال: ابعت أيهما أحببت، فأيهما بعثت فلتبعن ذا حزم وعزم وغناء. فبعث نعيم بن عليم على ميسرته، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته - على الرجال، وصفهم ثلاثة صفوف: صف فيهم الرجال معهم السيوف، وصف وهم أصحاب الرماح، وصف فيه الرماية، ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية، فيحثهم على تقوى الله، ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم.

قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال: وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً، كان مما حفظت منه ثلاث كلمات، قال: يسا أهل الإسلام إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء، وليس الله لأحد من خلقه بأحد منه للصابرين، ألا ترون أنه يقول: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾! فمن حمد الله فعله أعظم درجته، وليس الله

لأحد أمقت منه لأهل البغي، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه، لا يرون إلا أن ذلك لهم قربة عند الله! فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار، أين القصاص؟ قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا، فلما رأى ذلك، قال: أين من يروي شعر عنتره؟ قال: فلا والله ما رد عليه إنسان كلمة. فقال: إنا لله! كاني بكم قد فررت عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في أسته الريح.

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي. وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة، فقال: لقد تخلف عنا من لا أحب أن يرى فينا. فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر، فناداهم: لمن هذه الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة. فقال: شبيب: رايات طالمنا نصرت الحق، وطالمنا نصرت الباطل، لها في كل نصيب، والله لأجاهدنكم عتسباً للخير في جهادكم، أنتم ربيعة وأنا شبيب، أنا أبو المدلة، لا حكم إلا للحكم، اثبتوا إن شئتم. ثم حمل عليهم وهو على مسنة أمام الخندق ففضهم، فثبت أصحاب رايات قبضة بن النضر وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم، فقتلوا، وانهزمت الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب: قتل قبضة بن النضر. فقال شبيب: قتلتم قبضة بن النضر التغلبي يا معشر المسلمين! قال الله: ﴿وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتَتْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، هذا مثل ابن عمكم قبضة بن النضر، أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم جاء بقاتلكم مع الكافرين! ثم وقف عليه فقال: ويحك! لو ثبت على إسلامك الأول سعدت، ثم حمل من الميسرة على عتاب بن ورقاء، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن، فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان فأحسنوا القتال، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقتل لهم: قتل عتاب بن ورقاء، فانفضوا، ولم يزل عتاب جالساً على طنفسة في القلب وزهرة بن حوية معه، إذ غشيهم شبيب، فقال له عتاب: يا زهرة بن حوية، هذا يوم كثر فيه العدد، وقل فيه الغناء، والهنئي على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس! ألا صابر لعدوه! ألا مؤاس بنفسه! فانفضوا عنه وتركوه، فقال له زهرة: أحسنت يا عتاب، فعلت فعل مثلك، والله والله لو منحتهم كنفك ما كان بقاؤك إلا قليلاً، أبشر فلاني أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا، فقال له: جزاك الله خيراً ما جرى أمراً بمعروف وحناناً على تقوى.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: والله لخرجنا تتبع آثار الناس، فانتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وهما يشيان كاني أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلا طيناً، فصددت عنهما، وكهرت أن أذعرهما، ولو أني أودن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما، وقلت في نفسي: لئن سقت إلى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي، وأقبل شبيب حتى نزل الصراة.

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة فانتهى إلى سوار، فندب الناس، فقال: أيكم يأتيني برأس عامل سورا؟ فانتدب له بطين وقعب وسويد ورجلان من أصحابه، فساروا مغذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا: أجيئوا الأمير، فقالوا: أي الأمراء؟ قالوا: أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيباً، فاغتر بذلك العامل منهم. ثم إنهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه، وقبضوا على ما كان من مال، ولحقوا بشبيب، فلما انتهوا إليه قال: ما الذي أتيتونا به؟ قالوا: جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال، والمال على دابة في بدوره، فقال شبيب: أتيتونا بفتنة للمسلمين، هلم الحربة يا غلام، فخرق بها البدور، وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة، فقال: إن كان بقي شيء فاقدفه في الماء. ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج، وكان أنه قبل خروجه معه، فقال: ابعتني أستقبله قبل أن يأتيك. فقال: ما أحب أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا.

### ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن موسى بن سوار، قال: قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعدما قدم جيش الشام الكوفة، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحجاج: إن شبيباً قد اطل علي، فابعث إلى المدائن بعثاً. فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس، فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريد، وكتب ذلك سبرة. فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد، ودعا إلى امره، فقال له: نعم أنا معك، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم، وأقبل بهم فصادف عتاب بن

فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة، وقد ذهب الناس ميئاً وشمالاً، فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بني المدينة: أصلحك الله! إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصق معه أناس كثير، فقال له: قد فر قبل اليوم، وما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع، ثم قاتلهم ساعة وهو يقول: ما رأيت كالיום قط موطناً لم ابتل بمثله قط أقل مقاتلاً ولا أكثر هارباً خاذلاً، فرأه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو، وكان قد أصاب دماً في قومه، فلحق بشبيب، وكان من الفرسان، فقال لشبيب: والله إني لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء! فحمل عليه فطعنه، فوقع فكان هو ولي قتله. ووطئت الخيل زهرة بن حوية، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم، فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله، فانتهى إليه شبيب فوجده صريعاً فعرفه، فقال: من قتل هذا؟ فقال الفضل: أنا قتلته، فقال شبيب: هذا زهرة بن حوية، أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك! ولرب خيل للمشركين قد هزمتها، وسرية لهم قد ذعرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتحتها، ثم كان في علم الله أن تقتل ناصراً للظالمين!.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط قال: رأيت أنه والله توجع له، فقال رجل من شبان بكر بن وائل: والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين! قال: إنك لست بأعرف بضلالتهن مني، ولكنني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف، ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً. وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي، وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس، فقال: ارفعوا عنهم السيف، ودعا إلى البيعة، فبايعه الناس من ساعتهم، وهربوا من تحت ليلتهم، وأخذ شبيب يبايعهم، ويقول: إلى ساعة يهربون. وحوى شبيب على ما في العسكر، وبعث إلى أخيه، فأثاء من المدائن، فلما وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره بيت قرعة يومين، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة، وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة، فشدوا للحجاج ظهره، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة، فلا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصير من أراد بكم النصير، اخرجوا عنا، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً، ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء.

ورقاء قد قتل وشبيباً قد مضى إلى الكوفة، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطري، وقد نزل شبيب حمام عمر، فخرج سيرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي، ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج، فوجد أهل الكوفة مسخوطاً عليهم، فدخل على سفيان بن الأبرد. فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مطرفاً، وأنه لم يشهد عتاباً ولم يشهد هزيمة في موطن من موطن أهل الكوفة، ولم أزل للأمر عاملاً. ومعني ماتا رجل لم يشهدوا معني هزيمة قط، وهم على طاعتهم ولم يدخلوا في فتنة.

فدخل سفيان إلى الحجاج فخبره بخبر ما قص عليه سيرة بن عبد الرحمن، فقال: صدق ويرا! قل له: فليشهد معنا لقاء عدونا، فخرج إليه فاعلمه ذلك. وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمام أعين، ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب، ورجالاً كانوا عمالاً في نحو من مائتي رجل من أهل الشام، فخرج في نحو من ألف، فنزل زرارة، وبلغ ذلك شبيباً، فتعجل إليه في أصحابه، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله، وهزم أصحابه، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة. وجاء شبيب حتى قطع الجسر، وعسكر دونه إلى الكوفة، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام، فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلماؤه عليهم السلاح، فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم، وخشوا إن لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان. وجاء شبيب حتى ابتنى مسجداً في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب القُتْ عند الإيوان. وهو قائم حتى الساعة. فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مول له عليه تحفاف، وأخرج مجففة كثيرة وغلماؤنا له، وقالوا هذا الحجاج، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحمكم منه.

ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبة فثبتوا له، حتى إذا غشي أطراف الرماح وثبوا في وجهه، فقاتلهم طويلاً. ثم إن أهل الشام طعنوه قداماً حتى الحقوه بأصحابه، فلما رأى صبرهم نادى: يا سويد، حمل في خيلك على أهل هذه السكة - يعني سكة لحام جرير - لعلك تزيل أهلها عنها، فتأتي الحجاج من ورائه، ونحمل نحن عليه من أمامه. فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك، فانصرف، وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في نحو من ثلاثمائة رجل من أهل الشام رداً له ولأصحابه لئلا يؤتوا من ورائه.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط: إن شبيباً قال لنا يومئذ: يا أهل الإسلام إنما شرينا الله. ومن شري الله لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى والالم في جنب الله. الصبر الصبر، شدة كشداتكم في مواطنكم الكريمة.

ثم جمع أصحابه، فلما ظن الحجاج أنه حامل عليهم قال لأصحابه: يا أهل السمع والطاعة، اصبروا لهذه الشدة الواحدة، ثم ورب السماء ما شيء دون الفتح، فجتوا على الركب، وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه، فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس. فوثبوا في وجهه، فما زالوا يطعنون ويضربون قداماً ويدفعون شبيباً وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بستان زائدة. فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه: يا أولياء الله، الأرض الأرض، ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك

فدخل سفيان إلى الحجاج فخبره بخبر ما قص عليه سيرة بن عبد الرحمن، فقال: صدق ويرا! قل له: فليشهد معنا لقاء عدونا، فخرج إليه فاعلمه ذلك. وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمام أعين، ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب، ورجالاً كانوا عمالاً في نحو من مائتي رجل من أهل الشام، فخرج في نحو من ألف، فنزل زرارة، وبلغ ذلك شبيباً، فتعجل إليه في أصحابه، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله، وهزم أصحابه، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة. وجاء شبيب حتى قطع الجسر، وعسكر دونه إلى الكوفة، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام، فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلماؤه عليهم السلاح، فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم، وخشوا إن لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان. وجاء شبيب حتى ابتنى مسجداً في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب القُتْ عند الإيوان. وهو قائم حتى الساعة. فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مول له عليه تحفاف، وأخرج مجففة كثيرة وغلماؤنا له، وقالوا هذا الحجاج، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحمكم منه.

ثم إن الحجاج أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدة على مثل تلك الهيئة، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحمكم منه.

ثم إن الحجاج أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدة على مثل تلك الهيئة، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحمكم منه.

ثم إن الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال: اتنوني ببغل أركبه ما ببني وبين السبخة، فأتي ببغل محجل، فقبل له: إن الأعاجم أصلحك الله تطير أن تركب في مثل هذا اليوم مثل هذا البغل، فقال: أدونه مني، فإن اليوم يوم أغر محجل، فركبه ثم خرج في أهل الشام حتى أخذ في سكة البريد، ثم خرج في أعلى السبخة، فلما نظر الحجاج إلى شبيب وأصحابه نزل، وكان شبيب في ستمائة فارس، فلما رأى الحجاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه،

نصفهم مع سويد بن سليم، وجاء الحجاج حتى انتهى إلى مسجد شبت، ثم قال: يا أهل الشام، يا أهل السمع والطاعة، هذا أول الفتح والذي نفس الحجاج بيده! وصعد المسجد معه نحو من عشرين رجلاً معهم النبل، فقال: إن دنوا منا فارشقوهم، فاقتلوا عامة النهار من أشد قتال في الأرض، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه. ثم إن خالد بن عتاب قال للحجاج: ائذن لي في قتالهم فأني موتور، وأنا عن لا يتهم في نصيحة، قال: فأني قد أذنت لك، قال: فأني آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكريهم، فقال له: افعل ما بدا لك، قال: فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكريهم من ورائهم، فقتل مصداً أخا شبيب، وقتل غزاة امرأته، قتلها فروة بن الدفان الكلبي، وحرق في عسكريه، وأتى ذلك الخبر الحجاج وشيباً، فأما الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة، وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم، وقال الحجاج لأهل الشام: شدوا عليهم فإنه قد أتاهم ما أربع قلوبهم. فشدوا عليهم فزهزموهم، وتخلف شبيب في حامية الناس.

قال هشام: فحدثني أصغر الخارجي، قال: حدثني من كان مع شبيب قال: لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج، قال: فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك، قال: فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق برأسه، قال: ودنوا منا، فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث، ثم جعل يخفق برأسه. قال: فبعث الحجاج إلى خيله أن يدعو في حرق الله وناره، فتركوه ورجعوا.

قال أبو زيد: حدثني خلاد بن يزيد، قال: حدثنا الحجاج بن قتيبة، قال: جاء شبيب وقد بعث إليه الحجاج أميراً فقتله، ثم آخر فقتله، أحدهما أعين صاحب همام أعين، قال: فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزاة، وقد كانت نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران. قال: ففعلت. قال: واتخذ شبيب في عسكريه أخصاصاً، فقام الحجاج فقال: لا أراكم تناصحوں في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق! وأنا كاتب إلى أمير المؤمنين ليمدني بأهل الشام. قال: فقام قتيبة فقال: إنك لم تنصح لله ولا لأمر المؤمنين في قتالهم.

قال عمر بن شبة: قال خلاد: فحدثني محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن الحجاج خنق قتيبة بعمامته خنقاً شديداً.

ثم رجع الحديث إلى حديث الحجاج وقتيبة.

قال: فقال: وكيف ذاك؟ قال: تبعث الرجل الشريف وتبعث معه راعاً من الناس فينهزمون عنه. ويستحيي فيقاتل حتى يقتل، قال: فما الرأي؟ قال: أن تخرج بنفسك وتخرج معك

نصفهم مع سويد بن سليم، وجاء الحجاج حتى انتهى إلى مسجد شبت، ثم قال: يا أهل الشام، يا أهل السمع والطاعة، هذا أول الفتح والذي نفس الحجاج بيده! وصعد المسجد معه نحو من عشرين رجلاً معهم النبل، فقال: إن دنوا منا فارشقوهم، فاقتلوا عامة النهار من أشد قتال في الأرض، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه. ثم إن خالد بن عتاب قال للحجاج: ائذن لي في قتالهم فأني موتور، وأنا عن لا يتهم في نصيحة، قال: فأني قد أذنت لك، قال: فأني آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكريهم، فقال له: افعل ما بدا لك، قال: فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكريهم من ورائهم، فقتل مصداً أخا شبيب، وقتل غزاة امرأته، قتلها فروة بن الدفان الكلبي، وحرق في عسكريه، وأتى ذلك الخبر الحجاج وشيباً، فأما الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة، وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم، وقال الحجاج لأهل الشام: شدوا عليهم فإنه قد أتاهم ما أربع قلوبهم. فشدوا عليهم فزهزموهم، وتخلف شبيب في حامية الناس.

قال هشام: فحدثني أصغر الخارجي، قال: حدثني من كان مع شبيب قال: لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج، قال: فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك، قال: فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق برأسه، قال: ودنوا منا، فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث، ثم جعل يخفق برأسه. قال: فبعث الحجاج إلى خيله أن يدعو في حرق الله وناره، فتركوه ورجعوا.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني أبو عمرو العذري، قال: قطع شبيب الجسر حين عبر. قال: وقال لي فروة: كنت معه حين انهزمنا فما حرك الجسر، ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر. ودخل الحجاج الكوفة، ثم صعد المنبر فحمد الله، ثم قال: والله ما قوتل شبيب قبلها، ولئله هارباً، وترك امرأته يكسر في استنها القصب.

وقد قيل في قتال الحجاج شيباً بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن المغيرة بن عطية، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس التيمي، قال: لما فض شبيب كتائب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبيت فيه وهو على سرير عليه لحاف، فقال: إنني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر، فأشيروا علي، إن هذا الرجل قد تبجح بمجوحتككم، ودخل حريمكم، وقتل مقاتلتكم، فأشيروا علي، فأطرقوا. وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال: إن أذن لي الأمير تكلمت، فقال: تكلم، فقال: إن الأمير والله ما راقب الله، ولا حفظ أمير

بني أبي ربيعة بن ذهل، وهو في زهاء مائتين، وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي، وعلى يسارته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء أربعة آلاف. وقيل له: لا تعرفه موضعك، فتنكر وأخفى مكانه، وشبه له أبا الورد مولاه، فنظر إليه شبيب، فحمل عليه، فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلاً فقتله، وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة، وهو مولى لبكر بن وائل فقتله، فركب الحجاج بغلة غراء محجلة.

وقال: إن الدين أغر محجل، وقال لأبي كعب: قدم لواءك، أنا ابن أبي عقيل. وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه، فبلغ بهم الرحبة، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه، فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا، فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد، فإنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شبيب، فقال: ما تقول في صالح بن مسرح؟ وبم تشهد عليه؟ قال: أعلى هذه الحال، وفي هذه الخزة! والحجاج ينظر، قال: فبرئ من صالح، فقال مصقلة: برئ الله منك. وفارقوه إلا أربعين فارساً هم أشد أصحابه، وانحاز الآخرون إلى دار الرزق، وقال الحجاج: قد اختلفوا، وأرسل إلى خالد بن عتاب فاتاهم فقاتلهم، فقتلت غزاله، ومر برأسها إلى الحجاج فارس فعرفه شبيب، فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس، فأمر به فغسل ودفنه وقال: هي أقرب إليكم رحماً - يعني غزاله.

ومضى القوم على حاميتهم، ورجع خالد إلى الحجاج فأخبره بانصراف القوم. فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم، وأتبعه ثمانية، منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وستان، حتى بلغوا به الرحبة، وأتى شبيب في موقفه بخوط بن عمر السدوسي، فقال له شبيب: يا خوط، لا حكم إلا لله. فقال: لا حكم إلا لله، فقال شبيب: خوط من أصحابكم. ولكنه كان يخاف، فأطلقه. وأتى بعيمر بن القعقاع، فقال له: لا حكم إلا لله يا عمير، فجعل لا يفقه عنه، ويقول: في سبيل الله شبابي. فردد عليه شبيب: لا حكم إلا لله، ليتخلصه، فلم يفقه. فأمر بقتله، وقتل مصاد أخو شبيب، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالداً فأبطلوا. ونعس شبيب فأيقظه حبيب بن خدره، وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له، وسار إلى دار الرزق، فجمع رثة من قتل من أصحابه، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه، فظنوا أنهم قتلوه، ورجع مطر وخالد إلى الحجاج فأمرهما فأتبعهما الرهط الثمانية. وأتبع الرهط شبيباً. فمضوا جميعاً حتى قطعوا جسر المدائن، فدخلوا ديراً هنالك وخالد يقفوه. فحصرهم في الدير، فخرجوا عليه

نظراً فيؤاسونك بأنفسهم. قال: فلعله من ثم. وقال الحجاج: والله لأبرزن له غداً، فلما كان الغد حضر الناس، فقال قتيبة: اذكر يمينك أصلح الله الأمير! فلعنوه أيضاً، وقال الحجاج: اخرج فارتد لي معسكراً، فذهب ونهبا هو وأصحابه فخرجوا، فأتى على موضع فيه بعض القدر، موضع كناسة فقال: اللقوا لي هاهنا، فقيل: إن الموضع قدر، فقال: ما تدعوني إليه أقدر، الأرض تحته طيبة، والسماء فوقه طيبة. قال: فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم، وجاء شبيب وأصحابه فقبضوا دوابهم، وخرجوا يمشون، فقال لهم شبيب: الهوا عن ريميكم، ودبوا تحت تراسكم، حتى إذا كانت أستمهم فوقها، فآزلقوها صعداً، ثم ادخلوها تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم، وهي الهزيمة بإذن الله، فأقبلوا يدبون إليهم. وجاء خالد بن عتاب في شاكريته، فدار من وراء عسكرهم، فأضرم أخصاصهم بالنار، فلما راوا ضوء النار وسمعوا معمعتها التفتوا فراوها في بيوتهم، فولوا إلى خيلهم وتبعهم الناس، وكانت الهزيمة. ورضي الحجاج عن خالد، وعقد له على قتالهم.

قال: ولما قتل شبيب عتاباً أراد دخول الكوفة ثانية، فأقبل حتى شارفها فوجه إليه الحجاج سيف بن هانيء ورجلاً معه لياتيه بخبر شبيب، فأتيا عسكره ففطن بهما، فقتل الرجل، وأفلت سيف، وتبعه رجل من الخوارج، فأوثب سيف فرسه ساقيه، ثم سأل الرجل الأمان على أن يصدقه، فأمنه، فأخبره أن الحجاج بعثه وصاحبه لياتيه بخبر شبيب.

قال: فأخبره أنا ناتي يوم الاثنين، فأتى سيف الحجاج فأخبره، فقال: كذب وماق، فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة، فوجه إليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي، فلقى شبيب بزرارة فقتله، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلاً على شاطئ الفرات في دار الرزق، فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة، فأخذوا بأفواه السكك، فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم، فبعث إلى شبيب فأمدته بفوارس، فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا، ومضى البطين إلى دار الرزق، وعسكر على شاطئ الفرات، وأقبل شبيب فنزل دون الجسر، فلم يوجه إليه الحجاج أحداً، فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات، فأقام ثلاثاً لا يوجه إليه الحجاج أحداً، فأشير إلى الحجاج أن يخرج بنفسه، فوجه قتيبة بن مسلم، فهيا له عسكراً ثم رجع، فقال: وجدت المائي سهلاً، فسر على الطائر الميمون، فنادى في أهل الكوفة فخرجوا، وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا، وعلى ميمنته شبيب البطين، وعلى يسارته قعنب مولى



منهم فما يضره شيء من الإعياء والضعف، ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالساً ينفع بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء، فلما يشبوا منا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه: اركبوا، فلما استولوا على حثون خيولهم وجه منصرفاً عنا.

قال أبو مخنف: حدثني فروة بن لقيط، عن شبيب، قال: لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة، وجراحة ظاهرة، قال لنا: ما أشد هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا! وما أيسر هذا في ثواب الله! فقال أصحابه: صدقت يا أمير المؤمنين، قال: فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقاتله له: قتلته منهم أمس رجلين: أحدهما أشجع الناس، والآخر أجبن الناس، خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم، فاشترى أحدهم حاجته، ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه، فقال: كأنك لم تشتتر علفاً، فقلت: إن لي رفقاء قد كفوني ذلك. فقلت له: أين ترى عدونا هذا نزل؟ قال: بلغني أنه قد نزل منا قريباً، وإيم الله لوددت أنني قد لقيت شبيبهم هذا، قلت: فتحب ذلك؟ قال: نعم، قلت: فخذ حذرك، فأنا والله شبيب، وانتضيت سيفي، فخر والله ميتاً، فقلت له: ارتفع ويحك! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات، فانصرفت راجعاً، فاستقبل الآخر خارجاً من القرية، فقال: أين تذهب هذه الساعة؟ وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم! فلم أكلمه، ومضيت يقرب بي فرسي، وأتبعني حتى لحقني، فقطعت عليه فقلت له: ما لك؟ فقال: أنت والله من عدونا؟ فقلت: أجل والله، فقال: والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك، فحملت عليه وحمل علي، فاضطربنا بسيفينا ساعة. فوالله ما فضلت في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطع من سيفه، فقتلته، قال: فمضينا حتى قطعنا دجلة، ثم أخذنا في أرض جوحى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس، ثم ارتفعنا إلى كرمان.

### ذكر الخبر عن مهلك شبيب

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد، وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين.

#### ذكر سبب هلاكه:

قال هشام، عن أبي مخنف: قال: حدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أقفلنا الحجاج إليه - يعني إلى شبيب - فقسم فينا مالا عظيماً، وأعطى كل جريح منا وكل ذي بلاء، ثم أمر سفیان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب، فتجهز سفیان، فشق ذلك

فهموه نحواً من فرسخين حتى ألحقوا أنفسهم في دجلة بجيولهم، وألقى خالد نفسه بفرسه فمر به ولوأوه في يده، فقال شبيب: قاتله الله فارساً وفرسه! هذا أشد الناس. وفرسه أقوى فرس في الأرض، فقبل له: هذا خالد بن عتاب، فقال: معرق له في الشجاعة، والله لو علمت لأفحمت خلفه ولو دخل النار.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي عمرو العذري، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب، ثم صعد المنبر، فقال: والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلهما، ولي والله هارباً، وترك امرأته يكسر في استنها القصب. ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام، فقال له الحجاج: احذر يبابه، وحيثما لقيته فنازله. فإن الله قد فل حده، وقسم نابه. فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار، وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمن، فكان كل من ليست له تلك البصرة ممن قد هذه القتال يميء فيؤمن، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هزموا: إن من جاءنا منكم فهو آمن، فتفرق عنه ناس كثير من أصحابه، وبلغ شبيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيتنا. قال: فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعاً. وقال لكل ربع منا: ليجزى كل ربع منكم جانبه، فإن قاتل هذا الربع فلا يغنهم هذا الربع الآخر، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منا قريب، فوطنوا أنفسكم على أنكم ميتون ومقاتلون، فما زلنا على تعييننا حتى جاءنا شبيب فبيتنا، فشد على ربع منا، عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلاً، فما زالت قدم إنسان منهم، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر. وقد جعل عليهم سعد بن مجل العامري فقاتلهم، فما زالت قدم إنسان منهم، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شيء، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً، فلم يظفر بشيء، ثم أطاف بنا يجعل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل، والربنا حتى قلنا: لا يفارقنا، ثم نازلنا راجلاً طويلاً، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي، وفقتت الأعين، وكثرت القتلى، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين، وقتلوا منا نحواً من مائة، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا، وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتى مللناهم وملونا. وكرهونا وكرهناهم، ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل

على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، وقال: تبعث سفيان إلى رجل قد قتلته وقتلت فرسان أصحابه! فأمضى سفيان بعد شهرين، وأقام شبيب بكرمان، حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعاً، فيستقبله سفيان بمجر دجيل الأهواز، وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة.

أما بعد، فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب، ومعه فليلحق بسفيان بن الأبرد، وليسمع له وليطع.

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف، فلم يته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب، ولما أن التقيا بمجر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال، وبعث مهاضر بن صفني العذري على الخيل، وبعث على ميمته بشر بن حسان الفهري، وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه، هو في كتيبة وسويد في كتيبة، وقعبن الحلمي في كتيبة، وخلف الحليل بن وائل في عسكره. قال: فلما حل سويد وهو في ميمته على مسيرة سفيان، وقعبن وهو في ميسرته على ميمته حمل هو على سفيان، فاضطربنا طويلاً من النهار، حتى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه. فكر علينا هو وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة، كل ذلك لا نزول من صفنا. وقال لنا سفيان بن الأبرد: لا تفرقوا، ولكن لتزحف الرجال إليهم زحفاً، فوالله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطروناهم إلى الجسر، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل، فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط، فما هو إلا أن نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئاً ما رأينا مثله من قوم قط. فلما رأى سفيان أنه لا يقدر عليهم، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم. دعا الرماة فقال: ارشقوهم بالنبل، وذلك عند المساء، وكان التقاؤهم نصف النهار، فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء، وقد صفهم سفيان بن الأبرد على حدة، وبعث على الرماية رجلاً، فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم، فلما شدوا على رماتنا شدنا عليهم. فشغلناهم عنهم، فلما رموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كروا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ثم عطف بخيله علينا. فمشى عامداً نحونا، فطاعناه حتى اختلط الظلام. ثم انصرف عنا. فقال سفيان لأصحابه: أيها الناس، دعوهم لا تتبعوهم حتى نصحبهم غدوة. قال: فكففتنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: فما هو إلا أن

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي، قال: إننا والله لنهياً للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال: أين أميركم؟ قلنا: هو هذا فجاءه فقال: أصلحك الله! إن رجلاً منهم وقع في الماء، فتنادوا بينهم: غرق أمير المؤمنين! ثم إنهم انصرفوا راجعين، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد، فكير سفيان وكبرنا، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر، وبعث مهاضر بن صفني فعبر إلى عسكرهم، فإذا ليس فيه منهم صافر ولا أثر. فنزل فيه، فإذا أكثر

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: فما هو إلا أن

حتى تجد حره ويخلوها في العسكر، وواعدهم تلة قرية من العسكر، فقال: من نجا منكم فإن موعدة هذه التلة، وكره أصحابه الإقدام على ما أمرهم به، فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخیل مثل الذي أمرهم، ثم غلغت في العسكر، ودخل يتلوها محكماً فضرب الناس بعضهم بعضاً، فقام صاحبهم الذي كان عليهم، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، فنادى: أيها الناس، إن هذه مكيدة، فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر، ففعلوا وبقي شيب في عسكرهم فلزم الأرض حيث رآهم قد سكتوا، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته، فلما أن هدأ الناس ورجعوا إلى أبينتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلة، فإذا هو بجيان، فقال: أفرغ يا حيان على رأسي من الماء، فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان أن يضرب عنقه، فقال لنفسه: لا أجد لي مكرمة ولا ذكراً أرفع من قتلي هذا، وهو أماني عند الحجاج، فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به، فلما أبطأ محل الإداة قال: ما يظنك مجلها! فتناول السكين من موزجه فخرقها به، ثم ناولها إياه، فأفرغ عليه من الماء. فقال حيان: منعتي واللّه الجين وما أخذني من الرعدة أن أضرب عنقه بعدما هممت به. ثم لحق شيب بأصحابه في عسكره.

### خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقتل.

### ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان:

قال هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني يوسف بن يزيد بن بكر الأزدي أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء، أشرفاً بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم في قومهم. قال: فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه، فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة، ومطرف بن المغيرة على المدائن، وحزمة بن المغيرة على همدان.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيّل الأزدي، قال: قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم، وأمرني بالحكم بالحق، والعدل في السيرة، فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس، وإن لم أفعل فنفسي أوبقت، وحظ نفسي ضيعت ألا إنني

عسكر خلق الله خيراً، وأصبحنا فطلبتنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعت الناس يزعمون أنه شق بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة. وإنه كان يضرب به الأرض فيشب قامة إنسان، فقال سفيان: الحمد لله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاد بن يزيد الأرقط، قال: كان شيباً ينعى لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقيل لها: إنه غرق. فقيلت، وقالت: إنني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان إياه بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد بن نعيم أبو شيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة الخامسة وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه، فضربها فلم تزدد إلا عصياناً، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشاها تلقت منه بجمل فولدت شيباً، وذلك سنة الخامسة وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأحبّت مولاهما حباً شديداً - وكانت حدثت - وقالت: إن شئت أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إنني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قلبي شهاب فتقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فيينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جار فخبأ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإنني قد أولت رؤياي هذه أني أرى ولدي هذا غلاماً، أراه سيكون صاحب دماء يهريقها، وإنني أرى أمره سيعلو ويعظم سريعاً. قال: فكان أبوه يختلف به وبأمه إلى البادية إلى أرض قومه على ماء يدعى اللصف.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن أبي سويد بن رادي أن جند أهل الشام الذين جاؤوا حلوا معهم الحجر فقالوا: لا نفر من شيب حتى يفر هذا الحجر، فبلغ شيباً أمرهم، فأراد أن يكيدهم، فدعا بأفراس أربعة. فربط في أذناها ترسة في ذنب كل فرس ترسين، ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه، ومعه غلام له يقال له حيان، وأمره أن يحمل معه إداة من ماء، ثم سار حتى يأتي ناحية من العسكر، فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً، ثم مسحوا الحديد

شبيب بهر سير قطع مطرف الجسر فيما بينه وبين شبيب، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجالاً من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن، وانظر ما تدعون إليه، فبعث إليه رجالاً، منهم سويد بن سليم وقعناب والحل بن وائل، فلما أدنى منهم المعبر وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل إليهم شبيب ألا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلي رسولي من عند مطرف، وبعث إلى مطرف: أن ابعث إلي بعدة من أصحابك حتى ترد علي أصحابي، فقال لرسوله: الله قتل له: فكيف أمّنك على أصحابي إذا بعثتهم الآن إليك وأنت لا تأمني على أصحابك! فأرسل إليه شبيب: إنك قد علمت أنا لا نستحل في ديننا الغدر، وأنتم تفعلونه وتهنونه. فسرّح إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي، وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني، ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة - وكان على حرس مطرف - فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح، قال: كنت عند مطرف بن المغيرة بن شعبة فما أدري أقال: إني كنت في الجند الذين كانوا معه، أو قال: كنت بإزاره حيث دخلت عليه رسل شبيب! وكان لي ولأخي ودأ مكرماً، ولم يكن ليستر منا شيئاً، فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيري وغير أخي حلام بن صالح، وهم ستة ونحن ثلاثة، وهم شاكون في السلاح، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا، فلما دنوا قال سويد: السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله، فقال له مطرف: أجل، فسلم الله على أولئك، ثم جلس القوم، فقال لهم مطرف: قصوا علي أمركم، وخبروني ما الذي تطلبون؟ وإلام تدعون؟ فحمد الله سويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الذي ندعو إليه كتاب الله وسنة محمد ﷺ، وإن الذي نقمنا على قومنا الاستئثار بالقيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجزيرة. فقال لهم مطرف: ما دعوتكم إلا إلى حق، ولا نقمتكم إلا جوراً ظاهراً، أنا لكم على هذا متابع، فتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجتمع أمري وأمركم، وتكون يدي وأيديكم واحدة، فقالوا: هات، اذكر ما تريد أن تذكر، فإن يكن ما تدعوننا إليه حقاً نجيبك، قال: فإني أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين على إحدائهم الذي أحدثوا، وأن ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب، فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا، وكثر تبعمكم منهم وأعاونكم على عدوكم، وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون.

قال: فوثبوا من عنده، وقالوا: هذا ما لا نجيبك إليه أبداً،

جالس لكم العصرين، فافرعوا إلي حوائجكم، وأشيروا علي بما يصلحكم ويصلح بلادكم، فإني لن ألوكم خيراً ما استطعت. ثم نزل.

وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشرف أهل المصر وبيوتات الناس، وبها مقاتلة لا تسعها عدة. إن كان كون بأرض جوخي أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الإيوان، وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشي نحوه، وكان من وجوه الأزد وأشرفهم، وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له: أصلحك الله إني كنت منك نائياً حين تكلمت، وإني أقبلت نحوك لأجيبك، فوافق ذلك نزولك، إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا، أنه عهد إليك، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه، وقد منيت من نفسك العدل، وسألت المعونة على الحق، فأعانك الله على ما نويت، إنك تشبه أباك في سيرته برضا الله والناس، فقال له مطرف: ها هنا إلي، فأوسع له فجلس إلى جنبه.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط، أقمعه لمريب، وأشدّه إنكاراً للظلم، فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني، ثم الثوري، وكان شاعراً فقال:

إني كلفت بخود غير فاحشة غراء وهنائة حسانة الجيد  
كانها الشمس يوم الدجن إذ برزت غشي مع الآتس الهيف الأماليد  
سل الهوى بعلندة مذكرة عنها إلى المجتدي ذي العرف والجدود  
إلى الفتى الماجد الفياض نعرفه في الناس ساعة يجلى كل مردود  
من الأكرام أنساباً إذا نسبوا والحامل القتل يوم المغرم الصيد  
إني أعينك بالرحمن من نفر حمر السبال كاسد الغابة السود  
فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم أبناء كل كريم النجل صناديد  
شدوا على ابن حصين في كتيه فغادره صريعاً ليلة العيد  
وابن المجالد أردته رماحهم كائمازل عن خوصاء صيخود  
وكل جمع بروذابار كان لهم قد فض بالطن بين النخل والبيد

فقال له: ويحك! ما جئت إلا لترغبنا. وقد كان شبيب أقبل من سائتدما، فكتب مطرف إلى الحجاج.

أما بعد، فإني أخبر الأمير أكرمه الله أن شبيباً قد أقبل نحونا، فإن رأى الأمير أن يمدني برجال أضبط بهم المدائن فعل، فإن المدائن باب الكوفة وحصنها.

فبعث إليه الحجاج بن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كناز في مائتين، وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ثم جاء حتى انتهى إلى كلواذا، فعبّر منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهر سير ومطرف بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض، فلما نزل

فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت إليه سويد بن سليم، فقال: يا ابن المغيرة، لو كان القوم عداءً غدرًا كنت قد أمكنتهم من نفسك، ففرج لها مطرف، وقال: صدقت وإله موسى وعيسى.

قال: ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقاتلته، فطمع فيه، وقال لهم: إن أصبحتم فليأتني أحدكم، فلما أصبحوا بعث إليه سويداً وأمره بأمره، فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف، فكنت أنا المستأذن له، فلما دخل وجلس أردت أن أنصرف، فقال لي مطرف: اجلس فليس دونك ستر فجلست وأنا يومئذ شاب أغيد، فقال له سويد: من هذا الذي ليس لك دونه ستر؟ فقال له: هذا الشريف الحبيب، هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة، فقال له: بخ أكرمت فارتبط، إن كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل، ثم أقبل عليه فقال: إنا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا، فقال لنا: القوه فقولوا له: ألسنت تعلم أن اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأي رشيد! فقد مضت به السنة بعد الرسول ﷺ، فإذا قال لكم: نعم، فقولوا له: فإنا قد اخترنا لأنفسنا أرضنا فينا، وأشدنا اضطلاعاً لما حمل، فما لم يغير ولم يبدل فهو ولي أمرنا. وقال لنا: قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت: إن العرب إذا علمت أنكم إنما تريدون بهذا الأمر قريشاً كان أكثر لتبعمكم منهم، فإن أهل الحق لا يتقصهم عند الله أن يقلوا، ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثروا، وإن تركنا حقنا الذي خرجنا له، ودخلنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن، لأننا لا نرى أن قريشاً أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب وقال: فإن زعم أنهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له: ولم ذاك؟ فإن قال: لقراءة محمد ﷺ بهم فقولوا له: فوالله ما كان ينبغي إذا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأولين أن يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرهم، ولولا أنهم علموا أن خير الناس عند الله اتقاهم، وأن أولاهم بهذا الأمر اتقاهم وأفضلهم فيهم، وأشدهم اضطلاعاً بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس. ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب. فلما اتبعنا فله ما لنا وعليه ما علينا، وهو رجل من المسلمين، وإلا يفعل فهو كيعض من نعادي ونقاتل من المشركين فقال له مطرف: قد فهمت ما ذكرت، ارجع يومك هذا حتى تنظر في أمرنا.

فرجع، ودعا مطرف رجلاً من أهل ثقاته وأهل نصائحه، منهم سليمان بن حذيفة المزني، والربيع بن يزيد الأسدي. قال النضر بن صالح: وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف، وكان على حرسه، فقال لهم

مطرف: يا هؤلاء، إنكم نصحائي وأهل مودتي ومن أثق بصلاحه وحسن رأيه، والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارهاً، أنكرها بقلبي، وأغريها ما استطعت بفعلي وأمري، فلما عظمت خطيتهم، ومر بي هؤلاء القوم يجاهدونهم، لم أر أنه يسعني إلا مناهضتهم وخلافهم إن وجدت أعواناً عليهم، وإني دعوت هؤلاء القوم فقللت لهم كيت وكيت، وقالوا لي كيت وكيت، فلست أرى القتال معهم، ولو تابعوني على رأي وعلى ما وصفت لهم لخلعت عبد الملك والحجاج، ولسرت إليهم أجاهدهم. فقال له المزني: إنهم لن يتابعوك، وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام ولا تظهره لأحد، وقال له الأسدي مثل ذلك، فجئنا مولاه ابن أبي زياد على ركبته ثم قال: والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة، وليزادن على كل كلمة عشرة أمثالها، والله أن لو كنت في السحاب هارباً من الحجاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك، فالتجاء النجاء من مكانك هذا، فإن أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب، ولا غس من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج، فاطلب داراً غير المدائن. فقال له صاحبه: ما نرى الرأي إلا كما ذكر لك، قال لهما مطرف: فما عندكما؟ قالوا: الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاسة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره. قال: ثم نظر إلي، فقال: ما عندك؟ فقلت: قتال عدوك والصبر معك ما صبرت، فقال لي: ذاك الظن بك.

قال: ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له: إن تابعتنا فانت منا، وإن أبيت فقد نابذناك، فقال: لا تعجلوا اليوم فإننا ننظر.

قال: وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توفوا الدسكرة معي لحدث حدث هنالك.

ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فنزله، فلقبه قبيصة بن عبد الرحمن القحافي من خنعم، فدعاه إلى صحبته، فصحبه فكساه وحمله، وأمر له بنفقة، ثم سار حتى نزل الدسكرة، فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بداً من أن يعلم أصحابه ما يريد، فجمع إليه رؤوس أصحابه، فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله، ثم قال لهم: أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وأمر بالعدل والإحسان، وقال فيما أنزل علينا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وإني أشهد الله أنني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فمن أحب منكم صحبني وكان على مثل رأيي فليتابعني، فإن له الأسوة

غيرها فاخرجوا عنا، فإننا لا نريد قتالكم، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بد من منع ما في أيدينا. فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية: أنت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي، فخرج حتى أتى مطرفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية، فقال له مطرف: ما أريدكم ولا بلادكم، فقال له: فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا، فإننا لا نجد بداً من أن يرى الناس وتسمع بذلك أنا قد خرجنا إليك.

قال: فبعث مطرف إلى الحجاج فأتاه، ولزموا الطريق حتى مروا بالثنية فإذا الأكراد بها، فنزل مطرف ونزل معه عامة أصحابه وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية، وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة، فهزمهم وقتلهم، وسلم مطرف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همدان، فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان، ففكره أن يدخلها فيتهم أخوه عند الحجاج، فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة.

أما بعد، فإن النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت، فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح.

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً، فلما رآه قال له: ثكلتك أمك! أنت قتلت مطرفاً؟ فقال له: ما أنا قتلته جعلت فداك! ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني، وليته لا يقتلك، فقال له: ويحك! من سول له هذا الأمر! فقال: نفسه سولت هذا له. ثم جلس إليه فقص عليه القصص، وأخبره بالخبر، ودفع كتاب مطرف إليه، فقرأه ثم قال: نعم، وأنا بائعٌ إليه بمال وسلاح، ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي؟ قال: ما أظن أن يخفى، فقال له حمزة: فوالله لئن أنا خذلتني في أنفع النصيرين له نصر العلانية، لا أخذله في أيسر النصيرين نصر السرية. قال: فسرح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزول في رستاق من رستاق ماه دينار، يقال له: سامان متاخم أرض أصبهان، وهو رستان كانت الحمراء تنزله.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، قال: والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد، فسمعت أهل العسكر يتحدثون أن الأمير بعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح، فأتيت مطرفاً فحدثته بذلك، فضرب بيده على جبهته ثم قال: سبحة الله! قال الأول: ما يخفى إلا ما لا يكون، قال: وما هو إلا أن قدم يزيد بن أبي زياد علينا، فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان وأصبهان.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن علقمة أن مطرفاً حين

وحسن الصحبة، ومن أبى فليذهب حيث شاء، فإني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة، فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شوري بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أجوا.

قال: فوثب إليه أصحابه فبايعوه، ثم إنه دخل رحله وبعث إلى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وإلى عبد الله بن كنانز النهدي فاستخلاهما، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامة أصحابه، فأعطياه الرضا، فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجدها قد نازل شبيباً، فشهدا معه وقعة شبيب.

قال: وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجهاً نحو حلوان، وقد كان الحجاج بعث في تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدي على حلوان وماسبذان، فلما بلغه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف أنه إن رفق في أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج، فجمع له سويد أهل البلد والأكراد، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان، وخرج إليه سويد وهو يجب أن يسلم من قتاله، وأن يعافى من الحجاج، فكان خروجه كالتعذير.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي أن الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل اتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم. قال: وكنت فيهم فلحقناه بجلوان، فكنا بمن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن.

قال أبو مخنف: وحدثني بذلك أيضاً النضر.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن علقمة. قال: ما هو إلا أن قدما على مطرف بن المغيرة، فسر بمقدمنا عليه، واجلس الحجاج ابن جارية معه على مجلس.

قال أبو مخنف: وحدثني النضر بن صالح، وعبد الله بن علقمة، أن سويداً لما خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت، وقدم ابنه القعقاع في الخيل، وما خيله يومئذ بكثير.

قال أبو مخنف: قال النضر بن صالح: أراهم كانوا مائتين، وقال ابن علقمة: أراهم كانوا ينقصون عن الثلاثمائة.

قال: فدعا مطرف الحجاج بن جارية فسرحه إليهم في نحو من عدتهم، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادون في قتاله، وهم فرسان متعلمون، فلما رآهم سويد قد تسروا نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رستم - قتل معه بعد ذلك بدير الجماجم - وفي يده راية بني سعد، فانطلق غلامه حتى انتهى إلى الحجاج بن جارية، فأسر إليه: إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى

عشرين، وخمسة عشر خمسة عشر، وعشرة عشرة، حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة، وكان في ألفين. وكان الأسود بن سعد الهمداني أتى الري في فتح الله على الحجاج يوم لقي شيباً بالسبخة، فمر بهمدان والجبال، ودخل على حمزة فاعتذر إليه، فقال الأسود: فأبلغت الحجاج عن حمزة، فقال: قد بلغني ذلك، وأراد عزله، فخشى أن يكرهه، وأن يمتنع منه، فبعث إلى قيس بن سعد العجلي - وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبي عجل وربيعة عدد بهمدان - فبعث إلى قيس بن سعد بعهدته على همدان، وكتب إليه أن أوثق حمزة بن المغيرة في الحديد، وأحبسه قبلك حتى يأتيك أمري.

فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير، فلما دخل المسجد وافق الإقامة لصلاة العصر، فصلى حمزة، فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلي صاحب شرطه، فأتوا كتاب الحجاج إليه، وأراه عهده، فقال حمزة: سمعاً وطاعة، فأوثقه وحبسه في السجن، وتولى أمر همدان، وبعث عماله عليها، وجعل عماله كلهم من قومه، وكتب إلى الحجاج.

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله، أنني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد، وحبسته في السجن، وبعثت عمالي على الخراج، ووضعت يدي في الجباية، فإن رأى الأمير إبقاء الله أن يأذن لي في السير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي، ومن أطاعني من أهل بلادي، فإني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجراً من جباية الخراج. والسلام.

فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال: هذا جانب أثر ما قد أمانه. وقد كان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة أن يمد أخاه بالسلاح والمال، ولا يدري لعله يبدو له فيعتق، فلم يزل يكيده حتى عزله، فاطمان وقصد قصد مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة أن الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلي وسمع قوله: إن أحب الأمير سرت إليه حتى أجاهده في قومي، قال: ما أبغض إلي أن تكثر العرب في أرض الخراج. قال: فقال لي ابن الغرق: ما هو إلا أن سمعتها من الحجاج فعلمت أنه لو قد فرغ له قد عزله.

قال: وحدثني النضر بن صالح أن الحجاج كتب إلى عدي بن وتاد الإيادي وهو على الري يأمره بالسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممر على البراء بن قبيصة، فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس.

قال أبو مخنف: وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير، عن عبد الله بن سليم الأزدي، قال: إني لجالس مع عدي بن وتاد

نزل قم وقاشان واطمان، دعا الحجاج بن جارية فقال له: حدثني عن هزيمة شيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدها، أم كنت خرجت قبل الواقعة؟ قال: لا، بل شهدتها، قال: فحدثني حديثهم كيف كان؟ فحدثه، فقال: إني كنت أحب أن يظفر شيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً. قال: فظننت أنه غنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو هلك الحجاج. قال: ثم إن مطرفاً بعث عماله.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أن مطرفاً عمل عملاً حازماً لولا أن الأندار غالبية. قال: كتب مع الربيع بن يزيد إلى سويد بن سرحان الثقفي، وإلى بكير بن هارون البجلي.

أما بعد، فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى جهاد من عذ عن الحق، واستأثر بالقي، وترك حكم الكتاب، فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، جعلنا هذا الأمر شوري بين الأمة يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضا، فمن قبل هذا منا كان أخانا في ديننا، وولينا في عيائنا ومماتنا، ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة، وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبناً، وبمدهانة الظالمين في أمر الله وهناً! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كرهاً، ولن ينال رضوان الله إلا بالصبر على أمر الله، وجهاد أعداء الله، فأجيبوا رحمكم الله إلى الحق، وادعوا إليه من ترجون إجابته، وعرفوه ما لا يعرفه، وليقبل إلى كل من رأى رأينا، وأجاب دعوتنا، ورأى عدوه عدونا. أرشدنا الله وإياكم، وتاب علينا وعليكم، إنه هو التواب الرحيم، والسلام.

فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دُبا في رجال من أهل الري ودعوا من تابعهما، ثم خرجا في نحو من مائة من أهل الري سراً لا يفتن بهم، فجأؤوا حتى وافوا مطرفاً، وكتب البراء بن قبيصة، وهو عامل الحجاج على أصبهان.

أما بعد، فإن كان للأمير أصلحه الله حاجة في أصبهان فليبعث إلى مطرف جيشاً كثيفاً يستأصله ومن معه، فإنه لا تزال عصابة قد انتفتحت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذي هو به، فإنه قد استكشف وكثر تبعه، والسلام.

فكتب إليه الحجاج.

أما بعد، إذا أتاك رسولي فمسكرك بمن معك، فإذا مر بك عدي بن وتاد فاخرج معه في أصحابك، واسمع له وأطع. والسلام.

فلما قرأ كتابه خرج فمسكرك، وجعل الحجاج بن يوسف يسرح إلى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين

كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك. قال: ونزل عدي بن وتاد ثم زحف نحو مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن مطرفاً بعث عل ميمته الحجاج بن جارية، وعلى مسيرته الربيع بن يزيد الأسدي، وعلى الحامية سليمان بن صخر المزني، ونزل هو يمشي في الرجال، ورأته مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة. قال: فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجلي: اخرج إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وبكنهم بأعمالهم الخبيثة. فخرج إليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان، في يده الرمح، وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشي البرود، فنادى بصوت له عال رفيع: يا أهل قتلنا، وأهل ملتنا، وأهل دعوتنا، إنا نسألكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي علمه بما تسرون مثل علمه بما تعلنون لما أنصفتُمونا وصدقتمونا، وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه، وكنتم شهداء لله على عباده بما يعلمه الله من عباده. خبروني عن عبد الملك بن مروان، وعن الحجاج بن يوسف، أستم تعلمونهما جبارين مستأثرين يتبعان الهوى، فيأخذان بالظنة، ويقتلان على الغضب. قال: فتنادوا من كل جانب: يا عدو الله كذبت، ليسا كذلك، فقال لهم: ويلكم، ﴿لَا تَقْرَؤُا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتْكُمْ بِذُنُوبِمْ وَقَدْ خَابَ مَنْ اقْتَرَى﴾. ويلكم، أوتعلمون من الله ما لا يعلم، إني قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ﴾.

فخرج إليه صارم مولى عدي بن وتاد وصاحب رايته، فحمل على بكير بن هارون البجلي، فاضطربا بسيفيهما. فلم تعمل ضربة مولى عدي شيئاً، وضربه بكير بالسيف فقتله، ثم استقدم، فقال: فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحد، فجعل يقول: صارم قد لا قيت سيفاً صارماً وأسدأ ذابدة صارماً

قال: ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة، وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة، فالتقى هو والطفيل - وكانا صديقين متواخين - فتعارفا، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه، فكفا أيديهما، واقتلوا طويلاً. ثم إن ميسرة عدي بن وتاد زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه. ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتلوا طويلاً، ثم إن جماعة من الناس حملت على الأسدي فقتلته، وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت إليه، ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقتلته قتلاً طويلاً، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف، وحمل

على مجلسه بالري إذ أتاه كتاب الحجاج، فقرأه ثم دفعه إلى، فقرأته فإذا فيه.

أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الري، ثم أقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجي، ثم سيراً جميعاً، فإذا لقيتهما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً، فإذا كفى الله المؤمنين مؤنة فانصرف إلى عملك في كنف من الله وكلاءه وسره. فلما قرأته قال لي: قم وتجهز.

قال: وخرج فعسكر، ودعا الكتاب فضرىو البعث على ثلاثة أرباع الناس. فما مضت جمعة حتى سرنا فالتهمينا إلى جي، ويوافينا بها قبيصة الفحافي في تسعمائة من أهل الشام، فيهم عمر بن هبيرة، قال: ولم نلبث بجي إلا يومين حتى نهض عدي بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الري وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة، وسبعمائة من أهل الشام، ونحو ألف رجل من أهل أصبهان والأكراد، فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، عن عبد الله بن علقمة: أن مطرفاً لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً. فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه.

قال أبو مخنف: وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير، قال: كنت مع مولاي إذ ذاك، قال: خرج عدي بن وتاد فبسى الناس، فجعل على ميمته عبد الله بن زهير، ثم قال للبراء بن قبيصة: قم في الميسرة، فغضب البراء، وقال: تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك! تلك خيلي في الميسرة، وقد بعثت عليها فارس مضر الطفيل بن عامر بن وائلة، قال: فأتهي ذلك إلى عدي بن وتاد، فقال لابن أقيصر الخثعمي: انطلق فأنت على الخيل، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له: إنك قد أمرت بطاعتي، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة في شيء، إنما عليك أن تؤمر فتطيع، ولا تعرض لي في شيء أكرهه فأنتكر لك - وقد كان له مكرماً.

ثم إن عدلياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة. وبعثه في مائة من أهل الشام، فجاء حتى وقف برايته. فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر: خل رايك وتنج عنا، فإنما نحن أصحاب هذا الموقف، فقال الطفيل: إني لا أخاصمكم، إنما عقد لي هذه الرابسة البراء بن قبيصة، وهو أميرنا، وقد علمنا أن صاحبكم على جماعة الناس، فإن كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له، ما أسمعنا وأطوعنا! فقال لهم عمر بن هبيرة: مهلاً، كفوا عن أخيكم وابن عمكم، رايتنا رايك، فإن شئت أثرتك بها. قال: فما رأينا رجلين



كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف.

أما بعد: فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعداً له. فذاك ما أوى وأحب، وإن كان حياً فاطلبه قبلك حتى توثقه، ثم سرح به إلي إن شاء الله. والسلام.

قال: فقال لنا: قد كتبت إلي فيه، ولا بد من السمع والطاعة، ولو لم يكتب إلي فيه آمته لكم، وكففت عنه فلم أطلبه. وقمنا من عنده.

قال: فلم يزل الحجاج بن جارية خائفاً حتى عزل عدي بن وتاد، وقدم خالد بن عتاب بن ورقاء، فمشيت إليه فيه، فكلمته فأمنه. وقال حبيب بن خدره مولى لبني هلال بن عامر:

هل أتى فائد عن إيسارنا إذ خشينا من عدو خرقا  
إذ أتنا الخوف من مامتنا فطوبنا في سواد أفقا  
وسلي هدية يوماً هل رأت بشراً أكرم منا خلقاً!  
وسليها أعلى العهد لنا أو يصرون علينا حقاً!  
ولكم من خلة من قبلها قد صرنا حلها فانطلقا  
قد أصبنا العيش عيشاً ناعماً وأصبنا العيش عيشاً رتقا  
وأصبت الدهر دهرأً أنستني طبقاً منه والوري طبقاً  
وشهدت الخيل في ملمومة ما ترى منهن إلا الحدقا  
يتساقون بأطراف القنسا من نجح الموت كاساً دهقا  
فطراد الخيل قد يؤنقني ويرد اللهو عني الأثقا  
بمشيح البيض حتى يتركوا لسيوف الهند فيها طرقا  
فكأنني من غد وافقتها مثل ما وافق شن طبقا

### ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة، فخالفه بعضهم واعتزله، وباع عبد ربه الكبير، وأقام بعضهم على بيعة قطري.

ذكر الخبر عن ذلك، وعن السبب الذي من أجله حدث

الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك:

ذكر هشام عن أبي خننف، عن يوسف بن يزيد، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قطرياً وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحواً من سنة. ثم إنه زاحنهم يوم البستان فقاتلهم قتالاً شديداً، وكانت كرمان في أيدي الخوارج، وفارس في يد المهلب، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي هم به، لا يأتيهم من فارس مادة، وبعدت ديارهم عنهم، فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل

ابن أقيصر الخثعمي في الخيل على سليمان بن صخر المزني فقتله، وانكشف خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فم اقتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط، ثم إنه وصل إلى مطرف.

قال أبو خننف النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**.

قال: ولم يزل يقاتل حتى قتل، واحتز رأسه عمر بن هبيرة، وذكر أنه قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده إلى عدي بن وتاد وحظي به، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً.

قال أبو خننف: وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة، وكان صاحب راية مطرف. قال: ودخلوا عسكر مطرف، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي، فقتل، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً.

قال أبو خننف: حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي، فما ملكت نفسي أن قلت له: أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين لله كثيراً. قال: فأقبل نحوي وقال: من أنت؟ فقال له: مولاي هذا غلامي ما له؟ قال: فأخبره بمقالي، فقال: إنه ضعيف العقل، قال: ثم انصرفنا إلى الري مع عدي بن وتاد. قال: وبعث رجلاً من أهل البلاء إلى الحجاج، فأكرمهم وأحسن إليهم. قال: ولما رجع إلى الري جاءت بجيلة إلى عدي بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فأمنه، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته، فأمنهم وأحسن في ذلك، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف، فنادوا: يا براء، خذنا الأمان، يا براء، اشفع لنا، فشفع لهم، فتركوا، وأسر عدي ناساً كثيراً فخلى عنهم.

قال أبو خننف: وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بمحلولان، فأكرمه وأحسن إليه، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة.

قال أبو خننف: وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الري وكان مكتبه بها، فطلب إلى عدي فيه، فقال: هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه، وهذا كتاب الحجاج إلي فيه.

قال أبو خننف: فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير، قال:

يجيرفت - وجيرفت مدينة كرمان - فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالاً شديداً، وحازهم عن فارس كلها، فلما صارت فارس كلها في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب، فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجاج.

أما بعد، فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله. واتهامه إياي في هذه الخارجة المارقة، وأمرني الأمير بالنهوض إليهم، وإشهاد رسوله ذلك، وقد فعلت، فليساله عما رأى، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استصالحهم وإزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين، وما وفيت لأمر المؤمنين، ولا نصحت للأمير - أصلحه الله - فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيي، ولا مما أدين الله به، والسلام.

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً، ولا يرى في موطن يتقون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم.

ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطري على ناحية من كرمان خرج في سرية لهم يدعى المقطر من بني ضبة، فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج، ودخل منهم في ولاية، فقتله المقطر، فوثبت الخوارج إلى قطري، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمكننا من الضي فقتله بصاحبنا، فقال لهم: ما أرى أن أفعل، رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه، وهو من ذوي الفضل منكم، والسابقة فيكم، قالوا: بلى، قال لهم: لا، فوقع الاختلاف بينهم، فولوا عبد ربه الكبير، وخلعوا قطرياً، وباع قطرياً منهم عصابة غوراً من ربعمهم أو خمسهم، فقاتلهم غوراً من شهر غدوة وعشية.

فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج.

أما بعد، فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فخلع عظيمهم قطرياً وبايعوا عبد رب، وبقيت عصابة منهم مع قطري، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غدواً وعشياً، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله، والسلام.

فكتب إليه.

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينهم، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم واقتراهم قبل أن يجتمعوا، فتكون مؤنتهم عليك أشد، والسلام.

فكتب إليه.

أما بعد فقد بلغني كتاب الأمير، وكل ما فيه قد فهمت، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً. وينقص بعضهم عدد بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً. فناهضهم على نفيته ذلك، وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة،

فجاءهم عن فارس صارت فارس كلها في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب، فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجاج.

أما بعد، فدع بيد المهلب خراج جبال فارس، فإنه لا بد للجيش من قوة، ولصاحب الجيش من معونة، ودع له كورة فساود الجرد. وكورة إصطخر.

فتركها للمهلب، فبعث المهلب عليها عماله، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه، ففي ذلك يقول شاعر الأزد وهو يعاتب المهلب:

نقاتل عن قصور درابجرد ونجسي للمغيرة والرقاد  
وكان الرقاد بن زياد بن همام - رجل من العتيك - كريماً على المهلب، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة، وكتب إلى المهلب.

أما بعد، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك، وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة لينهضك إليهم، فانهض إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين، ثم جاهدكم أشد الجهاد، وإياك والعلل والأباطيل، والأمور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة، والسلام.

فأخرج المهلب بني، كل ابن له في كتيبة، وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأحاسهم، وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم. فأخذت الكنائب تحمل على الكنائب، والرجال على الرجال، فيقتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار، ثم انصرفوا، فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له: لا والله ما رأيت كنيك فرساناً قط، ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس، أنت والله المعذور. فرجع بالناس المهلب، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كنائبهم، فقاتلوه كقتالهم في أول مرة.

قال أبو مخنف: وحديثي أبو المغلس الكناني، عن عمه أبي طلحة، قال: خرجت كتيبة من كنائبهم لكتيبة من كنائبنا، فاشتد بينهما القتال، فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الأخرى، فاقتلنا حتى حجز الليل بينهما، فقالت إحداهما للأخرى: ممن أنتم؟ فقال هؤلاء: نحن من بني نعيم، وقال هؤلاء: نحن من بني نعيم، فانصرفوا عند المساء، قال المهلب للبراء: كيف رأيت؟ قال: رأيت قوماً والله ما يعينك عليهم إلا الله. فأحسن إلى البراء بن قبيصة وأجازته، وحمله وكساه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم

إن شاء الله. والسلام.

فكف عنه الحجاج، وتركهم المهلب يقتلون شهراً لا يجركهم.

ثم إن قطرباً خرج بمن اتبعه نحو طبرستان، وبائع عامتهم عبد ربه الكبير، فنهض إليهم المهلب، فقاتلوه قتالاً شديداً. ثم إن الله قتلهم فلم ينج منهم إلا قليل، وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا، لأنهم كانوا يسبون المسلمين. وقال كعب الأشقرى - والأشقر بطن من الأزد - يذكر يوم رامهرمز، وأيام سابور، وأيام جيرفت:

يا حفص إني عداني عنكم السفر وقد أرقست فأذى عيني السفر  
علقت يا كعب بعد الشيب غائبةً والشيب فيه عن الأهواء مزدجر  
أمسك أنت عنها بالذي عهدت أم جلبها إذ نألتك اليوم منبر  
علقت خوداً بأعلى الطف منزلها في غرفة دونها الأبواب والحجر  
درماً منكها رياءً مأكها تكاد إذ نهضت للعشي تبت  
وقد تركت بشط الزابيين لها داراً بها يسعد البادون والحضر  
واخترت داراً بها حي أسر بهم ما زال فيهم لمن مختارهم خير  
لما نبت بي بلادي سرت متجعباً وطالب الخير مرصاد ومتظر  
أبا سعيد فلاني جنت متجعباً أرجو نوالك لما مسني الضر  
لولا المهلب ما زرنا بلادهم ما دامت الأرض فيها الماء والشجر  
فما من الناس من حي علمتهم إلا يرى فيهم من سيكم أثر  
أحيتهم بسجال من نذاك كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر  
إني لأرجو إذا ما فاقة نزلت فضلاً من الله في كفك يتدر  
فاجبر أحاك لك أوهى الفقر قوته لعله بعد وفي العظم ينجبر  
جفا ذوو نسي عني وأخلفني ظني فله دري كيف أتمر  
يا واهب القينة الحسنة ستها كالشمس هرولة في طرفها فتر  
وما تزال بدور منك رائحة وآخرون لهم من سيك الفرر  
نماك للمجد أملاك ورثتهم شمم العرائن في أخلاقهم يسر  
ثاروا يقتلى وأوتار تعددها في حين لا حدث في الحرب يثر  
واستسلم الناس إذ حل العدو بهم فما لأمرهم ورد ولا صدر  
وما تجاوز باب الجسر من أحد وعضت الحرب أهل مصر فانجحروا  
وأدخل الخوف أجواف البيوت على مثل الناء رجال ما بهم غير  
واشدت الحرب والبلوى وحل بنا أمر تشر في أمثاله الأز  
نظل من دون خفض معصمين بهم فشم الشيخ لما أعظم الخطر  
كنا نهون قبل اليوم شأنهم حتى تفام أمر كان يحتقر  
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا واستفر الناس تارات فما نفروا  
نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته عنه وليس به في مثله قصر  
أفنى هنالك عما كان مذ عسروا فيهم صنائع عما كان يدخر  
تلبسوا لقراع الحرب بزتها فاصبحوا من وراء الجسر قد عبروا

ساروا بالوية للمجد قد رفعت وتحتهن ليوث في الوغى وقر  
حتى إذا خلغوا الأهواز واجتمعوا برامهرمز وفساهم بها الخبر  
نعي بشر فجال القوم وانصدعوا إلا بقايا إذا ما ذكروا ذكروا  
ثم استمر بنا راض ببيعتة ينوي الوفاء ولم نغدر كما غدروا  
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد شئت لنا ولهم نار لها شرر  
نلقى ماعير أبطالاً كأنهم جن نقارعهم ما مثلهم بشر  
نسقى ونسقيهم سماً على حنق مستانفي الليل حتى أسفر السحر  
قتلى هنالك لا عقل ولا قود منا ومنهم دماء سفكها هدر  
حتى تنحوا لنا عنها تسوقهم منا ليوث إذا ما أقدموا جسروا  
لم يكن عنهم غداة التل كيدهم عند الطعان ولا المكر الذي مكروا  
باتت كتابنا تسردى مسومةً حول المهلب حتى نور القبر  
هناك ولوا حزاناً بعدما فرحوا وحال دونهم الأنهار والجدر  
عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا بكازرون فما عزوا ولا ظفروا  
وقد لقوا مصداً منا بمنزلة ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا  
بدشت بارين يوم الشعب إذ لحقت أسد بسفك دماء الناس قد زثروا  
لاقوا كتاب لا يخلون فرفهم فيهم على من يقاسي حربهم صعر  
المقدمين إذ ما خيلهم وردت والعاطفين إذا ما ضيع الدبر  
وفي جبيرين إذ صفوا بزحفهم ولوا خزايا وقد فلقوا وقد قهروا  
والله ما نزلوا يوماً بساحتنا إلا أصابهم من حربنا ظفر  
نفهم بالقنا عن كل منزلة تروح منا مساعير وتبكر  
ولوا حذاراً وقد هزوا استنا نحو الحروب فما نجاهم الحذر  
صلت الجبين طويل الباع ذو فرح ضخم الدسيعة لا وان ولا غمر  
مجرى الحرب ميمون نقيته لا يستخف ولا من رأيه البطر  
وفي ثلاث سنين يستندم بنا يقارع الحرب أطواراً ويأقر  
يقول إن غداً ميسر لناظره وفي الليالي وفي الأيام معتبر  
دعوا التسابع والإسراع وارتقبوا إن المحارب يستائي ويتظر  
حتى أتته أمور عندها فرج وقد تبين ما يأتي وما يذر  
لما زوهم إلى كرمات وانصدعوا وقد تقاربت الأجال والقدر  
سرنا إليهم بمثل الموج وازدلفوا وقبل ذلك كانت بيننا مثر  
وزادنا حقاً قتلى نذكرها لا تستفيق عيون كلما ذكروا  
إذا ذكرنا جروزاً والذين بها قتلى مضى لهم حولان ما قبروا  
تأتي علينا حزازات النفوس فما بقي عليهم وما يقون إن قلدروا  
ولا يقولوننا في الحرب عثرتنا ولا نقلهم يوماً إذا عثروا  
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا ولا لهم عتدا عذر لو اعتذروا  
صفان بالقاع كالطودين بينهما كالبرق يلمع حتى يشخص البصر  
على بصائر كل غير تاركها كلا الفريقين تتلى فيهم السور  
يمشون في البيض والأبدان إذ وردوا مشي الزوامل تهدي صفهم زمر  
وشبخنا حوله منا ململمة حي من الأزد فيما ناهبهم صبر

وأطع لسفيان. فاقبل إلى سفيان فسار معه في طلب قطري حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقاتلوه، فتفرق عنه أصحابه، ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهدى حتى خر إلى أسفله.

قال معاوية بن محصن الكندي: رأيته حيث هوى ولم أعرفه، ونظرت إلى الخامسة عشرة امرأة عربية هن في الجمال والبرازة وحسن الهيئة كما شاء ربك، ما عدا عجوزاً فيهن، فحملت عليهن فصرتهن إلى سفيان بن الأبرد.

فلما دنوت بهن منه انتحت لي بسيفها العجوز فتضرب به عنقي، فقطعت المغفر، وقطعت جلدة من حلقي، واختلج السيف فاضرب به وجهها. فأصاب حفح رأسها، فوقعت ميتة، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز. وقال: ما أردت إلى قتل هذه أخزأها الله - فقلت: أوما رأيت أصلحك الله ضربتها إياي! والله إن كادت لتقتلني، قال: قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك، أبعداها الله. ويأتي قطرياً حيث تدهدى من الشعب عالج من أهل البلد، فقال له قطري: اسقني من الماء - وقد كان اشتد عطشه - فقال: أعطني شيئاً حتى أسقيك، فقال: ويحك، والله ما معي إلا ما ترى من سلاحي، فإنا مؤتيكه إذا أتيتي بماء، قال: لا. بل أعطني الآن، قال: لا، ولكن اتني بماء قبل، فأنطلق العالج حتى أشرف على قطري، ثم حذر عليه حجراً عظيماً من فوق دهدها عليه، فأصاب إحدى ركبتيه فأوثته، وصاح بالناس، فاقبلوا نحوه. والعالج حينئذ لا يعرف قطرياً، غير أنه يظن أنه من أشرفهم لحسن هيئته، وكمال سلاحه. فدفع إليه نفر من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه. منهم سورة بن أبحر التميمي، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف، والصباح بن محمد بن الأشعث، وبإذام مولى بني الأشعث، وعمر بن أبي الصلت بن كنار مولى بني نصر بن معاوية، وهو من الدهاقين، فكل هؤلاء ادعوا قتله. فدفع إليهم أو الجهم بن كنانة الكلبي - وكلهم يزعم أنه قاتله - فقال لهم: ادفعوه إلي حتى تصطلحوا. فدفعوه إليه.

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد - وهو على أهل الكوفة - ولم يأت جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك - وكان لا يكلمه. وكان جعفر مع سفيان بن الأبرد، ولم يكن معه إسحاق. وكان جعفر على ربع أهل المدينة بالري، فلما مر سفيان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج. فسار بهم معه، فلما أتى القوم بالراس فاختموا فيه إليه وهو في يدي أبي الجهم بن كنانة الكلبي، قال له: امض به أنت. ودع هؤلاء المختلفين، فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج. ثم أتى به عبد الملك بن

في موطن يقطع الأبطال منظره تشاط فيه نفوس حين تبتكر ما زال منارجلان ثم نضربهم بالمشرفي ونار الحرب تستمر وبإد كل سلاح يستعان به في حومة الموت إلا الصارم الذكر ندوسهم بعناجيج مجففة وينتأثم من صم القنا كسر يغشين قتلى وعقرى ما بها رمق كأنما فوقها الجادي يعتصر قتلى يقتلى قصاص يستفاد بها تشفي صدور رجال طالما وتروا مجاورين بها خيلاً معقرة للطير فيها وفي أجسادهم جزر في معرك تحسب القتلى بساحته أعجاز تغل رفته الريح ينغمر وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت قد كان للأرد فيها الحمد والظفر في كل يوم تلاقى الأرد مظطة يشيب في ساعة من هولها الشعر والأرد قومي خيار القوم قد علموا إذا فرومهم يوم الوغى خطرنا فيهم معاقل من عز يلاذ بها يوماً إذا شمרת حرب لها درر حي بأسياهم يغبون عدهم إن المكارم في المكروه تبتدر لولا الملهب للجيش الذي وردوا أنهار كرمات بعد الله ما صدروا إنا اعتصمنا بمجل الله إذ جحدوا بالحكمات ولم تكفر كما كفروا جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا ديناً يخالف ما جاءت به النثر وقال الطفيل بن عامر بن وائلة وهو يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه، وذهب قطري في الأرض واتباعهم إياه ومراوغته إياهم:

لقد مس منا عبد رب وجنده عقاب فأمسى سيهم في المقاسم سما لهم بالجيش حتى أزاحهم بكرمان عن موى من الأرض ناعم وما قطري الكفر إلا نعمة طريد يدوي ليله غير نائم إذا فر منا هارباً كان وجهه طريقاً سوى قصد الهدى والمعالم فليس بمنجيه القرار وإن جرت به الفلك في لجج من البحر دائم

### ذكر الخبر عن هلاك قطري وأصحابه

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبدة بن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة.

### ذكر سبب مهلكهم:

وكان سبب ذلك أن أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربه الكبير وبعضهم مع قطري ووهي أمر قطري، توجه يريد طبرستان، وبلغ أمره الحجاج، فوجه - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد، ووجه معه جيشاً من أهل الشام عظيمياً في طلب قطري، فاقبل سفيان حتى أتى الري ثم أتبعهم. وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان، أن اسمع

مروان، فألحق في الفين، وأعطى قطعاً - يعني أنه يفرض للصفار في الديوان - وجاء جعفر إلى سفيان فقال له: أصلحك الله! إن قطرياً كان أصاب والذي فلم يكن لي هم غيره. فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادعوا قتله، فسلهم، ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضرته ضربةً فصرعته، ثم جاؤوني بعد، فأقبلوا يضربونه بأسياقهم! فإن أقروا لي بهذا فقد صدقوا، وإن أبوا فانا أحلف بالله أنني صاحبه. وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه، وأنهم لا يعرفون ما أقول، ولا حق لي فيه. قال: جئت الآن وقد سرحتنا بالراس. فانصرف عنه فقال له أصحابه: أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه.

ثم إن سفيان بن الأبرد أقبل منصرفاً إلى عسكر عبيدة بن هلال، وقد تحصن في قصر بقومس، فحاصره فقاتله أياماً. ثم إن سفيان بن الأبرد سار بنا إليهم حتى أحطنا بهم، ثم أمر مناديه فتنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة بن هلال:

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لذي الشك منها في الصدور غليل  
لعمري لأن أعطيت سفيان بيعتي وفارقت ديسي إنني لجهول  
إلى الله أشكو ما ترى ببيادنا تساوك هزلسى غهن قليل  
تعاونوا القذا من كل جانب بقومس حتى صعبن ذلول  
فإن يك أفتاهم الحصار فرمما تشحط فيما بينهن قتيل  
وقد كن عما إن يقدن على الوجى لمن بابواب القباب صهيل

فحاصروهم حتى جهدوا، وأكلوا دوابهم. ثم إنهم خرجوا إليه فقاتلوه، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج، ثم دخل إلى دنباوند وطبرستان، فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم.

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

ذكر سبب قتله إياه:

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد، عن الفضل بن محمد - أن أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان، ولَّى بكيراً غزو ما وراء النهر، وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان، فتجهز للخروج إليها، وأتفق نفقة كثيرة، فوشى به إليه بجير بن ورقاء الصرمي على ما بينت قبل، فأمره أمية بالمقام.

فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل

والسلاح، وإدان من رجال السغد وتجارهم، فقال بجير لأمية: إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه أمية: أقم لعلني أغزو فتكون معي، فغضب بكير وقال: كأنه يضارني. وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير، فلما أقام أخذه غرامؤه، فحبس فادى عنه بكير وخرج، ثم أجمع أمية على الغزو. قال: فأمر بالجهاز ليغزو بخاري، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ، فاستعد الناس وتجهزوا، واستخلف على خراسان ابنه زياداً، وسار معه بكير فعسكر بكشماهن. فأقام أياماً، ثم أمر بالرحيل، فقال له بجير: إنني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير: فلتكن في الساقية ولتحشر الناس. قال: فأمره أمية فكان على الساقية حتى أتى النهر، فقال له أمية: اقطع يا بكير، فقال عتاب اللقوة الغداني: أصلح الله الأمير! عبر ثم يعبر الناس بعدك. فعبر ثم عبر الناس، فقال أمية لبكير: قد خفت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث، فأرجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتها، فزين ابني وقم بأمره. فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر، ومضى أمية إلى بخاري وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة. فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية: إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان، ثم طلبنا أميراً من قریش يجمع أمرنا، فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن، قال: فما ترى؟ قال: أحرق هذه السفن، وامض إلى مرو فاخلع أمية، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما، قال: فقال الأخنف بن عبد الله العبزي: الرأي ما رأي عتاب، فقال بكير: إنني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي. فقال: أخاف عدم الرجال! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك، قال: يهلك المسلمون، قال: إنما يكفيك أن ينادي مناد: من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع، قال: فيهلك أمية ومن معه، قال: ولم يهلكون ولهم عدة وعدة ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة، ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين! فأحرق بكير السفن. ورجع إلى مرو، فأخذ ابن أمية فحبسه. ودعا الناس إلى خلع أمية فاجابوه، وبلغ أمية، فصالح أهل بخاري على فدية قليلة، ورجع فأمر باتخاذ السفن، فاتخذت له وجمعت، وقال لمن معه من وجوه تميم: ألا تعجبون من بكير! إنني قدمت خراسان فحذرت، ورفع عليه وشكي منه، وذكروا أموالاً أصابها، فأعرضت عن ذلك كله، ثم لم أفش عن شيء ولا أحداً من عماله، ثم عرضت عليه شرطي فأبى، فأعفيت، ثم وليته فحذرت، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له، ثم رددته إلى مرو، ووليته الأمر، فكفر ذلك كله، وكافاني بما ترون. فقال له قوم: أيها الأمير، لم يكن هذا من

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لذي الشك منها في الصدور غليل  
لعمري لأن أعطيت سفيان بيعتي وفارقت ديسي إنني لجهول  
إلى الله أشكو ما ترى ببيادنا تساوك هزلسى غهن قليل  
تعاونوا القذا من كل جانب بقومس حتى صعبن ذلول  
فإن يك أفتاهم الحصار فرمما تشحط فيما بينهن قتيل  
وقد كن عما إن يقدن على الوجى لمن بابواب القباب صهيل

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لذي الشك منها في الصدور غليل  
لعمري لأن أعطيت سفيان بيعتي وفارقت ديسي إنني لجهول  
إلى الله أشكو ما ترى ببيادنا تساوك هزلسى غهن قليل  
تعاونوا القذا من كل جانب بقومس حتى صعبن ذلول  
فإن يك أفتاهم الحصار فرمما تشحط فيما بينهن قتيل  
وقد كن عما إن يقدن على الوجى لمن بابواب القباب صهيل

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

ذكر سبب قتله إياه:

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد، عن الفضل بن محمد - أن أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان، ولَّى بكيراً غزو ما وراء النهر، وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان، فتجهز للخروج إليها، وأتفق نفقة كثيرة، فوشى به إليه بجير بن ورقاء الصرمي على ما بينت قبل، فأمره أمية بالمقام.

فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل

أن يذبحه، فظفر به فذبحه بين شرفتين من المدينة، ثم التقوا يوماً آخر، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتص: أنا ابن وشاح، فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير. فأنحاز بكير، وانكشف أصحابه، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة، فناداه: أين يا بكير؟ فكر عليه، فضربه حريث على رأسه، فقطع المغفر، وعض السيف برأسه، فصرع، فاحتمله أصحابه، فأدخلوه المدينة.

قال: فكانوا على ذلك يقاتلونهم، وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبغة، وملاحف وأزر صفر وحر، فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون، وينادي مناد: من رمى بسهم رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله، فلا يرميهم أحد.

قال: فاشفق بكير، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس، فطلب الصلح، وأحب ذلك أيضاً أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة، فقالوا لأمية: صالحه - وكان أمية يحب العافية - فصالحه على أن يقضي عنه أربعمائة ألف، ويصل أصحابه ويؤليه أيضاً أي كور خراسان شاء، ولا يسمع قول بحير فيه، وإن رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوماً حتى يخرج عن مرو، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك، وكتب له كتاباً على باب سنجان، ودخل أمية المدينة.

قال: وقوم يقولون: لم يخرج بكير مع أمية غازياً، ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه، فرجع أمية فقاتله، ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير. وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن، وأرسل إلى عتاب اللقوة، فقال: أنت صاحب المشورة، فقال: نعم أصلح الله الأمير! قال: ولم؟ قال: خف ما كان في يدي، وكثر ديني، وأعدت على غرمائي، قال: ويحك! فضربت بين المسلمين، وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو، وما خفت الله! قال: قد كان ذلك، فاستغفر الله، قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً، قال: تكف عن غش المسلمين وأقضي دينك؟ قال: نعم، جعلني الله فداك! قال: فضحك أمية وقال: إن ظني بك غير ما تقول، وسأقضي عنك. فأدى عنه عشرين ألفاً. وكان أمية سهلاً ليناً سخياً، لم يعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطايه، قال: وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم، كان فيه زهو شديد، وكان يقول: ما أكفني بخراسان وسجستان لمطبخي. وعزل أمية بحيراً عن شرطته. وولاه عطاء بن أبي السائب، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه. فضرب عبد الملك بعثاً إلى أمية بخراسان، فتجاعل الناس. فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعالتهم رجلاً من جرم، وأخذ أمية الناس بالخراج، واشتد عليهم فيه. فجلس بكير يوماً في المسجد

شأنه، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة، فقال: وما عتاب! وهل عتاب إلا دجاجة حاضنة، فبلغ قوله عتاباً، فقال عتاب في ذلك:

إن الخواصن تلقاها مجففةً غلب الرقاب على المنسوبة النجب تركت أمرك من جين ومن خور وجتسا محمياً يا أم العرب لما رايت جبال السغد معرضةً وليت موسى ونوحاً عكوة الذنب وجئت ذنباً منذاً ما تكلمنا وطرت من سعف البحرين كالخرب أوعد وعيدك إنني سوف تعرفني تحت الخواقق دون العارض اللجب يحب بي مشرف عار نواهقه يغشى الكتيبة بين العنبر والخجب قال: فلما تهيأت السفن، عبر أمية وأقبل إلى مرو، وترك موسى بن عبد الله، وقال: اللهم إنني أحسنت إلى بكير، فكفر إحساني، وصنع ما صنع، اللهم اكفنيه.

فقال شماس بن دثار - وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم، فغزا مع أمية: أيها الأمير، أنا أكفيكه إن شاء الله. فقدمه أمية في ثمانمائة. فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر، وسار إليه بكير ومعه مدرك بن أنيف وأبوه مع شماس، فقال: أما كان في غيم أحد يحاربني غيرك! ولامه. فأرسل إليه شماس: أنت الوم وأسوأ صنيعاً مني، لم تف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك، قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك.

قال: فبيته بكير ففرق جمعه وقال: لا تقتلوا منهم أحداً، وخذوا سلاحهم، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخلوا عنه، فتفرقوا، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها: بويضة، وقدم أمية فنزل كشماهن، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة، فلقية بكير فاسر ثابتاً وفرق جمعه. وخلق بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده.

قال: فرجع إلى أمية، فأقبل أمية في الناس، فقاتله بكير وعلى شرطه بكير أبو رستم الخليل بن أوس العيشمي، فأبلى يومئذ، فناده: يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة جارية بكير - فأحجم، فقال له بكير: لا أبالك، لا يهدك نداء هؤلاء القوم، فإن للعارمة فحلاً بمنعها، فقدم لواءك، فقاتلوا حتى أنحاز بكير فدخل الحائط، فنزل السوق العتيقة، ونزل أمية باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد، فانكشفوا يوماً، فحماهم بكير، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان، فضرب رجل من بني غيم على رجله فجعل يسحبها، وهريم يحميه، فقال الرجل: اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة، فقال له هريم: أيها الرجل، قاتل عن نفسك، فإن الملائكة في شغل عنك، فتحامل ثم أعاد قوله: اللهم أمدنا بالملائكة، فقال هريم: لتكفن عني أو لأدعنك والملائكة، وحماه حتى ألحقه بالناس. قال: ونادى رجل من بني غيم: يا أمية. يا فاضح قريش، فأل أمية إن ظفر به

حين، قال: فشانك يا ابن المحلوقة، فقتله، وذلك يوم جمعة.  
وقتل أمية ابني أخي بكير، وهب جارية بكير العارمة  
لبجير، وكلم أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري، فدعا به من  
السجن، فقال: وأنت ممن أشار على بكير، وشتمه، وقال: قد  
وهبتك لهؤلاء. قال: ثم وجه أمية رجلاً من خزاعة إلى موسى بن  
عبد الله بن خازم، فقتله عمرو بن خالد بن حصين الكلابي  
غيلةً، ففرق جيشه، فاستأمن طائفة منهم موسى فصاروا معه،  
ورجع بعضهم إلى أمية.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة عبر النهر، نهر بلخ أمية للغزو، فحوصر  
حتى جهد هو وأصحابه، ثم نجوا بعدما أشرقوا على الهلاك،  
فانصرف والذين معه من الجند إلى مرو. وقال عبد الرحمن بن  
خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية:

ألا أبلغ أمية أن سيجزي ثواب الشر إن له ثواباً  
ومن ينظر عتابك أو يردده فلست بناظر منك العتابا  
معا المعروف منك خلال سوء منحت صنيعها باباً فباباً  
ومن سماك إذ قسم الأسامي أمية إذ ولدت فقد أصابا  
قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان،  
وهو أمير على المدينة، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن  
يوسف، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

وحدثني أحمد بن ثابت، عمن حدثه عن إسحاق بن  
عيسى، عن أبي معشر، قال: حج أبان بن عثمان وهو على المدينة  
بالناس حجتين سنة ست وسبعين وسنة سبع وسبعين.

وقد قيل: إن هلاك شبيب كان في سنة ثمان وسبعين،  
وكذلك قيل في هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير.

وغزا في هذه السنة الصائفة الوليد.

وعنده ناس من بني تميم، فذكروا شدة أمية على الناس، فذموه،  
وقالوا: سلط علينا الدهاقين في الجباية وبجير وضرار بن حصين  
وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد، فنقل بجير ذلك إلى  
أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء، وادعى شهادة مزاحم بن أبي  
الجسر السلمي، فدعا أمية مزاحماً فسأله فقال: إنما كان يمزح،  
فأعرض عنه أمية، ثم أتاه بجير فقال: أصلح الله الأمير! إن بكيراً  
والله قد دعاني إلى خلعتك، وقال: لولا مكانك لقتلت هذا  
القرشي وأكلت خراسان، فقال أمية: ما أصدق بهذا وقد فعل ما  
فعل، فأمنته ووصلته.

قال: فأناه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشدها  
أن بكيراً قال لهما: لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي المخنث، وقد  
دعانا إلى الفتك بك. فقال أمية: أنتم أعلم وما شهدتم، وما أظن  
هذا به وإن تركه، وقد شهدتم بما شهدتم عجزاً، وقال لحاجبه  
عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب: إذا دخل بكير،  
وبدل وشمردل ابنا أخيه، فنهضت فخذوهم. وجلس أمية  
للناس، وجاء بكير وابنا أخيه، فلما جلسوا قام أمية عن سريره  
فدخل، وخرج الناس وخرج بكير. فحبسوه وابني أخيه، فدعا  
أمية ببكير فقال: أنت القاتل كذا وكذا؟ قال: تثبت أصلحك الله  
ولا تسمعن قول ابن المحلوقة! فحبسه. وأخذ جاريته العارمة  
فحبسها، وحبس الأحنف بن عبد الله العنبري، وقال: أنت ممن  
أشار على بكير بالخلع.

فلما كان من الغد أخرج بكيراً فشهد عليه بجير وضرار  
وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعه والفتك به. فقال:  
أصلحك الله! تثبت فإن هؤلاء أعدائي. فقال أمية لزباد بن عقبة  
- وهو رأس أهل العالية - ولابن والآن العدوي - وهو يومئذ  
من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الدهلي: أنقتلونه؟ فلم  
يجيبوه، فقال لبجير: أنقتله؟ قال: نعم، فدفعه إليه، فنهض يعقوب  
بن القعقاع الأعلم الأزدي من مجلسه - وكان صديقاً لبكير -  
فاحتضن أمية، وقال: أذكرك الله أيها الأمير في بكير، فقد أعطيت  
ما أعطيت من نفسك، قال: يا يعقوب ما يقتله إلا قومه، شهدوا  
عليه، فقال عطاء بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية:  
خل عن الأمير، قال: لا، فضربه عطاء بقائم السيف، فأصاب  
أنفه فادماه، فخرج، ثم قال لبجير: يا بجير، إن الناس أعطوا بكيراً  
ذمتهم في صلحه، وأنت منهم، فلا تخفر ذمتك، قال: يا يعقوب،  
ما أعطيت ذمة، ثم أخذ بجير سيف الموصل الذي كان أخذه  
من أسوار الترجان ترجمان ابن خازم، فقال له بكير: يا بجير، إنك  
تفرق أمر بني سعد إن قتلتني، فدفع هذا القرشي يلي مني ما يريد،  
فقال بجير: لا والله يا ابن الإصهانية لا تصلح بنو سعد ما دمننا

## السنة الثامنة والسبعون

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجلية.

فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف. فلما ضم ذلك إليه فرق فيه عماله.

## ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج

## خراسان وسجستان

## وذكر السبب في توليته من ولاه ذلك وشيئا منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد قيل: إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، ثم عزله، وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها، وقد فرغ من أمر الأزارقة.

فقال هشام: حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي، أن المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدم على الحجاج - وذلك سنة ثمان وسبعين - فأجلسه معه، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب، فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا صدقه الحجاج بذلك، فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم، وزاد في أعطياتهم، ثم قال: هؤلاء أصحاب الفعال، وأحق بالأموال، هؤلاء حماة الثغور، وغيظ الأعداء.

قال هشام عن أبي مخنف: قال يونس بن أبي إسحاق: وقد كان الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان، فقال له المهلب: ألا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان مني، وقد كان ولي كابل وزابل، وجباهم وقاتلهم وصالحهم؟ قال له: بلى فمن هو؟ قال عبيد الله بن أبي بكر.

ثم إنه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبي بكر على سجستان، وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بعث على العراق حتى كانت تلك السنة، فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج. فمضى المهلب إلى خراسان، وعبيد الله بن أبي بكر إلى سجستان، فمكث عبيد الله بن أبي بكر بقية سنته.

فهذه رواية أبي مخنف عن أبي المخارق.

وأما علي بن محمد فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق في أول سنة ثمان وسبعين بعدما قتل الخوارج، فاستعمل عبيد الله بن أبي بكره على خراسان، والمهلب بن أبي صفرة على سجستان، فكره المهلب سجستان، فلقي عبد الرحمن بن عبيد طارق العشيمي - وكان على شرطة الحجاج - فقال: إن الأمير ولاني سجستان، وولي بن أبي بكره خراسان، وأنا أعرف بخراسان منه، قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفاري، وابن أبي بكره أقوى على سجستان مني، فكلم الأمير يحولني إلى خراسان، وابن أبي بكره إلى سجستان، قال: نعم، وكلم زاذان فروخ يعني، فكلمه، فقال: نعم، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج: وليت المهلب سجستان وابن أبي بكره أقوى عليها منه، فقال زاذان فروخ: صدق، قال: إنا قد كتبنا عهده، قال زاذان فروخ: ما أهون تحويل عهده! فحول ابن أبي بكره إلى سجستان، والمهلب إلى خراسان، وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الأهواز، وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله، فقال المهلب لابنه المغيرة: إن خالداً ولاني الأهواز، وولاك إصطخر، وقد أخذني الحجاج بألف ألف، فنصف علي ونصف عليك، ولم يكن عند المهلب مال، كان إذا عزل استقرض، قال: فكلم أبا ماوية مولى عبد الله بن عامر - وكان أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر - فأسلف المهلب ثلاثمائة ألف، فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب: هذا لا يفي بما عليك، فباعت حلياً لها ومتاعاً، فأكمل خمسمائة ألف، وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف، فحملها إلى الحجاج، ووجه المهلب ابنه حبيباً على مقدمته، فأثنى الحجاج فودعه، فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء، قال: فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد، فسار عشرين يوماً، فتلقاهم حين دخلوا حل حطوب، فنشرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفاها بعد ذلك التعب وشدة السير. فلم يعرض لأمية ولا لعماله، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين.

## أخبار متفرقة

وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان أمير المدينة في هذه السنة أبيان بن عثمان، وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف، وخليفته بخراسان المهلب، وبسجستان عبيد الله بن أبي



بكرة، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة - فيما  
قيل - موسى بن أنس.  
وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم.

## السنة التاسعة والسبعون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته، فلم يغز في تلك السنة أحد - فيما قيل - للطاعون الذي كان بها. وكثرة الموت.

وفيها - فيما قيل - أصابت الروم أهل أنطاكية.

## ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره رتبيل

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رتبيل.

ذكر الخبر عن غزوته إياه.

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسي، قال: لما ولى الحجاج المهلب خراسان، وعبيد الله بن أبي بكره سجستان، ومضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكره سجنستان، وذلك في سنة ثمان وسبعين، فمكث عبيد الله بن أبي بكره بقية سنته. ثم إنه غزا رتبيل وقد كان مصالحاً، وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً، وربما امتنع فلم يفعل، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكره أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه، وتهدم قلاع، وتقتل مقاتلته، وتسبي ذريته. فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثم الضبابي، وكان من أصحاب علي، وكان عبيد الله على أهل البصرة، وهو أمير الجماعة، فمضى حتى غل في بلاد رتبيل، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وهدم قلاعاً وحصوناً، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة، وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض، حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخاً، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، وخلوهم والرساتيق، فسقط في أيدي المسلمين، وظنوا أن قد هلكوا، فبعث ابن أبي بكره إلى شريح بن هانئ: إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالاً، ويخلوا بيني وبين الخروج، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، فلقبه شريح فقال: إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطيائكم، قال: لو منعنا العطاء ما حيننا كان أهون علينا من هلاكنا، قال شريح: والله لقد بلغت سنأ، وقد هلكت لِداتي، ما تأتي علي ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، ولئن فاتني اليوم ما إخالني مدرکہا حتى أموت، وقال: يا أهل الإسلام، تعاونوا على

عدوكم، فقال له ابن أبي بكره: إنك شيخ قد خرفت، فقال شريح: إنما حسبك أن يقال: بستان ابن أبي بكره وحمام ابن أبي بكره، يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي. فأتبعه ناس من المتطوعة غير كثير، وفرسان الناس وأهل الحفاظ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلاً، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول:

أصبحت ذا بئ أفا سي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا  
نُمت أدركت النبي المنذرا وبعده صدّيقه وعمرا  
ويوم مهران ويسوم تسترا والجمع في صفيهم والنهرا  
وباجميرات مع المشقرا هيهات ما أطول هذا عُمرا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه، ونجا من نجا، فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها، فاستقبلهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة، فإذا أكل أحدهم وشبع مات، فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم، ثم جعلوا يطعمونهم السممن قليلاً قليلاً، حتى استمروا. وبلغ ذلك الحجاج، فأخذه ما تقدم وما تأخر، وبلغ ذلك منه كل مبلغ، وكتب إلى عبد الملك.

أما بعد، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم، وغلبوا على حصونهم وقصورهم، وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المصريين، فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك، فإن رأى لي بعثه ذلك الجند أمضيته، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده، مع أنني أخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلاً أن يستولوا على ذلك الفرج كله.

## أخبار متفرقة

وفي هذه السنة قدم المهلب خراسان أميراً، وانصرف عنها أمية بن عبد الله، وقيل: استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة، وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة.

وحج بالناس في هذه السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر - أبان بن عثمان، وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير.

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف.

وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج.

وقيل: إن المهلب كان على حربها، وابنه المغيرة على

خراجها، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى  
قضاء البصرة موسى بن أنس.

## السنة الثمانون

## ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

وفي هذه السنة جاء - فيما حدثت عن ابن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي - سبل بمكة ذهب بالحجّاج، ففرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف، لأن ذلك السبل جحف كل شيء مر به.

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة، عن أبيه عن جده، قال: جاء السبل حتى ذهب بالحجّاج بيطن مكة، فسمي لذلك عام الجحاف، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تمر بهم ما لأحد فيهم حيلة، وإنني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه.

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجارف، فيما زعم الواقدي.

## ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كس، فذكر علي بن محمد، عن الفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغي غناء الفين في البأس والتدبير والصيحة.

قال: فأتى المهلب وهو نازل على كس ابن عم ملك الختل، فدعاه إلى غزو الختل، فوجه معه ابنه يزيد، فنزل في عسكره، ونزل ابن عم الملك - وكان الملك يومئذ اسمه السبل - في عسكره على ناحية، فبيت السبل ابن عمه، فكبر في عسكره، فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدروا به، وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم، فأصره السبل، فأتى به قلعة فقتله. قال: فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل، فصالحوه على فدية حملوها إليه، ورجع إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل إلى أم السبل: كيف ترجين بقاء السبل بعد قتل ابن عمه، وله سبعة أخوة قد وترهم! وأتت أم واحد فأرسلت إليها: إن الأسد تقل أولادها والخنائير كثير أولادها.

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى ربنجن فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً، فدعا رجل من المشركين إلى المبارزة، فبرز له جيلة غلام حبيب، فقتل المشرك، وحمل على جمعهم، فقتل منهم ثلاثة نفر، ثم رجع ورجع العسكر، ورجع العدو إلى بلادهم، ونزلت

جماعة من العدو قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف، فقاتلهم فظفر بهم، فأحرقها، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة. ويقال: إن الذي أحرقها جيلة غلام حبيب.

قال: فمكث المهلب سستين مقيماً بكس، فقبل له: لو تقدمت إلى السغد وما وراء ذلك! قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند، حتى يرجعوا إلى مرو سالمين.

قال: وخرج رجل من العدو يوماً، فسأله البراز، فبرز إليه هريم بن عدي. أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة، فانتهى إلى جدول، فجاوله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه، فلامه المهلب، وقال: لو أصبت ثم أمددتُ بألف فارس ما عدلوك عندي، واتهم المهلب وهو بكس قوماً من مضر فحبسهم بها، فلما قفل وصار صلح خلاهم، فكتب إليه الحجّاج: إن كنت أصبت بتخليتهم فقد أخطأت في تخليتهم، وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم. فقال المهلب: خفتهم فحبستهم، فلما أمنت خليتهم.

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري. ثم صالح المهلب أهل كس على فدية، فأقام ليقبضها، وأتاه كتاب ابن الأشعث يخلع الحجّاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعه، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجّاج.

## تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رتبيل

وفي هذه السنة وجه الحجّاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك، وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه إياه إليها وأين كان عبد الرحمن يوم ولاه الحجّاج سجستان وحرب رتبيل.

فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام، عن أبي مخنف عنه - فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجّاج بن يوسف بنجر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رتبيل وما لقوا بها كتب إليه.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان، وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وعلى الله ثوابهم، وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موقفاً.

وكان الحجّاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان يقول: ما رأيته قط إلا أردت

قتله.

ووضعت لهم الأسواق، وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بألة الحرب، فبلغ ذلك رتبيل، فكتب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارهاً، وأنهم الجؤوه إلى قتالهم، ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج، فلم يجبه، ولم يقبل منه. ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده، وأخذ رتبيل يضم إليه جنده، ويدع له الأرض رستاقاً رستاقاً، وحصناً حصناً، وطقق ابن الأشعث كلما حوى بلدًا بعث إليه عاملاً، وبعث معه أعواناً، ووضع البرد فيما بين كل بلد وبلد، وجعل الأرصاء على العقاب والشعاب، ووضع المسالحي بكل مكان مخوف، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمة، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناس عن الوجود في أرض رتبيل وقال: نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها، وتجترى المسلمون على طرقها، ثم تعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرايعهم، وفي أقصى بلادهم، وممتنع حصونهم، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله.

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

وأما غير يونس بن أبي إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستان ومسيره إلى بلاد رتبيل غير الذي رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدي السدوسي إلى كرمان، مسلحة لها ليمد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى مدد، فعصى هيمان ومن معه، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربه، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبيد الله بن أبي بكر، وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفي ألف سوى أعطياتهم، كان يدعى جيش الطواويس، وأمره بالإقدام على رتبيل.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي.

وقال بعضهم: الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك. وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف، وعلى خراسان المهلب

قال أبو مخنف: فحدثني غير بن وعلة الهمداني، ثم اليناعي عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلما رآه الحجاج قال: انظر إلى مشيته، والله لهمت أن أضرب عنقه. قال: فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرت على باب سعيد بن قيس السبيعي، فلما انتهى إلى قلتي: ادخل بنا الباب، إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج. فقال: نعم، فأخبرته بمقالة الحجاج له، فقال: وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزله عن سلطانه، فأجهد الجهد إذا طال بي وبه بقاء.

ثم أن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة، وجد في ذلك وشم، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً، وأخذهم بالخيول الروائع، والسلاح الكامل، وأخذ في عرض الناس، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته، فمر عبيد الله بن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، وهو يعرض الناس، فقال عباد: ما رأيت فرساً أروع ولا أحسن من هذا وإن الفرس قوة وسلاح وإن هذه البغلة علندة، فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم، ومر به عطية العبري، فقال له الحجاج: يا عبد الرحمن، أحسن إلى هذا.

فلما استتب له أمر ذلك الجندين، بعث الحجاج عطاردين عمر التميمي فمسكراً بالأهواز، ثم بعث عبيد الله بن حجر بن ذي الجوشن العامري من بني كلاب. ثم بدا له، فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عبيد الله بن حجر، فأثنى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث، فقال له: لا تبعثه فلاني أخاف خلافه، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة وسلطاناً. فقال الحجاج: ليس هناك، هولي أهيب وفي أرغب من أن يخالف أمري، أو يخرج من طاعتي، فأمضاه على ذلك الجيش، فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ثمانين، فجمع أهلها حين قدمها.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الزبير الأرحبي - رجل من همدان كان معه - أنه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الأمير الحجاج ولاني ثغركم، وأمرني بمجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم وأباد خياركم، فإياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة، اخرجوا إلى معسكركم فعسكروا به مع الناس، فمسكروا الناس كلهم في معسكرهم

بن أبي صفرة من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن  
أبي موسى، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وأغزى عبد  
الملك في هذه السنة ابنه الوليد...

## السنة الحادية والثمانون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كان فتح قاليقلا.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا.

## ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصرمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله.

وكان سبب قتله أن بحيراً هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رضاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلاً من الأبناء من آل بكير بالوتر:

لعمري لقد أغضيت عيناً على القذى وست بطينا من رحيق مروق وخليت ثاراً طُلُ واخترت نومة ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة تركت بحيراً في دم مترقق فقل لبجير ثم ولا تخش لثراً بعوف فعوف أهل شاة جلتى دع الضان يوماً قد سيقم بوتركم وصرتم حديثاً بين غرب ومشرق وهبوا فلو أمسى بكير كمهله صحيحاً لغادهم بجأواء فليست وقال أيضاً:

فلو كان بكير بارزاً في أداته وفي العرش لم يقدم عليه بحير ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب وفي الله طلابٌ بذلك جدير وبلغ بحيراً أن الأبناء يتوعدونه، فقال:

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فئاتي مقفراً من بني كعب رفعت له كفي محمد مهند حسام كلون الملح ذي رونق

فذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقداً على الطلب بدم بكير، فخرج فتى منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان، فنظر إلى بحير واقفاً، فشد عليه فطعنه فصرعه، فظن أنه قد قتله، وقال الناس: خارجي، فراكضهم، فعثر فرسه فندر عنه فقتل.

ثم خرج صعصعة بن حرب العوفي، ثم أحد بني جندب، من البادية وقد باع غنيمات له، واشترى حماراً، ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم، وقال: أنا رجل من

بني حنيفة من أهل اليمامة، فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به، فقال لهم: إن لي بخراسان ميراثاً قد غلبت عليه، وبلغني أن بحيراً عظيم القدر بخراسان، فاكتبوا لي إليه كتاباً يعينني على طلب حقي، فكتبوا إليه، فخرج فقدم مرو والمهلب غاز. قال: فلقي قوماً من بني عوف، فأخبرهم أمره، فقام إليه مولى لبكير صيقل، فقبل رأسه، فقال له صعصعة: اتخذ لي خنجراً، فعمل له خنجراً وأحماه وغمسه في لبن أتان مراراً، ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ، فلقي بحيراً بالكتاب، وقال: إني رجل من بني حنيفة، كنت من أصحاب ابن أبي بكر، وقد ذهب مالي بسجستان، ولي ميراث يمر، فقدمت لأبيعي، وأرجع إلى اليمامة.

قال: فأمر له ببقعة وأنزله معه، وقال له: استعن بي على ما أحببت، قال: أقيم عندك حتى يقفل الناس، فأقام شهراً أو نحواً من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به. قال: وكان بحير يخاف الفتك به، ولا يأم أحداً، فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال: هو رجل من بكر بن وائل، فأمنه، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب، عليه قميص ورداء ونعلان، فقعد خلفه، ثم دنا منه، فأكب عليه كأنه يكلمه، فوجاه مخنجره في خاصرته، فغيبه في جوفه، فقال الناس: خارجي! فنادى: يا لثارات بكير، أنا ثائر ببيكر! فأخذه أبو العجقاء بن أبي الخرقاء، وهو يومئذ على شرط المهلب، فأتى به المهلب فقال له: يؤساً لك! ما أدركت بئارك، وقتلت نفسك، وما على بحير بأس، فقال: لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لما تروا، ولقد وجدت ريح بطنه في يدي، فحبسه فدخل عليه السجن قوماً من الأبناء فقبلوا رأسه. قال: ومات بحيراً من غد عند ارتفاع النهار، فقبل لصعصعة: مات بحير، فقال: اصنعوا بي الآن ما شئتم، وما بدا لكم، اليس قد حلت نذور نساء بني عوف، وأدركت بشاري! لا أبالي ما لقيت، أما والله لقد أمكنتني ما صنعت خالياً غير مرة، فكرهت أن أقتله سراً، فقال المهلب: ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا، وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير، فقال له أنس بن طلق: ويحك! قتل بحير فلا تقتلوا هذا، فأبى وقتله، فشنمه أنس.

وقال آخرون: بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت، فقال له أنس بن طلق العبشمي: يا بحير، إنك قتلت بكيراً، فاستحي هذا، فقال بحير: أدنوه مني، لا والله لا أموت وأنت حي، فأدنوه منه، فوضع رأسه بين رجله وقال: أصبر عفاق، إنه شر باق، فقال ابن طلحة لبحير: لعنك الله! أكلمك فيه وتقتله بين يدي! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير، فقال المهلب:

أما بعد، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم.  
ثم أردفه كتاباً آخر فيه.

أما بعد، فامض لما أمرك به من الغول في أرضهم، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس، فخله وما وليته.

فقال حين قرأ كتابه: أنا أحمل ثقل إسحاق، فعرض له، فقال: لا تفعل، فقال: ورب هذا - يعني المصحف - لئن ذكرت له لأحد لأقتلك. فظن أنه يريد السيف، فوضع يده على قائم السيف، ثم دعا الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لكم ناصح، ولصالحكم محب، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أحلامكم، وأولي التجربة للحرب منكم، فرضوه لكم رأياً، وراوه لكم في العاجل والأجل صلاحاً، وقد كتبت إلى أميركم الحجاج، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس، وإنا أنا رجل منكم أمضي إذا مضيت، وآبى إذا أبيتم. فثار إليه الناس فقالوا: لا، بل نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع.

قال أبو مخنف: فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني أن أباه كان أول متكلم يومئذ، وكان شاعراً خطيباً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه.

أما بعد فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهب والصلوب، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم، ولا يبقى عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن، فإني أشهدكم أنني أول خالع. فنادى الناس من كل جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله، وقام عبد المؤمن بن شبيب بن ربعي التميمي ثانياً - وكان على شرطته حين أقبل - فقال: عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجرمكم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جهر بالبعوث، ولسن تعابو الأجيال فيما أرى أو يموت أكثركم. بايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى البصرة لي وجهاده معي حتى ينفية الله من أرض العراق. فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

إنا لله وإنا إليه راجعون، غزوة أصيب فيها بحير، فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا: علام قتل صاحبنا، وإنا طلب بشاره! فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس، فقال أهل الحجي: احملوا دم صعصة، واجعلوا دم بحير بواء بيكر فودوا صعصة، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصة:

لله در فتى تجاوز همه دون العراق مفاوزاً وبحورا  
ما زال يدأب نفسه ويكلها حتى تناول في خرون بحيرا

قال: وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع، وهو من رهط صعصة إلى البادية، فقال لرهط بكير: قتل صعصة بطلبه بدم صاحبكم، فودوه، فأخذ لصعصة ديتين.

### ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف، وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسي، وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان في سنة الثانية وثمانين.

ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجاج في هذه السنة.

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رتييل، وكتابه إلى الحجاج بما كان منه هناك، وبما عرض عليه من الرأي فيما يستقبل من أيامه في سنة ثمانين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وثمانين في رواية أبي مخنف، عن أبي المخارق.

ذكر هشام عن أبي مخنف قال: قال أبو المخارق الراسي: كتب الحجاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه.

أما بعد، فإن كتابك أثناني، وفهمت ما ذكرت فيه، وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى المودعة، قد صانع عدواً قليلاً ذليلاً، قد أصابوا من المسلمين جنساً كان بلاؤهم حسناً، وغناؤهم في الإسلام عظيماً. لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن، إنك حيث تكف عن ذلك العدو مجندي وحدي لسخي النفس عمن أصيب من المسلمين. إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأي مكيدة، ولكي رأيته أنه لم يملك عليه إلا ضعفك، والنيث رأيك، فامض لما أمرك به من الغول في أرضهم، والمهدم لخصونهم، وقتل مقاتلتهم، وسي ذراريهم.

ثم أردفه كتاباً فيه.



الناس إلا قليلاً منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه، وكانت بيعته: تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد الجاهل، فإذا قالوا: نعم بايع. فلما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، وبعث كتابه إلى عبد الملك يتمثل في آخره بهذه الأبيات، وهي للحارث بن ولة:

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم حرباً تفرق بين الجيرة الخلط  
وهل سموت بجمار له لجب جم الصواهل بين الجهم والفرط  
وهل تركت نساء الحي ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغبط  
وجاء حتى نزل البصرة. وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان، فكتب إليه.

أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد ﷺ، الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرم والسلام عليك.

وكتب المهلب إلى الحجاج.

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل، وليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شرة في أول خروجه، وصباية إلى أنبائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهلهم، ويشموا أولادهم، ثم وافقهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله. فلما قرأ كتابه قال: فعل الله به وفعل، لا والله ما لي بنظر. ولكن لابن عمه نصح.

لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية، ودعاه فأقرأه الكتاب، ورأى ما به من الجزع، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان هذا الحدث من قبل سجستان، فلا تخفه، وإن كان من قبل خراسان تخوفته. قال: فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري. اللهم سلط عليهم سيف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك. ثم نزل.

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد، وترك رأي المهلب وفرسان الشام يسقطون إلى الحجاج، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البرد من قبل عبد الملك، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله يخبر ابن محمد أي كورة

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك، وأن ابن محمد كان ضربه وحسبه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فجمله وكساه وأعطاه، فأقبل معه فيمن أقبل، وكان قاصاً خطيباً.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بست عياض بن هيمان البكري، من بني سدوس بن شيان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدرامي، ثم بعث إلى رتبيل، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هزم فأزاده الجاه عنده.

قال أبو مخنف: حدثني خشيبة بن الوليد العبسي أن عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلاً إلى العراق سار بين يديه الأعشى على فرس، وهو يقول:

شطت نوى من داره بالإيوان إيوان كسرى ذي القرى والريحان  
من عاشق أمسى بزابلستان إن قيفاً منهم الكذابان  
كذابها الماضي وكذاب ثان أمكن ربي من قيف همدان  
يوماً إلى الليل يسلي ما كان إنا سمونا للكفور الفتان  
حين طغى في الكفر بعد الإيمان بالسيد الغطريف عبد الرحمن  
سار يجمع كاللثي من فحطان ومن معد قد أتى ابن عدنان  
بمحفل جم شديد الإرسان فقل لحجاج ولي الشيطان  
يثبت لجمع مذحج وهمدان فإنهم ساقوه كأس الذيقان  
ولمحقوه بقرى ابن مروان

قال: وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري، وبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلقي خيلاً إلا هزمها، فقال الحجاج: من هذا؟ فقيل له: عطية، فذلك قول الأعشى:

فإذا جعلت دروبنا رس خلفهم درباً فدربا  
فابعت عطية في الخيو ل يكهن عليك كبا

ثم إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس، فسأل عن أبي إسحاق السبيعي، وكان قد كتبه في أصحابه، وكان يقول: أنت خالي، فقيل له: ألا تأتبه فقد سأل عنك! فكره أن يأتيه، ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشة بن عمرو التميمي، ونزل أبو إسحاق بها، فلم يدخل في فتنه حتى كانت الجماجم، ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أول الناس.

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي: خلع عبد الملك بن مروان تيحان بن أبحر من بني تيم الله بن ثعلبة، فقام فقال: أيها الناس، إني خلعت أبا ذبان كخلعي قميصي، فخلعه

نزل، ومن أي كورة يرتحل، وأي الناس إليه أسرع..

منهزمين، ومعه يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قواده، وضمنهم إياها، وأقبل منهزماً إلى البصرة. وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال: أما الحجاج فليس بشيء، ولكننا نريد غزو عبد الملك، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج، فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه، فرشاه الحكم بن أيوب مائة ألف، فكف عنه. ودخل الحجاج البصرة، فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المائة الألف منه.

رجع الحديث إلى حديث أبي غنم عن أبي الزبير الهمداني.

فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج، وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها، وكان رجل من الأزدي من الجهاضم يقال له عقبة بن عبد الغافر له صحابة، فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصراً في قتال الحجاج، وخذق الحجاج عليه، وخذق عبد الرحمن على البصرة. وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك، كذا حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي، وقال: في هذه السنة ولد ابن أبي ذئب.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف. وعلى حرب خراسان المهلب، وعلى خراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة.

قال أبو غنم: حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة، فلما مر بهم ابن محمد بن الأشعث، انجفلوا معه، وعزم الحجاج رايه على استقبال ابن الأشعث، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر، وقدم بين يديه مطهر بن حر العكسي - أو الجذامي - وعبد الله بن رميثة الطائي، ومطهر على الفريقين، فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلاً له، عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلاثمائة فارس - وكانت مسلحة له وللجند - فلما انتهى إليه مطهر بن حر أمر عبد الله بن رميثة الطائي فأقدم عليهم، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه، وجرح أصحابه.

قال أبو غنم: فحدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال: اعبروا إليه من هذا المكان، فأقحم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به، فوالله ما كان بأسرع من أن عبر عظم خيولنا، فما تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حر والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً، وأصبنا عسكرهم، وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس، فقال: أيها الناس، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند. ثم انصرف راجعاً وتبعته خيول أهل العراق، فكلما أدرکوا منهم شاذاً قتلوه، وأصابوا ثقلاً حووه، ومضى الحجاج لا يلوي على شيء حتى نزل الزاوية، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء فأخذهم فحملهم إليه، وخلق البصرة لأهل العراق. وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة. وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعاً دعا بكتائب المهلب، فقرأه ثم قال: لله أبوه! أي صاحب حرب هو! أشار علينا بالرأي، ولكننا لم نقبل.

وقال غير أبي غنم: كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رستقباد وهي من مستوى من كور الأهواز، فعسكر بها، وأقبل ابن الأشعث فنزل تستر، وبينهما نهر، فوجه الحجاج مطهر بن حر العكسي في ألفي رجل، فسأقوعوا بمسلحة لابن الأشعث، وسار ابن الأشعث مبادراً، فواقعهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى وثمانين فيقال: إنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة، وجاءه الباقر

## السنة الثانية والثمانون

## ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية.

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف قال: حدثني أبو الزبير الهمداني قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في الحرم من سنة الثانية وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادقهم، وانهزمت عامة قريش وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه:

فر البراء وابن عمه مصعب وفرت قريش غير آل سعيد

ثم إنهم تزاحفوا في الحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفهم، حتى دنوا منا، فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه، وانتضى نحواً من شبر من سيفه، وقال: لله در مصعب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمزت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزني غمزة شديدة، فسكنت، وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزمهم من قبل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو. فقال لي: قم فانظر، قال: فممت فانظرت، فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد فانظر، قال: فقام فانظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً قد هزموا، فخر ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال:

أردت أن تهلكني وأهل بيتي. وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمي، وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي ثم الجهمي، في أولئك القراء في ربيعة واحدة، وقتل عبد الله بن رزام الحارثي، وقتل المنذر بن الجارود، وقتل عبد الله بن عامر بن مسمع، وأني الحجاج برأسه، فقال: ما كنت أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه، وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله، وزعموا أنه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان شجاعاً يدعى نصيراً، فلما رأى مشيته بين الصفيين، وكان يلومه على مشيته قال: لا ألومه على هذه المشية أبداً.

وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة، وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كرمان إلى الحجاج:

ألا طرقتنا بالغرين بعدما  
أتوك بقودون المنايا وإنما  
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له  
الا أبلغ الحجاج أن قد أظله  
متى نهبط المصريين يهرب محمد  
وليس بمنجي ابن اللعين هروب  
قال: منيتنا أمراً كان في علم الله أنك أولى به، فعجل لك في الدنيا، وهو معذبك في الآخرة. وانهزم الناس، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة، وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة.

ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه، فقاتل بهم الخامسة ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة - وكان جريحاً - إلى سفوان فمات من جراحته، وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع بن بني قيس بن ثعلبة، فقامت حميدة ابنته تنديه، وكان على الخامسة بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال فقالت:

وحامي زياد على رأيته وفر جُذَيُّ بني العنبر  
فجاء البلتع السعدي فسمعها وهي تندب أباهها، وتعيب التميمي، فجاء وكان يبيع سمناً بالمريد، فترك سمته عند أصحابه، وجاء حتى قام تحتها فقال:

علام تلومين من لم يلسم تطاول ليلك من معصر!  
فإن كان أردى أبياك السنان فقد تلحق الخيل بالمدير  
وقد تنطح الخيل تحت العجاج غير البري ولا المعذر  
ونحن منعنا لواء الحريش وطاح لواء بني جحدر  
فقال عامر بن وائلة يرثي ابنه طفيلاً:

خلى طفيل عليّ المم فانشعبا وهذ ذلك ركني هدة عجا  
وابني سمية لا أنساها أبداً فمن نسيت وكل كان لي نصبا  
واخطأتني المنايا لا تطالعني حتى كبرت ولم يتركن لي نشبا  
وكنت بعد طفيل كالذي نصبت عنه المياه وفاض الماء فانقضبا  
فلا بعير له في الأرض يركبه وإن سعى إثر من قد فاتته لغبا  
وسار من أرض خاقان التي غلبت أبناء فارس في أربابها غلبا  
ومن سجان أسباب تربتها لك النية حيناً كان مجتلبا  
حتى وردت حياض الموت فانكشفت عنك الكتاب لا تخفى لها عقبا  
وغادروك صريعاً رهن معركة ترى النور على القتل بها عصبها  
تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا وأسلموا للعدو السي والسلبا  
يا سوءة القوم إذ تسمى نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا

فأفعل. فعدلت ودخل الناس، فلما دخل الكوفة مال إليه أهل الكوفة كلهم، وسبقت همدان إليه، فحفت به عند دار عمرو بن حريث إلا طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية، فأرادوا أن يقتلوه دونه، فلم يطبقوا قتال الناس. فدعا عبد الرحمن بالسلايليم والعجل، فوضعت ليصعد الناس القصر، فصعد الناس القصر فأخذوه، فأتى به عبد الرحمن بن محمد، فقال له: استبقي فإنني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غناء، فأمر به فحبس، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه. وبايعه مطر، ودخل الناس إليه فبايعوه، وسقط إليه أهل البصرة، وتقوضت إليه المسالحي والثغور، جاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعرف بذلك، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فقال: قاتل الله عديَّ الرحمن، إنه قد فر! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثاً. وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب، ومنعوه من نزول القادسية، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين فمنعوه من نزول القادسية، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة، ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم، ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماجم والحجاج بدير قرة، فكان الحجاج بعد ذلك يقول: أما كان عبد الرحمن يزرع الطير حيث رأيته نزلت دير قرة، ونزل دير الجماجم!

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالحي بدير الجماجم والقراء من أهل المصريين، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج، وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم من مواليهم. وجاءت الحجاج أيضاً أمداده من قبل عبد الملك من قبل أن ينزل دير قرة، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب، ويقترب من رفاغة سر الجزيرة، فلما مر بدير قرة قال: ما بهذا المنزل بُعد من أمير المؤمنين، وإن الفلاليج وعين التمر إلى جنبنا. فنزل فكان في عسكره مخندقاً وابن محمد في عسكره مخندقاً، والناس يخرجون في كل يوم فيقتلون، فلا يزال أحدهما يذني خندقه نحو صاحبه، فإذا رآه الآخر خندق أيضاً، وأدنى خندقه من صاحبه. واشتد القتال بينهم. فلما بلغ ذلك رؤوس قريش وأهل الشام قبل عبد الملك ومواليه قالوا: إن كان إنما يرضي أهل العراق أن ينزع عنهم الحجاج، فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق، فانزعه عنهم تخلص لك

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي أن الحجاج أقام بقية الحرم وأول صفر، ثم استعمل على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، حليف حرب ابن أمية على الكوفة.

قال أبو مخنف: كما حدثني يونس بن أبي إسحاق: إنه كان على أربعة آلاف من أهل الشام.

قال أبو مخنف: فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني أنهم كانوا ألفين، وكان حنظلة بن الورد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب بن وراق على المدائن، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة، فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة، فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلوه والقصر، فصالحهم.

قال أبو مخنف: فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رآهم ينزلون من القصر على العجل، وفتح باب القصر لمطر بن ناجية، فازدحم الناس على باب القصر، فزحم مطر على باب القصر، فاخترط سيفه، فضرب به جحفة بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر، فألقى جحفتيه ودخل القصر، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم. قال يونس: وأنا رأيتهما تقسم بينهم، وكان أبو السقر فيمن أعطيها. وأقبل ابن الأشعث منهزماً إلى الكوفة، وتبعه الناس إليها.

### وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم. قال الواقدي: كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وفي قول بعضهم: كانت في سنة ثلاث وثمانين.

ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصر ابن الأشعث إلى دير الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها:

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي، قال: كنت قد أصابني جراحة، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل، فاستقبلوه بعدما جاز قنطرة زبارا، فلما دنا منها قال لي: إن رأيت أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناس جراحتك فإنني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى -

فقالا: شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأبك، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فقال: قد قلت لكما: إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما، ثم قال: إنما أقاتل لكما، وإنما سلطاني سلطانكما، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة. وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضاً يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما، وخلياه والحرب فتولاها.

قال أبو مخنف: فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول: ألا إن بني مروان يعبرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صفورية، فإن يكن هذا الأمر في قريش فعنّي ففتت بيضة قريش، وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوته يسمع الناس - وبروزوا للقتال، فجعل الحجاج على ميمته عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي، وعلى رجاله عبد الرحمن بن حبيب الحكمي، وجعل ابن الأشعث على ميمته الحجاج بن جارية الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى مجففته عبد الله بن رزام الحارثي، وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي، وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش، وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبير، وأبو البختري الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شأوا من خصبهم، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد، قد غلت عليهم الأسعار وقل عندهم الطعام، وفقدوا اللحم، وكانوا كأنهم في حصار، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويروحونهم، فيقتلون أشد القتال، وكان الحجاج يذني خندقه مرةً وهؤلاء أخرى، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر. ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركبياً وقوراً عند الحرب، له بأس وصوت في الناس، وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء، يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون، ويحملون فلا يكذبون، فكانوا قد عرفوا بذلك، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وخرج الناس، فعبى لحجاج أصحابه، ثم زحف في صفوفه، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي، فأقبلوا نحوهم.

قال أبو مخنف: حدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أنا والله

طاعتهم، وتحقق به دماؤنا ودماؤهم. فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه فاجتمعاً جميعاً عنده، كلاهما في جنديهما، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهل الشام، وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء، يكون عليه والياً ما دام حياً، وكان عبد الملك والياً، فإن هم قبلوا ذلك عزل الحجاج، وكان محمد بن مروان أمير العراق، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولي القتال، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته. فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم، فكتب إلى عبد الملك.

يا أمير المؤمنين، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان، فلما سألهم ما يريدون قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه! إن الحديد بالحديد يفلح. خار الله لك فيما ارتأيت. والسلام عليك.

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب. فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال التي ذكرنا. وقال محمد بن مروان: أنا رسول أمير المؤمنين إليكم، وهو يعرض عليكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال. قالوا: نرجع العشية، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أنه، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال.

أما بعد، فقد أعطيتكم أمراً انتهاكم اليوم إياه فرصة، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غداً حسرة، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر، فأقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم متقصون. فلا والله لا زلتم عليهم جراء، ولا زلتم عندهم أعزاء. إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم.

فوثب الناس من كل جانب، فقالوا: إن الله قد أهلكهم، فأصبحوا في الأزل والضنك والمجاعة والقلة والذلة، ونحن ذوو العدد الكثير، والسعر الرفيع والمادة القريبة، لا والله لا نقبل.

فأعادوا خلعه ثانية. وكان عبد الله بن ذواب السلمي وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه في الجماجم، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلعه إياه بفارس.

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج

يزيد يا سيف أبي سعيد قد علم الأقوام والجنود  
والجمع يوم الجمع المشهود أنك يوم الترك صلب العود  
وقال الأشقري:

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلما  
بفتية كاسود الغاب لم يجدوا غير التأسى وغير الصبر معصما  
نرى شرائع تغشى القوم من علق وما أرى نبوة منهم ولا كزما  
وتحتم قرح يركبن ما ركبو من الكربة حتى يتعلن دما  
في حازة الموت حتى جن لبهم كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما  
وفي هذه السنة صالح المهلب أهل كس على فدية، ورحل  
عنها يريد مرو.

### ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن المهلب اتهم  
قوماً من مضر فحبسهم وقتل من كس وخلفهم، وخلف حريث  
بن قطبة مولى خزاعة، وقال: إذا استوفيت الفدية فرد عليهم  
الرهن، وقطع النهر، فلما صار ببلغ أقام بها وكتب إلى حريث:  
إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا  
قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ. فقال  
حريث للملك كس: إن المهلب كتب إلي أن احبس الرهن حتى  
أقدم أرض بلخ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت إليك رهائتك،  
وسرت فأخبرته أن كتابه ورد، وقد استوفيت ما عليكم، ورددت  
عليكم الرهن، فعجل لهم صلحهم، ورد عليهم من كان في  
أيديهم منهم. وأقبل فعرض لهم الترك، فقالوا: أفد نفسك ومن  
معك، فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه. فقال حريث:  
ولدتني إذاً أم يزيد! وقاتلهم فقتلهم، وأسر منهم أسرى ففدوهم،  
فمنّ عليهم و خلاهم، ورد عليهم الفداء. وبلغ المهلب قوله:  
ولدتني أم يزيد إذاً، فقال: يأنف العبد أن تلده راحه! وغضب.

فلما قدم عليه بلخ قال له: أين الرهن؟ قال: قبضت ما  
عليهم وخليتهم، قال: ألم أكتب إليك ألا تخليهم! قال: أتاني  
كتابك وقد خليتهم، وقد كُفيت ما خفت، قال: كذبت، ولكنك  
تقربت إليهم وإلى ملكهم فأطلعتهم على كتابي إليك. وأمر  
بتجريده، فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصاً،  
فجرده وضربه ثلاثين سوطاً. فقال حريث: وددت أنه ضربني  
ثلثمائة سوط ولم يجرديني، أنفأ واستحياء من التجريد، وحلف  
ليقتلن المهلب.

فركب المهلب يوماً وركب حريث، فأمر غلامين له وهو  
يسير خلف المهلب أن يضرباه، فأبى أحدهما وتركه وانصرف،  
ولم يجترأ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه، فلما رجع قال

في الخيل التي عيبت لجلبة بن زحر، قال: حملنا عليه وعلى  
أصحابه ثلاث حملات، كل كتية تحمل حملة، فلا والله ما  
استنقصنا منهم شيئاً.

### ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب

وفي هذه السنة توفي المغيرة بن المهلب بخراسان.

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: كان المغيرة  
بن المهلب خليفة أبيه بمرور على عمله كله، فمات في رجب سنة  
الثانية وثمانين، فأتى الخبر يزيد، وعلمه أهل العسكر فلم يخبروا  
المهلب، وأحب يزيد أن يبلغه، فأمر النساء فصرخن، فقال  
المهلب: ما هذا؟ فقيل: مات المغيرة، فاسترجع، وجزع حتى ظهر  
جزعه عليه، فلامه بعض خاصته، فدعا يزيد فوجهه إلى مرو،  
فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته. وكتب  
الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة، وكان سيدياً، وكان المهلب  
يوم مات المغيرة مقيماً بكس وراء النهر لحرب أهلها.

قال: فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال سبعين - فيهم  
جماعة بن عبد الرحمن العتكي، وعبد الله بن معمر سمير  
اليشكري، ودينار السجستاني، والمهشم بن المنخل الجرهمي،  
وغزوان الإسكاف صاحب زم - وكان أسلم على يد المهلب -  
وأبو محمد الزمي، وعطية - مولى لعتيك - فلقبهم خمسمائة من  
الترك في مفازة نسف، فقالوا: ما أنتم؟ قالوا: تحمار، قالوا: فأين  
الأثقال؟ قالوا: قدمناها، قالوا فأعطونا شيئاً، فأبى يزيد، فأعطاهم  
جماعة ثوباً وكرايس وقوساً، فأنصرفوا ثم غدروا وعادوا إليهم،  
فقال يزيد: أنا كنت أعلم بهم فقاتلوهم، فاشتد القتال بينهم،  
وزيد على فرس قريب من الأرض، ومعه رجل من الخوارج  
كان يزيد أخذه، فقال: استبقي، فمن عليه، فقال له: ما عندك؟  
فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً،  
ثم كر فخالطهم حتى تقدمهم وقتل رجلاً ثم رجع إلى يزيد.  
وقتل يزيد عظيماً من عظمائهم. ورُمي يزيد في ساقه، واشتدت  
شوكتهم، وهرب أبو محمد الزمي، وصبر لهم يزيد حتى  
حاجزوهم، وقالوا: قد غدرنا، ولكن لا ننصرف حتى نموت  
جميعاً أو تموتوا أو تعطونا شيئاً، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً،  
فقال جماعة: أذكرك الله، قد هلك المغيرة، وقد رأيت ما دخل  
على المهلب من مصابه، فأنشدك الله أن تصاب اليوم!

قال: إن المغيرة لم يَغْدُ أجله، ولست أعدو أجلي. فرمى  
إليهم جماعة بعمامة صفراء فاخذوها وأنصرفوا، وجاء أبو محمد  
الزمي بفوارس وطعام، فقال له يزيد: أسلمتنا يا أبا محمد، فقال:  
إنما ذهب لأجيتكم بمدد وطعام، فقال الراجز:

ولا ضيع، ولكن القضاء غالب. وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفصة وكثرة الكلام في مجالسكم، وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد، فقال له المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه.

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو. وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج. ويقال: إنه قال عند موته ووصيته: لو كان الأمر إلي لوليت سيد ولدي حبيباً.

قال: وتوفي في ذي الحجة سنة الثانية وثمانين، فقال نهار بن توسعة التميمي:

ألا ذهب الغزو المقرّب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب  
أقاما بمرو الروذ وهنى ضريحه وقد غيّا عن كل شرق ومغرب  
إذا قيل أي الناس أولى بنعمة على الناس؟ قلناه ولم تهيب  
أباح لنا سهل البلاد وحزنها بنجل كأرسال القطا المشرب  
يعرضها للطعن حتى كأنها يجللها بالأرجوان المخضب  
تطيف به قطان قد عصبت به وأحلافها من حي بكر وتغلب  
وحيا مُعَدَّ عَوْدٍ بلوائه يفئونه بالنفس والأم والأب

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة ولّى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب.

وفيها عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة. قال الواقدي: عزله عنها ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

قال: وفيها ولّى عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة. وعزل هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري، وكان يحبى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة، فلما عزل يحى وليها أبان بن عثمان أقره على قضائها، وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة، فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق عن القضاء ولّى مكانه عمرو بن خالد الزرقى.

وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج، وعلى خراسان يزيد بن المهلب من قبل الحجاج.

لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق واللّه عليك، واللّه ما جزعت على نفسي، وعلمت أنا إن قتلناه أنك ستقتل ونقتل، ولكن كان نظري لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل لقتلته.

قال: فترك حريث إتيان المهلب، وأظهر أنه وجع، وبلغ المهلب أنه تمارض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئني بأخيك، فإنما هو كيعض ولدي عندي، وما كان ما كان مني إليه إلا نظراً له وأدباً، ولربما ضربت بعض ولدي أودبه به. فأتى ثابت أخاه فناداه، وسأله أن يركب إلى المهلب، فأبى وخافه وقال: واللّه لا أجيبه بعدما صنع بي ما صنع، ولا آمنه ولا يأمنني. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إن كان هذا رأيك فأخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلوا جميعاً، فخرجوا في ثلثمائة من شاكريتهما والمنقطعين إليهما من العرب.

### خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة.

ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته.

قال علي بن محمد: حدثني المفضل، قال: مضى المهلب منصرفه من كس يريد مرو، فلما كان بزغول من مرو الروذ أصابته الشوصة - وقوم يقولون: الشوكة - فدعا حبيباً ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصله الرحم، فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلّة، فتحابوا وتواصلوا، واجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات! وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإنني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك. اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف، فإن الرجل من العرب تبعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط

## السنة الثالثة والثمانون

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

## خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم

فمما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم.

## ذكر الخبر عن سبب انهزامه:

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في خيل جيلة بن زحل، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت علياً - رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكرأ يدعى إليه، فانكره بقلبه فقد سلم وبرىء، ومن أنكر بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونور في قلبه اليقين. فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس يتكرونها.

وقال أبو البخترى: أيها الناس، قاتلوهم على دينكم وديناكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليلغين على ديناكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً على بساط الأرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم في الحكم، فليكن بهم البدار.

وقال: سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم، وتجبرهم في الدين، واستذلهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة.

قال أبو مخنف: قال أبو الزبير: فتهيناً للحملة عليهم، فقال لنا جيلة: إذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم. قال: فحملنا عليهم حملة يجد منا في قتالهم، وقوة منا عليهم، فضربنا الكتاب الثلاث حتى اشتفرت، ثم مضينا حتى واقعنا صفهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه، ثم انصرفنا فمررنا بجيلة صريعاً لا ندري كيف قتل.

قال: فهدنا ذلك وجينا فوقنا موقفنا الذي كنا به، وإن قرأنا لموافرون، ونحن نتناعى جيلة بن زحر بيننا، كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه، بل هو في ذلك الموطن كان أشد علينا فقداً. فقال لنا أبو البخترى الطائي: لا يستبين فيكم قتل جيلة بن زحر، فإنما كان كرجل منكم أتته منيته ليومها، فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه، وكلكم ذائق ما ذاق، ومدعو فمجيئ. قال: فنظرت إلى وجوه القراء فإذا الكآبة على وجوههم بينة، وإذا الستهم منقطعة، وإذا الفشل فيهم قد ظهر، وإذا أهل الشام قد سروا وجذلوا، فنادوا: يا أعداء الله، قد هلكتم، وقد قتل الله طاغوتكم.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جيلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا، وتبعونا، وافترقت منا فرقة فكانت ناحية، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على رأس رهوة، فقال بعضنا: هذا والله جيلة بن زحر، أحملوا عليه ما دام أصحابه مشاغبل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه. قال: فحملنا عليه، فاشهد ما ولئى، ولكن حمل علينا بالسيف. فلما هبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذربناه عن فرسه فوق قتيلاً، ورجع أصحابه، فلما رأيناهم مقبلين تنحينا عنهم، فلما رأوه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرت به أعيننا، قال: فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخروجهم إلينا.

قال أبو مخنف: حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني، قال: لما أصيب جيلة هذ الناس مقتله، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هيرة الشيباني، فشجع الناس مقدمه، وقالوا: هذا يقرم مقام جيلة، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البخترى، فقال: قبحتم! إن قتل منكم رجل واحد ظنتم أن قد أحيط بكم، فإن قتل الآن ابن مصقلة القيتم بأيديكم إلى الهلكة، وقتلتم: لم يبق أحد يقاتل معه! ما أخلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم! وكان مقدم بسطام من الري، فالتقى هو وقتيبة في الطريق، فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق، فكلهما أبى على صاحبه، وقال بسطام: لأن أموت مع أهل العراق أحب إلي من أن أعيش مع أهل الشام، وكان قد نزل ماسيدان، فلما قدم قال لابن محمد: أمرني على خيل ربيعة، ففعل، فقال لهم: يا معشر ربيعة، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي - وكان شجاعاً - فخرج الناس ذات يوم ليقبضوا، فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردهن، فجنن ودخلن عسكر الحجاج، فقال: أولى لهم! منع القوم نساءهم، أما لو لم يردوهن لسيبت نساؤهم غداً إذا



الحارثي، وحمل عليه الجراح حملة لا يريد إلا قتله، فصاح به غلامه: إن الرجل جاد في قتلك! فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه، فقال لغلامه: انضح على وجهه من ماء الإداوة، واسقه، ففعل ذلك به، فقال: يا جراح، بشما ما جزيتي، أردت بك العافية وأردت أن تزيّرني المنية! فقال: لم أرد ذلك، فقال: انطلق فقد تركتك للقراة والعشيرة.

قال محمد بن عمر الواقدي: حدثني ابن أبي سيرة، عن صالح بن كيسان، قال: قال سعيد الحارثي: أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق، يقال له: قدامة بن الحريش التميمي، فوقف بين الصفين، فقال: يا معشر جرامة أهل الشام، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإن أبيتم فليخرج إلي رجل، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله، حتى قتل أربعة، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى: لا يخرج إلى هذا الكلب أحد، قال: فكف الناس. قال سعيد الحارثي: فدنوت من الحجاج فقلت: أصلح الله الأمير! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجأهم، ولهذا الرجل أجل، وأرجو أن يكون قد حضر، فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج إليه رجل منهم، فقال الحجاج: إن هذا الكلب لم يزل هذا له عادة وقد أربع الناس، وقد أدنت لأصحابك، فمن أحب أن يقوم فليقم. فرجع سعيد الحارثي إلى أصحابه فاعلمهم، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز إليه رجل من أصحاب الحارثي، فقتله قدامة، فنشئ ذلك على سعيد ونقل عليه لكلامه الحجاج، ثم نادى قدامة: من يبارز؟ فنادى سعيد من الحجاج، فقال: أصلح الله الأمير! ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب. فقال: وعندك ذلك؟ قال سعيد: نعم: أنا كما تحب، فقال الحجاج: أرني سيفك، فأعطاه إياه، فقال الحجاج: معي سيف أثقل من هذا، فأمر له بالسيف، فأعطاه إياه، فقال الحجاج: ونظر إلى سعيد فقال: ما أجود درعك وأقوى فرسك! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب! قال سعيد: أرجو أن يظفرني الله به، قال الحجاج: أخرج على بركة الله. قال سعيد: فخرجت إليه، فلما دنوت منه، قال: قف يا عدو الله، فوقفت، فسرني ذلك منه، فقال: اختر إما أن تمكثني فأضربك ثلاثاً، وإما أن أمكنك فتضربني ثلاثاً، ثم تمكثني. قلت: أمكني، فوضع صدره على قروبه ثم قال: اضرب، فجمعت يدي على سيفي، ثم ضربت على المغفر متمكناً، فلم يصنع شيئاً، فسأني ذلك من سيفي ومن ضربتي، ثم أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق، فإذا أن أقطع وإما أن أوهر يده عن ضربته، فضربته فلم أصنع شيئاً، فسأني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت، والثالثة كذلك. ثم اخترط سيفاً ثم قال: أمكني، فأمكنته،

ظهرت. ثم اقتتلوا يوماً آخر بعد ذلك، فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل عسكرهم نسباً ثمانين عشرة امرأة، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه، فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه: استر مني هذا الشيخ لعلي أرميه أو أحمل عليه فأطعته، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته: اللهم لنا وإياهم بعافية، فقال الأسدي: ما أحب أن أقتل مثل هذا، فتركه، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد، ثم خلى سبيلهن أيضاً، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى.

قال هشام: قال أبي: أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جيلة بن زحر، فأخط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً، وكان جيلة رجلاً ربعة - فالتقى، فضربه على رأسه فسقط، وانهزم أصحابه وجيء برأسه.

قال هشام: فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي، قال: لما جيء برأس جيلة بن زحر إلى الحجاج حمله على رحمين ثم قال: يا أهل الشام، أبشروا، هذا أول الفتح، لا والله ما كانت فتنة قط فخبث حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن، وهذا من عظمائهم. ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه الحجاج بن جارية، فحمل عليه، فطعته فأذراه، وحمل أصحابه فاستنقذوه، فإذا هو رجل من خثعم يقال له أبو الدرداء، فقال الحجاج بن جارية: أما إنني لم أعرفه حتى وقع، ولو عرفته ما بارزته، ما أحب أن يصاب من قومي مثله. وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام، فاضطربا بسيفهما، فقال كل واحد منهما: أنا الغلام الكلابي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: من أنت؟ فلما تساءلا تحاجزا. وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج، فقال: اخرجوا إلي رجلاً رجلاً، فأخرج إليه رجل، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام، يقتل كل يوم رجلاً، حتى إذا كان اليوم الرابع أقبل، فقالوا: قد جاء لا جاء الله به! فدعا إلى المبارزة، فقال الحجاج للجراح: أخرج إليه، فخرج إليه، فقال له عبد الله بن رزام - وكان له صديقاً ويحك يا جراح! ما أخرجك إلي! قال: قد ابتليت بك، قال: فهل لك في خير؟ قال: ما هو؟ قال: انهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حباً لسلامتك، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك، قال: فافعل، فحمل عليه فأخذ يستطرد له - وكان الحارثي قد قطعت لهاته، وكان يعطش كثيراً، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء، فكلما عطش سقاه الغلام - فاطرد له

ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هيرة ومعه أناس من أهل بيته، حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعير، فمعروا فيه، فانتهى إليهم بسطام بن مصقلة، فقال: هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد؟ فلم يكلموه، وظن أنه فيهم، فقال: لا وأنت نفس عليها تحاذر

ضرم قيس عليّ البلا د حتى إذا اضطربت أجندما ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح، وهو على فرسه لم ينزل عنه، فخرجت إليه ابنته فالتزمتها، وخرج إليه أهله يبكون، فأوصاهم بوصية وقال: لا تبكوا، أرايتم إن لم أترككم، كم عسيت أن أبقي معكم حتى أموت! وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حي لا يموت، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي، ثم ودع أهله وخرج من الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الكلبي محمد بن السائب، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد ومتع، قال: جئت أشد ومعني الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلي من يومي، ما ألقيت شيئاً من سلاحي، فقال الحجاج: أتركوهم فليبتدؤوا ولا تتبعوهم، ونادى المنادي: من رجع فهو آمن. ورجع محمد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الوقعة، وخليا الحجاج والعراق، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة، وأجلس مصقلة بن كرب بن رقة العبدي إلى جنبه، وكان خطيباً، فقال: أشتم كل امرئ بما فيه عن كنا أحسننا إليه، فاشتتمه بقلة شكره، ولؤم عهده، ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه، وصغر إليه نفسه. وكان لا يبايعه أحد إلا قال له: أتشهد أنك قد كفرت؟ فإذا قال: نعم، بايعه وإلا قتله، فجاء إليه رجل من خثعم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلت معتزلاً وراء هذه الطقة، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت، فأتيتك لأبايعك مع الناس، قال: امترص! أتشهد أنك كافر؟ قال: بش الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر، قال: إذا أقتلك، قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلا ظمء حمار، وإني لأنتظر الموت صباح مساء، قال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الخزيرين إلا رحمه ورث له من القتل.

ودعا بكميل بن زياد النخعي فقال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال: والله ما أدري على أين أنت أشد غضباً؟ عليه حين أقاد من نفسه، أم علي حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصرف علي أنيابك، ولا تهدم عليّ تهدم الكتيب، ولا تكشر كشران الذئب، والله ما بقي من عمري إلا ظمء الحمار، فإنه

فضربني ضربة صرعني منها، ثم نزل عن فرسه وجلس على صدرتي، وانتزع من خفيه خنجرأ أو سكينأ فوضعها على حلقي يريد ذبحي، فقلت له: أشدك الله! فإنك لست مصيبأ من قتلي الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي، قال: ومن أنت؟ قلت: سعيد الحرشي، قال: أولى يا عدو الله! فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت قال سعيد: فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج، فقال: كيف رايت! فقلت: الأمير كان أعلم بالأمور.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف، عن أبي يزيد، قال: وكان أبو البخترى الطائي وسعيد بن جبير يقولان: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾. إلى آخر الآية، ثم يحملان حتى يواقعاً الصف.

قال أبو المخارق: قاتلناهم مائة يوم سواء أعدما عدأ. قال: نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين، وهزمتنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومتوع النهار، وما كنا قط أجراً عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم.

قال: خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء، لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة، فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهموه قط، ونحن آمنون من الهزيمة، عالون للقوم، إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبل ميمنة أصحابه، حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي، وهو على مسيرة عبد الرحمن بن محمد، فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم، فأنكرها الناس منه، وكان شجاعاً، ولم يكن الفرار له بعادة، فظن الناس أنه قد كان أو من، وصولح على أن ينهزم بالناس، فلما فعلها تقوضت الصفوف من نحوه، وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر، فأخذ ينادي الناس: عباد الله، إلي أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي، فوقف تحت منبره، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له، فوقف منه قريباً، وثبت حتى دنا منه أهل الشام، فأخذت نبلمهم تحوزه، فقال: يا ابن رزام، احمل على هذه الرجال والخيل، فحمل عليهم حتى أمعنوا. ثم جاءت خيل لهم أخرى ورجالة، فقال: احمل عليهم يا ابن ذؤاب، فحمل عليهم حتى أمعنوا، وثبت لا يبرح منبره، ودخل أهل الشام العسكر، فكبروا فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال: انزل، فأني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم. فنزل وخلي أهل العراق العسكر، وانهزموا لا يلوون على شيء،

الحجاج ليله كله يسير فينا يقول لنا: إنكم أهل الطاعة، وهم أهل المعصية، وأنتم تسعون في رضوان الله، وهم يسعون في سخط الله، وعادة الله عندكم فيهم حسنة، ما صدقتموهم في موطن قط ولا صيرتم لهم إلا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم، فأصبحوا إليهم عادين جادين، فإني لست أشك في النصر إن شاء الله.

قال: فأصبحنا، وقد عبأنا في السحر، فباكرناهم فقاتلناهم أشد قتال قاتلناهموه قط، وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب مجففاً، وقد كشفت خيل سفيان بن الأبرد، فقال له الحجاج: ضم إليك يا عبد الملك هذا النسر لعلي أهل عليهم، ففعل، وحمل الناس من كل جانب، فانهزم أهل العراق أيضاً، وقتل أبو البخترى الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وقالوا قبل أن يقتلا: إن الفرار كل ساعة بنا لقيح. فأصيبا.

قال: ومضى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أهل المصريين، فكسروا جفون السيوف، وقال لهم ابن مصقلة: لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا، ولكننا قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل، فأين المحيد عما لا بد منه! يا قوم إنكم محقون، فقاتلوا على الحق، والله لو لم تكونوا على الحق لكان موت في عز خيراً من حياة في ذل. فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً كشفوا فيه أهل الشام مراراً، حتى قال الحجاج: علي بالرامة لا يقاثلهم غيرهم، فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا إلا قليلاً، وأخذ بكير بن ربيعة بن ثروان الضبي أسيراً، فأتى به الحجاج فقتله.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الجهمضم، قال: جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالباس، فقال الحجاج: يا أهل الشام، إنه من صنع الله لكم أن هذا غلام من الغلمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً، اضرب عنقه، فقتله.

قال: ومضى ابن الأشعث والفيل من المهزمين معه نحو سجستان فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير على القوم، فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فادركه بالسوس، فقاتله ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول، فقاتلهم عمارة بن تميم قتالاً شديداً على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

يشرب غدوةً، ويموت عشيةً، ويشرب عشيةً ويموت غدوةً، اقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإن الحجة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنت فيمن قتل عثمان، وخلعت أمير المؤمنين، اقتلوه. فقدم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف، ابن عم منصور بن جهور.

وأني بأخر من بعده، فقال الحجاج: إنني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعي عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحجاج وخلق سبيله.

وأقام بالكوفة شهراً، وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة.

### هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم.

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن أبي يزيد السكسكي، قال: خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن، واجتمع إليه ناس كثير، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج، فأخذها، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل، فأقبل عبيد الله حيثشد إلى ابن محمد بن الأشعث، وقال له: إنني لم أرد فراقك، وإنما أخذتها لك. وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن، فأقام عليها خمساً حتى هيا الرجال في المعابر، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً. وأقبل نحوهم الحجاج، فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف، وتلاوم الناس على الفرار، وباع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت، وخندق عبد الرحمن على أصحابه، وبثق الماء من جانب، فجعل القتال من وجه واحد، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة، فاقتلوا الخامسة عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القتيبي، وكان على مسالح الحجاج، فهذه ذلك وأصحابه هداً شديداً.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جهضم الأزدي، قال: بات

وخلوا سبيله، فأتى رتبيل فقال له: إن هذا كان عاملي على هذه المدينة، وكنت حيث وليته واثقاً به، مطمئناً إليه، فغدر بي وركب مني ما قد رأيت، فأذن لي في قتله، قال: قد آمنتته وأكرهه أن أغدر به، قال: فأذن لي في دفعه ولغزه، والتصغير به، قال: أما هذا فنعم. ففعل به عبد الرحمن بن محمد، ثم مضى حتى دخل مع رتبيل ببلاده، فأنزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه، وكان معه ناس من الفل كثير.

ثم إن عظم الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الأمان من الرؤوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يقلبوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهدوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعاري فحاصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدمهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رتبيل، وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنداً عظيماً، فلعلهم يبايعونا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه، فحاصروا عبد الله بن عامر البعاري حتى استنزوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها له ونأتي خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع وصارم، وليس بشارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدعوه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون، فقالوا: إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتتحي فيها حيث شئنا، ونكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هراة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكريه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين، ففارقه، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال.

أما بعد فإني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهد إلا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقى منكم فيه أحد، فلما

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدي - وكان عامله عليها - فهاها له نزلاً فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً، فقال: عبد الرحمن: والله ما جبت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيال، ولقد قاتلت فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً، ولكي زاولت ملكاً موجلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كرمان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كرمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرأ في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة الشكري، وهي قصيدة طويلة:

أيها لهنأ ويا حزنأ جميعأ ويا حر الفواد لمأ لقينأ!  
تركنا الدين والدنيا جميعأ وأسلمنا الحلائل والينأ  
فما كنا أناسأ أهل دين فنصبر في البلاء إذا ابتلينا  
وما كنا أناسأ أهل دنيا فتمتعنا ولو لم نرج دنيا  
تركنا دورنا لطنام عك وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن محمد مضى حتى خرج على زرنج مدينة سجستان، وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها، يقال له عبد الله بن عامر البعاري من بني مجاشع بن دارم، فلما قدم عليه عبد الرحمن بن محمد منهزماً أغلق باب المدينة دونه، ومنعه دخولها، فأقام عليها عبد الرحمن أياماً رجاء افتتاحها ودخولها. فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بستان، وقد كان استعمل عليها رجلاً من بكر بن وائل يقال له عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي، فاستقبله، وقال له: انزل، فجاء حتى نزل به، وانتظر حتى إذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فاوثقه، وأراد أن يأمن بها عند الحجاج، ويتخذ بها عنده مكاناً. وقد كان رتبيل سمع بمقدم عبد الرحمن عليه، فاستقبله في جنوده، فجاء رتبيل حتى أحاط ببستان، ثم نزل وبعث إلى البكري: والله لئن آذيت به بما يقضى عينه، أو ضررته ببعض المضرة، أو رزأته حبلاً من شعر لا أبرح العرصة حتى أستنزلك فاقتلك وجميع من معك، ثم أسبي ذراريكم، وأقسم بين الجند أموالكم. فأرسل إليه البكري أن أعطنا أماناً على أنفسنا وأموالنا، ونحن ندفعه إليك سالماً، وما كان له من مال موفراً. فصالحهم على ذلك، وآمنهم، ففتحوا لابن الأشعث الباب

بي، فسار إليه حتى تدان العسكران، وتأهبوا للقتال، وألقي ليزيد كرسي فقعد عليه، وولي الحرب أخاه المفضل، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي - يقال له خليل عيين من عبد القيس - على ظهر فرسه فرغ صوته فقال:

دعت يا يزيد بن المهلب دعوة لها جزع ثم استهلكت عيونها  
ولو يسمع الداعي النداء أجابها بصم القنا والبيض تلقى جفونها  
وقد فرأشرف العراق وغادروا بها بقرأ للحين جماً قرونها

وأراد أن يحض يزيد، فسكت يزيد طويلاً حتى ظن الناس أن الشعر قد حركه، ثم قال لرجل: ناد وأسمعهم، جشمهم ذلك، فقال خليل:

لبس المنادي والمنوه باسمه تناديه أبكار العراق وعونها  
يزيد إذا يدعى ليوم حفيظة ولا يمنع السوات إلا حصونها  
فلإني أراه عن قليل بنفسه يدان كما قد كان قبل يديها  
فلا حرة تبكيه لكن نوائح تبكي عليه البقع منها وجونها

فقال يزيد للمفضل: قدم خيلك، فتقدم بها، وتهابجوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى تفرق الناس عن عبد الرحمن، وصبر وصبرت معه طائفة من أهل الحفاظ، وصبر معه العديون، وحمل سعد بن نجدة القردوسي على حليس الشيباني وهو أمام عبد الرحمن، فطعنه حليس فأذراه عن فرسه، وهما أصحابه، وكثرهم الناس فانكشفوا، فأمر يزيد بالكف عن اتباعهم، وأخذوا ما كان في عسكرهم، وأسروا منهم أسرى، فولى يزيد عطاء بن أبي السائب العسكر، وأمره بضم ما كان فيه، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة، فأتوا بهن يزيد، فدفعهن إلى مرة بن عطاء بن أبي السائب، فحملهن إلى الطيبين، ثم حملهن إلى العراق، وقال يزيد لسعد بن نجدة: من طعنك؟ قال: حليس الشيباني، وأنا والله راجلاً أشد منه وهو فارس. قال: فبلغ حليساً، فقال: كذب والله، لأننا أشد منه فارساً وراجلاً. وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم. قال: فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري والمقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وفيروز حصين، وأبو العليج مولى عبيد الله بن معمر، ورجل من آل أبي عقيل، وسوار بن مروان، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف، وعبد الله بن فضالة الزهراني. ولحق الهاشمي بالسند، وأتى ابن سمرة مرو، ثم انصرف يزيد إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سبرة بن نخف بن أبي صفرة، وخلي عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة، وسعى قوم بعبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فأخذه يزيد فحبسه.

رأيت أنكم لا تقاتلون، ولا تصبرون، أثبت ملجأً ومأمناً فكنت فيه، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا، فإنا قد اجتمعنا وأمرنا واحد، لعلنا نقاتل عدونا، فأثبتكم فرأيت أن أمضي إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لي، وأنكم لن تفرقوا عني. ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم، فحسبي منكم يومي هذا فاصنعوا ما بدا لكم، أما أنا فمصرف إلى صاحبي الذي أثبتكم من قبله، فمن أحب منكم أن يتبعني فليتبني، ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياد من الله.

فتفرقت منهم طائفة، ونزلت معه طائفة، وبقي عظم العسكر، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن، فبايعوه. ثم مضى ابن محمد إلى تبسيل ومضوا هم إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة، فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك، فقتلوه، وسار إليهم يزيد بن المهلب.

وأما علي بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن الأشعث لما انهزم من مسكن مضى إلى كابل، وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة أتى هراة، فذم ابن الأشعث وعابه بفراره، وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان فانضم إليه فل ابن الأشعث، فسار إلى خراسان في جمع يقال في عشرين ألفاً، فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيك فقتلوه، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود، فأرسل إليه يزيد بن المهلب: قد كان لك في البلاد متسع، ومن هو أكمل مني حداً وأهون شوكة، فارتحل إلى بلد ليس فيه سلطان، فلإني أكره قتالك، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك اعتكك به.

فأرسل إليه: ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام، ولكننا أردنا أن نريح، ثم نشخص إن شاء الله، وليست بنا حاجة إلى ما عرضت. فانصرف رسول يزيد إليه، وأقبل الهاشمي على الجابية، وبلغ يزيد، فقال: من أراد أن يريح ثم يحتاج لم يجب الخراج، فقدم المفضل في أربعة آلاف - ويقال في ستة آلاف - ثم أتبعه في أربعة آلاف، ووزن يزيد نفسه بسلاحه، فكان أربعمائة رطل، فقال: ما أراني إلا قد نقلت عن الحرب، أي فرس يحملني! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه، واستخلف على مرو خاله جديع بن يزيد، وصير طريقه على مرو الروذ، فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم، ثم أتى هراة فأرسل إلى الهاشمي: قد أرحت وأسمنت وجيت، فلك ما جيت، وإن أردت زيادة زدناك، فأخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك. قال: فأبى إلا القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، ودس الهاشمي إلى جند يزيد يمينهم ويدعوهم إلى نفسه، فأخبر بعضهم يزيد، فقال: جل الأمر عن العتاب، اتغدى بهذا قبل أن يتعشى

لقيت ابن أبي مسلم قتلته أشعر علي، قال: ما أدري ما أشير به عليك غير أن أعتذر ما استطعت من عذرا وأشار بمثل ذلك على نصحائي وإخواني، فلما دخلت عليه رأيت والله غير ما رأوا لي، فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت: أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، قد والله سودنا عليك، وحرضنا وجهدنا عليك كل الجهد، فما آكرنا، فما كنا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك، وبعد الحجة لك علينا، فقال له الحجاج: أنت والله أحب إلي قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دماننا ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي، فانصرف. قال: فانصرفت، فلما مشيت قليلاً قال: هلم يا شعبي، قال: فوجل لذلك قلبي، ثم ذكرت قوله: قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي، قال: كيف وجدت الناس يا شعبي بعدنا؟ قال - وكان لي مكراً - فقلت: أصلح الله الأمير! اكتحلته والله بعدك السهر، واستوعرت الجنب، واستحلت الخوف، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً. قال: انصرف يا شعبي، فانصرفت.

قال أبو مخنف: قال خالد بن قطن الحارثي: أتني الحجاج بالأعشى، أعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدني قولك: بين الأشج وبين قيس، أنفذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك، قال: بل أنشدني هذه، فأنشده:

أبى الله إلا أن يتم نوره      ويطفىء نور الفاسقين فيخمدوا  
ويظهر أهل الحق في كل موطن      ويعدل وقع السيف من كان أصيدا  
ويترل ذلاً بالعراق وأهله      لما نقضوا العهد الوثيق الموكدا  
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة      من القول لم تصعد إلى الله مصعدا  
وما نكثوا من ببيعة بعد بيعة      إذا ضمونها اليوم خاسوا بها غدا  
وجنبا حشاه ربهيم في قلوبهم      فما يقرؤون الناس إلا تهلدا  
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم      ولكن فخرأ فيهم وتزييدا  
فكيف رأيت الله فرق جمعهم      ومزقهم عرض البلاد وشردا!  
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة      وحيمهم أمسى ذليلاً مطردا  
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة      وأبرق منا العارضان وأرعدا  
قطعنا إليه الخندقين وإثما      قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا  
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا      كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا  
بصف كان البرق في حجراته      إذا ما تجلسى بيضه وتوقدا  
دلنا إليه في صفوف كأنها      جبال شروري لو تعان فتهدا  
فما لبث الحجاج أن سل سيفه      علينا فولى جمعنا وتسددا  
وما زاحف الحجاج إلا رأيت      معاناً ملقى للفتوح معودا

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدثه القاسم بن محمد الحضرمي، عن حفص بن عمرو بن قبيصة، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمار، أن يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وآمنه، وكان الطلحي قد آلى على يمين ألا يرى يزيد بن المهلب في موقف إلا أتاها حتى يقبل يده شكراً لما أبلاه. قال: وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد: أسالك بدعوة أبي لأبيك! فخلى سبيله، ولقول محمد بن سعد ليزيد: «أسالك بدعوة أبي لأبيك» حديث فيه بعض الطول.

قال هشام: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف، بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، فقال: أنت صاحب شرطة عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير! كانت فتنة شملت البر والفاجر، فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منا، فإن عفوت فبحلمك وفضلك، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين، فقال الحجاج: أما قولك: إنها شملت البر والفاجر فكذبت، ولكنها شملت الفجار، وعوفي منها الأبرار، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفعك. فعزل، ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم، فقال له الحجاج: أخبرني عنك، ما رجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد؟ أرجوت أن يكون خليفة؟ قال: نعم، رجوت ذلك، وطمعت أن ينزلي منزلك من عبد الملك، قال: فغضب الحجاج وقال: اضربوا عنقه، فقتل.

قال: ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نحي عنه فقال: اضربوا عنقه، وقتل بقتيهم. وقد كان آمن عمرو بن أبي قرة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم، فقال: يا عمرو، كنت تفضي إلي وتحذني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله، ثم تبعت عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، والله ما بك عن اتباعهم رغبة، ولا نعمة عين لك ولا كرامة.

قال: وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجماجم نادى مناديه: من لحق بقتية بن مسلم بالري فهو أمانه، فلحق ناس كثير بقتية، وكان فيمن لحق به عامر الشعبي، فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال: أين هو؟ وما فعل؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم: بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتية بن مسلم بالري، قال: فابعت إليه فلنوت به، فكتب الحجاج إلى قتيبة: أما بعد، فابعت إلي بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا، والسلام عليك، فسرح إليه.

قال أبو مخنف: فحدثني السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقاً، فلما قدم بي على الحجاج

الحجاج مقيدتين وسائر فل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الري لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتية، فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بني ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غدا. فعقد لواءه، وسار فهزم وهزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها الفلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب: بأي وجه تنظر إلى اليمانية وقد بعث ابن طلحة! فقال يزيد: هو الحجاج، ولا يتعرض له! وقال: وطن نفسك على العزل، ولا ترسل به، فإن له عندنا بلاء، قال: وما بلاءه؟ قال: لزم المهلب في مسجد الجماعة بمائتي ألف، فأذاها طلحة عنه، فأطلقه، وأرسل بالباقيين، فقال الفرزدق: وجد ابن طلحة يوم لاقى قومه قحطان يوم هراة خير المعشر.

وقيل: إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه: إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفيروز، فأبرز سريره - وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تبنى مدينة واسط - ثم قال لحاجبه: جئني بسيدهم، فقال لفيروز: قم، فقال له الحجاج: أبا عثمان، ما أخرجك مع هؤلاء؟ فوالله ما حكم من لحومهم، ولا دمك من دماهم! قال: فتنة عمت الناس، فكنا فيها، قال: اكتب لي أموالك، قال: ثم ماذا؟ قال: اكتبها أول، قال: ثم أنا آمن على دمي؟ قال: اكتبها، ثم انظر، قال: اكتب يا غلام، ألف ألف ألفي ألف، فذكر مالا كثيرا، فقال الحجاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي، قال: فأدها، قال: وأنا آمن على دمي؟ قال: والله لتؤدبها ثم لاقتلك، قال: والله لا تجمع مالي ودمي، فقال الحجاج للحاجب: نح، ففناه.

ثم قال: اتني بمحمد بن سعد بن أبي وقاص، فدعاه، فقال له الحجاج: إيه يا ظل الشيطان أعظم الناس تبهأ وكبرأ، تأتي بيعة يزيد بن معاوية، وتشبه بحسين وابن عمر، ثم صرت مؤذنا لابن كنار عبد بني نصر - يعني عمر بن أبي الصلت - وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه، فقال له محمد: أيها الرجل، ملكتك فأسجج! فكف يده، فقال: إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكا في ذلك محمودا، وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت. فأطرق مليا ثم قال: اضرب عنقه، فضربت عنقه.

ثم دعا بعمر بن موسى فقال: يا عبد المرأة، اتقوم بالعمود على رأس ابن الخانك، وتشرب معه الشراب في حمام فارس، وتقول المقالة التي قلت! أين الفرزدق؟ قم فانشده ما قلت فيه،

وإن ابن عباس لفي مرجحة تشبهها قطعاً من الليل أسودا  
فما شرعوا ربحاً ولا جردوا له إلا ربما لاقى الجبان فجردا  
وكرت علينا خيل سفيان كسرة بفرسانها والسمهري مقصداً  
وسفيان يهديها كان لسواء من الطعن سند بات بالصيغ مجسدا  
كهول ومرد من قضاة حوله مساعير أبطال إذا النكس عسدا  
إذا قالوا شدوا شدة حملوا معاً فأنهل خرسان الرماح وأوردا  
جنود أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى عزيزاً مؤيداً  
فيهنى أمير المؤمنين ظهوره على أمة كانوا بغاة وحسدا  
نزوا يشكون البغي من أمرائهم وكانوا هم أبغى البغاة وأعندا  
وجدنا بني مروان خير أئمة وأفضل هذي الناس حلماً وسوددا  
وخير قريش في قريش أرومة وأكرمهم إلا النسي محمدا  
إذا ما تدبرنا عواقب أمره وجدنا أمير المؤمنين مسلدا  
سيغلب قوم غالبوا الله جهرة وإن كايده كان أقسوى وأكيدا  
كذلك يضل الله من كان قلبه مريضاً ومن والى التفاق والحدا  
فقد تركوا الأهلين والمال خلفهم ويضأ عليهم الجلايب خردا  
يناديهم مستعبرات إليهم وينزين دعماً في الخلدود وإثندا  
فلما تناولن منك برحمة يكن سبابا وبالعولة أعبدا  
أنكأ وعصياناً وغندراً وذلة أمان الإله من أمان وأعبدا  
لقد شام المصريين فرخ محمد بحق وما لاقى من الطير أسعدا  
كما شام الله النجير وأمله يجد له قد كان أشقى وأنكددا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إننا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظهر وظفر، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سالناك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيس باذخ

فأنفذها، فلما قال:

بخ بخ لوالده وللمولود

قال الحجاج: لا والله لا تبخين بعدها لأحد أبداً، فقدمه فضرب عنقه.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن فلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكن أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفل إلى الري، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنار مولى بني نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتية بن مسلم إلى الري من قبل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال النفر الذين ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم إلى

فأنشده:

وينادون: يا عمدها يا عمدها! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون!  
فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متفتحين فيكون لما  
يسمعون منهم ويرون. قال: فقدم ابن الأشعث على تفتية ذلك،  
واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن  
محمد بن الأشعث.

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني، قال: قتل الحجاج  
يوم الزاوية أحد عشر ألفاً، ما استحيا منهم إلا واحداً، كان ابنه  
في كتاب الحجاج، فقال له: أتحب أن نغفو لك عن أبيك؟ قال:  
نعم، فتركه لابنه، وإنما خدعهم بالأمان، أمر منادياً فنادى عند  
الهزيمة: ألا لا أمان لفلان ولا فلان، فسمى رجالاً من أولئك  
الأشراف، ولم يقل: الناس آمنون فقالت العامة: قد آمن الناس  
كلهم إلا هؤلاء نفر، فاقبلوا إلى حجرته، فلما اجتمعوا أمرهم  
بوضع أسلحتهم، ثم قال: لأمرن بكم اليوم رجالاً ليس بينكم  
وبينه قرابة، فأمر بهم عمارة بن عجم اللخمي فقربهم فقتلهم.

وروي عن النضر بن شميل، عن هشام بن حسان، أنه  
قال: بلغ ما قتل الحجاج صبراً مائة وعشرين، أو مائة وثلاثين  
ألفاً.

وقد ذكر في هزيمة بن الأشعث بمسكن قول غير الذي ذكره  
أبو مخنف، والذي ذكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج  
اجتمعوا بمسكن من أرض أبقياذ، فكان عسكر ابن الأشعث على  
نهر يدعى خدأش مؤخر النهر، نهر تيري، ونزل الحجاج على  
نهر أفريد والعسكران جميعاً بين دجلة والسيب والكرخ، فاقبلوا  
شراً - وقيل: دون ذلك - ولم يكن الحجاج يعرف إليهم طريقاً  
إلا الطريق الذي يلتقون فيه، فأتى بشيخ كان راعياً يدعى زورقاً،  
فدله على طريق من وراء الكرخ طولته ستة فراسخ، في أجمة  
وضحضاح من الماء، فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام،  
وقال لقائدهم: ليكن هذا العلج أمامك، وهذه أربعة آلاف درهم  
معلك، فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه، وإن كان كذباً  
فاضرب عنقه، فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معلك، وليكن  
شعاركم: يا حجاج يا حجاج، فانطلق القائد صلاة العصر،  
والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الأشعث حين فصل القائد  
بمن معه، وذلك مع صلاة العصر، فاقبلوا إلى الليل، فانكشف  
الحجاج حتى عبر السيب - وكان قد عقده - ودخل ابن  
الأشعث عسكره فأنهض ما فيه، فقيل له: لو اتبعته؟ فقال: قد  
تعبنا ونصبنا، فرجع إلى عسكره فالتقى أصحابه السلاح، وياتوا  
آمنين في أنفسهم لهم الظفر. وهجم القوم عليهم نصف الليل  
يصيحون بشعارهم، فجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا  
يدري أين يتوجه! دجيل عن يساره ودجلة أمامه، ولها جرف

وخضبت أيرك للزناء ولم تكن يوم الهياج لتخضب الأبطالاً  
فقال: أما والله لقد رفعتني عن عقائل نساءك، ثم أمر  
بضرب عنقه.

ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فإذا غلام  
حدث، فقال: أصلح الله الأمير! ما لي ذنب، إنما كنت غلاماً  
صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهى، وكنت معهما حيث  
كانا، فقال: وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتى كلها؟ قال: نعم،  
قال: على أبيك لعنة الله.

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال: اجعل ابن الأشعث طلب ما  
طلب، ما الذي أملت أنت معه؟ قال: أملت أن يملك فيوليني  
العراق كما ولاك عبد الملك. قال: قم يا حوشب فاضرب عنقه،  
فقام إليه، فقال له الهلقام: يا ابن لقيطة، أتنكأ القرع! فضرب  
عنقه.

ثم أتى بعبد الله بن عامر، فلما قام بين يديه قال: لا رأيت  
عيناك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع. قال: وما  
صنع؟ قال:

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً  
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطراً  
فأطرق الحجاج ملياً ووقرت في قلبه، وقال: وما أنت  
وذاك! اضرب عنقه. فضربت عنقه. ولم تنزل في نفس الحجاج  
حتى عزل يزيد عن خراسان وحجبه.

ثم أمر بفيروز فعذب، فكان فيما عذب به أن كان يشد  
عليه القصب الفارسي المشقوق، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده،  
ثم ينضح عليه الخل والملح، فلما أحس بالموت قال لصاحب  
العذاب: إن الناس لا يشكون أنني قد قتلت، ولي ودائع وأموال  
عند الناس، لا تؤدى إليكم أبداً، فأظهروني للناس ليعلموا أنني  
حي فيؤدوا المال. فأعلم الحجاج، فقال: أظهِروه، فأخرج إلى باب  
المدينة، فصاح في الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا  
فيروز حصين، إن لي عند أقوام مالا، فمن كان لي عنده شيء فهو  
له، وهو منه في حل، فلا يؤدين منه أحد درهماً، ليبلغ الشاهد  
الغائب. فأمر به الحجاج فقتل. وكان ذلك مما روى الوليد بن  
هشام بن قحدم، عن أبي بكر الهذلي.

وذكر ضمرة بن ربيعة، عن أبي شاذب، أن عمال الحجاج  
كتبوا إليه: إن الخراج قد انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا  
ولحقوا بالأمصار، فكتب إلى البصرة وغيرها: أن من كان له أصل  
في قرية فليخرج إليها. فخرج الناس فعسكروا، فجعلوا يبيكون



دجلة، فلما كان في موضع واسط تفاجت الأتان فبالت، فنزل الراهب، فاحتفر ذلك البول، ثم احتمله فرمي به في دجلة، وذلك بعين الحجاج، فقال: عليّ به، فأتي به، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحده. فاخط الحجاج مدينة واسط، وبنى المسجد في ذلك الموضع.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة عزل عبد الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبان بن عثمان، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي.

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها، وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها.

منكر، فكان من غرق أكثر من قتل. وسمع الحجاج الصوت فغير السيب إلى عسكره، ثم وجه خيله إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث، والحجاز في ثلثمائة، فمضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجيلاً فعبه في السفن، وعقروا دوابهم، وأحدروا في السفن إلى البصرة، ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه، وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف، فيقال: إن فيمن قتل عبد الله بن شداد بن الهاد، وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هيرة، وعمر بن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن غرمة العبددين، وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبي، فأتي الحجاج برؤوسهم على ترس، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل:

إذا مررت بوادي حية ذكر - فاذهب ودعني أقاسي حية الوادي

ثم نظر إلى رأس بكير، فقال: ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء. خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم. ثم قال: ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك بن مسمع، فوضع بين يديه، فبكى، فقال له الحجاج: ما أبكاك؟ أحزننا عليهم؟ قال: بل جزعاً لهم من النار.

### ذكر خبر بناء مدينة واسط

وفي هذه السنة: بنى الحجاج واسطاً، وكان سبب بنائه ذلك - فيما ذكر - أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بمجمام عمر. وكان فتى من أهل الكوفة من بني أسد حديث عهد بعرس بابنة عم له، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً، فطرق الباب طارق ودقه دقاً شديداً، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمه: لقد لقينا من هذا الشامي شراً، يفعل بنا كل ليلة ما ترى، يريد المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، وعرفوا ذلك، فقال: انذروا له، ففعلوا، فأغلق الباب، وقد كانت المرأة تجدد منزلها وطيبته، فقال الشامي: قد آن لكم، فاستقناه الأسدي، فأنذر رأسه، فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامراته: إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم، فسيأتون بك الحجاج، فاصدقيه الخبر على وجهه، ففعلت، ورفع القتيل إلى الحجاج، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريرته، فقال لها: ما خطبك؟ فأخبرته، فقال: صدقتي. ثم قال لولاة الشامي: ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار، لا قود له ولا عقل، ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحد، وأخرجوا فعسكروا. وبعث رواداً يرتادون له منزلاً، وأمن حتى نزل أطراف كسكر، فبينما هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر

## السنة الرابعة والثمانون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم، ففتح فيها المصيصة، كذلك ذكر الواقدي.

## خبر قتل الحجاج أيوب بن القرية

وفيهما قتل الحجاج أيوب بن القرية، وكان ممن كان مع ابن الأشعث، وكان سبب قتله إياه - فيما ذكر - أنه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجماجم - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج - فيقول حوشب: انظروا إلى هذا الواقف معي، وغداً أو بعد غد يأتي كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه، فبينما هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج.

أما بعد، فإنك قد صرت كهفاً لمنافقي أهل العراق وماوى، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القرية مشدودة يديه إلى عنقه، مع ثقة من قبلك.

فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه، فقرأه فقال: سمعاً وطاعة، فبعث به إلى الحجاج موثقاً، فلما دخل الحجاج قال له: يا ابن القرية، ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: أصلح الله الأمير! ثلاثة حروف كأنهم ركب وقوف، دنيا، وآخرة، ومعروف. قال: اخرج مما قلت، قال: أفعل، أما الدنيا فمال حاضر، يأكل منه البر والفاجر، وأما الآخرة فميزان عادل، ومشهد ليس فيه باطل، وأما المعروف فإن كان علي اعترفت، وإن كان لي اعترفت. قال: إما لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك. قال: أصلح الله الأمير! أقلني عثرتي، وأسغني ريقِي، فإنه ليس جواداً إلا له كبوة ولا شجاع إلا له هبوة. قال الحجاج: كلا والله لأرينك جهنم، قال: فأرحني فأني أجد حرها، قال: قدمه يا حوسي فاضرب عنقه. فلما نظر إليه الحجاج يتشطح في دمه قال: لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه! ثم أمر به فأخرج فرمى به.

قال هشام: قال عوانة: حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية، قال له ابن القرية: أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكننا جميعاً أو لألفيت منيعاً.

## فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس.

ذكر سبب فتحه إياها.

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: كان نيزك ينزل بقلعة بادغيس، فتحن يزيد غزوه، ووضع عليه العيون، فبلغه خروجه، فخالفه يزيد إليها، وبلغ نيزك فرجع، فصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل عنها بعياله، فقال كعب بن معدان الأشقري:

وبادغيس التي من حل ذروتها عز الملوك فإن شا جارا أو ظلما  
منيعاً لم يكدها قلبه ملك إلا إذا واجهت جيشاً له وجها  
تخال نيرانها من بعد منظرها بعض النجوم إذا ما ليها عتما  
لما أطاف بها ضاقت صدورهم حتى أقروا له بالحكم فاحتكما  
فذل ساكنها من بعد عزته يعطى الجزى عارفاً بالذل مهتضمها  
وبعد ذلك أياماً نعددها وقبلها ما كشفت الكرب والظلما  
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه بين الخلائق والمحروم من حرما  
يداك إحداهما تسقي العلو بها سما وأخرى ندها لم يزل ديا  
فهل كسيب يزيد أو كئائله إلا الفرات وإلا النيل حين طما  
ليسا باجود منه حين مدعما إذ يعلوان حذاب الأرض والأكما  
وقال:

ثنائي على حي العتيك بأنها كرام مقاربيها، كرام نصايها  
إذا عقدوا للجبار حل بنجوة عزيز مراقبيها، منيع هضايها  
نفس نيزكاً عن بادغيس ونيزك بمنزلة أعيا الملوك اغتصايها  
معلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زل عنها سحابها  
ولا يبلغ الأروى شماريها العلا ولا الطير إلا نسرهما وعقابها  
وما خوفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحت إلا النجوم كلابها  
تمت أن ألقى العتيك ذوي النهى مسلطة تحمي بملك ركابها  
كما يمتنى صاحب الحرث أعطشت مزارعه غيثاً غزيراً وربايها  
فأسقي بعد اليأس حتى تحيرت جدولها ريباً وعب عبايها  
لقد جمع الله النوى وتشعبت شعوب من الأفاق شتى مأبها

قال: وكان نيزك يعظم القلعة إذا رآها سجد لها. وكتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بالفتح، وكانت كتب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدواني، وكان حليفاً لهذيل، فكتب: إنا لقينا العدو فمحننا الله أكتافهم، فقتلنا طائفة، وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال وعراعر الأودية، وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار.

فقال الحجاج: من يكتب ليزيد؟ فقبل: يحيى بن يعمر، فكتب إلى يزيد فحملة على البريد، فقدم عليه أفصح الناس، فقال له: أين ولدت؟ قال: بالأهواز، قال: فهذه الفصاحة؟ قال: حفظت كلام أبي وكان فصيحاً. قال: من هناك فأخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال: نعم كثيراً، قال: ففلان؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عني ألحن؟ قال: نعم تلحن لحنا خفياً، تزيد حرفاً

وتنقص حرفاً، وتجعل أن في موضع إن، وإن في موضع أن..  
قال: قد أجلتلك ثلاثاً، فإن أجدك بعد ثلاث بأرض  
العراق قتلتك.  
فرجع إلى خراسان.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي،  
كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى،  
عن أبي معشر، وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين  
سميت قبل في سنة ثلاث وثمانين.

## السنة الخامسة والثمانون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

## خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

ذكر السبب الذي به هلك، وكيف كان.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي غنم، قال: لما انصرف ابن الأشعث من هراة راجعاً إلى رتبيل كان معه رجل من أود يقال له علقمة بن عمرو، فقال له: ما أريد أن أدخل معك، فقال له عبد الرحمن: لم؟ قال: لأنني أخوف عليك وعلى من معك، والله لكأنني بكتاب الحجاج قد جاء، فوقع إلى رتبيل يرغبه ويرهبه، فإذا هو قد بعث بك مسلماً أو قتلكم.

ولكن هاهنا خمسمائة قد تباعنا على أن تدخل مدينة فتحصن فيها، وتقاتل حتى نعطي أماناً أو نموت كراماً. فقال له عبد الرحمن: أما لو دخلت معي لآسيتك وأكرمتك، فأبى عليه علقمة، ودخل عبد الرحمن بن محمد إلى رتبيل. وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن غنم اللخمي فحاصروهم، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم، فخرجوا إليه فوفى لهم.

قال: وتتابع كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعت به إلي، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطن أرضك ألف مقاتل. وكان عند رتبيل رجل من بني غنم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع، فقال لرتبيل: أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكنف الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد، قال رتبيل لعبيد: فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت.

فكتب إلى الحجاج يخبره أن رتبيل لا يعصيه، وأنه لا يدع رتبيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد، فأعطاه الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رتبيل عليه مالا، وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين. وكان الحجاج يقول: بعث إلي رتبيل بعدو الله. فألقى نفسه من فوق إجار فمات.

قال أبو غنم: وحدثني سليمان بن أبي راشد أنه سمع مليكة ابنة يزيد تقول: والله مات عبد الرحمن وإن رأسه لعلى فخذي، كان السل قد أصابه. فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رتبيل فحز رأسه، فبعث به إلى الحجاج، وأخذ ثمانية عشر رجلاً

من آل الأشعث فحبسهم عنده، وترك جميع من كان معه من أصحابه. وكتب إلى الحجاج بأخذه الثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرحمن فكتب إليه: أن اضرب رقابهم، وابعث إلي برؤوسهم، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك، فبترك منهم أحداً.

وقد قيل في أمر ابن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي غنم، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول: زعم أن عمارة بن غنم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني الغنم يدعى مودوداً، فحصره ثم آمنه، ثم استولى على سجستان، وأرسل إلى رتبيل. وكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإني قد بعثت إليك عمارة بن غنم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالفوا طاعة، ولم يخلعوا خليفة، ولم يتبعوا إمام ضلالة، يجري على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم، يستطعمون الحرب استطعاماً، يطلبون ابن الأشعث.

فأبى رتبيل أن يسلمه. وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به، وكان رسوله إلى رتبيل، فخص برتبيل أيضاً، وخف عليه، فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إني لا آمن غدر التميمي، فاقتله، فهم به، وبلغ ابن أبي سبيع، فخافه فوشى به إلى رتبيل، وخوفه الحجاج، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث فأجابته، فخرج سراً إلى عمارة بن غنم، فاستعجل في ابن الأشعث، فجعل له ألف ألف، فأقام عنده وكتب بذلك عمارة إلى الحجاج، فكتب إليه أن أعط عبيداً ورتبيل ما سالاك واشترط، فاشترط رتبيل ألا تغزى بلاده عشر سنين، وأن يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف، فأعطى رتبيل وعبيداً ما سالا، وأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته، وقد أعد لهم الجوامع والقيود، فألقى في عنقه جامعة، وفي عنق القاسم جامعة، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالح عمارة منه، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس: تفرقوا إلى حيث شئتم، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات، فاحتر رأسه، فأتى به وبالأسرى عمارة، فضرب أعناقهم، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرؤوس أهله وبأمراته إلى الحجاج، فقال في ذلك بعض الشعراء:

هيات موضع جثة من رأسها راس بمصر وجثة بالخرج  
وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك، فأرسل به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر.

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال: أخبرني سعد بن عبيدة الله قال: لما أتى عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به

## عزل يزيد بن المهلب عن خراسان

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاهما الفضل بن المهلب أخا يزيد.

ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل الفضل.

ذكر علي بن محمد، عن الفضل بن محمد، أن الحجاج وفد إلى عبد الملك، فمر في منصرفه بدير فنزله، فقيل له: إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً، فدعا به فقال: يا شيخ، هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن؟ قال: نعم، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن، قال: أفمسمي أم موصوفاً؟ قال: كل ذلك، موصوف بغير اسم، واسم بغير صفة، قال: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال: نجد في زماننا الذي نحن فيه، ملك أقرع، من يقيم لسبيله يصرع، قال: ثم من؟ قال: اسم رجل يقال له الوليد، قال: ثم ماذا؟ قال: رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس، قال: أتعرفني؟ قال: قد أخبرت بك. قال: أتعلم ما لي؟ قال: نعم، قال: فمن يليه بعدي؟ قال: رجل يقال له يزيد، قال: في حياتي أم بعد موتي؟ قال: لا أدري، قال: أتعرف صفته؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا. قال: فوقع في نفسه يزيد بن المهلب، وارتحل فصار سبعاً وهو وجل من قول الشيخ، وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق، فكتب إليه: يا ابن أم الحجاج، قد علمت الذي تغزو، وأنت تريد أن تعلم رأيي فيك، ولعمري إنني لأرى مكان نافع بن علقمة، فانه عن هذا حتى يأتي الله بما هو آت، فقال الفرزدق يذكر مسيره:

لو أن طيراً كلفت مثل سيره إلى واسط من إيلياء للبت  
سرى بالهاري من فلسطين بعدما دنا الليل من شمس النهار فولت  
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد ملت سراها وكلت  
كان قطامياً على الرحل طاوياً إذا غمرة الظلماء عنه تجلت

قال: فبينما الحجاج يوماً خال إذ دعا عبيد بن موهب، فدخل وهو ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: ويحك يا عبيد! إن أهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له يزيد، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة، ويزيد بن حصين بن نمير، ويزيد بن دينار، فليسوا هناك، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب، فقال عبيد: لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم، وإن لهم لعدداً وجلداً، وطاعة وحظاً، فأخلق به، فأجعب على عزل يزيد فلم يجد له شيئاً حتى قدم الخيار بن أبي سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن محمد بن سفيان بن مجاشع - وكان من فرسان المهلب - وكان مع يزيد - فقال له الحجاج: أخبرني عن يزيد، قال: حسن الطاعة، لين السيرة، قال: كذبت، أصدقني عنه، قال: الله أجل وأعظم، قد

مع خصي إلى امرأة منهم كانت تحت من قريش، فلما وضع بين يديها قالت: مرجحاً بزاير لا يتكلم، ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير. فذهب الخصي يأخذ الرأس فاجتذبه من يده، قالت: لا والله حتى أبلغ حاجتي، ثم دعت بمخيطي ففسلته وغلفته ثم قالت: شائك به الآن. فأخذه، ثم أخبر عبد الملك، فلما دخل عليه زوجها، قال: إن استطعت أن تصيب منها سخله.

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد رتييل فتمثل:

يطرده الخوف فهو رائه كذاك من يكسر حر الجلال  
منخروق الحفين يشكو الرجا تنكب أطراف مرو حداد  
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد  
فالتفت إليه فقال: يا لحية، هلا ثبت في موطن من المواطنين  
فتموت بين يديك، فكان خيراً لك مما صرت إليه!.

قال هشام: قال أبو مخنف: خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه حميد الأرقط وهو يقول:

ما زال يسي خندقاً ويهدمه عن عسكر يقوده فيسلمه  
حتى يصير في يديك مقسمه ههات من مصفه منهزمه  
إن أخا الكظاظ من لا يسامه

فقال الحجاج: هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان:

نبت أن بني يرسف خر من زلق فنيا  
قد تبين له من زلق وتب ودحض فانكب، وخاف وخاب،  
وشك وارتاب، ورفع صوته فما بقي أحد إلا فزع لغضبه،  
وسكت الأريقط، فقال له الحجاج: عد فيما كنت فيه، ما لك يا أرقط! قال: إنني جعلت فذاك أيها الأمير وسليمان الله عزيز، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت خصائلي، واحزالت مفاصلي، وأظلم بصري، ودارت بي الأرض. قال له الحجاج: أجل، إن سلطان الله عزيز، عد فيما كنت فيه، ففعل.

وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وهو أعور، فقال الحجاج للأريقط: كيف قلت لابن سمرة؟ قال: قلت:

يا أعور العين فديت العورا كنت حسبت الخندق المحفورا  
يرد عنك القدر المقدورا ودائرات السوء أن تدورا  
وقد قيل: إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع

وثمانين.

أسرج ولم يلجم، قال: صدقت، واستعمل الخيل على عمان بعد ذلك.

قال: ثم كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزيرية، فكتب إليه عبد الملك: إنني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير، بل أراه وفاء منهم لهم، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي. فكتب إليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ، فكتب إليه عبد الملك: قد أكثر في يزيد وآل المهلب، فسم لي رجلاً يصلح لخراسان، فسمي له جماعة بن سمر السعدي، فكتب إليه عبد الملك: إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى جماعة بن سمر، فانظر لي رجلاً صارماً، ماضياً لأمر، فسمي قتيبة بن مسلم، فكتب إليه: ولّه. وبلغ يزيد أن الحجاج عزله، فقال لأهل بيته: من ترون الحجاج يولي خراسان؟ قالوا: رجلاً من ثقيف، قال: كلا، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعده، فإذا قدمت عليه عزله وولي رجلاً من قيس، وأخلق بقتية! قال: فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حسين بن المنذر، فقال له: أقم واعتل، فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك، وإنما أتيت من الحجاج، فإن أقمتم ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد، قال: إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف، فأخذ في الجهاز، وأبطأ ذلك على الحجاج، فكتب إلى المفضل: إنني قد وليتكم خراسان، فجعل المفضل يستحث يزيد، فقال له يزيد: إن الحجاج لا يقر بك عدي، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن امتنع عليه، قال: بل حسدتي، قال يزيد: يا ابن بهلة، أنا أحسدك! ستعلم. وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة الخامسة وثمانين، فعزل الحجاج المفضل، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه:

يا بني بهلة إنما أخزأكما ربي غداة غدا الهمام الأزهر  
أحف ر لأخيك فوقعتم في قعر مظلمة أخوها المعور  
جسودوا بتوبة مخلصين فإنما يابى ويأنف أن يتوب الأخسر  
وقال حسين ليزيد:

أمرتكم أمراً حازماً فعصيتي فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً  
فما أنا بالبائي عليك صباية وما أنا بالداعي لترجع سالماً  
فلما قدم قتيبة خراسان قال لحسين: كيف قلت ليزيد؟  
قال: قلت:

أمرتكم أمراً حازماً فعصيتي فنسك أول اللوم إن كنت لائماً  
فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته فإنك تلقى أسرته متافهما  
قال: فماذا أمرته به فعصاك؟ قال: أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير، فقال رجل لعياض بن حسين: أما

أبوك فوجده قتيبة حين فره قارحاً بقوله: «أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير».

قال علي: وحدثنا كليب بن خلف، قال: كتب الحجاج إلى يزيد أن اغزو خوارزم، فكتب إليه: أيها الأمير، إنها قليلة السلب، شديدة الكلب. فكتب إليه الحجاج: استخلف واقدم، فكتب إليه: إني أريد أن أغزو خوارزم. فكتب إليه: لا تغزها فإنها كما وصفت، فغزا ولم يقطع، فصالحه أهل خوارزم، وأصاب سبياً مما صالحوه، وقفل في الشتاء، فاشتد عليهم البرد، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها، فمات ذلك السبي من البرد. قال: ونزل يزيد بلستان، وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام، فكتب إليه الحجاج: إن أقدم، فقدم، فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الراحين. وكان يزيد ولي سنة الثانية وثمانين، وعزل سنة الخامسة وثمانين، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة الخامسة وثمانين، وولى قتيبة.

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سبباً غير الذي ذكره علي بن محمد، والذي ذكر من ذلك عن أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصريين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجه من خراسان، فكان يبعث إليه لياثيه، فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان، فمكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك. ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير، وأنه لا وفاء لهم، فكتب إليه عبد الملك: إني لا أرى تقصيراً بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم، فإن طاعتهم ووفاءهم لهم، هو دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي.

ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد.

### غزو المفضل باذغيس وأخرون

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتحها.

ذكر الخبر عن ذلك.

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: عزل الحجاج يزيد، وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة الخامسة وثمانين، فوليتها تسعة أشهر، فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنماً، فقسمه بين الناس، فأصاب كل رجل منهم

هو طعامه في ذلك اليوم، فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له، فقال رجل من أصحاب موسى: ما هذه المائدة؟ فأخبر عنها، فسكت، فقال صاحب موسى: لأكلن ما على هذه المائدة، ولأبارزن فارس الصغد، فإن قتله كنت فارسهم. فجلس فأكل ما عليها، وقيل لصاحب المائدة، فجاء مغضباً، فقال: يا عربي، بارزني، قال: نعم، وهل أريد إلا المبارزة! فبارزه فقتله صاحب موسى، فقال ملك الصغد: أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتهم فارس الصغدا لولا أنني أعطيتكم وأصحابك الأمان لقتلتكم، أخرجوا عن بلدي، ووصله.

فخرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس إلى طرخون يستصره، فأتاه، فخرج إليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى أسوا، ونحاجزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة، فلما أصبحوا أمرهم موسى فحللوا رؤوسهم كما يصنع الخوارج، وقطعوا صفات أخيتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا.

وقال موسى لزراعة بن علقمة: انطلق إلى طرخون فاحتل له. فأتاه، فقال له طرخون: لم صنع أصحابك ما صنعوا؟ قال: استقلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم، ولو قتله وإياهم جميعاً ما نلت حظاً، لأن له قدراً في العرب، فلا يلي أحد خراسان إلا طالبك بدمه، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر، قال: ليس إلى ترك كس في يده سبيل، قال: فكف عنه حتى يرثلك، فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر إلى جانب منه، فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجاً من الحصن والدهقان بجانب لرمذشاه، فقال لموسى: إن صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء، فإن اللطفة وأهديت إليه أدخلك حصنه، فإنه ضعيف، قال: كلا، ولكني أسأله أن يدخلني حصنه، فسأله فأبى، فماكره موسى وأهدى له والطفه، حتى لطف الذي بينهما، وخرج فتصيد معه، وكثر الإطاف موسى له، فصنع صاحب الترمذ طعاماً وأرسل إليه: إني أحب أن أكرمك، فتعد عندي، وأتني في مائة من أصحابك. فانتخب موسى من أصحابه مائة، فدخلوا على خيولهم، فلما صارت في المدينة تصاهلت، فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم: انزلوا، فنزلوا، فدخلوا بيناً، خمسين في خمسين، وغدوهم.

فلما فرغوا من الغذاء اضطجع موسى، فقالوا له: اخرج، قال: لا أصيب منزلاً مثل هذا، فلست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبري وقاتلوهم في المدينة، فقتل من أهل الترمذ عدة، وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم، وغلب موسى على المدينة، وقال لرمذ شاه: اخرج فلاني لست أعرض لك ولا لأحد من

ثمانمائة درهم، ثم غزا آخرون وشومان، فظفر وغنم، وقسم ما أصاب بين الناس، ولم يكن للمفضل بيت مال، كان يعطي الناس كلما جاءه شيء، وإن غنم شيئاً قسمه بينهم، فقال كعب الأشقر يمدح المفضل:

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر عصاب شتى يتسرون المفضلاً  
فمن زائر يرجو فواضل سبيه وآخر يقضي حاجه قد ترحلاً  
إذا ما التويتا غير أرضك لم نجد بها متروى خيراً ولا متعللاً  
إذا ما عدنا الأكرمين ذوي النهى وقد قدموا من صالح كنت أولاً  
لعمري لقد صال الفضل صولةً أباحت بشومان المناهل والكللاً  
ويوم ابن عباس تناولت مثلها فكانت لنا بين الفريقين فصلاً  
صفت لك أخلاق المهلب كلها وسرلت من مسعاته ما تسربلاً  
أبوك الذي لم يسع ساع كسعي فاورث مجدلاً لم يكن متحلاً

### خير مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالرمذ

وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالرمذ.

#### ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها:

ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل من قتل من بني تميم بقرتنا - وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم - تفرق عنه عظم من كان بقي معه منهم، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو، فقال لابنه موسى: حول ثقلي عن مرو، واقطع نهر بلخ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقيم فيه. فشخص موسى من مرو في عشرين ومائتي فارس، فأتى أمل وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك، فصار في أربعمائة، وانضم إليه رجال من بني سليم، منهم زراعة بن علقمة، فأتى زم فقاتلوه، فظفر بهم وأصاب مالا، وقطع النهر، فأتى بخاري فسأل صاحبها أن يلجأ إليه، فأبى وخافه، وقال: رجل فاتك، وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر، فلا آمنه. وبعث إليه بصلة عين ودواب وكسوة، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخاري في نوقان، فقال له: إنه لا خير في المقام في هذه البلاد، وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك. فأقام عند دهقان نوقان أشهراً، ثم خرج يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً، فلم يأت بلداً إلا كرهوا مقامه فيهم، وسألوه أن يخرج عنهم.

قال علي بن محمد: فأتى سمرقند فأقام بها، وأكرمه طرخون ملكها، وأذن له في المقام، فأقام ما شاء الله، ولأهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وإبريق شراب، وذلك في كل عام يوماً، يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره،

قال: فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا، فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف، فثاروا يقتل بعضهم بعضاً ولولوا، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلاً، وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحاً ومالاً، وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسروهم ذلك، وخافوا مثلها من البيات، فتحذروا. فقال لموسى عمرو بن خالد: إنك لا تظفر إلا بمكيكة ولهم أمداد وهم يكثرون، فدعني آتهم لمعي أصيب من صاحبهم فرصة، إني إن خلوت به قتلته، فتناولني بضرب، قال: تتعجل الضرب وتتعرض للقتل! قال: أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض له، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد. فتناوله بضرب، ضربه خمسين سوطاً، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعي مستامناً وقال: أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم، فلما قتل أتيت ابنه فلم أزل معه، وكنت أول من أتاه، فلما قدمت اتهمني، وتعصب علي، وتكرلي وقال لي: قد تعصبت لعدونا، فأنت عين له، فضربني، ولم آمن القتل، وقلت: ليس بعد الضرب إلا القتل، فهربت منه، فأمنه الخزاعي وأقام معه.

قال: فدخل يوماً وهو خال ولم ير عنده سلاحاً، فقال كأنه ينصح له: أصلحك الله! إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح، فقال: إن معي سلاحاً، فرفع صدر فراشه فإذا سيف منتضى، فتناوله عمرو فضربه فقتله، وخرج فركب فرسه، ونذروا به بعدما أمعن، فطلبوه فقاتلهم، فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش، فقطع بعضهم النهر، وأتى بعضهم موسى مستامناً، فأمنه، فلم يوجه إليه أمية أحداً.

قال: وعزل أمية، وقدم المهلب أميراً، فلم يعرض لابن خازم، وقال لبيته: إياكم وموسى، فإنكم لا تزالون ولاية هذا الثغر ما أقام هذا النط بمكانه، فإن قتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من قيس. فمات المهلب ولم يوجه إليه أحداً، ثم تولى يزيد بن المهلب فلم يعرض له. وكان المهلب ضرب حرث بن قطة الخزاعي، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرهما وقتل أخاهما لأمهما، الحارث بن منقذ، وقتل صهرأ لهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت، فبلغهما ما صنع يزيد.

قال: فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به - وكان ثابت محبباً في العجم، بعيد الصوت، يعظمونه ويتقنون به، فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يغير - فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان، فقدموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله، وقد سقط إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة،

أصحابك. فخرج الملك وأهل المدينة فاتوا الترك يستنصرونهم، فقالوا: دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم، وقد قاتلناهم بكس فنحن لا نقاتل هؤلاء. فأقام ابن خازم بالترمذ، ودخل إليه أصحابه، وكانوا سبعمائة، فأقام، فلما قتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس، فقوي، فكان يخرج فيغير على من حوله. قال: فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليعلموا علمه، فلما قدموا قال موسى لأصحابه: لا بد من مكيكة هؤلاء - قال: وذلك في أشد الحر - فأمر بنار فأججت، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء، ولبسوا فوقها لبوداً، ومدوا أيديهم إلى النار كأنهم يسطلون. وأذن موسى للترك فدخلوا، ففزعوا عما رأوا، وقالوا: لم صنعتهم هذا؟ قالوا: نخذ البرد في هذا الوقت، ونخذ الحر في الشتاء، فرجعوا وقالوا: جن لا نقاتلهم. قال: وأراد صاحب الترك أن يغزو موسى، فوجه إليه رسلاً، وبعث بسم ونشاب في مسك، وإنما أراد بالسلم أن حربهم شديدة، والنشاب الحرب، والمسك السلم، فاختار الحرب أو السلم، فأحرق السم، وكسر النشاب، ونثر المسك، فقال القوم: لم يريدوا الصلح، وأخبر أن حربهم مثل النار، وإنه يكسرنه، فلم يغزهم.

قال: فولي بكير بن وشاح خراسان فلم يعرض له، ولم يوجه إليه أحداً، ثم قدم أمية فسار بنفسه يريده، فخالقه بكير، وخلع، فرجع إلى مرو، فلما صالح أمية بكيراً أقام عامه ذلك، فلما كان في قابل وجه إلى موسى رجلاً من خزاعة في جمع كثير، فعاد أهل الترمذ إلى الترك فاستنصروهم فأبوا، فقالوا لهم: قد غزاهم قوم منهم وحصروهم، فإن أعنناهم عليهم ظفرنا بهم. فسارت الترك مع أهل الترمذ في جمع كثير، فاطاف بموسى الترك والخزاعي، فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار، فقاتلهم شهرين أو ثلاثة، فقال موسى لعمر بن خالد بن حصين الكلابي - وكان فارساً: قد طال أمرنا وأمر هؤلاء، وقد أجمعت أن أبيت عسكر الخزاعي، فإنهم للبيات آمنون، فما ترى؟ قال: البيات نعماً هو، وليكن ذلك بالعجم، فإن العرب أشد حذراً، وأسرع فزعاً، وأجراً على الليل من العجم، فبيتهم فإني أرجو أن ينصرونا الله عليهم، ثم تنفرد لقتال الخزاعي فنحن في حصن وهم بالعراء، وليسوا بأولى بالصبر، ولا أعلم بالحرب منا. قال: فأجمع موسى على بيات الترك، فلما ذهب من الليل ثلثه خرج في أربعمائة، وقال لعمر بن خالد: اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريباً، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا، وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر، ثم أخذ من ناحية كفتان، فلما قرب من عسكرهم جعل أصحابه أرباعاً، ثم قال: أطيّفوا بعسكرهم، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا، وأقبل وقدم عمراً بين يديه ومشوا خلفه، فلما رآته أصحاب الأرصاء قالوا: من أنتم؟ قالوا: عابري سبيل.



والح عليهم حتى أزالوهم عن التل، ورمي يومئذ حريث بنشابة في جبهته، فتحاجزوا، فبيتهم موسى، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شعبة ملكهم، فوجأ رجلاً منهم بقبعة سيفه، فطعن فرسه. فاحتمله فالقاه في نهر بلخ فغرق. وعليه درعان، فقتل العجم قتلاً ذريعاً، ولما منهم من نجا بشر، ومات حريث بن قطبة بعد يومين، فدفن في قبته.

قال: وارتحل موسى، وحملوا الرؤوس إلى الرمز، فبنوا من تلك الرؤوس جوسقين وجعل الرؤوس يقابل بعضها بعضاً.

وبلغ الحجاج خبر الواقعة، فقال: الحمد لله الذي نصر المناقين على الكافرين، فقال أصحاب موسى: قد كفيينا أمر حريث، فأرحنا من ثابت، فأبى وقال: لا. وبلغ ثابتاً بعض ما يخوضون فيه، ففسد محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي، عم نصر بن عبد الحميد عامل أبي مسلم على الري - وكان في خدمة موسى بن عبد الله - وقال له: إياك أن تتكلم بالعربية، وإن سألك من أين أنت! فقل: من سبي الباميان، فكان يخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم، فقال له: تحفظ ما يقولون. وحذر ثابت فكان لا ينم حتى يرجع الغلام، وأمر قوماً من شاكريته يحرسونه ويبينون عنده في داره، ومعهم قوم من العرب، وألح القوم على موسى فاضجروه، فقال لهم ليلة: قد أكثرتم علي، وفيم تريدون هلاككم، وقد أبرتموني! فعلى أي وجه تفتكون به، وأنا لا أغدر به! فقال نوح بن عبد الله أخو موسى: خلنا وإياه، فإذا غدا إليك غدوة عدلنا به إلى بعض الدور، فضرنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك، قال: أما والله إنه هلاككم، وأنتم اعلم - والغلام يسمع - فأتى ثابتاً فأخبره، فخرج من ليلته في عشرين فارساً، فمضى، وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أتوا، وفقدوا الغلام، فعلموا أنه كان عيناً له عليهم، ولحق ثابت بمحشورا فنزل المدينة، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم، فقال موسى لأصحابه: قد فتحتكم باباً فسدوه، وسار إليه موسى، فخرج إليه ثابت في جمع كثير فقاتلهم، فأمر موسى بإحراق السور، وقاتلهم حتى الجأوا ثابتاً وأصحابه إلى المدينة، وقاتلهم عن المدينة.

فأقبل رقة بن الحر العنبري حتى اقتحم النار، فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمي أصحابه، فقتله، ثم رجع فحاض النار وهي تلتهب، وقد أخذت بجوانب نمط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الرض، وكان ثابت حين شخص إلى محشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون معيماً له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الرمز، وأعاناه أهل كس ونسف وبخارى، فصار ثابت

وفل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل، وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن، فقال له ثابت وحريث: سر قطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان، ونوليك، فإن طرخون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك، فهم أن يفعل، فقال له أصحابه: إن ثابتاً وأخاه خافضان ليزيد، وإن أخرجت يزيد عن خراسان وأمنا توليا الأمر وغلباك على خراسان، فأقم مكانك. فقبل رأيهم، وأقام بالرمز. وقال لثابت: إن أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك، ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر عما يلينا، وتكون هذه الناحية لنا ناكلها. فرضي ثابت بذلك، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر، وحملت إليهم الأموال، وقوي أمرهم وأمر موسى، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم، وتدبير الأمر لحريث وثابت، والأمير موسى ليس له غير الاسم، فقال لموسى أصحابه: لسا نرى من الأمر في يديك شيئاً أكثر من اسم الإمارة. فأما التدبير فلحريث وثابت، فاقتلها وتول الأمر. فأبى وقال: ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمري، فحسدوهما وألحوا على موسى في أمرهما حتى أفسدوا قلبه، وخوفوه غدرهما، وهم بتتابعهم على الوثوب بثابت وحريث. واضطرب أمرهم، فلإنهم لفى ذلك إذ خرجت عليهم الهياطة والتب والترك، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة جماء، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونس.

قال: فخرج ابن خازم إلى رضى المدينة في ثلاثمائة راجل وثلاثين مجففاً، والقي له كرسي فقعده عليه. قال: فأمر طرخون أن يثلم حائط الرض، فقال موسى: دعوهم، فهدموا ودخلوا أولئهم، فقال: دعوهم يكترون، وجعل يقلب طبرزياً بيده، فلما كثروا قال: الآن امنعهم، فركب وحمل عليهم فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلمة، ثم رجع فجلس على الكرسي وذمر الملك وأصحابه ليعودوا، فأبوا، فقال لفرسانه: هذا الشيطان، من سره أن ينظر إلى رستم فلينظر إلى صاحب الكرسي، فمن أبى فليقدم عليه. ثم تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان. قال: فأغاروا على سرح موسى، فأغتم ولم يطعم، وجعل يعبث ببلحيته، فسار ليلاً على نهر في حافتيه نبات لم يكن فيه ماء، وهو يفضي إلى خندقهم، في سبعمائه، فأصبحوا عند عسكرهم، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه، وأتبعه قوم منهم، فعطف عليه سوار، مولى لموسى. فطعن رجلاً منهم فصرعه، فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح. قال: وغاداهم العجم القتال، فوقف ملكهم على تل في عشرة آلاف في أكمل عدة، فقال موسى: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء. فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار،

في ثمانين ألفاً، فحصروا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جهدوا..

قال: وكان أصحاب ثابت يعبرون نهراً إلى موسى بالنهار - ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم، فخرج يوماً رقية - وكان صديقاً لثابت، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا - فنادى ثابتاً، فبرز له - وعلى رقية قباء خبز - فقال له: كيف حالك يا رقية؟ فقال: ما تسأل عن رجل عليه جبة خبز في حمارة القيظ! وشكا إليه حالهم، فقال: أنتم صنعتُم هذا بأنفسكم، فقال: أما والله ما دخلت في أمرهم، ولقد كرهت ما أرادوا، فقال ثابت: أين تكون حتى يأتيك ما قدر لك؟ قال: أنا عند المحل الطفاوي - رجل من قيس من يعصر - وكان المحل شيخاً صاحب شراب - فنزل رقية عنده. قال: فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال: إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ، فإذا بلغك أنهم قد قدموا فأرسل إلي تائبك حاجتك. فأتى علي باب المحل، فدخل فإذا رقية والمحل جالسان بينهما جنة فيها شراب، وخوان عليه دجاج وأرغفة، ورقبة شعث الرأس، متوشح بملحفة حمراء، فدفع إليه الكيس، وأبلغه الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده، اخرج، ولم يكلمه. قال: وكان رقية جسيماً كبيراً، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، مفليج، بين كل سنين له موضع سن، كان وجهه ترس.

قال: فلما أضاف أصحاب موسى واشتد عليهم الحصار قال يزيد بن هزبل: إنما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت جوعاً، والله لأتكن بثابت أو لأموتن. فخرج إلى ثابت فاستأمنه، فقال له ظهير: أنا أعرف بهذا منك، إن هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزءاً لك، ولقد جاءك بغدرة، فاحذره وخليني وإياه، فقال: ما كنت لأقدم على رجل أئاني، لا أدري أكذلك هو أم لا. قال: فدعني أرتهن منه رهناً، فأرسل ثابت إلى يزيد فقال: أما أنا فلم أكن أظن رجلاً يغدر بعدما يسأل الأمان، وابن عمك أعلم بك مني، فانظر ما يعاملك عليه، فقال يزيد لظهير: أبيت يا أبا سعيد إلا حسداً! قال: أما يكيفك ما ترى من الذل! تشردت عن العراق وعن أهلي، وصرت بخراسان فيما ترى، أفما تعطفك الرحم! فقال له ظهير: أما والله لو تركت ورأيي فيك لما كان هذا، ولكن أرهنا ابنك قدامة والضحاك. فدفعهما إليهم، فكانا في يدي ظهير.

قال: وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت، لا يقدر منه على ما يريد، حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي، أتى أباه نعيمه من مرو، فخرج متفضلاً إلى زياد ليعزيه، ومعه ظهير ورهط من أصحابه، وفيهم يزيد بن هزبل، وقد غابت الشمس، فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزبل ورجلان معه، وقد تقدم

ظهير وأصحابه، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف برأسه، فوصل إلى الدماغ. قال: ورى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان، فرمى بهم، فنجأ يزيد سباحة وقتل صاحبه، وحمل ثابت إلى منزله، فلما أصبح طرخون أرسل إلى ظهير: اتني بابني يزيد، فأتاه بهما، فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله، ورمى به وبرأسه في النهر، وقدم قدامة ليقنتله، فالتفت فوقع السيف في صدره، ولم يبق، فآلقاه في النهر حياً فغرق، فقال طرخون: أبوهما قتلهما وغدرة. فقال يزيد بن هزبل: لأقتلن يا بني كل خزاعي بالمدينة، فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن وراق - وكان ممن أتى موسى من فل ابن الأشعث: لو رمت ذلك من خزاعة لصعب عليك. وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات. وكان يزيد بن هزبل سخيّاً شجاعاً شاعراً، ولي أيام ابن زياد جزيرة ابن كاوان، فقال:

قد كنت أدعو الله في السر خالصاً ليمكنني من جزيرة ورجال  
فاترك فيها ذكر طلحة خامللاً ويمحمد فيها نائلي وفعالي

قال: فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت، فقاما قياماً ضعيفاً، وانتشر أمرهم، فأجمع موسى على بياتهم، فجاء رجل فأخبر طرخون، فضحك وقال: موسى يعجز أن يدخل متوضاً، فكيف يبيتنا! لقد طار قلبك، لا يحرسن الليلة أحد العسكر. فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عابهم من النهار، وصيرهم أربعاً. قال: فصير على ربيع رقية بن الحر وعلى ربيع أخاه نوح بن عبد الله بن خازم، وعلى ربيع يزيد بن هزبل، وصار هو في ربيع، وقال لهم: إذا دخلتم عسكرهم فتفروا، ولا يبرن أحد منكم بشيء إلا ضربه، فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يبرون بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جوالق إلا ضربوه. وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه، ووقف في ليلة مظلمة، وقال لعلي بن المهاجر الخزاعي: انطلق إلى طرخون فأعلمه موقعي، وقل له: ما ترى أعمل به، فأتى طرخون، فإذا هو في فاقة قاعد على كرسي وشاكرته قد أوقدوا النيران بين يديه، فأبلغه رسالة نيزك، فقال: اجلس، وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت، إذا أقبل محمية السلمى وهو يقول: حم لا ينصرون، فتفرق في الشاكزية، ودخل محمية الفاقة، وقام إليه طرخون فبدره فضربه، فلم يغن شيئاً، قال: وطعنه طرخون بذياب السيف في صدره فصرعه، ورجع إلى الكرسي فجلس عليه، وخرج محمية يعدو.

قال: ورجعت الشاكزية، فقال لهم طرخون: فررتُم من رجل! أرايتُم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد! فما فرغ من كلامه حتى دخل جواربه الفاقة، وخرج الشاكزية

فمكث شهرين في ضيق، وقد خندق عثمان وحذر البيات، فلم يقدر موسى منه على غرة، فقال لأصحابه: حتى متى! اخرجوا بنا فاجعلوا يومكم، إما ظفرتي وإما قتلتم. وقال لهم: اقصدوا للصغد والترك، فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة، وقال له: إن قتلت فلا تدفعن المدينة إلى عثمان، وادفعها إلى مدرك بن المهلب. وخرج فصير ثلث أصحابه بإزاء عثمان وقال: لا تهابجوه إلا أن يقاتلكم، وقصد لطرخون وأصحابه، فصدقوهم، فانهزم طرخون والترك، وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه، ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عثمان وهو على بردون لخالد بن أبي برزة الأسلمي، فقال: انزل أيها الأمير، فقال خالد: لا تنزل فإن معاوية مشؤوم. وكمرت الصغد والترك راجعة، فجالوا بين موسى وبين الحصن، فقاتلهم، فغفر به فسقط، فقال لمولى له: احملني، فقال: الموت كريه، ولكن ارتد، فإن نجونا نجونا جميعاً، وإن هلكنا هلكنا جميعاً. قال: فارتد، فنظر إليه عثمان حين وثب فقال: وثبة موسى ورب الكعبة! وعليه مغفر له موشى بخمر أحمر في أعلاه ياقوتة أسما نجونية، فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى. فقصد لموسى، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه، فباتدته فانطوا عليه فقتلوه، ونادى منادي عثمان: لا تقتلوا أحداً، من لقيتموه فخذوه أسيراً.

قال: فتفرق أصحاب موسى، وأسر منهم قوم، فعرضوا على عثمان، فكان إذا أتى بأسير من العرب قال: دماؤنا لكم حلال، ودماؤكم علينا حرام! ويأمر بقتله، وإذا أتى بأسير من الموالي شتمه، وقال: هذه العرب تقاتلني، فهلا غضبت لي! فيأمر به فيشدخ. وكان فظاً غليظاً فلم يسلم عليه يومئذ أسير إلا عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن ورقاء، فإنه كان مولاه، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلصوا عنه، ورقبة بن الحر لما أتى به نظر إليه وقال: ما كان من هذا إلينا كبير ذنب، وكان صديقاً ثابت، وكان مع قوم فوفى لهم، والعجب كيف أسرعوه! قالوا: طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر، فأطلقه وحمله، وقال لخالد بن أبي برزة: ليكن عندك. قال: وكان الذي أجهز على موسى بن عبد الله واصل بن طيسلة العنبري.

ونظر يومئذ عثمان إلى زرة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان وسنان الأعرابي ناحية فقال: لكم الأمان، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه.

قال: وبقيت المدينة في يدي النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم، فقال: لا أدفعها إلى عثمان، ولكني أدفعها إلى مدرك، فدفعها إليه وآمنه، فدفعها مدرك إلى عثمان. وكتب الفضل

هراًباً، فقال للجواري: اجلسن، وقال لعلي بن المهاجر: قم، قال: فخرجاً فإذا نوح بن عبد الله بن خازم في السراق، فتجاولا ساعة، واختلفا ضربتين، فلم يصنعا شيئاً، وولى نوح وأتبعه طرخون، فطعن فرس نوح في خاصرته فشب، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان، ورجع طرخون وسيفه يقطر دماً، حتى دخل السراق وعلي بن المهاجر معه، ثم دخلا الفازة.

وقال طرخون للجواري: ارجعن، فرجعن إلى السراق، وأرسل طرخون إلى موسى: كف أصحابك؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا، فرجع موسى إلى عسكره، فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعاً، فأتى كل قوم بلادهم. قال: وكان أهل خراسان يقولون: ما رأينا مثل موسى بن عبد الله بن خازم، ولا سمعنا به، قاتل مع أبيه ستين، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجه منها، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار، وأقام في حصنه الخامسة عشرة سنة، وصار ما وراء النهر لموسى، لا يعازه فيه أحد.

قال: وكان بقوم رجل يقال له عبد الله، يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤوته ونفقتة، فلزمه دين، فأتى موسى بن عبد الله، فأعطاه أربعة آلاف، فأتى بها أصحابه، فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى:

فما أنت موسى إذ ينساجي إلهه ولا واهب الفتيان موسى بن خازم  
قال: فلما عزل يزيد وولي الفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد حبسه - فقال: إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله، فقال: والله لقد وترني، وإني لثائر بابن عمي ثابت وبالحزاعي، وما يد أيبك وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة لقد حبستموني وشردتم بني عمي، واصطفيتهم أموالهم. فقال له الفضل: دع هذا عنك، وسر فادرك بشارك، فوجهه في ثلاثة آلاف، وقال له: مر متادياً فليناد: من لحق بنا فله ديوان، فننادى بذلك في السوق، فسارع إليه الناس. وكتب الفضل إلى مدرك وهو يبلغ أن يسير معه، فخرج، فلما كان يبلغ خرج ليلة يطوف بالعسكر، فسمع رجلاً يقول: قتلته والله، فرجع إلى أصحابه، فقال: قتل موسى ورب الكعبة!

قال: فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متساقلاً، فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمز يقال لها اليوم جزيرة عثمان - لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفاً - وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدما عليه، فحصبوا موسى، فضيقوا عليه وعلى أصحابه، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان، فامتار منها، ثم رجع

## خير موت عبد العزيز بن مروان

وفي هذه السنة توفي عبد العزيز بن مروان بمصر في جمادى الأولى، فضم عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك، وولاه مصر.

وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه، أن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين لهبيعة الوليد، وأوفد وفدًا في ذلك عليهم عمران بن عصام العنزي، فقام عمران خطيبًا، فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك، وسالوه ذلك، فقال عمران بن عصام:

أمير المؤمنين إليك نهدي  
أجني في بيتك يكن جوابي  
فلو أن الوليد أطاع فيه  
شيئك حول قته فريش  
ومثلك في التقى لم يصب يوماً  
فإن تؤثر أخاك بها فإننا  
ولكننا نخاذل من بينه  
ونخشي إن جعلت الملك فهم  
فلايك ما جلبت غداً لقرم  
فأقسم لو تخطأني عصام  
ولو أتي جوت أخاً بفضل  
لعقب في بني على بينه  
فمن يك في أقاربه صدوع  
فقال عبد الملك: يا عمران، إنه عبد العزيز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين.

قال علي: أراد عبد الملكبيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث، لأن الحجاج بعث في ذلك عمران بن عصام، فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز، ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويباع لابنه الوليد كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين. فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه. فكتب إليه عبد الملك: احمل خراج مصر. فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إني وإياك قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاءه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أين يأتية الموت أولاً! فإن رأيت ألا تنثني علي بقية عمري فافعل.

فرق له عبد الملك وقال: لعمري لا أغث عليه بقية عمره، وقال لابنيه: إن يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر أحد من العباد

بالفتح إلى الحجاج، فقال الحجاج: العجب من ابن بهلة! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه ملأه ويكتب إلي: إنه قتل موسى بن عبد الله بن خازم، قال: وقتل موسى سنة الخامسة وثمانين، فذكر البحرني أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال:

وقد عركت بالترمز الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلال  
قال: فضرب رجل من الجند ساق موسى، فلما وصى قتيبة أخبر عنه فقال: ما دعاك إلى ما فعلت بفتى العرب بعد موته! قال: كان قتل أخي، فأمر به قتيبة فقتل بين يديه.

## عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز

وفي هذه السنة أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه.

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك، فنهاه عنه قبيصة بن ذؤيب، وقال: لا تفعل هذا، فإنك باعث على نفسك صوت نعار، ولعل الموت يأتيه فتستريح منه! فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه أن يخلعه. ودخل عليه روح بن زنباع الجذامي - وكان أجل الناس عند عبد الملك - فقال: يا أمير المؤمنين، لو خلعت ما انتطح فيه عزران، فقال: ترى ذلك يا أبا زرعة؟ قال: إي والله، وأنا أول من يجيبك إلى ذلك، فقال: نصيح إن شاء الله. قال: فيينا هو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح بن زنباع إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقاً، وكان عبد الملك قد تقدم إلى حجابيه فقال: لا يحجب عني قبيصة أي ساعة جاء من ليل أو نهار، إذا كنت خالياً أو عندي رجل واحد، وإن كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه فدخل، وكان الخاتم إليه، وكانت السكة إليه، تأتية الأخبار قبل عبد الملك، ويقرأ الكتب قبله، ويأتي بالكتاب إلى عبد الملك منشوراً فيقرؤه، إعظاماً لقبيصة - فدخل عليه فسلم عليه وقال: أجرك يا أمير المؤمنين في أخيك عبد العزيز! قال: وهل توفي؟ قال: نعم، فاسترجع عبد الملك، ثم أقبل على روح فقال: كفنا الله أبا زرعة ما كنا نريد ما أجمعنا عليه، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق، فقال قبيصة: ما هو؟ فأخبره بما كان، فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إن الرأي كله في الأناة، والعجلة فيها ما فيها، فقال عبد الملك: ربما كان في العجلة خير كثير، رأيت أمر عمرو بن سعيد، ألم تكن العجلة فيه خيراً من الثاني!

يصلبوني فيستري. وبلغ عبد الملك الخبر، فقال: قبح الله هشاماً! إنما كان ينبغي أن يدعو إلى البيعة، فإن أبى يضرب عنقه، أو يكف عنه.

### بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان

وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده سليمان، وجعلهما وليي عهد المسلمين، وكتب بيعته لهما إلى البلدان، فبايع الناس، وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب، فضربه هشام بن إسماعيل - وهو عامل عبد الملك على المدينة - وطاف به وحسه، فكتب عبد الملك إلى هشام يلومه على ما فعل من ذلك، وكان ضربه ستين سوطاً، وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية.

وأما الحارث فإنه قال: حدثني ابن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا قالوا: استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن المسيب: لا، حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطاً، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه، وقال: ما لنا ولسعيد، دعه!

وحدثني الحارث، عن ابن سعد، أن محمد بن عمر أخبره، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة أربع وثمانين، فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان، وعامله يومئذ هشام بن إسماعيل المخزومي، فدعا الناس إلى البيعة، فبايع الناس، ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما، فأبى وقال: لا حتى أنظر، فضربه هشام بن إسماعيل ستين سوطاً، وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية، فلما كروا به قال: أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن، قال: والله لولا أنني، ظننت أنه الصلب لما لبست هذا الثياب أبداً. فرده إلى السجن، وحسه وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه. وما كان من أمره، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول: سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه، وإننا لتعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

على رد ذلك. وقال لابنيه: الوليد وسليمان: هل قارفتما حراماً قط؟ قالوا: لا والله، قال: الله أكبر، نلتماها ورب الكعبة!

قال: فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك إلى ما أراد، قال عبد الملك: اللهم قد قطعني فاقطعه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رد على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه، فاستجيب له.

قال: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصاري، وكتب إليه: إن أردت رجلاً مأموناً فاضلاً عاقلاً وديعاً مسلماً كتوماً تتخذ نفسك، وتضع عنده شرك، وما لا تحب أن يظهر، فاتخذ محمد بن يزيد. فكتب إليه عبد الملك: احمله إلي. فحمله، فاتخذ عبد الملك كاتباً. قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي، ولا يستر شيئاً إلا أخبرني به وكتبه الناس، ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلمني، فلإني لجالس يوماً نصف النهار إذا ببريد قد قدم من مصر، فقال: الإذن على أمير المؤمنين. قلت: ليست هذه ساعة إذن، فأعلمني ما قد قدمت له، قال: لا. قلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إلي. قال: لا، قال: فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين فخرج فقال: ما هذا؟ قلت: رسول قدم من مصر، قال: فخذ الكتاب قلت: زعم أنه ليس معه كتاب، قال: فسله عما قدم له، قلت: قد سألته فلم يخبرني، قال: أدخله، فأدخلته، فقال: أجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز! فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال: يرحم الله عبد العزيز! مضى والله عبد العزيز لشأنه، وتركتنا وما نحن فيه، ثم بكى النساء وأهل الدار، ثم دعاني من غد، فقال: إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله، ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي، فمن ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك، قال: صدقت وفكك الله! فمن ترى أن يكون بعده؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أين تعدلها عن سليمان فتى العرب! قال: وفقت، أما إننا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لابنيه، اكتب عهداً للوليد وسليمان من بعده، فكتب بيعة الوليد ثم سليمان من بعده. فغضب علي الوليد فلم يولي شيئاً حين أشرت بسليمان من بعده.

قال علي، عن ابن جعدة: كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه أبى، وقال: لا أبايع وعبد الملك حي، فضربه هشام ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح، وسرحه إلى ذباب - ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه، فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت:

وكذلك قال الواقدي.

وكان على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف..

## ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأما كنيته فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيات:

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نساها  
لم تلتفت للدائنها ومضت على غلوائها

## ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج - وعائشة، أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس بن بغيض.

وزيد، ومروان، ومعاوية - درج - وأم كلثوم، أمهم عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

وهشام، وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقال المدائني: اسمها عائشة بنت هشام.

وأبو بكر، واسمه بكار، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله والحكم - درج - أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان.

وفاطمة بنت عبد الملك، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة.

وعبد الله ومسلمة والمندر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج، لأمهات أولاد.

قال المدائني: وكان له من النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سلمة بن حليس الطائي، وابنة لعلبي بن أبي طالب عليه السلام، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر.

وذكر المدائني عن عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نباة الفهمي دخل على عبد الملك فقال له: أي الزمان أدركت أفضل؟ وأي الملوك أكمل؟ قال: أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً، وأما الزمان فيرفع أقواماً ويضع أقواماً، وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم، ويهرم صغيرهم، وكل ما فيه منقطع غير الأمل، قال: فأخبرني عن فهم، قال: هم كما قال من قال:

درج الليل والنهار على فهم - سم بن عمرو فأصبحوا كالرسم  
وخلت دارهم فأضحت ياباً - بعد عز ونسوة ونعيم  
كذلك الزمان يذهب بالناس - س وتبقى ديارهم كالرسم

## السنة السادسة والثمانون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

## خبر وفاة عبد الملك بن مروان

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها.

حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر.

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين.

قال ابن عمر: وحدثني أبو معشر نجيح، قال: مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت ولايته منذ يوم بويج إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً، كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير، ويسلم عليه بالخلافة بالشام، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب، وبقي بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال.

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه - فيما حدثنا أبو زيد عنه - قال: مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً.

## ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي

اختلف أهل السير في ذلك، فقل أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو معشر نجيح. قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة.

قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأول أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين.

وقال المدائني علي بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال: فمن يقول منكم:

اللَّهُ أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها  
عنك ويسأى الله إلا سرقها إليك حتى قلدوك طرقها  
فبايعه، ثم تتابع الناس على البيعة.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دفن أبيه،  
ودفن خارج باب الحايبة، لم يدخل منزله حتى صعد على منبر  
دمشق، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال.

أيها الناس، إنه لا مقدم لما آخر الله، ولا مؤخر لما قدم  
الله، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه  
وحلة عرشه الموت. وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة  
الذي يحق عليه الله من الشدة على المريب، واللين لأهل الحق  
والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه، من حج  
هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشن هذه الغارة على أعداء الله،  
فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً. أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزوم  
الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد. أيها الناس، من أبدى لنا ذات  
نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بداته.

ثم نزل، فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فحازره، وكان  
جباراً عنيداً.

### ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها  
من قبل الحجاج، فذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف، أخبره  
عن طفيل بن مرداس العمي والحسن بن رشيد، عن سليمان بن  
كثير العمي، قال: أخبرني عمي قال: رايت قتيبة بن مسلم حين  
قدم خراسان في سنة ست وثمانين، فقدم المفضل يعرض الجند،  
وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان، فخطب الناس قتيبة، وحثهم  
على الجهاد، وقال.

إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه، ويذب بكم عن  
الحرمان، ويزيد بكم المال استفاضة، والعدو وقماً، ووعد نبيه  
ﷺ النصر بمحدث صادق، وكتاب ناطق، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي  
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ  
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب،  
وأعظم الذخر عنده فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا  
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿أَحْسَنُ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾. ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي مرزوق، فقال:  
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسهم على  
أقصى أثر وأقصى ألم، وإياي والوهني.

يحبون الغني من الرجال  
بخلاً بالقليل من النوال  
وماذا يرتجئون من البخال  
ولا يرجى لحادثة الليالي  
قال: أنا.

قال علي: قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي  
معيط لعبد الملك بن مروان:

نبئت أن ابن القلمس عابني ومن ذا من الناس الصحيح السلم!  
فأبصر سبل الرشيد سيد قومه وقد يبصر الرشيد الرئيس المعم  
فمن أنتم؟ ها خبرونا من أنتم؟ وقد جعلت أشياء تبدو وتكتم  
فقال عبد الملك: ما كنت أرى أن مثلنا يقال له: من أنتم!  
أما والله لولا ما تعلم لقلت قولاً أحقكم بأصلكم الخبيث،  
ولضربتكم حتى تموت.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي لعبد الملك:

يا ابن أبي العاص ويا خير فتى أنت سداد الدين إن دينٌ وهى  
أنت الذي لا يجعل الأمر سدى جيت قريش عنكم جوب الرحي  
إن أبا العاصي وفي ذاك اعتصى أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى  
إن يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى الطاعين في النحور والكللى  
شزراً ووصلاً للسيوف بالخطا إلى القتال فحوروا ما قد حوى  
وقال أعشى بني شيبان:

عرفت قريش كلها لبني أبي العاص الإمارة  
لأبرهها وأحقها عند المشورة بالإشارة  
المانعين لما ولوا والنافعين ذوي الضرارة  
وهم أحقهم بها عند الخلاوة والمرارة

وقال عبد الملك: ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر  
مني، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة، كثير الصيام، ولكن لبخله لا  
يصلح أن يكون سائساً.

### خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر  
أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر،  
 واجتمع إليه الناس، فخطب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون!  
والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على  
ما أنعم به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا.

فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي، فإنه  
قام وهو يقول:



## ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع، وسار واستخلف بمرؤ على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فساروا معه، فلما قطع النهر تلقاه تيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب، فدعاه إلى بلاده، فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال، ودعاه إلى بلاده، فمضى مع بيش إلى الصغانيان، فسلم إليه بلاده، وكان ملك آخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيق عليه، فسار قتيبة إلى آخرون وشومان - وهما من طخارستان، فجاءه غشتاسب فصالحه على فدية أداها إليه، فقبلها قتيبة ورضي، ثم انصرف إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم، وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو، وفتح صالح بعد رجوعه قتيبة بأسارا، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ، فوهب له قرية تدعى تنجانه، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ.

قال: وأما الباهليون فيقولون: قدم قتيبة خراسان سنة الخامسة وثمانين فعرض الجند، فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان ثلثمائة وخمسين درعاً، فغزا آخرون وشومان، ثم قفل فركب السفن فأنحدر إلى آمل، وخلف الجند، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو، وبلغ الحجاج، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند، وكتب إليه: إذا غزوت فكن في مقدم الناس، وإذا قتلت فكن في أخرياتهم وساقطهم.

وقد قيل: إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلخ، لأن بعضها كان متقضاً عليه، وقد ناصب المسلمين، فحارب أهلها، فكان ممن سبى امرأة برمك، أبي خالد بن برمك - وكان برمك على النوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير، أخي قتيبة بن مسلم، فوقع عليها، وكان به شيء من الجذام. ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة، فأمر قتيبة برد السبي، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم: يا تازي، إني قد علقت منك.

وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها، وردت إلى برمك، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاؤوا أيام المهدي حين قدم الري إلى خالد، فادعوه، فقال لهم مسلم بن قتيبة: إنه لا بد لكم إن استلحقتموه ففعل من أن تزوجه، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم وكان برمك طيبياً، فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به.

## أخبار متفرقة

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم. وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته. وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك الواقدي.

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف. وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل. وعلى الحرب بها من قبل الحجاج زياد بن جريس بن عبد الله. وعلى البصرة أيوب بن الحكم. وعلى خراسان قتيبة بن مسلم.

يوقف للناس، فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين. فمر به علي وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم إلى خاصته ألا يعرض له أحد منهم بكلمة، فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

## السنة السابعة والثمانون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة، وورد عزله عنها - فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين. وكانت إمرته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه.

### خبر صلح قتيبة ونيزك

وفي هذه السنة قدم نيزك على قتيبة، وصالح قتيبة أهل بادغيس على ألا يدخلها قتيبة. ذكر الخبر عن ذلك.

ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان، وجيلة بن فروخ عن محمد بن المثنى، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين، وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم، ويهدده في كتابه، فخافه نيزك، فاطلق الأسرى، وبعث بهم إلى قتيبة، فوجه إليه قتيبة سليماً الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكر يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه، وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليفزونه، ثم ليطلبينه حيث كان، لا يقلع منه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك. فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستصحه - فقال له: يا سليم، ما أظن عند صاحبك خيراً، كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي! قال له سليم: يا أبا الهياج، إن هذا رجل شديد في سلطانه، سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعه منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضراً! فقدم نيزك مع سليم على قتيبة، فصالحه أهل بادغيس في سنة سبع وثمانين على ألا يدخل بادغيس.

### خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ومعه يزيد بن جبير، فلقي الروم في عدد كثير بسنوسنة من ناحية المصيصة.

قال الواقدي: فيها لاقى مسلمة ميموناً الجرجاني ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة، فقتل منهم بشراً كثيراً، وفتح الله على يديه حصوناً.

وقيل: إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك، ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل، وسبي ذراريهم ونساءهم.

### خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة

وفي هذه السنة ولي الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة. قال الواقدي: قدمها والياً في شهر ربيع الأول، وهو ابن الخامسة وعشرين سنة، وولد سنة الثانية وستين.

قال: وقدم على ثلاثين بعيراً، فنزل دار مروان.

قال: فحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برايكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني.

فخرجوا يمجذونه خيراً، واقتروا.

قال: وكتب الوليد إلى عمر يأمره أن يقف هشام بن إسماعيل للناس، وكان فيه سيئ الرأي.

قال الواقدي: فحدثني داود بن جبير، قال: أخبرني أم ولد سعيد بن المسيب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال: إن هذا الرجل يوقف للناس - أو قد وقف - فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه بكلمة، فإننا سنترك ذلك لله وللرحم، فإن كان ما علمت لسيئ النظر لنفسه، فاما كلامه فلا أكلمه أبداً.

قال: وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر، عن أبيه، قال: كان هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا، ولقي منه على بن الحسين أذى شديداً، فلما عزل أمر به الوليد أن

## عبر غزو قتيبة بيكند

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند.

ذكر الخبر عن غزوته هذه.

وكان منهم على خمسة فراسخ نقضوا وكفروا، فقتلوا العامل وأصحابه، وجدعوا أنفهم وأذانهم، وبلغ قتيبة فرجع إليهم، وقد تحصنوا، فقاتلهم شهراً، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم، فسقط الحائط وهم يعلقونه، فقتل أربعين من الفعلة، فطلبوا الصلح، فأبى وقاتلهم، فظفر بهم عنوة، فقتل من كان فيها من المقاتلة، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين، فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي، فقال له سليم الناصح: ما تبذل؟ قال: خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف، فقال قتيبة: ما ترون؟ قالوا: نرى أن فداءه زيادة في غنائم المسلمين، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا! قال: لا والله لا نروع بك مسلمة أبداً، وأمر به فقتل.

قال علي: قال أبو الذبيل، عن المهلب بن إياس، عن أبيه والحسن بن رشيد، عن طفيل بن مرداس، أن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن ولان العدوي أحد بني ملكان - وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين - وإياس بن بيهس الباهلي، فأذاها الآنية والأصنام فرفعها إلى قتيبة، ورفعا إليه خبث ما أذاها، فوهبه لهما، فأعطيا به أربعين ألفاً، فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذياه فأذاها، فأخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال - أو خمسون ألف مثقال - وأصابوا في بيكند شيئاً كثيراً، وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان. ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون، فاشتروا السلاح والخيول، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين، وقال الكمي: و

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه وما بخاراء مما أخطأ العدد وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند، فأذن له، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر، فقسمه في الناس، فاستعدوا، فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال: إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء، فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح، فأتى أمل، ثم عبر من زم إلى بخارى. فأتى نومشكت - وهي من بخارى - فصالحوه.

قال علي: حدثنا أبو الذبيل، عن أشياخ من بني عدي، أن مسلماً الباهلي قال لولان: إن عندي مالا أحب أن أستودعك، قال: أتريد أن يكون مكتوماً أو لا تكره أن يعلمه الناس؟ قال: أحب أن تكتمه، قال: ابعت به مع رجل تثق به إلى موضع كذا

ذكر علي بن محمد أن أبا الذبيل أخبره عن المهلب بن إياس، عن أبيه، عن حسين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى، عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم أن قتيبة لما صالح نيزك أقام إلى وقت الغزو، ثم غزا في تلك السنة - سنة سبع وثمانين - بيكند، فسار من مرو وأتى مرو الروذ، ثم أتى أمل! ثم مضى إلى زم فقطع النهر، وسار إلى بيكند - وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى - فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد، واستمدوا من حولهم، فأتوهم في جمع كثير، وأخذوا بالطريق، فلم ينفذ لقتيبة رسول، ولم يصل إليه رسول، ولم يمر له خبر شهرين، وأبطأ خبره على الحجاج، فأشفق الحجاج على الجند، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتلون في كل يوم.

قال: وكان لقتيبة عين يقال له تنذر من العجم، فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفتأ عنهم قتيبة، فأتاه، فقال: أخلني، فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي، فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك، وقد عزل الحجاج، فلو انصرفت بالناس إلى مرو! فدعا قتيبة سياه مولاه، فقال: اضرب عنق تنذر، فقتله، ثم قال لضرار: لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك، وإني أعطي الله عهداً إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقنك به، فأملك لسانك، فإن انتشار هذا الحديث يفت في أعضاء الناس. ثم أذن للناس.

قال: فدخلوا، فراعهم قتل تنذر، فوجروا وأطرقوا، فقال قتيبة: ما يروعنكم من قتل عبد أمانه الله! قالوا: إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين، قال: بل كان غاشياً فأحانه الله بذنبه، فقد مضى لسبيله، فاغدوا على قتال عدوكم، والقوهم بغير ما كنتم تلقونهم به. فغدا الناس متاهين، وأخذوا مصافهم، ومشى قتيبة فحضر أهل الرايات، فكانت بين الناس مشاورة، ثم تراحضوا والتقوا، وأخذت السيوف مأخذها، وأنزل الله على المسلمين الصبر، فقاتلوهم حتى زالت الشمس، ثم منح الله المسلمين أكتافهم، فانهزموا يريدون المدينة، واتبهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول ففرقوا، وركبهم المسلمون قتلاً وأسرأ كيف شاؤوا، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة، وهم قليل، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها، فسألوه الصلح فصالحهم، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة.

وارتحل عنهم يريد الرجوع، فلما سار مرحلة أو اثنتين،

وكذا، ومره إذا رأى رجلاً في ذلك الموضع أن يضع ما معه وينصرف، قال: نعم، فجعل مسلم المال في خرج، ثم حمله على بغل وقال لمولى له: انطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا، فإذا رأيت رجلاً جاساً فخل عن البغل وانصرف. فانطلق الرجل بالبغل، وقد كان والآن أتى الموضع لبعاده، فأبطأ عليه رسول مسلم، ومضى الوقت الذي وعده، فظن أنه قد بدا له، فانصرف وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع، وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً، فخلى عن البغل ورجع، فقام التغلبي إلى البغل، فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحداً قاد البغل إلى منزله، فأخذ البغل وأخذ المال، فظن مسلم أن المال قد صار إلى والآن، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه، فلقبه فقال: مالي! فقال: ما قبضت شيئاً، ولا لك عندي مال. قال: فكان مسلم يشكوه ويتنقصه. قال: فأتى يوماً مجلس بني ضبيعة فشكاه والتغلبي جالس، فقام إليه فخلاه به وسأله عن المال، فأخبره، فانطلق به إلى منزله، وأخرج المخرج فقال: أتعرفه؟ قال: نعم، قال: والخاتم؟ قال: نعم، قال: اقض مالك، وأخبره الخبر، فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو إليهم والآن فيعذره ويخبرهم الخبر، وفي والآن يقول الشاعر:

ولست كوالآن الذي ساد بالتقى ولست كعمران ولا كالمهلب  
وعمران: ابن الفصيل البرجمي.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذا السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر - عمر بن عبد العزيز، وهو أمير على المدينة.

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبد العزيز.

وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف، وخليفته على البصرة في هذه السنة - فيما قيل - الجراح بن عبد الله الحكمي. وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم.

وهم عنده، فأجاب القرم إلى الثمن، فأعطاهم إياه، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ﷺ وبناء المسجد، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد.

قال محمد بن عمر: وحدثني موسى بن يعقوب، عن عمه، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس: القاسم، وسالم، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، يرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه، فأسسوا أساسه.

قال محمد بن عمر: وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري، عن صالح بن كيسان قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار الخامسة عشرة بهدم المسجد، تجرد عمر بن عبد العزيز. قال صالح: فاستعملني على هدمه وبنائه، فهدمناه بعمال المدينة، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي ﷺ حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد.

قال محمد: وحدثني موسى بن أبي بكر، عن صالح بن كيسان، قال: ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله ﷺ في صفر من سنة ثمان وثمانين، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ، وأن يعينه فيه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب، وبعث إليه بمائة عامل، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً، وأمر أن يتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت، فبعث بها إلى الوليد، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز. وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد.

وفيها غزا أيضاً مسلمة الروم، ففتح على يديه حصون ثلاثة: حصن قسطنطينية، وغزالة، وحصن الأخرم. وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال.

### ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميشنه

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكث وراميشنه.

ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه.

ذكر علي بن محمد، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان، عن مولى لهم أدرك ذلك، أن قتيبة غزا نومشكث في سنة ثمان وثمانين، واستخلف على مرو بشار بن مسلم، فتلقاه أهلها، فصالحهم، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها، فانصرف عنهم وزحف إليه الترك، معهم السغد وأهل فرغانة، فاعترضوا المسلمين في طريقهم، فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره، وغشيه الترك

## السنة الثامنة والثمانون

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

#### خبر فتح حصن طوانة من بلاد الروم

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصناً من حصون الروم يدعى طوانة في جمادى الآخرة، وشتوا بها، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك، والعباس بن الوليد بن عبد الملك.

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال: كان فتح طوانة على يدي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبداً، وبقي العباس معه نفر، منهم ابن محيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيريز: نادهم يأتوك، فنادى العباس: يا أهل القرآن! فأقبلوا جميعاً، فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة.

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة، فذكر محمد بن عمر، عن أبيه، أن مخزومة بن سليم الوالي قال: ضرب عليهم بعث ألفين. وانهم تجامعوا فخرج ألف وخمسمائة، وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس، وهما على الجيش. وإنهم شتوا بطوانة وافتحوها.

وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

#### ذكر عمارة مسجد النبي ﷺ

وفيها أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله ﷺ وهدم بيوت أزواج رسول الله ﷺ وإدخالها في المسجد، فذكر محمد بن عمر، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال: رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين، قدم معتجراً، فقال الناس: ما قدم به الرسول! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك، فإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقتولوا له قيمة عدل، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد

عمر بن الوليد بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عنه.  
وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمالها في سنة سبع وثمانين.

فقاتلوه، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس، فأنتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم، وقد كاد الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا، وقاتلوه إلى الظهر، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة، فهزم الله الترك، وفض جمعهم، ورجع قتيبة يريد مرو، وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ، ثم أتى مرو. وقال الباهليون: لقي الترك المسلمين عليهم كورمغانون التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف، فأظهر الله المسلمين عليهم.

### ذكر ما عمل الوليد من المعروف

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان.

قال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي سبرة، قال: حدثني صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك. قال: وجس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقاً، وكانت تجرى عليهم.

وقال ابن أبي سبرة، عن صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم، فعملها عمر وأجرى ماءها، فلما حج الوليد وقف عليها، فنظر إلى بيت الماء والفوارة، فأعجبه، وأمر لها بقوام يقومون عليها، وأن يسقى أهل المسجد منها، ففعل ذلك.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر.

ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير - مولى لبني العباس - حدثه عن صالح بن كيسان، قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان وثمانين - بعدة من قریش، أرسل إليهم بصلات وظهر للحمولة، وأحرموا معه من ذي الحليفة، وساق معه بدنأ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قریش، منهم ابن أبي مليكة وغيره. فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش. وذلك أن المطر قل، فقال عمر: فالطلب هاهنا بين، تعالوا ندع الله. قال: فرأيتهم دعوا ودعا معهم، فألحوا في الدعاء. قال صالح: فلا والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل، وسكبت السماء، وجاء سيل الوادي، فجاء أمر خافه أهل مكة، ومطرت عرفة ومنى وجمع، فما كانت إلا عبراً، قال: ونبتت مكة تلك السنة للخصب.

وأما أبو معشر فإنه قال: حج بالناس سنة ثمان وثمانين

زعم الواقدي، وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بني مخزوم، قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب.

## السنة التاسعة والثمانون

### ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

#### خبر غزو مسلمة أرض الروم

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سورية، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم تفرقا، فافتتح مسلمة حصن سورية، وافتتح العباس أدرولية، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم.

وأما غير الواقدي فإنه قال: قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً، فهزمهم الله، وافتتح هرقله وقمودية.

وغزا العباس الصائفة من ناحية البدندون.

#### خبر غزو قتيبة بخارى

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى، ففتح راميشة. وذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك، وأن قتيبة رجع بعدما فتحها في طريق بلخ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج: أن رد وردان خذاه. فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين، فأتى زم، فقطع النهر، فلقية السغد وأهل كس ونسف في طريق المفازة، فقاتلوه، فظفر بهم ومضى إلى بخارى، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان، فلقوه بجمع كثير، فقاتلهم يومين وليتين، ثم أعطاه الله الظفر عليهم، فقال نهار بن توسعة:

وباتت لهم منا بخرقان ليلة وليتنا كانت بخرقان أطولا

قال علي: أخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس، وأبو العلاء عن إدريس بن حنظلة، أن قتيبة غزا وردان خذاه ملك بخارى سنة تسع وثمانين فلم يطقه، ولم يظفر من البلد بشيء، فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك، فكتب إليه الحجاج: أن صورها لي، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه الحجاج: أن ارجع إلى مراغتك فب إلى الله عما كان منك، وأنها من مكان كذا وكذا.

وقيل: كتب إليه الحجاج أن كس بكس وانسف نسف ورد وردان، وإياك والتحويط، ودعني من بنيات الطريق.

#### خبر ولاية خالد القسري على مكة

وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما

أيها الناس: أيهما أعظم؟ أخليفة الرجل على أهله، أم رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاجاً، واستسقاء الخليفة فسقاه عذباً فراثاً، بثراً حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين - ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم.

قال: ثم غارت البئر فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم.

#### أخبار متفرقة

وفيهما غزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح حصوناً ومدائن هنالك.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل.

## السنة التسعون

## ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ففي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم - فيما ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية. وغزا فيها العباس بن الوليد، قال بعضهم: حتى بلغ الأرز، وقال بعضهم: حتى بلغ سورية. وقال محمد بن عمر: قول من قال: حتى بلغ سورية أصح.

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند، وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف.

وفيهما استعمل الوليد قره بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك.

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك.

## خبر فتح بخارى

وفيهما فتح قتيبة بخارى، وهزم جموع العدو بها.

ذكر الخبر عن ذلك.

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيبال أخبره عن المهلب بن إياس، وأبا العلاء عن إدريس بن حنظلة، أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان، من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً، فأرسل وردان خذاه إلى السفد والترك ومن حولهم يستنصرونهم، فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة واخلوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدموا، فتقدموا يقاتلونهم وعتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل ويكبن، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم، فوقف الترك على نشز، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع؟ فلم يقدم عليهم أحد، والأحياء كلها وقوف.

فمشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة

الخطمية، فيوم كأيامكم، أبي لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أتسلموني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم وكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدم، ودفع إليه الراية، وقال: قدم خيلك فتقدم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: أقحم يا هريم، قال: فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصؤول وقال: أنا أقحم خيلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحق، قال: يا ابن اللخناء، ألا أراك ترد أمري! وحذفه بعمود كان معه، فضرب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشد من هذا، وعبر هريم في الخيل، وأنتهى وكيع إلى النهر، فدعا بجشب، فقطر النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعب، ومن لا فليثبت مكانه، فما عبر معه إلا ثمانمائة راجل، فدب فيهم حتى إذا أعيو أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو، فجعل الخيل مجنبتين، وقال لهريم: إني مطاعن القوم، فاشغلهم عنا بالخيول، وقال للناس: شدوا، فحملوا فما انشأوا حتى خالطوهم، وحمل هريم خيله عليهم، فطاعتوهم بالرماح، فما كفوا عنهم حتى حذروهم عن موقفهم، ونادى قتيبة: أما ترون العدو منهزمين! فما عبر أحد ذلك النهر حتى ولى العدو منهزمين، فأتبعهم الناس، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مائة.

قال: فزعم موسى بن المتوكل القريعي، قال: جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قريع، كل رجل يجيء برأس، فيقال له: من أنت؟ فيقول: قريعي. قال: فجاء رجل من الأزد برأس فآلقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قريعي، قال: وجهه بن زحر قاعد، فقال: كذب والله أصلحك الله! إنه لابن عمي، فقال له قتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت كل من جاء قريعي: فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول: قريعي. قال: فضحك قتيبة.

قال: ورجح يومئذ خاقان وابنه، ورجع قتيبة إلى مرو، وكتب إلى الحجاج: إني بعثت عبد الرحمن بن مسلم، ففتح الله على يديه.

قال: وقد كان شهد الفتح مولى للحجاج، فقدم فأخبره الخبر، فغضب الحجاج على قتيبة، فاعتم لذلك، فقال له الناس: ابعت وفداً من بني تميم وأعطهم وأرضهم يخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت، فبعث رجلاً فيهم عرام بن شتير الضبي، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجام بيده مقرض فقال: لأقطعن ألسنتكم أو لنصدقني، قالوا: الأمير قتيبة،



البروقان حتى نبلغ تخارستان، فبيعت المغيرة رجلاً فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم، ففعلوا.

قال: وأقبل رسول من قبل قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك. فلما مر الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان - ومدينة بلخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه، فوجده قد دخل شعب خلم، فانصرف المغيرة، وأظهر نيزك الخلع، وكتب إلى أصبهذ بلخ وإلى باذام ملك مرو رود، وإلى سهوب ملك الطالقان، وإلى ترسل ملك الفارياب، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة، فأجابوه، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب إلى كابل شاه يستظهر به، ويحث إليه بثقله وماله، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمّنه في بلاده، فأجابته إلى ذلك وضم ثقله.

قال: وكان جيفويه ملك تخارستان ضعيفاً، واسمه الشذ، فأخذ نيزك فقيده بقيده من ذهب مخافة أن يشغب عليه - وجيفويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده - فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جيفويه، وكان العامل محمد بن سليم الناصح، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء، وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مرو، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان، وقال: أقم بها، ولا تحدث شيئاً، فإذا حسر الشتاء فعسكر وسر نحو تخارستان، واعلم أنني قريب منك، فسار عبد الرحمن فنزل البروقان، وأمهّل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كتب إلى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هراة ليقدموا قبل أوانهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه.

### خبر فتح الطالقان

وفي هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض أهل الأخبار - فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وصلب منهم سباطين أربعة فراسخ في نظام واحد.

ذكر الخبر عن سبب ذلك.

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخلع قتيبة وعزم على حربه، طابقه على حربه ملك الطالقان، وواعده المصير إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة، فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان علم أنه لا طاقة له بقتيبة، فهرب، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها، ففعل ما ذكرت فيما قبل. وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك، وأنا ذاكره في أحداث سنة إحدى وتسعين.

وبعث عليهم عبد الرحمن، فالفتح للأمير والرأس الذي يكون على الناس، وكلّمه بهذا عرام بن شتير، فسكن الحجاج.

### خبر صلح قتيبة مع السغد

وفي هذه السنة جد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد.

ذكر الخبر عن ذلك.

قال علي: ذكر أبو السري عن الجهم الباهلي، قال: لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففرض جمعهم هابه أهل السغد، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قتيبة، وبينهما نهر بخارى، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه، فأمر قتيبة رجلاً فدنا منه.

وأما الباهليون فيقولون: نادى طرخون حيان النبطي فاتاه، فسألهم الصلح على فدية يؤديها إليهم، فأجابته قتيبة إلى ما طلب، وصالحه، وأخذ منه رهناً حتى يبعث إليه بما صالحه عليه، وانصرف طرخون إلى بلاده، ورجع قتيبة ومعه نيزك.

### غدر نيزك

وفي هذه السنة غدر نيزك، فنقض الصلح الذي بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته، وعاد حرباً، فغزاه قتيبة.

ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به.

قال علي: ذكر أبو الذبيل، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبي، عن أبيه، وعلي بن مجاهد وكليب بن خلف العمري، كل قد ذكر شيئاً فالفته، وذكر الباهليون شيئاً فالحقته في خبر هؤلاء والفته: أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قد رأى من الفتوح، وخاف قتيبة، فقال لأصحابه وخاصته: متهم أنا مع هذا، ولست آمنه، وذلك أن العربي بمنزلة الكلب، إذا ضربته نبج، وإذا أطعمته بصبص واتبعك، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضي، ونسي ما صنعت به، وقد قاتله طرخون مراراً، فلما أعطاه فدية قبلها ورضي، وهو شديد السطوة فاجر فلو استأذنت ورجعت كان الرأي، قالوا: استأذنه. فلما كان قتيبة يأمل استأذنه في الرجوع إلى تخارستان، فأذن له، فلما فارق عسكره متوجهاً إلى بلخ قال لأصحابه: أغدوا السير، فساروا سيراً شديداً حتى أتوا النوبهار، فنزل يصلي فيه وترك به. وقال لأصحابه: إني لا أشك أن قتيبة قد ندم حين فارقتنا عسكره على إذنه لي، وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسي، فاقبموا ربيته، تنظر، فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ

فجاءوا إلى سفنهم وقد هبتوها في البطائح، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخاً، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم، فقال يزيد للمفضل: اركب بنا فإنه لاحق، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأمه - وهي بهلة، هندية: لا والله، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعت إلى السجن. فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك، وركبوا عند ذلك السفن، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم، فرفع ذلك إلى الحجاج، وقال الفرزدق في خروجهم:

فلم أر كالحظ الذين تسابعا على الجذع والحراس غير نيام  
مضوا وهم مستيقنون بأنهم إلى قدر آجالهم وحمام  
وإن منهم إلا يسكن جائسه بعضب صقيل صارم وحسام  
فلما التقوا لم يلتقوا بمنفس كبير ولا رخص العظام غلام  
بمثل أبيهم حين تمت لداتهم لحسين قل في جرة وتنام  
ففرغ له الحجاج، وذهب وهم أنهم ذهبوا قبل خراسان،  
وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم بمخبره قدامهم، ويأمره أن يستعد لهم، وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم، ويستعدوا لهم، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهربهم، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان. ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع، كان يقول: إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث.

ولما دنا يزيد من البطائح، من موقع استقبلته الخيل، قد هبت له ولإخوته، فخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له: عبد الجبار بن يزيد بن الربعة، فأخذ بهم على السماوة، وأتى الحجاج بعد يومين، فقيل له: إنما أخذ الرجل طريق الشام، وهذه الخيل حسرى في الطريق، وقد أتى من رآهم موجهين في البر، فبعث إلى الوليد يعلمه ذلك، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان - وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سليمان الأزدي، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان، فقال: هذا يزيد بن المهلب، وإخوته في منزلي، وقد أتوك هرباً من الحجاج متعوذين بك، قال: فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حي. فجاء بهم حتى أدخلهم عليه، فكانوا في مكان آمن. وقال الكلبي دليلهم في مسيرهم:

ألا جعل الله الأحلاء كلهم فداء على ما كان لابن المهلب  
لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت ركابكم بالهوب شرقي مقب  
عدلن ميمناً عنهم رمل عالج وذات يمين القوم أعلام غرب  
فلا تصبغ بعد الخامسة ركابنا سليمان من أهل اللوى تناوب  
تقر قرار الشمس مما وراءنا وتذهب في داج من الليل غيب  
يقوم هم كانوا الملوك هديتهم بظلماء لم يصبر بها ضوء كوكب

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال محمد بن عمر.

وكان عمر بن عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف. وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف، وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله. وعلى قضائهما عبد الرحمن بن أذينة، وعلى الكوفة زياد بن جريز بن عبد الله. وعلى قضائهما أبو بكر بن أبي موسى. وعلى خراسان قتيبة بن مسلم. وعلى مصر قرة بن قرة بن شريك.

### هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف، والوليد بن عبد الملك. ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان.

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال: خرج الحجاج إلى رستباز للبعث، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستباز، فجعلهم في عسكره، وجعل عليهم كهنة الخندق، وجعلهم في قساطر قريباً من حجرته، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام، وأغرهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فقيل له: إنه رمي بنشابة فثبت فصلها في ساقه، فهو لا يمسه شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يعذب ويدق ساقه، فلما فعل ذلك به صاح، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقتها. ثم إنه كف عنهم، وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمهم إلى الخيل، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعهم ويعرضها على البيع، ويغلي بها لثلاً تشتري فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا على أن نجو عما هاهنا.

ففعل ذلك مروان، وحبيب بالبصرة يعذب أيضاً، وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمر بشراب فسقوا، فكانوا متشاغلين به، ولبس يزيد ثياب طباخه، ووضع على لحيته لحية بيضاء، وخرج فرأه بعض الحرس فقال: كأن هذه مشية يزيد! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً، فرأى بياض اللحية، فانصرف عنه، فقال: هذا شيخ. وخرج المفضل على أثره، ولم يفتن له،

بقائي ويقاؤك، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي علينا أجل الوفاة وهو لي واصل، ولحقي مؤد، وعن مساءتي نازع، فليفعل. واللّه يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك. وإن رضاك مما ألتبس به رضوان الله، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصلتي وكرامي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد، وكل ما طلبته به فهو علي.

فلما قرأ كتابه، قال: لقد شققنا على سليمان! ثم دعا ابن أخيه فادناه منه. وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال.

يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ينسى ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفر فلسنا كافريه، وقد كان من بلاتنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشرق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة.

فقال له: اجلس، فجلس فأمنه وكف عنه، ورجع إلى سليمان وسعى إخوته في المال الذي عليه، وكتب إليه الحجاج.

إني لم أصل إلى يزيد، وأهل بيته مع سليمان، فاكفف عنهم، واله عن الكتاب إلي فيهم.

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم. وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم، فتركها له، وكف عن حبيب بن المهلب. ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة، ويصنع له طيب الأطعمة، ويهدي له الهدايا العظام. وكان من أحسن الناس عنده منزلة، وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان، ولا تأتي سليمان هدية ولا فائدة إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب، وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد إلا خطيئة الجارية. فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري، فقال: انطلق إلى سليمان فقل له: يا خالفة أهل بيته، إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هدية ولا فائدة إلا بعثت إلى يزيد بنصفها، وإنك تأتي الجارية من جواريك فلا ينقضي طهرها حتى تبعث بها إلى يزيد، وقبح ذلك عليه، وعيره به، أترك مبلغاً ما أمرتك به؟ قال: طاعتك طاعة، وإنا أنا رسول، قال: فاته فقل له ذلك، وأقم عنده، فإني باعث إليه بهدية فادفعها إليه، وخذ منه البراءة بما تدفع إليه.

ثم أقبل فمضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف، وهو يقرأ، فدخل عليه فسلم، فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من قراءته، ثم رفع رأسه إليه فكلمه بكل شيء أمره به الوليد، فتمتع جهه، ثم قال: أما والله لئن قدرت عليك يوماً من الدهر لأقطعن

ولا قمر إلا ضيلاً كأنه سوار حناه صانع السور مذهب قال هشام: فأخبرني الحسن بن أبان العليمي، قال: بينا عبد الجبار بن يزيد بن الربعة يسري بهم فسقطت عمامة يزيد، ففقدوها فقال: يا عبد الجبار، ارجع فاطلبها لنا، قال: إن مثلي لا يؤمر بهذا، فأعاد، فأبى، فتناوله بالسوط، فانتسب له، فاستحيا منه، فذلك قوله:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم فداء على ما كان لابن المهلب وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرحوا إلى خراسان، لا يرون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليفتن من بها.

فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هون عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد أمته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف. وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي علي. فكتب إليه: لا والله لا أؤمته حتى تبعث به إلي. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيش معه، فأنتدك الله أن تقضحني ولا أن تحفرني. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمته. فقال يزيد: ابغني إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً، ولا أن يتشام بي لكما الناس، ابعث إليه بي، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد، فدخل عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تحفر ذمة أبي، وأنت أحمق ممن منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذلل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب.

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذلل جاري، ولا تحفر جواري، بله لم أجبر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعي والإخفار لذمتي، والإبلاغ في مساءتي، فقد قدرت إن أنت فعلت. وأنا أعيدك بالله من احتداد قطيعي. وانتهاك حرمتي وترك بري وصلتي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما

منك طابقاً فقال له: إنما كانت علي الطاعة..

ثم خرج من عنده. فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان، دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له: أعطني البراءة بهذا الذي دفعت إليك، فقال: كيف قلت لي؟ قال: لا أعيده عالماً أبداً، إنما كان علي فيه الطاعة. فسكن، وعلم أن قد صدقه الرجل، ثم خرج وخرجوا معه، فقال: خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط وأبعثوا بها إلى يزيد.

قال: فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحداً، ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر.

وتوفي الحجاج سنة الخامسة وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة.

## السنة الحادية والتسعون

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا - فيما ذكر محمد بن عمر وغيره - الصائفة بن عبد العزيز بن الوليد وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك.

وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك، حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح على يديه مدائن وحصون.

وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون.

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان.

## تمة خبر قتيبة مع نيزك

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله. ولما قدم من كان قتيبة كتب إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة على قتيبة، سار بالناس إلى مروروذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم.

وبلغ مرزبان مروروذ إقباله إلى بلاده، فهرب إلى بلاد الفرس. وقدم قتيبة مروروذ فأخذ ابنين له فقتلها وصلبهما، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه، فكف عنه، وفيها لصوص، فقتلهم قتيبة وصلبهم، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم، ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملك الفارياب مدعياً مقرأً بطاعته، فرفض عنه، ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها رجلاً من باهلة. وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقية أهلها سامعين مطيعين، فقبل منهم، فلم يقتل فيها أحداً، واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني، ثم أتى بلخ فلقية الأصهبذ في أهل بلخ، فدخلها فلم يبق بها إلا يوماً واحداً.

ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم، وقد مضى نيزك فمسكر ببغلان، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه بمنعونه، ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء، ولا يقدر على دخوله، وهو مضيق، الوادي يجري وسطه، ولا يعرف طريقاً يفضي به إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحتمل العساكر، فبقي متلداً يلتمس الحيل.

قال: ففر في ذلك إذ قدم عليه الروب خان ملك الروب

وسمنجان، فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب، فأمنه قتيبة، وأعطاه ما سأل، وبعث معه رجالاً ليلاً، فانتهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم، وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب، فدخل قتيبة والناس الشعب، فأتى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جاه، وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة.

قال: فأقام قتيبة بسمنجان أياماً، ثم سار نيزك، وقدم أخاه عبد الرحمن، وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة، ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه، ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز، ونزل قتيبة أسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان. فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام، وأصابهم الجدري وجذر جفويه، وخاف قتيبة الشتاء، فدعا سليماً الناصح، فقال: انطلق إلى نيزك واحتل لأن تأتيني به بغير أمان، فإن أعياك وأبى فأمنه، واعلم أنني إن عايتك وليس هو معك صلبتك، فاعمل لنفسك. قال: فآفكت لي إلى عبد الرحمن لا يخالفني، قال: نعم. فكتب له إلى عبد الرحمن فقدم عليه، فقال له: ابعث رجالاً فليكونوا على فم الشعب، فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب. قال: فبعث عبد الرحمن خيلاً فكانوا حيث أمرهم سليم، ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياماً والأخصة أوقاراً، حتى أتى نيزك، فقال له نيزك: خذلتني يا سليم، قال: ما خذلتك، ولكنك عصيتني وأساءت بنفسك، خلعت وغدرت، قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تأتيه فقد أعحك، وليس ببارح موضعه هذا، قد اعترزم على أن يشترى بمكانه، هلك أو سلم، قال: آتبه على غير أمان! قال: ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك، فإنك قد ملأته غيظاً، ولكني أرى ألا يعلم بك حتى تضع يدك في يده، فإني أرجو إن فعلت ذلك أن يستحي ويعفو عنك، قال: أترى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن نفسي لتأبى هذا، وهو إن رأيته قتلي، فقال له سليم: ما أيتك إلا لأشبر عليك بهذا، ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود حالك عنده إلى ما كانت، فاما إذ أبيت فإني منصرف. قال: فتغديك إذا، قال: إني لأظنكم في شغل عن تهية الطعام، ومعنا طعام كثير.

قال: ودعا سليم بالغداء فجاءوا بطعام كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا، فانتهبه الأتراك، فغم ذلك نيزك، وقال سليم: يا أبا الهياج، أنا لك من الناصحين، أرى أصحابك قد جهدوا،

أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فانتضاء وطول كفيه ثم ضرب عنقه بيده، وأمر عبد الرحمن فضرب عنق صول، وأمر صالحاً فقتل عثمان - ويقال شقران ابن أخي نيزك - وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهلة: هل بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابية - فقال: دونك هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال: أوردوا ولا تصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين، وصلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في أسكيمشت، فقال المغيرة بن حبناء يذكر ذلك في كلمة له طويلة:

لعمري لعمت غزوة الجند غزوة قضت نخبها من نيزك وتعلت  
قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أبيه، قال: بعث قتبية برأس نيزك مع محفن بن جزء الكلابي، وسوار بن زهدم الجرمي، فقال الحجاج: إن كان قتبية لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم، فقال سوار:

أقول لحفن وجري سنيح وآخر بارح من عن يميني  
وقد جعلت بوائق من أمور ترفع حوله وتكف دوني  
نشدتك هل يسرك أن سرجي وسرجك فوق أبسل باذيين  
قال: فقال محفن: نعم وبالصين.

قال علي: أخبرنا حمزة بن إبراهيم وعلي بن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة، عن مرزيان قهستان وغيرهما، أن قتبية دعا يوماً بنيزك وهو محبوس، فقال: ما رأيك في السبل والشذ؟ أترهما يأتيان إن أرسلت إليهما؟ قال: لا، قال: فأرسل إليهما قتبية فقدمما عليه، ودعا نيزك وجبغويه فدخلوا، فإذا السبل والشذ بين يديه على كرسيين، فجلسا بإزائهما، فقال الشذ لقتبية: إن جبغويه - وإن كان لي عدواً - فهو أسن مني، وهو الملك وأنا كعبده، فأذن لي أذن منه، فأذن له، فدنا منه، فقبل يده وسجد له، قال: ثم استأذنه في السبل، فأذن له فدنا منه فقبل يده، فقال نيزك لقتبية: ائذن لي أذن من الشذ، فأذن عبه، فأذن له، فدنا منه فقبل يده، ثم أذن قتبية للسبل والشذ فانصرفا إلى بلادهما، وضم إلى الشذ الحجاج القيني، وكان من وجوه أهل خراسان. وقتل قتبية نيزك، فأخذ الزبير مولى عابس الباهلي خفناً لنيزك فيه جوهر، وكان أكثر من في بلاده مالاً وعقاراً، من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه. فسوغه إياه قتبية، فلم يزل موسراً حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود.

قال: وأطلق قتبية جبغويه ومنً عليه، وبعث به إلى الوليد، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد. ورجع قتبية إلى مرو، واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ، فكان الناس يقولون: غدر قتبية بنيزك، فقال ثابت قطنة:

وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك، فانطلق وأت قتبية، قال: ما كنت لأمنه على نفسي، ولا آتيه على غير أمان، فإن ظني به أنه قاتلي وإن آمنني، ولكن الأمان أعذر لي وأرجى، قال: فقد آمنك أفتمهني! قال: لا، قال: فانطلق معي، قال له أصحابه: اقبل قول سليم، فلم يكن ليقول إلا حقاً، فدعا بدوابه وخرج مع سليم، فلما انتهى إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال: يا سليم، من كان لا يعلم متى يموت فأني أعلم متى أموت، أموت إذا عابت قتبية، قال: كلا أيقنك مع الأمان! فركب ومضى معه جبغويه - وقد برأ من الجذري - وصول وعثمان ابنا أخي نيزك - وصول طرخان خليفة جبغويه، وخنس طرخان صاحب شرطه - قال: فلما خرج من الشعب عطف الخيل التي خلفها سليم على فوهة الشعب، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج، فقال نيزك لسليم: هذا أول الشر، قال: لا تغفل، تخلف هؤلاء عنك خير لك.

وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم، فأرسل رسولاً إلى قتبية يعلمه، فأرسل قتبية عمرو بن أبي مهزم إلى عبد الرحمن: أن أقدم بهم علي، فقدم بهم عبد الرحمن عليه، فحبس أصحاب نيزك، ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك، فجعل ابن بسام نيزك في قبه، وحفر حول القبة خندقاً، ووضع عليه حرساً. ووجه قتبية معاوية بن عامر بن علقمة العليمي، فاستخرج ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه، وقدم به على قتبية، فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه، فأثاء كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك. قال: فدعا به فقال: هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم؟ قال: لي عند سليم، قال: كذبت، وقام فدخل ورد نيزك إلى حبسه، فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس. قال: فقام المهلب بن إياس العدوي، وتكلم في أمر نيزك، فقال بعضهم: ما يحل له أن يقتله، وقال بعضهم: ما يحل له تركه، وكثرت الأقاويل فيه وخرج قتبية اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟ فاختلفوا، فقال قائل: اقتله، وقال قائل: أعطيته عهداً فلا تقتله، وقال قائل: ما نأمنه على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال: ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل لا ينصرك الله عليه أبداً. فاطرق قتبية طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلت: اقتلوه، اقتلوه، وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة.

وأما الباهليون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما

لا تحسبن الغدر حزمًا فربما ترقى به الأقدام يوماً فزلت  
وقال: وكان الحجاج يقول: بعثت قتيبة فتى غراً فما زدته  
ذراعاً إلا زادني باعاً.

قال علي: أخبرنا حمزة بن إبراهيم، عن أشياخ من أهل  
خراسان، وعلي بن مجاهد، عن جنبل بن أبي حريدة، عن مرزبان  
قهيستان وغيرهما، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك  
طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل  
يطلب الأمان، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه، فطلب رهناً يكونون  
في يديه ويعطي رهائن، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو  
بن حصين الباهلي، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته،  
فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه، وقدم  
على قتيبة فصالحه، ثم رجع فمات بالطالقان فقال أهل  
الجوزجان: سموه فقتلوا حبيباً، وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا  
عنده، فقال نهار بن توسعة لقتيبة:

أراك الله في الأتراك حكماً كحكيم في قريظة والنضير  
قضاء من قتيبة غير جور به يشفى الغليل من الصدور  
فلن ير نيزك خزيًا وذلاً فكم في الحرب حق من أمير!  
وقال المغيرة بن حنبل يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول  
ابن أخيه نيزك وعثمان - أو شقران:

لمن الدبار عفت بسفح سنام إلا بقية أبصر وثمان  
عصف الرياح ذيولها فمحوها وجرين فوق عراضها بتمام  
دار لجارية كان رضابها مسك يشاب مزاجه بتمام  
أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي واقرا عليه تحيتي وسلامي  
يا سيف أبلغها فلن ثناءها حسن وإنك شاهد لقمامي  
يسمو فتضع الرجال إذا سما لقتيبة الحامي حى الإسلام  
لأغر متجب لكل عظمة نحر يباح به العدو لهام  
يمضي إذا هاب الجبان وأحشت حرب تسمر نارها بضرام  
تروى القناة مع اللواء أمامه تحت اللوامع والتحور دوام  
والمهام تغريبه السيوف كأنه بالقاع حين تراه قبض نعمام  
وترى الجياد مع الجياد ضامراً بفنائيه لحوادث الأيام  
وبهن أنزل نيزكاً من شهاق والكرز حيث يروم كل مرام  
وأخاه شقراناً سقيت بكأسه وسقيت كأسهما أخا باذام  
وتركت صولاً حين صال مجدلاً يركبته بدوابر وحسام

### خير غزو قتيبة شومان وكس ونسف

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة  
شومان وكس ونسف غزوته الثانية وصالح طوخان.

ذكر الخبر عن ذلك:

قال علي: أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان، وأبو  
السري وجبله بن فروخ عن سليمان بن مجالد، والحسن بن رشيد  
عن طفيل بن مرداس العمي، وأبو السري المروزي عن عمه،  
وبشر بن عيسى وعلي بن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة عن  
مرزبان قهيستان، وعياش بن عبد الله الغنوي، عن أشياخ من  
أهل خراسان، قال: وحديثي ظئري - كل قد ذكر شيئاً، فآلفته،  
وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض - أن فيلسنشب  
باذق - وقال بعضهم: قيسبستان ملك شومان - طرد عامل قتيبة  
ومنع القدية التي صالح عليها قتيبة، فبعث إليه قتيبة عياشاً  
الغنوي ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان  
إلى أن يؤدي القدية على ما صالح عليه قتيبة، فقدموا البلد،  
فخرجوا إليهما فرؤهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي  
فقال: أما هاهنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا  
مسلم، فما تريد؟ قال: تعيني على جهادهم، قال: نعم، فقال له  
عياش: كن خلفي لتمنع لي ظهري، فقام خلفه - وكان اسم  
الرجل المهلب - فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، فنفروا عنه،  
وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين  
جراحة، فغصم قتلته، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ طريق بلخ، فلما  
أناها قدم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بلخ عمرو بن مسلم،  
وكان ملك شومان صديقاً لصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح  
رجلاً يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح،  
فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمنع الملوك  
حصناً أرمي أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً وأشد الناس رمياً، فلا  
تبلغ نشابتي نصف حصني، فما أخاف من قتيبة! فمضى قتيبة من  
بلخ فعبر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه  
الجانيق، ورمى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى  
ما نزل به جمع ما كان له من مال وجواهر فرمى به في عين في  
وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ  
قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، ثم رجع إلى باب  
الحديد فأجاز منه إلى كس ونسف، وكتب إليه الحجاج، أن كس  
بكس ونسف، وكس ونسف، وإياك والتحويط. فتح كس ونسف، وامتنع  
عليه فرباب فحرقها فسميت المحترقة. وسرح قتيبة من كس  
ونسف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد، إلى طرخون، فسار  
حتى نزل بمرج قريباً منهم، وذلك في وقت العصر، فانتبذ الناس  
وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا، فأمر عبد الرحمن أبا مرضية  
- مولى لهم - أن يمنع الناس من شرب العصير، فكان يضربهم

من استطاع إليه سبيلاً. أيها الناس، فعليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشبهات، فإني والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم. إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها، فسلموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت. إنه لا رأي فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه، واعلموا أنه بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم، ويقيمون في بلادكم، فيأياكم أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائف عن الجماعة، فإني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله، فانظروا من تنزلون في منازلكم، وعليكم بالجماعة والطاعة، فإن الفرقه هي البلاء العظيم.

قال محمد بن عمرو: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة، قال: اعتمدت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير، فلم أشعر إلا به يدعوني، فدخلت عليه، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل المدينة، قال: ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة؟ قلت: إنما مقامي إن قمت يوماً أو بعضه، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف، أنا ممن يعظم أمر الخلافة، وأزعم أن من جحدتها فقد هلك. قال: فلا عليك ما أقمت، إنما يكره أن يقيم من كان زارياً على الخليفة. قلت: معاذ الله!

وسمعت يوماً يقول: والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم. إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة، زار عليهم. قلت: وفق الله الأمير.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك. حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: حج الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين.

وكذلك قال محمد بن عمر: حدثني موسى بن أبي بكر، قال: حدثنا صالح بن كيسان، قال: لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه، فيتلقون الوليد بن عبد الملك. منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام، وأخوه محمد بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فخرجوا حتى بلغوا السويداء، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دواب وخيل - فلقوا الوليد وهو على ظهر، فقال لهم الحجاب: انزلوا لأمير المؤمنين، فنزلوا، ثم أمرهم فركبوا، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسأيره حتى نزل بذئ خشب، ثم أحضروا، فدعاهم رجلاً

ويكسر آيتهم ويصب نبذهم، فسال في الوادي، فسمي مرج النبذ، فقال بعض شعرائهم:

أما النبذ فلست أشربه أخشى أبا مرضية الكلب  
متعسفاً يسعى بشكته يتوشب الحيطان للشرب  
فقبض عبد الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه  
قتيبة، ودفع إليه رهناً كانوا معه، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببخاري، فرجعوا إلى مرو، فقالت السغد لطرخون: إنك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك. قال: فولوا من أحببتم. قال: فولوا غوزك، وجسوا طرخون، فقال طرخون: ليس بعد سلب الملك إلا القتل، فيكون ذلك بيدي أحب إلي من أن يليه مني غيري، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره. قال: وإنما صنعوا بطرخون هذا حين خرج قتيبة إلى سجستان وولوا غوزك.

وأما الباهليون فيقولون: حصر قتيبة ملك شومان، ووضع على قلعة المجانيق، ووضع منجنيقاً كان يسميها الفحجاء، فرمى بأول حجر فأصاب الحائط، ورمى بآخر فوقع في المدينة، ثم تابعت الحجارة في المدينة فوقع حجر منها في مجلس الملك، فأصاب رجلاً فقتله، ففتح القلعة عنوة، ثم رجع إلى كس ونسف، ثم مضى إلى بخاري فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة، وكان فيها طواويس، فسموه منزل الطواويس، ثم سار إلى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه فلما أشرف على وادي السغد فرأى حسنه تمثل:

واد خصيب عشب ظل بمنه من الأنيس حذار اليوم ذي الرهج  
وردته بعنانيج مسومة يردين بالشعث سفاكين للمهج

قال: فقبض من طرخون صلحه، ثم رجع إلى بخاري فملك بخاري خذاه غلاماً حدثاً، وقتل من خاف أن يضاده، ثم أخذ على أمل ثم أتى مرو.

قال: وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو، عن رجل من باهلة، قال: لم يفرغ الناس من ضرب أبينتهم حتى افتتحت القلعة.

### ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري فلم يزل والياً إلى أن مات الوليد. فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة حدثه عن نافع مولى بني غزوم، قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول.

يا أيها الناس، إنكم بأعظم بلاد الله حرمة، وهي التي اختار الله من البلدان، فوضع بها بيته، ثم كتب على عباده حجه



كانوا عاملها في سنة تسعين، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي.  
وقال غيره: كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز.

رجلاً، فسلموا عليه، ودعا بالغداء، فتغدوا عنده، وراح من ذي خشب، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بناءه، فأخرج الناس منه، فما ترك فيه أحد، وبقي سعيد بن المسيب ما يجترى أحد من الحرس أن يخرج، وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم في مصلاه، فقيل له: لو قمت! قال: والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه. قيل: فلو سلمت على أمير المؤمنين! قال: والله لا أقوم إليه. قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة، فقال: من ذلك الجالس؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟ فجعل عمر يقول: نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك، وهو ضعيف البصر قال الوليد: قد علمت حاله، ونحن نأتيه فسلم عليه، فدار في المسجد حتى وقف على القبر، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام، فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ قال الوليد: خير والحمد لله. فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقية الناس، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين.

قال: وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس، وأتية من ذهب وفضة، وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم.

قال محمد بن عمر: وحدثني إسحاق بن يحيى، قال: رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة عام حج، قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد، في أيديهم الجرزة وعمد الحديد على العواتق، فرأيتهم طلع في دراعة وقلنسوة، ما عليه رداء، فصعد المنبر، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون، ثم سكتوا، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس، ثم قام فخطب الثانية قائماً، قال إسحاق: فلقبت رجاء بن حيوة وهو معه، فقلت: هكذا يصنعون! قال: نعم، وهكذا صنع معاوية فهلم جرأ، قلت: أفلا تكلمه؟ قال: أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان فأبى أن يفعل، وقال: هكذا خطب عثمان، فقلت: والله ما خطب هكذا، ما خطب عثمان إلا قائماً. قال رجاء: روي لهم هذا فأخذوا به.

قال إسحاق: لم نر منهم أحداً أشد تجبراً منه.

قال محمد بن عمر: وقدم بطيب مسجد رسول الله ﷺ وبجمره وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على جبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط، فنشرها يوماً وطوى ورفع.

قال: وأقام الحج الوليد بن عبد الملك.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين

## السنة الثانية والتسعون

### ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم، ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة، وجلا أهل سوسنة إلى جوف أرض الروم.

### فتح الأندلس

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدريونق، وكان رجلاً من أهل أصبهان، قال: وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف له طارق بجميع من معه، فزحف الأدريونق في سرير الملك، وعلى الأدريونق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدريونق، وفتح الأندلس سنة الثانية وتسعين.

وفيها غزا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة سجستان يريد رتبيل الأعظم والزابل، فلما نزل سجستان تلقته رسل رتبيل بالصلح، فقبل ذلك وانصرف، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عما لها في السنة التي قبلها.

## السنة الثالثة والتسعون

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم، ففتح الله على يديه سمسطية.

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم، فبلغ خنجره.

وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، فافتتح ماسا وحصن الحديد وغزاة وبرجة من ناحية ملطية.

## صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد

وفيهما قتل قتيبة ملك خام جرد، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه.

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد، عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة، عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهليين وغيرهم - وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فآلفت - أن ملك خوارزم كان ضعيفاً، فغلبه أخوه خرزاذ على أمره - وخرزاذ أصغر منه - فكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فآخراً أرسل فآخذه، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو اختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه، وأخذ ما شاء، وحبس ما شاء، لا يمنع عليه أحد، ولا يمنع الملك، فإذا قيل له، قال: لا أقوى عليه، وقد ملأه مع هذا غيظاً، فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده، يحكم فيه بما يرى. وبعث في ذلك رسلاً، ولم يطلع أحداً من مرابطته ولا دهاقته على ما كتب به إلى قتيبة، فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو، وقد تهيأ للغزو، فآظهر قتيبة أنه يريد السغد، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يجب من قبل قتيبة، وسار واستخلف على مرو ثابث الأعور مولى مسلم.

قال: فجمع ملوكه وأحابره ودهاقته فقال: إن قتيبة يريد السغد، وليس بغازيكم، فهل نتعم في ربيعنا هذا، فأقبلوا على الشرب، والتنعم، وأمنوا عند أنفسهم الغزو.

قال: فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب دون النهر،

فقال خوارزم شاه لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله، قال: لكني لا أرى ذلك، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة، ولكني أرى أن نصرفه بشيء نؤديه إليه، فنصرفه عامنا هذا، ونرى رأينا قالوا: ورأينا رأيك. فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة القيل من وراء النهر. قال: ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد، فمدينة القيل أحصنهن، فنزلها خوارزم شاه - وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ - فصالحه على عشرة آلاف رأس، وعين ومتاع، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد، وأن يفي له بما كتب إليه، فقبل ذلك منه قتيبة، ووفى له. وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد، وكان يعادى خوارزم شاه، فقاتله، فقتله عبد الرحمن، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير، فقتلهم، وأمر قتيبة لما جاء بهم عبد الرحمن بسريه فأخرج ويرز للناس. قال: وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف. قال: قال المهلب بن إياس: أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق، فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح، فأخذوا سبني فلم يضرب به شيء إلا أبانه، فحسدني بعض آل قتيبة، فغمز الذي يضرب أن أصفح به، فصفع به قليلاً، فوق في ضرس المقتول فثلمه.

قال أبو الذيال: والسيف عندي. قال: ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم، واصطفى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة، ودخل قتيبة مدينة قيل، فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه، ثم رجع إلى هزارسب. وقال كعب الأشقر: رمتك قيل بما فيها وما ظلمت ورماها قبلك الفجفاجة الصلف لا يجزى الثغر خوار القنساء ولا هش المكاسر والقلب الذي يجف هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم ما دون كازه والفجفاج ملتحف لم يركبوا الخيل إلا بعدلما كبروا فهم تقال على أكتافها عنف أنتم شباس ومرداذان محقر وسخراء قبور حشوها القلف إني رأيت أبا حفص تفضله أيامه ومساعي الناس تختلف قيس صريح وبعض الناس يجمعهم قرى وريف فمسنوب ومقترف لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتصوا سبعين ألفاً وعز السغد مؤتسف وفي سمرقند أخرى أنت قاسمها لئن تأخر عن حوائك التلف ما قدم الناس من خير سبقت به ولا يفوتك مما خلفوا شرف قال: أنشدني علي بن مجاهد:

رمتك قيل بما دون كاز...

قال: وكذلك قال الحسن بن رشيد الجوزجاني، وأما غيرهما فقال:

رمتك قيل بما فيها....

مراراً من وجه واحد.

وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة: إن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به، فانظروا لأنفسكم.

فاجمعوا على أن يأتوهم، وأرسلوا إليهم: أرسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم.

قال: وانتخبوا فرساناً من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال فوجههم وأمرهم أن يبيتوا عسكرهم، وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم. فانتخب قتيبة ثلثمائة أو ستمائة من أهل النجدة، واستعمل عليهم صالح بن مسلم، فصيرهم في الطريق الذي يخاف أن يؤتى منه. وبعث صالح عيوناً يأتونه بخبر القوم، ونزل على فرسخين من عسكر القوم، فرجعت إليه عيونهم فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم، ففرق صالح خيله ثلاث فرق، فجعل كميناً في موضعين، وأقام على قارعة الطريق، وطرقهم المشركون ليلاً، ولا يعلمون بمكان صالح، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه. قال: فشدوا عليه حتى إذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا. قال: وقال رجل من البراجم: حصرتهم فما رأيت قط قوماً كانوا أشد قتالاً من أبناء أولئك الملوك ولا اصبر، فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا نفر يسير، وحوينا سلاحهم، واحتزنا رؤوسهم، وأسرنا منهم أسرى، فسألناهم عن قتلتنا، فقالوا: ما قتلتم إلا ابن ملك، أو عظيماً من العظماء، أو بطلاً من الأبطال، ولقد قتلتم رجلاً إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل، فكبتنا على آذانهم، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه، وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودواب فرهه، فنقلنا قتيبة ذلك كله. وكسر ذلك أهل السغد، ووضع قتيبة عليهم المجانيق، فرماهم بها، وهو في ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم، وناصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وبذلوا أنفسهم.

فأرسل إليه غوزك: إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم، فأخرج إليّ العرب، فغضب قتيبة ودعا الجدلي فقال: اعرض الناس، وميز، أهل البأس فجمعهم، ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل. فيقول: ما عندك؟ فيقول العريف: شجاع، ويقول: ما هذا؟ فيقول: مختصر، ويقول: ما هذا؟ فيقول: جبان، فسمى قتيبة الجبناء الأتبان، وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين، وترك لهم رث السلاح، ثم زحف بهم فقاتلهم بهم

وقالوا: فيل مدينة سمرقند، قال: وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد. قال.

وقال الباهليون: أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس. قال: وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا: الناس كانوا قدموا من سجستان فأجمعهم عامهم هذا، فأبى. قال: فلما صالح أهل خوارزم سار إلى السغد، فقال الأشقزي: لو كنت طاوحت أهل العجز ما اتسموا سبعين ألفاً وعز السغد مؤتلف

### فتح سمرقند

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفة من خوارزم سمرقند فاقتتها. ذكر الخبر عن ذلك.

قد تقدم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر علي بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مدرجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام إليه الجش بن مزاحم السلمي فقال: إن لي حاجة، فأخطني، فأخلاه، فقال: إن أردت السغد يوماً من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمته أحداً؟ قال: لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك. فأقام يومه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سر في الفرسان والمرامية، وقدم الأتقال إلى مرو، فوجهت الأتقال إلى مرو، ومضى عبد الرحمن يتبع الأتقال يريد مرو يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا أصبحت فوجه الأتقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغد، واكتم الأخبار، فإني بالآثر.

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأتقال أن يمضوا إلى مرو، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال.

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه السغد شاذرة برجها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم، وقال الله: ﴿فَمَنْ ثَكَّتْ فَأَنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، فسبروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقریطة، وقال الله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾.

قال: فأتى السغد وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفاً، وقدم عليه قتيبة في أهل خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم، فقال: إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فحصرهم شهراً، فقاتلوا في حصارهم

لا تعرض لهذه الأصنام، فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعله بيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطربت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

قال: وأخبرنا غلغل بن حمزة بن ببيض، عن أبيه، قال: حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدوراً عظيماً من نحاس، فقال قتيبة لحضين: يا أبا ساسان، أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور؟ قال: لا، لكن كان لغيلان قدر مثل هذه القدور، فضحك قتيبة وقال: أدركت بشارك.

قال: وقال محمد بن أبي عينية لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي: إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر إنه غدر بخوارزم وسمرقند.

قال: فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة بن ببيض قال: أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد، فقال: أترون ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هجيناً من قبل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجاج إلى الوليد، فولدت له يزيد بن الوليد.

قال: وأخبرنا بعض الباهليين، عن نهشل بن يزيد، عن عمه - وكان قد أدرك ذلك كله - قال: لما رأى غوزك إلحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان: إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب، فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل، فمهما كان عندكم من قوة فابذلوها، فنظروا في أمرهم فقالوا: إنما نؤتى من سفلتنا، وإنهم لا يجدون كوجدنا، ونحن معشر الملوك المعينون بهذا الأمر، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت، فإنه مشغول بمحاصر السغد، ففعلوا، ولوا عليهم ابناً لخاقان، وساروا وقد أجمعوا أن يبتوا العسكر، وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب، فكانوا أربعمائة، فقال لهم: إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحمتكم ومكائرتكم، كل ذلك يفلجكم الله عليهم، فاجمعوا على أن يجتالوا غرتكم وبيانتكم، واختاروا دهاقينهم وملوكهم، وأتتم دهاقين العرب وفرسانهم، وقد فضلكم الله بدنيه، فأبلاوا الله بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب، مع الذب عن أحسابكم.

قال: ووضع قتيبة عيوناً على العدو حتى إذا قربوا منه قدر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم، فكلهمم وحضهم، واستعمل عليهم صالح بن مسلم، فخرجوا من العسكر عند المغرب، فساروا، فنزلوا على فرسخين من العسكر

فرساناً ورجالاً، ورمى المدينة بالجانق، فثلم فيها ثلثة فسدها بغرائر الدخن، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشم قتيبة، وكان مع قتيبة قوم رماة، فقال لهم قتيبة: اختاروا منكم رجلين، فاختراروا، فقال: أيكما يرمي هذا الرجل، فإن أصابه فله عشرة آلاف، وإن أخطأه قطعت يده؟ فثلكا أحدهما وتقدم الآخر، فرماه فلم يخطيء عنه، فأمر له بعشرة آلاف.

قال: وأخبرنا الباهليون، عن يحيى بن خالد، عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو، قال: كنت في رماة قتيبة، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأنتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط، ما أخطأت النشاب عنه حتى خرجت من قفاه، ثم أصبحوا من غد فرموا المدينة، فثلموا فيها. وقال قتيبة: ألخوا عليها حتى تعبروا الثلثة، فقاتلوه حتى صاروا على ثلثة المدينة، ورماهم السغد بالنشاب، فوضعوا ترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عنقه، ثم يجعل حتى صاروا على الثلثة، فقالوا له: انصرف عنا اليوم حتى نصلحك غداً.

فأما باهلة فيقولون: قال قتيبة: لا نصلحهم إلا ورجلنا على الثلثة، ومجانقنا تخطر على رؤوسهم ومديتهم.

قال: وأما غيرهم فيقولون: قال قتيبة: جنز العبيد، فانصرفوا على ظفركم، فانصرفوا، فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف في كل عام، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب، على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل، فينبئ له فيه مسجد فيدخل ويصلي، ويوضع له فيها منبر فيخطب، ويتغدى ويخرج.

قال: فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة، من كل الخامسة برجلين فيقبضوا ما صالحوهم عليه، فقال قتيبة: الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم. ثم أخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً، ودخلها في أربعة آلاف انتخبهم، فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى، وأرسل إلى أهل السغد: من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه، فإنني لست خارجاً منها، وإنما صنعت هذا لكم، ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه، غير أن الجند يقيمون فيها.

قال: أما الباهليون فيقولون: صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس، وبيوت النيران وحلقة الأصنام، فقبض ما صالحهم عليه، وأتى بالأصنام فسلبت، ثم وضعت بين يديه، فكانت كالقصر العظيم حين جمعت، فأمر بتحريقها، فقالت الأعاجم: إن فيها أصناماً من حرقها هلك، فقال قتيبة: أنا أحرقتها بيدي، فجاء غوزك، فجثا بين يديه وقال: أيها الأمير إن شكرك علي واجب،

فصالحوهم.

قال: وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صغيرة، قال: رأيت خيلاً يومئذ تطاعن خيل المسلمين، وقد أمر قتيبة يومئذ بسريره فأبرز، وقعد عليه، وطاعنوه حتى جازوا قتيبة، وإنه لمحبب بسيفه ما حل حبوته، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب، فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم، وقتل من المشركين عدد كثير، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم. وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبة، فأتاه في عدد من أصحابه، فلما تغدى استوهب منه سمرقند، فقال للملك: انتقل عنها، فانتقل عنها، وتلا قتيبة: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَىٰ. وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾.

قال: وأخبرنا أبو الذبيل، عن عمر بن عبد الله التميمي، قال: حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند، قال: قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام، فقدمتها فدخلت مسجدها، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبي رجل ضريب، فسألته عن شيء من أمر الشام، فقال: إنك لغريب، قلت: أجل، قال: من أي بلد أنت؟ قلت: من خراسان قال: ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: والذي بعث محمداً بالحق ما افتحتموها إلا غدرأ، وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلبون بني أمية ملكهم، وتنقضون دمشق حجراً حجراً.

قال: وأخبرنا العلاء بن جرير، قال: بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد، فتمثل قول طرفه:

وأرتع أقوام ولولا حملنا بمخشية ردوا الجمال فقوضوا

قال: وأخبرنا خالد بن الأصصح، قال: قال الكميت:

كانت سمرقند أحقاباً يمانية فالיום تنسبها قيسية مضر

قال: وقال أبو الحسن الجشمي: فدعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد، فقال: يا نهار، أين قولك:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرور الرود وهن ضريحه وقد غيا عن كل شرق ومغرب

أفغزو هذا يا نهار؟ قال: لا، هذا أحسن، وأنا الذي أقول:

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مقسم

قال: ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو، واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم، وخلف عنده جنداً كثيفاً، وآلة من آلة الحرب كثيرة، وقال: لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا نختوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقنته، وإن وجدت معه حديدة، سكيناً فما سواه فاقنته، وإن أغلقت

على طريق القوم الذين وصفوا لهم، ففرق صالح خيله، وأكمن كميناً عن يمينه، وكميناً عن يساره، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت، وصالح واقف في خيله، فلما راوه شدوا عليه، حتى إذا اختلفت الرياح شد الكمينان عن يمين وعن شمال، فلم نسمع إلا الاعتزاء، فلم نر قوماً كانوا أشد منهم.

قال: وقال رجل من البراجم: حدثني زهير أو شعبة قال: إنا لنختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة، فقلت: كيف ترى بابي أنت وأمي! قال: اسكت دق الله فاك! قال: فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وأقمنا نحوي الأسلاب ونحتر الرؤوس حتى أصبغنا، ثم أقبلنا إلى العسكر، فلم أر جماعة قط قد جأؤوا بمثل ما جئتنا به، ما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه، وأسير في وثاقه.

قال: وجئنا قتيبة بالرؤوس، فقال: جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً. وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء، وقرن بي في الصلة والإكرام حيان العدوي وحليسا الشيباني، فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى مني، وكسر ذلك أهل السغد، فطلبوا الصلح، وعرضوا الفدية فأبى، وقال: أنا ناثر بدم طرخون، كان مولاي وكان من أهل ذمتي.

قالوا: حدث عمرو بن مسلم، عن أبيه، قال: أطال قتيبة المقام، وثلمت الثلمة في سمرقند. قال: فنادى مناد فصيح بالعربية يشتم قتيبة، قال: فقال عمرو بن أبي زهدم: ونحن حول قتيبة، فحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين، فمكننا طويلاً وهو ملح بالشتم، فجئت إلى رواق قتيبة فاطلعت، فإذا قتيبة محبب بشملة يقول كالنجاحي لنفسه: حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان! أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية، فأنصرفت إلى أصحابي، فقلت: كم من نفس أبية ستموت غداً منا ومنهم! وأخبرتهم الخبر.

قال: وأما باهلة فيقولون: سار قتيبة فجعل النهر يمينه حتى ورد بخارى، فاستنهضهم معه، وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن، وهي التي تجلب منها اللود الأربنجية، لقيهم غوزك صاحب السغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة، فكانت بينهم وقائع من غير مزاحفة، كل ذلك يظهر المسلمون، ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند، فتزاحفوا يومئذ، فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا عسكرهم، ثم كر المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم، وقتل الله من المشركين عدداً كثيراً، ودخلوا مدينة سمرقند

الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجل من جعفي:

كل يوم يحوي قتيبة نبهاً      ويزيد الأموال مالاً جديداً  
باهلي قد البس التاج حتى      شاب منه مفارق كن سودا  
دوخ السغد بالكتاب حتى      ترك السغد بالعراء فعودا  
فوليد يكي لفقد أبيه      وأب موجع يكي الوليدا  
كلما حل بلدة أو أتاهها      تركت خيله بها أخودا

قال: وقال قتيبة: هذا العدا لا عدا عيرين، لأنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد، وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل: عادي بين عيرين. ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو.

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها، وكان ضعيفاً. وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم قال: فاستضعف أهل خوارزم إياساً، وجمعوا له، فكتب عبيد الله إلى قتيبة، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً، وقال: اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة، واحلقهما، وضم إليك عبيد الله بن أبي عبيد الله، مولى بني مسلم، واسمع منه فإن له وفاءً فمضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة، فدس إلى إياس فأنذره ففتح، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه.

قال: ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم، فبلغهم ذلك، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه. وقالوا: لا نعينك، فهرب إلى بلاد الترك. وقدم المغيرة فسبى وقتل. وصالحه الباوق، فأخذ الجزية. وقدم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

### فتح طليطلة

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة.

### ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ثلاث وتسعين، فشخص إليه في رجب منها. ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري، واستخلف حين شخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف. فتلقاه، فترضاه فرضي عنه. وقبل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً - فأصاب فيها مائة سليمان

بن داود، فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به.

قال: وفيها أجذب أهل إفريقية جذباً شديداً، فخرج موسى بن نصير فاستسقى، ودعا يومئذ حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد أن ينزل قيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك فسقوا سقياً كفاهم حيناً.

### خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاج

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

### ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها:

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغه على عمر، وكتب إلى الوليد: إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجؤوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن.

فكتب الوليد إلى الحجاج: أن أشر علي برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز.

قال محمد بن عمر: خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم: أخاف أن تكون ممن نفته طيبة!

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إياه، وصب على رأسه قرية من ماء بارد. ذكر محمد بن عمر. أن أبا المليلح حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً، وصب على رأسه قرية من ماء بارد في يوم شات.

ووقفه على باب المسجد، فمكث يومه ثم مات.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عاملها في السنة التي قبلها، إلا ما كان من المدينة، فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المري، وليها - فيما قيل - في شعبان سنة ثلاث وتسعين.

وأما الواقدي فإنه قال: قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة أربع وتسعين.

وقال بعضهم: شخص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولاً في شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزا فيها، واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري. وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال.



## السنة الرابعة والتسعون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم، فقيل: إنه فتح فيها أنطاكية.

وفيهما غزا - فيما قيل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزالة، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض برج الحمام، ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية.

وفيهما كانت الرجفة بالشام.

وفيهما افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند.

## غزو الشاش وفرغانة

وفيهما غزا قتيبة شاس وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان، مدينتي فرغانة.

ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه.

ذكر علي بن محمد، أن أبا الفوارس التميمي، أخبره عن ماهان ويونس بن أبي إسحاق، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين. فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل. قال: فساروا معه إلى السغد، فوجهوا إلى الشاش، وتوجه هو إلى فرغانة، وسار حتى أتى خجندة، فجمع له أهلها. فلقوه فاقتتلوا مراراً كل ذلك يكون الظفر للمسلمين. ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم، فأوفى رجل على نسر فقال: تالله ما رأيت كالיום غرة، لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى من الانتشار لكانت الفضيحة، فقال له رجل إلى جنبه: كلا، نحن كما قال عوف بن الحرخ:

نؤم البلاد لحب اللقا ولا تنقي طائراً حيث طارا  
سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كل حال نلّقي اليسارا  
وقال سبحانه وائل يذكر قناهم بمجندة:

فل الفوارس في خجندة لدة تحت مرهفة العوالي  
هل كنت أجمعهم إذا هزموا وأقدم في قتالي  
أم كنت أضرب هامة الـ عاتني وأصبر للعوالي  
هذا وأنت قريع قـس كلها ضخم النوال  
وفضلت قيساً في الندى وأبوك في الحجج الخوالي  
ولقد تبين عدل حكـمك فيهم في كل مال  
تنت مروؤتكم ونـا غى عزكم غلب الجبال

قال: ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة، وأتاه الجنود الذين

وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها، وانصرف قتيبة إلى مرو. وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة، ووجه إليهم جهم بن زحر بن قيس، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام. وكان محمد وأدأ لجهم بن زحر، فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر، فلما ودعه جهم بكى وقال: يا جهم، إنه للفراق، قال: لا بد منه. قال: وقدم على قتيبة سنة الخامسة وتسعين.

## ولاية عثمان بن حيان المري على المدينة

وفي هذه السنة قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك. ذكر الخبر عن ولايته.

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان، فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها ليلتين بقتنا من شوال سنة أربع وتسعين، فتزل بها دار مروان وهو يقول: محلة واللّه مطعان، المغرور من غر بك. فاستقضى أبا بكر بن حزم.

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة، عن عمه قال: رأيت عثمان بن حيان أخذ رياح بن عبيد الله ومنقداً العراقي فحبسهم وعاقبهم، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر، وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد، فرائيهم في الجوامع، وأتبع أهل الأهواء، وأخذ هديصاً فقطعه، ومنحوراً - وكان من الخوارج - قال: وسمعتة يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله.

أيها الناس، إنا وجدناكم أهل غش لأمر المؤمنين في قديم الدهر وحديثه، وقد ضوى إليكم من يزيدكم خيالاً. أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق، هم والله عش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه. والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول، وما هم لهم بشيعة، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دماهم فإنني والله لا أوتي بأحد أوى أحداً منهم، أو أكرهاً منزلاً، ولا أنزله، إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله. ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح زعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشير: الشام أحب إليك أم العراق؟ فيقول: الشام أحب إلي. إني رأيت العراق داءً عضالاً، وبها فرخ الشيطان. والله لقد أعضلوا بي، وإني لأراني سافرهم في البلدان، ثم أقول: لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدل

## ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير

وفي هذه السنة قتل الحجاج سعيد بن جبير.

ذكر الخبر عن مقتله.

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع من خرج عليه. مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه، فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد.

فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان - وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هرب من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه: إن سعيداً عندك فخذ. فجاء الأمر إلى رجل تخرج، فأرسل إلى سعيد: تحول عني، فتحنى عنه، فأتى أذربيجان، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون، واعتمر فخرج إلى مكة فأقام بها، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يجرون بأسمائهم. قال: فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا: فبلغنا أن فلاناً قد أمر على مكة، فقلت له: يا سعيد، إن هذا الرجل لا يؤمن، وهو رجل سوء، وأنا أتقيه عليك، فاطعن واشخص، فقال: يا أبا حصين، قد والله فررت حتى استحييت من الله! سيحييني ما كتب الله لي. قلت: أظنك والله سعيداً كما سمتك أمك. قال: فقدم ذلك الرجل إلى مكة، فأرسل فأخذ فلان له وكلمه، فجعل يديره.

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس، قال: كتب الحجاج إلى الوليد: إن أهل النفاق والشقاق قد لجؤوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري، فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار، فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكيان، وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج، وقتل سعيد بن جبير.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الأشجعي، قال: لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلاً قريباً من الريزة، فانطلق أحد الحرسين في حاجته وبقي الآخر، فاستيقظ الذي عنده، وقد رأى رؤيا، فقال: يا سعيد، إني أبرأ إلى الله من دمك! إني رأيت في منامي، فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جبير. اذهب حيث شئت لا أطلبك أبداً، فقال سعيد: أرجو العافية وأرجو، وأبى حتى جاء ذاك، فنزلا من الغد، فأري مثلها، فقيل: أبرأ من دم سعيد، فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به.

وحجاج، وكيف؟ ولم؟ وسرعة وجيف في الفتنة، فإذا خبروا عند السيوف لم يغير منهم طائل. لم يصلحوا على عثمان، فلقى منهم الأمرين، وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة، وأنغلوا البلدان. والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم.

ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداجمهم فلم يصلحوا عليه، ووليهم رجل الناس جلدأ فبسط عليهم السيف، وأخافهم، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا، وذلك أنه خبرهم وعرفهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعاراً قط مثل الأمن، ولا رأينا حلساً قط شراً من الخوف، فالزموا الطاعة، فإن عندي يا أهل المدينة خبرة من الخلاف. والله ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعضوا على النواجذ، فإنني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فدعوا عيب الولاة، فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء. والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد.

قال: يقول القاسم بن محمد: صدق في كلامه هذا الأخير، إن الفتنة لهكذا.

قال محمد بن عمر: وحدثني خالد بن القاسم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادي عثمان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد، برئت ذمة من آوى عراقياً - وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل يقال له أبو سودة، من العباد - فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكروهاً، بلغوني ما مني، قلت: لا خير لك في الخروج، إن الله يدفع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيتي، وبلغ عثمان بن حيان فبعث أحرأساً فأخرجته إلى بيت أخي، فما قدروا على شيء، وكان الذي سعى بي عدواً، فقلت للأمير: أصلح الله الأمير! يؤتى بالباطل فلا تعاقب عليه. قال: فضرب الذي سعى بي عشرين سوطاً. وأخرجنا العراقي، فكان يصلي معنا ما يغيب يوماً واحداً، وحذب عليه أهل دارنا، فقالوا: نموت دونك! فما برح حتى عزل الخبيث.

قال محمد بن عمر: وحدثنا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، قال: إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفرقت أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم، فلم يبعثه والياً فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه، فلما فعل في أهل العراق ما فعل. وفي منحور وغيره أثبتة على المدينة، فكان يصعد على المنبر.

يارب ناكث بيعتين تركته وخضاب لحيته دم الأوداج  
وذكر عتاب بن بشر، عن سالم الأفطس، قال: أتني الحجاج  
بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب، وقد وضع إحدى رجله في  
الفرز - أو الركاب - فقال: واللّه لا أركب حتى تبوء مقعدك  
من النار، اضربوا عنقه. فضربت عنقه، فالتبس مكانه، فجعل  
يقول: قيودنا قيودنا، فظنوا أنه قال: القيود التي على سعيد بن  
جبير، فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.

قال محمد بن حاتم: حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن  
هلال بن خباب قال: جئني بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال:  
أكتبني إلى مصعب بن الزبير؟ قال: بل كتب إلي مصعب، قال:  
واللّه لأقتلك، قال: إني إذا لسعيد كما سمتني أمي! قال: فقتله،  
فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً، فكان إذا نام يراه في  
منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول: يا عدو اللّه، لم قتلني؟ فيقول:  
مالي ولسعيد بن جبير! مالي ولسعيد بن جبير!

### أخبار متفرقة

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، مات  
فيها عامة فقهاء أهل المدينة، مات في أولها علي بن الحسين عليه  
السلام، ثم عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن  
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

واستقضى الوليد في هذه السنة بالشام سليمان بن حبيب.

واختلف فيمن أقام الحج للناس في هذه السنة.

فقال أبو معشر - فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره،  
عن إسحاق بن عيسى عنه - قال: حج بالناس مسلمة بن عبد  
الملك سنة أربع وتسعين.

وقال الواقدي: حج بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز  
بن الوليد بن عبد الملك - قال: ويقال: مسلمة بن عبد الملك.

وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسري،  
وعلى المدينة عثمان بن حيان المري، وعلى الكوفة زياد بن جبر،  
وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى. وعلى البصرة الجراح بن  
عبد الله. وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة. وعلى خراسان  
قتيبة بن مسلم، وعلى مصر قرّة بن شريك، وكان العراق  
والمشرق كله إلى الحجاج.

فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه.

حدثنا أبو كريب، قال حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن  
أبي زياد مولى بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه،  
جئني به مقيداً فدخل عليه قراء أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد الله  
فحدثكم؟ قال: إي واللّه ويضحك، وهو يحدثنا، وبنية له في  
حجره، فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت، فسمعتة يقول: أي  
بنية لا تطيري، إياك - وشتى واللّه عليه - فاتبعناه نشيعه، فانتبهنا  
به إلى الجسر، فقال الحرسيان: لا نعبه به أبداً حتى يعطينا كفيلاً،  
نخاف أن يغرق نفسه. قال: قلنا: سعيد يغرق نفسه! فما عبروا  
حتى قتلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن  
سويد قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجئني بسعيد بن جبير،  
فرجعت فقلت: لأنظرن ما يصنع، فقممت على رأس الحجاج،  
فقال له الحجاج: يا سعيد، ألم أشرك في أماني! ألم أستعملك!  
ألم أفعل! حتى ظننت أنه يخلي سبيله، قال: بلى، قال: فما حملك  
على خروجك علي؟ قال: عزم علي، قال: فطار غضباً وقال:  
هيه! رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمر  
المؤمنين ولا لي عليك حقاً! اضربا عنقه، فضربت عنقه، فندر  
رأسه عليه كمة بيضاء لا طية صغيرة.

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت  
خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قتل سعيد بن جبير فندر  
رأسه لله، هلل ثلاثاً: مرة يفصح بها، وفي الثنتين يقول. مثل  
ذلك فلا يفصح بها.

وذكر أبو بكر الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شريح،  
يقول: لما أتني الحجاج بسعيد بن جبير، قال: لعن الله ابن  
النصرانية - قال: يعني خالد القسري، وهو الذي أرسل به من  
مكة - أما كنت أعرف مكانه! بلى واللّه والبيت الذي هو فيه  
بمكة. ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد، ما أخرجك علي؟ فقال:  
أصلح الله الأمير! إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب  
مرة، قال: فطابت نفس الحجاج، وتطلق وجهه، ورجا أن  
يتخلص من أمره، قال: فعاوده في شيء، فقال له: إنما كانت له  
بيعة في عنقي، قال: فغضب وانفخ حتى سقط أحد طرفي رداءه  
عن منكبيه، فقال: يا سعيد، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير، ثم  
أخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك!  
قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت  
لأمر المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية! قال: بلى، قال:  
فتنكت بيعتين لأمر المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك!  
اضربا عنقه، قال: فإياه عنى جرير بقوله:

وفيهما قتل الرضاحي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه.

وفيهما - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي.

وفيهما ولي الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصريين: الكوفة والبصرة، وولي خراجهما يزيد بن أبي مسلم.

وقيل: إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهم يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه. وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته.

وحج بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، إلا ما كان من الكوفة والبصرة، فإنهما ضمتا إلى من ذكرت بعد موت الحجاج.

## السنة الخامسة والتسعون

### ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قبل، وهي طولس، والمرزبانين، وهرقلة.

وفيهما فتح آخر الهند إلا الكيرج والمندل.

وفيهما بنيت واسط القصب في شهر رمضان.

وفيهما انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس، وضحي بقصر الماء - فيما قبل - على ميل من القيروان.

### بقية الخبر عن غزو الشاش

وفيهما غزا قتيبة بن مسلم الشاش.

ذكر الخبر عن غزوته هذه.

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد، قال: ويحدث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة الخامسة وتسعين، فغزا، فلما كان بالشاش - أو بكشماهن - أتاه موت الحجاج في شوال، فغمه ذلك، وقفل راجعاً إلى مرو، وتمثل:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر  
بحوران أسى أعلقته الجبال  
فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمت  
فما في حياة بعد موتك طائل

قال: فرجع بالناس ففرقهم، فحلف في بخارى قوماً، ووجه قوماً إلى كس وسنف، ثم أتى مرو فأقام بها، وأتاه كتاب الوليد: قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك، فالتم مغازيك، وانتظر ثواب ربك، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك، حتى كاني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت به.

### أخبار متفرقة

وفيهما مات الحجاج بن يوسف في شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة. وقيل: ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل: كانت وفاته في هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان.

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج. وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة.

وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين.

## السنة السادسة والتسعون

أم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

## ذكر الخبر عن بعض سيره

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الشامية، فقتل وقد مات الوليد.

## ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك

وفيهما كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير.

واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت عن ابن وهب عن يونس عنه: ملك الوليد عشر سنين إلا شهراً.

وقال أبو معشر فيه، ما حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر.

وقال هشام بن محمد: كانت ولاية الوليد ثمان سنين وستة أشهر.

وقال الواقدي: كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين.

واختلف أيضاً في مبلغ عمره، فقال محمد بن عمر: توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر.

وقال هشام بن محمد: توفي وهو ابن الخامسة وأربعين سنة.

وقال علي بن محمد: توفي وهو ابن الثانية وأربعين سنة وأشهر.

وقال علي: كانت وفاة الوليد بدير مران، ودفن خارج باب الصغير.

ويقال: في مقابر القرايس.

ويقال: إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة.

وقيل: صلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وكان له - فيما قال علي - تسعة عشر ابناً: عبد العزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسروق، وأبو عبيدة، وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمر، وروح، وبشر، ويزيد، ويحيى.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلانهم، بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناس وأعطى المجذمين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً. وفتح في ولايته فتوح عظام، فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند.

قال: وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب، وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن علي ديناً، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نقضي عنكم، ونصل أرحامكم على هذا.

قال: ومرض الوليد فرهفته غشية، فمكث عامة يومه عندهم ميتاً، فبكي عليه، وخرجت البرد بموته، فقدم رسول على الحجاج، فاسترجع، ثم أمر بحمل فسد في يديه، ثم أوثق إلى أسطوانة، وقال: اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له، فقد طالما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته! وجعل يدعو، فإنه لكذلك إذ قدم عليه يريد بإفاقته.

قال علي: ولما أفاق الوليد قال: ما أحد أسر بعافية أمير المؤمنين من الحجاج، فقال عمر بن عبد العزيز: ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك، وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه بروك خر لله ساجداً، وأعتق كل مملوك له، وبعث بقوارير من أنبيج الهند فما لبث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بما قال.

قال: ثم لم يمض الحجاج حتى ثقل على الوليد، فقال خادماً للوليد: إني لأؤضي الوليد يوماً للغداء، فمد يده، فجعلت أصب عليه الماء، وهو ساوٍ والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم، ثم نضح الماء في وجهي، وقال: أنا عس أنت! ورفع رأسه إلي وقال: ما تدري ما جاء الليلة؟ قلت: لا، قال: ويحك! مات الحجاج!

الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه، فأمر الناس بالتأهب، وأمر بحجره فأخرجت، فمرض، ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك.

قال عمر: قال علي: وأخبرنا أبو عاصم الزياتي عن الهلوات الكلبي، قال: كنا بالهند مع محمد بن القاسم، فقتل الله داهراً، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان، أن ازرعوا واحرقوا، فلا شأماً لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا.

قال عمر: قال علي: أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق، وكانت فيه كنيسة، فقال الوليد لأصحابه: أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم بلبنة، فجعل كل رجل يأتيه بلبنة، ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: يا أهل العراق، تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة! وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه، فقل: إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيسةكم ونهدم كنيسة توما، فإنها فتحت عنوة، بنينا مسجداً، فلما قال لهم ذلك قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد، ودعوا لنا كنيسة توما. ففعل عمر ذلك.

### فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر، وغزا الصين. ذكر الخبر عن ذلك.

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل.

قال: ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين، وحمل مع الناس عياهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواله يقال له الخوارزمي على مقطع النهر، وقال: لا يجوز أحد إلا بجواز، ومضى إلى فرغانة، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل له الطريق إلى كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين، فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة.

قال: فأخبرنا أبو الذبيل عن المهلب بن إياس، قال: قال إياس بن زهير: لما عبر قتيبة النهر أتته فقلت له: إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فتأخذ أهبة ذلك، وبني الأكابر معي، ولي عيال قد خلفتهم وأم عجوز، وليس عندهم من يقوم بأمرهم، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم علي بأهلي! فكتب، فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب

فاسترجعت. قال: أسكت ما يسر مولاك أن في يده تفاحة يشمها.

قال علي: وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع. فولي سليمان، فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري. فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟ ورثي جرير الوليد فقال:

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر فعا لدمعك بعد اليوم مدخر  
إن الخليفة قد وارت شمائله غبراء ملحدة في جوهها زور  
أضحى بنوه وقد جلست مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر  
كانوا جميعاً فلم يدفع منيته عبد العزيز ولا روح ولا عمر  
حدثني عمر: قال حدثنا علي، قال: حج الوليد بن عبد الملك، وحج محمد بن يوسف من اليمن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد: يا أمير المؤمنين، اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأييه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلي، ولا حاجة لي بها، قال: ولم؟ قالت: بلغني أنه غصبها الناس، وكلفهم عملها، وظلمهم. وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال: بلغني أنك أصبتها غصباً، قال: معاذ الله! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً بالله ما غصب شيئاً منها، ولا ظلم أحداً، ولا أصابها إلا من طيب، فحلف، فقبلها الوليد ودفعها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليمن، أصابه داء تقطع منه.

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخصوص إلى أخيه سليمان لخلعه، وأراد البيعة لابنه من بعده، وذلك قبل مرضه التي مات فيها.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز، ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه أحد إلا الحجاج وعتيبة وخواص من الناس فقال عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابتك، فكتب إلى سليمان فليقدم عليك، فإن لك عليه طاعة، فأراده على البيعة لعبد العزيز من بعده، فإنه لا يقدر على الامتناع وهو عندك، فإن أبى كان الناس عليه.

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم، فأبطأ، فاعتزم

بهينة الرجال من تلك الأولى، وهم أولئك، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم، ولبسوا البيض والمغافر، وتقلدوا السيوف. وأخذوا الرماح، وتكبوا القسي، وركبوا خيولهم، وغدوا فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين، فقبل لهم قبل أن يدخلوا: ارجعوا، لما دخل قلوبهم من خوفهم.

قال: فانصرفوا فركبوا خيولهم، واختلجوا رماحهم، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط، فلما أمسى أرسل إليهم الملك، أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلاً، فبعثوا إليه هبيرة، فقال له حين دخل عليه: قد رأيتم عظيم ملكي، وإنه ليس أحد بمنعم مني، وأنتم في بلادي، وإنما أنتم بمنزلة الببضة في كفي. وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتمكم.

قال: سل، قال: لم صنعت ما صنعت من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث؟ قال: أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فلإذا أتينا أمراءنا. وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا. فإذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا. قال: ما أحسن ما دبّرتم دهركم! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له: ينصرف، فإنني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعث عليكم من يهلككم ويهلكه، قال له: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاً! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا أجلاً إذا حضرت فآكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، قال: فما الذي يرضي صاحبك؟ قال: إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطا أرضكم، ويختم ملوككم، ويعطي الجزية، قال: فإذا أخرجه من بينه، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطوّه، ونبعث ببعض أبنائنا فيختتمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاه. قال: فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بجرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم، ففساروا فقدموا بما بعث به، فقبل قتيبة الجزية، وختم الغلّة وردد لهم، ووطئ التراب، فقال سودة بن عبد الله السلولي:

لا عيب في الوفد الذين بعثهم للصين إن سلكوا طريق المنهج  
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشا الكريم هبيرة بن مشمر  
لم يرض غير الختم في أعناقهم ورهائن دفعت بمحمل سمج  
أدى رسالتك التي استرعيته وأتاك من حنث اليمين بمخرج  
قال: فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد، فمات بقرية من فارس،

فثراه سودة، فقال:

النهر من الجانب الآخر، فالويت بيدي، فجاء قوم في سفينة فقالوا: من أنت؟ أين جوازك؟ فأخبرتهم، فقعدهم معي قوم ورد قوم السفينة إلى العامل، فأخبروه. قال: ثم رجعوا إلي فحملوني، فأنتهت إليهم وهم ياكلون وأنا جائع، فرميت بنفسي، فسألني عن الأمر، وأنا أكل لا أجيبه، فقال: هذا أعرابي قد مات من الجوع، ثم ركبتم فمضيت فأتيت مرو، فحملت أمسي، ورجعت أريد العسكر، وجاءنا موت الوليد، فانصرفت إلى مرو.

وقال: وأخبرنا أبو مخنف، عن أبيه، قال: بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر، فسبى منها سبياً، فختم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد.

قال: وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان والحكم بن عثمان، قال: حدثني شيخ من أهل خراسان. قال: وغل قتيبة حتى قرب من الصين. قال: فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشرف من معكم نجبرنا عنكم، ونسائله عن دينكم. فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم: عشرة - من أنفأ القبائل، لهم جمال وأجسام والسن وشعور وبأس، بعدما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه. فكلهم قتيبة، وفاطنهم فرأى عقولاً وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخبز والوشى واللبن من البياض والرقيق والنعال والعطر، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم، ودواب يركبونها. قال: وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً بسيط اللسان، فقال: يا هبيرة، كيف أنت صانع؟ قال: أصلح الله الأمير! قد كفت الأدب وقل ما شئت أقله. وأخذ به، قال: سيروا على بركة الله، وبالله التوفيق. لا تضعوا العمامت عنكم حتى تقدّموا البلاد، فإذا دخلتم فاعلموه أنني قد حلقت إلا أنصرف حتى أطا بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم.

قال: فساروا وعليهم هبيرة بن المشمرج، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم، فدخلوا الحمام، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً تحتها الغلال، ثم مسوا الغالية، وتدخنوا ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا عليه وعنده عظام أهل مملكته، فجلسوا، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا، فقال الملك لمن حضره: كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا: رأينا قوماً ما هم إلا نساء، ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد رائحهم إلا انتشر ما عنده.

قال: فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الرشي وعمائم الخبز والمطارف، وغدوا عليه. فلما دخلوا عليه قبل لهم: ارجعوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا: هذه الهيئة أشبه

قد استأذن عثمان أن ينাম في غد، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين، فأذن له. وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيئاً، فقال أيوب لعثمان: ألم تر إلى ما يقول هذا؟ إنما هذا منه رثاء، فقال عثمان: قد رأيت ذلك، ولست لأبي إن أرسلت إليه غدوةً ولم أجده جالساً لأجلدنه مائة، ولأحلقن رأسه ولحيته.

قال أيوب: فجاءني أمر أحبه، فعجلت من السحر، فإذا شعبة في الدار، فقلت: عجل المري، فإذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميره وعزل عثمان وحده.

قال أيوب: فدخلت دار الإمارة، فإذا ابن حيان جالس، وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد: اضرب في رجل هذا الحديد، ونظر إلى عثمان فقال:

آبروا على أدبارهم كشفاً والأمر يحدث بعده الأمر وفي هذه السنة عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق، وأمر عليه يزيد بن المهلب، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويسط عليهم العذاب.

فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: قدم صالح العراق على الخراج، ويزيد على الحرب، فبعث يزيد زياد بن المهلب على عمان، وقال له: كاتب صالحاً، وإذا كتبت إليه فابداً باسمه، وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم، وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب.

### خبر مقتل قتيبة بن مسلم

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم بخراسان.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولي عهده، ودس في ذلك إلى القواد والشعراء، فقال جرير في ذلك:

إذا قيل أي الناس خير خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع  
راؤه أحق الناس كلهم بها وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا  
وقال أيضاً جرير يحض الوليد على بيعه عبد العزيز:

إلى عبد العزيز سمت عيون الر عية إذ تحيرت الرعاء  
إليه دعت دواعيه إذا ما عماد الملك خرت والسماء  
وقال أولو الحكومة من قريش علينا البيع إن بلغ الغلاء  
وأوا عبد العزيز ولي عهد وما ظلموا بذلك ولا أسأوا

لله قبر هبيرة بن مشرج ماذا تضمن من ندى وجمال!  
وبديهة يعيا بها أبناؤها عند احتفال مشاهد الأقوال  
كان الربيع إذا السنون تسابعت والليث عند تكعكع الأبطال  
فسقت بقرية حيث أمسى قبره غري حزن بمسبل هطال  
بكت الجياد الصافنات لفقدته وبكاه كل مثقف عسال  
وبكته شعث لم يجدن مواسيا في العام ذي السنوات والإحمال

قال: وقال الباهليون: كان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرساً من جياد الخيل، واثني عشر هجيناً. لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف، فيقام عليها إلى وقت الغزو، فإذا تأهب للغزو وعسكر قيدت وأضمرت، فلا يقطع نهراً يجيل حتى تخف لحومها، فيحمل عليها من يحمله في الطلائع. وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف، ويبعث معهم رجلاً من العجم ممن يستنصحه على تلك الهجن، وكان إذا بعث بطليعة أمر بلوح فنقش، ثم يشقه شقين فأعطاه شقة، واحتبس شقة، لئلا يمثل مثلها، ويأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة، أو تحت شجرة معلومة، أو خربة، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا.

وقال ثابت قنطة العتكي يذكر من قتل من ملوك الترك:

أقر العين مقتل كاززنك وكشيز وما لاقى ييار  
وقال الكميت يذكر غزوة السغد وخوارزم:

وبعد في غزوة كانت مباركة تردى زراعة اقوام وتخصد  
نالت غمامتها فيلاً بوابلها والسغد حين دنا شؤبها البرد  
إذ لا يزال له نهب يفلته من المقاسم لا وخش ولا نكد  
تلك الفتوح التي تلبل مجبتها على الخليفة إننا معشر حشد  
لم تكن وجهك عن قوم غزوتهم حتى يقال لهم: بعداً وقد بعدوا  
لم ترض من حصنهم إن كان متمتعاً حتى يكبر فيه الواحد الصمد

### خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بوع سليمان بن عبد الملك بالخلافة، وذلك في اليوم الذي توفي فيه الوليد بن عبد الملك، وهو بالرملة.

وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة، ذكر محمد بن عمر، أنه نزع من المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست وتسعين.

قال: وكان عمله على المدينة ثلاث سنين. وقيل: كانت إمرته عليها ستين غير سبع ليال.

قال الواقدي: وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم



جائزتك، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر، وهذا رسولي معك بعهد.

قال: فخرج الباهلي، وبعث معه سليمان رجلاً من عبد القيس، ثم أحد بني ليث يقال له صعصة - أو مصعب - فلما كان بجلوان تلقاهم الناس بمخلج قتبية، فرجع العبدى، ودفع العهد إلى رسول قتبية، وقد خلج، واضطرب الأمر، فدفع إليه عهده، فاستشار إخوته، فقالوا: لا يثق بك سليمان بعد هذا.

قال علي: وحديثي بعض العنبريين، عن أشياخ منهم، أن توبة بن أبي أسيد العنبري، قال: قدم صالح العراق، فوجهني إلى قتبية ليطلعني طلع ما في يده، فصحبني رجل من بني أسد، فسألني عما خرجت فيه، فكأفته أمري، فإنا لنسير إذ سنع لنا سانع، فنظر إلي رفيقي فقال: أراك في أمر جسيم وأنت تكتمي! فمضيت، فلما كنت بجلوان تلقاني الناس بقتل قتبية.

قال علي: وذكر أبو الذيال وكليب بن خلف وأبو علي الجوزجاني عن طفيل بن مرداس، وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حيان عن أخيه مقاتل بن حيان، وأبو مخنف وغيرهم: أن قتبية لما هم بالخلع استشار إخوته. فقال له عبد الرحمن: أقطع بعثاً فوجه فيه كل من تحافه، ووجه قوماً إلى مرو، وسر حتى تنزل سمرقند، ثم قل لمن معك: من أحب المقام فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء، فلا يقيم معك إلا مناصح. وقال له عبد الله: اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعه. فليس يختلف عليك رجلان. فأخذ برأي عبد الله، فخلع سليمان. ودعا الناس إلى خلعه، فقال للناس:

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فينكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة، وقد جربتم الولاة قبلي، أناكم أمية فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد فدوّم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية! لم يجب شيئاً، ولم ينكأ عدواً، ثم جاءكم بنوه بعده، يزيد، فحلّ تبارى إليه النساء، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبقة القيسي.

قال: فلم يبه أحد فغضب فقال: لا أعز الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عز ما كسرتم قرنهما، يا أهل السافلة - ولا أقول أهل العالية - يا أوباش الصدقة، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب.

يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل، بأي يومكم تفخرون؟ بيوم حربكم، أو بيوم سلمكم! فوالله لأنا أعز منكم.

فماذا تظنون بها وفيكم - جسور بالعظامم واعتلاء! فزحلفها بأزمهها إليه - أمير المؤمنين إذا تشاء فإن الناس قد مدوا إليه أكفهم وقد برح الخفاء ولو قد بايعوك وليّ عهد لقام الوزن واعتدل البناء فبايعه على خلج سليمان الحجاج بن يوسف وكتيبة. ثم هلك الوليد وقام سليمان بن عبد الملك، فخافه قتيبة.

قال علي بن محمد: أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلف، عن طفيل بن مرداس، وجبله بن فروخ، عن محمد بن عزيز الكندي. وجبله بن أبي رواد ومسلمة بن معارب، عن السكن بن قتادة، أن قتيبة لما أتاها موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان. أشفق من سليمان لأنه كان يسعى في بيعه عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج. وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان. قال: فكتب إليه كتاباً بهتته بالخلافة، ويعزيه على الوليد، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان. وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه. وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة. وقال له: ادفع إليه هذا الكتاب. فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً، فقرأه ثم ألقاه إليه، فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين.

قال: فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب، فقرأه، ثم ألقاه إلى يزيد، فدفع إليه كتاباً آخر فقرأه ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه فتمعر لونه، ثم دعا بطين فحتمه ثم أمسكه بيده.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى، فإنه قال - فيما حدثت عنه: كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب. وذكر غدره وكفره وقلة شكره، وكان في الثاني ثناء على يزيد، وفي الثالث: لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمّني لأخلعنك خلج النعل، ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. وقال أيضاً: لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعه بين مثالي من المشل التي تحته ولم يحمر في ذلك مرجوعاً.

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد. قال: ثم أمر - يعني سليمان - برسول قتيبة أن ينزل، فحول إلى دار الضيافة، فلما أمسى دعا به سليمان، فأعطاه صرة فيها دنائير، فقال: هذه

لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا، فما ترى يا أبا حفص؟ وكان يكتني بالحرب بأبي ساسان، ويقال: كنيته أبو محمد - فقال لهم حضين: مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس، وعيم أكثر الخمسين، وهم فرسان خراسان، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر، فإن أخرجتموه من الأمر أعانوا قتية، قالوا: إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الأهم، قال: لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمضرية، فانصرفوا رادين لرأي حضين، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهضمي، فأبى، وتدافعوا، فرجعوا إلى حضين، فقالوا: قد تدافعنا الرئاسة، فنحن نوليكم أمرنا، وربيع لا تخالفك، قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، قالوا: ما ترى؟ قال: إن جعلتم هذه الرئاسة في تميم تم أمركم، قالوا: فمن ترى من تميم؟ قال: ما أرى أحداً غير وكيع، فقال حيان مولى بني شيبان: إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلى بحمره، ويبدل دمه، ويتعرض للقتل، فإن قدم أمير أخذه بما جنى وكان المهناً لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع، فإنه مقدم لا يبالي ما ركب، ولا ينظر في عاقبة، وله عشيرة كثيرة تطيعه، وهو موتور يطلب قتية برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي.

فمشى الناس بعضهم إلى بعض سراً، وقيل لقتية: ليس يفسد أمر الناس إلا حيان، فأراد أن يغتاله - وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئاً - قال: فدعا قتية رجلاً فأمره بقتل حيان، وسمعه بعض الخدم، فأتى حيان فأخبره، فأرسل إليه يدعو، فحذر وغماض، وأتى الناس وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرهم، فقال: نعم، وتثمل قول الأشهب بن رميلة:

ساجني ما جنيت وإن ركني لمعتمد إلى نضد ركنين

قال: وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف، ورثسهم الحضين بن المنذر، وتيم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذى، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر - أو عبيد الله بن علي - والموالي سبعة آلاف عليهم حيان - وحيان يقال إنه من الديلم، ويقال: إنه من خراسان، وإنما قيل له نبطي للكتبة - فأرسل حيان إلى وكيع: أرايت إن كفت عنك وأعتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراج ما دمت حياً، وما دمت والياً؟ قال: نعم، فقال للعجم: هؤلاء يقاتلون على غير دين، فدعهم يقتل بعضهم بعضاً، قالوا: نعم، فبايعوا وكيعاً سراً، فأتى ضرار بن حصين قتية، فقال: إن الناس يخلفون إلى وكيع، وهم يبايعونه - وكان وكيع

يا أصحاب مسيلمة، يا بني ذميم - ولا أقول تميم - يا أهل الخور والقصف والغدر، كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان.

يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساء، تبدلتُم بآبر النحل أعنة الخيل.

يا معشر الأزد، تبدلتُم بقلوس السفن أعنة الخيل الحصن، إن هذا لبدعة في الإسلام!

والأعراب، وما الأعراب! لعنة الله على الأعراب! يا كناسة المصريين، جمعتم من منابت الشيخ والقيصوم ومنابت القفل، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتم كما تجمع قزع الخريف قلتُم كيت وكيت! أما والله إنني لابن أبيه! وأخو أخيه، أما والله لأعصبنكم عصب السلمة. إن حول الصليان الزمزمة.

يا أهل خراسان، هل تدرون من وليكم؟ وليكم يزيد بن ثروان. كاني بأمر مزجاء، وحكم قد جاءكم فغلبكم على فينكم وأظلالكم. إن ها هنا ناراً أرموها أرم معكم، ارموا غرضكم الأقصى. قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات.

إن الشام أب مرور، وإن العراق أب مكفور، حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم! يا أهل خراسان، انسبوني تحدونى عراقي الأم، عراقي الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سبلكم، فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز، فاحمدوا الله على النعمة، وسلوه الشكر والمزيد.

قال: ثم نزل فدخل منزله، فأتاه أهل بيته فقالوا: ما رأينا كالיום قط، والله ما اقتضرت على أهل العالية وهم شعارك وديارك، حتى تناولت بكراً وهم أنصارك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تيمماً وهم إخوانك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك. فقال: لما تكلمت فلم يجيني أحد غضبت، فلم أدر ما قلت، إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب، وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لامس، وأما تميم فجمل أوجب، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه، وأما الأزد فأعلاج، شرار من خلق الله، لو ملكت أمرهم لو سمتهم.

قال: فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان، وغضبت القبائل من شتم قتية، فأجمعوا على خلافه وخلعه، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد، فأتوا حضين بن المنذر فقالوا: إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة، وفيه فساد الدين والدنيا، ثم

قال المفضل بن محمد الضبي: ودفع وكيع رايته إلى عقبه بن شهاب المازني، قال: ثم رجع إلى حديثهم، قالوا: فخرج وكيع وأمر غلمانه، فقال: اذهبوا بثقلي إلى بني العم، فقالوا: لا نعرف موضعهم، قال: انظروا رعين مجموعين أحدهما فوق الآخر، فوجهما خلافة، فهم بنو العم. قال: وكان في العسكر منهم خمسمائة، قال: فنأى وكيع في الناس، فأقبلوا أرسالاً من كل وجه، فأقبل في الناس يقول:

قـرم إذا حـمل مـكروهـة شـد الشـراسيف لها والحـزيم

وقال قوم: تمثل وكيع حين خرج:

أخـن بلقـمان بـن عـاد فـجسـه أرـني سـلاحـي لـن يطـيروا بـأعـزل

واجتمع إلى قتبية أهل بيته، وخواص من أصحابه وثقاته، فيهم إياس بن بهس بن عمرو، ابن عم قتبية دنيا، وعبد الله بن والان العدوي، وناس من رهطه، بني وائل. وأناه حيان بن إياس العدوي في عشرة، فيهم عبد العزيز بن الحارث، قال: وأناه ميسرة الجدلي - وكان شجاعاً - فقال: إن شئت أتيتك برأس وكيع، فقال: قف مكانك. وأمر قتبية رجلاً، فقال: ناد في الناس، أين بنو عامر؟ فنأى: أين بنو عامر؟ فقال محض بن جزء الكلابي - وقد كان جفاهم: حيث وضعتهم، قال: ناد أذكركم الله والرحم! فنأى محض: أنت قطعته، قال: ناد لكم العتبي، فناداه محض أو غيره: لا أقالتا الله إذاً، فقال قتبية:

يا نفس صبراً على ما كان من ألم إذ لم أجد لفصول القوم أقرانا

ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها إليه، فاعتم بها، كان يعتم بها في الشدائد، ودعا ببرذون له مدرب، كان يتطير إليه في الزحوف، فغرب إليه ليركبه، فجعل يقمص حتى أعياه، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعده عليه وقال: دعوه، فإن هذا أمر يراد. وجاء حيان النبطي في العجم، فوقف وكتيبة واجد عليه، فوقف معه عبد الله بن مسلم، فقال عبد الله لحيان: احمل على هذين الطرفين، قال: لم يأن لذلك، فغضب عبد الله، وقال: ناولني قوسي، قال حيان: ليس هذا يوم قوس، فأرسل وكيع إلى حيان: أين ما وعدتني؟ فقال حيان لابنه: إذا رأيته قد حولت قلنسوتي، ومضيت نحو عسكر وكيع، فمل بمن معك في العجم إلي. فوقف ابن حيان مع العجم، فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع، فكبر أصحابه. وبعث قتبية أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بني ضبة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الخرنوب، ويقال: بل رماه رجل من بلعم فأصاب هامته - فحمل إلى كتيبة ورأسه مائل، فوضع في مصلاه، فتحول كتيبة فجلس عنده ساعة، ثم تحول إلى سريره.

قال: وقال أبو السري الأزدي: رمى صالحاً رجلاً من بني

يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده - فقال عبد الله: هذا يمسد وكيعاً، وهذا الأمر باطل، هذا وكيع في بيبي يشرب ويسكر ويسلح في ثيابه، وهذا يزعم أنهم يبايعونه. قال: وجاء وكيع إلى كتيبة فقال: احذر ضراراً فلاني لا آمنه عليك، فانزل كتيبة ذلك منهما على التحاسد. ومعارض وكيع، ثم إن كتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سراً، فتيين لكتيبة أن الناس يبايعونه، فقال لضرار: قد كنت صدقتني، قال: إنني لم أخبرك إلا بعلم، فانزلت ذلك مني على الحسد، وقد قضيت الذي كان علي، قال: صدقت. وأرسل كتيبة إلى وكيع يدعوه فوجده رسول كتيبة قد طلى على رجله مغرة، وعلى ساقه خرزاً وودعاً، وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله، فقال له: أجب الأمير، قال: قد ترى ما برجلي، فرجع الرسول إلى كتيبة فأعاده إليه، قال: يقول لك: اتني محمولاً على سرير، قال: لا أستطيع. قال كتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل - وكان على شرطته - ورجل من غني انطلقا إلى وكيع فأتيا به. فلان أبى فاضربا عنقه، ووجهه معهما خيلاً، ويقال: كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي.

قال علي: قال أبو الذبيل: قال ثمامة بن ناجذ العدوي: أرسل كتيبة إلى وكيع من يأتيه به، فقلت: أنا أتيتك به أصلحك الله! فقال: اتني به، فأتيت وكيعاً - وقد سبق إليه الخبر أن الخيل تأتيه - فلما رأيته قال: يا ثمامة، ناد في الناس، فناديت، فكان أول من أتاه هريم بن أبي طحمة في ثمانية.

قال: وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني: أرسل كتيبة إلى وكيع. فقال هريم: أنا أتيتك به، قال: فانطلق. قال هريم: فركبت برذوني مخافة أن يرذني، فأتيت وكيعاً وقد خرج.

قال: وقال كليب بن خلف: أرسل كتيبة إلى وكيع شعبة بن ظهير أحد بني صخر بن نهشل، فأتاه، فقال: يا ابن ظهير:

لبث قليلاً تلحق الكتاب

ثم دعا بسكين فقطع خرزاً كان على رجله، ثم لبس سلاحه، وتمثل:

شدوا علي سرتي لا تنقلب يوم لهمدان ويوم للصدف  
وخرج وحده، ونظر إليه نسوة فقلن: أبو مطرف وحده، فجاء هريم بن أبي طحمة في ثمانية، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العجفي.

قال حمزة بن إبراهيم وغيره: إن وكيعاً خرج فتلقيه رجل، فقال: ممن أنت؟ قال: من بني أسد، قال: ما اسمك؟ قال: ضرغامة، قال: ابن من؟ قال: ابن ليث، قال: دونك هذه الراية.

ضبة فأنقله، وطعنه زياد بن عبد الرحمن الأزدي، من بني شريك بن مالك.

قال: وقال أبو مخنف: حمل رجل من غني على الناس فرأى رجلاً جحفلاً فشبهه بهم بن زحر بن قيس فطعنه، وقال:

إن غنياً أهل عز ومصداق إذا حاربوا والناس مفتنوناً

فإذا الذي طعن عليّ. وتهايج الناس، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم، فرماه أهل السوق والغوءاء، فقتلوه، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتبية ودوابه، ودنوا منه، فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل، فقال له قتبية: انج بنفسك، فقال له: بش ما جزيتك إذا، وقد أطعمتني الجردق والبستي الرمق!

قال: فدعا قتبية بدابة، فأتي ببرزون فلم يقر لركبه، فقال: إن له لشاناً فلم يركبه. وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط، فخرج إياس بن بيهس وعبد الله بن والان حين بلغ الناس الفسطاط وتركوا قتبية. وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمراً - أو عمر - فلقية الطائي فحذره، ووجد ابنه فأردفه. قال: وفطن قتبية للبهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه، فقال:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده وماني

قال: وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحسين وعبد الكريم، بنو مسلم، وقتل ابنه كثير بن قتبية وناس من أهل بيته، ونجا أخوه ضرار، استنفذه أخواله، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة.

وقال قوم: قتل عبد الكريم بن مسلم بقروين.

وقال أبو عبيدة: قال أبو مالك: قتلوا قتبية سنة ست وتسعين، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً، فصلبهم وكيع، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم: قتبية، وعبد الرحمن، وعبد الله الفقير، وعبيد الله وصالح، وبشار، ومحمد بن مسلم، وكثير بن قتبية، ومغلس بن عبد الرحمن، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو - وكان عامل الجوزجان - وضرار، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، ففجأ أخواله فدفعوه حتى نحوه، ففي ذلك يقول الفرزدق:

عشية ما ودا بن غرة أنه له من سوانا إذ دعا أبوان  
وضرب إياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو -  
على ترقوته فعاش. قال: ولما غشى القوم الفسطاط قطعوا  
أطنا به. قال زهير: فقال جهم بن زحر لسعد: انزل، فحز رأسه،  
وقد أثنى جراحاً، فقال: أخاف أن تجرح الخيل، قال: تخاف وأنا  
إلى جنبك! فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط، فاحتز رأسه، فقال

حذين بن المنذر:

وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج  
عشية جثا بابن زحر وجثتم بأدغم مرقوم الذراعين ديزج  
أصم غداني كان جينه لطاخة نقس في أديم مجمع

قال: فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد بن خديعة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، فحبس عمال يزيد، وحبس فيهم بن زحر الجعفي، وعلى عذابه رجل من باهلة، فقبل له: هذا قاتل قتبية، فقتله في العذاب، فلما سعيد، فقال: أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبتة فأتى علي أجله.

قال: وسقطت على قتبية يوم قتل جارية له خوارزمية، فلما قتل خرجت، فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب، فهي أم خليدة.

قال علي: قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان: لما قتل قتبية سعد عمارة بن جينة الرياحي المثير تكلم فأكثر، فقال له وكيع: دعنا من قدرك وهذرك، ثم تكلم وكيع فقال: مثلي ومثل قتبية كما قال الأول:

من ينك العير ينك نياكا

أراد قتبية أن يقتلي وأنا قتال.

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين ومن المثين  
حتى إذا شبت وشيوني خلوا عناني وتكبونني  
أنا أبو مطرف.

قال: وأخبرنا أبو معاوية، عن طلحة بن إياس، قال: قال وكيع يوم قتل قتبية:

أنا ابن خندف تمنيتي قاتلها للصلحات وعمي قيس عيلانا  
ثم أخذ بلحيته ثم قال:

شيخ إذا حمل مكروهة شد الشراسيف لها والخزيم  
والله لأتلن، ثم لأتلن، ولأصلن، ثم لأصلن، إني والغ  
دماً، إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم،  
والله ليصيرن القفيز في السوق غداً بأربعة أو لأصلبهن، صلوا  
على نبيكم. ثم نزل.

قال علي: وأخبرنا الفضل بن محمد وشيخ من بني غميم، ومسلمة بن محارب، قالوا: طلب وكيع رأس قتبية وخاتمه، فقبل له: إن الأزد أخذته، فخرج وكيع وهو يقول: ده درين، سعد القين:

في أي يومئ من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يسوم قدر  
لا خير في أحزم جباد القرع في أي يسوم لم أرفع ولم أرفع

ليس عليه القتل، إنما عليه الحد، قال: لا أعاقب بالسياط، ولكنني أعاقب بالسيف، فقال نهار بن توسة:

وكنا نكسي من الباهلي فهذا الغداسي شر وشر  
وقال أيضاً:

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم تجبر عممناه غضبا مهندا  
وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع:

ومنا الذي سل السيوف وشامها عشية باب القصر من فرغان  
عشية لم تمنع بينها قبيلة بعز عراقي ولا ييمان  
عشية ما ود ابن غراء أنه له من سوانا إذ دعا أبوان  
عشية لم تستر هوازن عامر ولا غطفان عورة ابن دخان  
عشية ود الناس أنهم لنا عبيد إذ الجمعان يضطربان  
راوا جبلاً يعلو الجبال إذا التقت رؤوس كبيرين يتطححان  
رجال على الإسلام إذ ما تمجدوا على الدين حتى شاع كل مكان  
وحتى دعا في سور كل مدينة مناد ينادي فوقها بأذان  
سبجزي وكيعاً بالجماعة إذ دعا إليها سيف صارم وبنان  
جزء بأعمال الرجال كما جرى يسدر وبالسرموك في جنان  
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً:

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل نعيم لأفعدت كل قائم  
وقال علي: أخبرنا خريم بن أبي يحيى، عن بعض عمومته  
قال: أخبرني شيوخ من غسان قالوا: إننا لبثينة العقاب إذ نحن  
برجل يشبه الفيوج معه عصاً وجراب، قلنا: من أين أقبلت؟  
قال: من خراسان، قلنا: فهل كان بها من خبر؟ قال نعم، قتل  
قتبية بن مسلم أمس، فتعجبنا لقوله، فلما رأى إنكارنا ذلك قال:  
أين تروني الليلة من إفريقية؟ ومضى واتبعناه على خيولنا، فإذا  
شيء يسبق الطرف. وقال الطرماح:

لولا فوارس مذحج ابنه مذحج والأزد زعزع واستنبح العسكر  
وتقطعت بهم البسلا ولم يؤب منهم إلى أهل العراق غبر  
واستضلعت عقد الجماعة وازدري أمر الخليفة واستحل التكر  
قوم هم قتلوا قتبية عنوة والخييل جائحة عليها العثير  
بالمرج مرج الصين حيث تبينت مضر العراق من الأعز الأكبر!  
إذ حالف جزعاً ربيعة كلها وتفرقت مضر ومن يتمضر  
وتقدمت أزد العراق ومذحج للموت يجمعها أبوها الأكبر  
قحطان تضرب رأس كل مدحج تحمي بصائثره إذ لا تبصر  
والأزد تعلم أن تحس لوائها ملكاً قراسية وموت أهر  
فبعرنا نصر النبي محمد وبنا تبنت في دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي:

كان أبا حفص قتبية لم يسر بجيش إلى جيش ولم يعمل منبرا

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس،  
أو يذهب براسي مع رأس قتبية. وجاء بخشب فقال: إن هذه  
الخيال لا يد لها من فرسان - يتهدد بالصلب - فقال له حضين: يا  
أبا مطرف، تؤتي به فاسكن. وأتى حضين الأزد فقال: أحق  
أنتم! بايعناه وأعطيناه المقادة، وعرض نفسه، ثم تأخذون الرأس!  
أخرجوه لعنه الله من رأس! فجاؤوا بالرأس فقالوا: يا أبا  
مطرف، إن هذا هو احتزه، فاشكمه، قال: نعم، فأعطاه ثلاثة  
آلاف، وبعث بالرأس مع سليل بن عبد الكريم الحنفي ورجال  
من القبائل وعليهم سليل، ولم يبعث من بني نعيم أحداً.

قال: قال أبو الذئبال: كان فيمن ذهب بالرأس أنيف بن  
حسان أحد بني عدي.

قال أبو مخنف: وثى وكيع لحيان النبطي بما كان أعطاه.  
قال: قال خريم بن أبي يحيى، عن أشياخ من قيس، قالوا: قال  
سليمان للذهيل بن زفر حين وضع رأس قتبية ورؤوس أهل بيته  
بين يديه: هل ساءك هذا يا ذهيل؟ قال: لو ساءني ساء قوماً  
كثيراً، فكلمه خريم بن عمرو والقعقاع بن خليل، فقال: ائذن في  
دفن رؤوسهم، قال: نعم، وما أردت هذا كله.

قال علي: قال أبو عبد الله السلمي، عن يزيد بن سويد،  
قال: قال رجل من عجم أهل خراسان: يا معشر العرب، قتلتم  
قتبية، والله لو كان قتبية منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكننا  
نستفتح به إذا غزونا، وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتبية،  
إلا أنه قد غدر، وذلك أن الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلهم  
في الله.

قال: وقال الحسن بن رشيد: قال الإصمعيدي لرجل: يا  
معشر العرب، قتلتم قتبية ويزيد وهما سيدا العرب! قال: فأيهما  
كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال: لو كان قتبية بالمغرب بأقصى  
جحر به في الأرض مكبلاً بالديد، ويزيد معنا في بلادنا وال علينا  
لكان قتبية أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد.

قال علي: قال المفضل بن محمد الضبي: جاء رجل إلى قتبية  
يوم قتل وهو جالس، فقال: اليوم يقتل ملك العرب - وكان  
قتبية عندهم ملك العرب - فقال له: اجلس.

قال: وقال كليب بن خلف: حدثني رجل ممن كان مع  
وكيع حين قتل قتبية، قال: أمر وكيع رجلاً فنادى: لا يسلمن  
قتيل، فمر ابن عبيد الهجري على أبي الحجر الباهلي فسلمه، فبلغ  
وكيعاً فضرب عنقه.

قال أبو عبيدة: قال عبد الله بن عمر، من تيم اللات:  
ركب وكيع ذات يوم، فأتوه بسكران، فأمر به فقتل، فقيل له:

ولم تخفق الرايات والقوم حوله وقوف ولم يشهد له الناس عسكرياً  
دعته النابيا فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عفاً مطهراً  
فما رزى الإسلام بعد محمد بمثل أبي حفص فبكيه غيرها  
- يعني أم ولد له.

وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة:

الم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر  
نقود تقيماً والموالي ومذحجاً وأزد وعبد القيس والحبي من بكر  
نقتل من شتنا بعزة ملكنا ونجبر من شتنا على الخسف والقسر  
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم أستا والمقربات بنا تحجري  
وكم من حصون قد أبحنا منيعه ومن بلد سهل ومن جبل وعمر  
ومن بلدة لم يفرها الناس قبلنا غزونا نقود الحيل شهراً إلى شهر  
مرئ على الغزو الجرور ووقرت على الفرحتى ما تهال من النفر  
وحتى لو أن النار شبت وأكرهت على النار خاضت في الوغى لهب الجمر  
تلاعب أطراف الأسنة والقنا بلباتها والموت في لجج خضر  
بهن أبحنا أهل كل مدينة من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر  
ولو لم تعجلنا النابيا لجاوزت بنا رذم ذي القرنين ذا الصخر والقطر  
ولكن آجالاً قضين ومدة تناهى إليها الطييون بنو عمرو

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد  
الله القسري عن مكة، وولاهها طلحة بن داود الحضرمي.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة،  
ففتح حصناً يقال له حصن عوف.

وفي هذه السنة توفي قرّة بن شريك العبسي وهو أمير  
مصر في صفر في قول بعض أهل السير.

وقال بعضهم: كان هلاك قرّة في حياة الوليد في سنة  
الخامسة وتسعين في الشهر الذي هلك فيه الحجاج.

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن  
حزم الأنصاري، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن  
إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن  
عمرو بن حزم، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن  
أسيد، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى  
خراجها صالح بن عبد الرحمن. وعلى البصرة سفيان بن عبد الله  
الكندي من قبل يزيد بن المهلب، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن  
بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى  
حرب خراسان وكيع بن أبي سود.

## السنة السابعة والتسعون

## ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة، فافتتح حصن المرأة.

وفيهما غزا - فيما ذكر الراقي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية.

وفيهما غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم، فشتا بها.

وفيهما قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد القهري.

## ولاية يزيد بن المهلب على خراسان

وفيهما وألى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان.

## ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان.

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أنقضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حارب العراق والصلاة وخراجها.

فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف: أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه، فقال: إن العراق قد أخربها الحجاج، وأنا اليوم رجاء أهل العراق، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني. فأتى يزيد سليمان فقال: أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه، فتكون أنت تأخذه به؟ صالح بن عبد الرحمن، مولى بني تميم. فقال له: قد قبلنا رأيك، فأقبل يزيد إلى العراق.

وحدثني عمر بن شبة، قال: قال علي: كان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد، فنزل واسطاً. قال علي: فقال عباد بن أيوب: لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه، فقبل لصالح: هذا يزيد، وقد خرج الناس يتلقونه، فلم يخرج حتى قرب يزيد من المدينة، فخرج صالح، عليه دراعة ودبوسية صفراء صغيرة، بين يديه أربعمائة من أهل الشام، فلقي يزيد فسايره، فلما دخل المدينة قال

له صالح: قد فرغت لك هذه الدار - فأشار له إلى دار - فنزل يزيد، ومضى صالح إلى منزله. قال: وضيع صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً، واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها، فأخذها صالح، فقال له يزيد: اكتب ثمنها علي، واشتري متاعاً كثيراً، وصك صكاً إلى صالح لباعتها منه فلم ينفذه، فرجعوا إلى يزيد، فغضب وقال: هذا عملي بنفسي، فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد، فجلس وقال ليزيد: ما هذه الصكاك؟ الخراج لا يقوم لها، قد أنفدت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف، وعجلت لك أرزاقك، وسألت مالاً للجند، فأعطيتك، فهذا لا يقوم له شيء، ولا يرضى أمير المؤمنين به، وتؤخذ به! فقال له يزيد: يا أبا الوليد، أجز هذه الصكاك هذه المرة، وضاحكه. قال: فإني أجيزها، فلا تكثر علي، قال: لا.

قال علي بن محمد: حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التيمي والطفيل بن مرداس العمي وأبو حفص الأزدي عن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن الأزدي وزهير بن هنيد وغيرهم - وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض، فآلفت ذلك - أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد بن المهلب العراق ولم يوله خراسان، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق: كيف أنت يا عبد الملك إن وليتكم خراسان؟ قال: يجذني أمير المؤمنين حيث يحب، ثم أعرض سليمان عن ذلك. قال: وكتب عبد الملك بن المهلب إلى جرير بن يزيد الجهضمي وإلى رجال من خاصته: إن أمير المؤمنين عرض علي ولاية خراسان. فبلغ الخبر يزيد بن المهلب، وقد ضجر بالعراق، وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن، فليس يصل معه إلى شيء، فدعا عبد الله بن الأهم، فقال: إنني أريدك لأمر قد أمني، فأحب أن تكفيني، قال: مرني بما أحببت، قال: أنا فيما ترى من الضيق، وقد أضجرتني ذلك، وخراسان شاذرة برجلها، وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب، فهل من حيلة؟ قال: نعم، سرحني إلى أمير المؤمنين، فإني أرجو أن أتيك بعهدك عليها، قال: فآتكم ما أخبرتكم به. وكتب إلى سليمان كتابين: أحدهما يذكر له فيه أمر العراق، وأثنى فيه على ابن الأهم وذكر له عمله بها، ووجه ابن الأهم وحمله على البريد، وأعطاه ثلاثين ألفاً. فسار سبعا، فقدم بكتاب يزيد على سليمان، فدخل عليه وهو يتغذى، فجلس ناحية، فأتى بدجاجتين فاكلهما.

قال: فدخل ابن الأهم فقال له سليمان: لك مجلس غير هذا تعود إليه. ثم دعا به بعد ثلاثة، فقال له سليمان: إن يزيد بن

سليمان يزيد بن المهلب على حرب العراق، وأمره إن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع بدأ من طاعة، أن يقيد وكيعاً به. فغدر يزيد، فلم يعط عبد الله بن الأهمم ما كان ضمن له، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع.

رجع الحديث إلى حديث علي.

قال علي: أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني، قال: وجه يزيد ابنه مخلد إلى خراسان فقدم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العنكي، ثم الصنابحي، حين دنا من مرو، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن ألقني، فأبى، فأرسل إليه عمرو، يا أعرابي أحمق جلفاً جافياً، انطلق إلى أميرك فتلقه. وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلداً، وتناقل وكيع عن الخروج، فأخرجوه عمرو الأزدي، فلما بلغوا مخلد نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة، فأنزلوهم، فلما قدم مرو حبس وكيعاً فعذبه، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه.

قال علي عن كليب بن خلف، قال: أخبرنا إدريس بن حنظلة، قال: لما قدم مخلد خراسان حبسني، فجاءني ابن الأهمم فقال لي: أتريد أن تنجو؟ قلت: نعم، قال: أخرج الكتب التي كتبها الققعاق بن خليلد العبسي وخريم بن عمرو المري إلى قتيبة في خلع سليمان، فقلت له: يا ابن الأهمم إياي تتخدد عن ديني! قال: فدعا بطومار وقال: إنك أحمق. فكتب كتاباً عن لسان الققعاق ورجال من قيس إلى قتيبة، أن الوليد بن عبد الملك قد مات، وسليمان باعث هذا المزوني على خراسان فاخلعه فقلت: يا ابن الأهمم، تهلك والله نفسك! والله لئن دخلت عليه لأعلمته أنك كتبته.

وفي هذه السنة شخص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميراً عليها، فذكر علي بن محمد، عن أبي السري المزوني الأزدي، عن عمه، قال: ولي وكيع خراسان بعد مقتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة. وقدم يزيد بن المهلب سنة سبع وتسعين.

قال علي: فذكر المفضل بن محمد عن أبيه، قال: أدنى يزيد أهل الشام وقوماً من أهل خراسان، فقال نهار بن توسعة: وما كنا نؤمل من أمير كما كنا نؤمل من يزيد فأخطأ ظننا فيه وقدماً زهدنا في معاشرته الزهيد إذا لم يعطنا نصفاً أمير مشينا نحوه مثل الأسود فهلاً يا يزيد أنب إلينا ودعنا من معاشرته العبيد نجى فلا نرى إلا صدوداً على أناس لم من بعيد ونرجع خائنين بلا نوال فما بال التجهم والصدود! قال علي: أخبرنا زياد بن الربيع، عن غالب القطان، قال:

المهلب كتب إلي يذكر علمك بالعراق وبخراسان، وبثني عليك، فكيف علمك بها؟ قال: أنا أعلم الناس بها، بها ولدت، وبها نشأت، فلي بها وبأصلها خبر وعلم. قال: ما أوحج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره في أمرها! فأشعر علي برجل أوليه خراسان، قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولي، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأيي فيه، هل يصلح لها أو لا، قال: فسمى سليمان رجلاً من قريش، قال: يا أمير المؤمنين، ليس من رجال خراسان، قال: فعبد الملك بن المهلب، قال: لا، حتى عذد رجلاً، فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سود فقال: يا أمير المؤمنين، وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدم، وليس بصاحبها مع هذا، إنه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة. قال: صدقت ويحك، فمن لها! قال: رجل أعلمه لم تسمه، قال: فمن هو؟ قال: لا أوج باسمه إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يجيرني منه إن علم، قال: نعم، سمه من هو؟ قال: يزيد بن المهلب، قال: ذاك بالعراق، والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان، قال: قد علمت يا أمير المؤمنين، ولكن تكرهه على ذلك، فيستخلف على العراق رجلاً ويسير، قال: أصبت الرأي. فكتب عهد يزيد على خراسان، وكتب إليه كتاباً: إن ابن الأهمم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه. ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى ابن الأهمم فسار سبعة، فقدم على يزيد فقال له: ما وراءك؟ قال: فاعطاه الكتاب، فقال: ويحك! أعندك خير؟ فاعطاه العهد، فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته، ودعا ابنه مخلداً فقدمه إلى خراسان. قال: فسار من يومه، ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلبي، وصير مروان بن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة، وكان أوثق إخوته عنده، ولمروان يقول أبو البهاء الإبادي:

رأيت أبا قيصة كل يوم على العلات أكرمهم طباعاً  
إذا ما هم أبوا أن يستطيعوا جسيم الأمر يحمل ما استطاعا  
وإن ضاقت صدورهم بآمر فضلتهم بذلك ندى وباعا

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في ذلك: حدثني أبو مالك أن وكيع بن أبي سود بعث بطاعته وبراس قتيبة إلى سليمان، فوقع ذلك من سليمان كل موقع، فجعل يزيد بن المهلب لعبد بن الأهمم مائة ألف على أن ينقر وكيعاً عنده، فقال: أصلح الله الأمير! والله ما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندي بدءاً من وكيع، لقد أدرك بشاري، وشفاني من عدوي، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علي حقاً، وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين، إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة، حامل في الجماعة، نابه في الفتنة، فقال: ما هو إذاً ممن نستعين به - وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع - فاستعمل



رأيت عمر بن عبد العزيز واقفاً بعرفات في خلافة سليمان، وقد حج سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد: العجب لأمر المؤمنين، استعمل رجلاً على أفضل نعر للمسلمين! فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل. أما والله ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعني يزيد والجهنية - فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة.

قال: ووصل يزيد عبد الملك بن سلام السلولي فقال:

ما زال سيك يا يزيد بحريتي حتى ارتويت وجودكم لا يتكر  
أنت الربيع إذا تكون خصاصة عاش السقيم به وعاش المقتر  
عمت سحايتهم جميع بلادكم فرووا وأغدقهم سحاب بمطر  
فسفك ربك حيث كنت غيلة رياء سحايتهم تروح وتبكر

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة حج بالناس سليمان بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وفيها عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة.

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن نافع، عن ابن أبي مليكة، قال: لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة، وكان عمله عليها ستة أشهر، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عاملها في السنة التي قبلها إلا خراسان، فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب.

وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حرملة بن عمير اللخمي أشهراً، ثم عزله وولاهها بشير بن حسان النهدي.

القسطنطينية.

## السنة الثامنة والتسعون

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

## خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه، فشتا بها وصاف.

فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى، قال: لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية، فأمر بالطعام فألقي في ناحية مثل الجبال، ثم قال للمسلمين: لا تأكلوا منه شيئاً، أغيروا في أرضهم، وازدعروا. وعمل بيوتاً من خشب، فشتا فيها، وزرع الناس، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات، ثم أكلوا من الزرع، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها، معه وجوه أهل الشام: خالد بن معدان، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي، ومجاهد بن جبر، حتى أنهاه موت سليمان فقال القائل:

تعمل مديها ومديى مسلمه

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق، وقدم مسلمة فهابه الروم، فشخص إليون من أرمينية، فقال لمسلمة: ابعث إلي رجلاً يكلمني، فبعث ابن هبيرة، فقال له ابن هبيرة: ما تعدون الأحق فيكم؟ قال: الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده، فقال له ابن هبيرة: إنا أصحاب دين، ومن ديننا طاعة أمرائنا، قال: صدقت، كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له، فأما اليوم فإنا نقاتل على الغلبة والملك، نعطيكم عن كل رأس ديناراً.

فرجع ابن هبيرة إلى الروم من غده، وقال: أبي أن يرضى، أنيته وقد تغدى وملأ بطنه ونام، فأنته وقد غلب عليه البلغم، فلم يدر ما قلت، وقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مسلمة ملكناك. فوثقوا له، فأتى مسلمة فقال: قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال، وأنتك تطاولهم ما دام الطعام عندك، ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم، فأحرقه، فقوى العدو، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان. قال: وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم

قال: وهلك ملك الروم، فأتاه إليون فأخبره، وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها، وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم إليون فملكوه، فكتب إلى مسلمة يخبره بالذي كان، ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم، وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام، وقد هيا إليون السفن والرجال، فأذن له، فما بقي في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر، حل في ليلة، وأصبح إليون محارباً، وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعب بها، فلقي الجند ما لم يلق جيش، حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق، وكل شيء غير التراب، وسليمان مقيم بدابق، ونزل الشتاء فلم يقدر يمدهم حتى هلك سليمان.

## مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد

وفي هذه السنة بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله ولي عهده.

فحدثني عمر بن شبة، عن علي بن محمد، قال: كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده.

قال: فحدثني طارق بن المبارك، قال: مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصوره من مكة، فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب، وأمسك عن يزيد وتربص به، ورجا أن يهلك، فهلك أيوب وهو ولي عهده.

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة، قال محمد بن عمر: أغارت برجان في سنة ثمان وتسعين على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس، فأمدّه سليمان بن عبد الملك بمسعدة - أو عمرو بن قيس - في جمع فمكرت بهم الصقالبة، ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيل بن عبد بن عبدة.

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس، فأصيب ناس من أهل إنطاكية، وأصاب الوليد ناساً من ضواحي الروم وأسروا منهم بشراً كثيراً.

## غزو جرجان وطبرستان

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان، فذكر هشام بن محمد، عن أبي نخف، أن يزيد بن المهلب لما قدم

لولا ابن جارية الأغرجيينه لسقيت كأساً مرة المتجرع  
ومحساك في فرسانه وخيوله حتى وردت الماء غير متنع  
ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها،  
وقطع عنهم المواد، فلما جهدوا، وعجزوا عن قتال المسلمين،  
واشتد عليهم الحصار والبلاء، بعث صول دهقان دهستان إلى  
يزيد: إني أصالحك على أن تؤمني على نفسي وأهل بيتي ومالي،  
وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها. فصالحه وقبل منه، ووفى له،  
ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي  
شيئاً لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً، وكتب بذلك  
إلى سليمان بن عبد الملك.

ثم خرج حتى أتى جرجان، وقد كانوا يصالحون أهل  
الكوفة على مائة ألف، ومائتي ألف أحياناً، وثلاثمائة ألف،  
وصاحوهم عليها، فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح، وهابوه  
وزادوه، واستخلف عليهم رجلاً من الأزد يقال له: أسد بن عبد  
الله، ودخل يزيد إلى الإصهبذ في طبرستان فكان معه الفعلة  
يقطعون الشجر، ويصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه، فنزل به  
فحصره وغلب على أرضه، وأخذ الإصهبذ يعرض على يزيد  
الصلح ويريد على ما كان يؤخذ منه، فياى رجاء افتتاحها،  
فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصرين، فأصعد في الجبل  
إليهم، وقد بعث الإصهبذ إلى الديلم، فاستجاش بهم، فاقتلوا،  
فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم، وخرج راس الديلم يسأل  
المبارزة، فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله، فكانت هزيمتهم حتى  
انتهى المسلمون إلى قم الشعب، فذهبوا ليصعدوا فيه، وأشرف  
عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة، فانهمز  
الناس من قم الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوهم  
على إتباعهم وطلبهم، وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً، حتى أخذوا  
يتساقطون في اللُهو، ويتهدى الرجل من رأس الجبل حتى  
نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبؤون بالشر شيئاً.

وأقام يزيد بمكانه على حاله، وأقبل الإصهبذ ي كاتب أهل  
جرجان ويسألهم أن يشوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادته  
والطرق فيما بينه وبين العرب، ويعددهم أن يكافئهم على ذلك،  
فوثبوا بمن كان يزيد خلف من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا  
عليه، واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب، فلم يزالوا فيه حتى  
خرج إليهم يزيد، وأقام يزيد على الإصهبذ في أرضه حتى  
صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتي ألف  
وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً، وأربعمائة رجل، على رأس كل  
رجل برنس، على البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من  
حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم. ثم

خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة، ثم أقبل إلى دهستان  
وجرجان، وبعث ابنه غلداً على خراسان، وجاء حتى نزل  
بدهستان، وكان أهلها طائفة من الترك، فأقام عليها، وحاصر  
أهلها، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل  
خراسان والري، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك  
والمطوعين، فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس، فلا يلبثهم الناس  
أن يهزمهم فيدخلون حصنهم، ثم يخرجون أحياناً فيقاتلون  
فيشتد قتالهم. وكان جهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان، وكان  
يكرهما، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له  
لسان وبأس، غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب، وكان لا يكسر  
غشيان يزيد وأهل بيته، وكأنه أيضاً حجزه عن ذلك ما رأى من  
حسن أثرهم على ابني زحر جهم وجمال. وكان إذا نادى المنادي:  
يا خيل الله اركبي وأبشري كان أول فارس من أهل العسكر يدير  
إلى موقف البأس عند الروع محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة،  
فنودي ذات يوم في الناس، فبدر الناس ابن أبي سبرة، فإنه  
لواقف على تل إذ مر به عثمان بن المفضل، فقال له: يا ابن أبي  
سبرة، ما قدرت على أن أسبقك إلى الموقف قط، فقال: وما يغني  
ذلك عني، وأنتم ترشحون غلمان مذحج، وتجهلون حق ذوي  
الأسنان والتجارب والبلاء! فقال: أما إنك لو تريد ما قبلنا لم  
نعدل عنك ما أنت له أهل.

قال: وخرج الناس فاقتلوا قتالاً شديداً، فحمل محمد بن  
أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه، فاختلفا ضربتين، فثبت  
سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة، وضربة ابن أبي سبرة فقتله،  
ثم أقبل وسيفه في يده يقطر دماً، وسيف التركي في بيضته، فنظر  
الناس إلى أحسن منظر راوه من فارس، ونظر يزيد إلى اتلاق  
السيفين والبيضة والسلاح فقال: من هذا؟ فقالوا: ابن أبي سبرة،  
فقال: لله أبوه! أي رجل هو لولا إسرافه على نفسه!

وخرج يزيد بعد ذلك يوماً وهو يرتاد مكاناً يدخل منه  
على القوم، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك -  
وكان معه وجوه الناس وفرسانهم، وكان في نحو من أربعمائة،  
والعدو في نحو من أربعة آلاف - فقاتلهم ساعة، ثم قالوا ليزيد:  
أيها الأمير، انصرف ونحن نقاتل عنك، فابى أن يفعل، وغشي  
القتال يومئذ بنفسه، وكان كأحدهم، وقاتل ابن أبي سبرة وأبنا  
زحر والحجاج بن جارية الخثعمي وجل أصحابات فأحسنوا  
القتال، حتى إذا أرادوا الإنصراف جعل الحجاج بن جارية على  
الساقة فكان يقاتل من وراءه حتى انتهى إلى الماء وقد كانوا  
عطشوا فشريوا، وانصرف عنهم العدو ولم يظفروا منهم بشيء،  
فقال سفيان بن صفوان الخثعمي:

ذلك جعلاً، ومنه، فإنه يبعث بكتائبك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه، فيتحول عن جرجان، فينزل البحيرة.

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان: إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان، فخفت إن بلغه أنني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها، فإن تحول إليها لم أقدر عليه، وهو يسمع منك ويستنصحك، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال، فاحتل له حيلة، تحبسه بجرجان، فإنه إن أقام بها ظفرت به. فلما رأى الإصهيد الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول، فبعث بالكتاب إليه، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها. وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البحيرة، فاعتزم على السير إلى الجرجان، فخرج في ثلاثين ألفاً، ومعه فيروز ابن قول، واستخلف على خراسان محمد بن يزيد، واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب، وأقبل حتى أتى جرجان - ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال محيطة بها، وأبواب ومخارم، يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد - فدخلها يزيد لم يعازه أحد، وأصاب أموالاً، وهرب المرزبان، وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة، فأناخ على صول، وتمثل حين نزل بهم:

فخر السيف وارتعشت يده - وكان بنفسه وقيت نفوس  
قال: فحاصرهم، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة. ثم ذكر من قصة جهم بن زحر وأخيه محمد نحواً بما ذكره هشام، غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة: فنشب سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة.

قال علي بن محمد، عن علي بن مجاهد عن عنبسة، قال: قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسياهم، فانقطع في يده ثلاثة أسياف.

ثم رجع إلى حديثهم، قال: فمكثوا بذلك - يعني الترك - محصورين يخرجون فيقاتلون، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر، حتى شربوا ماء الأحساء، فاصابهم داء يسمى السوداء، فوقع فيهم الموت، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح، فقال يزيد بن المهلب: لا، إلا أن ينزل على حكمي، فأبى. فأرسل إليه: إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي، على أن تؤمنني فتتزل البحيرة، فاجابه إلى ذلك يزيد، فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب، وصار مع يزيد، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً. وقال الجند ليزيد: أعطنا أرزاقنا، فدعا إدريس بن حنظلة العمي، فقال:

خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فل، ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها.

وأما غير أبي مخنف، فإنه قال في أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن كليب بن خلف وغيره، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان، فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان. ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف، فأصيب وجنده بالرويان، وهي متاخمة طبرستان فهلكوا في واد من أوديتها، أخذ العدو عليهم بمضايقه، فقتلوا جميعاً، فهو يسمى وادي مصقلة.

قال: وكان يضرب به المثل، حتى يرجع مصقلة من طبرستان، قال علي، عن كليب بن خلف العمي، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، فكانوا يجيئون أحياناً مائة ألف، ويقولون: هذا صلحنا وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك، وربما منعه، ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص.

حدثني أحمد، عن علي، عن كليب بن خلف العمي، عن طفيل بن مرداس، وبشر بن عيسى عن أبي صفوان، قال علي: وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير، وغيرهم، أن صولا التركي كان ينزل دهستان والبحيرة - جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يغير على فيروز بن قول، مرزبان جرجان، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة، فاعتزله المرزبان، فنزل البياسان، فخاف فيروز أن يغير عليه الترك، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان، وأخذ صول جرجان، فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له: ما أقدمك؟ قال: خفت صولا، فهربت منه، قال له يزيد: هل من حيلة لقتاله؟ قال: نعم شيء واحد، إن ظفرت به قتلته، أو أعطي بيده، قال: ما هو؟ قال: إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة، ثم أتته ثم فحاصرته بها ظفرت به، فاكتب إلى الإصهيد كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان، واجعل له على

آلاف، ودخل يزيد بلاد الإصبيد، فأرسل إليه يسأله الصلح، وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد ورجا أن يفتحها، فوجه أخاه أبا عيينة من وجهه، وخالد بن يزيد ابنه من وجهه، وأبى الجهم الكلبي من وجهه، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس. فسار أبو عيينة في أهل المصرين ومعه هريم بن أبي طحمة. وقال يزيد لأبي عيينة: شاور هريماً فإنه ناصح. وأقام يزيد معسكراً.

قال: واستجاش الإصبيد بأهل جيلان وأهل الدليم، فأتوه فالتقوا في سند جبل، فانهزم المشركون، وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى قم الشعب فدخله المسلمون، فصعد المشركون في الجبل، وأتبعهم المسلمون، فرماه العدو بالنشاب والحجارة، فانهزم أبو عيينة والمسلمون، فركب بعضهم بعضاً يتساقطون من الجبل، فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى عسكر يزيد، وكف العدو عن اتباعهم، وخافهم الإصبيد، فكتب إلى المرزبان ابن عم فيروز بن قول وهو بأقصى جرجان مما يلي اليباسان: إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في اليباسان من العرب. فخرج إلى أهل اليباسان والمسلمون غارون في منازلهم، قد أجمعوا على قتلهم، فقتلوا جميعاً في ليلة، فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولاً وأربعة آلاف من المسلمين لم ينج منهم أحد، وقتل من بن العم خمسون رجلاً، قتل الحسين بن عبد الرحمن وإسماعيل بن إبراهيم بن شماس. وكتب إلى الإصبيد يأخذ بالمضايق والطرق وبلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه، فأعظموا ذلك، وهالهم، ففرع يزيد إلى حيان النبطي. وقال: لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين، قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا، وقد أخذ هذا بالطرق، فأعمل في الصلح، قال: نعم، فأتى حيان الإصبيد فقال: أنا رجل منكم، وإن كان الدين قد فرق بيني وبينكم، فلاني لكم ناصح، وأنت أحب إلي من يزيد، وقد بعث يستمد، وأمداده منه قريبة، وإنما أصابوا منه طرفاً، ولست آمن أن يأتيك ما لا تقوم له، فأرج نفسك منه، وصالحه فإنك إن صالحته صير حده على أهل جرجان، بغدرهم وقتلهم من قتلوا، فصالحه على سبعمائة ألف - وقال علي بن مجاهد: على خمسمائة ألف - وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين، وأربعمائة رجل، على كل رجل برنس وطيلسان، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خز وكسوة.

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال: ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه، قال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم. وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان، وانصرف إلى جرجان، وكان يزيد قد غرم حياناً مائتي

يا ابن حنظلة، أحص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند، فدخلها إدريس، فلم يقدر على إحصاء ما فيها، فقال ليزيد: فيها ما لا أستطيع إحصاءه، وهو في ظروف، فنحصى الجواليتق ونعلم ما فيها، وتقول للجند: ادخلوا فخذوا، فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الخنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل. قال: نعم ما رأيت، فأحصوا الجواليتق عدداً، وعلموا كل جوالق ما فيه، وقالوا للجند: خذوا، فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حمل من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ، فأخذوا شيئاً كثيراً.

قال علي: قال أبو بكر الهذلي: كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب، فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة، فسأله يزيد عنها، فاتاه بها، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه، وقال لشهر: هي لك، قال: لا حاجة لي فيها، فقال القطامي الكلبي - ويقال: ستان بن مكمل النميري:

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يامن من القراء بذلك يا شهر  
أخذت به شيئاً طفيفاً وبعته من ابن جونيذ إن هذا هو العذر  
وقال مرة النخعي لشهر:

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء  
قال علي: قال أبو محمد الثقفي: أصاب يزيد بن المهلب تاجاً بجرجان فيه جوهر، فقال: أثرون أحداً يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقى سائلاً فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالا كثيراً.

قال علي: وكان سليمان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحاً قال ليزيد بن المهلب: أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة؟ فيقول ابن المهلب: ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدت قومس وأبرشهر! ويقول: هذه الفتوح ليست بشيء، الشأن في جرجان. فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان. قال: ويقال: كان يزيد بن المهلب في عشرين ومائة ألف، معه من أهل الشام ستون ألفاً.

قال علي في حديثه، عمن ذكر خبر جرجان عنهم: وزاد فيه علي بن مجاهد، عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صولاً طمع في طبرستان أن يفتحها، فاعتزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على اليباسان ودهستان، وخلف معه أربعة آلاف، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان، واستعمل على أندريستان أسد بن عمرو - أو ابن عبد الله بن الربعة - وهي مما يلي طبرستان، وخلفه في أربعة

ألف، فخاف ألا ينأصحه.

شيء قد سماه.

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه: فدعا به يزيد فقال: ما عندك؟ قال: أتريد أن تدخل وجاء بغير قتال؟ قال: نعم، قال: جعالي؟ قال: احتكم، قال: أربعة آلاف، قال: لك دية، قال: عجلوا لي أربعة آلاف، ثم أنتم بعد من وراء الإحسان. فأمر له بأربعة آلاف، وندب الناس، فانتدب ألف وأربعمائة، فقال: الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض، فاختار منهم ثلاثمائة، فوجههم، واستعمل عليهم جهم بن زحر.

وقال بعضهم: استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: إن غلبت على الحياة فلا تغلب على الموت، وإياك أن أراك عندي منهزماً، وضم إليه جهم بن زحر، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه: متى تصل إليهم؟ قال: غداً عند العصر فيما بين الصلاتين، قال: امضوا على بركة الله، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر. فساروا، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطب كان جمعه في حصاره إياهم، فصوره أكاماً، فأضرموه ناراً، فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار، فهالهم ما رأوا من كثرتها، فخرجوا إليهم. وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا، فجمعوا بين الصلاتين، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا، وسار الآخرون بقية يومهم والغد، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر، وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالكثير من ورائهم، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وركبهم المسلمون، فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن بين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندهرز - وادي جرجان - وقال: من طلبهم بثار فليقتل، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم، ولتبر يمينة، فطحن واختبز وأكل وبنى مدينة جرجان. وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي.

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال: دعا يزيد جهم بن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دلوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال: إذا وصلتكم إلى المدينة فانتظروا، حتى إذا كان في السحر فكبروا، ثم انطلقوا نحو باب المدينة، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها، فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت الساعة التي أمره

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد، عن خالد بن صبيح، قال: كنت مؤدياً لولد حيان، فدعاني فقال لي: اكتب كتاباً إلى غلد بن يزيد - وغلد يومئذ ببلخ، ويزيد بمرو - فتناولت القرطاس، فقال: اكتب: من حيان مولى مصقلة إلى غلد بن يزيد. فغمزني مقاتل بن حيان ألا تكتب، وأقبل على أبيه فقال: يا أبت تكتب إلى غلد وتبدأ بنفسك! قال: نعم يا بني، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة. ثم قال لي: اكتب، فكتبت، فبعث غلد بكتابه إلى أبيه، فأغرم يزيد حيان مائتي ألف درهم.

### فتح جرجان

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد، قال علي، عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان: ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان، فأعطى الله عهداً، لئن ظفر بهم ألا يقلع عنهم، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم، ويختبئ من ذلك الطحين، ويأكل منه، فلما بلغ المزربان أنه قد صالح الإصبهذ وتوجه إلى جرجان، جمع أصحابه وأتى وجهه، فتحصن فيها، وصاحبها لا يحتاج إلى عدة من طعام ولا شراب. وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها، وحوها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء، ولا يعرف لهم مأتى إلا من وجه واحد، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلون ويرجعون إلى حصنهم، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكيرة له.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: فخرج رجل من عسكره من طيخ يتصيد، فأبصر وعلاً يرقى في الجبل، فاتبعه، وقال لمن معه: قفوا مكانكم، ووقل في الجبل يقتص الأثر، فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم، فزجع يريد أصحابه، فخاف ألا يهتدي، فجعل يحرق قباه ويعقد على الشجر علامات، حتى وصل إلى أصحابه، ثم رجع إلى العسكر. ويقال: إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس، وكان منهوماً بالصيد، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أئيم الواشجي صاحب شرطة يزيد، فمنعوه من الدخول، فصاح: إن عندي نصيحة.

وقال هشام عن أبي مخنف: جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس، فانطلق به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد، فأعلمه، فضمن له بضمان الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على

عبد الملك، فحدثت عن علي بن محمد، قال: حدثنا علي بن مجاهد، عن شيخ من أهل الري أدرك يزيد، قال: أتى يزيد بن المهلب الري حين فرغ من جرجان، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الري، فارتجز راجز بين يديه فقال:

إن يك أيوب مضى لشانه فلإن داود لفسي مكانه  
يقيم ما قد زال من سلطانه

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالية.

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية.

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع، وقد ذكرناهم قبل، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي.

يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله. وكبر، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط فيما مضى، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدهشوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر، فقاتلوا ساعة، فدقت يد جهم، وصبر لهم هو وأصحابه، فلم يلشهم أن قتلهم إلا قليلاً. وسمع يزيد بن المهلب التكبير، فوثب في الناس إلى الباب، فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة، فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها.

قال علي في حديثه عن شيوخه، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل. وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك.

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكسرى بن قباد وكسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين، كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه. وقد صار عندي من الخامسة ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله.

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قررة مولى بني سدوس: لا تكتب بتسمية مال، فإنك من ذلك بين أمرين: إما استكثره فأمرك بحمله، وإما سحت نفسه لك به فسوغكه فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأنني بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا، ويبقى المال الذي سميت غلداً عندهم عليك في دواوينهم، فإن ولي وال بعده أخذك به، وإن ولي من يتحمل عليك لم يرض منك بأضعافه، فلا تمض كتابك، ولكن اكتب بالفتح، سله القدوم فتشافه بما أحبيت مشافهة، ولا تقصر، فإنك إن تقصر عما أحبيت أخرى من أن تكثر فأبى يزيد وأمضى. وقال: بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف.

### أخبار متفرقة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن

قال علي: وحدثنا سحيم بن حفص، قال: نظرت إلى سليمان جارية له يوماً، فقال: ما تنظرين؟ فقالت: أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فنان فنقض عمامته.

قال علي: كان قاضي سليمان سليمان بن حبيب المحاربي، وكان ابن أبي عيينة يقص عنده.

وحدثت عن أبي عبيدة، عن رؤية بن العجاج، قال: حج سليمان بن عبد الملك، وحج الشعراء معه، وحججت معهم، فلما كان بالمدينة راجعاً تلقوه بنحو من أربعمائة أسير من الروم، فقعده سليمان، وأقربهم منه مجلساً عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقدم بطريقة فقال: يا عبد الله، اضرب عنقه، فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسى سيفه فضربه فأبان الرأس، وأطن الساعد وبعض الغل، فقال سليمان: أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة، ولكن لحسبه، وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً في قراب أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسير فلم يجد سيفاً، فسدوا له سيفاً دناناً مثنياً لا يقطع، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان والقوم، وشمّت بالفرزدق بنو عبس أحوال سليمان، فالتقى السيف وأنشأ يقول، ويعتذر إلى سليمان، ويأتى بنو سيف ورقاء عن رأس خالد:

إن بك سيف خان أو قدر أتى بتأخير نفس حنفاً غير شاهد  
فسيب بني عبس وقد ضربوا به نيا بيدي ورقاء عن رأس خالد  
كذلك سيوف الهند تنبو ظبائها وتقطع أحياناً مناط القلائد

وررقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب، وخالد مكب على أبيه زهير، قد ضربه بالسيف وصرعه، فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً، فلم يصنع شيئاً، فقال ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر  
فشلت يميني يوم أضرب خالداً ويحصنه مني الحديد المظاهر  
وقال الفرزدق في مقامه ذلك:

أعجب الناس أن أضحك خيرهم خليفة الله يشسقى به المطر  
فما نبا السيف عن جين ولا دهش عند الإمام ولكن آخر القدر  
ولو ضربت على عمرو مقلده لخر جثمانه ما فوقه شعر  
وما يجعل نفساً قبل ميتها جمع الديق ولا الصمصامة الذكر

## السنة التاسعة والتسعون

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

#### وفاة سليمان بن عبد الملك

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفي - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدابق من أرض قسرين يوم الجمعة لعشر ليال يقين من صفر، فكانت ولايته ستين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفي لعشر ليال مضين من صفر. وقيل: كانت خلافته ستين وسبعة أشهر وقيل: ستين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وحدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر.

#### ذكر الخبر عن بعض سيره

حدثت عن علي بن محمد، قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولي سليمان، فإطلق الأسارى، وخلي أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيض:

حاز الخلافة والسادك كلاهما من بين سخطة ساخط أو طائع  
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جينك نور ملك الرابع  
وقال علي: قال المفضل بن المهلب: دخلت على سليمان بدابق يوم جمعة، فدعا بثياب فلبسها، فلم تعجبه، فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيد بن المهلب، فلبسها واعتصم وقال: يا ابن المهلب، أعجبتك؟ قلت: نعم، فحسر عن ذراعيه ثم قال: أنا الملك الفتي، فصلى الجمعة، ثم لم يجمع بعدها، وكتب وصيته، ودعا ابن أبي نعيم صاحب الخاتم فختمه.

قال علي: قال بعض أهل العلم: إن سليمان لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال: أنا الملك الفتي، فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً.



وقال جرير في ذلك:

سيف أبي رغوان سيف مجاشع ضرت ولم تضرب بسيف ابن ظالم  
ضربت به عند الإمام فأرعشت يدك، وقالوا يحدث غير صارم

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني، أبي قال: حدثني سليمان قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عيينة، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس، قال: شهد سليمان بن عبد الملك جنازةً بدابق، فدفنت في حقل، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول: ما أحسن هذه التربة! ما أطيبها! فما أتي عليه جمعة - أو كما قال - حتى دفن إلى جنب ذلك القبر.

### خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم.

ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني الهيثم بن واقد، قال: استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر ماضين من صفر سنة تسع وتسعين.

قال محمد بن عمر: حدثني داود بن خالد بن دينار، عن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة، يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز، ونظر في المرأة، فقال: أنا والله الملك الشاب. فخرج إلى الصلاة فصلّى بالناس الجمعة. فلم يرجع حتى وعك. فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين! إنه ما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وأنظر فيه. ولم أعزم عليه، قال: فمكث يوماً أو يومين، ثم خرقه، فدعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت: هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رايبك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أنظر من يذكر. قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً، فقال: هو والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به، قلت: رايبك. قال: فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله سليمان

أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيقطع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العباسي صاحب شرطه فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي، وأمرهم فليأبوا من وليت فيه، ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة - عهدي، فاسمعوا وأطيعوا وبأبوا لمن سميت في هذا الكتاب، فبأبوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إلي شيئاً من هذا الأمر، فانشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! قال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً، قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: لقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة، وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر، فإن كان إلي علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصر به، فأعلمني فلك الله علي إلا أذكر من ذلك شيئاً أبداً. قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسر إلي.

قال: فانصرف هشام وهو قد يش، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذا نحيت عني؟ أخرج من بيتي عبد الملك؟.

قال رجاء: ودخلت على سليمان فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته السكر من سكرات الموت حرفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يفق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، ففعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال: فحرفته ومات، فلما غمضته سجيته بقطيفة خضراء، وأغلقت الباب. وأرسلت إلي زوجته تقول: كيف أصبح؟ فقلت: نائم، وقد نغطي، فنظر الرسول إليه مغطى بالقطيفة، فرجع فأخبرها فقبلت ذلك، وظنت أنه نائم، قال رجاء: وأجلست على الباب من أتق به، وأوصيته ألا يبرح حتى آتية، ولا يدخل على الخليفة أحد.

قال: فخرجت فارسلت إلى كعب بن حامد العباسي،

## أخبار متفرقة

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقول منها بمن معه من المسلمين، ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً، وحث الناس على معونتهم، وكان الذي وجه إليه الخيل العتاق - فيما قيل - خمسمائة فرس.

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان، فقتلوا من المسلمين جماعة، ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي، فقتل أولئك الترك، فلم يفلت منهم إلا اليسير، فقدم منهم على عمر بخنصرة بمخمسين أسيراً.

وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق، ووجه على البصرة وأرضها عدي بن أرطاة الفزاري، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي، من بني عدي بن كعب، وضم إليه أبا الزناد، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن، وبعث عدي في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري.

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، وكان عامل عمر على المدينة.

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى البصرة وأرضها عدي بن أرطاة، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله. وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرة المزني، وقد ولي فيما ذكر قبله الحسن بن أبي الحسن، فشكا، فاستقضى إياس بن معاوية.

وكان على قضاء الكوفة - في هذه السنة فيما قيل - عامر الشعبي. وكان الواقدي يقول: كان الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن، والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة من قبل عدي بن أرطاة، ثم إن الحسن استعفى من القضاء عدياً، فأعفاه وولى إياساً.

فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرة ونبايع أخرى! قلت: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية، رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون! وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع، فقام يجر رجله.

قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون! حين صارت إلي؛ لكرهته إياها، والآخر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ حيث نحيت عني.

قال: وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، قال رجاء: فلما فرغ من دفنه أتني بمراكب الخلافة: البراذين والخيول والبغال ولكل دابة سائس. فقال: ما هذا! قالوا: مركب الخلافة، قال: دابتي أوفق لي، وركب دابته. قال: ففكرت تلك الدواب، ثم أقبل سائراً، فقبل: منزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد، قال رجاء: فلما كان المساء من ذلك اليوم قال: يا رجاء ادع لي كاتباً، فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرتني، صنع في المراكب ما صنع، وفي منزل سليمان، فقلت: كيف يصنع الآن في الكتاب؟ أيصنع نسخاً، أم ماذا؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة. فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه، ثم أمر بذلك الكتاب أن ينسخ إلى كل بلد.

وبلغ عبد العزيز بن الوليد - وكان غائباً - موت سليمان بن عبد الملك، ولم يعلم بيعة الناس عمر بن عبد العزيز، وعهد سليمان إلى عمر، فعقد لواء، ودعا إلى نفسه، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك، وأردت دخول دمشق، فقال: قد كان ذاك، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحد، فخفت على الأموال أن تنهب، فقال عمر: لو بيعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك، ولقعدت في بيتي، فقال عبد العزيز: ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك. وبايع عمر بن عبد العزيز. قال: فكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده.

## السنة المائة

## ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق.

## ذكر الخبر عن أمرهم:

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه، قال: خرجت حرورية بالعراق، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق يأمراه أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمهم الحرورية، فبلغ عمر، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك، فخل بينه وبينهم. فلقيهم مسلمة في أهل الشام، فلم ينشب أن أظهره الله عليهم.

## خبر خروج شوذب الخارجي

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب - واسمه بسطام بن بني يشكر - فكان يخرجهم بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمماً، أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلاً صليباً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً، وأوصه بما أمرك به. فعقد عبد الحميد لحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في الفين من أهل الكوفة، وأمره بما أمره به عمر، وكتب عمر إلى بسطام يدعوهم ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يحركه ولا يهيج، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني، فسلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا. فلم يحرك بسطام شيئاً، وكتب إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك - قال أبو عبيدة: أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب إلى عمر بمزج مولى بني شيبان، والآخر من صليبة بني يشكر - قال: فيقال: أرسل نفرأ فيهم هذان، فأرسل إليهم عمر: أن اختاروا رجلين، فاخترارواهما، فدخلا عليه فناظرهما، فقالا له:

أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك؟ قال: صبره غيري، قالوا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أترأك كنت أدبت الأمانة إلى من ائتمنك! قال: فقال: أنظراني ثلاثاً، فخرجنا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد، فدسوا إليه من سقاء سمأ، فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات.

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة.

وفيها شخص عمر بن هيرة الفزازي إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها.

## خبر القبض على يزيد بن المهلب

وفي هذه السنة حل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز.

ذكر الخبر عن سبب ذلك، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه.

اختلف أهل السير في ذلك، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فتزل واسطاً، ثم ركب السفن يريد البصرة، بعث عدي بن أرطاة إلى البصرة أميراً، فبعث عدي موسى بن الوجيه الحميري، فلحقه في نهر معقل عند الجسر، جسر البصرة فاوثقه، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فقدم به عليه موسى بن الوجيه، فدعا به عمر بن عبد العزيز - وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته، ويقول: هؤلاء جبابرة، ولا أحب مثلهم، وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول: إني لأظنه مرأياً، فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان من الرياء بعيداً. ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك، فقال: كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت، ولا بأمر أكرهه، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسك، فاتق الله وأد ما قبلك، فإنها حقوق المسلمين، ولا يسعني تركها، فرده إلى محبسه، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرجه إلى خراسان، وأقبل محمد بن يزيد من خراسان يعطي الناس، ولا يمر بكورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيمة. ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولانتك عليها، وقد ابتلينا بك، فلا تكن أشقى الناس بولانتك، علام تحبس هذا الشيخ! أنا نحمل ما عليه، فصالحني على ما إياه تسأل، فقال عمر: لا، إلا أن

تحمل جميع ما نسأله إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كانت لك بينة فخذ بها، وإن لم تكن بينة فصدق مقالة يزيد، وإلا فاستحلفه، فإن لم يفعل فصالحه. فقال له عمر: ما أجد إلا أخذه بجميع المال. فلما خرج غلغل قال: هذا خير عندي من أبيه، فلم يلبث غلغل إلا قليلاً حتى مات، فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً البسه جبة من صوف، وحمله على جمل، ثم قال: سيروا به إلى دهلك، فلما أخرج فمر به على الناس أخذ يقول: ما لي عشيرة، ما لي يذهب بي إلى دهلك! إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب، سبحان الله! أما لي عشيرة! فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني، فقال: يا أمير المؤمنين، اردد يزيد إلى محبسه، فإنني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه، فإنني قد رأيت قومه غضبوا له. فردّه إلى محبسه، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر.

وأما غير أبي مخنف فإنه قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب، ودفعه إلى من بعين التمر من الجند، فوجه عدي بن أرطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة، فلما انتهى به إلى نهر أبان، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعه منه، فوثب وكيع فانتضى سيفه، وقطع قلس السفينة، وأخذ سيف يزيد بن المهلب، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقوا، فساداهم يزيد بن المهلب، فأعلمهم بيمين وكيع، فتفرقوا ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر، ورجع وكيع إلى عدي بن أرطاة، ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز، فحبسه في السجن.

### عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان، وولاه عبد الرحمن بن نعيم القشيري، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر، قدمها سنة تسع وتسعين، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة.

ذكر سبب عزل عمر إياه.

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف، عن إدريس بن حنظلة، والمفضل عن جده، وعلي بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز، أن يزيد بن المهلب ولي جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق والياً على جرجان، فقدم الوالي عليها من العراق، فأخذه جهم فقيده وقيد رهطاً قدموا معه، ثم

وكتب عمر إلى الجراح: انظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية. فسارع الناس إلى الإسلام، فقليل للجراح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نفوراً من الجزية، فامتنحهم بالختان.

فكتب الجراح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يعثه خاتناً.

وقال عمر: ابغوني رجلاً صدوقاً، أسأله عن خراسان، فقل له: قد وجدته، عليك بأبي مجلز. فكتب إلى الجراح: أن أقبل وأحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وعلى جزيتها عبيد الله - أو عبد الله - بن حبيب.

فخطب الجراح فقال: يا أهل خراسان، جئتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي، لم أصب من مالكم إلا حلية سفي - ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه، وبغلة قد شاب وجهها - فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم، فلما قدم قال له عمر: متى خرجت؟ قال: في شهر رمضان، قال:

وكتب إلى أهل خراسان: إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرت عنهما، فإن كانا على ما تحبون فاحدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال علي: وحدثنا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم.

أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعي، وإياك أن يكون مملك ميلاً إلى غير الحق، فإن الله لا يخفى عليه خافية ولا تذهبن عن الله مذهباً، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

قال علي، عن محمد الباهلي وأبي نهيك بن زياد وغيرهما: إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشي، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف، ولها في شهر رمضان من سنة مائة، وعزل سنة الثانية ومائة، بعدما قتل يزيد بن المهلب.

قال علي: كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً.

### أول الدعوة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيان العطار خال إبراهيم بن سلمة إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته، فلقوا من لقوا، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي، فدفعوها إلى ميسرة، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً، نقيباً منهم سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريط التميمي، وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم، مولى لآل أبي معيط

قد صدق من وصفك بالجفاء، هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج! وكان الجراح يقول: أنا والله عصبي عتي - يريد من العصية..

وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر: إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم يزنون فيها نزواً، أحب الأمور إليهم أن تعودوا ليمنعوا حق الله عليهم، فليس يكفهم إلا السيف والسوط، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك. فكتب إليه عمر.

يا ابن أم الجراح، أنت أحرص على الفتنة منهم، لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ولما أراد الجراح الشخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً. وقال بعضهم: عشرة آلاف من بيت المال. وقال: هي علي سلفاً حتى أؤديها إلى الخليفة، فقدم على عمر، فقال له عمر: متى خرجت؟ قال: لأيام بقين من شهر رمضان، وعلي دين فاقضه، قال: لو أقمت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك. فادى عنه قومه في أعطيائهم.

### ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري

#### خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى، واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.

ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال - فيما ذكر علي بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان، فقيل له: أبو مجلز لاحق بن حميد. فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس، فلم يشته عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال: فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لين يحب العافية، وتأتي له، قال: الذي يحب العافية وتأتي له أحب إلي، فولاه الصلاة والحرب، وولى عبد الرحمن القشيري، ثم أحد بني الأعور بن قشير الجراح،

ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن رزيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة. وشبل بن طهمان أبو علي الهروي، مولى لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة، واختار سبعين رجلاً، فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل ما خلا عامل خراسان، فإن عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة والحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج.

## السنة الحادية والمائة

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

## خبر هرب يزيد بن المهلب من سجنه

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز.

## ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دهلك، وقيل له: إنا نخشى أن ينتزعه قومه، رده إلى محبسه، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك، لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل - كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول - فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه، فأعدوا له إيلاً، وكان مرض عمر في دير سمعان، فلما اشتد مرض عمر أمر بإياله، فأتي بها، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه، فلم يجدهم جاؤوا، فجزع أصحابه وضجروا، فقال لأصحابه: اتروني أرجع إلى السجن! لا والله لا أرجع إليه أبداً. ثم إن الإبل جاءت، فاحتمل، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكاء في شق الحمل، فمضى.

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك. فقال عمر: اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فأكفهم شره، واردد كيدَه في نحره. ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بمحدث الزقاق، وفيه الهذيل بن زفر معه قيس، فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم، فأصابوا طرفاً من ثقله وغلظه من وصفائه، فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم، فردهم فقال: ما تطلبون؟ أخبروني، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتيل؟ فقالوا: لا، قال: فما تريدون؟ إنما هو رجل كان في إسار، فخاف على نفسه فهرب.

وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر.

## خبر وفاة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز، فحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة.

وكذلك قال محمد بن عمر، حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عمرو بن عثمان، قال: مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة.

وقال هشام عن أبي مخنف: مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر. ومات بدير سمعان.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عمي الهيثم بن واقد، قال: ولدت سنة سبع وتسعين، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدايت يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين، فأصابني من قسمه ثلاثة دنابر، وتوفي بمناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة وكان شكوه عشرين يوماً، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودفن بدير سمعان.

وقد قال بعضهم: كان له يوم توفي تسع وثلاثون سنة، وخمسة أشهر.

## وقال بعضهم: كان له أربعون سنة.

وقال هشام: توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر، وكان يكنى أبا حفص وله يقول عوف القوافي، وقد حضره في جنازة شهدها معه:

أجبي أبا حفص لقيت محمداً على حوضه مستبشراً وراكاً  
فأنت امرؤ كلنا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا  
وأمة أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان يقال له: أشج بني أمية، وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته فقيل له: أشج بني أمية.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر، في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلاً.

دوابهم، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقروه بما يصل به إلى بلده.

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان: إن قتيبة غدر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فائذن لنا فليقد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطينا، فإن بنا إلى ذلك حاجة، فاذن لهم، فوجهوا منهم قوماً، فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان بن أبي السري.

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكتبتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة.

قال: فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي، ف قضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة، فقال أهل السغد: بل نرضى بما كان، ولا نحمد حرباً. وتراضوا بذلك، فقال أهل الراي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمنونا وأمانهم، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر. وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة. فتركوا الأمر على ما كان، ورضوا ولم ينازعوا.

قال: وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم. قال: فابوا وقالوا: لا يسعنا مرو. فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: اللهم إني قد قضيت الذي علي، فلا تغز بالمسلمين. فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم.

قال: وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي - وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري: إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا، وليس من تغور المسلمين ثغر أهم إلي، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفافاً لأعطيتهم فسيبيل ذلك، وإلا فاكبت إلي حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم.

قال: فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم، فكتب إلى عمر فأعلمه، فكتب إليه عمر: أن أقسم الفضل في أهل الحاجة.

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: سمعت عبد الله يقول عن محمد بن

وحدثت عن منصور بن أبي مزاحم، قال: حدثنا مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، أن عمر بن عبد العزيز رحمه دابة وهو غلام بدمشق، فأنيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فضمنته إليها، وجعلت تمسح الدم عن وجهه. ودخل أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعذله وتلومه، وتقول: ضيعت ابني، ولم تضم إليه خادماً ولا حاضناً يحفظه من مثل هذا! فقال لها: اسكتي يا أم عاصم، فطوباك إذ كان أشج بني أمية!.

### ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة، والمفضل عن جده، وعلي بن مجاهد عن خالد: أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب: أما بعد، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه، ثم قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين، ولو كانت رغبتني في اتخاذ أزواج واعتقاد أموال، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً، ومسألة غليظة، إلا ما عافى الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك.

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب، ألغاه إلى أبي عبيدة، فلما قرأه قال: لست من عماله، قال: ولم؟ قال: ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته، وليس يريد أن يسلك مسلكهم. فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا.

قال: ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان، وأقبل، فاستخلف ابنه خلداً.

قال علي: وحدثنا علي بن مجاهد، عن عبد الأعلى بن منصور، عن ميمون بن مهران، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العمل والعلم قريبان، فكن عالماً بالله عاملاً له، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا، فكان علمهم عليهم وبالاً.

قال: وأخبرنا مصعب بن حيان، عن مقاتل بن حيان، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن.

أما بعد، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين.

قال علي: أخبرنا كليب بن خلف، عن طفيل بن مرداس، قال: كتب عمر إلى سليمان بن أبي السري: أن أعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فاقروه يوماً وليلة، وتعهدوا



## زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب

## أبي جعفر إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي، قال: حدثنا رجل في مسجد الجنازة، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بمناصرة، فقال:

أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض. ألا واعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافذة بياق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان. ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين، وسيخلفها بعدكم الباقيون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين! وفي كل يوم تشيعون غداً وراثاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقضى أجله، فتغييونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسد ولا مهمد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسباب، فسكن التراب وواجه الحساب، فهو مرتين بعمله، فقير إلى ما قدم، غني عما ترك. فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء وقته. وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي، فاستغفر الله وأتوب إليه. وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سداي ولحمي، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء. وإيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته. وينهى عن معصيته.

ثم رفع طرف رداءه فبكى حتى شقق وأبكى الناس حوله، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله.

روى خلف بن تميم، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد، قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له، فكتب عامل له يعزيه عن ابنه، فقال لكاتبه: أجبه عني، قال: فأخذ الكاتب يبري القلم، قال: فقال للكاتب: أدق القلم، فإنه أبقي للقرطاس، وأوجز للحروف، واكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطننا أنفسنا عليه، فلما نزل لم ننكره، والسلام.

روى منصور بن مزاحم، قال: حدثنا شعيب - يعني ابن صفوان - عن ابن عبد الحميد، قال: قال عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دينه، فقد

طلحة، عن داود بن سليمان الجعفي، قال: كتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد، سلام عليك، أما بعد، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة استنتها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك، فإنه لا قليل من الإثم. ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، انظر الخراب فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين، ولا هدية النبروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور الفسوج، ولا أجور البيوت، ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض، فاتبع في ذلك أمري، فإني قد وليت من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب، حتى تراجعني فيه. وانظر من أراد من الذرية أن يجمع، فعجل له مائة يجمع بها، والسلام.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن شهاب بن شريعة المجاشعي، قال: ألحق عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال الذين في العطايا أقرع بينهم، فمن أصابته القرعة جعله في المائة، ومن لم تصبه القرعة جعله في الأربعين، وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم، فأعطى الزمنى خمسين خمسين. قال: وأراه رزق الفطم.

حدثني عبد الله، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الفضيل، عن عبد الله قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام.

سلام عليكم ورحمة الله، أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه، ومن علم أن الموت حق رضي باليسير، والسلام.

قال علي بن محمد: وقال أبو مجلز لعمر: إنك وضعتنا بمنقطع التراب، فاحمل إلينا الأموال. قال: يا أبا مجلز: قلبت الأمر، قال: يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك؟ قال: بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن إعطياتكم، قال: فلا أنت تحمله إلينا، ولا نحمله إليك، وقد وضعت بعضه على بعض. قال: أحمله إليكم إن شاء الله.

ومرض من ليلته فمات من مرضه. وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي، ويكنى أبا الوليد، وهو ابن تسع وسبعين.

وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ قال: فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه، وأغمض عينيه، وإنه لميت رحمه الله.

### خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكنيته أبو خالد، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد، ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، فقدهما - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء للبال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم، أنه قال: لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي، دخلت عليه، فسلمت فلم يقبل علي، فقلت: هذا شيء لا تملكه قريش للأصهار، فرجعت إلى منزلي وخفته - وكان شاباً مقداماً - فإذا هو يلغني عنه أنه يقول: ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبر، وإني لعالم بخيائته، فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه، فقلت للذي جاءني بهذا: قل له: ما الخيانة لي بعبادة، وما أحب أهلها، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً! فأتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة.

فلم يزل الأمر يترقى بينهما، حتى خاصم إليه رجل من بني فهر وآخر من بني النجار - وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري - فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم، فأحضرهما ابن الضحاك، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم، وقال: أخرج مالي من يدي، فدفعه إلى هذا النجاري، فقال أبو بكر: اللهم غفراً! أما رأيتني سألت أياً ما في أمرك وأمر صاحبك، فاجتمع لي على إخراجها من يدك، وأرسلتلك إلى من أفتاني بذلك: سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فسألتهم؟ فقال الفهري: بلى وليس يلزمي قولهما. فانكسر ابن الضحاك فقال: قوموا، فقاموا، فقال للفهري: تقر له أنك سألت من أفتاه بهذا، ثم تقول: ردها علي! أنت أرعن، اذهب فلا حق لك، فكان أبو بكر يتقيه ويخافه، حتى كلم ابن حيان يزيد أن يقبده من أبي بكر، فإنه ضربه حدين، فقال يزيد: لا أفعل، رجل اصطنعه أهل بيتي، ولكني أوليك المدينة. قال: لا أريد ذلك، لو ضربته بسلطاني لم يكن لي قوداً. فكتب

أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله، فإنها نصيحة لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظة منجية في العواقب فالزموها. الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له، فاجعلوا في الطلب، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافاً، إن أجل الدنيا في أعناقكم، وجهنم أمامكم، وما ترون ذاهب، وما مضى فكان لم يكن، وكل أموات عن قريب، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق، وبعد فراغه وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله! وعانيتم تعجيل إخراجهم، وقسمة ترائسه ووجهه مفقود، وذكره منسي، وبابه مهجور، وكان لم يخالط إخوان الحفاظ، ولم يعمر الديار، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين.

روى سهل بن محمود، قال: حدثنا حرمة بن عبد العزيز، قال: حدثني أبي، عن ابن لعمر بن عبد العزيز، قال: أمرنا عمر أن نشترى موضع قبره، فاشتريناه من الراهب، قال: فقال بعض الشعراء:

أقول لما نعى الناعون لي عمراً لا يبعثن قوام العدل والدين  
قد غادر القوم بالحد الذي لحدوا بدبر سمعان قسطاس الموازين

روى عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، قال: قال عمر بن عبد العزيز: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل، ومعمل المؤمن الصبر، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم.

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه، ولا تحدن كنيسة ولا بيت نار، ولا تجر الشاة إلى مذهبها، ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر.

روى عفان بن مسلم، عن عثمان بن عبد الحميد، قال: حدثنا أبي، قال: بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت: اشتد علزه ليلة، فسهر وسهرنا معه، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد، فقلت له: يا مرثد، كن عند أمير المؤمنين، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه. ثم انطلقنا فضرنا برؤوسنا لطول سهرنا، فلما افتتح النهار استيقظت فتوجهت إليه، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً، فأيقظته فقلت: يا مرثد، ما أخرجك؟ قال: هو أخرجني، قال: يا مرثد، أخرج عني! فوالله إنني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان، فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ

يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً.

فراسلهم وراسلوه، فقتلوه، وقتل منهم نفرأ فيهم هدبة الشكري، ابن عم بسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شبيل مقاتل بن شبان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولي يرثيهم: تركنا تيمماً في الغبار ملجأً تبكي عليه عرسه وقرائبه وقد أسلمت قيس تيمماً ومالكاً كما أسلم الشجاع أمس أقاربه وأقبل من حران يحمل رايةً ينال به أمر الله والله غالبه فيا هذب للهباج، ويا هذب للندى ويا هذب للخصم الألد يحاربه! ويا هذب كم من ملحم قد أجته وقد أسلمته للرماح جوابه وكان أبو شبان خير مقاتل يرجى ويخشى بأسه من يحاربه ففاز ولاقى الله بالخير كله وخذمه بالسيف في الله ضاربه تزود من دنياه درعاً ومفغراً وعضباً حساماً لم تخنه مضاربه وأجرده محبوك السراة كأنه إذا انقض وافى الریش حجن نخاله

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاً إليه أهلها مكان شوذب، وخوفهم منه وما قد قتل منهم، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي - وكان فارساً - فعقد له على عشرة آلاف، ووجهه إليه وهو مقيم بموضعه، فأتاه ما لا طاقة له به. فقال شوذب لأصحابه: من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة، ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا، وإنما البقاء في الدار الآخرة، فكسروا أعماد السيوف وحملوا، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً، حتى خاف الفضيحة فذمر أصحابه، وقال لهم: أمن هذه الشرمة لا أبا لكم تفرون! يا أهل الشام يوماً كأيامكم!

قال: فحملوا عليهم، فطحنوهم طحناً لم يبقوا منهم أحداً، وقتلوا بسطاماً وهو شوذب وفرسانه، منهم الريان بن عبد الله الشكري، وكان من المختبين، فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه:

ولقد فجعت بسادة وفوارس للحرب سحر من بني شبان  
إعتاقهم ريب الزمان فغالبهم وتركت فرداً غير ذي إخوان  
كعداً تجلجل في فؤادي حسرة كالنار من وجد على الريسان  
وفوارس باعوا الإله نفوسهم من يشكر عند الوغى فرسان

وقال حسان بن جعدة يرثيهم:

يا عين أذري دموعاً منك تسجاما وابكي صحابة بسطام وبسطاما  
فلن تري أبداً ما عشت مثلهم اتقى وأكمل في الأحلام أحلاما  
بسيهم قد نالوا عند شدتهم ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما  
حتى مضوا للذي كانوا له خرجوا فأورثونا منارات وأعلاما  
إني لأعلم أن قد أنزلوا غرفاً من الجنان ونالوا ثم خداما  
أسقى الإله بلاداً كان مصرعهم فيها سحاباً من الوسمي سجّاماً

أما بعد، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان، فإن كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت إليه، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه، فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فاقده منه..

فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك، فقال عبد الرحمن: ما جئت بشيء، أترى ابن حزم ضريك في أمر لا يختلف فيه! فقال عثمان لعبد الرحمن: إن أردت أن تحسن أحسنت، قال: الآن أصبت المطلب، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدين في مقام واحد، ولم يسأله عن شيء. فرجع أبو المغراء بن حيان وهو يقول: أنا أبو المغراء بن الحيان، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومي هذا، واليوم أقرب النساء!

### مقتل شوذب الخارجي

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي.

ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته في خلافه عليه، فلما مات عمر أحب - فيما ذكر معمر بن المثنى - عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب، أرسل إليه شوذب: ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم! اليس قد تواعدنا إلى أن رجع رسولا شوذب! فأرسل إليهم محمد: إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة: فقالت الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح.

قال معمر بن المثنى: فبرز لهم شوذب، فاقتلوا، فأصيب من الخوارج نفر، وأكثروا في أهل القبلية القتل، وتولوا منهزمين، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة، ولجؤوا إلى عبد الحميد، وجرح محمد بن جرير في أسته، ورجع شوذب إلى موضع فاقام ينتظر صاحبيه، فجاءه فأخبراه بما صار عليه عمر، وأن قد مات. فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة، ووجه من قبله تميم بن الحباب في الفين، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنوه ولعنوا يزيد، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه، وهزموا أصحابه، فوجه إليهم الشجاع بن وداع في الفين،

## خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خلق يزيد بن المهلب بالبصرة، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدي بن أرطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك.

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة.

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة.

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر، وبلغه هرب يزيد بن المهلب، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله، وكتب إلى عدي بن أرطاة يعلمه هربه، ويأمره أن يتهبأ لاستقباله، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته.

فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن عدي بن أرطاة أخذهم وحبسهم، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان، فقال يزيد لأصحابه: ألا نعرض لهذا فتأخذه فنذهب به معنا! فقال أصحابه: لا بل امض بنا ودعه. وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطقطانة، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب. فمشى هشام قليلاً، ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيتك به أسيراً أم أتيتك براسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتى نزل العذيب، ومر يزيد منهم غير بعيد، فأتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، ففيه يقول الشاعر:

وسار ابن المهلب لم يعرج وعرس ذو القطيفة من كنانه  
ويسار والياسر كان حزمياً ولم يقرب قصور القطقطانة

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو، وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أبو قطيفة، وإنما سمي ذا القطيفة، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر. ومحمد يقال له ذو الشامة.

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدي بن أرطاة

إليه أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. وكان عدي بن أرطاة رجلاً من بني فزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدي بن أرطاة: خذ ابني حميداً فأحبسه مكاني، وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس، ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبس - رجلاً وقتية من أهل بيته وناساً من مواليه، فخرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدي أهل البصرة، فبعث على كل الخامسة من أخماسها رجلاً، فبعث على الخامسة الأزدي المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، وبعث على الخامسة بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر، وعلى الخامسة بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة. فقال أبو منقر - رجل من قيس بن ثعلبة - إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع، فدعا عدي نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع، فعقد له على بكر بن وائل، ودعا مالك بن المنذر بن الجارود، فعقد له على عبد القيس، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي، فعقد له على أهل العالية - والعالية قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخنعم وقيس عيلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة وبالبصرة الخامسة أهل العالية، وكانوا بالكوفة أخاساً، فجعلهم زياد بن عبيد أرباعاً.

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي، واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفي في الخيل، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل، فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه، وأقبل يزيد حتى نزل داره، واختلف الناس إليه، وأخذ يبعث إلى عدي بن أرطاة أن ادفع إليّ إخواني وأنا أصالحك على البصرة، وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسني ما أحب من يزيد بن عبد الملك، فلم يقبل منه، وخرج إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أئامه من الناس، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة، فمال الناس إليه، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدي بن أرطاة حين نزع منه رايته، راية بكر بن وائل، وأعطاه ابن عمه، ومالت إلى يزيد ربعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس، فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام، وكان عدي لا يعطي إلا درهمين درهمين، ويقول: لا يجل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتي

ولكني أعلم أن بقائي بقاءك، وأن هلاكك مطلوب به من جرت به يده، إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر والنكث، فتدارك فلتشك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة، قبل أن يرمي إليك البحر بأمواله، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقبل، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين، وما لم يشخص القوم إليك فلم يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك.

فقال له يزيد: أما قولك: إن بقاءك بقائي، فلا أبقائي الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقيني إلا بقاءك، وأما قولك: إن هلاكك مطلوب به من جرت به يده، فوالله لو كان في يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم، ثم ضربت أعناقهم في صعيد واحد، لكان فراقني إياهم وخلافي عليهم أهول عندهم وأعظم في صدورهم من قتل أولئك، ثم لو شئت أن تهدر لي دماؤهم، وأن أحكم في بيوت أموالهم وأن يجوزوا لي عظيمًا من سلطانهم، على أن أضع الحرب فيما بيني وبينهم لفعلوا، فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم، لا يذكرونك ولا يحلفون بك.

وأما قولك: تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل، فوالله ما استشرتك، ولا أنت عندي بواد ولا نصيح، فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً، انطلقوا به، فلما ذهبوا به ساعة قال: ردوه فلما رد قال: أما إن حسيبي إياك إلا لحسبك بني المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نسالك التسهيل فيه عليهم، فلم تكن تألو ما عسرت وضيقك وخالفت، فكانه لهذا القول حين سمعه أمن على نفسه، وأخذ عدي يتحدث به كل من دخل عليه.

وكان رجل يقال له السميذع الكندي من بني مالك بن ربيعة من ساكني عمان يرى رأي الخوارج، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدي مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدي: قد رضينا بحكم السميذع. ثم إن يزيد بعث إلى السميذع فدعاه إلى نفسه، فأجابه، فاستعملوا يزيد على الأبله، فأقبل على الطيب والتخلق والتعيم، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة، ولحق بعضهم بالشام، فقال الفرزدق:

فدأء لقوم من تميم تسابعا إلى الشام لم يرضوا بحكم السميذع  
أحكم حروري من الدين مارق أضل وأغوى من حمار مجدع  
فاجابه خليفة الأقطع:

وما وجهها محره عن وفادة ولا نهزة يرجى بها خير مطمع

الأمر في ذلك، فقال الفرزدق في ذلك:

أظن رجال الدرهمين يسوقهم إلى الموت آجال لهم ومصارع  
فأحزمهم من كان في قعر بيته وأيقن أن الأمر لا شك واقع  
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي، فنزلوا المريد، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولد له يقال له دارس، فحمل عليهم فهزمهم، فقال الفرزدق في ذلك:

تفرقت الحمراء إذ صاح دارس ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم  
جزى الله قيساً عن عدي ملامة الا صبروا حتى تكون ملاحم

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس، حتى نزل جبانة بني يشكر - وهو المنتصف فيما بينه وبين القصر - وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام، فاقتتلوا هنيئة، فحمل عليهم محمد بن المهلب، فضرب مسور بن عباد الخطيبي بالسيف فقطع أنف البضة، ثم أسرع السيف إلى أنفه، وحمل هريم بن أبي طلحة من بني نهشل بن دارم، فاخذ بمنطقته، فحذفه عن فرسه، فوقع فيما بينه وبين الفرس، وقال: هيهات هيهات! عمك أثقل من ذلك. وانهزموا، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر، فقاتلوه وخرج إليه عدي بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودي - وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميري ثم الكلاعي، وقتل راشد المؤذن، وانهزم أصحاب عدي، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدي الأصوات تدنو، والنشاب تقع في القصر، فقال لهم عبد الملك: إنني أرى النشاب تقع في القصر، وأرى الأصوات تدنو، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر، وإنني لا آمن من مع عدي من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار، فأغلقوا الباب ثم ألغوا عليه ثياباً. ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولد ابن عمر - وكان على حرس عدي - فجاء يشد إلى الباب هو وأصحابه، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب، ثم انكروا عليه، فاخذ الآخرون يعالجون الباب، فلم يستطيعوا الدخول، وأعجلهم الناس فخلوا عنهم.

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر، وأتى بالسلايم، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر، وأتى بعدي بن أرتاة، فهنىء به وهو يتشم، فقال له يزيد: لم تضحك؟ فوالله إنه لينبغي أن يمنعك من الضحك خصلتان: إحداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها، فهذه واحدة، والأخرى أنني آتيت بك تتل كما يتلا العبد الآبق إلى أربابه، وليس معك مني عهد ولا عقد، فما يؤمنك أن أضرب عنقك! فقال عدي: أما أنت فقد قدرت علي،

ولكنهم راحوا إليها وأدبجسوا بأقرب أسنائه ترى يوم مقرر  
وهم من حذار القوم أن يلحقوا بهم لهم نزلة في كل الخامسة وأربع  
وخرج الحواري بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن  
عبد الملك هارباً من يزيد بن المهلب، فلقي خالد بن عبد الله  
القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن  
المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن  
المهلب، وكل شيء أراد، فاستقبلهما، فسألاه عن الخبر. فخلا  
بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان؟  
فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكل شيء أراد، فقال: ما  
تصنعان بيزيد شيئاً، ولا يصنعه بكما، قد ظهر على عدوه عدي  
بن أرطاة، وقتل القتلى وحبس عدياً، فأرجعا أيها الرجلان. وعمر  
رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك، فلم يقف عليهما،  
فصاحجه وسألاه، فلم يقف عليهما، فقال القسري: ألا ترد  
فتجلده مائة جلدة! فقال له صاحبه: غربه عنك، وأملا لينصرف.

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة  
آلاف فارس، جريدة خيل، حتى وافوا الحيرة ببادر إليها يزيد بن  
المهلب، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل  
الشام، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات، فاستوثق أهل  
البصرة ليزيد بن المهلب، وبعث عماله على الأهواز وفارس  
وكرمان، عليها الجراح بن عبد الله الحكمي حتى انصرف إلى  
عمر بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على  
الصلاة. واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على  
الخراج، وجاء مدرك بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة،  
فدس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب  
يريد أن يلقي بينكم الحرب، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى  
جماعة، فخرجوا ليلاً يستقبلونه، وبلغ ذلك الأزدي، فخرج منهم  
نحو من ألفي فارس حتى لحقهم قبل أن يتهوا إلى رأس المفازة،  
فقالوا لهم: ما جاء بكم؟ وما أخرجكم إلى هذا المكان؟ فاعتلوا  
عليهم بأشياء، ولم يقرؤا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن  
المهلب، فقال لهم الآخرون: بل قد علمنا أن تخرجوا لتلقي  
صاحبنا، وما هو ذا قريب، فما شتم.

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس  
المفازة، فقالوا له: إنك أحب الناس إلينا، وأعزهم علينا، وقد  
خرج أخوك ونابذه، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا، ونحن أسرع  
الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك، وإن تكن الأخرى فوالله  
ما لك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة. فعزم له رأيه  
على الانصراف، فقال ثابت قطنة، وهو ثابت بن كعب، من الأزدي  
من العتيك:

لم تر دوسراً منعت أخاها وقد حشدت لتقتله غيم  
وأروا من دونه الزرق العوالي وحيماً ما يباح لهم حريم  
شئونها وعمران بن حزم هناك المجد والحسب الصميم  
فما حللوا ولكن نهتهم رماح الأزدي والعز القديم  
رددنا مدركاً بمرء صدق وليس بوجه منكم كلوم  
وخيل كالقداح مسومات لدى أرض مغانيها الجميم  
عليها كل أصيد دوسري عزيز لا يفر ولا يرسم  
بهم تستعذب السفهاء حتى ترى السفهاء تردعها الخلوم

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد  
لما استجمع له البصرة، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم  
أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، ويحث

ولكنهم راحوا إليها وأدبجسوا بأقرب أسنائه ترى يوم مقرر  
وهم من حذار القوم أن يلحقوا بهم لهم نزلة في كل الخامسة وأربع  
وخرج الحواري بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن  
عبد الملك هارباً من يزيد بن المهلب، فلقي خالد بن عبد الله  
القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن  
المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن  
المهلب، وكل شيء أراد، فاستقبلهما، فسألاه عن الخبر. فخلا  
بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان؟  
فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكل شيء أراد، فقال: ما  
تصنعان بيزيد شيئاً، ولا يصنعه بكما، قد ظهر على عدوه عدي  
بن أرطاة، وقتل القتلى وحبس عدياً، فأرجعا أيها الرجلان. وعمر  
رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك، فلم يقف عليهما،  
فصاحجه وسألاه، فلم يقف عليهما، فقال القسري: ألا ترد  
فتجلده مائة جلدة! فقال له صاحبه: غربه عنك، وأملا لينصرف.  
ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك، وأقبل  
بمحمد بن عبد الملك معهما، فقال لهما حميد: أنشدكما الله أن  
تخالفا أمر يزيد ما بعثتما به! فإن يزيد قابل منكما، وإن هذا وأهل  
بيته لم يزالوا لنا أعداء، فأئذكما الله أن تقبلا مقاتله، فلم يقبلا  
قوله، وأقبل به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وقد  
كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها. فلما بلغه  
خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه: إن جهاد من خالفك أحب إلي  
من عملي على خراسان، فلا حاجة لي فيها، فأجعتني ممن توجهي  
إلى يزيد بن المهلب، وبعث محمد بن عبد الملك إلى يزيد، وكتب  
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاطب على خالد بن  
يزيد بن المهلب، وهو بالكوفة وعلى حماد بن زحر الجعفي،  
وليسا ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بني  
المهلب، فأوثقهما وسرحهما إلى يزيد بن عبد الملك، فحبسهما  
جميعاً، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه. وبعث يزيد بن عبد  
الملك رجلاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم، ويشنون عليهم  
بطاعتهم، ويعنونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين، وهو أبو  
الشرقي، واسم الشرقي الوليد، وقد قال القطامي حين بلغه ما  
كان من يزيد بن المهلب:

لعل عيني أن ترى يزيداً يقود جيشاً جحشاً شديداً  
تسمع للأرض به ويثداً لا برماً جيداً ولا حسوداً  
ولا جباناً في الوغى رعديدا ترى ذوي التساج له سجوداً  
مكفرين خاشعين قوداً وآخرين رحبوا وقوداً  
لا ينقض العهد ولا العهد من نفر كانوا هجناً صيدا  
تري لهم في كل يوم عيداً من الأعادي جزراً مقصوداً

على الجهاد، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم.

قال: فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضح يده على عاتقي، وهو يقول: انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ قلت: لا والله، ما أرى وجه رجل أعرفه، قال: فهؤلاء والله الغناء، قال: فمضينا حتى دنونا من المنبر. قال: فسمعت يذكّر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ثم رفع صوته، فقال: والله لقد رأيناك والياً ومولى عليك، فما ينبغي لك ذلك. قال: فوثبنا عليه، فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه، فوالله ما نشك أنه سمعه، ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته.

قال: ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول: يا عباد الله، ما تنقمون من أن تحبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتوه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز، فقال الحسن: سبحان الله! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحديثي المثنى بن عبد الله أن الحسن البصري مر على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح، وهم ينتظرون خروج يزيد، وهم يقولون: يدعوننا يزيد إلى سنة العمرين، فقال الحسن: إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون، ثم يسرح بها إلى بني مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم. فلما غضب غضبة نصب قصباً، ثم وضع عليها خرقة، ثم قال: إني قد خالفتهم فخالقوهم. قال هؤلاء: نعم. وقال: إني أدعوكم إلى سنة العمرين، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه، فقال له ناس من أصحابه عن سمع قوله: والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام، فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم! ليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ﷺ، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين، لا يتناهون عن انتهاك حرمة. ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار!

قال: ثم إن يزيد خرج من البصرة، واستعمل عليها مروان بن المهلب، وخرج معه بالسلاح وبيت المال، فأقبل حتى نزل واسطاً، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط، فقال: هاتوا الرأي، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم، فقال له حبيب، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا: نرى أن تخرج وتنزل بفارس، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب، وتدنو من خراسان، وتطاول القوم، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون.

فقال: ليس هذا برأيي، ليس يوافقني هذا، إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل. فقال له حبيب: فإن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة، فلما هو عبد الحميد بن عبد الرحمن، مرت به في سبعين رجلاً فعجز عنك، فهو عن خيلك أعجز في العدة، فنسب إلى أهل الشام وعظما أهلها يرون رأيك، وأن تلي عليهم أحب إلى جلهم من أن يلي عليهم أهل الشام، فلم تطعني، وأنا أشير الآن برأيي، سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأتي الجزيرة، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها، وتسير في أثرهم، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة، ويقولون إليك فيقيمون عليهم، فكانهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور، وتقناهم في أرض ريفية السعير، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك، فقال: إني أكره أن أقطع جيشي وجندي. فلما نزل واسطاً أقام بها أياماً يسيرة.

### أخبار متفرقة

قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر.

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى قضائها الشعبي، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلب، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم.

## السنة الثانية والمائة

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما لحربه.

وفيها قتل يزيد بن المهلب، في صفر.

## ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام عن أبي مخنف: أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوس عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأسراء، وقدم بين يديه أخاه عبد الملك، ثم سار حتى مر بقم النيل، ثم سار حتى نزل العقر. وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار، ثم عقد عليها الجسر، فعبر من قبل قرية يقال لها فارط، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب، وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة، فاستقبله العباس بن الوليد بسورا، فاصطفوا، ثم اقتتل القوم، فشد عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس، فيهم هريم بن أبي طحمة الجاشعي. فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف، ناداهم هريم بن أبي طحمة: يا أهل الشام، الله الله أن تسلمونا! وقد اضطهرهم أصحاب عبد الملك إلى نهر فاخذوا ينادونه: لا بأس عليك، إن لأهل الشام جولة في أول القتال، أتاك الغوث.

قال: ثم إن أهل الشام كروا عليهم، فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا، وقتل المتوف من بكر بن وائل، مولى لهم، فقال الفرزدق يخرض بكر بن وائل:

تبكي على المتوف بكسر بن وائل وتنهى عن أبي سمع من بكاهما  
غلامين شبا في الحروب وأدركا كرام المساعي قبل وصل لحاهما  
ولو كان حيا مالك وابن مالك إذا أوقدوا نارين يعلو سناهما

وابنا مسمع: مالك وعبد الملك ابنا مسمع، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعد بن درهم مولى..... من همدان:

تبكي على المتوف في نصر قومه ولسنا تبكي الشائطين أباهما  
أراد فناء الحي بكر بن وائل فعز تميم لرو أصيب فناهما

فلا لقيأ روحاً من الله ساعة ولا رقأت عينا شجي بكاهما  
أفي الغش تبكي إن بكينا عليهما وقد لقيأ بالغش فينا رداهما

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر، وأمر عبد الله بن حيان العبدى، فعبر إلى جانب الصراة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد، وخندق عليه، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي، ويقال: عبر إليهم الواضح، فكانوا بإزائهم. وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة كثير، ومن الجبال، وأقبل إليه ناس من الثغور، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه وربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، وبعث على ربع كندة وربيعة محمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي، وجمعهم جميعاً مع الفضل بن المهلب.

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: حدثني العلاء بن زهير، قال: والله إنا جلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال: ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يضرب به؟ قال حنظلة بن عتاب: إي والله وأربعة آلاف سيف، قال: إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط. والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفاً. والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي.

قال هشام: قال أبو مخنف: ثم إنه قام ذات يوم فحرضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله: إن هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم. والضرب بالمشرفية على هامهم. ثم قال: إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود - يعني العباس بن الوليد - وكان العباس أزرق أحر، كانت أمه رومية - والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نفسه، فبلغني أنه ليس ههما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم. قالوا: نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن بن محمد، قال: إن عبد الرحمن فضح الذمار، وفضح حسبه، وهل كان يعدو أجله! ثم نزل.

قال: ودخل علينا عامر بن العميشل - رجل من الأزد - قد جمع جمعاً فأناه ببايعه، فكانتبيعة يزيد: تباعون على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه، ومن أبى جاهدناه، وجعلنا الله بيننا وبينه، ثم يقول: تباعوننا؟ فإذا قالوا: نعم، بايعهم.



يسير ليس لأهلها بياق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض، إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والحيلة، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي، فمن كان منكم خفياً فليلزم الحق، وليجس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً، وكفى له بها من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفاً شريفاً، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فوهاً لهذا! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غداً - يعني يوم القيامة - القرير عيناً، الكريم عند الله مآباً.

فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم، فأمر الناس بالجد والاحتشاد، ثم قال لهم.

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه - يشبط الناس، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبه لظفل يعرف أنه، أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا، وإن ننكر مظلمتنا! أما والله ليكنفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط الأبله وعلوج فرات البصرة - قوماً ليسوا من أنفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحد منا - أو لأنحن عليه مبرداً خشناً.

فلما بلغ ذلك الحسن قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه! أمركم ألا يقتل بعضهم بعضاً مع غيري، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضهم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا، ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب.

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر، ففعل. وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب، وجعل على ميمته جبلة بن غرمة الكندي، وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري، وجعل العباس على ميمته سيف بن هانيء الحمداني، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس، وخرج يزيد بن المهلب، وقد جعل على ميمته حبيب بن المهلب، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم، ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن، وكان مما يلي العباس بن الوليد.

قال أبو مخنف: فحدثني الغنوي - قال هشام: واطن الغنوي العلاء بن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة، وبعث إلى المياه فبتقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب، لئلا يصل إلى الكوفة، ووضع على الكوفة مناظراً وأرصاداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد، وبعث عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيء الحمداني حتى قدموا على مسلمة، فآلفهم مسلمة، وأثنى عليهم بطاعتهم، ثم قال: والله لقل ما جاءنا من أهل الكوفة. فبلغ ذلك عبد الحميد، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك، وبعث عليهم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، فلما قدم أثنى عليه، وقال: هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء، ضموا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة. وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فغزله، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة - وهو ذو الشامة - مكانه. فدعا يزيد بن المهلب رؤوس أصحابه فقال لهم: قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألف رجل، فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم. فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم. وأمدّه بالرجال حتى أصبح، فإذا أصبحت نهضت إليهم أنا بالناس. فتناجزهم، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم.

قال السديد: إنا دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر، ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا.

قال أبو روبة - وكان رأس طائفة من المرجثة، ومعه أصحاب له: صدق، هكذا ينبغي، قال يزيد: ويحكم! اتصدقون بني أمية، أنهم يعملون بالكتاب والسنة، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا! إنهم يقولون لكم: إنا نقبل منكم، وهم يريدون ألا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به، وتدعونهم إليه، لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم، حتى يعملوا في المكر، فلا يسبقوكم إلى تلك، ابدؤوهم بها، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجردة الصفراء - يعني مسلمة - قالوا: لا نرى أن نفعل ذلك، حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا. وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام، ويسرح الناس إلى يزيد، وكان الحسن البصري يشبط الناس عن يزيد بن المهلب.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الحميد البصري، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام.

أيها الناس، الزموا رجالكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضهم بعضاً على دنيا زائلة، وطمع فيها

السفن، وتضرب خندقاً؟ فقال له: قبح الله رايك! إني تقول هذا! الموت أيسر علي من ذلك، فقال له: فإني أخوف عليك لما تسرى، أما ترى ما حولك من جبال الحديد! وهو يشير إليه، فقال له: أما أنا فما أباليها، جبال حديد كانت أم جبال نار، اذهب عنا إن كنت لا تريد قتلاً معنا. قال: وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني - قال أبو جعفر أخطأ هذا، هو للأعشى:

أبالموت خشتي عباد وإمسا رأيت منايا الناس يشقى ذليلها  
فما ميتة إن منها غير عاجز يعار إذا ما غالت النفس غولها  
وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب. فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره، حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام، وعلى أصحابه، فقتل يزيد بن المهلب، وقتل معه السميدع، وقتل معه محمد بن المهلب. وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش لما نظر إلى يزيد قال: يا أهل الشام، هذا والله يزيد، والله لأقتلنه أو ليقتلني، وإن دونه ناساً، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه؟ فقال له ناس من أصحابه: نحمل نحن معك، ففعلوا، فحملوا بأجمعهم، واضطربوا ساعة، وسطع الغبار، وانفجر الفريقان عن يزيد قتلاً، وعن القحل بن عياش بآخر رمق. فآووا إلى أصحابه يريهم مكان يزيد، يقول لهم: أنا قتلته ويومئ إلى نفسه إنه هو قتلي. ومرو مسلمة على القحل بن عياش صريعاً إلى جنب يزيد، فقال أما إني أظن هذا هو الذي قتلتني. وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة، فقيل له: أنت قتلته؟ فقال: لا، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر، فقال له الخواري بن زياد بن عمرو العتكي: مر برأسه فليغسل ثم ليعمم، ففعل ذلك به، فعرفه، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

قال أبو مخنف: فحدثني ثابت مولى زهير، قال: لقد قتل يزيد وهزم الناس، وإن الفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس، وإنه لعلى برذون شديد قريب من الأرض، وإن معه لجففة أمامه، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشفت، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه، وكان لا يرى منا ملتفتاً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوهم، ولا يكون لهم هم غيرهم.

قال: ثم اقتلتنا ساعة، فكأنني أنظر إلى عامر بن العميل الأزدي وهو يضرب بسيفه، ويقول:

قد علمت أم الصبي المولود أتي بصل السيف غير رعيد

قال: واضطربنا والله ساعة، فانكشف خيل ربيعة، والله ما

المبارزة، فلم يخرج إليه أحد، فبرز له محمد بن المهلب، فحمل عليه، فاتقاه الرجل بيده، وعلى كفه كف من حديد، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه، واعتنق فرسه، وأقبل محمد يضربه، ويقول: المنجل أعود عليك. قال: فذكر لي أنه حيان النبطي.

قال: فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار، فسطع دخانه، وقد أقتل الناس ونشبت الحرب، ولم يشتد القتال، فلما رأى الناس الدخان، وقيل لهم: أحرق الجسر انهزموا، فقالوا ليزيد: قد انهزم الناس. قال: ومم انهزموا؟ هل كان قتال يهزم من مثله! فقيل له: قالوا: أحرق الجسر فلم يثبت أحد، قال: قبحهم الله! بئ دُخْن عليه فطار. فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه، فقال: اضربوا وجوه من يهزم، ففعلوا ذلك بهم، حتى كثروا عليه، فاستقبلهم منهم مثل الجبال، فقال: دعوهم، فوالله إني لأرجو ألا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً، دعوهم يرحمهم الله، غنم عدا في نواحيها الذئب، وكان يزيد لا يتحدث نفسه بالفرار، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص - وأمه ابنة الزبرقان السعدي - أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العقر، فقال:

إن بني مروان قد باد ملكهم فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر  
قال يزيد: ما شعرت. قال: فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي:

فعض ملكاً أو مت كريماً وإن تمت وسيفك مشهور بكفك تصغر  
قال: أما هذا فعسى.

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة، فقال: يا سميدع، رأيي أم رأيك؟ ألم أعلمك ما يريد القوم! قال: بلى والله، والرأي كان رأيك، وأنا ذا معك لا أزايلك، فمرني بأمرك، قال: إما لا فانزل، فنزل في أصحابه، وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال: إن حبيباً قد قتل.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة الأزدي، قال: أشهد أنني أسمع حين قال له ذلك، قال: لا خير في العيش بعد حبيب! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة، فوالله ما ازددت له إلا بغضاً، امضوا قدماً. فعلمنا والله أن قد استقتل، فأخذ من يكره القتال ينكص، وأخذوا يتسللون، وبقيت معه جماعة حسنة، وهو يزدلف، فكلما مر بجبل كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه، فجاء أبو رؤية المرجعي، فقال: ذهب الناس - وهو يشير بذلك إليه وأنا أسمع - فقال: هل لك أن تنصرف إلى واسط، فإنها حصن فتنتها ويأتيك مدد أهل البصرة، ويأتيك أهل عمان والبحرين في

المأمور بقتلهم، فما يقبل حجتهم، وأمر بقتلهم، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل، ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لائمهم، ولا تكبر عليّ.

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة، فأثنى بنحو من خمسين أسيراً، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة، كان أقبل بهم معه، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاسترهبه ثلاثة: زياد بن عبد الرحمن القشيري، وعتبة بن مسلم، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود، فوهبهم له، ثم استوهب بقتلهم أصحابه، فوهبهم لهم، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا في يده فضرب أعناقهم: منهم عدي بن أرطاة، ومحمد بن عدي بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزة البصري، وعبد الله بن وائل، وابن أبي حاصر التميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وقد قال له القوم: ويحك! إنا لا نراك إلا تقتلنا، إلا أن أباك قد قتل، وإن قتلنا ليس ينفع لك في الدنيا، وهو ضارك في الآخرة، فقتل الأسارى كلهم غير ربع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الريان، تركه، فقال له ناس: نسيت؟ فقال: ما نسيت، ولكن لم أكن لأقتله، وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم، ولست أتهمه في ود، ولا أخاف بغيه. فقال ثابت قطنه في قتل عدي بن أرطاة:

ما سرنى قتل الفزاري وابنه عدي ولا أحيت قتل ابن مسمع ولكنها كانت معاوي زلة وضعت بها أمري على غير موضع

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء الفضل بن المهلب، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد، وقد أعدوا السفن البحرية، وتجهزوا بكل الجهاز، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنذابيل أسيراً، وقال له: إنني سائر إلى هذا العدو، ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون إلي أولهم، فإن ظفرت أكرمك، وإن كانت الأخرى كنت بقنذابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً، أما إنني قد اخترت لك لأهل بيتي من بين قومي، فكن عند حسن ظني، وأخذ عليه أماناً غلاظاً ليصاحن أهل بيته، إن هم احتاجوا ولجؤوا إليه، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثم لججوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدي - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم: أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم، فإن ذلك هو بقاءكم، وإنني أخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس، وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان. فمضوا حتى

رأيت عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم: أي معشر ربيعة، الكرة الكرة! والله ما كنتم بكشف ولا لثام، ولا هذه لكم بعادة، فلا يؤتينا أهل العراق اليوم من قبلكم. أي ربيعة، فدنكم نفسي، اصبروا ساعة من النهار.

قال: فاجتمعوا حوله، وثابوا إليه، وجاءت كوفيتك.

قال: فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم، حتى أتى، فقبل له: ما تصنع هاهنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد، وانهمز الناس منذ طويل؟ وأخبر الناس بعضهم بعضاً، فنفرقوا ومضى المفضل، فأخذ الطريق إلى واسط، فما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه، ولا أضرب بسيفه، ولا أحسن تعبته لأصحابه منه.

قال أبو مخنف: فقال لي ثابت مولى زهير: مررت بالخذق، فإذا عليه حائط، عليه رجال معهم النبل، وأنا جحف، وهم يقولون: يا صاحب التجفاف، أين تذهب؟ قال: فما كان شيء أثقل علي من تجفافي، قال: فما هو إلا أن جزتهم، فنزلت فآلقته لأخف عن دابتي. وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب، فقاتلهم أبو ربيعة صاحب المرجة ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم، وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل، فسرهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم. وكان على شرطه العريان بن الهيثم. وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو: أن أضرب رقاب الأسراء، فقال للعريان بن الهيثم: أخرجهم عشرين عشرين، وثلاثين ثلاثين. قال: فقام نحو من ثلاثين رجلاً من بني تميم، فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فأتقوا الله وابدؤوا بنا، أخرجونا قبل الناس، فقال لهم العريان: أخرجوا على اسم الله، فأخرجهم إلى المصطبة، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم، فبعث إليه أن أضرب أعناقهم.

قال أبو مخنف: فحدثني نجيح أبو عبد الله مولى زهير، قال: والله إنني لأنظر إليهم يقولون: إننا لله! انهزمنا بالناس، وهذا جزاؤنا، فما هو إلا أن فرغ منهم، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم، فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم:

لعمري لقد خاضت معيط دمانا بأسياها حتى انتهى بهم الوحل وما حمل الأقوام أعظم من دم حرام ولا دخل إذا التمس الذحل حقتم دماء المصلتين عليكم وجر على فرسان شيعتك القتل وقى بهم العريان فرسان قومه فيا عجباً أين الأمانة والعسلا

وكان العريان يقول: والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا: ابد بنا، أخرجنا، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمت

حميد على الميمنة، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى، فرقع لهم راية الأمان، فمال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال، وارفض عنهم الناس فخلوهم. فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء، فقال له المفضل: أين تريد؟ قال: أدخل إلى نساءنا فاقتلن، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق، فقال: ويحك! اتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك! إنا والله ما نخاف عليهن منهم. قال: فرده عن ذلك، ثم مشوا بأسياهم، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم، إلا أبا عيينة ورتيل، وبعث بنسائهم وأولادهم إلى مسلمة بالخير، وبعث برؤسهم إلى مسلمة، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك، وبعث بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، وهو على حلب، فلما نصبوا خرج لينظر إليهم فقال لأصحابه: هذا رأس عبد الملك، هذا رأس المفضل، والله لكانه جالس معي يتحدثني.

وقال مسلمة: لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق، فقال الجراح بن عبد الله: فانا اشتريهم منك لأبر يمينك، فاشتراهم منه بمائة ألف، قال: هاتها، قال: إذا شئت فخذها، فلم يأخذ منه شيئاً، وخلق سبيلهم، إلا تسعة فتية منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك، فقدم بهم عليه، فغضب رقابهم، فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه:

الايها هند طالع علي ليلي وعاد قصيره ليلاً تماماً  
كأنني حين حلقت الثريا سقيت لعاب أسود أو سما  
أمر على حلو العيش يوم من الأيام شيني غلاما  
مصاب بني أبيك وغبت عنهم فلم أشهدهم ومضوا كراما  
فلا والله لا أنسى يزيداً ولا القتل التي قتلت حراما  
فعلي أن أبرو بأخيكم يوماً يزيداً أو أبوء به هشاماً  
وعلي أن أقود الحيل شعناً شواذب ضمراً تقص الإكاما  
فأصبحن حمير من قريب وعكا أو أزع بهما جذاماً  
ونسقي مذحجاً والحسي كلباً من الذيفان أنفاساً قواماً  
عشائرنا التي تبغي علينا تجربنا زكاً عاماً فعاماً  
ولولاهم وما جلبوا علينا لأصبح وسطنا ملكاً هماماً

وقال أيضاً يرثي يزيد بن المهلب:

أبى طول الليل أن يتصرما وهاج لك الهم الفؤاد التيمما  
أرقت ولم تارق معي أم خالد وقد أرق عيناى حولاً مجزماً  
على هالك هد المشيرة فقده دعتة المتايا فاستجاب وسألماً  
على مالك يا صاح بالعقر جئت كتابه واستورد الموت معلماً  
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا تسليت إن لم يجمع الحي ماتماً

إذا كانوا بجبال كرمات خرجوا من سفنهم، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب. وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال، فكانه أراد أن يتأمر عليهم، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل: أنت أكبرنا وسيدنا، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلک، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمات، وبكرمان فلول كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضل، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلب آل المهلب وفي أثر الفل. فادرك مدرك المفضل بن المهلب، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم، فادركهم في عقبة، فغطفوا عليه، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً، وأخذت سريّة المفضل العالية، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة، وهرب حتى انتهى إلى حلوان، فدل عليه، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالخير، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب، فطلبوا الأمان، فأومئوا، منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنه مسلمة تحته - فأمته، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائماً، فقال: صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونفار في كل فتنة، مرة مع حائك كندة، ومرة مع ملاح الأزد، ما كنت بأهل أن تؤمن، قال: ثم انطلق. وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل - وشراحيل يلقب رستم الحضرمي - فلما جاء ونظر إليه، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي: هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر، قال له: انطلق، قال له الحسن: أصلحك الله! لم لم تشتمه كما شتمت صاحبه! قال: أجلتكم عن ذلك، وكنتم أكرم علي من أصحاب الآخر وأحسن طاعة. قال: فإنه أحب إلينا أن تشتمه، فهو والله أشرف أباً وجداً، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله، فكان الحسن يقول بعد أشهر: ما تركه إلا حسداً من أن يعرف صاحبنا، فأراد أن يرينا أنه قد حقره.

ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قنديل، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب الكلبي فرده، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنديل، فأراد آل المهلب دخول قنديل، فمنعهم وداع بن حميد، وكتبه هلاك بن أحوز، ولم يباين آل المهلب فيفارقه، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا، كان وداع بن

مصبغة، حوله مرافق مصبغة، فلما خرج من عنده قالوا له: كيف رأيت الأمير؟ قال: خذينة، لمته سكينية، فلقب خذينة وخذينة هي الدهقانة ربة البيت، وإنما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة.

ولما ولي مسلمة سعيد خذينة خراسان، قدم إليها قبل شخوصه سورة بن الحر بن بني دارم، فقدمها قبل سعيد - فيما ذكر - بشهر، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته، فأخذ على آمل، فأتى بخارى، فصحبه منها مائتا رجلاً، فقدم السغد، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وليلها ثمانية عشر شهراً، ثم عادوا إلى الصلح، فخطب شعبة أهل السغد، ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجين، فقال: ما أرى فيكم جريماً، ولا أسمع فيكم أنة. فاعتذروا إليه بأن جنبوا عاملهم عباء بن حبيب العبدى، وكان على الحرب. ثم قدم سعيد، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم، فكلّمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري، فقال له سعيد: قد رفع عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج. قال: فانا أضمنه، فضمن عنهم سبعمائة ألف، ثم لم يأخذ بها.

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر علي بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمتجع بن عبد الرحمن الأزدي والققعاق الأزدي ولوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين. فأرسل إليهم، فحبسهم في قهندزمر، فقبل له: إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم، فأرسل إلى جهم بن زحر، فحمل على حمار من قهندزمر، فمروا به على الفيض بن عمران، فقام إليه فوجاً أنفه، فقال له جهم: يا فاسق، هلا فعلت هذا حين أتوني بك سكران قد شربت الخمر، فضربتك حداً! فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط، فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدفعوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي، فاستعفاه فأعفاه.

وقال عبد الحميد بن دثار - أو عبد الملك بن دثار - والزبير بن نسيط مولى باهلة. وهو زوج أم سعيد خذينة: ولنا محاسبتهم، فولاهم قتلوا في العذاب جهماً، وعبد العزيز بن عمرو والمتجع، وعذبوا الققعاق وقوماً حتى أشرفوا على الموت. قال: فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد، فأمر

وفي غير الأيام يا هند فاعلمي لطالب وتر نظرة إن تلوما فعلي إن مالت بي الريح ميلة علي ابن أبي ذبان أن يتندما أسلم إن يقدر عليك رماحنا نذكك بها فيء الأسود مسلما وإن نلق للعباس في الدهر عشرة نكافه باليوم السذي كان قدما قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى إلينا وإن كان ابن مروان أظلمنا ستعلم إن زلت بك النعل زلة وأظهر أقوام حياءً مجمما من الظالم الجاني على أهل بيته إذا أحصرت أسباب أمر وأبهما وإننا لعطافون بالحلم بعد ما نرى الجهل من فرط التليم تكوما وإننا لخاللون بالثغر لا نرى به ساكناً إلا الخميس العرمما نرى أن للجيران حاجا وحرمة إذا الناس لم يروعوا لدى الجار محرمما وإننا لثقري الضيف من قمع السرى إذا كان رعد الرافدين تحشما وراحت بضراًد مُلِثٌ جليده على الطلح أرماكاً من الشهب صيما ابونا أبو الأنصار عمرو بن عامر وهم ولدوا عرفاً وكعباً وأسلما وقد كان في غسان مجد يعده وعادية كانت من المجد معظما

### ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب، جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة، فلما ولاه يزيد ذلك، ولي مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب - فيما قيل - شبيب بن الحارث التميمي، فقبضها، فلما ضمت إلى مسلمة بعث عاملاً عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى شرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد، فقال له عمر: أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تكن حصناً بكويقة، وتدخل من تحتاج إليه! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوقت أن يقتلونا، ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك. ووجه رسولاً إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن، فوجه مسلمة عبد الملك بن بشر بن مروان على البصرة، وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث.

### ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وهو الذي يقال له سعيد خذينة - وإنما لقب بذلك - فيما ذكر - أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً، قدم خراسان على بختية معلقاً سكيناً في منطقتة، فدخل عليه ملك أبغر، وسعيد متفضل في ثياب

سعيد بإخراج من بقي منهم، فكان سعيد يقول: قبح الله الزبير، فإنه قتل جهماً!!

وفي هذه السنة غزا المسلمون السغد والترك، فكان فيها الواقعة بينهم بقصر الباهلي.

وفيها عزل سعيد خذينة شعبة بن ظهير عن سمرقند.

### ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة وكيف كانت

ذكر علي بن محمد، عن الذين تقدم ذكر خبره عنهم، أن سعيد خذينة لما قدم خراسان، دعا قوماً من الدهاقين، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكور، فأشاروا إليه بقوم من العرب، فولاهم، فشكروا إليه، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه: إني قدمت البلد، وليس لي علم بأهله، فاستشرت فأشاروا علي بقوم، فسألت عنهم فحمدوا، فوليتهم، فأخرج عليكم لما أخبرتموني عن عمالي. فأتى عليهم القوم خيراً، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري: لو لم تخرج علينا لكففت، فاما إذ خرجت علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم، فهذا علمنا فيهم.

قال: فانكأ سعيد ثم جلس، فقال: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»، قوما.

قال: وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد، وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير، وولى الخراج سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة، واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيري، فصار إليها. وضعف الناس سعيداً وسموه خذينة، فطمع فيه الترك، فجمع له خاقان الترك، ووجههم إلى السغد، فكان على الترك كورصول، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي.

وقال بعضهم: أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة، وكانت في ذلك القصر، فأرسل إليها يخطفها. فأبى، فاستجاش رجلاً أن يسبوا من في القصر، فيأخذ المرأة، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر، وفيه مائة أهل بيت بذرائعهم، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله وخافوا أن يبطيء عنهم المدد، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة، وندب عثمان بن عبد الله الناس، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل، فقال شعبة بن ظهير: لو كان هاهنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم.

قال: وكان فيمن انتدب من بني غيم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزي، وعميرة بن ربيعة أحد بني العجيف - وهو عميرة الثريد - وغالب بن المهاجر الطائي - وهو عم أبي العباس الطوسي - وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي، وثابت قظنة، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان، وحليس الشيباني، والحجاج بن عمرو الطائي، وحسان بن معدان الطائي، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيان. فقال المسيب بن بشر لما عسكروا: إنكم تقدمون على حلبة الترك، حلبة خاقان وغيرهم، والعوض إن صبرتم الجنة، والعقاب النار إن فررتم، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم.

فانصرف عنه ألف وثلاثمائة، وسار في الباقين، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى، فاعتزل ألف، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك، فاعتزل ألف، ثم سار - وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الخنظلي - حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فاتأهم ترك خاقان ملك قبي فقال: إنه لم يبق هاهنا دهقان إلا وقد بايع الترك غيري، وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك، وعندني الخبر، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً، فأعطوهم سبعة عشر رجلاً، ليكونوا رهناء في أيديهم حتى يأخذوا صلحهم، فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن.

قال: وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجاه لم يقتل، والأشهب بن عبيد الله الخنظلي، وميعادهم أن يقاتلوهم غداً أو يفتحوا القصر، فبعث المسيب رجلين: رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم، وقال لهم: إذا قربتم فشدوا دوابكم بالشجر، واعلموا علم القوم. فأقبلوا في ليلة مظلمة، وقد أجرت الترك الماء في نواحي القصر، فليس يصل إليه أحد، ودنوا من القصر، فصاح بهما الرهينة، فقالا: لا تصح وادع لنا عبد الملك بن دثار، فدعاه فقالا له: أرسلنا المسيب، وقد أتاكم الغياث، قال: أين هو؟ قال: على فرسخين، فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً؟ فقال: قد أجمعنا على تسليم نسائنا وتقدیمهم للموت أماناً، حتى نموت جميعاً غداً. فرجعوا إلى المسيب، فأخبراه فقال المسيب للذين معه: إني سائر إلى هذا العدو. فمن أحب أن يذهب فليذهب، فلم يفارقه أحد، وبايعوه على الموت.

فسار وقد زاد الماء الذي أجره حول المدينة تحصيناً، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل، فأجمع على بيأتهم، فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم، وركب فحثهم على الصبر، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا، وقال لهم: اكعموا

بقصر الباهلي وقد رأوني أحامي حيث صن به المحامي  
بسفي بعد حطم الرمح قدماً أفودهم بذئ شطب جسام  
أكر عليهم اليموم كراً ككر الشرب آية المدام  
أكر به لدى الغمرات حتى تجلث لا يضيق بها مقامي  
فلولا الله ليس له شريك وضربى قونس الملك الهمام  
إذا لسعت نساء بني دثار أمام الترك باديسة الخدام  
فمن مثل السيب في نعيم أبي بشر كقادمة الحمام  
وقال جرير يذكر المسيب:

لولا حامية يربوع نساءكم كانت لغيركم منهن أظهار  
حامي المسيب والخيلا في رهج إذ مازن ثم لا يجمي لها جار  
إذ لا عقال يحامي عن دماركم ولا زرارة يحميها ووزار

قال: وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج  
الطائي، وثلث يده، وقد كان ولي ولاية قبل سعيد، فخرج عليه  
شيء مما كان بقي عليه، فأخذ به، فدفعه سعيد إلى شداد بن خليل  
الباهلي ليحاسبه ويستأديه فضيق عليه شداد، فقال: يا معشر  
قيس، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش، حديد البصر،  
فمورت وثلث يدي، وقاتلت مع من قاتل حتى استقذناهم بعد  
أن أشرفوا على القتل والأسر والسي، وهذا صاحبكم يصنع بي  
ما يصنع، فكفوه عني، فخلاه.

قال: وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر  
الباهلي قال: كنا في القصر، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت  
لما سمعنا من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل.

### ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينة السغد

وفي هذه السنة قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد،  
وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين.

### ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه

الغزوة:

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة - فيما ذكر - أن الترك  
عادوا إلى السغد، فكلم الناس سعيداً وقالوا: تركت الغزو، فقد  
أغار الترك وكفر أهل السغد، فقطع النهر، وقصد للسغد، فلقبه  
الترك وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون، فقال سعيد: لا  
تتبعوهم، فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم،  
أفتريدون بوارهم! وقد قاتلتكم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل  
أباروكم!

وسار المسلمون، فانتهوا إلى واد بينهما وبين المرج، فقال  
عبد الرحمن بن صبح: لا يقطعن هذا الوادي مخفف ولا راجل،

دوابكم وقودوها، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها، وشدوا شدة  
صادقة وكبروا، وليكن شعاركم: يا محمد، ولا تتبعوا مولياً،  
وعليكم بالدواب فاعقروها، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد  
عليهم منكم، والقليل الصابر خير من الكثير الفشل، وليست  
بكم قلة، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه  
وإن كثر أهله.

قال: وعباهم وجعل على الميمنة كثير بن الدبوسي، وعلى  
الميسرة رجلاً من ربيعة يقال له ثابت قطنة، وساروا حتى إذا  
كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر، وثار الترك،  
وخالط المسلمون العسكر، فعقروا الدواب، وصابروهم الترك،  
فجال المسلمون وانهمزوا حتى صاروا إلى المسيب، وتبعهم الترك  
وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين، فيهم  
البخري أبو عبد الله المرائي، ومحمد بن قيس الغنوي - ويقال:  
محمد بن قيس العنبري - وزيد الأصهباني، ومعاوية بن الحجاج،  
وثابت قطنة. فقاتل البخري فقطعت يمينه، فأخذ السيف بشماله  
فقطعت، فجعل يذب بيده حتى استشهد، واستشهد أيضاً محمد  
بن قيس العنبري أو الغنوي وشبيب بن الحجاج الطائي.

قال: ثم انهزم المشركون، وضرب ثابت قطنة عظيماً من  
عظمائهم، فقتله، ونادى منادي المسيب: لا تتبعوهم، فإنهم لا  
يدرون من الرعب، اتبعتموهم أم لا! واقتصدوا القصر، ولا  
تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال، ولا تحملوا من يقدر على المشي.

وقال المسيب: من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبةً  
فأجره على الله، ومن أبى فله أربعون درهماً، وإن كان في القصر  
أحد من أهل عهدكم فاحملوه. قال: فقصدوا جميعاً القصر،  
فحملوا من كان فيه، وانتهى رجل من بني ققيم إلى امرأة، فقالت:  
أغني أغناك الله! فوقف وقال: دونك وعجز الفرس، فوثبت  
فإذا هي على عجز الفرس، فإذا هي أفرس من رجل، فتناول  
القيمي بيد ابنها، غلاماً صغيراً، فوضعه بين يديه، وأتوا ترك  
خاقان، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام، وقال: الحقوا بسمرقند، لا  
يرجعوا في آثاركم. فخرجوا نحو سمرقند، فقال لهم: هل بقي  
أحد؟ قالوا: هلال الحريري، قال: لا أسلمه، فأتاه وبه بضغ  
وثلاثون جراحة، فاحتمله، فبرأ، ثم أصيب يوم الشعب مع  
الجنيد.

قال: فرجع الترك من الغد، فلم يروا في القصر أحداً،  
ورأوا قتلاهم، فقالوا: لم يكن الذين جاؤوا من الإنس، فقال  
ثابت قطنة:

فدت نفسي فوارس من نعيم غداة السروع في ضحك المقام  
فدت نفسي فوارس أكنفوني على الأعداء في رهج القتام

وليعبر من سواهم. فعبروا، ورأتهم الترك، فأكمنوا كميناً،  
وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوه، فأنحاز الترك فأتبعوهم  
حتى جازوا الكمين، فخرجوا عليهم، فانهزم المسلمون حتى  
انتهوا إلى الوادي، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح: سابقوهم، ولا  
تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم. فصبروا لهم حتى انكشفوا  
عنهم، فلم يتبعوهم، فقال قوم: قتل يومئذ شعبة بن ظهير  
وأصحابه، وقال قوم: بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين،  
ومعهم جمع من أهل السغد. فلما كان الغد، خرجت مسلحة  
للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فما شعروا إلا  
بالترك معهم خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة  
بن ظهير، فقاتلهم شعبة فقتل، أعملوه عن الركوب. وقتل رجل  
من العرب، فأخرجت جاريته حناء، وهي تقول: حتى متى أعد  
لك مثل هذا الخضاب، وأنت تختضب بالدم! مع كلام كثير،  
فأبكت أهل العسكر. وقتل نحو من خمسين رجلاً، وانهزم أهل  
المسلحة، وأتى الناس الصريخ، فقال عبد الرحمن بن المهلب  
العدوي: كنت أنا أول من أتاها لما أتاها الخبر، وتحتي فرس جواد،  
فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قنفذ من الشباب،  
وقد قتل، وركب الخليل بن أوس العيشمي - أحد بني ظالم، وهو  
شاب - ونادى: يا بني تميم، أنا الخليل، إلي! فانضمت إليه جماعة  
- فحمل بهم على العدو، فكفوهم ووزعوهم عن الناس حتى  
جاء الأمير والجماعة، فانهزم العدو، فصار الخليل على خيل بني  
تميم يومئذ، حتى ولى نصر بن سيار، ثم صارت رئاسة بني تميم  
لأخيه الحكم بن أوس.

سريت إلى الأعداء تلهو بلعبة وأيرك مسلول وسيفك مغمد  
وأنت لمن عادي عرس خفية وأنت علينا كالحسام المهند  
فلله در السغد لما تحزبوا وبنا عجباً من كيدك المتردداً  
قال: فقال سورة بن الحر لسعيد - وقد كان حفظ عليه،  
وحقد عليه قوله: (أبطل الله وجهك) -: إن هذا العبد أعدى  
الناس للعرب والعمال، وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم،  
وهو وائب بك، مفسد عليك خراسان، ثم يتحصن في بعض هذه  
القلاع. فقال: يا سورة لا تسمعن هذا أحداً. ثم مكث أياماً، ثم  
دعا في مجلسه بلن، وقد أمر بذهب فسحق، وألقي في إناء حيان  
فشربه، وقد خلط بالذهب، ثم ركب، فركب الناس أربعة فراسخ  
إلى باركت، كأنه يطلب عدواً، ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام  
ومات في اليوم الرابع، فقتل سعيد على الناس وضعفوه، وكان  
رجل من بني أسد يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد،  
فذكر إسماعيل عند خديجة ومودته لمروان، فقال سعيد: وما ذاك  
الملط! فهجاه إسماعيل، فقال:

زعمت خديجة أنني ملط      لخديجة المرأة والمشط  
وبحارم ومكاحل جعلت      ومعاذف وبخدها نقط  
أفذاك أم زغف مضاعفة      ومهند من شأنه القبط  
لمقرس ذكر أخي ثقة      لم يغذه التائب واللقط  
أغضبت أن بات ابن أمكم      بهم وأن أباكم سقط  
إني رأيت نبأهم كسيت      ريش السؤام ونبلكم مرط  
ورأيتهم جعلوا مكاسرهم      عند الندى وأنتم خلط

### عزل مسلمة عن العراق وخراسان

وفي هذه السنة عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق  
وخراسان وانصرف إلى الشام.

#### ذكر الخبر عن سب عزله وكيف كان ذلك:

وكان سب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد - أن مسلمة لما  
ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً،  
وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه، وكتب إليه أن  
استخلف على عملك، وأقبل.

وقد قيل: إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان  
في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره، فقال له: أمن شوق بك إليه!  
إنك لطروب، وإن عهدك به تقرب، قال: لا بد من ذلك، قال:

وذكر علي بن محمد، عن شيوخه، أن سورة بن الحر قال  
لحيان: انصرف يا حيان، قال: عقيرة الله أدعها وانصرف قال: يا  
نبطي قال: أبطل الله وجهك!.

قال: وكان حيان النبطي يكنى في الحرب أبا الهياج، وله  
يقول الشاعر:

إن أبا الهياج أرمحي      للريح في أثوابه دوي  
قال: وعبر سعيد النهر مرتين، فلم يجاوز سمرقند، نزل في  
الأولى بإزاء العدو، فقال له حيان مولى مصقلة بن هيرة الشيباني:  
أيها الأمير، ناجز أهل السغد، فقال: لا، هذه بلاد أمير المؤمنين،  
فراى دخاناً ساطعاً، فسأل عنه فقيل له: السغد قد كفروا ومعهم  
بعض الترك. قال: فناوشهم، فانهزموا فالحوا في طلبهم، فنادى  
منادي سعيد: لا تطلبوهم، إنما السغد بستان أمير المؤمنين، وقد  
هزمتهم، أفتريدون بوارهم! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم  
أمير المؤمنين غير مرة، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع، فلما  
كان العام المقبل بعث رجلاً من بني تميم إلى ورغسر، فقالوا: ليتنا



ردهم إلى قراهم ورسائيقهم، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تأمروا في أمره، فأجمع رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه، ولولا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضي الله والمسلمون، فقتلناه، وأعدنا عاملك.

فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة على العراق وخراسان.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك، كذلك قال أبو معشر والواقدي.

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان، وعلى خراسان سعيد خذينة، وعلى مصر أسامة بن زيد.

إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الروالي عليه، فشخص، فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على الخامسة من دواب البريد، فدخل عليه ابن هبيرة، فقال: إلى أين يا ابن هبيرة؟ فقال: وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب. فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه، فقال: هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى، قال: قد أنبأتك، قال: فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بني المهلب، قال: هذا أعجب من الأول، يصرف عن الجزيرة، ويوجه في حيازة أموال بني المهلب، قال: فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلبة عليهم فقال الفرزدق:

راحت بمسلمة الركاب مودعاً فارعي فزارة لاهناك المرتع  
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله وأخو هرة لملها يتوقع  
ولقد علمت لئن فزارة أمرت أن سوف تطعم في الإمارة أشجع  
من خلق ربك ما هم ولتلهم في مثل ما نالت فزارة يطمع  
يعني بابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، وبابن عمرو: محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد، وبأخي هرة: سعيد خذينة بن عبد العزيز، كان عامله لمسلمة على خراسان.

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير.

### بدء ظهور الدعوة

وفيها وجه - فيما ذكر مسيرة - رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة بها، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورفاء السعدي إلى سعيد خذينة، فقال له: إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم سعيد، فأتى بهم، فقال: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار؟ قال: فما هذا الذي يحكي عنكم؟ قالوا: لا ندري، قال: جئتم دعاء؟ فقالوا: إن لنا في أنفسنا وتجارنا شغلاً عن هذا، فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاء أناس من أهل خراسان، جلهم ربيعة واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم، وهم علينا إن أنكأ منهم شيء نكرهه، فخلى سبيلهم.

### ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية

وفيها - أعني سنة الثانية ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها.

### ذكر الخبر عن سبب قتله:

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فأسلم بالعراق ممن

النضري. وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

## السنة الثالثة والمائة

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

#### عزل سعيد خذينة عن خراسان

فما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان، وكان سبب ذلك عزله عنها - فيما ذكر علي بن محمد عن أشياخه - أن المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة، فشكواهم فعزله، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وخذينة غاز بيباب سمرقند، فبلغ الناس عزله، فقفل خذينة، وخلف بسمرقند ألف فارس، فقال نهار بن توسعة:

فمن ذا مبلغ فتیان قومي    بأن النبل ريش كل ريش  
بأن الله أبدل من سعيد    سعيداً لا المخنث من قريش  
قال: ولم يعرض سعيد الحرشي لأحد من عمال خذينة، فقرأ رجل عهده فلحن فيه، فقال سعيد: صه، مهما سمعتم فهو من الكاتب، والأمير منه بريء، فقال الشاعر يضعف الحرشي في هذا الكلام:

تبدلتنا سعيداً من سعيد    لجد السوء والقدر المتاح

#### أخبار متفرقة

قال الطبري: وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسله.

وفيهما أغارت الترك عن اللان.

وفيهما ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاک الفهري فجمعت له مع المدينة.

وفيهما ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة.

وفيهما أمر عبد الرحمن بن الضحاک أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاک بن قيس الفهري، كذلك قال أبو معشر والواقدي.

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاک، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله

#### استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرشي على خراسان

وفيهما استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان.

#### ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلى يوم العقر، ولم يذكر الحرشي، فقال يزيد بن عبد الملك: لم لم يذكر الحرشي؟ فكتب إلى ابن هبيرة: ول الحرشي خراسان. فولاه فقدم الحرشي على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة، ثم قدم الحرشي خراسان، والناس بإزاء العدو، وقد كانوا نكبوا، فخطبهم وحثمهم على الجهاد، فقال: إنكم لا تقتاتلون عدو الإسلام بكثرة ولا بعدة، ولكن بنصر الله وعز الإسلام، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال:

فلمست لعامر إن لم تروني    أمام الخيل أظعن بالعوالي  
فأضرب هامة الجبار منهم    بغضب الحد حودث بالصقال  
فما أنا في الحروب بمستكين    ولا أخشى مصاولة الرجال  
أبى لي والدي من كل ذم    وخالي في الحوادث خير خال  
إذا خطرت أمامي حي كعب    وزافت كالجبال بنو هلال

#### ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلحقوا بفرغانة، فسألوا ملكها معوتهم على المسلمين.

#### ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة، فلما وليهم الحرشي خافوا على أنفسهم، فأجمع عظماءهم على الخروج عن بلادهم، فقال لهم ملكهم: لا تفعلوا، أقيموا واحلوا إليه خراج ما مضى، واضمنوا له خراج ما تستقبلون، واضمنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه إن أراد ذلك، واعتدروا بما كان منكم، وأعطوه رهائن يكونون في يديه.

قالوا: نخاف ألا يرضى، ولا يقبل منا، ولكننا نأتي خجندة،  
فنستجير ملكها، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا.  
ونوثق له ألا يرى أمراً يكرهه، فقال: أنا رجل منكم، وما أشرت  
به عليكم كان خيراً لكم، فأبوا فخرجوا إلى خجندة، وخرج  
كارزنج وكشين وبياركت وثابت بأهل إشتيخن، فأرسلوا إلى  
ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته. فهم أن  
يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن  
فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سموا لي رستاقاً  
أفرغه لكم، وأجلوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن  
شتمت فرغت لك شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة  
خلفه فيهم - فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه: فرغه لنا، قال:  
نعم، وليس لكم علي عقد ولا جوار حتى تدخلوه، وإن أتكم  
العرب قبل أن تدخلوه لم أمتعكم، فرضوا، ففرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من  
بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا  
وخرجوا إلى خجندة وشعب عصام من رستاق أمفرة - وأمفرة  
يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا، وبيلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن  
تركتموها هلكتم: إن سعيداً فارس العرب، وقد وجه على  
مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري في حماة أصحابه، فبيتوه  
فاقتلوه، فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يغزكم، فأبوا عليه، قال:  
فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فلإن أجابوكم وإلا  
مضيتم إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قبي، وأبارين ماخون  
وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل أهل بياركت وأهل سسكت بالف  
رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن، فارتحل  
الديواشني بأهل بنجيكت إلى حصن أبغر، ولحق كارزنج وأهل  
السغد بخجندة.

ويشكل على المسلمين فيسقطوا في الخندق.

## السنة الرابعة والمائة

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

#### ذكر الوقعة بين الحرشي والسغد

ففي هذه السنة كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقيتها.

#### ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة

ذكر علي عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة أربع ومائة فقطع النهر، وعرض الناس، ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدبوسية، ولم يجتمع إليه جنده.

قال: فامر الناس بالرحيل، فقال له هلال بن عليم الخطلي: يا هناء، إنك وزيراً خير منك أميراً، الأرض حرب شاغرة برجلها، ولم يجتمع لك جندك، وقد امرت بالرحيل! قال: وكيف لي؟ قال: تأمر بالنزول، ففعل.

وخرج النيلان ابن عم مالك فرغانة إلى الحرشي، وهو نازل على مغون فقال له: إن أهل السغد بخجندة، وأخبره خبرهم وقال: عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشعب، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل. فوجه الحرشي مع النيلان عبد الرحمن القشيري وزيد بن عبد الرحمن القشيري في جماعة، ثم ندم على ما فعل فقال: جاءني علاج لأدري صدق أم كذب فغررت بخجندة المسلمين. وارحل في أثرهم حتى نزل في أشروسنة، فصالحهم بشيء يسير، فبينما هو يتعشى إذ قيل له: هذا عطاء الدبوسي - وكان فيمن وجهه مع القشيري - ففرغ وسقطت اللقمة من يده، ودعا بعطاء، فدخل عليه، فقال: ويلك! قاتلتهم أحداً؟ فقال: لا، قال: الحمد لله، وتعشى، وأخبره بما قدم له عليه. فسار جواداً مغذاً، حتى لحق القشيري بعد ثلاثة، وسار فلما انتهى إلى خجندة، قال للفضل بن بسام: ما ترى؟ قال: أرى المعاجلة، قال: لا أرى ذلك، إن جرح رجل فإلى أين يرجع! أو قتل قتيل فإلى من يحمل! ولكني أرى النزول والثاني والاستعداد للحرب، فنزل ورفع الأبنية وأخذ في التاهب، فلم يخرج أحد من العدو، فجن الناس الحرشي، وقالوا: كان هذا يذكر بأسه بالعراق ورأيه، فلما صار بخراسان ماق. قال: فحمل رجل من العرب، فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب، وقد كانوا حفرُوا في ريشهم وراء الباب الخارج خندقاً، وغطوه بقصب، وعلوه بالتراب مكيدة، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق.

قال: فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا، وأخطوهم الطريق، فسقطوا في الخندق، فأخرجوا من الخندق أربعين رجلاً، على الرجل درعان درعان، وحصرهم الحرشي، ونصب عليهم المجانيق، فأرسلوا إلى ملك فرغانة: غدرت بنا، وسألوه أن ينصرهم، فقال لهم: لم أغير ولا أنصركم، فانظروا لأنفسكم، فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل، ولستم في جوارى. فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح، وسألو الأمان وأن يردهم إلى السغد، فاشتراط عليهم أن يردوا من في أيديهم من نساء العرب وذرايرهم، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج، ولا يقتالوا أحداً، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد، فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم.

قال: وكان السفير فيما بينهم موسى بن مشكان مولى آل بسام، فخرج إليه كارزنج، فقال له: إن لي حاجة أحب أن تشفعني فيها، قال: وما هي؟ قال: أحب إن جنى منهم رجل جنابة بعد الصلح ألا تأخذني بما جنى، فقال الحرشي: ولي حاجة فاقضها، قال: وما هي؟ قال: لا يملقني في شرطي ما أكره. قال: فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي، وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم، فقال كارزنج للحرشي: ما تصنع قال: أخاف عليكم معرة الجند. قال: وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان، فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساء كن في أيديهم، فقال لهم: بلغني أن ثابثاً الأشتيخي قتل امرأة ودفنها تحت حائط، فجدوا، فأرسل الحرشي إلى قاضي خجندة، فنظروا فإذا المرأة مقتولة. قال: فدعا الحرشي بشابت، فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السرادق ليأتيه بالخبر، وسأل الحرشي ثابثاً وغيره عن المرأة، فجدد ثابت ويثقن الحرشي أنه قتلها فقتله. فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت، فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه، وخاف كارزنج أن يستعرضهم الحرشي، فقال لأيوب بن أبي حسان: إني ضيفك وصديقك، فلا يجرى بك أن يقتل صديقك في سراويل خلق، قال: فخذ سراويلي قال: وهذا لا يجرى في سراويلاتكم! فسرّح غلامك إلى جلنج ابن أخي يميثوني بسرراويل جديد - وكان قد قال لابن أخيه: إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل - فلما بعث بسرراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب، وعصبا برؤوس شاكريته، ثم خرج هو وشاكريته، فاعترض الناس فقتل ناساً، وممر يبحى بن حضيف فنفعه نفحة على رجله، فلم يزل يجمع منها. وتضعض أهل العسكر، ولقي الناس منه شراً، حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق، فقتله ثابت بسيف عثمان بن

مسيره على ألا يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم وأبنائهم ويسلمون القلعة. فكتب سليمان إلى الحرشي أن يبعث الأمناء في قبض ما في القلعة.

قال: فبعث محمد بن عزيز الكندي وعلياء بن أحرر الشكري، فباعوا ما في القلعة مزايده، فأخذ الخمس، وقسم الباقي بينهم. وخرج الحرشي إلى كس فصالحوه على عشرة آلاف رأس. ويقال: صالح دهقان كس، واسمه ويك - على ستة آلاف رأس، يوفيه في أربعين يوماً على ألا يأتيه فلما فرغ من كس خرج إلى رنجن، فقتل الديواشني، وصلبه على ناووس وكتب على أهل رنجن كتاباً بمائة إن فقد من موضعه، وولى نصر بن سيار قبض صلح كس، ثم عزل سورة بن الحر وولى نصر بن سيار، واستعمل سليمان بن أبي السري على كس، ونسف حربها وخراجها، وبعث برأس الديواشني إلى العراق، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السري إلى طخارستان.

قال: وكانت خزار منيعة، فقال المجشر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشي: ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى، قال: المرسل بن الخريت بن راشد الناجي، فوجهه إليها - وكان المرسل صديقاً للملكها، واسم الملك سبقرى. وكانوا يجيئون المرسل - فأخبر الملك ما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تنزل بأمان، قال: فما أصنع بمن لحق بي من عوام الناس؟ قال: نصيرهم معك في أمانك، فصالحهم فأمنوه وبلاده.

قال: ورجع الحرشي إلى مرو ومعه سبقرى، فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحرشي، وأمره أن يوافيه ببرذون بن كشانشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه - ويقال: كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة، فأخذ فأخذ أماناً لأهل السغد، فحبسه الحرشي في قهنتز مرو، فلما قدم مرو دعا به، وقتله وصلبه في الميدان، فقال الراجز:

إذا سعيدي سار في الأخطاس في رهج يأخذ بالأنفاس  
دارت على الترك أمر الكاس وطارت الترك على الأحلاس  
ولوا فراراً عطل القياس

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عن المدينة ومكة، وذلك للنصف من شهر ربيع الأول، وكان عامله على المدينة ثلاث سنين. وفيها ولي يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضري.

مسعود. وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة، ويقال: قتلوا منهم أربعين، قال: فأقلت منهم غلام فأخبر الحرشي - ويقال: بل أناء رجل فأخبره - فسألهم فجمعوا، فأرسل إليهم من علم علمهم، فوجد الخبر حقاً، فأمر بقتلهم، وعزل التجار عنهم - وكان التجار أربعمائة، كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين - قال: فامتنع أهل السغد، ولم يكن لهم سلاح، فقاتلوا بالخشب، فقتلوا عن آخرهم. فلما كان الغد دعا الخرائن - ولم يعملوا ما صنع أصحابهم، فكان يجتم في عتق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل، وكانوا ثلاثة آلاف - ويقال سبعة آلاف - فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العمرطة ويزيد بن أبي زنب فاحصوا أموال التجار - وكانوا اعزّلوا وقالوا: لا نقاتل - فاصطفى أموال السغد وذرائعهم، فأخذ منها ما أعجبه، ثم دعا مسلم بن بديل العدوي، عدي الرباب، فقال: قد وليتك المقسم، قال: بعد ما عمل فيه عمالك ليلة! وله غيري، فولاه عبيد الله بن زهير بن حيان العدوي، فأخرج الخمس، وقسم الأموال، وكتب الحرشي إلى يزيد بن عبد الملك، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة، فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة، فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظامهم:

أقر العين مصرع كارزنج وكشبن وما لاقى ييار  
وديواشني وما لاقى جلنچ بمحصن خجند إذ دمروا فباروا  
ويروي: أقر العين مصرع كارزنج، وكشكيش، ويقال: إن ديواشني دهقان أهل سمرقند، واسمه ديواشني فأعربوه ديواشني.

ويقال: كان على أقباض خجندة علباء بن أحرر الشكري، فاشترى رجل منه جونة بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وهو واضع يده على عينه كأنه رمى، فرد الجونة، وأخذ الدرهمين، فطلب فلم يوجد.

قال: وسرح الحرشي سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة إلى قلعة لا يطيف بها وادي السغد إلا من وجه واحد. ومعه شوكر بن حبيك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان، فوجه سليمان بن أبي السري على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي، فتلقوه من القلعة على فرسخ في قرية يقال لها: كوم فهزمهم المسيب حتى ردهم إلى القلعة فحصرهم سليمان، ودهقانها يقال لها: ديواشني.

قال: فكبت إليه الحرشي فعرض عليه أن يمده، فأرسل إليه: ملتقانا ضيق فسر إلى كس، فإننا في كفاية الله إن شاء الله. فطلب الديواشني أن ينزل على حكم الحرشي، وأن يوجهه مع المسيب بن بشر إلى الحرشي، فوفي له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرشي، فالظنه وأكرمه مكيدة، فطلب أهل القلعة الصلح بعد

## ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك - فيما ذكر محمد بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى - قال: خطب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس النهري فاطمة ابنة الحسين، فقالت: والله ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء، وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه. قال: وألح عليها وقال: والله لئن لم تفعلني لأجلدن أكبر بنيك في الخمر - يعني عبد الله بن الحسن - فبينما هو كذلك، وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل من أهل الشام، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه، ويدفع الديوان، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودعها، فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك، وما يتعرض مني. قال: وبعثت رسولا بكتساب إلى يزيد تخبره وتذكر قرائتها ورحمها، وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها، وما يتوعدها به.

قال: فقدم ابن هرمز والرسول معاً، قال: فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة، وقال: هل كان من مغربة خبر؟ فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين، فقال الحاجب: أصلح الله الأمير! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين، فقال ابن هرمز: أصلح الله الأمير! إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتي رسالة إليك، فأخبره الخبر.

قال: فنزل من أعلى فراشه، وقال: لا أم لك! ألم أسالك هل من مغربة خبر، وهذا عندك لا تخبرني! قال: فاعتذر بالنسيان. قال: فأذن للرسول فأدخله، فأخذ الكتاب، فاقرأه. قال: وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول: لقد اجترأ ابن الضحاك! هل من رجل يسمعي صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري. قال: فدعا بقرطاس، فكتب بيده.

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري وهو بالطائف: سلام عليك، أما بعد فإني قد ولّيتك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا فأهبط واعزل عنها ابن الضحاك، وأغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي.

قال: وأخذ البريد الكتاب، وقدم به المدينة، ولم يدخل على ابن الضحاك، وقد أوجست نفس ابن الضحاك، فأرسل إلى البريد، فكشف له عن طرف المفرش، فإذا ألف دينار، فقال: هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق، لئن أنت أخبرني خبر وجهك هذا دفعتها إليك، فأخبره، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى

يسير، ففعل. ثم خرج ابن الضحاك، فأغذ السير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك، فعذا مسلمة على يزيد فرقه وذكر حاجة جاء لها، فقال: كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك، فقال: هو والله ابن الضحاك! فقال: والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل، قال: فردّه إلى المدينة إلى النضري.

قال عبد الله بن محمد: فرأيت في المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس، وقد عذب ولقي شراً، وقدم النضري يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومائة.

قال محمد بن عمر: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فروة، عن الزهري، قال: قلت لعبد الرحمن بن الضحاك: إنك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شيء خالف فعلهم، فالزم ما أجمعوا عليه، وشارر القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، فإنهما لا يألوانك رشداً. قال الزهري: فلم يأخذ بشي من ذلك، وعادي الأنصار طراً، وضرب أبا بكر بن حزم ظملاً وعدواناً في باطل، فما بقي منهم شاعر إلا هجاه، ولا صالح إلا عابه وأتاه بالقيبح فلما ولي هشام رأيت ذليلاً.

وولي المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر، فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه، وكان يذهب مذاهب الخير، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكمي - وهو أمير على أرمينية وأذربيجان - أرض الترك ففتح على يديه بلنجر، وهزم الترك وغرقهم وعامة ذرايرهم في الماء، وسبوا ما شاءوا، وفتح الحصون التي تلي بلنجر وجلا عامة أهلها.

وفيها ولد - فيما ذكر - أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي في شهر ربيع الآخر.

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعدة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي، وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمسة عشر ليلة، فأخرجه إليهم في خرقة، وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركونا ثم تارككم من عدوكم.

وفي هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحارثي عن خراسان، وولاه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي.

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو

### الحرشى عن خراسان

ذكر أن سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحارثى في أمر الديوانى، وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله، وكان يستخف بأمر ابن هبيرة، وكان البريد والرسول إذا ورد من العراق قال له: كيف أبو المثنى؟ ويقول لكاتبه: اكتب إلى أبي المثنى ولا يقول: الأمير، ويكثر أن يقول: قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جميل بن عمران، فقال له: بلغني أشياء عن الحارثى، فاخرج إلى خراسان، وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين، وأعلم لي علمه فقدم جميل، فقال له الحارثى: كيف تركت أبا المثنى؟ فجعل ينظر في الدواوين. فقيل للحارثى: ما قدم جميل لينظر في الدواوين، وما قدم ليعلم علمك، فسم بطيخة، وبعث بها إلى جميل، فأكلمها فمرض، وتساقط شعره، ورجع إلى ابن هبيرة، فعولج واستبل وصح، فقال لابن هبيرة: الأمر أعظم مما بلغك، ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله، فغضب عليه وعزله وعذبه، ونفخ في بطنه النمل، وكان يقول حين عزله: لو سألني عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته، فلما عذب أدى، فقال له رجل: ألم تزعم أنك لا تعطيه درهماً؟ قال: لا تعفني، إنه لما أصابني الحديد جزعت، فقال أذينة بن كليب - أو كليب بن أذينة:

تصبر أبا يحيى فقد كنت علمنا صبوراً ونهاضاً بثقل المغارم  
وقال علي بن محمد: إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هراة، إما عاملاً وإما في غير ذلك من أموره، فنزل قبل أن يمر على الحارثى، وأتى هراة، فلم ينفذ له ما قدم فيه، وكتب إلى الحارثى، فكتب الحارثى إلى عامله: أن أحمل إلى معقلا، فحمله، فقال له الحارثى: ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هراة؟ قال: أنا عامل لابن هبيرة ولاني كما ولاك، فضره مائتين وحلقه. فعزله ابن هبيرة، واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة، فكتب إلى الحارثى يلخنه، فقال سعيد: بل هو ابن اللخناء. وكتب إلى مسلم أن أحمل إلى الحارثى مع معقل بن عروة، فدفعه إليه، فأساء به وضيق عليه، ثم أمره يوماً فعذبه، وقال: اقلته بالعذاب. فلما أمسى ابن هبيرة سمر فقال: من سيد قيس؟ قالوا: الأمير، قال: دعوا هذا، سيد قيس الكوثر بن زفر، لو بوق لبلى لرافاه عشرون ألفاً، لا يقولون: لم دعوتنا ولا يسألونه، وهذا الحمار الذي في الحبس - قد أمرت بقتله - فارسها، وأما خير قيس لها فعى أن أكونه، إنه لم يعرض إلي أمر أرى أنني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جرت به إليهم، فقال له أعرابي من بني فزارة: ما أنت كما تقول، لو كنت كذلك

ما أمرت بقتل فارسها. فأرسل إلى معقل أن كف عما كنت أمرتك به.

قال علي: قال مسلم بن المغيرة: لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو الحارثى، فلحقه بموضع من الفرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة، وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له: قبيض، فعرفه الحارثى فقال له: قبيض؟ قال: نعم، قال: أفي السفينة أبو المثنى؟ قال: نعم. قال: فخرج إليه ابن هبيرة، فقال له الحارثى: أبا المثنى، ما ظنك بي؟ قال: ظني بك أن لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قريش، قال: هو ذاك، قال: فالتجاء.

قال علي: قال أبو إسحاق بن ربيعة: لما حبس ابن هبيرة الحارثى دخل عليه معقل بن عروة القشيري، فقال: أصلح الله الأمير! قيدت فارس قيس وفضحت، وما أنا براص عنه، غير أنني لم أحب أن تبلغ منه ما بلغت، قال: أنت بيبي وبينه، قدمت العراق فوليته البصرة، ثم وليته خراسان، فبعث إلي ببرذون حطم واستخف بأمرى، وخان فعزله فعزله، وقلت له: يا ابن نسعة، فقال لي: يا ابن بسرة. فقال معقل: وفعل ابن الفاعلة! ودخل على الحارثى السجن، فقال: يا ابن نسعة، أمك دخلت واشترت بثمانين عنزاً جرباً، كانت مع الرعاء ترادفها الرجال مطية الصادر والوارد، تجعلها نداً لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة! وافتري عليه، فلما عزل ابن هبيرة، وقدم خالد العراق استعدى الحارثى على معقل ابن عروة، وأقام البيعة أنه قدف، فقال للحارثى: اجلده، فحده، وقال: لولا أن ابن هبيرة وهن في عضدي لقتبت عن قلبك، فقال رجل من بني كلاب لمعقل: أسأت إلى ابن عمك وقدفته، فأداله الله منك، فصرت لا شهادة لك في المسلمين، وكان معقل حين ضرب الحد قدف الحارثى أيضاً، فأمر خالد بإعادة الحد، فقال القاضي: لا يجد. قال: وأم عمر ابن هبيرة يسرة بنت حسان، عدوية من عدي الرباب.

### ولاية مسلم بن سعيد على خراسان

وفي هذه السنة ولي عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحارثى عنها.

### ذكر الخبر عن سبب توليه إياها:

ذكر علي بن محمد أن أبا الذبالي وعلي بن مجاهد وغيرها حدثوه، قالوا: لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده فتأذب ونبل، فلما قدم عدي بن أرسطاة أراد أن

فلم يفعل، فرد رسول ابن هبيرة، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بحماية تلك الأموال، فلما قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت عليهم، فقبل له: إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار، وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان، لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل، إنما كان على مهزم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف، وعامة من سمو لك ممن كثر عليه بمنزلة.

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة، وأوفد وفداً فيهم مهزم بن جابر، فقال له مهزم بن جابر: أيها الأمير، إن الذي رفع إليك الظلم والباطل، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به أديناه، فقال ابن هبيرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، فقال: اقرأ ما بعدها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. فقال ابن هبيرة: لا بد من هذا المال، قال: أما والله لئن أخذته لتأخذنه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك، وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراهم وحلقتهم، ونحن في ثغر نكايد فيه عدواً لا يتقضي حربهم، إن أخذنا لبليس الحديد حتى يخلص صدوه إلى جلده، حتى إن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاهما وعن الرجل الذي تخدمه ليربح الحديد، وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصرة، والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي: وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق، فجاءوا على الحمرة، فولوا الولايات، فاقطعوا الأموال، فهي عندهم موقرة جمه.

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد، وكتب إليه أن استخراج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم. فلما أتى مسلماً كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال، وأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذبهم، ففعل وأخذ منهم ما فرق عليهم.

### أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي.

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

يوليه، فشارو كاتبه، فقال: وله ولاية خفيفة ثم ترفعه، فولاه ولاية، فقام بها وضبطها وأحسن، فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية، فدعاه ولم يكن شاب بعد، فنظر فرأى شبيبة في لحيته، ففكر.

قال: ثم سمر ليلة ومسلم في سمره، فتخلف مسلم بعد السمار، وفي يد ابن هبيرة سفرجلة، فرمي بها، وقال: أيسرك أن أوليك خراسان؟ قال: نعم، قال: غدوة إن شاء الله. قال: فلما أصبح جلس، ودخل الناس، فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده، وأمره بالسير، وكتب إلى عمال الخراج أن يكتبوا مسلم بن سعيد، ودعا بجيلة بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمسان، فقال بجيلة: ما صنعت بي المولوية! كان مسلم يطمع أن ألى ولاية عظيمة فأوليه كورة، فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمسان! قال: فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة أربع ومائة - أو ثلاث ومائة - نصف النهار، فوافق باب دار الإمارة مغلقاً، فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد، فوجد باب المقصورة مغلقاً، فصلى. وخرج وصيف من باب المقصورة فقبل له: الأمير، فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الإمارة، وأعلم الحرشي، وقيل له: قدم مسلم بن سعيد بن أسلم، فأرسل إليه: أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً؟ فأرسل إليه: مثلى لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً، فأناه الحرشي فشتمه وأمر بحسه، فقبل له: إن أخرجهت نهراً قتل، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى، ثم حبسه ليلاً وقيده، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيداً. فأناه حزناً، فقال: مالك؟ فقال: أمرت أن أزيدك قيداً، فقال لكاتبه: اكتب إليه: إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيديني قيداً، فإن كان أمراً ممن فوقك فسمعاً وطاعة، وإن كان رأياً رأيته فسرك الحقيقة، وتمثل:

هم إن يقتفوني يقتلونني ومن أثقف فليس إلى خلود وىروى:

فأما تقتفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود هم الأعداء إن شهدوا وغابوا أولو الأحقاد والأكياد سود أرففوني إراغتكهم فسبني وحذقة كالشجا تحت الوريد وىروى: أريدوني إرادتكهم.

قال: وبعث مسلم على كورة رجلاً من قبله على حربها.

قال: وكان ابن هبيرة حريصاً، أخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب، له علم بخراسان وبأشرافهم، فحبسه فلم يدع منهم شريقاً إلا قرفه، فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلاً يقال له: خالد، وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين سماهم إليه يستأديهم



## السنة السادسة بعد مائة

## ذكر الخبر عما كان

فقال ابن هبيرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، فقال: اقرأ ما بعدها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. فقال ابن هبيرة: لا بد من هذا المال، قال: أما والله لئن أخذته لتأخذته من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك، وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراعهم وحلقتهم، ونحن في ثغر نكايد فيه عدواً لا يتقضي حريهم، إن أحداً ليلبس الحديد حتى يخلص صدوه إلى جلده، حتى إن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاهما وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد، وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصرة، والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي: وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق، فجأؤوا على الحمرات، فولوا الولايات، فاقتطعوا الأموال، فهي عندهم موقرة حمة.

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم. فلما أتى مسلماً كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال، وأمر حاجب بن عمرو الخارثي أن يعذبهم، ففعل وأخذ منهم ما فرق عليهم.

## أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي.

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

لخمس بقين منه سنة الخامسة ومائة.

## السنة الخامسة والمائة

### ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وقال: ومات بأريد من أرض البلقاء، وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن الخامسة عشرة سنة، وهشام بن عبد الملك يومئذ بمحصر، حدثني بذلك عمر بن شبة عن علي.

وقال هشام بن محمد: توفي يزيد بن عبد الملك، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال علي: قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك: إنك تملك أربعين سنة، فقال رجل من اليهود: كذب لعنه الله، إنما رأى أنه يملك أربعين قصبة، والقصبة شهر، فجعل الشهر سنة.

### ذكر بعض سيره وأمره

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم، فقال يوماً وقد طرب، وعنده حبة وسلامة: دعوني أطيّر، فقالت حبة: إلى من تدع الأمة! فلما مات قالت سلامة القس:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بالخشوع  
قد لعمرى بست ليلى كساخي السداء الوجيع  
ثم بات الهمم مني دون من لي من ضجيع  
للذي حل بنا اليوم من الأمر الفظيع  
كلما أبصرت ربعا خالياً فاضت دموعي  
قد خلا من سيد كان لنا غير مضيع

ثم نادى: وا أمير المؤمنين! والشعر لبعض الأنصار.

قال علي: حج يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حبة - وكان اسمها العالية - بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن حنيف، فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد، فرد يزيد حبة فاشترها رجل من أهل مصر، فقالت سعدة ليزيد: يا أمير المؤمنين، هل بقى من الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم حبة، فأرسلت سعدة رجلاً فاشترها بأربعة آلاف دينار، وصنعها حتى ذهب عنها كلال السفر، فأت بها يزيد، فاجلسها من وراء السر، فقالت: يا أمير المؤمنين، أبقي شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسألني عن هذا مرة فأعلمتك! فرفعت السر، وقالت: هذه حبة، وقامت وخلتها عنده، فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها. وسعدة امرأة يزيد، وهي من آل عثمان بن عفان.

قال علي عن يونس بن حبيب: إن حبة جارية يزيد بن عبد الملك غنت يوماً:

فمما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان، حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بلنجر، ففتح بعض ذلك، وجلى عنه بعض أهله، وأصاب غنائم كثيرة.

وفيهما كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل، فأصيبوا - فيما ذكر - جميعاً.

وفيهما غزا مسلم بن سعيد الترك، فلم يفتح شيئاً، ففقل ثم غزا أفشينة (مدينة من مدائن السغد) بعد في هذه السنة، فصالح ملكها وأهلها.

### ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه، أن مسلم بن سعيد مرزب بهرام سيس فجعله المرزبان. وأن مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة الخامسة ومائة، فلم يفتح شيئاً وقفل، فاتبعه الترك فلحقوه، والناس يعبرون نهر بلخ وتقيم على الساقة، وعيبد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم، فحاموا عن الناس حتى عبروا. ومات يزيد بن عبد الملك، وقام هشام، وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة، فانصرف لتمام سنة الخامسة ومائة.

### ذكر موت يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان، لخمس ليال بقين من شعبان منها، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي.

وقال الواقدي: كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق، وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة.

وقال بعضهم: كان ابن أربعين سنة.

وقال بعضهم: ابن ست وثلاثين سنة، فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعلي بن محمد أربع سنين وشهراً، وفي قول الواقدي أربع سنين.

وكان يزيد بن عبد الملك يكنى أبا خالد، كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقدي وغيرهم.

وقال علي بن محمد: توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن الخامسة وثلاثين سنة، أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة

مع الجعيد بن عبد الرحمن ترجاناً له - فلما عزل الجعيد بن عبد الرحمن، قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب، فلقى أبا عكرمة الصادق ومسيرة ومحمد بن خنيس وسالماً الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة، فذكروا له أمر دعوة بني هاشم.

فقبل ذلك ورضيه، وأنفق ما معه عليهم، ودخل إلى محمد ابن علي: ومات مسيرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهران إلى العراق مكان مسيرة، فأقامه مقامه.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، والنضري على المدينة.

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل، عن أبيه، قال: كان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجج، فأرسل إلى عطاء بن أبي رباح: متى أخطب بمكة؟ قال: بعد الظهر، قبل التروية يوم، فخطب قبل الظهر، وقال: أمرني رسولي بهذا عن عطاء، فقال عطاء: ما أمرته إلا بعد الظهر، قال: فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ، وعدوه منه جهلاً.

### ذكر ولاية خالد القسري على العراق

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق، وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال.

ذكر محمد بن سلام الجمحي، عن عبد القاهر بن السري، عن عمر بن يزيد بن عمير الأسدي قال: دخلت على هشام بن عبد الملك، وعنده خالد بن عبد القمري، وهو يذكر طاعة أهل اليمن، قال: فصفت تصفيقة بيدي دق الهواء منها، فقلت: نال الله ما رأيت هكذا خطأ ولا مثله خطأ! والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن، هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب. قال: فلما قمت تبغي رجل من آل مروان كان حاضراً، فقال: يا أخا بني تميم، ورت بك زنادي، قد سمعت مقاتلك، وأمير المؤمنين مول خالداً العراق، وليست لك بدار.

ذكر عبد الرزاق أن حماد بن سعيد الصنعاني أخبره قال: أخبرني زياد بن عبيد الله، قال: أتيت الشام، فاقتضت، فبينما أنا يوماً على الباب باب هشام، إذ خرج علي رجل من عند هشام، فقال لي: من أنت يا فتى؟ قلت: يمان، قال: فمن أنت؟ قلت: زياد بن عبيد الله بن عبد المدان، قال فتيسم، وقال: قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي: ارتحلوا فإن أمير المؤمنين قد رضى عني، وأمرني بالمسير، ووكل بي من يخرجني قال: قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: خالد بن عبد الله القسري، قال: ومرهم يا

بين السراق واللهة حرارة ما تطعنن وما تسوغ فتبرد فأهوى ليطير فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجة، فمرضت وثقلت، فقال: كيف أنت يا حباية؟ فلم تجبه، فبكى وقال:

لئن تسل عنك النفس أو تنعل الهوى فإلياس يسلو القلب لا بالتجلد وسمع جارية لها تتمثل:

كفى حزناً بالهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة فقرا فكان يتمثل بهذا.

قال عمر: قال علي: مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حباية سبعة أيام لا يخرج إلى الناس، أشار عليه بذلك مسلمة، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس.

### خلافة هشام بن عبد الملك

وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي، قال: حدثنا أبو محمد القرشي وأبو محمد الزياتي والمنهال بن عبد الملك وسحيم بن حفص العجيفي، قالوا: ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة الثانية وسبعين. وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم، وكانت حمقاء، أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى تلد، وكانت تشي الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة، وتشترى الكندر فتمصغه وتعمل منه تماثيل، وتضع التماثيل على الوسائد، وقد سمت كل تماثل باسم جارية، وتنادي: يا فلانة ويا فلانة، فطلقها عبد الملك لحمقها. وسار عبد الملك إلى مصعب فقتله، فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصوراً، يتفاءل بذلك، وسمته أمه باسم أبيها هشام، فلم ينكر ذلك عبد الملك، وكان هشام يكنى أبا الوليد.

وذكر محمد بن عمر عن حدثه أن الخلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة في منزله في ديرة له هناك.

قال محمد بن عمر: وقد رأيته صغيرة، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، وسلم عليه بالخلافة، فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق.

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة قدم بكير بن ماهران من السند - وكان بها

على المعونة، فقلت: والله لا انكسرت، ثم كتب إلى خالد: إنك بعثني على الري، فظننت أنك جمعتها لي. فأرسل إلي صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطيني ثلثمائة ألف درهم. فكتب إلي أن أقبل ما أعطاك، وأعلم أنك مغبون. فأقمت بها ما أقمت، ثم كتبت: إني قد اشتقت إليك فارفعني إليك، ففعل، فلما قدمت عليه ولاني الشرطة.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس. وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان في سنة ست ومائة، وإن عامله على العراق وخراسان في سنة الخامسة ومائة كان عمر بن هبيرة.

فنى أن يعطوك مندبل ثيابي وبرذوني الأصفر. فلما جرت قليلاً ناداني، فقال: يا فنى، وإن سمعت بي قد وليت العراق يوماً فالحق بي. قال: فذهبت إليهم، فقلت: إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه، وأمره بالمسير. فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي، فلما رأيت ذلك منهم، قلت: وقد أمرني أن تعطوني مندبل ثيابه وبرذونه الأصفر، قالوا: إي والله وكرامة، قال: فأعطوني مندبل ثيابه وبرذونه الأصفر، فما أمسى بالعسكر أحد أجود ثياباً مني، ولا أجود مركباً مني، فلم البث إلا يسيراً حتى قيل: قد ولي خالد العراق، فركبني من ذلك هم، فقال لي عريف لنا: ما لي أراك مهموماً؟ قلت: أجل قد ولي خالد كذا وكذا، وقد أصبت ما هنا رزقاً عشت به، وأخشى أن أذهب إليه فيتغير علي فيفوتني ما هنا وما هنا، فلست أدري كيف أصنع! فقال لي: هل لك في خصلة؟ قلت: وما هي؟ قال: توكلني بأرزاقك وتخرج، فإن أصبت ما تحب فلي أرزاقك، وإلا رجعت فدفعته إليك، فقلت نعم.

وخرجت، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي، وأذن للناس فتركهم حتى أخذوا مجالسهم، ثم دخلت فقممت بالباب، فسلمت ودعوت وأثيت، فرفع رأسه، فقال: أحسنت بالرحب والسعة، فما رجعت إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض.

ثم كنت اختلف إليه، فقال لي يوماً: هل تكتب يا زياد؟ فقلت: أقرأ ولا أكتب، أصلح الله الأمير! فضرب بيده على جبينه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريدك منك، وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال: قلت: أيها الأمير، هل في تلك الواحدة ثمن غلام؟ قال: وماذا حيثذا؟ قلت: تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إلي فيعلمني، قال: هيئات! كبرت عن ذلك، قال: قلت: كلا، فاشتري غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً، فيبعث به إلي، فأكتب على الكتاب، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً، فما مضت إلا الخامسة عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت. قال: فإني عنده ليلة، إذا قال: ما أدري هل انجحت من ذلك الأمر شيئاً؟ قلت: نعم، أكتب ما شئت، وأقرأ ما شئت، قال: إني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك، قلت: كلا، فرفع شاذ كونه، فإذا طومار، فقال: أقرأ هذا الطومار، فقرأت ما بين طرفيه، فإذا هو من عامله على الري، فقال: أخرج فقد وليت عمله، فخرجت حتى قدمت الري، فأخذت عامل الخراج، فأرسل إلي: إن هذا أعرابي مجنون، فإن الأمير لم يول على الخراج عربياً قط، وإنما هو عامل المعونة، فقل له: فليقرني على عملي وله ثلثمائة ألف، قال: فنظرت في عهدي، فإذا أنا

## السنة السادسة بعد مائة

إلى بلخ، وعليهم جميعاً نصر بن سيار، وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه.

فأحرق نصر باب البختری وزیاد بن طریف الباهلي، فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ - وكان عليها - وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل البروقان، فأتاه أهل صفانيان، وأتاه مسلمة العقفاني من بني تميم، وحسان بن خالد الأسدي، كل واحد منهما في خمسمائة، وأتاه سنان الأعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميري في أهل بيته، وتجمعت بكر والأزد بالبروقان، رأسهم البختری، وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم، فأرسل نصر إلى أهل بلخ: قد أخذتم أعطيائكم فالحقوا بأميركم، فقد قطع النهر. فخرجت مضر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم، وقال قوم من ربيعة: إن مسلم بن سعيد يريد أن يخلع، فهو يكرهنا على الخروج. فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم: إنك منا، وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب - وكان بنو قتيبة من باهلة - فقالوا: إنا من تغلب، فكروه بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب، فقال رجل منهم:

زعمت قتيبة أنها من وائل نسب بعيد يا قتيبة فاصعدي  
وذكر أن بني معن من الأزد يدعون باهلة، وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجلس بني معن، فيقول: لئن لم تكن منكم ما نحن بعرب، وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى بني تغلب: أما القرابة فلا أعرفها، وأما المنع فإني سأمنعكم، فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن الفضل الحداني، وكلما نصراً وناشداه فأنصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختری على نصر، ونادوا: يال بكر! وجالوا، وكر نصر عليهم، فكان أول قتيل رجل من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البختری وزیاد بن طریف الباهلي، فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً، وقتل كردان أخو الفرافصة ومسعدة ورجل من بكر بن وائل يقال له: إسحاق، سوى من قتل في السكك، وانهزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء، فقال: خذي لي أماناً منه، فأمنه نصر، وقال: لولا أنني أشتت بك بكر بن وائل لقتلتك.

وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، فأتوا به نصراً في عنقه جبل، فأمنه نصر، وقال له ولزياد بن طریف والبختری بن درهم: الحقوا بأميركم.

وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبروقان، فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا،

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف، وولي ذلك كله خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة، فكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر.

وفيهما غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة.

وفيهما غزا الحجاج بن عبد الملك اللان، فصالح أهلها، وأدوا الجزية.

وفيهما ولد عبد الصمد بن علي في رجب.

وفيهما مات الإمام طاوس مولى مجير بن ريسان الحميري بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر، فصلى عليهما هشام. وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، قال: مات سالم بن عبد الله سنة الخامسة ومائة في عقب ذي الحجة، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع، فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر، وقد أقبل هشام ما عليه إلا دراعة، فوقف على القاسم فلمسلم عليه، فقام إليه القاسم فسأله هشام: كيف أنت يا أبا محمد؟ كيف حالك؟ قال: بخير، قال: إني أحب والله أن يجعلكم بخير. ورأى في الناس كثرة، فضرب عليهم بعث أربعة آلاف، فسمى عام الأربعة آلاف.

وفيهما استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله؟ واستقضى الصلت الكندي.

## ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعية

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعية بالبروقان من أرض بلخ.

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة.

وكان سبب ذلك - فيما قيل - أن مسلم بن سعيد غزا، فقطع النهر، وتباطأ الناس عنه، وكان ممن تباطأ عنه البختری بن درهم، فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم، وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء النميري، وأبا حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة

وقد قربنا إلى هذا الرجل فأنكر قوابتنا! فاعتزلوا. وقاتلت الأزد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبخثري أحد بني عباد وزباد بن طريف الباهلي، فضربهم نصر مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، والبسهم المسوح. وقيل: أخذ البخثري في غيضة كان دخلها، فقال نصر في يوم البروقان:

أرى العين لجت في ابتدار وما الذي يرد عليها بالدموع ابتدارها!  
فما أنا بالواني إذا الحرب شمعت تحرق في شطر الخمسين نارها  
ولكنني أدعو لها خندف السي تطلع بالععب الثقيل ققارها  
وما حفظت بكر هنالك حلفها فصار عليها عار قيس وعارها  
فإن تك بكر بالعراق تنزرت ففي أرض مرو عليها وازورارها  
وقد جربت يوم البروقان وقعة لخندف إذ حانت وآن بوارها  
أتني لقيس في بجيلة وقعة وقد كان قبل اليوم طال انتظارها  
يعني حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله.

وذكر علي بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو، فقال لرجل من بني غنيم كان معه: كيف ترى أستاذ قومك يا أخا بني غنيم؟ يعيره بهزيمتهم، ثم كرت غنيم فهزموا أصحاب عمرو، فأنجلي الرجح وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني غنيم يشلهم، فقال التميمي لعمرو: هذا أستاذ قومي. قال: وانهزم عمرو، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا الأسرى ولكن جردوهم، وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم، ففعلوا، فقال بيان العنبري يذكر حربهم بالبروقان:

أناني ورحلي بالمدينة وقعة لآل غنيم أرجفت كل مرجف  
تظل عيون البرش بكر بن وائل إذا ذكرت قتلى البروقان تذرف  
هم اسلموا للموت عمرو بن مسلم وولوا شلالاً والأسنة ترعف  
وكانت من الفتيان في الحرب عادة ولم يصبروا عند القنا المتقصف

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك، فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله، وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها.

### خبر غزو مسلم بن سعيد الترك

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك، فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله، وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها.

ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة.

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن مسلماً غزا في هذه السنة، فخطب الناس في ميدان يزيد، وقال: ما أخلف بعدي شيئاً أهم عندي من قوم يتخلفون بعدي خلقي الرقاب، يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين، اللهم بهم وافعل! وقد أمرت نصراً ألا يجد متخلفاً إلا قتله، وما أرثي لهم من عذاب ينزله الله بهم - يعني عمرو بن مسلم وأصحابه - فلما صار ببخاري أتاه كتاب

وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قربة على إبله، فلما رأى جهد الناس أخرجهما، فشربوا جرعا، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فاتوه بإناء، فأخذه جابر - أو حارثة - بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه، فقام مسلم: دعوه، فما نازعني شربي إلا من حر دخله، فأتوا خجندة، وقد أصابهم جماعة وجهد، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم، فأتياه بعهد على خراسان من أسد بن عبد الله، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً، فقال: سمعاً وطاعة، قال:

وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام في مفازة أمل.

قال: وكان أعظم الناس غشى يوم العطش إسحاق بن محمد الغداني، فقال حاجب الفيل لثابت قطنه، وهو ثابت بن كعب:

نقضي الأمور وبكر غير شاهدها بين المجاذيف والسكان مشغول ما يعرف الناس منه غير قطته وما سواها من الآباء مجهول وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد، وكان أشدهم نعيم وشديد، فلما عزل مسلم بن سعيد، قال الخزرج التغلبي: قاتلنا الترك، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك، فنظرت إليهم وقد اصفرت وجوههم، فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر بن الحنيف بن نصر بن يزيد بن جعونة على الترك في أربعة آلاف، فقاتلهم ساعة ثم رجع، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم، وحمل الناس عليهم، فانهزم الترك.

قال: وحوثرة هذا هو ابن أخي رقية بن الحر. قال: وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان: ليكن حاجبك من صالح مواليك، فإنه لسانك والمعبر عنك، وحث صاحب شرطتك على الأمانة، وعليك بعمال العذر. قال: وما عمال العذر؟ قال: مر أهل كان بلد أن يجتاروا لأنفسهم، فإذا اختاروا رجلاً فوله، فإن كان خيراً كان لك، وإن كان شراً كان لهم دونك، وكنت معذوراً.

قال: وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة: اعمل لي توبة بن أبي أسيد، فحمله فقدم - وكان رجلاً جيلاً جهيراً له سمت - فلما دخل على ابن هبيرة، قال ابن هبيرة: مثل هذا فليول، ووجه به إلى مسلم، فقال له مسلم: هذا خاقي فاعمل برأيك، فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم، فقال له أسد: أقم معي فأنا أخرج إليك من مسلم. فأقام معه، فأحسن إلى الناس والأمان جانيه، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم، فقال له أسد: حلفهم بالطلاق فلا يتخلف أحد عن مغزاه، ولا يدخل بديلاً، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق.

قال: وكان الناس بعد توبة يحلفون الجند بتلك الأيمان، فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا وقالوا: نحلف بأيمان توبة. قال: فهم يعرفون ذلك، يقولون: أيمان توبة.

### حج هشام بن عبد الملك

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره، لا خلاف بينهم في ذلك.

قال الواقدي: حدثني ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: كتب إلى هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحج، فكتبها له، وتلقاه أبو الزناد. قال أبو الزناد: فإني يومئذ في الموكب خلفه، وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان، وهشام يسير، فنزل له، فسلم عليه، ثم سار إلى جنبه، فصاح هشام: أبو الزناد! فتقدمت، فسرت إلى جنبه الآخر، فأسمع سعيداً يقول: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت المؤمنين، وينصر خليفته المظلوم، ولم يزالوا يلعنون في هذا المواطن الصالحة أباً تراب، فأمر المؤمنين ينغي له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة، قال: فشق على هشام، وثقل عليه كلامه، ثم قال: ما قدمنا لثمت أحد ولا للعنه، قدمنا حججاً. ثم قطع كلامه وأقبل علي فقال: يا عبد الله بن ذكوان، فرغت مما كتبت إليك؟ فقلت: نعم، فقال أبو الزناد: وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام، فأرأته منكسراً كلما رأيته.

وفي هذه السنة كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك - وهشام واقف قد صلى في الحجر - فقال له: أسألك بالله ومجربة هذا البيت والبلد الذي خرجت معظماً لحقه، إلا رددت علي ظلامي! قال: أي ظلامه؟ قال: داري، قال: فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: ظلمي والله، قال: فعن الوليد بن عبد الملك؟ قال: ظلمي والله، قال: فعن سليمان؟ قال: ظلمي، قال: فعن عمر بن عبد العزيز؟ قال: يرجمه الله، ردها والله علي، قال: فعن يزيد بن عبد الملك؟ قال: ظلمي والله، هو قبضها مني بعد قبضي لها، وهي في يديك. قال هشام: أما والله لو كان فيك ضرب لضربك، فقال إبراهيم: في والله ضرب بالسيف والسوط. فانصرف هشام والأيرش خلفه فقال: أبا مجاشع، كيف سمعت هذا اللسان؟ قال: ما أجود هذا اللسان! قال: هذه قریش وألستها، ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا.

وفي هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق.

### ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان، فقدمها ومسلم بن سعيد غاز بفرغانة، فذكر عن أسد

عليه، فلم ينطق بكلمة، فلما نزل عن المنبر قال:

إن لم أكن فيكم خطيباً فلإني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب  
فقليل له: لو قلت هذا على المنبر، لكنت خطيباً، فقال  
حاجب الفيل اليشكري يُعيره حصره.

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق  
تأوى اللسان إذا رمت الكلام به كما هوى زلق من شاهق النيق  
لما رمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرّض لما قمت بالريق  
أما القرآن فلا تهدي لحكمة من القرآن ولا تهدي لتوفيق  
وفي هذه السنة ولد عبد الصمد بن علي في رجب.

### أخبار متفرقة

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة  
إبراهيم بن هشام المخزومي. وعلى العراق وخراسان خالد بن  
عبد الله القسري، وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد  
الأعلى، وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى  
قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس، وعلى خراسان أسد بن عبد  
الله.

أنه لما أتى النهر ليقطع، منعه الأشهب بن عبيد التميمي أحد بني  
غالب، وكان على السفن بأمل، فقال له أسد: أقطعني، فقال: لا  
سبيل إلى إقطاعك، لأنني نهيت عن ذلك، قال: لا طفوه  
وأطمعوه، فأبى، قال: فإني الأمير، ففعل، فقال أسد: اعرفوا هذا  
حتى نشركه في أمانتنا، فقطع النهر، فأتى السغد، فنزل مرجها،  
وعلى خراج سمرقند هاني بن هاني، فخرج في الناس يتلقى  
أسداً، فاتوه بالمرج، وهو جالس على حجر، فتفاهل الناس،  
فقالوا: أسد على حجر! ما عند هذا خير. فقال له هاني: أقدمت  
أميراً ففضل بك ما نفعل بالأمراء؟ قال: نعم، قدمت أميراً. ثم  
دعا بالغداء فتغدى بالمرج، وقال: من ينشط بالمسير وله أربعة  
عشرة درهماً - ويقال: قال ثلاثة عشرة درهماً - وها هي ذي في  
كمي؟ وإنه ليبيكي ويقول: إنما أنا رجل مثلكم. وركب فدخل  
سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على  
الجند، فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم، وهو في وادي  
أفشين على الساقية - وكانت الساقية على أهل سمرقند الموالي  
وأهل الكوفة - فسألا عن عبد الرحمن فقالوا: هو في الساقية،  
فاتياه بعهد وكتاب بالفضل والإذن لهم فيه، فقرأ الكتاب. ثم أتى  
به مسلماً وبعده، فقال مسلم: سمعاً وطاعة، فقام عمرو بن  
هلال السدوسي - ويقال التيمي - فقتعه سوطين لما كان منه  
بالبروقان إلى بكر بن وائل، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن  
المختز، فغضب عبد الرحمن بن نعيم، فزجرهما ثم أغلظ لهما،  
وأمر بها فدفعاً، وفقاً بالناس وشخص معه مسلم.

فذكر علي بن محمد عن أصحابه، أنهم قدموا على أسد،  
وهو بسمرقند، فشخص أسد إلى مرو، وعزل هانئاً واستعمل  
على سمرقند الحسن بن أبي العمرطة الكندي من ولد آكل  
المرار. قال: فقدمت على الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن  
الأعلم رأس الأزد، ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان، فخرج  
يتلقاها، وغزاهم الترك، فقليل له: هؤلاء الترك قد أتوك - كانوا  
سبعة آلاف - فقال: ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم  
واستعبدانهم، وإيم الله مع هذا لأدينكم منهم، ولأقرنن نواصي  
خيلكم بنواصي خيلهم.

قال: ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا، فقال الناس:  
خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً، وخرج إلى العدو متباطئاً. فلبغوه  
فخطبهم، فقال: تقولون وتعيون! اللهم اقطع آثارهم وعجل  
أقدارهم، وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء! فشتهم الناس  
في أنفسهم.

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قطنة، فخطب  
الناس فحصر فقال: من يطع الله ورسوله فقد ضل، وأرتج



## السنة السابعة والمائة

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرعيي باليمن محكماً، فقتله يوسف بن عمر، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة.

وفيهما غزا الصائفة معاوية بن هشام، وعلى جيش الشام ميمون بن مهران، فقطع البحر حتى عبر إلى قبرس، وخرج معهم البعث الذي هشام كان أمر به في حجته سنة ست، فقدموا في سنة سبع على الجمائل، غزا منهم نصفهم وقام النصف. وغزا البر مسلمة بن عبد الملك.

وفيهما وقع بالشام طاعون شديد.

وفيه وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة من شعيتهم، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله، فوشى بهم إليه، فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه، ونجا عمار، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم، وصلبهم. فاقبل عمار إلى بكير بن ماهان، فأخبره الخبر، فكتب به إلى محمد بن علي، فأجابه: الحمد لله الذي صدق مقاتلكم ودعوتكم، وقد بقيت منكم قتلى مستقل.

وفي هذه السنة حمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله، وكان أسد ابن عبد الله له مكرماً بخراسان لم يعرض له ولم يجبه، فقدم مسلم وابن هبيرة مجمع على الحرب، فنهاه عن ذلك مسلم، وقال لهم إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم.

وفي هذه السنة غزا أسد جبال نمرون ملك الغرستان مما يلي جبال الطالقان، فصالحه نمرون على يديه، فهم اليوم يتولسون اليمن.

## غزو الغور

وفيهما غزا أسد الغور وهي جبال هراة.

ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة.

ذكر علي بن محمد عن أشياخه، أن أسداً غزا الغور، فعمد أهلها إلى أنقالها فصيروها في كهف ليس إليه طريق، فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال، ودلاها بالسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه، فقال ثابت قنطة:

أرى أسداً تضمن مفظعات تهيبها الملوك ذوو الحجاب سما بالخليل في أكتاف مرو وتوفزن بين هلا وهاب

إلى غورين حيث حوى أرب وصك بالسيف وبالحراب  
هدانا الله بالقتلى تراها مصلبة بأفواه الشعاب  
ملاحم لم تدع لسراة كلب مهاترة ولا لبني كلاب  
فأوردتها النهاب وآب منها بأفضل ما يصاب من النهاب  
وكان إذا أنشأ بدار قوم أراها المخزبات من العذاب  
لم يزر الجبال جبال ملغ ترى من دونها قطع السحاب  
بارعن لم يدع لهم شريداً وعاقبة الممض من العقاب  
وملغ من جبال خوط فيها تعمل الحزم الملعية.

## أخبار متفرقة

وفي هذه السنة نقل أسد من كان بالبروقان من الجند إلى بلخ، فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكناً بقدر مسكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وأراد أن ينزلهم على الأخماس، فقيل له: إنهم يتعصبون، فخلط بينهم، وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل كورة على قدر خراجها، وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك، - وكان البروقان منزل الأمراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين - فقال أبو البريد في بيان أسد مدينة بلخ:

شعفت فزادك فالهوى لك شاعف رشم على طفل بمومل عاطف  
ترعى البرير بجساني متهدل ريان لا يعيشو إليه آلف  
بمحاضر من منحنى عطفت له بقر ترجح زانهن روادف  
إن المباركة السي أحصتها عصم الذليل بها وقر الخائف  
فأراك فيها ما رأى من صالح فتحاً وأبواب السماء رواعف  
فمضى لك الإسم الذي يرضى به عنك البصر بما نويت اللاطف  
يا خير ملك ساس أمر رعية إني على صدق اليمن لحالف  
الله أمنها يصنعك بعدما كانت قلوب خوفهن رواجف

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الراقي وهشام وغيرهما.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ست ومائة.

## السنة الثامنة والمائة

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله على يديه.  
وفيهما أيضاً غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضاً حصناً من حصون الروم.

وفيهما وجه بكير بن ماهان إلى خراسان عدة، فيهم عمار العبادي، فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فآخذ عماراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علي، فكتب إليه في جواب الكتاب: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم.  
وفيهما كان الحريق بدابق، فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن أبيه، قال: احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال.

## غزو الختل

وفيهما غزا أسد بن عبد الله الختل، فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتى أسداً وقد انصرف إلى القوادبان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة. وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفوضوه، فتغنى الصبيان:

أزختلان أمئذى بروتيهه أمئذى

قال: وكان السبل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسرخ دره، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره، فكبر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا: هذه علامتهم إذا قفلوا، فقال لعروة المنادي: ناد إن الأمير يريد غورين، ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر، فلم يلتق هو ولا هم ورجع إلى بلخ، فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله:

ندبت لي من كل الخامسة ألفين من كل لحاف عريض الدفين

قال: ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوهم يوماً، وصبروا لهم، وبرز رجل من المشركين، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه، وقد أعلم بعصاة خضراء - وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار - فقال سلم لنصر: قد عرفت رأي أسد، وأنا حامل على هذا العليج، فلعلني أن أقتله فيرضى. فقال: شأنك، فحمل عليه، فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه، فإذا هو

بين يدي فرسه، ففحص برجله، فرجع سلم فوقف، فقال لنصر: أنا حامل حملة أخرى، فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدة، فاختلفا ضربتين، فقتله سلم، فرجع سلم جريحاً، فقال نصر لسلم: قف لي حتى أحمل عليهم، فحمل حتى خالط العدو، فصرع رجلين ورجع جريحاً فوقف فقال: أترى ما صنعنا يرضيه؟ لا أرضاه الله! فقال: لا والله فيما أظن. وأتاهما رسول أسد فقال: يقول لكما الأمير: قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين، لعنكما الله! فقالا: آمين إن عدنا لمثل هذا. وتحاجزوا يومئذ ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا وحوى المسلمون عسكرهم، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا، وقال بعضهم رجع أسد في سنة ثمان ومائة مفلولاً من الختل، فقال أهل خراسان:

أزختلان أمئذى يرويهه أمئذى يبدل فرارز أمئذى

قال: وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد، فبعث أسد بكشين مع غلام له، وقال: لا تبعهما بأقل من خمسمائة، فلما مضى الغلام، قال أسد: لا يشتريهما إلا ابن الشخير، وكان في المسلحة، فدخل ابن الشخير حين أمسى، فوجد الشاتين في السوق، فاشتراهما بمخمسائة، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة، فبعث إليه أسد بألف درهم.

قال: وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير، أخو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي.

## أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف. حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر الراقي.

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل.

## السنة التاسعة والمائة

## ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح حصناً بها يقال له: طيبة، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية.

## خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسدي، قتله مالك بن المنذر بن الجارود.

## ذكر الخبر عن ذلك.

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب، فأعجب به يزيد بن عبد الملك وقال: هذا رجل العراق، فغاض ذلك خالداً، فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد، ولا يعصى له أمراً حتى يعرفه الناس، ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله، ففعل ذلك، فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فافترى عليه مالك، فقال له عمر بن يزيد: تفتري على مثل عبد الأعلى! فأغلظ له مالك، فضربه بالسياط حتى قتله.

## غزو غورين

وفيما غزا أسد بن عبد الله غورين، وقال ثابت قطنة:

أرى أسداً في الحرب إذ نزلت به وقارع أهل الحرب فاز وأوجبا  
تناول أرض السبل، خاقان ردوه فحرق ما استعصى عليه وخربا  
أتك وفود الترك ما بين كابل وغورين إذ لم يهربوا منك مهربا  
فما يغمر الأعداء من ليث غابة أبي ضاريات حرشوه فعقبا  
أزب كان الورس فوق ذراعاه كربه المحيا قد أسن وجربا  
ألم يك في الحصن المبارك عصمة لجندك إذ هاب الجبان وأرهبا  
بنى لك عبد الله حصناً ورثته قديماً إذا عد القديم وأنجبا

## ذكر الخبر عن عزل هشام خالد القسري

## وأخاه عن خراسان

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسداً عنها.

ذكر الخبر عن عزل هشام خالد وأخاه عن خراسان.

وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس، فقال أبو البريد - فيما ذكر علي بن محمد لبعض الأزد: ادخلني على ابن عمك عبد الرحمن بن صبح، وأوصه بي، وأخبره عني، فادخله عليه - وهو عامل لأسد على بلخ - فقال: أصلىح الله الأمير! هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا، وهو شاعر أهل المشرق، وهو الذي يقول:

إن تقض الأزد حلفاً كان أكده في سالف الدهر عباد ومسعود  
ومالك وسويد أكده معاً لما تجرد فيها أي تجريد  
حتى تنادوا أنك الله ضاحية وفي الجلود من الإيقاع قصيد

قال: فجذب أبو البريد يده، وقال: لعنك الله من شفيق كذب! أصلحك الله! ولكني الذي أقول:

الأزد إخواننا وهم حلفاؤنا ما بيننا نكث ولا تبديل

قال: صدقت، وضحك. وأبو البريد من بني علياء بن شيان بن ذهل ابن ثعلبة.

قال: وتعصب على نصر بن سيار ونفسر معه من مضر، فضربهم بالسياط، وخطب في يوم الجمعة فقال في خطبته: قبح الله هذه الوجوه! وجوه أهل الشقاق والنفاق، والشغب والفساد. اللهم فرق بيني وبينهم، وأخرجني إلى مهاجري ووطني، وقل من يروم ما قبلي أو يترمم، وأمير المؤمنين خالي، وخالد بن عبد الله أخي، ومعني اثنا عشر ألف سيف يمان.

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس، وأخذوا مجالسهم، أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على الناس، فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن نعيم الغامدي وسورة بن الحر الأباتي - أبان بن دارم - والبخري بن أبي درهم من بني الحارث بن عباد، فدعاهم فأنبهم، فآزم القوم، فلم يتكلم منهم أحد، فتكلم سورة، فذكر حاله وطاعته ومناصحته، وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل، وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل. فلم يقبل قوله، وأمر بهم فجردوا، فضرب عبد الرحمن بن نعيم، فإذا رجل عظيم البطن، أرسح، فلما ضرب التوى، وجعل سراويله يزل عن موضعه، فقام رجل من أهل بيته، فأخذ رداء له هروياً، وقام ماداً ثوبه بيده، وهو ينظر إلى أسد، يريد أن يأذن له فيؤزره. فأومى إليه أن يفعل، فدنا منه فازره - ويقال: بل أزره أبو غلبة - وقال له: اتزر أبا زهير فإن الأمير وال مؤدب. ويقال: بل ضربهم في نواحي مجلسه.

فلما فرغ قال: أين تيس بني حمان؟ - وهو يريد ضربه، وقد كان ضربه قبل - فقال: هذا تيس بني حمان، وهو قريب العهد بعقوبة الأمير، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسق بن حمان بن كعب بن سعد. وقيل إنه خلفهم

عليه غالب من أبرشهر، فكانت بينهم منازعة، غالب يفضل آل أبي طالب وزياذ يفضل بني العباس ففارقه غالب، وأقام زياذ بمرو شتوة، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزازي وإبراهيم بن الخطاب العدوي.

قال: وكان ينزل برزن سويد الكتاب في دور آل الرقاد، وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ، فبلغه أمره، فأخبر به أسد بن عبد الله، فدعا به - وكان معه رجل يكنى أبا موسى - فلما نظر إليه أسد، قال له: أعرفك؟ قال: نعم، قال له أسد: رأيتك في حانوت بدمشق، قال: نعم، قال لزياد: فما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: رفع إليك الباطل، إنما قدمت خراسان في تجارة، وقد فرقت مالي على الناس، فإذا صار إلى خرجت. قال له أسد: اخرج عن بلادي، فانصرف، فعاد إلى أمره، فعادوا الحسن أسداً، وعظم عليه أمره، فأرسل إليه، فلما نظر إليه، قال: ألم أنهك عن المقام بخراسان! قال: ليس عليك أيها الأمير مني بأس، فأحفظه وأمر يقتلهم، فقال له أبو موسى: فاقض ما أنت قاض. فازداد غضباً، وقال له: أنزلني منزلة فرعون! فقال له: ما أنزلتك ولكن الله أنزلك فقتلوا، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة، فلم ينج منهم يومئذ إلا غلامان استصغرهما، وأمر بالباقيين فقتلوا بكشانشاه.

وقال قوم: أمر أسد بزياد أن يحط وسطه، فمد بين اثنين، فضرب فنيا السيف عنه، ففكر أهل السوق، فقال أسد: ما هذا؟ فقتل له، لم يحك السيف فيه، فأعطى أبا يعقوب سيفاً، فخرج في سراويل، والناس قد اجتمعوا عليه، فضربه، فنيا السيف، فضربه ضربة أخرى، فقطعه باثنين.

وقال آخرون: عرض عليهم البراءة، فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلي سبيله، فأبى البراءة ثمانية منهم، وتبرأ اثنان.

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة، فقال: أليس هذا أسيرنا بالأمس! فاتاه، فقال له: أسألك أن تلحقني بأصحابي، فأشرفوا به على السوق، وهو يقول: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فدعا أسد بسيف بخاراخداه، فضرب عنقه بيده قبل الأضحية بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً، فنزل على أبي النجم، فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدثهم ويدعوهوم، فكان على ذلك سنة أو سنتين، وكان كثير أمياً، فقدم عليه خدش، وهو في قرية تدعى مرعم، فغلب كثيراً على أمره. ويقال: كان اسمه عمار فسمي خدشاً، لأنه خدش الدين.

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجمي إمرته الأولى في وجه وجهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسداً، فقال:

بعد الضرب، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم - وكان من الحرس - وعيسى بن أبي بريق، ووجههم إلى خالد، وكتب إليه: إنهم أردوا الوثوب عليه، فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلقه، وكان البخترى بن أبي درهم، يقول: لوددت أنه ضربني وهذا شهراً - يعني نصر بن سيار لما كان بينهما بالبروقان - فأرسل بنو تميم إلى نصر: إن شتتم انتزعناكم من أيديهم، فكفهم نصر، فلما قدم بهم على خالد لام أسداً وعنفه، وقال: ألا بعثت برؤوسهم! فقال عرفجة التميمي:

فكيف وأصار الخليفة كلهم عناة وأعداء الخليفة تطلق بكيت ولم أملك دموعي وحق لي ونصر شهاب الحرب في الغل موثق وقال نصر:

بعثت بالعتاب في غير ذنب في كتاب تلوم أم تميم إن أكن موثقاً أسيراً لديهم في هموم وكربة وسهوم رهن قسر فما وجدت بلاء كإسار الكرام عند اللئيم أبلغ المدعين قسراً وقسر أهل عود القناة ذات الرصوم هل فطمتهم عن الخيانة والغد رام أنتم كالحاكر المستديم؟ وقال الفرزدق:

أخالد لسوا الله لم تعط طاعة ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا إذا للقيتم دون شد وثاقه بنى الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ، فقال في خطبته: يا أهل بلخ، لقيتموتي الزاغ والله لأريغن قلوبكم.

فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصية، كتب هشام إلى خالد بن عبد الله: اعزل أخاك، فعزله فاستأذن له في الحج، فقبل أسد إلى العراق ومعه دهاقين خراسان، في شهر رمضان سنة تسع ومائة، واستخلف أسد على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي، فأقام الحكم صيفية، فلم يغز.

### ذكر الخبر عن دعاة بني العباس

وذكر علي بن محمد أن أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله الأولى، بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وقال له: ادع الناس إلينا وانزل في اليمن، والطف بمضر. ونهاه عن رجل من أبرشهر، يقال له غالب، لأنه كان مفراطاً في حب بني فاطمة. ويقال: أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان، مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ.

قال: فلما قدم زياد أبو محمد، ودعا إلى بني العباس، ذكر سيرة بني مروان وظلمهم، وجعل يطعم الناس الطعام، فقدم

أرى كل قوم يعرفون إياهم وأبو مجيلة بينهم يتذبذب  
إني وجدت أبي أباك فلا تكن إلباً علي مع العدو تجلب  
أرمى بسهمي من رماك بسهمه وعدو من عاديت غير مكذب  
أسد بن عبد الله جلل عفوه أهل الذنوب فكيف من لم يذنب  
أجعلتني للبرجي حقيصة والبرجي هو اللئيم المحقب  
عبد إذا استبق الكرام رأيت يأتى سكيناً حاملاً في الموكب  
إني أعوذ بقبر كرز أن أرى تبعاً لعبد من تميم محقب

فإن صرفت عنهم به فلعله وإلا يكونوا من أحاديث قتال  
وكان أشرس يلقب جغراً بخراسان.

### أحاديث متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، كذلك  
حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن  
أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وغيره.

وقال الواقدي: خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنى في  
هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر. فقال: سلوني، فانا ابن  
الوحيد، لا تسألون أحداً أعلم مني. فقام إليه رجل من أهل  
العراق فسأله عن الأضحية، أو أجيبة هي أم لا؟ فما درى أي  
شيء يقول له! فنزل.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف  
إبراهيم بن هشام، وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله،  
وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة البزني، وعلى شرطتها  
بلال بن أبي بردة، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الأنصاري،  
من قبل خالد بن عبد الله، وعلى خراسان أشرس بن عبد الله.

### ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان

وفي هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان  
أشرس بن عبد الله السلمي، فذكر علي بن محمد، عن أبي الليث  
العدوي ومحمد بن حزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفي  
أن هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله عن خراسان،  
واستعمل أشرس بن عبد الله السلمي عليها، وأمره أن يكاتب  
خالد بن عبد الله القسري - وكان أشرس فاضلاً خيراً، وكانوا  
يسمونه الكامل لفضله عندهم - فسار إلى خراسان، فلما قدمها  
فرحوا بقدومه، فاستعمل على شرطته عميرة أبا أمية الشكري  
ثم عزله وولى السمط، واستقضى علي مرو أبا المبارك الكندي،  
فلم يكن له علم بالقضاء، فاستشار مقاتل بن حيان، فأشار عليه  
مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عزل  
أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة  
عبد الملك بن دثار الباهلي، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها  
بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحاً به،  
فقال رجل:

لقد سمع الرحمن تكبير أمة غداة أتاها من سليم إمامها  
إمام هدى قوى لهم أمرهم به وكانت عجافاً ما تمخ عظامها  
وركب حين قدم حاراً، فقال له حيان النبطي: أيها الأمير،  
إن كنت تريد أن تكون والي خراسان فاركب الخيل، وشد حزام  
فرسك، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلا فارجع.  
قال: أرجع إذن، ولا أقتحم النار يا حيان. ثم أقام وركب الخيل.

قال علي: وقال يحيى بن حزين: رأيت في المنام قبل قدوم  
أشرس قائلاً يقول: أتاكم الوعر الصدر، الضعيف الناهضة،  
المشثوم الطائر، فانتبهت فزعاً ورأيت في الليلة الثانية: أتاكم الوعر  
الصدر، الضعيف الناهضة، المشثوم الطائر، الحثائن قومه، جفر،  
ثم قال:

لقد ضاع جيش كان جعفر أميرهم فهل من تلاف قبل دوس القبائل!

## السنة العاشرة والمائة

## ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك، سار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جوعه، فاقتلوا قريباً من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذي القرنين.

وفيها غزا - فيما ذكر - معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح صمالة. وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري. وكان على جيش البحر - فيما ذكر الواقدي - عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

وفي هذه السنة دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فأجابوا إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطالبهم بها، فنصبوا له الحرب.

## ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند

## ومن وليهم في ذلك

ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر، فيدعوهم إلى الإسلام. فأشاروا عليه بأبي الصياد صالح بن طريف، مولى بني ضبة، فقال: لست بالماهر بالفارسية، فضموا معه الربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصياد: أخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية، فلما أخرج خراسان على رؤوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصياد لأصحابه: فإني أخرج فإن لم يف العمال أعتموني عليهم، قالوا: نعم.

فشخص إلى سمرقند، وعليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي على حربها وخراجها، فدعا أبو الصياد أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فسارع الناس، فكتب غوزك إلى أشرس: إن الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة: إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما دخلوا في الإسلام تعوداً من الجزية، فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن، فارفع عنه خراج. ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الخراج، وصيره إلى هانئ بن هانئ، وضم إليه الأشحيد، فقال ابن أبي العمرطة لأبي الصياد:

لست من الخراج الآن في شيء، فدونك هانئاً والأشحيد، فقام أبو الصياد بمنعهم من أخذ الجزية من أسلم، فكتب هانئ: إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد. فجاء دهاقين بخاري إلى أشرس فقالوا: عن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عرباً؟ فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على من أسلم، فامتنعوا، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصياد وربيع بن عمران التميمي والقاسم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي وخالد بن عبد الله النحوي وبشر بن زبور الأزدي وعامر بن قشير - أو بشير، الخجندي، وبيان العنبري وإسماعيل بن عقبة، لينصروهم.

قال: فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب، واستعمل مكانه الجشتر بن مزاحم السلمي، وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني.

قال: فلما قدم الجشتر كتب إلى أبي الصياد يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصياد وثابت قطنة، فحبسهما، فقال أبو الصياد: غدرتم ورجعتم عما قلتم! فقال له هانئ: ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء. وحمل أبا الصياد إلى الأشرس، وحبس ثابت قطنة عنده، فلما حمل أبو الصياد اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً، فقال لهم: كفوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتينا رأيهم فنعمل بأمره. فكتبوا إلى أشرس، فكتب أشرس: ضعوا عليهم الخراج، فرجع أصحاب أبي الصياد، فضعف أمرهم، فتبع الرؤساء منهم فأخذوا، وحملوا إلى مرو، وبقي ثابت محبوساً، وأشرك أشرس مع هانئ بن هانئ سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة في الخراج، فآلح هانئ والعمال في جباية الخراج، واستخفوا بعظماء العجم، وسلط الجشتر عميرة بن سعد على الدهاقين، فأقيموا وخرقت ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعناقهم، وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء، فكفرت السغد وبخاري، واستجاشوا الترك، فلم يزل ثابت قطنة في حبس الجشتر، حتى قدم نصر بن سيار والياً على الجشتر، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثي فحبسه. وكان نصر بن سيار اللطيف، وأحسن إليه، فمدحه ثابت قطنة، وهو محبوس عند أشرس فقال:

ما هاج شوقك من نؤي وأحجار ومن رسوم عفاها صوب أقطار! لم يبق منها ومن أعلام عرضتها إلا شحيج وإلا موقد النار ومائل في ديسار الحسي بعدهم مثل الريشة في أهدامه العاري ديار ليلي قنار لا أنيس بها دون الجحون وابن الحجن من داري! بدلت منها وقد شط المزار بها وادي المخافة لا يسري بها الساري

الجهد الذي كان به، فحضر الحارث بن سريج الناس، فقال: أيها الناس، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً. فتقدم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد، ابن أخي وكيع، في فوارس من بني غنيم وقيس، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء، فابتدروا فشرّبوا وارتووا.

قال: فمرّ ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي، فقال له: يا عبد الملك، هل لك في آثار الجهاد؟ فقال: أنظرني ريثما أغتسل وأتحنط، فوقف له حتى خرج ومضياً، فقال ثابت لأصحابه: أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم، وحضهم، فحملوا على العدو، واشتد القتال، فقتل ثابت في عدة من المسلمين، منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي وعبد الملك بن دثار الباهلي والوجيه الخراساني والعقار بن عقبة العودي. فضم قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان خيلاً من بني غنيم وقيس، تبايعوا على الموت، فاقدموا على العدو، فقاتلوهم فكشفوهم، وركبهم المسلمون يقتلونهم، حتى حجزهم الليل، وتفرق العدو. فأتى أشروس بخاري فحصر أهلها.

قال علي بن محمد، عن عبد الله بن المبارك: حدثني هشام بن عمار بن القعقاع الضبي عن فضيل بن غزوان، قال: حدثني وجيه البناني ونحن نطوف بالبيت، قال: لقينا الترك، فقتلوا منا قوماً، وصرعت وأنا أنظر إليهم، يجلسون فيستقون حتى انتهوا إلي، فقال رجل منهم: دعوه فإن له أثراً هو وأطنه، وأجلاً هو بالغه، فهذا أثر قد وطنته، وأنا أرجو الشهادة. فرجع إلى خراسان، فاستشهد مع ثابت.

قال: فقال الوازع بن مائق: مرّ بي الوجيه في بغلين يوم أشروس، فقلت: كيف أصبحت يا أبا أسماء؟ قال: أصبحت بين حائر وحائر، اللهم لف بين الصفين، فخالط القوم وهو متكب قوسه وسيفه، مشتمل في طيلسان واستشهد، واستشهد الهيثم بن المنخل العبدي.

قال علي، عن عبد الله بن المبارك، قال: لما التقى أشروس والترك، قال ثابت قطنة: اللهم إني كنت ضعيف ابن بسطام البارحة، فاجعلي ضيفك الليلة، والله لا ينظر إلي بنو أمية مشدوداً في الحديد، فحمل وحمل أصحابه، فكذب أصحابه وثبت، فرمي برذونه فشب، وضربه فأقدم، وضرب فارت، فقال وهو صريع: اللهم إني أصبحت ضعيفاً لابن بسطام، وأمسيّت ضعيفاً، فاجعل قراي من ثوابك الجنة.

قال علي: ويقال إن أشروس قطع النهر، ونزل بيكند، فلم يجد بها ماء، فلما أصبحوا ارتحلوا، فلما دنوا من قصر بخاراخذاه. وكان منزله منهم على ميل - تلقاهم ألف فارس،

بين السماوة في حزم مشرقة ومعنى دوننا آذنيه جار نقارح الترك ما تنفك نائفحة منا ومنهم على ذي نخلة شار إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً فيما أدبر من نقضي وإسراري يصرف الجند حتى يستفي بهم نهياً عظيماً ويجري ملك جبار وتعر الخيل في الأفياد أونة تحوى النهاب إلى طلاب أوتار حتى يروها دوين السرح بارقة فيها لواء كظل الأجلد الضاري لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة من الحضارم سباق بأوتار إني وإن كنت من جند الذي نصرت منه الفروع وزندي الثاقب السواري لذاكر منك أمراً قد سبقت به من كان قبلك يا نصر بن سيار ناضلت عني نضال الحر إذ نصرت دوني العشرة واستطابت أنصاري وصار كل صديق كنت أمله ألباً علي ورث الجبل من جاري وما تلبست بالأمر الذي وقعوا به علي ولا دنست أطماري ولا عصيت إماماً كان طاعته حقاً علي ولا تارفت من عار

قال علي: وخرج أشروس غازياً فنزل أمل، فأقام ثلاثة أشهر، وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبّر النهر في عشرة آلاف، فأقبل أهل السغد وأهل بخاري، معهم خاقان والترك، فحاصروا قطن بن قتيبة في خندقه، وجعل خاقان يتخب كل يوم فارساً، فيعبّر في قطعة من الترك النهر. وقال قوم: أقحموا دوابهم عرياً، فعبروا وأغاروا على سرح الناس، فأخرج أشروس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو، فوجهه مع عبد الله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك، فقاتلوههم بآمل حتى استنفذوا ما بأيديهم، ثم قطع الترك النهر إليهم راجعين، ثم عبر أشروس بالناس إلى قطن بن قتيبة، ووجه أشروس رجلاً يقال له مسعود - أحد بني حيان - في سرية، فلقبهم العدو، فقاتلوههم فأصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود، حتى رجع إلى أشروس، فقال بعض شعرائهم:

خابت سرية مسعود وما غنمت إلا أفانين من شد وتقريب  
حلوا بأرض قفار لا أنيس بها وهن بالسفع أمثال اليعاسيب

وأقبل العدو، فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوههم، فجالوا جولة، فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين، ثم كر المسلمون وصبروا لهم، فانهزم المشركون. ومضى أشروس بالناس، حتى نزل بيكند، فقطع العدو عنهم الماء، فأقام أشروس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم، فأصبحوا وقد نفذ ماؤهم، فاحتفروا فلم ينبطوا، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها، وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة، فلقبهم العدو فقاتلوههم، فجهدوا من العطش، فمات منهم سبعمائة، وعجز الناس عن القتال، ولم يبق في صف الرباب إلا سبعة، فكاد ضرار بن حصين يؤسر من

يقال له المهلب، كان حاميتهم، وهو رجل من العرب، فقاتلوههم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه، فاقتلوا، وجاء رجل من العرب بجزمة قصب قد أشعلها، فرمى بها وجوههم فتنحروا، وأخلوا عن قتلى وجرحى، فلما أمسوا انصرف الترك، وأحرق العرب القنطرة، فأتاهم خسرو بن يزيد جرد في ثلاثين رجلاً، فقال: يا معشر العرب، لم تقتلوا أنفسكم وأنا الذي جئت بخاقان ليرد علي مملكتي، وأنا آخذ لكم الأمان! فشتموه، فانصرف.

قال: وجاءهم بازغرى في مائتين - وكان داهية - من وراء النهر، وكان خاقان لا يخالفه، ومعه رجلان من قرابة خاقان، ومعه أفراس من رابطة أشرس، فقال: آمنونا حتى ندنو منكم، فأعرض عليكم ما أرسلني إليكم به خاقان. فآمنوه، فدنا من المدينة، وأشرفوا عليه ومعه أسراء من العرب، فقال بازغرى: يا معشر العرب، أحذروا إلي رجلاً منكم أكلمه برسالة خاقان، فأحذروا حبیباً مولى مهرة من أهل درقين، فكلّموه فلم يفهم، فقال: أحذروا إلي رجلاً يعقل عني، فأحذروا يزيد بن سعيد الباهلي، وكان يشدو شدوا من التركية، فقال: هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء. وقال: إن خاقان أرسلني إليكم، وهو يقول لكم: إني أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفاً، ومن كان عطاؤه ثلثمائة ستمائة، وهو يجمع بعد هذا على الإحسان إليكم، فقال له يزيد: هذا أمر لا يلتزم، كيف يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء لا يكون بيننا وبينكم صلح. فغضب بازغرى، فقال التركيان للذنان معه: ألا تضرب عنقه؟ قال: لا، نزل إلينا بأمان. وفهم ما قال له يزيد، فخاف فقال: بلى يا بازغرى إلا أن تجعلونا نصفين فيكون نصف في أثقالنا ويسير النصف معه، فإن ظفر خاقان فتحن معه، وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد. فرضى بازغرى والتركبان بما قال، فقال له: أغرض على القوم ما تراضينا به، وأقبل فأخذ بطرف الحبل ف جذبوه حتى صار على سور المدينة. فنادى: يا أهل كمرجة، اجتمعوا، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى، قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين، قالوا: نموت جميعاً قبل ذلك. قال: فأعلموهم.

قال: فأشرفوا عليهم وقالوا: يا بازغرى، أتبيع الأسرى في أيديكم فنفاذي بهم؟ فأما ما دعوتنا إليه فلا نجيبكم إليه، قال لهم: أفلا تشترون أنفسكم منا؟ فما أنتم عندنا إلا بمنزلة من في أيدينا منكم - وكان في أيديهم الحجاج بن حميد النضري - فقالوا له: يا حجاج، ألا تكلم؟ قال: علي رقباء، وأمر خاقان بقطع الشجر،

فأحاطوا بالعسكر وسطع رهج الغبار، فلم يكن الرجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه. قال: فانقطع منهم ستة آلاف، فيهم قطن بن قتيبة وغوزك من الدهاقين، فأتوها إلى قصر من قصور بخارى، وهم يرون أن أشرس قد هلك، وأشرس في قصور بخارى، فلم يلتقوا إلا بعد يومين، ولحق غوزك في تلك الوقعة بالترك، وكان قد دخل القصر مع قطن، فأرسل إليه قطن رجلاً، فصاحوا برسول قطن، ولحق بالترك.

قال: ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط خيل، فلم يجد بداً من اللحاق بهم. ويقال إن أشرس أرسل إلى غوزك يطلب منه طاساً، فقال لرسول أشرس: إنه لم يبق معي شيء أئذهن به غير الطاس، فاصفح عنه. فأرسل إليه: اشرب في قرة، وابعث إلي بالطاس، ففارقه.

قال: وكان على سمرقند نصر بن سيار، وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيباني، وهم معصورون، وكان عميرة ممن قدم مع أشرس، وأقبل قريش بن أبي كهمس على فرس، فقال لقطن: قد نزل الأمير والناس، فلم يفقد أحد من الجند غيرك، فمضى قطن والناس إلى العسكر، وكان بينهم ميل.

### ذكر وقعة كمرجة

قال: ويقال إن أشرس نزل قريباً من مدينة بخارى على قدر فرسخ، وذلك المنزل يقال له المسجد، ثم تحول منه إلى مرج يقال له بوادره، فأتاهم سبابة - أو شبابة - مولى قيس بن عبد الله الباهلي، وهم نزول بكمرجة - وكانت كمرجة من أشرف مدن خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته - فقال لهم: إن خاقان مار بكم غداً، فأرى لكم أن تظهروا عدتكم، فيرى جداً واحتشاداً، فيقطع طمعه منكم. فقال له رجل منهم: استوثقوا من هذا فإنه جاء ليفت في أعضادكم، قالوا: لا نفعل، هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة، فلم يقبلوا منه، وفعلوا ما أمرهم به المولى، وصحبهم خاقان، فلما حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى كأنه يريداه، فتحدّر بجنوده من وراء تل بينهم وبينه، فنزلوا وتآهبوا وهم لا يشعرون بهم، فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلّعوا على التل، فإذا جبل حديد: أهل فرغانة والطاربند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى. قال: فأسقط في أيدي القوم، فقال لهم كليب قناب بن الذهلي: هم يريدون مزاحفتكم فسيروا داوبكم الجحفة في طريق النهر، كأنكم تريدون أن تسقوها، فإذا جردتموها فخذوا طريق الباب، وتسيروا الأول فالأول، فلما رأهم الترك يتسربون شدوا عليهم في مضايق، وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك، وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده، فقتلوا رجلاً كان



فنكس فلم يدخل خاقان شيء أشد منه.

قال: فيقال: إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها، أو نرحلهم عنها. فقال له كليب بن قنان: وليس من ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل، فاصنعوا ما بدا لكم، فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر، فاعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سمرقند أو الدبوسية، فقال لهم: اختاروا لأنفسكم في خروجكم من هذه المدينة.

قال: فرأى أهل كمرجة ما هم فيه من الحصار والشدة، فقالوا: نشاور أهل سمرقند، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائي، فالحذر في موضع من الوادي، فمضى إلى قصر يسمى فرزاونة، والدهقان الذي بها صديق له، فقال له: إني بعثت إلى سمرقند، فاحلني، فقال: ما أجد دابة إلا بعض دواب خاقان، فإن له في روضة خمسين دابة، فخرجوا جميعاً إلى تلك الروضة، فأخذ برذوناً فركبه، وكان ألفه برذون آخر، ف تبعه فأتى سمرقند من ليلته، فأخبرهم بأمرهم، فأشاروا عليه بالدبوسية، وقالوا: هي أقرب، فرجع إلى أصحابه، فأخذوا من الترك رهائن ألا يعرضوا لهم، وسألوهم رجلاً من الترك يتقوون به مع رجال منهم، فقال لهم الترك: اختاروا من شئتم، فاختار كورصول يكون معهم، فكان معهم حتى وصلوا إلى حيث أرادوا.

ويقال: إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابه، وأمرهم بالارتحال عنهم، وكلمهم المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا: لا تفعل أيها الملك، ولكن أعطهم أماناً يخرجون عنها، ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها، وأنه ابنه المختار طلب إليك في ذلك خافة على أبيه، فأجابهم إلى ذلك، فسرح إليهم كورصول يكون معهم، بمنعهم ممن أرادهم.

قال: فصار الرهن من الترك في أيديهم، وارتحل خاقان، وأظهر أنه يريد سمرقند - وكان الرهن الذي في أيديهم من ملوكهم - فلما ارتحل خاقان - قال كورصول للعرب: ارتحلوا، قالوا: نكره أن نرتحل والترك لم يعضوا، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب.

قال: فكف عنهم، حتى مضى خاقان والترك، فلما صلبوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة، وقال: إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين، ثم تصيروا إلى قرى متصلة، فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر، منهم شعيب

فجعلوا يلقون الخطب الرطب، ويلقى أهل كمرجة الخطب اليابس، حتى سرى الخندق، ليقطعوا إليهم، فاشعلوا فيه النيران، فهاجت ريح شديدة - صنعاً من الله عز وجل - قال: فاشتعلت النار في الخطب، فاحترق ما عملوا في ستة أيام في ساعة من نهار، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات. قال: وأصاب بازغري نشابة في سرتة، فاحتقن بوله، فمات من ليلته، فقطع أثره أذنانهم، وأصبحوا بشر، منكسين رؤوسهم بيكونه، ودخل عليهم أمر عظيم. فلما امتد النهار جاؤوا بالأسرى وهم مائة، فيهم أبو العرجاء العتكي وأصحابه، فقتلوهم، ورموا إليهم برأس الحجاج بن حميد النضري. وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم، فقتلوهم واستماتوا، واشتد القتال، وقاموا على باب الخندق، فسار على السور خمسة أعلام، فقال كليب: من لي بهؤلاء؟ فقال ظهير بن مقاتل الطفاوي: أنا لك بهم، فذهب يسعى. وقال لفتيان: امشوا خلفي، وهو جريج، قال: فقتل يومئذ من الأعلام اثنان، ونجا ثلاثة. قال: فقال ملك من الملوك لحمد بن وساج: العجب أنه لم يبق ملك فيما وراء النهر إلا قاتل بكمرجة غيري، وعز علي ألا أقاتل مع أكفائي ولم ير مكاني. فلم يزل أهل كمرجة بذلك، حتى أقبلت جنود العرب، فنزلت فرغانة. فغير خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين، وقال لهم: زعمتم أن في هذه خمسين حماراً، وأنا نفتحها في خمسة أيام، فصارت الخمسة الأيام شهرين. وشمتمهم وأمرهم بالرحلة، فقالوا: ما ندع جهداً، ولكن احضرنا غداً فأنظر، فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف، فقام إليه ملك الطاربن، فاستأذنه في القتال والدخول عليهم، قال: لا أرى أن تقاتل في هذا الموضع - وكان خاقان يعظمه - فقال: اجعل لي جاريتين من جواري العرب، وأنا أخرج عليهما، فأذن له، فقاتل فقتل منهم ثمانية، وجاء حتى وقف على ثلعة وإلى جنب الثلثة بيت فيه خرق يفضي إلى الثلثة، وفي البيت رجل من بني تميم مريض، فرماه بكلوب فتعلق بدرعه، ثم نادى النساء والصبيان، فحذبه فسقط لوجهه وركبته، ورماه رجل بمجر، فاصاب أصل أذنه فصرع، وطعته رجل فقتله. وجاء شاب أمرد من الترك، فقتله وأخذ سلبه وسيفه، فغلبناهم على جسده - قال: ويقال: إن الذي انتدب لهذا فارس أهل الشاش - فكانوا قد اتخذوا صناعاً، والصقوها بمخاط الخندق، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له، فأقعدوا الرماة وراءها، وفيهم غالب بن المهاجر الطائي عم أبي العباس الطوسي ورجلان، أحدهما شيباني والآخر ناجي، فجاء فاطلع في الخندق، فرماه الناجي فلم يخطئ قصبته أنفه، وعليه كاشخودة تبتية، فلم تضربه الرمية، ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عينيه، فرماه غالب ابن المهاجر، فدخلت النشابة في صدره،

عرفجة الدرامي:

نحن كفينا أهل مرو وغيرهم ونحن نفينا الترك عن أهل كردر  
فإن تجعلوا ما قد غنمنا لغيرنا فقد يظلم المرء الكريم فيصبر

### أخبار متفرقة

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة، والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بردة، فجمع ذلك كله له، وعزل به ثمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، كذلك قال أبو معشر والواقدي وغيرهما، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله، وعلى خراسان أشرس بن عبد الله.

البكري أو النصري، وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية، وفي أيدي العرب من الترك خمسة، قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلاً من العرب معه خنجر، وليس على التركي غير قباء، فسأروا بهم.

ثم قال العجم لكورصول: إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل، فلا نأمن أن يخرجوا علينا، فقال لهم العرب: إن قاتلكم قاتلناهم معكم. فساروا، فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها إلى فرسان وبياذقة وجمع. فظنوا أن كمرجة قد فتحت، وأن خاقان قصد لهم. قال: وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب، فوجه كليب بن قنان رجلاً من بني ناجية يقال له: الضحاك على برذون يركض، وعلى الدبوسية عقيل بن وراذ السغدي، فأتاهم الضحاك وهم صفوف، فرسان ورجالة، فأخبرهم الخبر، فأقبل أهل الدبوسية يركضون، فحمل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحاً.

ثم إن كلياً أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليعلما سباع بن النعمان وسعيد بن عطية، أنهم قد بلغوا مأمنهم، ثم خلوا عن الرهن، فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من الترك، وترسل الترك رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من العرب، حتى بقى سباع بن النعمان في أيدي الترك، ورجل من الترك في أيدي العرب، وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر، فقال سباع: خلوا رهينة الترك، فخلوه وبقى سباع في أيديهم، فقال له كورصول: لم فعلت هذا؟ قال: وثقت بربايك في، وقلت: ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا، فوصله وسلحه وحمله على برذون، وردّه إلى أصحابه.

قال: وكان حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوماً، فيقال: إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً.

قال: وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم، فقال: كلوا لحومها واملئوها جلودها تراباً، واكبسوا خندقكم، ففعلوا فكبسوه، فبعث الله عليهم سحابة فمطرت، فاحتمل المطر ما ألقيوا، فألقاه في النهر الأعظم.

وكان مع أهل كمرجة قوم من الخوارج، فيهم ابن شنج مولى بني ناجية.

### ذكر ردة أهل كردر

وفي هذه السنة ارتد أهل كردر، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم، وقد كان الترك أعانوا أهل كردر، فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل رداً لهم، فصاروا إليهم، وقد هزم المسلمون الترك، فظفروا بأهل كردر، وقال

## السنة الحادية عشرة والمائة

## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية.

قال الواقدي: غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم، وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر الحكم بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف.

وفيهما سارت الترك إلى أذربيجان، فلقبهم الحارث بن عمرو فهزمهم.

وفيهما ولي هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية. وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان، وولاهما الجندب بن عبد الرحمن المري.

## ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن

## خراسان واستعماله الجندب

ذكر علي بن محمد، عن أبي الذبيل، قال: كان سبب عزل أشرس أن شداد بن خالد الباهلي شخص إلى هشام فشكاه، فعزله واستعمل الجندب بن عبد الرحمن على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة.

قال: وكان سبب استعماله إياه أنه أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر، فأعجبت هشاماً، فأهدى له هشام قلادة أخرى، فاستعمله على خراسان، وحمله على ثمانية من البريد، فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل، فقدم خراسان في خمسمائة - وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والسغد - فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر، فدل على الخطاب بن محرز السلمي خليفة أشرس، فلما قدم أمل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من بزم ومن حوله، فيقدموا عليه، فأبى وقطع النهر، وأرسل إلى أشرس أن أمدني بخيل، وخاف أن يقطع قبل أن يصل إليه، فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحماني، فلما كان في بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجندب، فدخل عامر حائطاً حصيناً، فقاتلهم على ثلثة الحائط، ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم، ابن أخي الأسود بن كلثوم، فرماه رجل من العدو بنشابة،

فأصاب عرض منخره، فأنفذ المنخرين، فقال له عامر بن مالك: يا أبا الزاهرة، كأنك دجاجة مقرق. وقتل عظيم من عظماء الترك عند الثلثة، وخاقان على تل خلفه أجمة، فخرج عاصم بن عمير السمرقندي وواصل بن عمرو القيسي في شاكركية، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء، فضموا خشباً وقصباً وما قدروا عليه، حتى اتخذوا رصفاً، فعبروا عليه فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير، وحمل واصل والشاكركية على العدو فقتلوه، فقتل تحت واصل برذون، وهزم خاقان وأصحابه.

وخرج عامر بن مالك من الحائط، ومضى إلى الجندب وهو في سبعة آلاف، فتلقي الجندب وأقبل معه، وعلى مقدمة الجندب عمارة بن حريم. فلما انتهى إلى فرسخين من بيكند، تلقته خيل الترك فقاتلهم، فكاد الجندب أن يهلك ومن معه، ثم أظهره الله، فسار حتى قدم العسكر. وظفر الجندب، وقتل الترك، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زمان من بلاد سمرقند، وقطن بن قتيبة على ساقه الجندب، وواصل في أهل بخارى - وكان ينزلها - فأسر ملك الشاش، وأسر الجندب من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة، فبعث به إلى الخليفة، وكان الجندب استخلف في غزاته هذه مجشر بن مزاحم على مرو، وولى سورة بن الحر من بني أبان بن دارم بلخ، وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوي ومحمد بن الجراح العبدي وعبد ربه بن أبي صالح السلمي إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا، فتواقفوا بالترمذ، فأقاموا بها شهرين.

ثم أتى الجندب مرو وقد ظفر، فقال خاقان: هذا غلام مترف، هزمي العام وأنا مهلكه في قابل، فاستعمل الجندب عماله، ولم يستعمل إلا مضرباً، استعمل قطن بن قتيبة على بخارى، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة، وحبيب بن مرة العبسي على شرطه، وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي. وكان نصر بن سيار على بلخ، والذي بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبروقان، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائماً، فجاءوا به في قميص ليس عليه سراويل، ملبياً، فجعل يضم عليه قميصه، فاستحيا مسلم، وقال: شيخ من مضر جثم به على هذه الحال! ثم عزل الجندب مسلماً عن بلخ، وولاهما يحيى بن ضبيعة، واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلي، كان مع الجندب السمهري بن قنعب.

## أخبار متفرقة

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التي

قبلها، وقد ذكرت ذلك قبل.

وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله، وعلى

خراسان الجنيد بن عبد الرحمن.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت.

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً في سنة اثنتي عشرة ومائة يريد طخارستان، فنزل على نهر بلخ، ووجه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر، وجاشت الترك فأتوا سمرقند، وعليها سورة بن الحر، أحد بني أبان بن دارم، فكتب سورة إلى الجنيد: إن خاقان جاش بالترك، فخرجت إليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث!

فأمر الجنيد الناس بالعبور، فقام إليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وابن صبح الخرقني، فقالوا: إن الترك ليسوا كغيرهم، لا يلقونك صفاً ولا زحفاً، وقد فرقت جندك، فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ، والبختري بهراة، ولم يحضرك أهل الطالقان، وعمارة بن حريم غائب. وقال له المجشر: إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً، فاكتب إلى عمارة فليأتك، وأمهل ولا تعجل، قال: فكيف بسورة ومن معه من المسلمين! لو لم أكن إلا في بني مرة، أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت. وقال: أليس أحق الناس أن يشهد الوغى وأن يقتل الأبطال ضخم على ضخم وقال:

ساعلني ما علني ما علني! إن لم أقاتلهم فجزوا المستي  
قال: وعبر فنزل كس، وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم، فرجع إليه وقال: قد أتوك فتأهب للمسير.

وبلغ الترك فعوروا الآبار التي في طريق كس وما فيه من الركايا، فقال الجنيد: أي الطريقين إلى سمرقند أمثل؟ قالوا: طريق المحترقة. قال المجشر بن مزاحم السلمي: القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار، إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيت خاقان أحرقت ذلك كله، فقتلنا بالنار والدخان، ولكن خذ طريق العقبة، فهو بيننا وبينهم سواء.

فأخذ الجنيد طريق العقبة، فارتقى في الجبل، فأسخذ المجشر بعنان دابته، وقال: إنه كان يقال: إن رجلاً من قيس مترفاً يهلك على يديه جند من جنود خراسان، وقد خفنا أن تكونه. قال: أفرخ روعك، فقال: المجشر: أما إذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات في أصل العقبة، ثم ارتحل حين أصبح، فصار الجنيد بين مرتحل ومقيم، فتلقي فارساً، فقال: ما اسمك؟ فقال: حرب، قال: ابن من؟ قال: ابن محربة، قال: من بني من؟ قال: من بني حنظلة، قال: سلط الله عليك الحرب والحرب والكلب. ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة

## السنة الثانية عشرة والمائة

### ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة، وحرقت فرنديّة من ناحية ملطبة.

### ذكر خبر قتل الجراح الحكمي

وفيهما سار الترك من اللان، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمهن معه من أهل الشام وأذربيجان، فلم يتغامر إليه جيشه، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل، وافتتحت الترك أردبيل، وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية.

ذكر محمد بن عمر أن الترك قتلوا الجراح بن عبد الله ببلنجر، وأن هشاماً لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشي، فقال له: إنه بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين، قال: كلا يا أمير المؤمنين، الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو، ولكنه قتل، قال: فما الرأي؟ قال: تبعثني على أربعين ذابة من دواب البريد، ثم تبعث إلى كل يوم أربعين ذابة عليها أربعون رجلاً، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافقوني. ففعل ذلك هشام.

فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفوداً إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة، فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم.

وذكر علي بن محمد أن الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه الترك بالشعب: ليلة كليلة الجراح ويوم كيومه، فقبل له: أصحلك الله! إن الجراح سير إليه فقتل أهل الحجسى والحفاظ، فجن عليه الليل، فأنسل الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذربيجان، وأصبح الجراح في قلة فقتل.

وفي هذه السنة وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم - فيما ذكر - حتى جاز الباب في آثارهم، وخلف الحارث بن عمرو الطائي بالباب.

### ذكر وقعة الجنيد مع الترك

وفي هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب. وفيها قتل سورة بن الحر، وقد قيل: إن هذه الأمة كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة.